

تسلیہ سچی پسنا

دنیا محمد



رواية :

شئ سيبقى بيننا

للكاتبة :

دنيا محمد

رواية حصرية نشرت على جروب روائع الروايات
الرومانسية

[/https://www.facebook.com/groups/rawae3rewayat](https://www.facebook.com/groups/rawae3rewayat)

شئ سيبقى بيننا

شئ سيبقى بيننا

دنيا محمد

الغلاف الخارجي :

راندا عادل

التصميم الداخلي :

دنيا محمد

التعبئة والكتاب والرابط الالكتروني :

ضحى حماد

دنيا محمد

روائع الروايات الرومانسية

إهداء

إلى أول وآخر من سأهدى لهم نجاحي..

إلى أول من علمتني حروف الكلم..

إلى معلمتي الأولى والأخيرة..

إلى من كانت أمّاً وأختاً وخير صديقة..

إلى روحك الطاهرة يا "نورا" !

رحمة الله عليكِ حبيبتي، لولاكِ أنتِ ما كنت أنا !

=====

شكراً

شكراً بحجم الكون لكل حد قرأ الرواية أوبيقرأ الملف ده
دلوقتي واهتم أنه يديني رأيه ويشجعني بيه.

شكراً لكل حد آمن بموهبتي وأداني أمل أنى أكمل رغم كل
المطبات إلى قابلتني.

لقارئاتي الغاليات.

ولكل حد تعب معايا من أول ما بدأت مش من الرواية دي
بس.

وشكر خاص لصديقتي الغالية، الكاتبة: شمس علاء

وصديقتي: سلمى فريد ... ولوالدتي الغالية

على وقوفهم جنبى خطوة بخطوة من أول ما بدأت فكرة

الرواية تتكون لحد الوقت إلى بقت فيه بالشكل ده.

شئ سيبقى بيننا

شئ سيبقى بيننا

"ولأجل ذاك الشئ سيسير كلُّ منا في طريقه..

أنت نحوى .. وأنا نحوك."

جبران خليل جبران

دنيا محمد

روائع الروايات الرومانسية



مقدمة

=====

أنا فريدة!

هذا اسمي، لكنني اعتقد بأن هذه صفتي أيضاً.

لا، ليس غروراً، إنما أنا فحسب أعرف قدر نفسي جيداً!
بالطبع لن أمدح نفسي وأقول عني جميلة، لكنني كذلك..
فأنا جميلة.. جمال ليس بالمواصفات القياسية المتعارف
عليها هذه الأيام!

فجمالي نابع من هنا.. من هذا الذي ينبض في يساري.
من قلبي!

ولكن هذا الذي ينبض، يمكنه أن يرتجف، هل تعلمون؟؟
صدقاً يمكنه الارتجاف، لكن -وكما العادة- للشخص
الخطأ، أمام الخاطئ من بين جميع البشر، الخاطئ تماماً!
لا يغرنكم ذكر "العادة" في الجملة السابقة، لا أنا مختلفة،
قصتي مختلفة!

لا أُمجدُ نفسي، لأنني لم أكن "مُقدَّسة" كما الجميعُ اعتقد
.. لا .. أنا كنتُ "بَشراً"!

طالبتُ بمقابل لكل ما أُعطيه بسخاء .

طالبتُ بمقابل لكامل "زينتي" التي استقبلته بها، وهو الذي
أتى "أشعث"، مُغبر بعد طول خُذلان .

طالبتُ بمقابل لكل "عطائي" له، وهو الذي ردني مرة بعد
أخرى "خالية الوفاض" .

طالبتُ بمقابل لـ "عناقِي" الذي استقبلته به بعد سفرٍ، وهو
الذي نبذني من أرضه كـ "خَطِيئة" لن تَمْحوها توبة .

لا يَغُرَّنكم حُسْنُه وبهائُه كما اسمه تماماً .. "زين" !

لا تَنخدِعوا بمَظهره البراق؛ فما خلف تلك الواجهة البراقة
كان أسواء بكثيرٍ من أن يَحتمله أحدٌ غيري .

صِدقاً هذا ليس غروراً، لكني "فريدة" كما انطبق اسمي على
بينما هو .. لم يكن له من اسمه أي نصيب!

=====

أما عني .. فأنا كنتُ "أعمى"!

لا تهتموا؛ فأنا لا أهيئُ نفسي، بل تلك كانت الحقيقة .

كنت أعمى حين لم ألحظ حباً كالذي كان يُظلل "الزمرد" في عينيها فينعكس شغفاً بنظراتها .

كنت أعمى حين تمسكتُ بـ "أضغاثِ أوهامٍ" مالها في عُرفِ الحقيقةِ تأويل!

كنتُ أعمى حين لهثتُ خلف ماضي لا ينفع، ناسياً أو مُتناسياً .. أن بعض الأمور ستبقى خيراً إن ظلت مخفية .

وأن خلف كل "نسمةٍ" ريح رقيقة "عاصفةٌ" ستأخذ في طريقها الأخضر واليابس .. فلن تُبقى ولن تذر!

=====

وها هنا كانت بداية النهاية .. نعم فكل البدايات تنتهي، وكل النهايات ما هي إلا امتداد لبداياتٍ جديدة!

زين انت هنا؟! .. انت سامعني ؟

تهتف بها بذعروهي تحاول مقاومة الظلام الذي يحيطها،
لكن مالها حيلة؛ فتلك العُصبة المربوطة حول عينيها
تمنعها الرؤية، ويديها المقيدتين تمنعها الحركة، لا تملك
سوى لسانها والذي عاد يهتف بذعروهي تسمع صوت
الجلبة الآتية من الخارج، وتُميّز فيها صوت تأوهات ألمه
واضحة :

يا زين رد علياااا .. لو سامعنى رد، بيعملوا فيك ايه ..
بيضربوك ليه ؟؟

صوت الباب الذى فُتح مُصدراً صريراً عالياً اجفلها،
فانتفضت وهي تعاود الهتاف :
_ زين انت هنا ؟ انت

ولكن ذاك الشئ الصلب الذي اصطدم بالأرض جوارها
جعلها تنتفض كالمحمومة وتبتعد بجسدها عن الشئ

المجهول الذى ألقى جوارها، مع صوت صرير الباب ثم صفقه بعنف والذى أخبرها أن الذى دخل قد خرج.

ظلت تحاول الابتعاد بذعروها تدور برأسها هنا وهناك و كأنها سوف ترى بذلك .. لكن اليد التى لمست معصمها جعلتها ترتجف لوهلة قبل أن تسكن تماماً مُنصِته لصوته الهامس بلهاثٍ مُجهّد :

_ ماتخافيش .. ده انا .. آآه زين .

_ زين .. زين .. عملوا فيك ايه .. عملوا فيك ايه ؟

ظلت ترددها بهستيرية وهى تحاول سحب معصمها المقيدين لكنها لا تستطيع، فزفرت بعنف تزامناً مع دموعها التى انطلقت جيادها تحت عُصبة عينيها، لتهمس بصوتها الذى بَحّ من كثرة الصراخ :

_ انت ازاي تيجى هنا لوحداك .. انت مجنون ؟



تأوه وهو يجيها بصعوبة :

_مدام هكون معاك ، فأنا موافق انى ابقى مجنون .

لم تستطع كبح جماح دموعها خاصة مع صوت تأوهات ألمه

التي تصلها مُخرقة كيانها كله، مع همسها الهستيرى :

_يا رتنى مكنت مشيت .. يارتنى مكنت روحى، يارتنى كنت

انا!

_هشششش .. اسكتى بقى بس .

يهمس بها بصعوبة ووهن، وهو يقاوم الإغماء الذى يفرض

سيطرته عليه بعد كم الضرب الذى تعرض له، لكنه يبدو

أنه كان أقوى من أن يقاوم، فاستسلم له .. ولكن هذا ليس

قبل أن يمر شريط ما حدث معه كله أمام عينيه المغمضتين

عليهما تظلا مغمضتين .. للأبد!!

=====

الفصل الأول

=====

نسمات رقيقة داعبت وعيه الغافل، وهو يقع في منتصف المنطقة بين الوعي واللاوعي، خيالات من ماضٍ قريب مزعج، مؤلم بشدة تراوده في غفلته، عقله يحارب، يحاول استجلاب وعيه الضائع والذي لا يريد، لا يريد الآن، ليس بعد أن فقدها ..

انفرج جفنيه عن عينيه البراقتين بلونهما الأخضر الذي يشبه الأعشاب الشاحبة، رفرف بأهدابه عدة مرات حتى اعتاد الضوء، ودار بعينه في الغرفة الموجود بها، يستنتج أين هو، ويستحضر على عقله المرهق ملامح من ماضٍ قريب، ماضٍ كان تأثيره عليه أشد من تأثير فقدانه لأبيه .

وللأسف الشديد استوعب، استوعب كل شئ مضى، كل لحظة رعب عايشها، وعایشتها هي، كل صرخة مدوية

مستنجدة باسمه قبل أن ينخرس فمها تماماً، كل ملامح وجهها المشرقة قبل أن تلطخها دماءها، وهو على بعدٍ منها غير قادر على تحريك جفنيه المثقلين حتى، وجسدها المسجى أرضاً فاقدة لوعيمها، بل بالاحرى فاقدة لروحها ..

تجمدت عيناه على سقف الغرفة، وهو يتذكر كل التفاصيل، إلى أن انفتح باب الغرفة فجأة، فلم يعنيه هذا فى شئ بل لم يحاول حتى معرفة من الذى دخل، ببساطة فقد شهيته لكل شئ .. أى شئ بات يخنقه!

سمع وقع خطوات تقترب منه وتوقفت الأقدام جوار سريره بتلك المشفى التى استنتج وجوده بها من الأجهزة التى تحيط به، واللون الأبيض الذى يخيم على كل ما حوله، صوت رجولى رخيم شاب نبرته الحزن ردد اسمه جواره :

— "زين" .



لم تتحرك عيناه الشاخصتان عن سقف الغرفة وكل ما
حدث يمر أمام عينيه على صفحة السقف وكأنه شاشة
لعرض كل آلامه وأوجاعه، وكأنما يقدم له التعازي ويذكره
بالذي مضى!

امتدت اليد الرجولية نحو معصمه تلمسه وهو يهمس
باسمه مرة أخرى، حينها رمش زين بعينه مرة واحدة وهو
يهمس بصوت مبحوح جامد :
_ ماتت يا "حازم".

لم يعلم حازم إن كان قوله يمثل إقراراً بما حدث، أم أنه
يتسائل، ولكنه في النهاية قال في حزن :
_ البقاء لله يا زين.



اشتدت قبضته على فراشه وهو يسمع تأكيداً آخر عما
حدث، حينها همس بصوت متألم :
_ليه هي؟؟!... ليه هي وانا لا؟؟!

لم يجد حازم رداً مناسباً في هذا الموقف، لا يعلم بما يبرر له
تلك "المكيدة" التي حيكته ضده، ولكن زين باغته وهو
يصرخ بصوت عالٍ :
_ليه هي ليه ليه؟؟؟!

اشرف عليه حازم بملامحه الجادة وهو يكبل ذراعيه الذى
أخذ يضرب بهما فوق الفراش ..
تخبطه، بكائه، ودموعه التى لم تنزل حتى يوم وفاة أبيه، كل
ذاك كان يفضح عظم شعوره بالألم، يفضح معاناته ..

لماذا؟؟

تحتّم عليه هو بالذات الفراق، لماذا تفرق الأحباب من حوله، فلم يبق عزيزاً ولا حبيباً الا وقد ذهب؟
يشعر بأنه مصاب بلعنةٍ ما تصب مصائبها على كل من يقترب منه، هو لم يكن يرجو من الدنيا سواها، فلماذا إذن خسرها هي تحديداً؟!

ولكن تلك تدابير القدر، فأى مختل هو كي يعاند الأقدار؟!

كان ذلك آخر ما طرأ على باله قبل أن يشعر بجفنيه يتأقلان رغماً عنه، عينيه تنغلق، والرؤية تسود أمامه ..
على الأغلب قد حقنوه بشئ ما، ولكن أى منوم هذا الذى سيفلح فى إبعاد طيفها عنه، وآخر ما تمت به كان اسمها
والذى كان لها منه "نصيب" :

_ذكرى ... ذكرى!

=====

قبل عدة شهور !!!

_مين قال الكلام ده، وازاى هيعملوا كده؟؟

هتف بها زين بحدة وهو واقفاً أمام حازم فى ردهة المستشفى
العسكرى، فقال الأخير بهدوء كعادته حين يواجه عصبية
زين الهوجاء :

_هنعمل ايه طيب دى التعليمات هو هيفضل كده فى
المستشفى هنا لحد ما حالته تتحسن .

زمجر زين بعصبية قبل أن يقول بصوت خفيض ينضح
شرراً :

_نسيب مين يا بنى ادم، ما هو عامل شبه القروء اهو، لا هو
عيان ولا هو بيموت، هنسيبه كده لحد ما يجى حد تبعه
ويهربه يعنى، الموضوع مش هزاردى شحنات زفت مخدرات
ومطلوبة تتسلم وهيعملوا المستحيل عشان يسلموها، و
اكيد مش هيسيبوا واحد من رجالتهم كده .



_ والله هي دي التعليمات إالى عندنا، اننا نسيبه لحد ..

قاطع زين وهو يلكزه فى كتفه بحدة، بعدما رأى تلك
الطبيبة الأقرب لمراهقة تقترب منهم، والتي من المفترض أنها
سوف تشرف على الحالة ..

عندما أصبحت بمحاذااتهم رمقها زين بنظرة مستنكرة
قليلاً، تقبلتها هي بجمود ونظرة بلا تعبير إلى أن تجاوزته
وخطت للداخل، وحازم الذى يراقب الوضع صامتاً انفجر
فجأة فى ضحك ليس له داع ..

فتأفف زين بضجرو وهو يضربه بخشونة فى كتفه هاتفاً
بعصبية :

_ كان مالى انا ومال الشغلانة دي، ناقصة حرق دم هي، ربنا
يسامحك يا حاج لولاك مكنش زمانى متدبس التدبسة
السودة دي مع واحد متخلف زى ده.



سحبه حازم من يده بعيداً عن تلك الغرفة التى تثير حفيظته، وهو يقول بمرحه الذى يكاد يكون جزء لا يتجزأ منه :

_ سيب الراجل فى تربته ربنا يرحمه ويبش بش الطوبة إالى تحت رأسه ، انت مابتفهمش أصلا، ابوك شهيد، ودول أحياء عند رهم يرزقون .

_ يا بنى هو انا كنت قلت غير كده لا سمح الله، انا راضى بنصيبى والله بس إالى انا مستغربة انت بهبك اللامحدود ده دخلت شرطة ازاي اصلا .

تسائل زين بشبه مرح ظلل كلماته، فى حين جلس مع حازم فى مكان قصي قليلاً عن الآخرين، فقال حازم بجديته المصطنعة والأقرب إلى المرح من الحزم بما لا يمت مطلقاً بصلة لشخصية رجل الشرطة التى من المفترض أنه يتقمصها الآن، لكن تلك الروح القابعة داخله منذ الأزل شديدة الإغراء حتى تطفو على سطح أفعاله :



بص يا ابني انا هقولك الحقيقة انا دخلتها قضاء وقدر، اه
والله، هتقولى تشابه اسماء، صيط ابوك الله يرحمه، اسم
ابويا انا فى السوق اى حاجة من دول ماتكولش معايا لان انا
مش وش شرطة اصلا، كان نفسى ومنى عيني أدخل فنون
جميلة هوده أخرى بس النصيب بقى، هيبقييه دنيا .

انطلقت ضحكات زين بعدها وكأن عصبته القديمة ما
كانت ..

دائما ما ينجح حازم فى إخراجه من طور كآبته كما بإمكانه
إلباسه ثوب العصبية فى أقل من ثوانٍ معدودة، هكذا هى
صداقتهما مزيج من نور و نار!

مزيج من مرح حازم المعهود مع جدية زين وحزمه،
ذاك المزيج هو ما يضيف على صداقتهما طابعها المتزن فلا
تختل أبداً.



همّ زين بالرد عليه، ولكن حازم لكزه بخفة وهو يشير بعينه نحو "الطبيبة الطفلة" - كما أطلق عليها زين منذ قليل - وهي تتقدم نحوهم، فتلبست الجدية ملامح زين من فوره، وهو يستقيم واقفاً أمامها، في حين أعطته صاحبة العينين السوداوتين تقرير عن حالة المريض المستقرة نوعاً بعمليتها المعهودة ثم همت بالإنصراف من أمامه قبل أن يقاطعها زين قائلاً وهو يضيق عينيه بتساؤل :

_ قولتيلي اسمك ايه؟؟

عدلت من وضع نظارتها الطبية فوق عينيها ثم قالت بدبلوماسية :

_ دكتورة ذكرى، ذكرى السيوفى.

=====



_ذكرى السيوفى .

تمتم بها زين وهو ممدداً على أريكة طويلة فى حديقة بيته،
يعلوه القمر والسماء السوداء المزينة بمصابيح النجوم !!
أمامه المسبح، وجواره حازم بنفس وضعيته، يرتشف من
زجاجة مياة غازية بيده، ثم ناولها لزين الذى أخذ يرتشف
منها ظناً منه أنها الزجاجة خاصته، فى حين قال حازم
بعملية، وكأنه آلة تدلى بالمعلومات :

_ذكرى السيوفى ايوه .. ابوها راجل الأعمال المعروف سامى
السيوفى، صاحب مصانع السيوفى للأدوية، أخوها مؤمن
السيوفى، دراع ابوہ اليمين مع انه خريج هندسة وهو اصلا
مهندس معماري وليه شركته بس مش بيسيب ابوہ فى حاجة
...

ابوها كان متورط قبل كده فى قضية مخدرات، اشتبه فيه
انه كان يهرب مخدرات مع الأدوية بس التحقيقات كشفت
انه راجل سليم وتمام التمام، ودى كانت لعبة من واحد من



مجلس الادارة عشان مصالحته الشخصية، وطلع أبوها منها
بشهادة من الكل انه راجل يمين وملهوش ف السكة
العوجة، انما طنط حسانات الدكتور دى فدى مش ضمن
نطاق معلوماتنا اصلاً، ملناش دعوة بيها، بس هى دكتورة
فى المستشفى العسكرى بقالها سنة شغالة هناك، وحظها
المهيب وقعها معاك فى قضيتك المهيبة دى .

انتهى حازم من سرده لاهثاً بشدة وهو يقول بصعوبة :

_منك لله يا زين مش قادر اخود نفسى .

لم يعره زين اهتماماً وهو مستمر بشروده قبل أن يغمغم
بصوت خفيض :

_امممممم يعنى الراجل طلع يمين فى يمين، أخوها مع
ابوه، وست زقردة دى دكتورة .

اوماً حازم بجدية وهو يرتشف من العلبة المعدنية فى يده
ويحاول إلتقاط أنفاسه :
_بالظبط .



التفت له زين، ينوى استكمال حديثه فوجده يرتشف من
علبته بجدية تامة، فهتف زين بحدة :
_ انت بتعمل ايه يا... .

وهمّ بنعته بلقبٍ ما لكن حازم كمم فمه فجأة، وهو يحذره
بفزع :

_ اخرص الله يخربيتك، أختك جوه تقول عليا ايه وانت
بتشتمنى كده، هتهز صورتى الله يحرقك .

_ليه هى صورتك لسه ماتتهزتش دانت بقت سمعتك فى
الأرض خالص، ثم إن انت عامل حساب اختى ليه، ما امى
جوه بردو واختى التانية موجودة .

قالها زين بخبث رافعاً حاجباً واحداً شريراً وهو يزيح كفه
عن فمه، فى حين تلفت حازم حوله بتفحص للمكان وقال
بحذر:

_ايوا مانا قصدى خواتك كلهم، وامك كمان، صفى النية يا
ابن آدم .

عقد زين حاجبيه باستخفاف، وقال هازناً بجدية :
_ حاضر هصفها بس لما الحلويهدى ويركز كده ويلم عينيه
حوليه .

ابتسم حازم بشجن وهو يستمع لتحذير زين الجدى !!
وهو يفكر بأنه لو كانت "لوح الثلج" أخته تنتبه لنظراته،
كلامه، أو حتى تحية السلام التى يلقيها عليها خصيصاً
ويعمم بها الآخرين، لكانت لاحظت ولون ذراً يسيراً من
مشاعره المشتعلة نحوها، لكنها -ومع شديد الاسف- لا
تشعر بنفسها حتى ..

حك حازم شعره بارتباك، ثم قال :
_ يا عمنا اختك مين، "منة" دى زى اختي "اروى" بالضبط .

لحق حاجب زين الآخر بحاجبه الأول فى استنكار واضح، وهو
يقول بتشكك :

_ منة بردوها، العب غيرها يا "حظايط" .



ضحك حازم ضحكة خفيفة مشبعة بكذبه، وبذاك الألم
المخفى فى ركن بعيد من قلبه، والذي يداريه بمرحه
ولامبالاته بكل شئ!

فى حين تزامنت ضحكته مع النداء الأنثوي المرح الذى أتى
من خلفهم مُنقذاً إياه من تحقيقات زين التى لا ترحم :
_مين بينادى عليا، بتجيبوا فى سيرتى ليه رموش عيونى
وقعت من كترما بتجيبوا فى سيرتى .

التف زين ل "منة" وهو يضحك عالياً، ويهتف بمرح، بينما
يستقبلها محتضناً إياها بذراعه :
_ده هو الواد حازم بس كان بيقولى انك زى اخته .

رمقت منة حازم باستنكار مرح وهى تضيق عينها هاتفة
بشك :



_زى اختك، أختك بردويا حازم، مكنش العشم، واللى بينا
راح فين، رجعلى الهدايا بتاعتي والدبلة ومش عاوزة منك
حاجة تانى إالى بينا انتهى .

تعالى ضحكات حازم، وهو يرفع يديه باستسلام مسرحى
قائلاً:

_دبل وهدايا ايه يا باشا، هتودينا فى داهية كده .

_ليه هو انت لسه ماروحتش .

تمتت منه بها بخفوت، وهى تطرق برأسها، وترمق ما خلف
حازم بنظرات حذرة، بينما زين يكبح ضحكاته بصعوبة
بادية على ملامحه المبتسمة بخبث، إلى أن هتف الصوت

الأنثوي بنبرة قوية، متذمرة خلفه :

_منة! تعالى عايزاكى فى حاجة معايا .

استقامت منة واقفة، وهى تتمتم :

_عن اذنكم .



ثم ذهبت مع تلك الفتاة والتي آتت ورحلت دون حتى أن
تلقى تحية، وكأنها بخلت بها على ذاك الذي طافت عيناه
حولها مطوقة إياها بحنانه ودفء مشاعره التي تتدفق
منهما، مراقباً إياها بحسرة تجلت على محياه ..
"حلا"

اسم على مسمى .

ما أحلاها وما أشقاها !!

يقولون أن البعيد عن العين بعيد عن القلب، ولكن في
حالته تلك كانت كلما ابتعدت أصبحت أقرب إلى قلبه،
فقرّبها يؤرقه، يطعنه بنصل ثلم في كرامته المجروحة منها!

أفاق حازم من شروده على يد زين التي تربت على ركبته
برفق، فنظر له حازم مبتسماً بشجن، ثم همس بجدية
هائلة تزامناً مع ايماء رأسه تأكيداً :



_بحبها !

ابتسم زين بلطف، قائلاً برزانة رغم أنه لا يستسيغ الحديث
عن الأمور المتعلقة بمشاعر حازم الذى يكنها لأخته :
_طب مانا عارف .

اشاح حازم بوجهه عنه، قبل أن يهمس بصوت خفيض :
_طب هى ليه رافضة؟؟.. هو انا كنت وحش معاها فى حاجة
.

_حازم ماتعيش نفسك فى وهم، رافضة ايه؟؟ حلاتعرف
ايه اصلا عن مشاعرك نحيتمها؟

قالها زين بجدية، متطرفاً عن قاعدته المعهودة، وهى الغيرة
المطلقة على إخوته، والتى زادت أضعافاً بعد موت أبيه فى
إحدى مداهماتة ..

وفاته شهيداً ..

هى ما كانت السلوى لهم جميعاً، ولكن زين كان
كالجبل الذى ازداد رسوخه بعد موته، مرادفاً لازدياد

تعصبه لإخوته أيضاً وغيرته عليهن، لأجل ذلك كان التهوان في حديثه مع حازم هذه اللحظة يعد معجزة في حد ذاتها، خاصة مع استطراده :

_ اديها فرصتها، انت ماصرحتهاش وماطالبتهاش بحاجة رسمية وهي رفضت، وبعدين اتقل كده .

_ تقلان.. "بس النظرة ساعة اللُقا فضاحة يا سيدنا".

ابتسم زين بنظرة غير مفسرة.. في حين التفت له حازم متلبساً "قناع مرحه" والذي يستدعيه في هذه اللحظات التي يشعر فيها بأنه سوف يُجَرَد من كل أسلحته لتورية ما بداخله، فيلجأ لآخرها وأقواها، "مرحه الكاذب".

_ بس غريب انت اوى انهاردة يا "سيدنا"، بتتكلم كده عادى، لتكون ست "حسنات الدكتورة" عملت شغلها انهاردة .

يهتف بها بمرحه وهو يدعوه بهذا اللقب الذي كان يناديه به قديماً، ليجيبه زين :



_تصدق انت حرام فيك النصيحة قوم من هنا يا حازم يلا ،
والله مانا متكلم ، وبعدين بطل هبل وماتجبش في سيرة بنات
الناس ملناش دعوة بيها ، مجرد دكتورة ماسكة الحالة
المسجونة عندنا ، وانتهينا .

قالها زين بجدية تامة ، بل أقرب للصرامة وهو يشدد على
كلماته ، فضحك حازم عالياً وهو يقول مازحاً :
_انت دمك حامى اوى .

=====

أفاق زين من نومه على صوت رنين هاتفه ، استقام جالساً
وهو يتطلع إلى الشاشة المضيئة أمامه برقم مجهول ، وهو
مغمض العينين ، لم يستفق بعد إلا أنه وضع الهاتف على
أذنه وهمس بصوت خفيض :
_الو .

_حضرة الرائد "زين الدين آدم" معايا ؟؟

الصوت الناعم اخترق دهاليز عقله المشوشة، فانتفض مكانه وهو يميز صوت "الطبيبة الطفلة" من فوره، ولكن لماذا تتصل الآن في مثل هذا الوقت؟؟
_ايوا انا .

همس بها بهدوء، فأتته الصدمة دون مقدمات :
_حضرتك .. ال .. المسجون إلى كان عندنا، مات .

=====

_هنعمل ايه دلوقتى ي زين !!؟؟
تسائل حازم وهو واقفاً أمام زين فى المشفى، زين الذى لا يعرف كيف تلقى الخبر أساساً.. فجأة وجد نفسه يهب واقفاً، مغلقاً الهاتف فى وجه ذكرى، ثم دق لحازم وأخبره و
أتى على المشفى بطريقة هو لا يعرف ماهيتها !!
قال زين بذهن صافن :



_مش عارف، هو كان طرف الخيط إالى هيوصلنا لحاجات
كتيرة اوى، بس موته ده متدبر.. موته مش طبيعي ابدأ،
وكلام الدكاترة أكد ده، قالوا انه حد حقنه بإبرة هوا .

_بس ده بردو مش حل .

قالها حازم بهدوء فارضاً الأمر الواقع، فمززين رأسه نفيماً
ببطء وقال :

_وانا مش عارف الحل .

=====

وهكذا إنتهى الأمر، وانقضت المحنة بموت الشاب الذى
قُبض عليه، ولم يتوصلوا لفاعلها بعد !
والأدهى أنه، لربما موته سيفتح عليهم أبواب من سعيرهم
يريدوا أن يكونوا بعددين كل البعد عنها !

=====



مرت الأيام بعدها ...

وزين مازال يتردد على المشفى بدافع خفى داخله هو لا يعرفه، رغم عدم ضرورة ذهابه للمشفى، ورغم أنه لم تكن هناك أسباباً مقنعة للذهاب إليها، إلا أن "الطبيبة الطفلة" قد أدت دورها بأكمل وجه -على ما يبدو- ، واقتحمت أبواب قلبه "صدئة الاقفال"، وانتهى الأمر.

وفي يوم كان ذاهب إلى المشفى بحجة بضع إجراءات واهية، ابتدعها كحجة له ليأتى، تقدم من مكتب الاستعلامات ليسأل عنها، ولكن قبل أن يهم بالحديث للفتاة التى تقف خلف المكتب رآها تأتى من نهاية الممر، تختال فى مشيتها كراقصة بالية، تكاد قدميها لا تلامسان الأرض تحتها حتى !
آه .. هل يخبرها أنه يعشق مشيتها بتلك الطريقة، عشق لم يدرى حتى متى أتى وكيف أتى، وهو الذى كان يلقيها بالطبيبة الطفلة!

لحظة ! نعم هي طفلة، صحيح أنه أحبها ولكن هذا لا ينفي كونها في نظره أصغر من منة أخته حتى!!
وقف عقله عن التفكير حالما مرت هي من جواره، ترمقه بنظرة جانبية مرتبكة، وقد لاحظ أنها تسرع في مشيتها حين اقتربت منه، ابتعدت عنه، ليلحق هوبها هاتفاً :
_يا ذكرى .. استنى .

وقفت توليه ظهرها، فلم يرى حاجبيها المنعقدين بشدة تناقض تلك الابتسامة التي ارتسمت على ثغرها الجميل، وظهرها المتصلب يشي له -كذباً- بأنها لا تطيق وجوده حتى!
اقترب منها بخطوات متمهلة، حتى وقف على بعد عدة خطوات منها، ليقول بصوت متزن ونبرة جادة :
_دكتورة ذكرى .

التفتت له ذكرى ببطء ماسحة الابتسامة عن وجهها، وبتعبير محايد قالت :
_افندم .



كانت ملامحه ثابتة رغم الصراع الذى يدور داخله، كبركان
قشرته تخفى الكثير من الخبايا خلفه، ثم قال بهدوء :
_باشمهندس سامى هيكون موجود فى البيت انهاردة ع
الساعة تمانية كده .

_افندم؟!!

قالتها مستفسرة بجدية، فهمس زين لنفسه بصوت غير
مسموع :

_هى وقفت الشريط عند كلمة افندم ليه كده؟! هو مفيش
غيرها؟!!

ازدرد ريقه ببطء، وهمّ بقول شئ، لكنها قاطعته بقولها
الهادئ :

_اه عامة لوعاوزه فى حاجة فى الشغل يُفضل تروحله
الشركة عشان هومش بيحب يناقش أمور الشغل فى
البيت، لكن عادى تشرف فى اى وقت ! عن اذنك!!



انتهت جملتها وهمت بالرحيل وبالكاد ابتعدت عدة خطوات عنه ..

لتعقد حاجبها بضيق وهي تتمتم :

_ ايه هو استسلم من اول جملة كده ليه؟؟!

_ يا ذكرى استنى .

صوته أتاها ملهوفاً من خلفها، فابتسمت تلقائياً وهي تتمتم :

_ يالهوى على ذكرى إالى طالعة منه، انت ايه يا اخى ؟!

التفتت له مرة أخرى عاقدة حاجبها بصرامة، فوجدته يبدو بمظهر جاد، ولكن عينيه كانتا مرتبكتين بشدة ..

اقترب زين منها مرة اخرى ثم قال بهدوء متنهداً بخفوت :

_ بصى، هو انا مش جى فى شغل خالص، انا بس كنت جى .

وصمت له نهيّة تابع بعدها بسرعة :

_ انا جاي اطلب ايديك منه !!



عبست فجأة مما جعله يعبس بالمثل هو الآخر وهو لا يدري
ماهية الذى تفكر فيه، ولكنه صمت منتظراً ردها على
قنبلته التى ألقاها، والذى جائه متمثلاً فى :

_ حضرتك بتهزر وانا معنديش وقت للهزار.

قالتها بصرامة اجفلته، وجعلته يعقد حاجبيه ناظراً لها
بتعقيد، بينما هى ارتبكت بشدة وهى تهمس لنفسها دون
صوت :

_ ايه .. انا زودت عيار الدبش شكلى كده ولا ايه ؟

ملامحه امتزجت بالجدية فجأة وهو يقول بهدوء :

_ حضرتك انا مش جى اهزر، انا بسأل سؤال محدد ياريت
إجابة عليه .

ازدردت ريقها ببطء، وهى تؤمى برأسها تزامناً مع قولها :

_ مفيش مشكلة حضرتك تشرف فى اى وقت تحبه .

_الساعة ٨ انهاردة ..مناسب؟

قالها بصوت خشن .. وهو يرى ارتباكها الذى جعله يريد الضحك بشدة، ولكنه يحافظ على ملامحه الصارمة ..
لترد هى بملامح وديعة قائلة :

_ايوه حضرتك ممكن تشرف فى اى وقت .

قالتها بسرعة عجيبة وهى تلتفت تنوى الرحيل لتبتعد عن الارتباك الذى يسببه لها بذلك الشكل، ليأتيها الارتباك الحقيقى بنبرته التى عاد إليها عبثاً :

_يعنى افهم من كده انك موافقة !؟

تسمرت مكانها ... تريد الضحك بشدة ولكنها رغم ذلك قالت :

_قولت لحضرتك الساعة ٨ .

من بعدها تركت قدميها للرياح تهرول حيث مكتبها، وتسمع صوت ضحكاته يأتيها من خلفها ..

دلفت إلى المكتب، لترمي نفسها على المقعد الجلدي الخاص به وهي تضحك بصوت عالٍ وبهستيريا لم تكن تعتقد أنها ستملكها يوماً، هي ذكرى!

الرزينة، "زينة البنات" كما تقول لها أمها دائماً، لم تعتقد أن هناك يوماً من سيكون قادراً على قلب كيانها بهذا الشكل، حقاً ماذا حدث؟! وما هذا الذي قاله ؟!؟

كيف استطاع أن يحتل تفكيرها طوال الأيام الماضية ؟ وهي التي سمعته يلقبها بـ "الطبيبة الطفلة" بل بالأساس كيف فعل كل هذا بها...؟! أحقاً كان يعنى ما قال منذ قليل ؟!

هل سوف يأتي ويطلب يدها من أبيها ؟! ولكن كيف ؟ هو لم يعرفها إلا منذ أيام.



أم تراه هو الآخر قد ذهبت آخر ذرات عقله منه كما يحدث معها !!

انتفضت فجأة وهي تتذكر الموعد، الساعة الثامنة، و
بمظهرها هذا الذي يشبه المجانين الفارين، لا لن ينفع ..
لذا اسرعت بإنهاء عملها لتذهب، وبالفعل لم يمر وقت
طويل إلا وكانت ببيتها، واعلمت أبيها بما حدث، ثم توجهت
إلى غرفتها لتتقى أفخم ثيابها وأرقاها، ووضعت بعض
مساحيق التجميل الخفيفة جداً، لتبدو بمظهر راقٍ، لم يكن
في نظرها سوى عجز شريرة مثل بطلات الكرتون ...
تأففت ذكرى بضجروها تنظر لنفسها في المرآة، لماذا لا تبدو
جميلة؟! أمها دائماً تقول لها أن بهائها كالبدرة في تمامه! فأين
هي الآن لتبثها بعضاً من ثقتها في نفسها!
بالتأكيد انشغلت في التنظيف وتجهيز المقبلات ونسيتها هي
هنا.



التفت ذكرى على باب الغرفة يُفتح لتدلف أمها إلى الداخل

..

"إيمان" أمها تدعى إيمان، وهى مثال للإيمان والبركة، هى

ليست عجوزاً لتلك الدرجة ولكن طيب ملامحها، وحكمتها

يجعلان من عمرها آلاف السنين، إلهى كم تعشقها، وستظل

تعشقها أبد الدهر، إنها تمثل لها الحياة وما فيها، حتى أنها

تشبهها كثيراً فى الملامح، العيون السوداء العميقة، والوجه

المستدير طيب القسمات ..

اقتربت منها أمها، لتقوم ذكرى من مكانها وتقطع المسافة

بينهم بسرعة ملقية نفسها بين أحضانها هامسة :

_محتجأكى اوى .

_دائماً جمبك ماتخافيش .

قالتها بصوتها الرخيم الذى اختنق بالدموع هذه المرة،

فرفعت ذكرى وجهها تنظر لها هامسة :

_مالك يا ماما ؟!

مسحت إيمان دمة عالقة بطرف عينها، قبل أن تضحك
بخفوت قائلة :

_كبرتى يا "وزة" وبقي بيجيلك عرسان .

ضحكت ذكرى بخفوت وهى تتذكر ذاك اللقب القديم "وزة"
، مؤمن أخاها هو من أطلقه عليها ذات مرة حين ولدت،
ليظل مرتبطاً بها إلى يومها هذا ..

وضعت ذكرى رأسها على صدر أمها مرة أخرى، تتشبث بها
كمن يغرق، قبل أن تقول بخفوت، ونبرة شاردة :
_محدث بيفضل صغير، كله بيكبر، وانا كبرت و..

قطعت كلمتها المملوطة مما جعل إيمان تعقد حاجبها وهى
تقول :

_و... ايه ؟!

_مش عارفة وايه، بس إالى اعرفه ان جزء منى كبير اوى، ان
مكنش كللى عاوز الموضوع ده يتم .

ابتسمت إيمان ابتسامة صافية، وهى ترفع وجه ذكرى
وتحتويه بين يديها لتقول برفق :
_يعنى حبتيه يا وزه .

_امممم، مش بالظبط يعنى .

قالتها ذكرى بشفتين مزمومتين، وهى تهرب بعينها عن مرمى
عينى أمها النافذتين، لتستطرد بخفوت وعينها شاردة فى
البعيد :

_بصى انا محبتهموش بالمعنى الحرفى؛ لانى لسه معرفش عنه
حاجة، بس انا من يوم ما شفته حسيت انى مرتحاله، ولما
سمعتة بيقول "الدكتورة الطفلة" بالعكس مادىقتش انا
ضحكت يومها من غير ما حد يشوف، بس فى النهاية، نفسى
الموضوع يتم .

اتسعت ابتسامة أمها وهى تمسد جانب وجهها قبل أن تقول
برزانة :

_لله الأمر، كل شئ قسمة ونصيب، وربنا يجعله من نصيبك
يا بنتي؛ لوليكي خير فيه .

_يارب يا ماما يارب .

هتفت بها بحرارة وهى ترفع يديها عالياً مناجية السماء،
فضحكت إيمان بصوت عالٍ وهى تقول بتحذير مرح :
_اتلمى يا بنت ع الاقل مش قدامى .

_مش قدامك ليه، ماهو معدش فيه حياء خالص .

صدرت عن مؤمن الذى اقتحم الغرفة فجأة هاتفاً بها
بمرح، بطلته العادية جداً، الجذابة جداً، والحنونة جداً
جداً، ملامحه لا تختلف كثيراً عن ملامح إيمان وذكرى، مع
لمحة رجولية جذابة خاصة به، نظرت له ذكرى شزراً وهى
تضيق عينيها هاتفة :

_انت سمعت حاجة؟!!

مط مؤمن شفتيه باستهزاء قائلاً:



_ ماتخافيش يا وزه، انا سمعت الجزء بتاع عاوزة الموضوع يتم .

أتبع جملته بضحكة طويلة مما جعل ذكرى تقذفه بالوسادة القريبة منها، فتلقفها بسرعة ومهارة مع ازدياد ضحكته التي امتزجت بضحكة إيمان على مظهرهم الطفولي، اقترب مؤمن منها رامياً الوسادة على السرير وهو يهتف بمرح :

_ استهدى بالله كده يا وزه، انا اخوك بردو عادى، ماتعمليش موال، واتقلّى كده مش عاوزين الناس تقول عليكى "مدلوقه"!

ضحكت ذكرى وهى تخفى وجهها فى صدره حين أقترب منها محتضناً إياها لتقول بصوت متذمر لم يخفى فيه نبرة السعادة :

_طب ياريت تتلم يا مؤمن، ايه مدلوقة دى، بتجيب الألفاظ دى منين .

_شوفي البت، وانا إالى جى اخفف عنك التوترشوية بحكم أن الزمن غفلنا وعمل منك عروسة وكده، وانى اخوكى الكبير بردو.

استندت بكفيها على صدره، وابتعدت وجهها عنه ناظرة له عن بعد قائلة بمرح :

_بص هو علمياً انت اخويا الكبير، عملياً قاعدة معلوماتى وعقلى يخلونى انا الكبيرة .

رفع حاجباً واحداً شريراً وهو يقول أخيراً :

_هو يعنى عشان انتى ست الدكتوروزة هتتنفخى علينا، لا يا ماما فوقى لنفسك كده، مش عليا داحنا دافنينوسوا .

ضحكت بصوت عالٍ، وهمّت بالرد عليه ولكن صوت رنين الجرس المتعالى جعلهم يصمتون تماماً، ويقفوا بذهول

وكأنهم لم يستوعبوا الصدمة إلا عندما هتفت ذكرى بأنهار
:

_جه ، "زين" جه .

=====

_والله الراى فى الأول والآخر للعروسة .

قالها والد ذكرى مرحباً بعرض زين ووالدته لطلب يد ابنته،
زين الذى كان فى أبهى طلاته هذه اللحظة، ثيابه المتحررة
من القيود الارستقراطية فى مثل تلك المواقف، والتي كانت
عادية جداً، وجذابة بشكل جعل ذكرى الواقفة خلف
الباب الخاص بالمطبخ تسترق النظرات الهائمة به ..

حين سمعت صوت أبيها وهو يردد تلك العبارة رداً على
حديث والدته زين، همست لنفسها بصوت فتاة مراهقة لا
طبيبة تخطت الخامسة والعشرين :

_والعروسة موافقة والله، هو حد يشوف العيون دى ويقول
لا .

يد ربّت على كتفها برفق، فالتفت شاهقة بذعر، لتجد
مؤمن خلفها يكتم صوت ضحكاته بصعوبة، وضعت
قبضتها على صدرها وهى تهمس لاهثة بعنف :
_الله يخربيتك يا مؤمن، هتموتنى ناقصة عمر.

ضحك مؤمن ملء شذقيه، وهو يرد عليها همسها بهمس آخر
:
_لا يا "وزة" اجمدى كده احنا داخلين على فرح وليلة كبيرة
اوى سعادتك .

ابتسمت ذكرى بهيام وهى واقفة أمامه ثم تسائلت :
_طب انت جى ليه؟!

_جى اجيب "المتعوسة" عشان تقول رأيها .
شاكسها مازحاً، فاتسعت ابتسامتها وهى تقول :
_طيب روح قولهم انى موافقة .

_اروح ايه يا ماما انتى عبيطة، هما عاوزين يسمعوا رأيك انتى ، هو ايه الشلل ده ياربى، يلا يا ماما ربنا يهديكى .

قالها ثم أتبع جملته بدفعة بسيطة لها، فتحركت أمامه مُرغمة وهى تحاول الاعتراض، لتجد نفسها فى غرفة الجلوس، أمامها الجميع، وبالطبع بينهم زين الذى لم تقع عينها سوى عليه، وخلفها مؤمن يحثها بدفعات غير مرئية، لتتقدم بينهم ببطء وخطوات مضطربة .

فتفسح لها "سامية"-والدة زين- مكان فارغ جوارها مرحبة كأى أم مصرية أصيلة فى مثل تلك المواقف سامحة لنفسها بتفحصها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، وبتلك الابتسامة التى ارتسمت على شفتيها حالما جلست ذكرى جوارها، بدت أنها لاقت استحسانها حقاً :

_ماشاء الله، لا قوة الا بالله، ربنا يحميكى يا حبيبتي .



قالتها سامية بترحيب جعل زين يبتسم ابتسامة جانبية،
وهو يعلم أن الأمر قد تم بنجاح وستصبح "الطبيبة الطفلة"
زوجته عما قريب ..

=====

_بارك الله لهما وبارك عليهما وجمع بينهما في خير!
قال الشيخ جملته الشهيرة وهو يجمع حاجيته؛ استعداداً
للذهاب، وسط الزغاريد التي سادت الجو فرحاً ..
ذكرى التي اندست في أحضان أمها وكلاً منهما تشرع في
البكاء، والمباركات التي تنهال على الجميع ومن الجميع أيضاً؛
فرحة واحتفالاً بعقد قران زين وذكري، جميع عائلة زين
كانت حاضرة مجتمعين في "البيت الكبير" بيت جدهم!
"ابراهيم" عماد العائلة وجدهم الأكبر، ذاك الذي تقدم منه
زين الآن، وهو ينحني مقبلاً يده، في حين قال جده بصوته
الرخيم :

_الف مبروك يا زين، ربنا يتمم لكم ع خير.



_الله يبارك فيك يا جدى ، ويخليك لينا .

_الف مبروك يا زين .

_الف مبروك يا زين .

ذاك الصوت المزدوج الذى وصله من عميه، جعله يضحك
عالياً مشاركاً عميه وجده فى ضحكهم، فى حين قال إبراهيم
مازحاً دون أن يفقد وقاره :

_طيب براحة الواد مش هيطير، انتوا الاتنين مرة واحدة .
ضحك ولديه -"محمد" الأكبر بعد والد زين و"حسين"
أصغرهم-، وكلاً منهما يعيد المباركة على زين مرة أخرى، إلى
أن انصرف زين مُستأذناً من الجميع، مُنفرداً بـ"الطبيبة
الطفلة"، لا المعذرة !

منفرداً بـ"زوجته" قليلاً عن الجميع .

=====

_جميلة اوى عيلتك ربنا يخليهملك .



صدرت عن ذكرى بخجل شديد وهى تطرق برأسها أرضاً
دون حتى أن تنظر له ..

هذه أول مرة ينفرد بها منذ أن تقدم لخطبتها، لرفضها
الحديث معه بشكل شخصى إلا بعد عقد القران!
والآن وهما واقفان فى الشرفة الكبيرة، يعلوهما القمر بدرأً
يزين السماء، ولا شئ يفسد روعة الموقف سوى إطراقة
رأسها التى ستصيبه بمقتل عما قريب ..
_ذكرى .

همس بها زين بخفوت ليحثها على رفع رأسها قليلاً، حتى يبلل
مبسم قلبه برؤيتها، ولكنها تتمنع، وهويكاد يشعر بابتسامتها
الخبیثة بالرغم من عدم رؤيته للامحها، مد زين يده،
متلمساً ذقنها وهو يرفع وجهها ناحيته، حينها رفعت وجهها
له، وفاجأته بقولها السريع :

_عيلتك حلوة بس كبيرة اوى ما شاء الله، وانا مش عارفة
أحفظ حد فيهم .



ظهرت الخيبة سريعاً على ملامحه، على ما يبدو عائلته ستكون محور الحديث اليوم، حسناً لا يهم، المهم أن تتحدث؛ لذا ابتسم سريعاً مُتداركاً ملامحه، قبل أن يستغل فرصة اهتمامها بحديثه متمعناً في النظر بعينيها اللتان يعشقهما :

_ طيب يا ستي بصى ، جدى ابراهيم زى ما عرفتى، بابا الله يرحمه كان ابنه الكبير، ولاده إالى هما احنا، انا يعنى و "حلا" و "منة"، وبعديه عمى محمد زوجته طنط "منى" إالى كانت قاعدة جنب امى، ولاده "حازم" وده صديقى الصدوق وأخته "اروى" دى الصغيرة يعنى اصغرواحدة فى العيلة، لسه فى ثانوية عامة ، وبعديه عمى "حسين" زوجته طنط "فريال" .

ابتسم بسخرية قبل أن يستطرد :

_ ودى من اعالى الطبقة الارستقراطية إالى فى البلد، عشان كده مش بتختلط بحد وقاعدة لوحدها ف الركن البعيد

الهادى، اما اولادها هما "مصطفى" و"فارس" و"سمية"
مصطفى وفارس زينا كده عادى، انما سمية من نفس
الطبقة الارستقراطية دى وبردو عندها ركن بعيد هادى .
ضحكت ذكرى ضحكة عالية ،مرحة جعلته يرفع حاجبيه
بدهشة وعينيه تتسعان بانهارتكاد القلوب الحمراء أن
تصدر عنهما ..

_والله لا انت ولا عيلتك ليكم حل .

_والله ضحككتك هى إالى ملهاش حل .

صدرت عن زين الهائم بها وبضحكتها الطويلة المعذبة،
فابتلعت ضحككتها على الفور دون أن تستطيع محو
الابتسامة عن شفتيها، فابتسم زين وهو يقول :

_سكتى ليه؟!

_عادى، ضحككت وخلصت هى الضحكة اليومين دول بقت
بتندفع بدل الضرايب .



قالت لها بخجلها الذى عاد إليها يجتاحه بعض المرح الذى تحاول جاهدة إتقان دوره، خاصةً وهى واقفة أمامه هكذا تكاد الأرض تميد بها من فرط ما تشعر به من خجل!

_ لا يا ستي مابتدفعش ك ضرايب، بس خودى الكبيرة بقى .

قالها زين ضاحكاً لتتسع عيناها وهى تهتف بجزع :

_ هولسه فيه تانى ؟!

وكانت الضحكة الطويلة المهلكة من نصيب زين تلك المرة، فجعلت حالها لا يختلف عن حاله الهائم كثيراً، قبل أن يتدارك زين ضحكته بصعوبة، وهو يقول :

_ اه فيه عمتى "عبير" اكبر من عمى حسين بس هى حالياً مش

فى البلد، عايشة برا مع ولادها "ادهم" "مراد" .. و "يارا"

و "اسر" دول توأم .. و "درة" الصغيرة ومش بينزلوا غير فى

الإجازات بس، يعنى ممكن نشوفهم كل سنة مرة وممكن لا،

وفى بردو عمى "معاذ" ده اصغر واحد، بس هو مش عمى اوى

يعنى لانه اكبر مننا بكام سنة بس بس ، وده بردو عايش برة



من ايام ما كان بيتعلم ... وكفاية كده بقى عشان انا مش
قادر!

كانت ذكرى فاغرة شفتيها وهى تحاول استيعاب كمية
المعلومات عن القبيلة التى سوف تكون منها بعد أيام قلائل،
ولكن أخرج جملته هو ما لم تفهمه، وعقدت حاجبيها تحاول
تفسيرها، ولكنه باغتها وهو يقترب منها بغتة، مُحَاوِطاً إياها
بذراعيه، مقتنصاً شفتيها بقبلة رقيقة جداً، لفتها فى دوامة
وهى لا تستوعب ماذا يحدث بعد ..

تعمقت قبلته أكثر مستشعراً مذاق شفتيها، وعقله يأمره
بأن يبتعد، ولكن أى سطوة ستكون لها تأثير عليه الآن سوى
سطوة شفتيها المحرمتين، أوبالأصح كانتا مُحَرَمَتين، فهمى
الآن حاله ..

أما ذكرى فكانت فى حالة قصوى من اللاوعى، لا تدري ما
الذى يحدث ..

أهو تأثير "القبلة الأولى"، والتي لم تعرف ماهيتها سوى الان،
أم تأثيره هو عليها، ورقته اللامنتهية التي تشعرها أنها تطفو
فوق سحابةٍ ما ..

أفاق زين لعقله قليلاً وهو يشعر بكفيها يدفعانه في صدره
بضعفٍ واهن، بحركة غريزية لم يكن منبعها رفضها له ابداً
!

ابتعد زين عنها قليلاً مستنداً بجهته على جبتها، محاولاً
وجهها بكفيه، في لهاثٍ شاركته إياه بضعف، قبل أن يهمس
زين بصوت متقطع :

ـ غزل بنات ، والله غزل بنات .

ضحكت بخفوت شديد وما زالت غير قادرة على الحديث !!

=====

بعد عدة أيام .. فى سيارة زين

انبعثت الألحان من مذياع السيارة حاملة، ناعمة، مثلها
تماماً، رقة صبغتها، وهشاشة تكوينها يجعلانها فى عينه
ليست سوى طفلة، "طفلة كبيرة" تتقمص دور امرأة
"لبست ثوب الكبار"؛ لتخلب لبه ليس إلا!

امتدت يده تمسك بيدها وهى جالسة معه فى سيارته،
ابتسمت بخجل والكلمات لها مفعول السحر عليها وحمرة
وجنتها تفضح عظم ما تكنه لذلك الجالس جوارها، هو
فقط ليس غيره ..

زين ممكن تسيب ايدى وتركز فى السواقة .

قالتها ذكرى بصوتها العذب، مغردة كالعصافير، مع لمحة
تذمر صبغت نبرتها بالمرح، فضحك زين عالياً وهو ينقل
بصره بين الطريق وبينها، قائلاً بمرح :

_لا معلىش دى ممتلكات خاصة انتى ملكيش حق فيها، من
يوم ما كتبنا الكتاب وانتى ملكيش حق تقولىلى سيب ايدى
...وغير كده انا عمرى ما هسب ايدك ابدأ .

اشاحت بوجهها فى خجل، بعيداً عنه!
دائماً ما يتفنن فى سلبها قلبها بمفعول كلماته الساحرة، هل
كانت يوماً أكثر سعادة من هذا اليوم يا ترى ؟
قبل قليل كانت معه يقومان بانتقاء فستان الزفاف،
ويقوما بأخر الاستعدادات لحفل زفافهم، وقبل أيام،
توجهت معه لبيتهم المستقبلى، يضعون آخر لمساتهما عليه؛
استعداداً لحفل الزفاف بعد عدة أيام قلائل، فهل هناك
فرحة أكبر من تلك بعد ؟؟

هتفت فجأة فى محاولة منها لتتجاهل خجلها :

_زين أنا عاوزه الفرع فى قاعتين منفصلتين عشان نقدر
ناخود راحتنا .



عقد حاجبيه لوهلة ثم قال مستفهماً :

_ طب ده ليه طيب ؟ مالفرح مش هيبقى فى حد غريب أبدا
هما العيلتين بس يعنى مش هيبقى فى إحراج ولا حاجة
وبعدين ماحنا كلنا أهل .

زمت شفتيها بتذمر طفولى ثم قالت :

_ يا زين عشان خاطرى، عشان خاطرى، نفسى نبقى
لوحدنا بعيد عن الرجالة .
_ لا حول ولا قوة الا بالله، يا بنت الناس ما الفرح اصلا
الضيق ، ومش عازمين ناس يامه، ايه لزمته بقى وانا اصلا
عاوزك جمبى .

قالها بنبرته العقلانية تلك والتي تقنعها حتى ولورغماً عنها،
لكنها تدمرت بعناد :



_ اعمل الى انت عاوزه يا زين، أنا اصلا بقالى يومين بتحايل عليك وانت مش راضى .

تهند زين بنفاذ صبر، ثم قال باستنكار:

_ بقالك ايه يا اختى، دانا لسه عارف دلوقتى .

ابتسمت بخفوت وهى تقول بصوت منخفض :

_ خلاص اعتبرنى قولتلك قبل كده .

ضحك زين على أفعالها الطفولية، قبل أن يقول باستسلام :

_ خلاص إالى انتى عاوزاه .

ابتسمت ذكرى بمكرتكسوه فرحة خبيثة، وهى ترى تأثيرها

عليه، ثم اصطنعت البراءة قائلة :

_ بجد يازين .

ابتسم لمرآى الفرحة على مُحياها الجميل، ولو بانتصارٍ

صغيرٍ عليه، فقال ضاحكاً :

_ بجد يا عيون زين، و خلاص بقى بلاش شغل الستات ده .



ابتسمت ابتسامة أخرى أكثر براءة مصطنعة من سابقتها،
قبل أن تقول وهي ترفرف بأهدائها كالأطفال عدة مرات :
_ طيب! زين ها طلب منك طلب .

ضحك بمرح على منظرها، قبل أن يقول غير مُستبشراً :
_ خير اللهم اجعله خير، شامم ريحة مصيبة معرفش ليه؟!
_ لا خالص، مفيش اى حاجة، كنت بس عاوزاك تلبس بدله
بيضه فى الفرح .

همست بها بترقب لرد فعله، والذي جائها مُحْتدأً :
_ نعم ياختى وده من ايه ده انشاء الله، أنا ابيض وانتى بيضة
ليه ، طالعين عُمره؟!!

ضحكت ذكرى بشده على عمق التشبيه، قبل أن يقاطعها
زين بنبرته الهائلة :

_ تعرفى أن ضحككتك حلوة اوي .



استحالت ضحكتها لابتسامةٍ خجول، وهى ترمقه بعتاب
هامسة :

_مش هتبطل بقى تخرجنى كل شوية فى الكلام .

_وانا كام مرة اقولك انى مابحبش حاجة اد مابحب كسوفك
ده وخدودك اللى بتقلب فراولة دى .

قالها بمرح، فاضطرت ذكرى للقول بجدية تحاول مداراة
خجلها من هذا الجدل العقيم :

_بجد بقى يازين عاوزاك تلبس ابيض .

نظر لها زين وحاول القول مُقنعاً بسفسطائيته المعهودة :

_يا بنتى الله يهديكى ابيض ايه اللى البسه ماينفعش يا عمري
كده "اللوك" هايبوظ .

زمت شفتيها كطفلة ثم قالت :

_ماشى يازين بس خليك عارف انه مش عاجبنى .



ضحك زين بشدة على طفولتها المصطنعة قبل ان يقول :

_يخربيت الطفولة المتأخرة الى انتى فيها دى .

شاركته ضحكته وهى تتلاشى سخف الموقف :

_بس بردو مش عاجبنى .

رفع حاجبيه بمكرٍ ثم قال بصوتٍ عابث :

_لا يا ستى انا ما يرضنيش زعلك، حالاً نركن فى حنة فاضية،

واصالحك بطريقتى، ومعنديش مشكلة لو اتمسكنا بفعل

فاضح فى الطريق العام !

ضحكت بخجل من وقاحته، بينما هوشرع فى تنفيذ ما

قاله، وهويحيد عن الطريق ليركن سيارته.

ولكن ..

السيارة لا تستجيب لمحاولاته المستميتة لإيقافها، ربما

المكابح معطلة، معطلة، مُعطلة!

يا ابنى لا !!!



هتفت ذكرى بقلق وهى تلاحظ عدم تحكمه فى سرعة
السيارة :

_ فى ايه يا زين، العربية فيها ايه؟؟

ازدرد ريقه بتوتر، وهويحاول بشتى الطرق التشبث
بالطريق، وهويقول لها :

_ ماتقلقش يا حبيبتي، مفيش حاجة اصبرى بس .

نقلت نظرها منه للطريق فجأة، لتجد شاحنة ضخمة تمشى
فى طريقٍ مُعاكس، وتقترب منهما بشدة، أوريما هم من
يقتربون منها؛ لعدم تحكمه بالسيارة، فزعت ذكرى، وهتفت
بجزع وعينيها تتسعان بخوف دخيل على هيئتها الملائكية :
_ حاسب يا زين حاسس..

بترت جملتها وقد أغشى عليها من الصدمة، بينما حاول زين
تفادى السيارة أكثر من مرة، وهوينحدر بسيارته يمينا

ويساراً، ويحاول أيضاً إيقافها ولكن دون جدوى، وحين لم يتحكم بها انقلبت السيارة بهم عدة قلبات زلزلت السيارة ومن فيها، وحين استقرت السيارة مقلوبة الوضع، والدخان ينبعث منها بغزارة، كان زين مازال مقيداً بالسيارة بفعل حزام الأمان الذى كان يحكم لفه حول جذعه، بينما ذكرى هى من نقلتها شدة الاصطدام خارج السيارة، حيث لم تكن تستعمل حزام الأمان كعادتها!

نظريتها عنه أنه يقيدها وهى لا تحب ذلك، ولكن ماذا؟؟
ها هى مجرد نظرة عقيمة لأبسط مُتطلبات الأمان فى السيارات كلفتها حياتها بعدما انفتح الباب المجاور لها، و اصطدمت رأسها بشدة فى الرصيف المجاور للطريق!
أنطلقت الدماء من رأسها بغزارة، مُعلنة عن هجر الروح لذاك الجسد الذى لطالما تهادى ببهجة، ونشر الفرحه من حوله، وكأنها ما كانت تعيش أيامها القلائل إلا لتعلق الجميع بها، وتصدمهم برحيلها المفجع!



أما زين فكانت عينيه تنغلقان رغماً عنه، واخرما رآه هو
وجهها الملطخ بدمائها، واخرما طراً على باله أن
"هذه هي النهاية!"

=====

بعد فترة من خروجه من المشفى !!

جالساً بسيارته، بعدما قضى ليلته البارحة في حديقة
منزلهما المستقبلي، والذي لم يعد سوى "ماضي" مثلها تماماً

مُسترجعاً آخر مرة ركبت جواره في سيارةٍ تخصه..
بالتأكيد ليست تلك السيارة فلم يكن ليجلس في سيارة لقت
هي فيها حتفها، وأصبحت مجرد "ذكرى"!!

أحقاً أصبحت ذكرى إحدى ذكرياته؟!

أحقاً انطبق اسمها عليها بتلك الطريقة المؤلمة، فأصبحت مجرد ذكرى، بصورة موضوعة في إطار يتلمسونه من آنٍ لآخر مستعدين اسعد أوقاتهم معها ثم يولوا دبرهم عنها منصرفين إلى حياتهم، والتي فقدت هي "مثيلتها"!

انطلق بسيارته إلى حيث بيت والده المنقطع عنه منذ فترة، لا يزورهم فيه سوى بضع مرات، تُقدر بتارة كل إسبوع، من بعد أن استعاد عافيته بعد الحادث!

يوم الحادث في المشفى والذي كان عصيباً بشكل لا يُوصف ..

إحتداد والد ذكرى، سقوط أمها مُغشياً عليها، ووقوف مؤمن بدون استيعاب لما يحدث، بدون استيعاب لأنه قد فقد أخته!

يومها تحدث إليه بعض الضباط الذين حققوا في الحادثة فوجدوا أن الأمر طبيعي جداً، مجرد تلف في مكابح السيارة أدى لفقدانه السيطرة عليها، فأنحدرت منه وانقلبت لتضيع ذكرى ضحيتها!

هكذا بكل بساطة فسروا ما حدث، بساطة كانت ثقيلة على قلب زين وهم يتحدثون بها وقتها ..

بساطة وافقهم هو عليها، وشاركهم فيها الرأي، ليس عن اقتناع بأن هذا ما حدث وأنه مجرد قضاء وقدر! بل لاقتناعه، ويقينه بأن الأمر ب "فعل فاعل"!

لم يكن زين بالشخص المهمل لممتلكاته، وخاصة سيارته فكان يتفحصها دائماً، ويرسلها للتصليح بصورة دورية حتى لو لم تكن تحتاج لذلك .

لأجل هذا كان تصديقه بأن ما حدث كان مجرد صدفة يعد معجزة مستحيلة!



لذا وبمجرد أن استعاد عافيته، قد أتخذ قراره بالبحث عن
الفاعل، ومن تسبب في فقدته لذكرى !

وتبدأ رحلته من هنا، رحلة البحث عن المجرم الذى تسبب
بكل هذا، وقد قرر ببساطة أن يعود كما كان "زين قديماً"،
زين الذى أحبته ذكرى، واعتبرته عالماً لها، عن اقتناع تام
بأنه لن يحصل على القصاص لها إلا بعدما يصبح كما كانت
تريد هى، كما كانت تحبه هى، كما أن كل شئ منها أصبح
متمحوراً حول كلمة "ذكرى"!!

لن يبكى طويلاً على "الأطلال"، لكن حقٌ وواجب عليه بعد
عشرته معها أن يأتي لها بحقها، على أقل تقدير!!

=====



الفصل الثانى

=====

"متى حدد الإنسان شخصاً ما أنه ضمن نطاق الخطر،
ضمن المنطقة الغير مرغوب فيها، فليعلم وقتها أنه على شفا
الوقوع فى الحب، فالحب يبدأ من اللحظة التى تخشى فيها
أن تحبه!"

روائع الروايات الرومانسية

وقف حازم أمام بوابة البيت ينتظر أن يفتح له أحد ليدخل،
انشغل بهاتفه قليلاً إلى أن يتكرم عليه أحد، بقى مطرقاً
برأسه، إلى أن انفتح الباب وظل من فتحه واقفاً دون إصدار
أى حرف، ظل حازم على إطراقته مثبتاً عينيه على شاشة
الهاتف، وقد علم ماهية من فتح الباب، فهل يخفى القمر؟
"حلاه" قد فتحت ولكن لماذا لم تنبس ببنت شفه إلى الآن،
أهى أصبحت صماء مثلاً؟!
_اتفضل يا حضرة الظابط .



"حضرة الظابط.."

قالتها بصوتها الناعم ذى نبرة القوة الفطرية والتي لا تنقص
من أنوثتها شيئاً مما جعله يغمض عينيه بأسى!

"حضرة الضابط" ألن تكف عن ذاك اللقب المستفز!!
أليس لديه اسم مثلاً؟

ألا يحق له سماع ترنيم اسمه من بين شفيتها ولولمة تشفى
ظمأه!

وأخيراً رفع وجهه لها مبتسماً تلك الابتسامة الصفراء والتي
اعتادتها منه حين يغضب منذ أن كانوا سوياً صغاراً!
قاطع حازم تفكيرها وهو يقول بخفوت:

_ازيك يا حلاً؟!

_الحمد لله اتفضل.

قالتها وهى تفسح له الطريق ليدخل، فدلف وهو يرمقها
بنظرة جانبية مُستاءة، قبل أن يتسائل بهدوء:

_ زين مجاش لسه ؟!

رفعت وجهها له تسترق منه نظرة سريعة لتجده يحدق بها
فهربت بعينها منه وكأنه سيضبطها متلبسة مثلاً، قبل أن
تجاوبه بخفوت :

_ اه لسه جى انهاردة وطلع اوضته على طول .

_ طنط فين ؟

_ فى الصالون اتفضل .

دلف حازم إلى غرفة الجلوس كما أخبرته حلا، ليجد سامية
تجلس على الأريكة المواجهة لصورة عمه الراحل "آدم"،
تنظر للصورة المؤطرة بحزن تجلى على مٌحيائها الطيب!

فغامت عيناه حزناً لحزنها، قبل أن ينظر لحلا الواقفة
جواره باستفهام، فهزت رأسها نفيّاً وهى تقول له بخفوت
أقرب منه للهمس :

_من يوم ما طلع زين من المستشفى وخرج من البيت ومبيجلناش غير كل اسبوع مرة بالكثير وهى كده ع طول كل ما تفتكر زين تفتكر معاه بابا الله يرحمه وتفضل قاعدة كده، وانا مش عارفة اعملها ايه ؟

حانت منه التفاته لهيئة سامية قبل أن يعود بعينه لحلا، ليضبطها بنظرة راجية من عينها وكأنها تقول له "ساعدنا" دون أن تتجراً على التفوه بها، فنظر لها نظرة مطمئنة اثلجت قلبها قليلاً، وهى تعلم أن حازم يعنى ما يقول حتى لو كانت مجرد نظرة احتوى فيها جميع مخاوفها!

_ما تخافيش !

قالها بخفوت، لتومئ برأسها مؤكدة دون أن تنطق بالمزيد، ثم استدارات مغادرة، هاربة من "عُرى روحها" أمامه بهذا الشكل الذى تمقته .. نعم، حازم على دراية بها أكثر من نفسها حتى !

حقيقةً، حلا كانت من أكثر المتضررين بوفاة أبيها، إن لم تكن أعظمهم، شدة تعلقها بأبيها، وفقدانها له جعلها ترى الجميع أقل منها المأ.. تستهين بالجميع وكأن ما أحد مر بمصائب مثل مصائبها، وهذا ما يجعل علاقتها بحازم معقدة، بل شديدة التعقيد.. خاصة بعد كل ما كان!

تهمد حازم بخفوت وهو يحمد الله سراً أنه لم يخبر زين بما حدث معهم قبل ذلك وإلا كان في عداد الموتى!!
أيخبره أنه سبق واعترف لها بحبه، مما جعلها تثور عليه وتعامله كالغريباء هكذا، وكأنه مثلاً هدها بفعل شئ سئ لها، كان مجرد اعترافه بحبه لها بمثابة قنبلة موقوتة بمجرد أن انفجرت أخذت في طريقها حلا القديمة، مستبدلة إياها بتلك المستحدثة التي يراها كل يوم تقريباً دون أن تُلقى عليه تحية حتى!



رغم أنه يكاد يجزم بأنه يتخلل كل ذرة من كيائها، مستعمراً قلبها كله! ولكن سطوة عقلها أقوى بكل تأكيد.

هز رأسه بيأس ينقى أفكاره حالياً، ثم تقدم من سامية متصنعاً مرحه؛ عليه يفلح في إخراجها من تلك الحالة :

_ احلى صباح على احلى ست الكل فى الدنيا .

ابتسمت سامية بلطف وهى تفسح له مكاناً جوارها قائلة :

_ صباح الفل يا حبيبى تعالى اقعد .

تقدم حازم وجلس جوارها ثم قال بتساؤل :

_ اومال زين فين سمعت انه جه ده بصحيح ؟!

اومات سامية ببطء ثم قالت :

_ لسه جاى من شوية وطلع على فوق على طول من غيرحتى

مايقعد معانا ولا يسأل ع حد ، زين اتغيراوى يا حازم ، اوى،

معدش زين بتاع زمان معدش السند إلی ابوه الله یرحمه
سابه لینا ولاخواته .

قالت جملتها ثم وجهت نظرها لصورة آدم مرة أخرى،
فضحك حازم بخفوت وهو يقول :

_ هومين بس یقدر یزعل العسل ده ، دانتي ست الكل یا
سوسو .

ضحكت سامية على حديثه قبل أن تضربه بخفة على
معصمه مازحة بلطف :

_ طول عمرك بكاش یا حازم، لازم تدخل علينا بالحبنتين
بتوعك دول .

زَمَّ حازم شفتيه وهو يقول بتذمر :

_ انا بردو عليا حبتين بدخل بيهم ده بدل ماتخديني فی
حضنك كده وتحننى قلب بنتك عليا .



ضحكت سامية ملء شديها وهي تقول بصعوبة :
_الله يحظك يا حازم ، ضحككتني .. وبعدين ماتيجى يا خويا
تتقدم هو كان حد قالك ماتدخلش البيت من بابيه .
_بقى بزمتك حد يشوف استقبال بنتك ده ونفسه م تتسد
عن البيت باللى فيه .

قالها حازم مستنكراً ، فضحكت سامية مرة أخرى قائلة :
_معلش يا حازم اصبر حتى لما تقضى آخر سنة ليها فى الكلية
السنادى وبعدين نبقى نشوف موضوع الاستقبال ده .
_ادبنى صابر لما فاضلى مرة وهبقى صابر الرباعى .
ضحكت سامية على حديثه والذى لم يتصف بالجدية
طوال حياته إلا مرات قلائل تُعد طفرة فى حياة حازم المرحه
!

استقام حازم واقفاً وهو يقول متهدأً :
_ادبنى طالع للباشا لما نشوف أخرة الموضوع ده ايه ؟
ربتت سامية على كتفه قائلة بلطف :



روح يا حبيبي ربنا يوفقكم .

اوماً حازم مبتسماً قبل أن يتركها ليصعد إلى غرفة زين، ولم يدرك أحد بتلك التي كانت واقفة خلف باب الغرفة تعض شفتيها السفلى بقوة، تكتم ابتسامتها بصعوبة، وهي تشعر بأن كل الطرق تؤدي إليه بالأخير.. وكأنه "روما"، كل سبلها تصل إليه !!

ولكنها لا تستطيع، لا تستطيع أن تُحكّم قلبها في هذا الموقف تحديداً، فسطوة عقلها الآن تُملئ عليها أن حبه ما هو إلا "قيد" سيلتف حولها مانعاً إياها من تحقيق ذاتها وشأنها الذي تحلم به منذ أن التحقت بكلية الطب.

مسحت حلالا ابتسامة عن وجهها وهي تؤكد في قرارة نفسها أنها لن ترضخ.

لن تخضع له ولا لقلبي الذي يأمرها بأن تقبله، وتتقبل حبه، وأيضاً ما يمنحه لها بسخاء، ليس الآن وقت الوقوع في الحب وتلك التفاهات المراهقة !

والدها كان دائماً يراها ذات قدرٍ عالٍ وشأنٍ عظيم، فكيف لها أن تنساق وراء رغبات قلبها، ناسية حلم أبيها الذي رآه فيها قبل مماته !

حازم سيعوقها، سيمنعها عن تحقيق ما تريد.

لا..! لن تكون حلاً، ولن تستحق أن يُتبع اسمها باسم "آدم ابراهيم البدر" إلا عندما تصبح كما كان يريد!!

=====

دلف حازم إلى غرفة زين بعد طرقه للباب، ليجده منشغلاً بالنظر عبر نافذة غرفته، غارقاً في تفكيره بذهن صافن .. ولكنه استدار ناظراً لحازم حين دلف الغرفة، حازم الذي تقدم منه بلهفة متحسرة على ما آل إليه حال صديقه، وهو يحتضنه بشدة ..

بأدله زين عناقه وهو يتهد بهم يُثقل كاهله، قبل أن يبتعد
حازم ناظراً له بجدية، وهو يهز رأسه نفيّاً في إشارة غير
مفهومة ثم قال :

_مش هينفع، مش هينفع إلی انت فيه، لازم تفوق يا
صاحبي، محدش هيجيب حقها غيرك .

نظر له زين بعينين شاردتين قبل أن يقول بصوت خفيض :
_معاك حق!

صمتٌ خيم عليهم للحظات،، صمت كان بمثابة حداد
للحظة، قطعه حازم بقوله :

_نازل الشغل امته ؟!

_انهارده .

رد بها زين تلقائياً وكأنه كان يتوقع السؤال، فابتسم حازم
بمرح قبل أن يقول :

_يا فرحتك بيا يا طنط سامية لما تعرفي اني هيجي بولك من
قفاه وانا نازل .



ابتسم زين شبح ابتسامة صغيرة، ثم قال بهدوء :

_في خبر هسيبك مهمة نشره في العيلة .

_كلى أذان مصغية .

هتف بها حازم بحماس وهو يريد معرفة الخبر الجديد والذي

سيضفى بعض الحماسة على حياتهم التى أصبحت رتيبة و

روتينية بشكل مُمل مؤخراً إلى أن قال زين بهدوء :

_عمتك عبير نازلة مصر .

امتعضت ملامح حازم وهو يرد بفتور :

_جتك نيلة هوده الخبر ماحنا عارفين انها هتيجى .

_لا مش ده الخبر، الخبر انهم مش هيسافروا تانى .

ضحك حازم بصوتٍ عالٍ وهو يقول بعدم تصديق :

_احلف! مش هيسافروا تانى، بس ده ليه ؟!



زم زين شفتيه بعدم رضا، ثم هز رأسه بإشارة موحية،
جعلت حازم يفغرفاه وهو يقول بغموض :
_الى كنا خايفين منه حصل .

قالها بتساؤل أقرب منه إلى الإقرار، فهز زين رأسه إيجاباً
وهو يهمس :

_للاسف .

=====

(في كلية حلا..)

_وبعدين بقى يا ست !؟

هتفت بها "رنيم" بمرح وهى تجلس جوار حلا فى "الكافيتريا"
الخاصة بالكلية، قبل أن تضحك حلا بخفوت وهى تقول :
_انا بردو إالى وبعدين، يا ست رنيم بقالى سنتين مستنياكى
هنا .

ابتسمت رنيم قبل أن ترتشف من كوب الماء الموضوع على
الطاولة وتقول لاهثة :

_ معلىش بقى معرفتش اسىب ماما غير لما اخلصها كل شغل البيت، عشان انا عارفة لو مكنتش عملته كانت هى هتعمله وهى اصلا مش قادرة .

ربتت حلا على يدها بتعاطف ثم قالت :

_ معلىش يا حبيبتي ربنا يجازيكى خير، وهى عاملة ايه دلوقتى؟

غامت عينا رنيم حزناً لثوانٍ وهى تقول بخفوت :

_ مش عارفة يا حلا، هى تعبانة بس مش بتقول وانا خايفة عليها اوى معاد العملية قرب وانا بتوتراكثر .

_ معلىش يا رنيم لازم تقوى اكثر من كده عشان تقويها هى كمان، واستحملى معاها شوية عشان تعدو العملية على خير .

_ يارب يا حلا، يارب .



صمتت رنيم لثوانٍ قبل أن تعود لتبتسم بمرحها المعهود
وتقول :

_طب ايه كنتى سرحانة فى ايه كده، الواد حازم بردو؟!

تجهمت ملامح حلا قبل أن تقول بتحذير:
_اتلمى يا رنيم .

امتعضت ملامح رنيم وكأنها تشتم رائحة بيضة فاسدة وهى
تقول لها :

_انتى ايه يا شيخة حجر، الواد بقاله سنين متعلق على
قصاك وانتى ايه ده ! ده حتى المرة الوحيدة إالى قالك فيها
بحبك كنتى هتضربيه دانتي أستغفرالله .

هزت حلا رأسها بياس من أن يفهمها أحد مطلقاً، قبل أن
تقوم فجأة قائلة :

_طب اقفلى الموضوع ويلا عشان عندنا محاضرات .

استقامت رنيم بدورها وهى تقول باستسلام :

_يلا بينا .

.....

"رنيم الشاذلى"

صديقة حلا المقربة، اولنقل -إن صح التعبير- أختها فى

المرتبة المعنوية، فتاة بسيطة النزعة، هشة الكينونة، مرحلة

فى كثير من الأحيان أو "كانت" مرحلة فى كثير من الأحيان ..

كان والدها صديق والد حلا قبل أن يتوفاهما الله واحداً تلو

الآخر، ولكن ظلت الصداقة بينهما كما هى، بل اشتدت

وطأة، حتى أصبحت رابطاً لا ينفصم !

=====

_ انت بتقول ايه يا زين؟!

هتف بها حازم باستنكار وهو يسمع ما يمليه عليه زين فى مكتبه الخاص، فى حين أرجع زين ظهره للخلف مستنداً إلى كرسية ثم قال بهدوء :

_ انا متأكد م إالى بقوله وعارف انا بقولك ايه .

_ زين بس احنا مانقدرش نجزم بحاجة غير بدليل .

قالها بتردد، فزفر زين بشرود وهو يقول بخفوت :

_ عشان كده انا بتأنى فى كل خطوة باخودها، عشان عارف انى لازم يبقى معايا دليل .

_ طيب ايه إالى حصل فى عربيتك قبل الفرح ؟

_ اسمع .. يومها انا وديت عربيتى تتصلح عشان الفرح وكده،

انت عارف انى موسوس بعربيتى اصلا، مع انها مكنتش فيها حاجة وانا متأكد انها سليمة ..

بس كان زيادة تأكيد، ووديتها الورشة إالى متعود اوديتها

فيها، صاحبها "عم علام" لو تعرفه،، بس إالى حصل معانا

فى الحادثة، ان الفرامل كانت متعطلة، وده مكنش صدفة
لان متاكدا انى مسلمة العربية سليمة ..
وفى حاجة كمان .

عقد حازم حاجبيه وهو يفكر فى حديثه، ثم قال باستفهام
:
_حاجة ايه ؟!

أجابه زين بهدوء :

_الولد إالى شفته هناك يومها وعرفت انه جديد فى
الورشة، مكنش شكله مريحنى، حاسس ان عينه كانت
عليها، مستنى منى حاجة، مش عارف، مكنتش نظرة واحد
متأجر عشان يعمل شغلانة مثلا ده لواجزمننا انه هو إالى
عمل كده، بس نظرته ليا كانت .. كانت غريبة .

هزّ حازم رأسه نفيّاً بحركة غير مفهومة، وكأنه يستنكر كل
الذي حدث، قبل أن تأتيه الطامة الكبرى على لسان زين
الهادئ :

_ فاكراً آخر عملية قومت بيها، وكانت ضد واحد مجهول احنا
مانعرفش عنه حاجة .
_ اه فاكرها .

استطرد زين بنظرة غاضبة :

_ جالى تهديد فى نص العميلة قصدى يعنى قبل ما نهجم
واحنا لسه بندورع الادلة، وكان بصورة لذكرى، مكتوب
معاها، انى اخاف عليها، واوقف إالى انا بعمله، يعنى تهديد
مباشرا انها هتقتل .

عقد حازم حاجبيه وهو يقول مفكراً :

_ بس إالى يعطل فرامل عربيتك انت، يبقى نيته قتلك انت،
هما ميعرفوش أن ذكرى هتكون معاك فيها .



اوما زين مؤكداً ثم قال و أنامله تنقربحدة على سطح مكتبه
:

_فعلا ده إالى حصل، هما لقوا أن تهديدى بذكرى ماجبش
نتيجة، فقرروا يلعبوا عليا انا، بس انا اخلفت توقعاتهم لما
جبت العربية بدرى عن يوم الفرح وركبت فيها وذكرى معايا
يومها .

غامت عينا زين بحزن وهو يقول بشرود :

_لو مكنتش عملت كده كان هيبقى انا إالى فى العربية بس ،
وانا إالى اموت بس للأسف الحظ كان ضدنا والقدر كمان
كانت معايا وماتت هى ، وانا لا .

لم يستطع حازم وقتها مواساته ولو بكلمة حتى، فعقله كان
شارداً فى أشياء عدة، يحاول ربط الأحداث ببعضها، لكى
يستطع التقاط طرف الخيط!
وفجأة قال :

ـ يلا بينا على ورشة عم علام ده!

نظرله زين بنظرة مؤكدة، متوعدة على نحوٍ خطير.

=====

(فى بيت محمد البدر) والد حازم ..

دلف محمد إلى بيته منهكاً بعد رحلة بحث شاقة، استغرقت
منه وقتاً طويلاً للوصول لمنزل لأخته عبيرو أولادها حين
يصلوا .

دلف إلى الداخل ليجد منى جالسة وحدها بملامحها الطيبة
والشاردة معظم الوقت، جلس جوارها وهو يقول بمرح :
ـ حد يسيب القمر ده قاعد لوحده بردو .

ضحكت منى بخفوت وهى تقول بشئ من الحزن :
ـ مش عارفة والله كله مهاجرو على طول البيت فاضى .



_على عيني يا حاجة والله بس نقول ايه، يقطع الشغل
وسنينه .

صدرت عن حازم الذى دلف لتوه مُستمعاً لآخر كلمات أمه،
لتضحك منى وحازم يجلس جوارها، قبل أن تقول متنهدة
بقلة حيلة :

_طيب اعمل ايه فيكم اروى تقولى دروس، وانت تقولى
شغل وابوك يقولى شغل هفضل انا قاعدة لوحدى كده
على طول ولا ايه .

قبّل حازم رأسها بحنان وهو يقول بهدوء :

_كله الا زعلك يا ست الكل، بس نعمل ايه لقمة العيش يا
حاجة .

صبغ صوته فى اخر جملته بالمسكنة، مما جعل محمد يضحك
بصوت عالٍ قائلاً :

_جرى ايه يا حضرة الظابط انا قاعد بردو.

زمّ حازم شفّتيه وهو يستمع لأبيه يقول "حضرة الظابط"
مثل تلك التي لا تنعته إلا بها حتى كاد أن يكره وظيفته لذلك
اللقب الذي أصبح ثقيلاً على مسامعه بشدة، وقال بعدها
بنبرة مشتدة :

_بص يا حاج انا اتخنقت م اللقب ده، انا مش ظابط انا
دخلت شرطة غلطة مطبعية، فعشان خاطري محدش
يقولى حضرة الظابط تانى أبدا .

ضحكت منى بخبث وهى تستنتج إلا ما يرمى حازم بحديثه،
ليقاطعهما صوت جرس الباب، فقام حازم ليفتح، ليجد
أخته أروى تدلف إلى الداخل متخطية إياه بإهمال، ثم إلى
غرفتها دون أن تعير أحد اهتماماً!

فرفع حازم حاجبيه وهو ينظر فى فراغها بفم مفتوح ثم قال
بدهشة :

_هى الناس كلها مش طايقة نفسها كده ليه يا ناس ده ايه ده
!؟

حتى أروى الوديعة، الجميلة، زهرة العائلة كما يقولون
أصبحت لا تطيق الأرض التي تمشى عليها، أهو عيب الزمن
أم أن الجميع قد أصيب بداء "عدم قبول الآخرين"!

=====

عاد زين إلى بيته مرة أخرى، وذكرى الخطوة التي قاموا بها
هو وحازم منذ قليل تؤكد له صحة ظنونه بأن ما حدث لم
يكن بمحض الصدفة!

حيث توجهوا إلى "الورشة" المنشودة وقاموا بالسؤال عن
ذاك الصبي الذي أثار شكوك زين حوله؟ فكان جواب
صاحب الورشة كالتالي :

والله يا زين يا ابني من تانى يوم انت ما اخدت العربية
ومشيت هو كمان مشى ومعدش عرفنا له مكان، هو اصلا
مش من المنطقة ومعدش يعرفه بس هو جه وقال انه مش
لاقى شغل وبيصرف على امه عشان تعبانه وليها علاج، فانا
مقدرتش اقله لاه.. وشغلته معانا بس بعد انت ما جيت

العربية واستلمها هو منى وانت جيت اخدتها من بعدها
مشى ومحدث عرفله طريق جره .

وبهذا صمت زين وصمت حازم الذى كان يقف جواره وكلاً
منهما يفكر فى نفس الشئ، من وراء هذا الصبي ودفعه لفعل
هذا؟!

دلف زين إلى داخل بيته مُغتصباً ابتسامة دبلوماسية على
شفتيه وهو يتذكر حديث حازم له :

_امك زعلانة عشانك اوى يا زين متحسسهاش أن ابوك الله
يرحمه راح، فوق لنفسك يا ابن عمى وارجع لخواتك ولاملك
تانى، الدنيا مش بتوقف عند حد .

يتذكر احتجاجه وقتها وهو يرد عليه بنبرة متباعدة يعززها
شعوره بالتقصير نحو عائلته :

_دى ذكرى يا حازم، "دكتورة ذكرى" لولسه فاكرها، لو الدنيا موقفتش عندها هتوقف عند مين .

ربت حازم على كتفه قائلاً باستسلام فارضاً الأمر الواقع :

_ذكرى فى مكان احسن يا زين، ربنا كاتبلها كده، انت مش من حقك تعترض، هى ماتعظمش ع إالى خالقها، دورك بس انك تجبلها حقها، لكن مش توقف حياتك وتضيع حق غيرها عليك، ابدأ يا زين .. ابدأ .

.....

دلف زين ليجد والدته جالسة كما عادتھا.. فجلس جوارها متنهداً، ثم قال بهدوء ناظراً لجانب وجهها المواجه له :

_عاملة ايه؟

_فيك الخير والله انك لسه بتسأل .

قالتها سامية بخفوت، رداً على سؤاله الجامد، ليتهد زين مرة أخرى بوجع أكبر، وحمل يشعر بأنه يزداد كل لحظة عن سابقتها ..



ثم قال بصوت خافت وهو يتمدّد على الأريكة مريحاً رأسه على فخذيها مغمضاً عينيه، سامحاً للسانهِ بالبوح لأول مرة :

_ سامحيني على تقصيري معاكم بس غصب عني، انا عقلي موقوفش عن التفكير من يومها، خايف يحصل حاجة زي كده مع اي حد تاني من خواتي؛ من ولاد عمي من اي حد، خايف عليكم كلكم .

مسدت والدته على شعره بحنان قبل أن تهمس :
_ انا مش زعلانة منك، وانت معملتش حاجة غلط عشان تعتذر، انا مقدرة إلی انت حاسس بيه لاني سبقتك وحسيتيه مع ابوك الله يرحمه ..

صمتت للحظة ثم استطردت بنبرة متباعدة بعض الشيء :
_ الانسان مننا يا زين لما يفقد حد غالي اوى عليه بيبقى متهيأله أن الدنيا كلها راحت من ايده، بيبقى حاسس انه

ساب قلبه معاه، بس الصبح مش كده، وبالذات فى حالتك
دى لازم تفوق عشان حقها يرجع، وانا واثقة فيك زى ما كله
واثق فيك، انك هتبرد قلب امها وابوها عليها، وقبلهم قلبك
انت يا زين .

انهت سامية حديثها وهى تترقب رد فعله، ولكنه لم ينبس
ببنت شفه، ورتابة أنفاسه، وثقل رأسه على يدها أعلمها أنه
قد راح فى سبات عميق، سبات كان يهرب فيه من كل ما ألم
به من أوجاع وشعور بالذنب نحو كل من عرفهم!

====

"أريدك بمقدار ما لا أستطيع أخذك، وأستطيع أخذك
بمقدار ما ترفضين ذلك!"
_غسان كنفاني.

كانت تلك آخر جملة خطها "أسر" في آخر صفحة من دفتره
الخاص، قبل أن ينظر من نافذة الطائرة إلى السُحب
البيضاء، والسماء ذات الزُرقة الباهتة بالأعلى، بعينه
اللتان تماثلانها زُرقة ..
يفكر ملياً كيف سيكون إستقبالها له ؟ هل مازالت على
"العهد" القديم أم أن "همسات الصِغر" لن تكون كقوة
"أحاديث الكبار" !

ها هو الوطن يلوح لهم عن بُعد، فاتحاً ذراعيه، مُستقبلاً
ابناءه والذين طال غيابهم، فهل سيكون رَحباً واسعاً كما

عهدوه من قبل، وهل ستجد قلوبهم الفتية فيه متسعاً و
مأوى؟ أم أنه انه سيضيق بهم كما ضاق سابقه بما رَحِب؟!

=====

الفصل الثالث

====

_"جدو!"

هتف بها جميع أحفاده وهم يتقدمون منه بسرعة، صارخين
بمرح؛ من بينهم ..

"مراد" الذى لم يكبر ابداً رغم عمره الذى تخطى السادسة
والعشرين!

"درة" صاحبة الثلاثة وعشرين ربيعاً ..

واخيراً "يارا" ذات التسعة والعشرين عاماً، والتي تمتلك من
العقل بعضاً منه ولو بالندر اليسير يعتقد الواقفون جميعاً
أنها قد فقدته وهى تشارك أخويها المجنونين صراخهم
وجريهم!

ضحك إبراهيم ملء شذقيه وهو يستقبلهم جميعاً محتضناً
إياهم بذراعيه، هاتفاً بمرح :

_براحة براحة ، انتوا صغيرين .

قبّلت درة رأسه وهى تهتف بلهات :

_وحشتنا والله يا جدو .

ربت إبراهيم على رأسها برفق قبل أن يقول متبسماً :

_وانتوا اكتر يا حبايب جدو ، حمدالله على سلامتكم .

اعتدل مراد فى وقفته وهو ينحنى مقبلاً يد جده ، وهمّ بقول

شئ قطعه عليه أسر الذى تقدم منه بسرعة ممسكاً إياه من

ياقة قميصه كمن يُمسك بسارق ملابس ، قائلاً بصرامة

مرحة :

_يلا يا حلو طلع معانا الشنط مش ناس تسلم وناس تدبس .

تأفف مراد وهو يزيع يده عن قميصه قائلاً بمرح :

_صبرنى يارب ، معلىش يا جدو استنى عليا بس هاجى اسلم

عليك تانى.. حكم القوى ع الضعيف .



ضحك إبراهيم على مظهر مراد المتذمر وهو يرحل، بينما
شاركه أسر ضحكته وهو ينحني مقبلاً يده بالمثل قبل أن
يقول مبتسماً:

_ازيك يا جدو.

ربت إبراهيم على ظهره بحنو قائلاً:

_ازيك يا حبيبي حمد لله ع السلامة.

_الله يسلمك ...

ولم يتم أسر الجملة إلا وقد وجد صوت ادهم الجمهورى

منبعثاً من الخارج بقوة قائلاً:

_خلص يا أسر الشنط كثير.

ضحك إبراهيم وهو يهز رأسه نفيماً بيأس من تعنت أحفاده

جميعاً، فى حين رحل أسر مليبياً نداء أدهم من الخارج هاتفاً:

_جى اهو.

....

ومن الطابق الأعلى كانت "هى" تراقب خروجه من باب المنزل دون أن يلحظها أحد، سوى جدها الذى رفع نظره لأعلى بحركة غير مرئية يرمقها بنظرة يائسة وابتسامة فطنة، وهو يهز رأسه بأسى من غياب أحفاده جميعاً، فى حين ارتدت "اروى" إلى الداخل حيث غرفتها الآمنة بعيداً عن تواجده "المربك" لها!

....

تربعت تروى فوق فراشها بتذمر، زامة شفيتها، رافعة شعرها فوق رأسها فى كعكةٍ بإهمال، مستندة بمرفقيها إلى قدميها، فكانت مثلاً حياً لـ "تمثال الكاتب المصرى القديم"

اروى "صاحبة الجمال" .. هكذا قالها لها ذات يوم، مُتغزلاً فى عينيها العسليتين، وبشرتها الخمرية، ووجنتيها اللتان يتناثر فوقهما بعض حبيبات "النمش" والذى قال أيضاً عنه ذات مرة بأنه "لا يزيد لها سوى جمالاً"، شعرها ذو



"الجداول النحاسية"، ولكنه كان يصف لونه بـ "البرتقالى"
ويقول حرفياً :

_الصراحة مش لاقيله لون يا اروى هو مينفعش معاه غير
برتقالى .

ضحكت اروى بخفوت وهى تتذكر حديثه، قبل أن تتنهد وهى
تتمدد فوق سريرها فى جلسة أنثوية واضعة رأسها فوق
ذراعها، تتلمس "السلسال" على جيدها بشرود قبل أن
تهمس لنفسها اخيراً :
_وبعدين يا أسر .

انتهت همستها وهى تعود بذاكرتها ليوم قال لها نفس الكلمة،
يوم رحل لمدة خمس سنوات دون أن تراه مجدداً بعدها!

((_وبعدين يا اروى .

قالها أسروها ويجلس جوارها على الأعشاب القصيرة في
حديقة بيتهم ..

كان يوم مولدها الثالث عشر..

لم يقدم لها التهنئة، لم يأتى لها بهديتها ككل عام، لم يولها
اهتماماً كعادته منذ أن وُلدت، نعم .. هي لم ترى من أسر
بالذات سوى الاهتمام والمراعاة والتفضيل، وأحياناً "بعضاً
من الحب"! إن صح التعبير بأنه كان يكن لها حباً في ذاك
السن.

في الأيام القلائل التي كانوا يقضونها في الوطن على مدار
ثلاثة عشر عاماً كانت هي محور اهتمامه، كانت على رأس
قائمة أولوياته، إن لم تكن هي أولوياته جميعها؛ لهذا لم
تعتد منه التجاهل ابداً، فكان تجاهله لها ذلك اليوم بمثابة
إهانة "لأنوثها المستحدثة"، وكبرياء الأنثى داخلها كان لا
يسمح بذلك!



لأجل ذلك تركت الحفل بمن فيه وخرجت إلى الحديقة،
لتجده خلفها، ينظر لها نظرة لم يسعفها عقلها الفتى وقتها
لتفسيرها، فمهما كان بينهما والرابط الذي لا تعلم كيف
تكوّن، لكنها أيضاً كانت طفلة ذات ثلاثة عشر عاماً، وهو
شاباً في الثالثة والعشرين من عمره، لا علم لها بسريره!

قالت أروى بخفوت دون أن تنظر له :

_وبعدين في ايه، اتخنقت فطلعت اشم شوية هوا .

ضحك أسرو وهو يقترب في جلسته منها قبل أن يقول بهدوء :

_حقك يا ستي، تطلعي تشمي هوا .

اتبع جملته، بأن فتح يدها ووضع بها شيئاً صلباً بارداً
استرعى انتباهها لتنظر له، فوجدت في كفها الصغير سلسال
ذهبي بحروف مفرغة، تشكل اسمها "أروى" بروعة تصميم
جعلت غسل عينيها يلتمع لوهلة، قبل أن تقبض على
السلسال في يدها وتشيح بوجهها عنه قائلة بجفاء مصطنع
:



_شكراً.

ضحك اسر عالياً تلك المرة وهو يقول مازحاً :

_فى ايه يا ماما ، هو انا بشحت منك الكلام .

_انت بالذات ماتتكلمش معايا خالص .

هتفت بها بحدة ورأسها يلتفت له كطلقة رصاص ، فرفع

أسريديه عالياً باستسلام قائلاً دون أن يستطيع إيقاف

ضحكته :

_اياً كان إلى انا عامله ومخليكى متعصبة كده.. فأنا اسف

مقدماً .

وضعت السلسال فى يده بحدة قائلة وهى تشرع فى القيام

والاستعداد للمغادرة :

_خود سلسلتك اهى انا مش عاوزة منك حاجة .

أمسك بمعصمها وأجلسها مرة أخرى قائلاً بحدة وقد

استعاد جديته، والتي يستجلبها للتعامل مع نوبات الغضب

الطفولى التى تنتابها :

_ اقعدى يا اروى وبلاش شغل عيال، انتى مش صغيرة .
جلست مرة أخرى وقد بدأت تستشعر سخف موقفها،
فمدت يدها تخطف السلسال منه قائلة :
_ خلاص هاته .

ضحك أسربخفوت مجدداً وهو يقول برفق :
_ ما كان م الأول .

ابتسمت أروى أخيراً بتردد قبل أن تعتدل في جلستها مواجهة
له وهى تقول بصوتها الطفولى، والذى ازدان بنعومة أنثوية
مستحدثة :

_الاول شكرا ع السلسلة عشان بجد جميلة اوى، ثانياً انا
زعلانة منك عشان محضرتش الحفلة من الأول .

ابتسم أسرابتسامة ثماثل اسمه فى الصفه، قبل أن يهمس :

_طيب اولاً انا مبسوط ان السلسلة عجبتك، ثانياً بعذر
عن عدم حضورى بس كنت بخلص كام حاجة بعملها .
رشقته بنظره متشككة، ثم تحدثت متسائلة :



_حاجة ايه ؟!

مالت ابتسامة أسر قليلاً قبل أن يقول بهدوء :

_كنت بخلص إجراءات أول قضية كنت شغال فيها، عشان اخود اتعابي منها واجبك بيها السلسلة .

فغرت شفتها قليلاً وملامحها تكسوها المفاجأة قبل أن تفاجئه هو، وهى تستقيم على ركبتيها، محاوطة عنقه بذراعيها قائلة بفرحة :

_الله يا اسر جميلة اوى، ربنا يخليك ليا .

لم يشاركها أسر مرحها سوى بابتسامة مترددة وهو يبعد ذراعيها عنه، قائلاً بتحفظ :

_كل سنة وانتى طيبة .

فرحتها بمفاجئته لم تجعلها تغفل عن تصرفه، وعن شعورها أنه يبعدها عنه، يصنع بينهما حواجز لم تكن تراها بينهما يوماً، ولا تريدها بينهما أبداً !

لذا ابتسمت بخفوت قبل أن تتلقى خبره الأخير:
_السلسلة دي انا مش عاوزك تفرطى فيها ابداً، احفظيها
جوا عنيكى؛ عشان يمكن مقدرش اهديكى حاجة غيرها تانى
لسنين قدام .

ابتسمت أروى مازحة وهى تغفل هذه المرة عن تلميحه :
_ليه مش هيبقى معاك فلوس بعد كده مثلاً .
مالت شفتيه بابتسامة حزينة بعض الشئ قبل أن يقول
بخفوت :

_لا مش كده،، وانا مش بهزر، والخبر الأخير بقى ، انا مسافر
بكرة .

انعقد حاجبها وتكورت شفتيها وهى تنظرله بتعقيد قبل أن
تقول :

_هو انت لحقت تقعد لما هتسافرتانى، انا زهقت انتوا ليه
متقعدوش هنا وتريحونا .



_مش هينفع شغلنا وحياتنا كلها هناك، هنحتاج وقت كبير
اوى على ما نقدر ننزل نقعد هنا .

قالها أسر بعقلانية، وهو ينظر لمامحها التى لا تتغير أبداً،
قبل أن يقول بخفوت وهو يستقيم واقفاً :

_انا هحضر حاجتى عشان امشى دلوقتى، انما ماما وخواتى
لسه هيقعدوا كمان كام يوم، خودى بالك من نفسك .
ابتعد لخطوات مولياً لها ظهره، ليستوقفه قولها :

_ماتمشيش يا أسر!

همست بها مختنقة وهى مطرقة برأسها فعلم أنها تبكى، قبل
أن تستطرد بنفس همسها :

_انا بحبك اوى، ومش عوزاك تمشى .

ابتسم أسر دون تعبير قبل أن يتقدم منها منحنياً أمامها
قائلاً :



_معلش .. لازم امشى، وماتنسيش أن انا كمان بحبك،
وسبتلك السلسلة دى ذكرى عشان تبقى تفتكرينى بيها .

ظلت مطرقة برأسها، إلى أن يأس هو من ردها فاستقام
واقفاً قبل ان يرمقها بنظرة أخيرة ويرحل !
حينها رفعت وجهها تنظر فى فراغه أمامها، قبل أن تهمس
محدثه نفسها بصوت طفولى، ضامة السلسال إلى قلبها
بكفيها :

_حتى محضنيش وهوبيقولى خلى بالك من نفسك زى كل
مرة، هو انا كنت زعلته ف حاجة، ليه هيمشى هو والباقي
لسه قاعدين .

حينها فقط، عملت محركات عقلها وهى تدرك ان "للعمر
قوانينه" وهى قد كبرت كما تقول لها امها دائماً "لقد كبرت



يا أروى " فلا مجال لما كان يحدث سابقاً، ويبدو أنه هو الآخر
أدرك ذلك، وأدركه جيداً!!)

.....

عادت إلى واقعها وما زالت تتلمس السلسال على جيدها،
قبل أن تنتفض على صوت أمها وهي تنادى من خلف الباب
:

يا أروى .. فى ايه يا أروى انتى كويسة .

هرولت نحو الباب، تفتحه فى سرعة، لتتنفس أمها
الصعداء وهي تقول :

_ مابتفتحيش الباب على طول ليه ، وقعتى قلبي .

_ اسفة يا ماما معلىش .

_ طيب يلا عشان نتغدى كلنا سوا .

توترت ملامح أروى قبل أن تقول لأمها بارتباك :

_ لا ماهو انا مش جعانة، روحوا انتوا كلوا، انا عندى مذاكرة
حالياً .



هزت منى رأسها بيأس قبل أن تنصرف، فأغلقت أروى خلفها الباب، لتستند عليه بظهرها زافرة بحنقٍ، هامسة :
_وبعدين يعنى، هفضل محبوسة فى الاوضة هنا كتير.

فى الحقيقة هى لا تريد الظهور أمامه، مازالت فاجعتها برحيله، دون حتى مجرد إتصال، ودون أن تراه لمدة خمس سنوات تؤثر عليها، ولا تستطيع مواجهته حالياً فهى لا تضمن روح الطفلة التى مازالت عالقة بكيانها رغم مرور السنوات، ومن المفترض أن تتعقل ..

لكنها انتفضت فجأة وهى تسمع صوت التهليل الآتى من الأسفل واسم واحد يتردد صداه بين الأصوات الكثيرة المتداخلة :

_معاذ، معاذ جه .

=====



بالأسفل ..

كان الجميع ملتفين حول مائدة الطعام، يسودهم جوعا على جميل، قبل أن يلتفتوا جميعاً على صوت صرخة منة باسم "معاذ" وهى تهرول نحو الباب متقدمة من عمها.

ضحكت منة وهى ترتدى فوق صدره محاولة إياه بذراعها قائلة :

_حمدلله على السلامة، ليه مقولتش انك نازل .

_حببت اعملها مفاجأة .

قالها معاذ وهو يرمق زين المبتسم فى آخر الطاولة، لتقاطعه أروى التى تخلت عن منفاها وهى تهرول نحوه بالمثل فاستقبلها معاذ ضاحكاً، ضاماً منة بذراع وهى بالذراع الأمر فى حين هتفت تروى :

_وحشتنا اوى يا معاذ .

_واتنى كمان وحشتينى اكتر يا "ريرى" .



ضحكت أروى، ضحكة مختنقة بدموعها وهى تخفى وجهها
فى صدره، فربت معاذ على كتفها بلطف مستقبلاً ترحيب
الجميع، وخاصة عبير التى احتضنته باكية بشدة، فبادلها
عناقها برقة، هاتفاً بضحك :

_ لا حول ولا قوة الا بالله، هو انتى كل ماتشوفينى تعيطى كده
يا عبير!

شهقت عبير ببكاء قبل أن تبتعد، ناظرة له، قائلة :
_ بتفكرنى ب "آدم" الله يرحمه، سبحان الخالق، فيك منه
كتير يا معاذ وكأنه متجسد فيك .

تمتم الجميع بالرحمة على روح فقيدهم قبل أن يندمجوا
جميعهم فى جوهم العائلى الدافئ، وكلاً ينظر للآخر بنظرة
مختلفة ..

منها الاشتياق، ومنها الغضب، الحزن، الفقد، الرفض،
اللوعة، ولامبالاةٍ مطلقة!



وتلك اللامبالاة كانت من قبل "مصطفى" الذى ينظر
للجميع بنظرة خاوية لا تحوى أى مشاعر، وكأن تلك ليست
عائلته، وكأنه ليس منهم!

غير عابئاً بنظرات "يارا" التى كانت لترديه قتيلاً لو كانت
تقتل.

قاسى، متعنت، لامبالى، مغرور.

هكذا تراه، وهكذا تفكر به، ولن تراه غير ذلك ابداً، فَمَنْ
يرفض حبٍ كحبهَا له؟!!

من بقادر على فعل ذلك، سوى جاحد القلب المائل مواجهاً
لها على الطاولة.

تحبه، وبشدة منذ أمدٍ بعيد، وتعتزف بذلك، بينما هو لا
يشعروا بومثقال ذرة، فيتضح أن تلك العائلة جميعها
هكذا، لديهم "مضادات" نحو من يحبهم وكأنه عدوى
سترد عليهم قتلى..!



غضب من نوع آخر كان من نصيب حازم وهو ينظر لحلا
المنزوية جوارزين، ترمقه بنظراتٍ مختلصة، وهى تعلم أنها
قد زادت جرعة الغباء واللامبالاة اليوم، حيث ألقى عليها
تحية كعادته، فلم ترد عليه بمحاولة يائسة منها لصرفه
عنها!

طلب منها توصيل شئ لأمه فى المطبخ حيث لم يستطع
الدخول لوجود الفتيات، أيضاً لم تقبل بعنجهية مطلقة
قائلة له بجفاء :
_روح وديها انت، مليش فيه .

لا يعلم حازم إن كان ذاك غباءً، أم أنه بالفعل قد أخطأ هذه
المرة فى ثقته بحبها له، وأنها بالفعل لم تحبه يوماً ولن تحبه،
وهذا بالتحديد ما يغضبه!

ليس كونها رفضت له طلباً هذا هو ما يغضبه، فهو قد اعتاد
منها التجاهل بأسواء انواعه، ولكن ما يخيفه، هو عدم حبها

له! يشعر بغصة تحتل قلبه كلما تبادر هذا الخاطر إلى ذهنه، ولكنه يعاود إقناع نفسه بأنه لا داعٍ للقلق، فهي تحبه بالتأكيد!!

اشتياق يظل نظرات "آسر" نحو أروى التي ترمقه بنظرات عاتبة، غاضبة نوعاً وهي تندس بحضن معاذ تأبى تركه كطفلة تتعلق بأبيها الذى لطالما تجسد الأمان لديها فيه. تجهم غير مبرر يسود ملامح "أدهم" الصامت طوال الجلسة!

هكذا هو دائماً، لا يعلم أحد تفسير له سوى أنه "يضمراً أكثر مما يُظهر" والبعض -ممن يعلم بالحقيقة- يعذره فى تلك النقطة بالذات، فما عاناه أدهم فى آخر سنواته لم يكن بالقليل، وصدمته فى أقرب الخلق له لم تكن بالهينة عليه كي يستوعبها، وجرحه مازال حياً، لم يبرأ منه بعد!

أما الحزن فكان من المعروف نصيب مَنْ هو! والذى يتضح أنه لم يتجاوز حزنه ولن يتجاوزه على ما يبدو!

وأخيراً الضحكة البلهاء والسعادة المطلقة كانت من نصيب
خمسة وجوه "مراد"، "منة"، "فارس"، "درة"، و"معاذ"!
نظر إبراهيم لخمستهم مبتسماً يقول في قرارة نفسه :
_دول إلهى مش شايلين للدنيا هَم، بس يا عالم الدنيا
مخبياهم ايه؟!
=====

"دع روحك تجذبك بصمت إلى مَنْ تحبه، فإنها لن تُضلك
ابداً."
-جلال الدين الرومي.

دارت الساعات بينهم دون أن يشعروا بها، ليحل الليل،
ويكسو سواده السماء.. التى تالأّت بمصابيح النجوم،
يتوسطهم هلالاً بهياً!
هلالاً نظرله جميع من يجلس أرضاً على ٦ عشاب
القصيرة، فى الحديقة !

جميع الشباب اجتمعوا في الحديقة، تاركين البيت للكبار
كما قالت عبير منذ قليل، بعدها انسحب معاذ مع أولاد
إخوته هاتفاً بمرح لم يخلو من رصانته المعهودة :
_ لا معلىش انا مش كبير عشان تقعدوني معاكم لسه بدرى
على القعدة دى.

....

صمتٌ مخيم على الجميع وكلاً منشغلاً بما يليه!
إلى أن رفعت منة وجهها فجأة عن شاشة هاتفها الذى كانت
تتفحصه منذ قليل، ناظرة أمامها بأسى، وشهقت بخفوت
وهى تشرع في البكاء الخافت، لينظر لها زين مجفلاً وهو
يقول بقلق :

_ فى ايه يا منة مالك؟!

ناولته منة الهاتف وهى تكمم فمها بيده تبكى بخفوت قائلة
باختناق :



_لا حول ولا قوة الا بالله، في حد يعمل في ولاده كده.

نظرزين في الهاتف قبل أن يحتل الأسي ملامحه هو الآخر،
ثم أجاب على تساؤلات الجميع بما رأته منة على موقع
التواصل منذ قليل :

_لا حول ولا قوة الا بالله، جايين واحدة قاتلة ولادها عشان
.. شافوها مع واحد جارهم في شقتها وولادها كانوا
هيكشفوها.

علا الأسي وجوه الجميع، وكلاً يردد الرحمة على روح
الأطفال، عدا أدهم الذي تلونت ملامحه بلونٍ قاتم، وقد
ازداد سواد عينيه حتى أصبحت قاتمة بشدة، قبل أن
ينفض مبتعداً عنهم، بحجة الرد على مكالمة وهمية.

نادى عليه زين يستوقفه، فلم يستمع أدهم له ولو بمثقال
ذرة، وهو يولهم دبره مبتعداً، فابتسم مصطفى الجالس

جوارزين بلامبالاة، ابتسامة لم تحمل أى طعمٍ للمرح وهو
يهمس بصوت لم يسمعه سوى زين المجاور له :
_الى على رأسه بطحة .

ها هو مصطفى بكل ما تحمله روحه من ندبات، قادراً على
الجرح دونما ذرة ندمٍ واحدة، ولكن العزاء الوحيد بأن لكلٍ
منهم أسبابه!

هزّزين رأسه بيأس وهو يتذكر عبارة طرأت على ذهنه ذات
مرة.

"قدرنا جميعاً أن نفقد أحداً ما عزيزاً علينا، فنبقى من
بعده مجرد حطام لا يضر ولا ينفع"

ولكنه يكون أيضاً قادراً على الجرح دون ندم كحال أخته،
وكحال ابن عمه، فهل سيأتي عليه يوماً ليكون مثلهم يا ترى
!؟

=====



قاد زين سيارته بسرعة متتبعاً أدهم الذى يسير بسيارته هو
الأخر على غير هدى ..

زفر زين بحدة وهو يحاول مجاراة سرعة أدهم دون أن يفقد
اثره بين السيارات، قال زين محدثاً نفسه :

_ربنا يستر، انا مش عارف انت دماغك فيها ايه، ربنا يهديك
يا ادهم .

....

أما أدهم فكان فى حالة قصوى من اللاوعى، لا يرى الطريق
أمامه بل يرى الماضى الذى جعلهم يسرعوا بالعودة إلى
الوطن.. هائمين على وجوههم، يحاولون تجنب الفضيحة!

صوت ضحكات طفل صغير تخترق مسامعه من اللامكان،
فيعتصر قلبه حسرة ولوعة !!



هو السبب، نعم .. لو كان أهتم بطفله أكثر لما وصل به
الحال إلى هذا الآن، لو كان سلمه لأم ترعاه لما حدث كل هذا
!!!

(ايمن) .. اسم لطالما جلب له الحب والبغض معاً، يذكره
بكل الحروب وبكل التنازلات التي قدمها في سبيل هذا الحب
ليرى النور!

قابلها في تلك البلد الغربية التي كان يقطنها مع عائلته، فتاة
جميلة مثله من أصل عربى تعيش مغتربة مع أمها في تلك
البلد!

متحررة نوعاً، نعم كانت كذلك، وذاك كان تحذير من
عائلته، تحذير ليتراجع عن تلك الخطوة، فجميعاً كانوا
يعلمون عواقب الأمر بعدها!



أدهم نارى النزعة، حاد الطباع يقع فى حب فتاة متحررة من
المدينة التى يقطنها لهو أمر غير محمود العواقب بالمرّة، وقد
صدق ظنهم جميعاً !

كان قد مر عامين على زواجهما، أنجبت فيهما ايمى طفلاً
جميلاً وكان عمره قد أصبح عام ونصف، بميلاده ظن أدهم
ان كل العقبات فى حياته قد تلاشت وأن كل هواجس عائلته
كانت لا اصل لها ..

طفل كان قطعة من قلب أدهم، كان يحبه حباً جماً، أكثر
حتى مما يحب الوالد ولده!

لذلك وقع الخبر منه موقعاً بليغاً حين إكتشف ما حدث !!!
ذات يوم ..

عاد إلى المنزل باكراً من عمله، بعدما قرر أن يقضى بقية
يومه مع ابنه وزوجته ..

دلف إلى البيت مبتهجاً يحمل من الهدايا الكثيرة التى أتى
بها لابنه، وجدها تقف فى صالة المنزل فى انتظاره، بكامل

زينتها وبهائها، فابتسم وهو يقترب منها على مهل متأملاً إياها
من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، قبل أن يصل إليها
ممسكاً بخصرها وهو يقول بابتسامة وإنجليزية سليمة :
_ ما سرتلك الإبتسامة الجميلة وهذا اليوم المميز، وأين
"يحي"؟

عقدت ذراعها خلف عنقه وهي تهمس بخفوت، بينما
أنفاسها المعطرة تلفح وجهه :

_ اليوم مميز وانا أخطط له منذ زمن، ويحي أرسلته لدى
أمي اليوم .. تعرف أنه بدأ يمشى على مهل وأصبح أكثر
شقاوة عن ذي قبل واليوم هكذا لن ينفع.

قهقه ضاحكاً بصوتٍ عالٍ، وهو ينظر لها بتمعن ..
إذاً هي تعد له مفاجأة، وهذا في الحقيقة يساوي عنده
الكثير لكنه لم يعلم أن مفاجأتها كانت أكبر من تلك بكثير!!



اقترب منها ادهم ببطء قبل أن يحملها بين ذراعيه متجهاً بها
نحو غرفتهما ليغيب معها لساعات لم يدر عددها!
ولم يفق إلا اليوم التالي ..

وبعد أن أغتسل وبذل ثيابه، خرج متجهاً نحو بيت والدتها
ليحضر يحيى، لكنه ما كاد يصل إلا ووجد الأجواء المشحونة
أمام المنزل، سيارة الشرطة واقفة أمامه وصوت سارينتها
يصم أذنه ..

اقترب، وياله لم يقترب، فقد جاءه الخبر بأن ابنه اختفى ولا
أحد يعلم عنه شيئاً إلى الآن !!

جن جنونه وقتها وكأن وحشاً قد تلبسه وراح يصرخ في هذا و
ذاك، من له ذنب ومن ليس له، لم يكن يدرى ما الذى هو
فاعله، هو كان ثائراً فحسب ..

ولكن هناك شعورٌ بالذنب كان يطغى فوق كل هذا !

شعور يقتله، وعقله يحدثه مُنبأً : بقيت تتنعم بين ذراعيها
طول الليل، تاركاً ابنك في بيتٍ غريب، وهذا جزاء ما فعلت
!!!

ظل واقفاً اليوم بأكمله على قدميه دون أن يعطى لنفسه
فرصة للراحة، ليمر النهار ولم يعلم عن ابنه شيئاً ..
والدة زوجته قالت: أنها تركت الباب مفتوحاً وكان يحيى
جالساً في ردهة المنزل ليلعب ببعض ألعابه، وقد تركته هي
لدقائق معدودة استغرقتها في دخول الحمام، لتخرج بعدها
فلم تجده !

هكذا فقط ما قيل ولم يعلم هو بعدها شيئاً ..

ليمر اليوم الذى يليه، ثم يوم آخر، وآخر، وآخر دون أى أثر
له أيضاً ..

ساعات حالة أدهم كثيراً، وأصبح ظلاً لذاك الرجل الذى كان
يضج نشاطاً وحيوية ..

لكن ذات يوم وهو جالسٌ وحيدٌ في بيته بعدما ذهبت زوجته إلى بيت والدتها، رن جرس الباب، فقام بتكاسل شديد ليفتح، ليجد أمامه امرأة متقدمة قليلاً في السن يبدو على ملامحها عدم الإرتياح !!

وقبل أن يقول أدهم أى شئ، بادرتة هي بالقول :

_ لا أعلم إن كان ما سأقوله في موضعه الآن أم أننى سأفعل شيئاً مشيناً، لكنى لم أستطع الصمت أكثر، طفلك لم يختفى فجأة كما يزعمون .. والدة زوجتك هي من تركته عمداً يمشى بخطٍ متعثرة وحده في الشارع، إلى أن اختفى عن ناظرها ومن المحتمل أن يكون أحدٌ قد أخذه وهي كانت تدبر الأمر معه سابقاً، وبعدها دلفت إلى بيتها مرة أخرى .. و لم يمضى وقت طويل حتى وجدنا سيارة الشرطة وكل ما رأيته أنت بعدها .. هي تقول أن الطفل اختفى فجأة لكن الحقيقة ليست كذلك .. هي من تركته يمشى عمداً، كل هذا انا رأيته عبر شرفة شقتى دون أن ترانى هي، وظللت اراقبها

بعدها شعرت بغرابة أطوارها وها قد حدث ما حدث، و
وجب عليّ تنبيهك سيد أدهم، فأنا لم احتمل السكوت أكثر
رغم نيتي بعدم توريط نفسي في الأمر فكما تعلم صعوبته،
سامحني لكن الأمر أكبر مني، وخشيت التورط فيما لا
يعنيني .. لكن السكوت أصبح شاقاً جداً ولم استطع في
النهاية إلا أن أبوح بما رأيت .

وقتها ظل مصدوماً للحظات، لم يعلم فيها ماذا يقول أو ماذا
يفعل، فلم يجد نفسه إلا ذاهباً الى زوجته في بيت والدتها، و
لم يشعر بنفسه وهو يشبعها ضرباً ويصرخ بسؤال واحد
كيف فعلت هذا بطفله !!!

وبعدها مر أسبوع على هذا اليوم العصيب ولا أحد يجد
الطفل حتى زوجته وأمه لا واحدة منهن تعرف شيئاً عن
مصيره، ولا يعرف هو كيف فعلت هذا بأبنها ؟؟



اي أم تلك؟؟ أم؟؟

تلك التي أطلقوا عليها لقب أم بالخطأ قالت أنها لم تكن مستعدة بعد للإنجاب وقد غافلها القدر حين أنجبت سريعاً بعد زواجها بشهرٍ واحد وهي لم تكن تريد ذلك، مذ حملت فيه وهي تفكر بطريقة للتخلص من الحمل لكنها لم تستطع وكان إجهاضه يمثل خطراً على حياتها، ومن ثم حين ولدت اتخذت قرارها بأن تعرضه للتبني .. ولم تسنح لها الفرصة إلا الآن ..

حديثها كان شديد الجحود ولكن أدهم كان في حالة شبه معدومة الوعي فلم تتثنى له فرصة أن يفعل أى شئ يشفى غليله منها ..

بعدها بفترة، كان حاله فيها لا يختلف عن أيامه الأولى بل كان أكثر حزناً، أكثر انطفاءً، بل وحياته كلها كانت دون معنى!!



طلق زوجته ورفض الذهاب إلى بيت أهله بل بقى وحده فى شقته يحدث "الجدران" عليها تأتى له بابه!!

ولكن إتصال هاتفى قطع عليه صمته، ليجد الضابط المسؤول عن التحقيق يخبره بأنهم وجدوا جثة طفل على الطريق، مُلقة، مشوهة الوجه والجسد بعدما دهستها سيارة!!

يومها، إحتمال أن يكون هذا ابنه كان الأكثر مصداقية ورجوحاً!

لكنه أبى أن يصدق، بل أبى بالأساس لم يذهب لرؤية جثة الطفل، لكن أخيه الذى ذهب هو أكد له أنه لو ذهب لم يكن ليتعرف على ملامحه المشوهة، واقترحوا أن يقوم بعمل تحليل الحمض النووي لتحديد نسب الطفل، لكن أيضاً أدهم قد رفض فعله!

قال أنه لا قبل له بأن يرى جثة طفله أمام عينيه!



وإن كان ميتاً فليكن، يكفى أنه يعيش على أمل لقاءه ذات يوم.

ومن بعدها أصابته انتكاسة ظل على إثرها في المشفى لعدة أشهر، ليخرج بعدما تحسنت حالته قليلاً وقد قرر الجميع العودة إلى الوطن مرة أخرى، فكفاهم بعداً، بل كفاهم ما حدث !!

.....

عاد إلى حاضره وعينه تلتمعان بعبراتٍ حارقة أعمت نظره عن كل شئ أمامه، مذكرة إياه بالذكرى القاتمة، وكأنه قد نسيها مثلاً!

إلى أن تحول الأسود أمام عينيه لحقيقة فعلية رآته عيناه المغمضتان بألم بعد أن ارتطم رأسه بإطار تحكم السيارة، وهو لا يدري هل قلبت السيارة، أم أنه ارتطم بشئ ما!!

=====



الفصل الرابع

=====

"فكيف يا مسكين تركت قلبك تحت مقصلة العشق
يتكسر، وكيف أنت بجامع شتات روحك التي بعثرتها
السنون من جديد؟!"

=====

_ ادهم، فوق يا ادهم!

صدرت عن زين وهو يحاول إفاقة أدهم الذي ارتطمت
سيارته بجذع شجرة بينما هو غارقاً في ماضيه، مما أدى إلى
ارتطام رأسه في إطار التحكم مُحدثاً جرحاً نازفاً في جبينه،
فزع زين وارتبك بشدة، لا يعرف ماذا يفعل رغم أنه معتاد
على تلك المواقف بحكم عمله، ولكن يظهر أن الذكريات
تتوالى على الجميع الآن!



حين لم يستجب أدهم لمحاولات زين لإفاقته، ذهب الأخير
بسرعة ليقود سيارته ويقربها من مكان سيارة أدهم، ثم
أخرجه منها، واجلسه في سيارته هو، مُنطلقاً بها نحو المشفى
الخاصة بهم، "مستشفى البدر"

لعلها نقطة تحول في حياة زين وهو لا يدري!

=====

ارتعى جالساً فوق أحد الكراسى الجلدية المترصة جوار
بعضها في ردهة المشفى، والجميع قد وقفوا له احتراماً
حينما دلف، والتفوا حوله يعملون على قدمٍ وساق، بينما
هو تهاوى جالساً، يللم شتات أعصابه قبل أن يتوجه
للطابق الأعلى حيث صعد أدهم.

الحادثة لم تكن صعبة، وليست بالأمر الجلل لكن يبدو أن
وقعها عليه كوعق حادثته السابقة، فلم تكن أعصابه
بالحديدية تلك المرة كما عهد نفسه!

=====



وقف أمام باب المصعد ينتظر فتحه ليصعد إلى أدهم، بينما قام قبلاً بالإتصال بـ "أسر" وإعلامه بالأمر مشدداً على عدم معرفة أحد في البيت سوى "فارس" والذي سيأتي معه، حيث أنه الطبيب الوحيد في العائلة!

شعر زين بأحد قد وقف خلفه ولكنه لم يعبأ، والمصعد يبدو أنه لن يُفتح في هذه الليلة حالكة السواد!

تنفس زين الصعداء وهو يرى المصعد أخيراً يُفتح على مصراعيه، فدلف إليه من فوره، بينما من كان يقف خلفه، أوبالأصح مَنْ "كانت" تقف خلفه تقدمت معه نحو المصعد تنوى الدخول، لم يرفع زين عينيه عن أرضية المصعد بعدم اكتراث أكثر من احتراماً لمن دلف أيّ يكن، وهو يشعر بوهن يحتل أطرافه، وإرهاق شديد يجتاح كيانه.

...

أما بالنسبة لمن كانت خلفه فقد تناثرت منها حزمة الأوراق التي كانت تحملها فوق يديها والتي لم يرها زين أيضاً إلا عندما تناثرت أرضاً، فانحنت تلملمها وهي تتأفف بضجر، ولم تدري شيئاً عن باب المصعد الذي كاد أن ينغلق وهي ماثلة في منتصفه تلملم حاجياتها!

اتسعت عينا زين وهو يتقدم منها بسرعة شديدة مانعاً الباب من الانغلاق بكفيه، في نفس اللحظة التي استقامت فيها الفتاة واقفة بسرعة أيضاً، مما أدى لارتطامها به وهو يحجز شق باب المصعد بكفيه!

حينها فقط استطاع زين رؤية ملامحها واضحة، وهي منه بكل ذاك القرب.

رأى التماعه عينيها الخضراوتين بشراسة، كشراسة القطط، وخضار عينيها أمامه كان غير طبيعي، فيبدو داكناً، ولكنه شفاف أيضاً مُظهراً غضبها بتجلى، تماماً كـ "حجر الزمرد"!



بشرة وجهها الداكنة، الأقرب للسُمرّة تناقض اخضرار
عينها بشكل غريب.

وشفتيها الرفيعتين تكملان اللوحة غريبة المعالم جداً،
الشرسة جداً، والجميلة جداً جداً!
بحجابها الأبيض الذي يبرز ألوان ملامحها، فكانت قبلة
للنظر!

صوتها الذي انبعثت حاداً رغم نعومته وهي تقول بصوتٍ
عالٍ أقرب للصراخ جعله يفوق من غمرة تأمله الشارد بها :
_ في ايه يا استاذ، انت واقف كده ليه؟
ازدانت نظرتة التي رماها بها بالغضب، وهتف بصوتٍ عالٍ
بالمقابل :

_ فيه أن حضرتك واقفة في نص الباب وكان هيقفل عليكى .
رمقت باب المصعد بارتباك للحظة قبل أن تعاود الشراسة
"لعينها الزمردتين"، ناظرة له بحدة قائلة :
_ حصل خير، اتفضل ابعد .



هززين رأسه فى يأس قبل أن يرتد عدة خطوات للخلف،
فدلفت هى واقفة جواره، لتضغط على أزرار المصعد،
ووقفت متسمة مكانها رغم الإرهاق البادى عليها، والنوم
الواضح فى عينيها ..

نظرة سريعة على هيئتها اعلمته بأنها طبيبة فى المشفى
لديهم، ومن يراها بذاك الغضب منذ قليل يُخال له أنها
مالكة المشفى .. لا مجرد طبيبة.

التوت شفتى زين بسخرية ملولة عند خاطر الأخير ..
ما باله المصعد اليوم لا يتحرك من مكانه إلا بصعوبة مهدراً
وقتاً ثميناً لديه، جوار شرسة العينين والطباع، غريبة
"الجمال" والهيئة!

=====

انفتح باب المصعد أخيراً بعد أن ظنه لن يُفتح في هذه الليلة!

فخرجت الفتاة أولاً بعنجهية، ومن خلفها زين يضرب كفاً فوق الآخر بتعجب، متجهاً نحو غرفة أدهم المنشودة! مشى زين في الرواق الطويل خلفها، وعلى ما يبدو وجهتهم واحدة!

_دكتورة "فريدة"، يا فريدة!

انبعث الصوت الأنثوى الذي ينادى من خلفه، لتلتفت الفتاة ناظرة لمن تنادى خلفه، بينما هو تجاوزها نحو غرفة أدهم، والاسم يتردد في أذنه .. "فريدة"!

حسناً اسمها فريدة وعلى ما يبدو هي أيضاً فريدة من نوعها، "فلكلٍ من اسمه نصيب" ... تماماً كما كان لـ "ذكرى" من اسمها نصيب!

آآه كل الطرق تؤدي إليها مرة أخرى، كل شئ في حياته صار مقروناً بها مؤخراً، ألا حداً لذلك العذاب؟!

رأى الغرفة أخيراً، فدلف إليها ليجد أدهم ممدداً فوق فراشه.

=====

_ مدام "داليدا" عاوزاكي ع التليفون..!
قالتها الفتاة موجهة حديثها لفريدة التي نادت عليها لتوها،
فتأففت فريدة مرة أخرى وهي تقول لها :
_ اكيد بتكلمنى عشان اتأخرت، هو دكتور فارس لسه مجاش
انا عاوزة امشى بقى .

رفعت الفتاة كتفها بجهل وزمت شفيتها تقول فى حيرة :
_ معرفش اتأخريه، ومعرفش بردو الدكتور إالى هيستلم
منك مجاش ليه.

اقتلعت فريدة الهاتف من يدها فى ضجر، ووضعتة على
أذنها ليصلها صوت داليدا المعترض :
_ كده يا فريدة كل ده تأخير قلقتيينا عليكى يا بنتى.



_معلش يا "ديدا" عندنا شغل كتير نص ساعة بالكثير
وهتلاقيني في البيت.

_لا اصبرى انتى هخلى "احمد" يجى ياخدك الوقت متاخر.
لم تشأ فريدة أن تعارضها هذه المرة فلا طاقة لها بالنقاش
أصلاً، لذا استسلمت قائلة بتهيدة باهتة :
_خلاص ماشى سلام دلوقتى.

أغلقت الهاتف لتجد الفتاة تقول لها فى عجالة :
_تعالى بقى شوفي الحالة إالى لسه واصله على ما دكتور
فارس يجى.

احتجت فريدة قائلة :
_يا سحر عاوزه اروح.

_معلش عشان خاطرى المرادى دول صحاب المستشفى.
بللت فريدة شفرتها وغامت عيناها بشرود غامض لتهمس
بصوت غير مسموع :



_مانا عارفة انهم صحاب المستشفى، والمصيبة انهم صحاب
المستشفى.

=====

دلفت فريدة لغرفة أدهم بخطواتٍ مرتبكة على عكس
طبيعتها الواثقة، إلا أنها لم تكن كذلك لزين الجالس جوار
السريـر.. فكانت تبدو شديدة الثقة حدّ النرجسية!

باشرت فريدة عملها بمجرد دخولها وهى تشرع فى تخطيط
الجرح الغائر بجبين أدهم، بصمت مطبق عليهم، ونظرات
مختلصة من قبلها نحوزين المواجه لها ..

أما زين فكان يفكر بأنها غريبة الأطوار قليلاً؟ نعم تبدو
كذلك!

يشعر بأنها مألوفة لديه، ولكن متى التقاها اصلاً؟! ربما
لأنها تعمل فى المشفى خاصتهم وبالتأكيد رأها ذات مرة فى
إحدى زياراته؛ لهذا علقت بذاكرته رغم أن ملامحها تبدو
مألوفة وغير مألوفة لديه !

تأفف بضجرو وهو يحدث نفسه ..

ما هذا الهراء الذى يفكر به، يبدو أن إرهاقه قد نال من عقله جدياً!

انتهت فريدة عملها ثم توجهت للخروج بسرعة قبل أن تسقط فاقدة لوعيمها الآن، لم تنم منذ ليلة أمس، وتشعر بأن طاقة التحمل أوشكت على النفاذ، لتلتقى بفارس الذى ما كاد يدلف إلى الغرفة بلهفة إلا وقد وقف أمامها قائلاً باعتذار:

_معلش يا فريدة اتاخرت شوية، واسفين ع التأخير كل ده،

بس معرفش الدكتور التانى مجاش ليه؟!

ابتسمت فريدة بإرهاق قائلة فى تهذيب :

_ولا يهمك يا دكتور حصل خير.

رمى فارس أدهم القابع خلفها بقلق ثم عاد إليها مُتسائلاً:

_متأكدة تقدرى تروحي في الوقت ده لوحداك؟!

_اه احمد هيجي ياخودنى دلوقتي ماتقلقش.

قالتها بتلقائية قبل أن تستأذن منه وترحل، بينما تقدم

فارس منهم بسرعة متفحصاً أدهم القابع فوق السرير، ولم

يلحظ ملامح زين معقود الحاجبين، متشكك النظرات !

_الحمد لله هو كويس هيفوق كمان شوية، هي الخبطة بس

كانت شديدة حبتين، بس معتقدش يتأذى .

اوما زين باطمئنان وهو على علم سابق بعدم خطورة

إصابته لكن عدم إفاقة أدهم هي ما كان يقلقه .

ليتسأل بهدوء :

_اوماال فين أسر؟

_اهو جاي ورايا .

قالها فارس ليومئ زين موافقاً قبل أن يسأله للمرة الثانية

لكن بتشكك مجهول المصدر:



_الا قولى يا فارس هو انت كده مع كل الدكاترة، اقصد يعنى بتطمن على كله ومهتم ب كله، وكده ولا ناس ناس؟!
ابتسم فارس بفطنة وهو ينظر له بتفحص قبل أن يجاوب مباشرة:

_تقصد عشان بظمن على فريدة وكده، لا يا سيدى مش مع كله بس فريدة غير عشان انا عارف ظروفها .
_ظروفها؟!!

تسائل زين باستغراب ليرد فارس بدوره :

_اه اخوتها بيخافوا عليها حبتين فمش بيرضوا ليها التاخيرو كده .

قال زين بهدوء ونبرة حاول جعلها غير مهمة، ليبين عدم اكتراته بالموضوع أوريما يثبت لنفسه :

_اه اخوها ده احمد إالى هيجى ياخودها .
_بالظبط .



قالها فارس مؤكداً، فصمت زين عن الحديث وصمت فارس، ليقطع صمتهم دخول أسرا الذي بدا قلقاً بشدة، قبل أن يطمئنه فارس عن الأمر، فتنفس الصعداء بعدها، منتظرين إفاقة أدهم ليعودوا لبيتهم، بعد تكرار الاتصالات المتشككة من عبيروالذى كان يعمل "ردار الأم" لديها تلك اللحظات بأقصى درجاته مستشعراً ما يخفى عنها في الأمر!

=====

وقفت فريدة على قارعة الطريق تنتظر قدوم أخيها أحمد ليقبها، بعد أن نال منها التعب الجسدى والإرهاق ما نال اليوم الماضى.

أدارت وجهتها .. لتولى شطرها سور البحر متجهة إليه، واقفة أمام أمواجه المعتمدة فى تلك الساعة المتأخرة من الليل .. لطالما كان البحر عشقها حتى فى أحلك أوقاته، لكنها تظل تحبه، فلن يكون حالها أكثر من طفولتها البائسة على كل حال.

حسناً ها هي، نبذة تعريفية عن تلك الطيبة غريبة الجمال
والأطوار!

ضحكت فريدة بخفوت وهي تقوم بسرد المعلومات في عقلها
ناظرة لأمواج البحر الداكنة!

هي... فريدة عبد الحميد بركات، الطيبة -بالطبع-، فلم
تقضى سبع سنوات من عمرها تدرس الطب كي لا تُلقب بـ
"الطيبة" في الأخير فضلاً عن اجتهداها في عملها وبشهادة
الجميع!

فتاة بسيطة من أسرة تحاكيها بساطة، كل من تملك في هذه
الحياة بعد وفاة والديها، أخيها الكبير "أحمد"، وأختها
الوسطى "داليدا"!

ضحكت مجدداً وهي تفكر..

"حسناً اسم داليدا غريب قليلاً، ولكن يبدو أن أبويها كانا متأثرين قليلاً، بل كثيراً بتلك المغنية القديمة وهما يختاران الاسم لأختها"

على كل حال، هؤلاء هم كل ما تملك بالإضافة إلى زوجة أخيها "ندى" والصغير "سيف" والذي يعد أمينها وكاتم أسرارها رغم حداثة سنه، والذي لم يتعدى الثلاثة أعوام! أما عن "طفولتها البائسة" فهي ضيف ليس جدير بالذكر الآن، فستعتبر دخيلة غير مرغوب بها على تلك اللحظة الحميمة بينها وبين معشوقها الأول "البحر"!

نعم الأول؟ فالثاني لا تعلم أن كان يستحق أن يُسمى "معشوقاً" بالأساس، وهل ما تكنه له يجوز تسميته بالعشق؟! استناداً إلى رؤيتها له مرتين وجهاً لوجه أصبحوا ثلاثة مراتٍ منذ قليل!

بالإضافة إلى "ارتطامة" حديثة عند باب مصعد!!

=====

عاد الجميع أدراجهم إلى البيت بعد استفاقة أدهم ! البيت الكبير لجدهم، والذي بالمناسبة يمكث معه فيه ولده محمد و أولاده، وقد زاد عليهم الآن عبيرو زوجها وأولادها لحين الانتهاء من تجهيزات بيتهم الخاص!

أدهم الذى سبقهم إلى البيت على قدميه، متحاملاً على نفسه وعلى الآلام التى تكاد تفتك برأسه، فاستقبلته عبير كما توقع تماماً! بكاء هستيرى، وقلق مضاعف بعد رؤيته رأسه المضمدة!

إضافة إلى قلبها الذى لم تبرد ناره على حال ابنها وحفيدها بعد.

دلف معه زين وفارس، بينما ظل أسرفى الخارج، مما استرعى انتباهه وقلق أروى المنزوية بعيداً، فخرجت بحثاً عنه، لتقف أمام باب البيت تتطلع حولها بحيرة... ثم شهقت بفرع عندما امتدت يد لتربت على كتفها برفق من الخلف..



استدارات فجأة لتجده خلفها بملامح ساكنة دون تعبير،

ولكن عقلها لا يستوعب هذا الآن!

_خضتني يا أسرحد يعمل في حد كده!

قالتها وهي تضع كفها مفروداً على صدرها اللاهث،

ليرد أسرهدوء:

_واقفة كده ليه؟!

عمل عقلها بعد ثوانٍ معدودة مذكراً إياها بأن هذا أسر،

والذى غاب خمس سنوات كاملة دون حتى مكالمة هاتفية،

فأشاحت بوجهها عنه، وهي تتقدم للداخل وتقول

بأقتضاب:

_مفيش .

هدر صوته جاداً من خلفها قائلاً:

_أروى!

وقفت مكانها مولية إياه ظهرها، تزدرد ريقها بتوتر، قبل أن

ترد بدورها:



_نعم .

قال اسر بنبرة أمرة، بها من الهيمنة ما جعلها تمتثل لأمره:

_بصيلي .

لا لا هي ليست مستعدة للمواجهة الآن، تريد الهرب حيث
غرفتها الآمنة حالياً، ولكن لا مجال للهرب، فأثرت الشجاعة
على الجبن وهي تلتفت له قائلة بنبرة منخفضة :

_نعم .

_كنتى واقفة كدة ليه ؟!

سألها مباشرة لترد بعدها بتردد :

_كنت كنت بدور على حاجة وقعت منى .

التوت شفتيه بشبح ابتسامة قبل أن يعود لجديته مرة
أخرى، رامقاً شعرها المكشوف بنظرة نارية شابتها رغباً عنه
لمعة خاطفة وهو يرى شعرها مرة أخرى بعد سنوات..
"البرتقالى!"



كادت الابتسامة تفضحه بظهورها على شفثيه إلا أنه كبجها
بصرامة، عائداً بنظره من شعرها إلى عينيها قائلاً:

_حجابك فين ؟!

شهقت أروى بحراج هذه المرة وهى ترفع كفيها عالياً فوق
رأسها وكأنها تداريها بذلك!

الآن عرفت سرنظرته المطولة لها انتقالاً من شعرها إلى
عينيها، لذا فرت هاربة بسرعة وهى تقول :

_نسيته !

شيع إثرها بنظرة مطولة بعد رحيلها، قبل أن يهز رأسه بيأس
منها ومن عدم تغير أفعالها المتهورة حتى يومها هذا!

وكان السنوات لم تمر، وكأنها ذات الطفلة التى تركها
متعلقة بعنقه منذ خمسة أعوام !

لم تتبدل ملامحها الجميلة، لم تتبدل طباعها المتهورة، لم
تتبدل نظرتها له والتى يمتزج فيها الوقار بلمحة عشق تفضح

ما تكنه له، مع لمحة من غضب وعتاب زائدة عليها الآن، و
ياله من مزيج !

أروى .. مهما استطاع كبح جماح عشقه نحوها يشعربأن
الأمور تكبر عن متناوله، والزمّام يفلت من بين يديه، ربما
إرادته بالجام عشقه نحوها هي ما جعلته يبتعد كل تلك
السنوات، ولكن على ما يبدو أنها أثمرت نتائج
عكسية، عكسية تماماً عما كان يريد!
فما زاده البعد سوى اشتياقاً!

هي كبرت على اهتمامه وتعلقها الشديد به، وهذا ما يجعله
يخشى أن يأتي يوم من الأيام تكتشف فيه بأنها أخطأت
الحكم على قلبها في طفولتها ومراهقتها!

ولكن ما باليد حيلة، فقد نفذ القدر، فكان ومازال دائماً و
ابداً "أروى ل أسر" و "أسرل أروى" حتى لو اعترض كلاهما
على الأمر!

=====

ثانى تجمع لهم فى البيت، نظراً لوجود عبيرو معاذ
المستحدث؟ ومرض أدهم للاطمئنان عليه!
لكن هذه المرة تبدلت الوجوه، كما تبدلت المشاعر
المتنافضة!

التجاهل واللامبالاة اليوم كانت من نصيب حازم، الذى
عرف أنها طالما تضمن حبه لها فلن تحرك ساكناً نحوه!
وكان ذاك التجاهل بمثابة ضربة لكبرياء حلا هذه المرة،
فمن يكون هو كى يتجاهلها بهذا الشكل!
غافلة -بالطبع- عن أفعالها معه والتي أثمرت ذلك!



حيرة ونظرات متشككة من قبل مراد الذى لم يرفع عينيه
عن "سمية" ..

تبدو منزوية بعيداً عنهم، لا تختلط بأحد، هو يعلم أنها
كذلك دائماً، حقيقة هى وأمها وكأنهم يتنزهون عن التعامل
معهم، ولكنها هذه المرة مختلفة، فعينها تحكى أشياء كثيرة،
عينها التى لم تُرفع عن زين منذ أن وطأت قدمها أرض
البيت ..

وبحكم خبرته كرجل فلن تنظر أنثى لرجل بتلك النظرة إلا
إذا كانت .. تحبه!

والخاطر الأخير هو ما جعل ضيق غير مبرر يتسلل إليه،
ضيق به لمحة من الغضب ..

لمعة جديدة أضفت على سمرة عينيه جمالاً!
وهو يراها تجلس بعيداً عن الآخرين قليلاً، بثيابها
المحتشمة، رغم أن ملابسهن جميعاً محتشمة لكنها

تختلف، تبدو "ملتزمة" أكثر من الجميع، بفستانها المتحفظ
الواسع، والحجاب الذى يغطى نصفها العلوى ويطول،
وبالرغم من ذلك لم يقلل من جمالها شيئاً، بل على العكس
ينطبق اسمها عليها بشدة، "درة" فكانت درة تحفظها عن
العيون، لذا أبعد عينيه عنها بسرعة وهو يشعر بأنه يتجاوز
خصوصيتها بمراقبته لها وهى منزوية تقرأ وردها اليومى من
المصحف الشريف ..

هو صحيح لم يرها منذ وقت طويل، ولكنها لم تكن فى عينيه
أكثر جاذبية من قبل، ربما طريقة ثيابها الجديدة هى ما
جعلها متميزة عن الجميع أم ماذا؟! هو لا يعرف تحديداً، لا
يعرف سوى أن عينيه متعلقتان بها بشدة وكأنها الوحيدة
الذى يراها هنا.. وكأنها ما كانت أمامه كل تلك السنوات من
طفولتهم وصباهم!

_فارس، يا فارس .

صوت حازم الذى جاءه فجأة وهو يهزه بطريقة غريبة جعلته يلتفت إليه بتذمر خارجاً من غمره شروده، تأفف بضجر وكأنه آخره عن إتمام "رسالة دكتوراة" ما، قبل أن يقول بتذمر:

_نعم عاوز ايه، ادينى اهو.

ارتفع حاجب حازم بتعجب وهو يقول بسخرية :

_مالك يا بابا فى ايه، وعينيك هتطلع على ايه وانت واقف كده .

رمق فارس درة بطرفٍ خفى، ليجدها قد نهضت من مكانها وتتجه مع الفتيات إلى مكان ما، ومن الواضح أنها انتهت مما كانت تفعله، وانتهت معها فترة تأمله، فالتفت لحازم باهتمام وهو يقول من بين أسنانه :

_مش ببص على حاجة، ادينى متنيل واقف زى كله ما واقف مفيش حاجة، وبعدين عاوزنى ليه .



نظرله حازم متفحصاً بنفس الحاجب المرتفع قليلاً قبل أن
يرمق فراغ درة بنظرة ذات مغزى ثم عاد إليه مبتسماً بخبث
ليقول :

_ لا يا حبيبي سلامتك كانت بس درة بتقول أن أدهم لازم يغير
ع الجرح بتاعه، بحكم أنها في صيدلة وليكم في المجال سوا
وكده فجيت اقولك الأول .

هدأت ملامح فارس وابتسم فجأة وهو يقول :

_ تمام اوى انا جاى اهو، يلا بينا .

ضيق حازم عينيه بتفحص قبل أن يقول وهو يلتفت معه
مغادراً :

_ جتكم نيلة، عيلة دماغها ملحوسة .

_ بتقول حاجة يا حازم ؟

_ اه يا خويا بقول، بقول نلم نفسنا شوية عشان بقينا
مفضوحين اوى.



هتف بها حازم بفضاظة وهو يستدير له فلم تتأثر ابتسامة

فارس وهو يقف قبالته، قبل أن يقول باستفزاز:

_انت مالك، وبعدين انت اخرمين يتكلم اصلا، وتسكت

خالص لحسن وربي اسلط حلا عليك توريك نجوم الضهر

اكثر ماهي مورياك يعنى .

ضحك حازم عالياً وهو يقول بسخرية :

_اسكت مانت ماتعرفش المستجدات، دي ورتنى الهلال

نفسه بعد العصر.. اه والله تخيل.

ربت فارس على كتفه بسخرية وهو يبتعد عنه يهز رأسه

بيأس قائلاً:

_ربنا يشفيك يا ابن عمى بينها اثرت على مخك صحيح .

ضحك حازم على حديثه مرة أخرى، قبل أن يلتفت على

صوت درة يأتيهم من الخلف قائلة بهدوء :

_ابيه حازم، انتوا اتأخرتوا كده ليه .

التفت حازم لها مبتسماً ثم قال بخبت :



_معلش بس اصل فارس كان قاعد يتفرج على...

قاطعه فارس بسرعة قائلاً :

_كنت بصلى الضهر بس وحازم جالى وقتها .

ابتسمت درة بهدوء وهى تقول :

_ولا يهملك يا "ابيه" تقبل الله.. ابيه ادهم مستنيكم .

قالت جملتها ثم ألتفت مغادرة، ليسقط فك فارس السفلى
بصدمة، وسلم حاجباه على مقدمة شعره وهو ينظر إليها
ترحل !

بماذا نعتته للتو "أبيه"، من أبيه هذا ؟ أحقاً تراه كأخيها،
ماذا حدث للتو؟!

تدارك فارس ملامحه وهو يقيق على صوت حازم الضاحك
عالياً بشدة، وكأنه لم يضحك منذ أعوام، حتى استند على
الحائط من خلفه يتجنب السقوط من شدة الضحك،



فرمقه فارس شزراً، قبل أن يتحرك حازم دافعاً إياه من ظهره بخفه، محاولاً السيطرة على ضحكاته، وهو يهتف :
_ يلا، يلا يا ابيه عشان ابيه ادهم مستنيك .. حلوة ابيه دى ..
تصدق والله ان أروى حتى مبتقولهاش...دانت حظك ف رجليك .

مريمهم مصطفى بتجهمه، متجهاً نحو الحديقة فوجدهم هكذا، حازم يكاد يموت ضحكاً، وفارس فى حالة صدمة ويبدو أنه قد نسى فمه مفتوحاً، فرفع حاجبيه بتعجب من حالهم الغريب، لماذا جميعهم يتصرفون كالأطفال؟!
ليهتف مصطفى بصرامة:

_ ماتمشى انت وهو، بتضحكوا على ايه؟!
حاول حازم السيطرة على ضحكته، وهو يدفع فارس دفعاً ويمشى جواره مبتعدين عنه، متجنبين غضبه الذى لا يعرف تمييز!

=====



"هل ستغفر!؟"

خرج مصطفى إلى حديقة المنزل مرتبياً فوق المقعد الخشبي
الموجود في الحديقة، مواجهاً لشرفة غرفة جده!
"شرفة جده"

إحدى الأماكن التي تحمل لها ذكريات..
مازال الصوت يتردد في أذنه، والأمر يتجسد أمامه وكأنه
يحدث أمام عينيه الآن..!

((_الله يا مصطفى، بص المنظر من بلكونة جدك هنا، تحفة
أوى .

يتذكرونها كيف أحاط خصرها بذراعيه، وقبل عنقها
المرمرى وهو يهمس :

_هوبس حلوة شان انتى واقفة هنا، وشايفاه بعيونك
الحلوين دول .

_ ماهى عيوني مش بتشوف غير الحلو عشان كده شافتك .))

ضحك بتهكم وهو يعود لواقعه مرة أخرى، كل هذه ذكريات،
ذكريات جميلة رحلت مع رحيلها، وانطوت، ولن تحدث
مثيلتها أبداً!

أطرق مصطفى برأسه أرضاً والذكريات تتوالى ذهاباً وإياباً
على مخيلته ..

فلم يعد لديه سواها وقطعة منها مازالت باقية متمثلة في
"طفلته"، والتي لولاها لما عاش إلى الآن، بعد أن رحلت!
رحلت وهى غاضبة منه، رحلت يوم مولد طفلتهما، وهى
تظنه قد .. قد خانها !!

رفع مصطفى رأسه فجأة ليجدها هناك، لا ليست من تتوالى
ذكرياتها عليه، بل يارا !



واقفة في شرفة جده محل الذكرى القديمة، تلاعب طفله ذات العامين، في أرضية الشرفة، حيث رآها من الفتحات الواسعة بين السور الرخامى..

ورغم هذا البعد، قد شعر بفرحة الصغيرة وهى تهفو إليها، وتضرب بيديها المكتنزتين فى الهواء، وضحكاتها الصغيرة يتردد صداها البعيد فى هذه المسافة بينهما!

تلك الصغيرة من تُظلم معه كثيراً، بل كثيراً جداً وهو غير قادر على تعويضها بأم فى هذا السن ..

الطفلة رغم سنواتها القليلة إلا وكأنها تشعر بشئ ينقصها، تفتقد للدفع، وللحنان، رغم أنه لديه والدته وأخته، إلا أنهما لا تفيان بالغرض أبداً..

فأمه تعتبر نفسها أعلى من أن تتعامل مع ابنة كنتها الراحلة، وكأنها ليست حفيدتها، بنت ابنها مثلاً..

أما أخته فتجد من العلل ما يمكنها من الابتعاد عن الطفلة، إما دراسة، أو جامعة، أو أصدقاء..!



كلها حجج وهمية ترفض بها بأن تمضى ولوبضع لحظات مع الطفلة..

وهي لا تحتاج إلى رعاية فقد أتى لها بمن يتكفل بها، ولكنها تفتقد الدفء والحنان كثيراً، وهو بغير قادر على منحها إياه..

ف "فاقد الشئ لا يعطيه" على كل حال!

أفاق فجأة على عينيها تصدّمان بعينييه من بين فتحات السور مما جعله يجفل قليلاً، وقد كان مستغرقاً في تفكيره إلى حد جعله يغفل عن مراقبتها له كل تلك الدقائق الماضية..

فأعادت وجهها للطفلة، قبل أن يراها تحمل الطفلة وتنهض بها، وتدخلان إلى الداخل لتتوراى عن ناظره.



ظل مصطفى ماكثاً مكانه لم يتحرك، وهو يعود بذاكرته إلى
ذاك اليوم المشئوم، يوم فقدوها فيه!

نرمين، زوجته، أولنقل الرحلة..

فتاة بسيطة من عائلة بسيطة جداً، متوسطة الأحوال
المادية، كانت تعمل لديهم في شركته هو ووالده!

وقد وقع أسيراً لعينها منذ أن رآها، معارضاً رغبة والده و
والدته المستميتة بأنها لا ترقى لمستواه، ولا يصح له أن
يتزوج ممن هي أقل منه مكانة، ولكنها لا لم تكن أقل منه
مكانة، بل حُسن أخلاقها -من وجهة نظره وقتها- كان كفيلاً
بحعلها أعلى منه شأنًا وأعظم قدراً..

ومع تمسكه الغريب بها وافق والديه على مضض بأن
يتزوجها، ليروا نتائج ذلك الزواج غير الحاصل على رضاهم!
وبالفعل تزوجها، وكانت حياتهم هادئة، هنية، حتى أنها
حملت في طفلهما واقترب موعد ولادتها جداً!



ولكن أتى يوم كان، اسوء يوم فى حياته بالمعنى الحرفى..
يوم كان فى الشركة يحاول إنهاء أعماله سريعاً ليعود إليها،
وقد كان لديه مقابلة لوظيفة شاغرة لديهم فى الشركة!
كان منكباً على عمله بينما يستعد لإجراء المقابلة، فرفع
وجهه عن أوراقه، على صوت طرقات مستفزة لحذاء ذو
كعب عالٍ جداً، يحيط بقدمين تقتربان منه دون توقف،
حتى أنها التفت حول مكتبه مقربة منه، رفع مصطفى
وجهه ينظر لصاحبة الجسد المشوق التى تتقدم منه حتى
كادت أن تلامسه، فعقد حاجبيه وهو يميزها، زميلة قديمة
من أيام الدراسة!

رفع حاجبيه المنعقدين بدهشة وهو يقول :

_ مروة !

ابتسمت تلك المروة بتملق وهى تقول بصوتها الذى خرج

ناعماً جميلاً بطريقة مستفزة :

_ كويس انك لسه فاكرنى يا مصطفى .



اضطرب مصطفى وهو يتذكر تملقها القديم له، ويذكر أيضاً
عن الحديث المشاع عنها في الجامعة بأنها كانت تهيم به حباً،
وربما هذا ما جعلها عالقة بذاكرته إلى هذا الوقت !
ليستقيم مصطفى واقفاً على قدميه وهو يرجع خطوتين
للخلف قائلاً باقتضاب :

_ معلىش كان نفسى اقولك اتفضلى بس آسف عندى مقابلة
شغل دلوقتى، ممكن تنتظرى ونتكلم وقت تانى .
اقتربت منه الخطوتين اللتان ابتعدهما بجرأة زائدة، وهى
تقول ناظرة لعينية :

_ ماهو انا إلى متقدمة للشغل، ودى مقابلتى ووقتى انا، ياه
يا مصطفى اشوفك بعد كل السنين دى تانى .. مكنتش
مصدقة وانا بقرأ الإعلان واسمك موجود جنبه، قولت دى
فرصتى عشان نقدر نقابل بعض تانى ويرجع إلى كان بينا
زمان .



حين تجرأت ووضعت يديها فوق صدره، احتاج غاضباً وهو
يزج بيديها بعيداً عنه، قائلاً بعصبية :

_اتفضلي أخرجي من هنا لو سمحتي، هنا مكان محترم
ملكيش مكان فيه، لولا اني عامل حساب للايام إالى فاتت
كنت طلعتك من هنا بفضيحة، اتفضلي أخرجي .

اقتربت منه مرة أخرى بإلحاح وهي تهتف برجاء :

_يا مصطفى ارجوك اسمعني، انا عارفة انك بتحبني، بس
مكنتش بتعرف تتكلم معايا، انت بس وحشتني .

ودون سابق إنذار بعد حديثها غير المترابط، وجدها تقترب
منه بسرعة لم يستوعبها، مقبلة إياه بجرأة غير طبيعية!

وقبل أن يتدارك نفسه ويحاول أبعادها عنه، وفك تشبثها
به كان الباب قد فُتح، ودلفت منه نرمين بملامح متجهمه

مصدومة ! ومديرة مكتبه خلفها تهتف بأنه غير مسموح لها
الدخول، شكلها يوحي وكأنها كانت علم بما يحدث هنا، أو

أنها تلقت إنذاراً !



أبعد تلك اللزجة عنه بسرعة وعنف، وهو يتركها الآن غافلاً عنها، متجهاً نحو نرمين التي تصلبت مكانها كلوح خشبي، فامسك بكتفها يترجاها أن تسمع منه، ولكنها كانت كمن غُيبت عن الواقع ولا تسمع من حديثه شيئاً!

وفي غمرة انشغاله بها، كانت تلك الفتاة قد فرت هاربة دون أن يشعر أحدٌ بها!

ولكن مصطفى لم يهتم حالياً فقد كان مشغولاً بما هو أهم، نرمين التي ظلت مصدومة لبضع لحظات قبل أن تصرخ فجأة عالياً، ممسكة ببطنها المنتفخة بيديها صارخة :

_الحقنى يا مصطفى بولد!

=====

كانت ملامح مصطفى الآن فى واقعه منعقدة بألم وكأنه يعيش الذكرى من بدايتها؟ من جديد!

وكلمتها التي قالها تتردد فى أذنه، حين أدخلها سيارته ممسكاً بيدها يحاول تهدئتها ويهمس لها بأن كل ذاك كان كذباً، كله

كذباً، لكنها كانت في حالة لا تمسح لها بسماع أى شئ، ولم يكن يتردد في مخيلتها سوى مشهده وتلك الفتاة في أحضانه، لتقول بصعوبة من وسط صرخاتها وهي تحاول التقاط أنفاسها بصعوبة :

_مش مسمحاك يا مصطفى، مش مسمحاك، كانت كل احلامى انك تفضل محافظ عليا وتصون كرامتى، لكن دلوقتى لا، مش مسمحاك .

ترقرت الدموع في عينيه وهو يشعر بالمشهد يتجسد أمامه الآن!

يدها التي أفلتت من يده بعد أن تم نقلها إلى غرفة العمليات على ذاك السرير المتحرك، خروج الطيبة من الغرفة بعد فترة وهي تقول بملامح متأسفة :

_البقاء لله، ربنا عوضك بينتك منها .



عوض مَنْ عن مَنْ؟! هل بعد حبيبته عوض سيجدى نفعاً
!؟

لقد رحلت، هجرتها روحها بعدما توقف قلبها أثناء ولادتها
المتعثرة..

لماذا وقتها تحديداً، لم يكن القدر رحيماً معه.. أبداً لم يكن
كذلك..

وهو لا يعترض على إرادة ربه، ولكن ليس وهى غاضبة منه،
ليس وهى تعتقد بأنه قد خانها..
ليتعذب بعدها كل يوم، وكأنه قد خانها فعلياً..

ومن السبب فى كل هذا!؟

لا لم تكن تلك الفتاة التى يتمنى لو كان أزهرق روحها بين يديه
ذاك اليوم، فهى لم تكن سوى دمية تتقاذفها يد من هو أعلى
منها تفكيراً وتخطيطاً!

كان صديقه !

هشام .. ذاك الصديق الذى كان مجرداً عميلاً لديهم، أصبح بعدها أكثر من صديق لمصطفى يرتقى لمرتبة أخ! أدخله بيته وأتمنه بعد أن ظن أنه أخيه الثالث، ولكن لا .. لم يكن كذلك، لم يكن سوى أفعى، كلب عض اليد التى امتدت إليه..

اتضح ذلك إليه بعدها من تلك الفتاة حين ظل خلفها حتى استطاع القبض عليها، بفضل معرفته بعض المعلومات القديمة عنها..

حينها قالت بعد ضغط شديد عليها كي تعترف :

_انا مليش فيه، مكشش ليا ذنب، هو إالى وزنى انى اعمل كده، لما عرف أنى كنت بحبك من زمان، صاحبك هشام، هو إالى خلانى اعمل كده بعد ما شاف مراتك وعجبته، وكان عاوزها ليه، قالى انه هيضرب عصفورين بحجر، يخلى مراتك تسبك بعد ما تعرف انك خنتها، وبعدها الطريق يخلالى انا بعد ما تطلقها.. واختارنى انا بالذات عشان لما

مراتك تعرف ان فيه معرفة قديمة بينا تصدق انك
بتخونها!

يتذكر يومها كيف هوى على وجهها بكفه صافعاً إياها بشدة
وهو الذى لم تمتد يد له على امرأة من قبل، لكن وقاحة
اعترافها، وعِظم الذنب الذى فعلوه وجعلوه يخسر زوجته
كانوا يعموا عينيه عن التمييز!

لا يعلم بعدها ماذا حل بالفتاة بعدما اشبعها ضرباً وكاد
يزهق روحها مفرغاً فيها كل شحنات غضبه منها ومن ذلك
النذل الذى فرّ هارباً خارج البلاد ولم يعرف عنه شيئاً إلى
الآن، ولم يعرف أيضاً كيف علم كل هذا عن ماضيه، وعن
الفتاة التى كانت تحبه أيام الدراسة وكيف إستطاع فعل
هذا به مفقداً إياه زوجته..

يومها أبعدته أخوه وأولاد عمه عن الفتاة قبل أن يقتلها،
وتولى زين وحازم أمرها، فلم يعلم عنها شيئاً بعدها..



وها هو الآن يجلس في حديقة المنزل تعود الذكرى لتحتل
كيانه من جديد، مفقدة إياه عقله وهو يفكر كيف كانت
لتكون حياتهم الآن لو كانت حية تُرزق معهم هو وابنته؟!
هل ستغفر؟

هل ستعفى عينيها عن ذنبك..
هل من ملجأ آخر لقلبك..
هل ذنوبك بفعل يدك أم كنت في دوامةٍ كبرى تركض..
لما أثقلت ذنبيها..
فوراً تخلت روحها..
وتركت أنت على قوارع الطرقات تشقى بحبها..
مهما تكاثرت الذنوب..
فالقلب في الحب يذوب..
وما بين عشقك.. بين ذنبك..
هل لقلبك أن يتوب..؟!
=====

الفصل الخامس

=====

"سيسيرُ كلُّ منا في طريقه، أنت نحوى .. وأنا نحوك"

-جبران خليل جبران.

=====

بعض القرارات تلزمنا حكمة لإتخاذها، مثل ما سيقبل عليه الآن .. قرار تطلب منه التحلى بالحكمة فى سبيل إتخاذها، بينما هى بعيدة كل البعد عنه!!

دلف أسر إلى غرفة والديه بعد أن طرق بابها ليسمح له بالدخول، فوجدهما يجلسان سوياً، ليتقدم ويجلس جوارهما، حينها قال والده بهدوء :
_ خيراً أسر.

ابتسم أسر بارتباك، واستهل حديثه بمحاولة لصبغ الموضوع ببعض المرح :

_ لا ماهو خير انشاء الله.

بادله والده الإبتسامة بملامحه الشبيهة لملامح أسر كثيراً :

_ طب قول .

ليرد أسر بدوره سريعاً ملقياً بطلبه :

_ كنت عاوز اخود إذن حضرتك عشان اسافرتانى .

شهقت عبير، ورفعت قبضتها إلى صدرها الخافق هاتفة

بجزع :

_ تسافر فين يا أسر، احنا لحقنا نيجى عشان تروح تانى،

وبعدين احنا مش اتفقنا اننا هنستقر هنا خلاص .

أطرق أسر بوجهه أرضاً..

هذا هو الرد الذى كان يتوقعه على طلبه، وهو لا يملك تبريراً

سوى الذى سيقدمه الآن :

_ ايوا يا ماما بس انا شغلى كله هناك، دنيتى كلها هناك،

واحنا جينا بسرعة كبيرة جدا، من غير ما اعرف ارتب اى

حاجة وكل حاجة هناك واقفة لعدم وجودى، الشركة
والمكتب واقفين .

عقدت عبير حاجبها وتجهمت ملامحها برفض دون أن
تقول شيئاً، لكن زوجها من تكلم قائلاً بهدوء وعقلانية :
_ ماشى يا أسر، انا موافقك فى الكلام إالى بتقوله وسفرك
مؤقتاً لأبد منه عشان اغلبية أعمالنا لسه متعطلة هناك،
لكن وجودك هناك حالياً مش هينفع خالص، احنا لسه
مخلصناش من الفضيحة إالى جينا بسببها هنا .
بدت ملامح أسردون تعبير وهو ينظر لكليهما، قبل أن يتهد
باستسلام قائلاً:

_ خلاص يا بابا إالى تشوفه، هنتظر شوية وبعدين اسافر
بس مش هستنى كثير.

_ مفيش مشكلة، وفى الوقت ده الدنيا مش هتقف يعنى
مساعدينك كثير يمشوا الامور هناك على أنت ما تروح .

اوماً أسر مبتسماً وهو يستقيم واقفاً قائلاً:

_ خلاص يا بابا إلی تشوفه .

ثم نظربعينية الزرقاوتين نحوأمه غيرالراضية، لينحنى

مقبلاً رأسها قائلاً بمزاح :

_ خلاص بقى يا عبير فى ايه، ادينى مش مسافر على طول يا

ستى، وقاعد هنا لحد ما ربنا يريد .

ضربت على كفه بخفة، هاتفة بحنق :

_ اعملك ايه يعنى، مانت و خواتك محدش مريحنى من

ناحيته، ودايماً على مشغول بىكم .

ضحك أسروهو يقبل رأسها ثانيةً، يسترضيها بقوله :

_ لا اطمنى يا ست الكل، ولادك مش صغيرين .

.....

وظل الحوار المرح بينهم ممتداً لعدة ثوانٍ لم يدرفيها أحد

بتلك التى كانت تقف خلف باب الغرفة، تنوى إعلامهم بأن

موعد الغداء قد حان، لكن صوت أسروهو يتحدث عن

السفر كان قد استوقفها صدفة لتسمع حديثه عن رحيله
القريب، فأظلمت الدنيا أمامها، ونست ما أتت من أجله
أصلاً، قبل أن تستدير على عقبها عائدة إلى غرفتها!
أوجدته حتى تفقده مرة أخرى؟

ها هو سيسافر من جديد دون حتى إعتذار عن غياب خمس
سنوات كاملة..

سيغيب مرة أخرى تاركاً قلبها يكتوى بناره دون أن يعبأ بها..
أحياناً تظن فعلاً أنها أخطأت الحكم على قلبها في طفولتها
ومراقتها حقاً..

أخطأت بشدة حين سلمته من يستمتع بعذابها بعيداً عنه
كل تلك السنوات..

أخطأت؟!

وكأنها فعلاً تمتلك حق الاختيار..

=====



"وفي عَيْنِكَ..

حكاية... حكايتي، رواية ناقصة قررت بالأّ تكتمل حين
أوجعها فُراق أبطالها..

في عَيْنِكَ..

ميناء قيدي.. قيد قلبي، غريق يتمنى اللانجاة..

في عَيْنِكَ..

بساتين ورد بحمرة خديك، بنظرة مني خلصة..

في عَيْنِكَ..

ابتسامتي، بريق ألف ابتسامة.. راحة واحتياج لا ينتهى..

في عَيْنِكَ..

ربيع.. عشق ربيعي وخريف العمر الباقي..

في عَيْنِكَ..

دندنات فيروز وقصائدي المخفية..

في عَيْنِكَ..

وطني، وكوَطني أنتَ إستثنائي بكل ما فيك..



في عينيك..

أنا، أنا الضائع..

في عينيك

الهلاك، والنجاة.. في أن!

-لقائلها..

اجتمع الشباب مرة أخرى خارجاً في الحديقة بفكرة من زين
خطرت له، وكأنه يريد تبديل تلك الذكرى البائسة لأدهم
بأخرى أكثر بهجة، كي لا يمقت تجمعهم العائلي ويعتبره
جالباً لذكرياتٍ موجعة..

ولكن حال الجميع كان متبدلاً عن المرة السابقة، لا يعرف
أكان للأحسن أم للأسوء، ولكن الجميع كان يضحك
بسعادة، حتى وإن كانت ضحكة مصطنعة، مزيفة على كثير
من الوجوه، ولكن يكفي بأنها موجودة حالياً..

هكذا فكر زين ليشاركهم الحديث المرح والضحكات بشرود،
وذهن صافٍ في ذكرى عINAN تداهمانه..

"عينها تداهمانه"، و"حجر الزمرد" في عينها يزداد توهجاً
في ذاكرته كلما الحت عليه الذكرى..

يبتسم ابتسامة فاترة وهو ينظر في وجوه الجميع وتعبيراتهم
المتباينة وكأنه بالتصوير البطئ..

كل ثغر مبتسم الآن، خلفه يحوى هموماً وأثقالاً يسعى
لتخبئتها، ولكنها تظهر على هيئة شرود لوهلة، نظرة حزينة
تطل من العينين على حين غرة من صاحبيهما!

حتى هو كذلك؟ ولن يفيدہ الإنكار..

الجميع يضحك حتى أدهم يشاركهم البسمات وقد بدأ
يندمج قليلاً، أما مصطفى.. فظلت شفثيه مطبقتين وكأنه

يحرّم نفسه حق متعة الابتسام..

هتف زين فجأة مُتسائلاً:

_"ماسة" فين يا مصطفى، جيبها نلعب بيها شوية.



لكن مصطفى رد باقتضاب :

_كانت مع يارا .

رفعت يارا رأسها بسرعة وهى تقول بارتباك :

_ايوا هى نايمة حالياً، ولو سمحت يا مصطفى سيها تبات

معايا انهاردة .

بدا مصطفى متردداً قليلاً أمام طلبها، ولكنه فى النهاية اوماً

بصمت، فتهللت أساريرها بفرحة، فالصغيرة "شبيهة أبيها"

تقضى معها وقتاً مستقطعاً من الزمن!

هتف حازم فجأة بمرح مما جعل الجميع ينتبه له، حتى حلا

التي لم يخاطبها طوال النهار:

_تعرفوا يا جماعة، كنت بقلب فى الفيس انهاردة بالصدفة

لقيت بيت شعربيقولك ايه، "اشيحي وشاح الشح عنك ولا

تكونى كثيرة الشح فى حبك، واغدقى على غادق غريق تغدق



قلبه غرقاً في حبك" اللى هو صاحب البيت ده كتبه ازاي انا
مش عارف.

لم يبد على أحد أنه فهم شئ من حديثه، لتقول منه فجأة :
_ الترجمة لو سمحت .

ضحك حازم وهو يجيها، ناظراً لحلا بنظرة مريحة لم تكن
كذلك لها، فقد رأتها بمثابة عتاب هي أعلم الناس لما يوجهه
لها :

_ يقولك "يا جارحني بلقمة ناشفة والعيش عندك طرى..
تقلان عليا ليه ما تحن يا مفترى".

ثم أتبع جملته بغمزة من عينه، جعلت جميع الموجودين
ينفجروا بضحك صاخب إثر حديثه الغريب، حتى مصطفى
لم يستطع كبح ابتسامته شقت طريقها على شفتيه، فكان
لحازم السبق والريادة في تحريك عدة تماثيل خشبية في هذه
العائلة ظن الجميع أنها لن تبترسم مرة أخرى!



حتى حلا التي تعرف أن الحديث موجهاً لها في الخفاء لم
تستطع إلا أن تدمع عيناها من شدة الضحك ..
فقد بدوا وقتها وكأنهم يتمنون أى شئ تافهٍ ليبددوا به قليلاً
من الجليد المتراكم فوق قلوبهم، وكأنهم يتمنون الضحك
حقاً..

ليهتف معاذ أخيراً وسط ضحكته :

_منك لله يا حازم ، قلبى هيقف .

حاول حازم كبج ضحكته وهو يقول :

_معلش بقى يا عمنا، ادينى رفهت عنكم .

ليهتف زين تلك المرة :

_هو كده معاذ مفيش حاجة تعجبه، حتى البلد مكنتش

عجباه وهرب منها لبرا .

نظرله معاذ وهو يقول بضحك :

_انت فيه ايه يا ابنى، طالعلى فى كل حاجة كده لحد ما بقتش

حاجة نافعة معايا خالص .



ضحكت منة وهى تقول غامزة معاذ :

_ليه يا زيزو "المزز" مكنوش على قد كده فى بلاد برا ولا ايه !؟

ليه تف بها زين بصرامة :

_منة!!

فابتلعت منة كلماتها على الفور وهى تنظرله باعتذار، قبل أن يضحك معاذ الجالس جوارها ويقول موجهاً حديثه لزين :

_انت خنيق ليه يا ابني ماتسيب البنت تعبر عن تساؤلاتها .
ثم نظرلمنة، و اجابها بمرح نادراً ما يتسلل إليه، إلا إذا كان مندمجاً مع ابناء إخوانه فى لحظة كهذه :

_تعرفى يا بت يا منة، حتى دى اخوكى كان باصصلى فيها،
حتى البنات هناك كان حظى فيهم شبه حظ المشط على
مراية الأقرع بالظبط، امك من يومها تقول عليا منحوس .
ضحك الجميع على حديث معاذ قبل أن يرد زين عليه قاذفاً
إياه بسترته التى يضعها جواره :



بقى انا برضو إالى باصصلك فى كل حاجة
ولا انت إالى حتى الرضاعة شاركتنى فيها .
ضحك معاذ عالياً تزامناً مع ضحكة الجميع، وقضوا معظم
الوقت الباقي على هذا الحال وكأنهم يشتهون الضحك فعلاً..

إلى أن انقضى الوقت وكلّ توجه لوجهته، إلا أروى التى
ظلت جالسة مكانها بوجوم، مقابلاً لها أسرا الذى لم يذهب
مع الجميع..
وتبدأ المواجهة..

=====

جلس أسرقبالة أروى فى حديقة البيت بعد انصراف
الجميع عداهما..

تحقق به بنفس نظراتها له، ولكن الآن بتغيير طفيف، فقد
زاد العتاب بهما أضعافاً، ومع ذلك كانت عينيها تبوح بما لا
يجرؤ لسانها على قوله..



ضمت أروى ركبتيها إلى صدرها دون أن تترك مكانها، وقد علمت أن وقت المواجهة قد حان..

بينما أسرّ ظل مكانه قبالتها، قبل أن تفاجئه أروى بقولها وهي شاردة في البعيد :

_فاكر السلسلة إلى كنت جايها إلى يوم عيد ميلادي، إلى قولتلي عليها انك ادتها إلى علشان افضل افتكرك بيها طول مانت بعيد .

نظر لها أسرّ مومناً برأسه دون حديث، قبل أن تستطرد هي بنفس النبرة :

_انا لسه محافظة عليها لحد دلوقتي، مفيش يوم قلعتها من رقبتى أبداً، بس .

صمتت لوهلة قبل أن تستقيم واقفة فجأة، ثم تقدمت منه، إلى أن انحنت أمامه وهو جالساً أرضاً بعد أن مدت يدها نحو عنقها ونزعت السلسلة عنها، ووضعتة في كفه



الذى فردته بيدها الأخرى، وأطبقت كفها على يده قائلة
بلهجة لم يسمعها منها قبلاً:

_سلسلتك اهى، مش هستحمل اسيبها فى رقبتى خمس سنين
كمان، على أنت ما تروح وترجع تانى .
صمتت له نينهة بعدها لانـت نبرتها قليلاً وهى تقول بخفوت :
_لانى تعبـت .

تركت يده لتستقيم واقفة وتبتعد تحت أنظاره نحو
الحديقة الخلفية للبيت..

نظر آسر للسلسال فى يده بتشتت وهو لا يعرف ماذا بها؟! ولا
لماذا تقول هذا الكلام؟!!

أيمكن أن تكون قد سمعت حديثه عن السفر أثناء كلامه
مع أبيه؟!!

نعم! ليس هناك تبريراً آخر، هذا بالتأكيد ما ألمّ بها وإلا لما
كانت أروى قد نزعـت شئ يخصه عنها قط..

استقام أسرواقفاً، مشدداً كفه على السلسال، قبل أن يلحق بها حيث رحلت !

دلف إلى الحديقة الخلفية ليجدها جالسة على العشب هناك..

"محلها القديم"، أو "محلها" القديم، ذلك المكان الذى أهداها فيه السلسال فى ذاك اليوم، وكان من قبلها مكانها المفضل دائماً..

تقدم أسرمها قبل أن يجلس جوارها أرضاً، ليجدها تبكى بصمت، دموع بغير صوت جعلته "يشفق عليها"، حقاً يشفق على تلك الطفلة التى تركها تتعلق به يوماً بعد يوم، دون أن يفارقها فى طفولتها ابداً..

لتبتسم أروى بتهكم مبروهى تقول بخفوت دون أن تحيد عينيها عن نقطة وهمية تنظر لها أمامها :



_ نفس المكان القديم، نفس السلسلة، نفس الكلام إلى هيتقال، نفس السبب إلى مخليك جى لحد هنا عشانه، هتودع عشان تسافر، عشان انت مش بتعرفنى غيرفى الوداع وبس .

رمقها أسربتشتت وهو يقول بنبرة تشبه نظرتة :
_ اروى .

_ خلاص يا أسر معدش ينفع كلام .
قالتها بحدة وهى تلتفت له، لتعلو نبرتها وهى تستأنف حديثها، تبوح بكل ما اعتمل داخلها لخمس سنوات دون أن تجرؤ على البوح به :

_ عارف .. مفيش يوم فى الخمس سنين إلى فاتوا عدى من غير ما المس سلسلتك على رقبتى واقول قريب يرجع، اه كنت صغيرة ومش فاهمة، بس الطفلة دى انت كنت بمثابة أبوها وانت سبتها ومشيت .. طفلة مش فاهمة انت سبتها ليه، طفلة فضلت تلوم نفسها وتقول اكيد عملت حاجة



غلط خلته يمشى وما يرجعش، ضميرك ما وجعكش وانت
بتعلقنى بيك يوم ورا يوم عشان تيجى بعدها تغيب خمس
سنين وانا بعقل طفلة اقول انا السبب انى خليتك تمشى،
ورغم كده فضلت اقول هيرجع مش هيفضل بعيد، بكرة
يجى، اجازة تعدى ورا اجازة، عمتو تيجى وتمشى، كل يوم
يعدى اقول الغايب حفته معاه، مسيره راجع .

صمتت لفترة وهى تتطلع له وقد اختنقت حدقتها بدموعها
فلم تقوى على كبحها، فسقطت على وجنتها كالألى التى
التمعت تحت ضوء القمر، قبل أن تستكمل ببطء وصوت
مختنق خافت عن حديثها السابق :

_مسيره راجع، عشان هو عارف انى بدونه مش عارفة
اعيش .



اضطرب قلب أسربشدة أمام كلماتها ودموعها بالأخص، هو
لا يعرف بماذا سيرر لها تغيبه، هو لا يعرف أصلاً لماذا تعمد
الغياب دون أى وسيلة تواصل بينه وبينها!؟

ليقول أسرفجأة بعدما لم يستطع تحمل تأثير دموعها
أمامه :

يمكن كان فاكرا نه كده بيحميكى منه، يمكن كان بيديلك
الفرصة تختارى بقلبك بعيد عنه، بعيد عن ما يكون
حواليكى زى انفساك، تختارى إالى انتى عاوزاه من غير تأثير
منه عليكى، يمكن حاجات كتيرة اوى انتى مش عارفاه يا
اروى .

صمت أسر منتظراً تعقيها على حديثه، بعدما قام بتجريد
مشاعره أمامه نهائياً، وقد أثبت بلسانه الآن أن "أروى ل
أسر" و "أسرل أروى" حتى وإن اعترض أحدهما على ذلك..
وتعقيها لم يأتية جديداً عليه، بل كان تكراراً لمشهد قديم..



استقامت فيه أروى على ركبتها مقتربة منه، محاوطة عنقه بذراعيها ولكن تلك المرة لم تصرخ فرحاً، بل بكت، بكت بخفوت وهى تخفى وجهها فى تجويف عنقه، هامسة باختناق :

ويمكن كان مايعرفش انها فضلت مستنياه، رغم أنها قدامها فرصة تختارزى ما هو بيقول، بس هى مش قادرة تختار غير تستناه، لا دى مش عاوزه تختار غيره، والفرق كبير اوى، اوى يا أسر.

لم يستطع أسرابعادها عنه تلك المرة، لم تقوى يداه على أن ترتفع وتبعدها عنه، بل لم تقوى إلا على أن ترتفع لتحاطبها، ضاماً إياها إليه.. رغم ذاك الشعور الذى راوده لحظياً أن هناك شئ ما خاطئ، والخاطئ هنا كان ما يحدث!!

لكنه تغافل عن كل هذا وعن كل أجراس الإنذار التى كانت تدق فى عقله كناقوس خطر تنبئه أن ما يحدث خطأ،

وجودها بين ذراعيه خطأ، فى أحضانها خطأ، وربما هى

بمثابة طفلة لا تفقه، لكن هو.. هو!!

هو لا شئ أمام سطوتها، هو العدم حين تتلاشى هى به كما

تفعل الآن!!

لكن من يفقه!!

رغم فعله الذى بعث رجفة بأوصالها، إلا أن قوله لم يكن

كذلك بل جعلها تتجمد بين ذراعيه :

_اروى انتى لسه صغيرة، والوقت قدامك طويل اوى،

حياتك هتتغير وافكارك هتتغير، ويمكن مافضلش فى نظرك

نفس أسربتاع زمان، انا مش عاوزك تختارى دلوقتى اختيار

تندمى عليه بعد كده، وتقولى انك اختارتى غلط وكنتى عيلة

صغيرة مش هقدر وقتها اسمع منك حاجة زى دى، مش

هقدر استحمل بعدك عنى، مش هقدر وقتها انى، انى اكون

سبب أنك تكرهى نفسك واختياراتك عشانى .



_مش هكره غيرك لو فضلت تقول كده، مش هكره غيرك وقت ماتسبني بحجة الكلام إالى انت بتقوله ده، لان محدش قالك علقي بيك من وانا صغيرة، محدش ضربك على ايدك وقالك خليك قريب منها لدرجة أنك كنت أقرب لها من نفسها ..لو مش عارف .

هدرت بها بأنفعال وهى تهب واقفة مبتعدة عنه، قبل أن تستطرد بنفس النبذة :

_خليك عارف انك وقت ما تعمل كلامك ده حجة وتبعد، على قد حبي ليك، على قد ما هكرهك يا أسر.

انهت جملتها لتستدير تنوى الابتعاد، ليقف هو بسرعة ممسكاً بساعدها يوقفها هى الأخرى قبل أن يقول :

_خليكى فاكرة كلامك ده، ويشهد علينا المكان ده، عشان يوم مايحصل إالى بقول عليه يشهد عليكى، انك اخترتيني، وبكامل إرادتك .

التفتت له تنظرله بلا تعبير، ثم قالت بخفوت :



_يعنى انت عاوز ايه ؟ انا معدتش فاهماك، معدتش فاهمة

انت بتحبنى ولا بتحب نفسك !؟؟

جذبها من ساعدها نحوه، فاقتربت منه بشدة حدّ تلاقى

انفاسهما، ليهمس أسربنفس لاهب لفح وجهها، وهو قريب

منها حدّ درجة مهلكة لكليهما :

_انا بحب نفسى عشان حبيتك!

اسبلت أروى جفنيها وهى تتماسك كى لا تبكى مجدداً قبل أن

تهمس بالمقابل :

_ماتسافرش تانى يا أسر، ارجوك .

تنهد أسر بحيرة قبل أن يقبل جبينها برقّة، ثم همس مجدداً :

_مش هوعدك مسافرش، بس إالى اقدر اوعدك بيه، انى

مش هسافر غير وانتى على ذمتى، او على الاقل خطيبتى.

=====



دلف معاذ إلى غرفة والده ليودعه قبل أن يذهب، فتقدم منه لينحني مقبلاً يده قائلاً:

_ انا ماشى يا بابا مش عاوز منى حاجة!؟

ربت أبيه على ظهره، وهو يقول مبتسماً:

_ عاوز سلامتك يا معاذ، بس كان نفسى تفضل معايا هنا .

ابتسم له معاذ ابتسامة لا تحمل أى أثر للمرح، بل حملت اعتذاراً ضمنياً، قبل أن يقول:

_ اسف، بس انت عارف انى مش هقدر.

ربت أبيه على كفه بحنو قبل أن يقول له بهدوء:

_ متأسفش يا ابنى، انا مش عاوزك غير كويس سواء جنبى أولاً، انا عارف إالى جواك .

اتسعت ابتسامة معاذ بأمّتان، قبل أن ينحني مقبلاً رأسه و يستأذنه ويذهب، ليتنهد أبيه بعد خروجه قبل أن يقول:

_ ربنا يهديك يا معاذ، ويريح بالك .

=====



وقف زين قبالة حازم فى مكتبه بعد أن عادوا لبيتهم وعاد حازم معه، ليتنافشوا فى بعض الأمور كان أهمها ما يحمله زين بين يديه الآن ويحقق به بتدقيق..

رسمة لوجه ذاك الصبى الذى التقاه زين بورشة "عم علام" واشتبه به بأنه من قام بتعطيل مكابح سيارته، قام بوصف وجهه لرسام ماهر قام برسمها بدقة، وها هى بين يدي زين الآن، يفكر فى خطوته التالية..

ليقول زين لحازم ومازال تركيزه على الصورة :

_عاوزك تاخود الصورة دى يا حازم تطبع منها نسخ، وتبدأ تدور على الشاب ده فى مصر كلها مش فى المحافظة دى بس، انا هعمل معاك اتصالاتى بردو، بس تبقى انت فى مكان وانا فى مكان عشان لو فى نيته انه يسافر برا مصر نلحقه قبل ما يخرج .

اوما حازم بموافقة، وبدأوا بالتحدث فى بعض التفاصيل إلى أن انتهوا وخرجوا سوياً من المكتب ونزلوا للأسفل..

ليجدوا معاذ جالساً جوار حلا ووالدته ينظرون لمنة أمامهم
بحنق وهي تصب جام تركيزها لشاشة التلفاز، تستمع لفيلم
كارتونى، دعتة ب "سيمبا" منذ قليل!!

جلس حازم وزين جوار معاذ، قبل ان يهز زين رأسه
مستفهماً مشيراً نحو منة دون صوت، ليرفع معاذ كتفيه وهو
يقول بخفوت :

_والله يا خويا ما اعرف اول ما جينا وشغلت التلفزيون،
لقت البتاع ده بحلقت فيه وعملت حظر على الكلام وزى
مانت شايف كده طفلة بتلات سنين بتتفرج على فيلم
كارتون ، مش انسة عندها واحد وعشرين سنة .

ضحك زين وهو يتطلع لمنة وهو يهز رأسه بيأس..
أما حازم فكان يرمق حلا بنظرة غامضة وكأنه يتوعدّها بشئ
ما، قبل أن يشيخ بوجهه ويواصل تجاهله لها، لتشتعل هي

مكانها وهى تتمنى لو تنهض الآن وتطبق على عنقه بيديها
لتخنقه وترتاح منه للأبد، بعدما فاض الكيل بكبريائها
المزعوم!

ليستمر الصمت بينهم، فيقطعه جملة صدرت عن فيلم
الكرتون الذى تشاهده منة، وجدت صداها فى قلب حازم
حقاً...!

_"أصعب قرار ممكن تعيشه، لما تحاول تتجاهل شخص
وهو بالنسبالك كل حاجة يا تيمون"

_"بس مش كل إالى بيوحشونا بنوحشهم يا بومبا"

_"مشكلة كبيرة لما تحب حد وهو مش حاسس بيك"

لم يستطيع حازم حينها إلا ان ينظر لحالاتى وجدها تنظر له
خلسة هى الأخرى وكأنها علمت أن الحديث قد لاقى صدها فى
صدره، فمهما كانت هى غير مبالية إلا أن داخلها ركن صغير
مازال يهتف باسمه!



"عارف لما تكون عاوز تعيط ومحتاج تترمي في حضن حد بتحبه عشان يهون عليك ومش لاقى لا صحاب ولا أهل ولا حتى حبيب، هي دي الوحدة، والوحدة في حد ذاتها شئ صعب اوى يا بومبا"

اخترقت الجملة عقل معاذ تلك المرة، وهو يتذكر عزله الإختيارية في بلاد غريبة، بعيداً عن أهله وعن من يحبونه! تلك الجملة فسرت شعوره في أكثر لياليه وقتها، ولم تخطئ ولو حرفاً واحداً، فقد كان وحيداً، وحيداً بشكل كان يجعله يعتقد بأنه سيجن يوماً ما!

"عارف أهرب من كل حاجة في حياتي، بس مش عارف اهرب لمن وأروح فين؟!"

تهمد معاذ بوجوم، وبعض جملٍ من هذا الفيلم قد بدأت تؤثر على الموجودين جميعاً وكأنه يحكى قصة حقيقة من



واقع حياتهم، لا فيلماً خيالياً بالمرّة، خاصة عندما صدحت
جملة أخرى تقول:

_"الماضى ممكن يوجّع، بس من وجهة نظرى يا تهرب منه، يا
تتعلم منه"

هذه المرة انتبه زين وهو يشعربأن الجملة قد وُجّهت له،
وذكرى "عينين زمردتين" تعودان لتداهمانه، تزامناً مع
ذكريات من كانت لتكون زوجته يوماً ما!

صدحت جملة أخيرة تقول :

_"بص يا سيمبا إالى ضيعنا بالقصد، مش هيلاقينا تانى
بالصدفة"

وكأن تلك كانت تحذير جماعى لكل الموجودين، بألا يضيعوا
ما يمتلكون بين أيديهم الآن، وألا يفرطوا فيه أبداً..
فما ضيعناه قصداً، لن يأتينا مرة أخرى صدفة!

بغض النظر عن نوع الشئ الذى سيضيع، إن كان بمثابة
شئ مهم، أو شخص ما!

وأخيراً انتهى الفيلم، وانتهت معه تلك اللحظات التى جذبت
كلاً من الحاضرين نحو ذكرى قديمة أو واقع يعيشه، جعله
يفكر فى وضعه مرة قبل أن يحدد أى خطوة سيأخذها
مستقبلاً!

تهد زين وهو يهز رأسه محاولاً تهدئة أفكاره المشتعلة قليلاً،
قبل أن يقول موجهاً حديثه لمعاذ :
_ لا قولى يا معاذ، اقولك يا عمى ولا اخويا ولا ايه حوارك
بالظبط .

ضحك معاذ وهو يقول بسخرية :
_ والله ما عارف، أسأل امك، او "أمنّا" بمعنى اصح .
ضحكت سامية تلك المرة وهى تنظر لمعاذ بحنان!

"ابنها الرابع"، حتى أنها من قامت بإرضاعه ليس كونها من قامت بتربيته فقط، بل كانت في مثابة أم لمعاذ، وإن لن يحل محل والدته أحد في قلبه!!

_والله لو عاوزين رأيي يبقى اخوك افضل .

قالتها سامية ببساطة شديدة، فضحك زين وهو يقول :
_انا بقول كده بردو؟ مانت مش اكبر منى بقرون من الزمن
يعنى .

_طيب يا عم الكبير .

قالها معاذ ضاحكاً، ليضحك حازم من بعده، وكأنهم لم يكتفوا من الضحك طوال الساعات الفائتة .

=====

في صباح اليوم التالي ..

جلس زين على مقدمة طاولة الفطور والجميع ملتفين من حوله، يأكلون بصمت، إلى أن انتهى هو أولاً، فنهض متوجهاً إلى غرفة مكتبه بعد أن أشار لحلا ولمنة قائلاً بجدية :

_تعالوا انتوا الاتنين عاوزكم فى مكتبى بعد ما تخلصوا .
غاصت منة فيما تأكله، وسعلت بقوة، فهززين رأسه
باستياء قبل أن يضع أمامها كوب ماء، وهو يقول بسخرية :
_اسم الله عليكى يا غالية .

ابتسمت منة له ابتسامة صفراء وهى تضيق عينها ناظرة له
بتدقيق، ولكن زين بادلها النظر بمكر قبل أن يذهب لاحقاً
بمكتبه..

نظرت حلا لمنة شزراً وهى تهتف من بين أسنانها :
_عملتى ايه يا مصيبة خلتيه يقلب علينا كلنا .

_وانا عملت ايه، انا مالى هو كل مصيبة تحطوها فوق دماغى
انا .

هتفت منة بحنق، وهى تستقيم واقفة لتذهب إلى زين، بينما
حلا زفرت بقوة مع مازالت جالسة مكانها، ليضحك معاذ
بخفوت وهو ينظر لها قائلاً بسخرية :

_يلا يا حلا، الحقى بأختك على أنا ما انصب صوان العزا .



تأففت بضجرو وتستقيم واقفة هي الأخرى، لتلحق بمنة عند زين..

وجدت زين يجلس خلف مكتبه ومنة تجلس في الكرسي المقابل له، فجلست قبالتها، قبل أن يرفع زين رأسه عن الأوراق التي كان يقرأها ثم قال بجدية ومباشرة بدون أى مقدمات :

_حلا، حازم وعمك محمد طلبوا ايدك منى امبارح .

صاحت حلا ومنة فى صوت واحد بصدمة :

_نعم .

رفع زين حاجباً واحداً وهو ينظر لكليهما قبل أن تتدارك حلا

نفسها وهي تقول بارتباك :

_ايوا يا ابيه بس، الحكاية انه ..

_وانا وافقت .

قالها زين مقاطعاً حديثها غير المترابط، لتلجم الصدمة

لسانها، فصمتت ولكن صمتها لم يكن استسلاماً بل كان

صمتاً مشحوناً بالكثير من التوتر، التردد، والكثير من
الرفض!

قام زين من مكانه، ثم جلس على الطاولة الخشبية التي
تنتصف المسافة بين مقعديهما، قبل أن ينظر ناحية حلا
قائلاً:

ـ ها يا حلا؟!

ـ يا زين انا مش موافقة، انا لسه قدامى سنة فى الكلية ولسه
قدامى حاجات كتير اوى عاوزة اعملها، والجواز هيعطلى .
رفعت حلا وجهها بعدما كانت تطرق به، لتقول وهى تزدد
ريقها:

ـ والحقيقة بقى ان حازم إالى هيعطلى مش الجواز.

ـ ايوا هى دى المشكلة .

قالها زين وهويلتقط طرف الخيط الذى باحت به لتوها،
ليقول بعدها بعقلانية :

ـ انا عارف ان دى مشاكلتك رغم انك بتحبيه .

_يا زين !!..

هتفت بها حلا بخجل معارضة حديثه، ليبتسم زين قائلاً:

_يا عبيطة، هاتتكسفى منى انا .

ابتسمت حلا وهى تطرق بوجهها الذى استحال إلى لون

أحمر قانٍ، ليضحك زين وهو يقول منهيًا الحوار:

_انا هبلغهم موافقتك، وعشان تطمنى انا اتكلمت مع حازم

فى الحكاية دى وهو مش معترض على دراستك إالى هتكملها

فى بيته، ولا على شغلك إالى بعد الدراسة .

_يا زين بس ..

_من غير بس يلا اتفضلى على كليتك .

هتف بها زين بصرامة، وهوى أمرها بالخروج، لتنهض حلا

مغادرة وهى تكاد تدب الأرض بقدميها رفضاً!

لكن وما إن خطت خارج الباب حتى وجدت ابتسامة متذمرة

تشق طريقها على شفتيها، غصباً!

وكأن قلبها رفض إلا أن يحتفل بهذا الانتصار على ذلك
العقل العنيد!

ولن تنكرباً أن ذلك الشئ النابض في يسارها، قد اشتعلت
أنواره فرحاً، ودُقت الطبول فيه احتفالاً، لعدم استسلام
الجهة المقابلة في تلك الحرب، والتي كانت بمثابة حرب بقاء،
إما النصر أو الموت الحتمي!

=====

"صدقيني حتى لو تخطئين ألف مرة ما تركتك لغريب!"

انزل حازم الهاتف عن أذنه بعد أن استمع الى موافقتها
الضمنية في تدميرها عبر الخط المفتوح بينه وبين زين !

ها قد فعلها ابن عمه، ووفى بوعده بترويض عقل تلك
المختلة؛ ليجعلها توافق عليه رسمياً، وباتفاق صغير بينهما
بأن يفتح زين الإتصال بينهم حين يدور بينه وبين حلا الحوار

ليستمع بأذنه إلى كل ما حدث، قبل أن يغلق زين الهاتف
خلصة معلناً عن انتهاء نقاشه مع حلا، بعد الحصول على
الموافقة بالطبع !

ها قد أصبح أكثر سكان الأرض فرحاً، رغم أن الفرحه
يشوبها بعض القلق من تدميرها، لكنها وافقت وهذا في حد
ذاته كافٍ !

=====



الفصل السادس

====

"القلوب أنواع..

فهناك قلوب تتعافى بمرور الوقت، وهناك قلوب لن تتعافى
ولو أمهلتها دهرًا، فستظل تلك الندوب تاركة أثرًا لا يُمحى!"

====

واقفاً أمام نافذة غرفة "ذكرى"..

يتطلع للمساحات الخضراء التي تطل عليها..

كانت ذكرى تعشق تلك المناظر التي تطل عليها شرفتها وهو
قد أخذ هذا عنها، أو "تعلمه" منها بالأصح، وأحبه لحبها له!

كم مر على رحيلها إلى الآن!؟

خمس شهور يعتقد!

إذاً لماذا يشعر بأنهم خمس ثوانٍ فقط لا غير!؟



فالالم مازال كما هو؟ دموعه مازالت كما هي، كل شئ كما هو منذ رحيلها..

حزن يخيم على البيت وكأن وجودها هو ما كان يبعث به بهجة انطفأت أنوارها برحيلها عنه..

هي لم تكن أخته فحسب، يقسم لم تكن كذلك، بل كانت أقرب من نفسه إليه..

يقولون دائماً أن الرجال يتمنون زوجات يشبهن أمهاتهم، ولكنه لا، لم يكن يتمنى زوجة تشبه أمه، كان يتمنى زوجة تشبه ذكرى، ذكرى فقط!

ـ مؤمن.

نداء أبيه أخرجه من شروده، ليجده يدلف إلى الغرفة التي بمجرد أن ولج إليها طافت عيناه فيها لوهلة تملك فيها الحزن منه، قبل أن يتدارك نفسه وهو ينظر لمؤمن قائلاً:

_انهاردة ماتجيش انت الشغل، خليك جمب والدتك عشان
تعبانة شوية وانا هروح الشركة عشان وجودي مهم هناك
انهاردة .

اوما مؤمن دون حديث، لينظر أبيه نظرة أخيرة للغرفة ويده
معلقة بمقبض الباب قبل أن يهز رأسه نافياً شيئاً وهمياً
بأسى، ويهمس بالرحمة على روحها مع تراجعه وغلق الباب..
التفت مؤمن إلى النافذة من جديد، قبل أن يهمس بعد فترة
طويلة، طويلة جداً :
_امين .

لا يعلم كم بقى من الوقت واقفاً هكذا، وكأنه ينتظر القدر
ليمن عليه ب "منة" ما..

ها هو يعلق نفسه بحبال ذائبة..
ما أدراه امها ستوافق، من أين يأتي قلبه بكل هذه الثقة يا
تري؟!



((ذكرى انا حبيتها، حبيتها أوى، على قد حبك لزین علی قد
حی لیها .

یتذکریومها کیف ضحکت ذکرى علی حدیثه وهى تهتف
بدهشة :

_لا إله إلا الله، انت حبيت؟! ومين؟! منة اخت زين!!
هتف بها بحنق :

_ذكرى اتلمى، انتی مش بتتعاملى مع عیل صغیر، احترمی
نفسك انا اخوکی الكبير.

ضربت ذكرى بيدها علی جبهتها وهى تقول :

_كل مرة تفكرنى انك اخويا الكبير، يا ابن الناس مانا عارفة
انك اخويا الكبير، انجزانت بس وقول حبيتها امته وازای
وفین ولیه ..و....

قاطعها مؤمن بمرح :

_حيلك حيلك يامة، رايحة فين كده!؟

اصطنعت ابتسامة بريئة وهى تقول :

_هتخبي عليا بردو، دانا وزه .

ابتسم مؤمن ببعض الخبث وهو يفكر أنه لم يكن ليخفى عنها شيئاً، أراد فقط فتح مجال مرح للحديث بينهما، ليتنهد أخيراً بخفوت وهو يقول ببعض الشرود :

_بصى يا ستي، انا حبيتها، من يوم ما شفتها، من أول مرة سمعت صوتها، من وقتها وانا عارف ان فى حاجة جوايا اتغيرت ومش هترجع زى زمان ابداً .

شكلها، هزارها، ضحكتها، صوتها، عينيها، كل حاجة فيها، كل حاجة اسرتنى بالمعنى الحرفى .

من يومها وانا مش عارف ابص حتى فى وش بنت تانية، كل إالى حصل معايا قبل كده اتنسى، بقت كل حاجة فى مهب الريح بمجرد بس ماشوفتها بتضحك .

تذكر كيف كان وقتها هائماً بحديثه عنها وذكرى تنظرله بتفهم، رغم المرح البادى عليها لكنه كان يشعر بتفهمها، ربما لأنها كانت عاشقة مثله وتعرف ماهية شعوره..))

على كلٍ لم يعد يهم الآن، لم يعد يهم إن كانت تفهمته أم لا،
فهي رحلت على كل حال..

يتمنى فقط أن توافق منة على ما طلبه من زين !

ليس لكونه يعشقها فقط ويريدها جواره، في الواقع حالهم
الكئيب بعد رحيل ذكرى جعله يفكر ألف مرة في التعجيل
بزواجه، أو بعرضه الزواج على منة بمعنى أصح، لكي تأتي و
تبعث في البيت بعضاً من بهجته التي فقدوها مع فقدها..

كذلك حال أمه كان دافع من الدوافع؛ فمن بعد موت ذكرى
وأمه قد فقدت النطق تماماً إثر صدمتها، ولا يعرف ماذا
يفعل كي يخرجها عن صمتها القاتل هذا وكأنها ترفض
الحديث بإراداتها..

فكان تفكيره منصّباً على تعويضها بإبنة تشغل بعضاً من
فراغ ذكرى بقلبيها..

رغم أنه يعرف أن أحداً لن يحل محل ذكرى مهما حاول،
ولكن وجودها قد يفيد ولو بالنذر اليسير مع عائلته !



وبالكثير الكثير مع قلبه المشتاق لها، ولوجودها معه..
مروقت كثير لم يرها فيه، تقريباً من يوم وفاة ذكرى،
ولكنها على عكس أخته تماماً؛ فإن كان يشعر بأن ألم فراق
ذكرى لا ينضب وكأنها رحلت من خمس ثوانٍ فقط !
فهو يشعر بأنه قد فارق منة منذ خمس دهور !!!
دهور تمر عليه بملل وهو يكتوى بنار بعدها عنه، حقاً
اشتاق سماع صوتها ورؤية عينيها الضاحكتين، وهو الذي
لم يشتاق لأحد بهذا الشكل من قبل..
والان قد أصبح حزنه ضعفين، ذكرى من جانب، منة من
جانب، وعائلته من جانب آخر، مثلث لظالما ارهقه فيه
التفكير، ويود ولو بعضاً من الراحة..
فلعل البعيد يقترب، ولعل نار الشوق فينا تنطفئ، ويحل
محلها أيام عيد!

=====



_ طيب يا ابيه مبروك لحلا، استأذن انا بقى .

قالتها منة بلؤم وهى تشرع فى الوقوف لتخرج، ولكنها ما
كادت تقف إلا وقد هتف زين بصرامة :
_ مكانك يا منة .

استدارات له وقد بدأ التوتريحل على ملامحها خوفاً من
ماهية الحديث القادم والذى لم يسعدها مطلقاً حين تفوه
به زين مباشرة دون مقدمات وكأن تجربته مع حلاق قد
نجحت، فانتهج المثل الذى يقول: أطرق على الحديد وهو
ساخن :

_ مؤمن، اخوذكرى الله يرحمها، طلب ايدك منى انتى كمان .
ابتسمت منة فجأة بسماجة وهى تنظرله قائلة بمرح
مُصطنع :

_ بطل هزاربقى يا ابيه عاوزه اروح الكلية .

_ وانا من امته بهزر معاكى يا بنت انتى ؟!



هتف بها زين بصرامة وملامح جادة جعلت منة تعقد حاجبها، وترفع واحداً منهما، وهي تنظر له بتفحص، قبل أن تقول له بنبرة من هي أخته الكبيرة لا العكس :

_بقولك ايه يا ابيه، استهدى بالله كده واصطبح وقول يا صبح، تفرد ريشك على حلا وتستعرض عضلات عليها معنديش مانع عشان هي تستاهل، إنما أنا لا !!

_وايه لازمته ابيه بقى ؟! ماتقولى يالا وتخدينى قلمين كمان .
قالها زين بهدوء خطرو هوهم بالوقوف والاقتراب منها حتى انحنى على مقعدها مستنداً بكفيه على جانبيه محاصراً إياها فيه، لتراجع منة فى مقعدها وتزدرد ريقها بتوتر قائلة :
_ابيه استهدى بالله كده، واخذى الشيطان، جوازايه

ومؤمن مين إالى عاوزنى اتجوزه ده ؟!
رشقها زين بتحذير وهو يقول بنبرة خطرة :
_مؤمن اخو ذكرى .. وانا موافق .



همت منة بالرفض والاعتراض، فقاطعها زين وهو يبتعد
عنها مبتسماً بثقة، جالساً أمامها قائلاً بهدوء :

_فكرت انى مش عارف إالى بيدور فى دماغك دى .

عقدت منة حاجبها بتوجس فى حين استطرد زين بنفس
الابتسامة :

_فيه انسة عاقلة ومحترمة، تقعد تكتب فى مذكرات
شخصية طول الليل وتسيبها متلقحة على سريرها مفتوحة
على البحرى الصبح .

ارتفع حاجبا منة المنعدين بدهشة وصدمة وهى تتذكر ما
فعلته منذ حوالى شهر ماضى من الآن، حين فاض الكيل
بقلبها المثقل، وأرهقه فراق أحبته الذين غابوا عنه دون
سؤال !

((يومها، ظلت جالسة طوال الليل على سريرها ضامة
ركبتها إلى صدرها واضعة فوقهما مذاكرتها ذات الغلاف
الوردى الانثوى، والتى تحاكي أحلامها وردية ..



أمسكت بقلمها بعد طول تردد وقد اتخذت قرارها، بأن
تكتب ما لا يجرؤ لسانها على البوح به !!!

"دائماً ما كنت أقول أن منهجى فى الحياة هو أنه ليس هناك
قوانين، نعم !

فقد كانت قاعدتى الوحيدة أنه "ليس هناك قاعدة"، ولكن
منذ أن رأيته ولا أعلم ما انتابنى، ليس حباً من أول نظرة كما
يزعم البعض، بل أخذت وقتاً طويلاً، طويلاً جداً، حتى
استطعت الوصول لتسمية منطقية لما أشعره عندما أكون
بقربه !

حقيقةً أنا لم أكن أعرف عن الحب شيئاً، ما هو؟! كيف
يحدث؟! ما الذى يشعر به من يُحب؟! تقريباً كانت
معلوماتى عنه تساوى صفراً كبيراً فى خانة اليسار..

ولكنى عدتُ وذكرت نفسى أنه "ليس هناك قاعدة" و
بالاستعانة بذلك مع الكثير من التفكير، والكثير الكثير من

الحيرة والتضرع تفتق ذهني بعدها ل "أننى احببته"،
أحببته حتى دون أن أشعر، أحببته دون أن أدري أن تلك
الرجفة التى تنتابنى دائماً بعد مرآه، ما هى إلا شرارة تمرد
أعلنها قلبي علىّ بكل تجبر!

ليغيب بعدها بأيامٍ قلائل، غياب يلى غياب، اليوم أصبح
شهرأً، والشهر أصبح خمسة، فكيف السبيل إلى الخلاص
من ذلك الحزن الذى طالما رافقنى بعدها.

مرحة، عفوية، ولامبالية بشكل يجعل من ينظر إلىّ يعتقد
بأنى طفلة لم تتجاوز الثالثة كما يقول عمى معاذ دائماً.
بينما بداخلى تقبع أنثى، أنثى مَنسية، تنتظر من يحررها من
قيود وهمية، غير مرئية، فرضتها على نفسى كى انجو من فخ
العشق، وبالرغم من ذلك، وقعت فيه دون دراية، ولم
انجو، ولن انجو أبداً.."



غرقت بعدها في نومٍ عميق، ليأتى زين في اليوم التالى وهو يوقظها من نومها بطريقته الخشنة، فاستقامت هى مبتعدة وكأنها قد نسيت ما فتحته ليلتها الفاتئة!

وقف زين جوار السرير يرمق الكلمات المسطورة بتوجس، قبل أن تمتد يده إليها ويقرأ ما فيها جيداً !

لا .. لم يشعروقتها بأدنى شعور من خذى أو ندم، لم يشعر بأنه يخترق خصوصيتها أبداً!

منة ابنته، بالمعنى الحرفى للكلمة ابنته التى لم ينجيها، هو الذى رباها بعد وفاة أبيهم فى سنٍ صغيرة، ولم يكن هناك غيره بعد سفر معاذ، لذا لم يشعر بقراءة مذكراتها الأنثوية بأمرٍ جلل، بل كان لابد له أن يعلم، فلا أسرار بين أبٍ وابنته (!

.....



_ها يا منة، لسه رافضة ؟!

قالها زين بهدوء مبتسم، لتتهد منة وهى تسترخى فى جلستها باستسلام، وتقول بإحباط وعزيمة مثبطة :

_بص بقى يا ابيه، مادام انت راسى على كل حاجة، انا لا هعمل شبه حلا واقولك دراستى ومش دراستى، لان كل دى حجج حلا مش انا، فهل انت مستعد تسمع سبب رفضى الأساسى، إالى انا كنت خطاه قدام عينى عائق وانا بتخيل انه هيجى يوم ويتقدملى فيه .

اوما زين بصمت، ولم تهتز ابتسامته بل اتسعت لصراحتها معه، حقيقة هو يعشق صراحة منة، عكس حلا التى تتعبه بمراوغتها المستمرة، ولكن ابتسامته لم تظل، بل تداعت سريعاً بعد قولها، أسرع حتى مما كان يتمنى :

_يا ابيه انا مش رافضة مؤمن، لانى فعلا حبيته، انا رافضه بس؛ لانى مش عاوزة حد ياخودنى بذنب ذكرى !



لاقت الكلمات صداها في قلب زين حقاً، وقد تأملت نظراته
للحظة قبل أن يعاود لتدارك ملامحه أمام منة، سائلاً إياها
بدوره :

_ليه كده يا منة؟! مين هياخدك بذنبها، الله يرحمها محدش
ليه دخل في إالى حصلها، ليه انتي بتفكرى كده؟!
_لا يا ابيه، إالى حصلها مش طبيعي، إالى حصل كله اساسا
مش طبيعي، وكلنا عارفين كده، انت نجيت اه بس هي لا،
ولو دقننا في الموضوع من وجهة نظرهم هتبقى انت كنت
السبب في ضياع بنتهم منهم، فمش هيترددوا لحظة في أنهم
يوجهولك نفس الضربة في اختك، إالى هي بنتك بالظبط .

فسرت منة شعورها وتفكيرها بكلمات قليلة، بسيطة كانت
تجثم كحجر فوق قلب زين !
ليتهد زين بعدها بخفوت وهو يقول لها مقنعاً بفلسفته
المعهودة :

_لا يا منة، تفكيرك مش صحيح، يمكن يكون صحيح مع ناس تانية، حد تانى غير مؤمن وعيلته، لكن هما لا، والموضوع حقيقة كان قضاء وقدر وهما عارفين كده كويس، ولو مؤمن مكنش شاريكى فعلا مكنش فتح معايا الموضوع برسمية، وكمان والده اتدخل فيه، وانا لومش متأكد من سلامة نيته وانه فعلا بيحبك زى ما بتحبيه، مكنتش وافقت ونقلتك الموضوع من اساسه، انتى بنتى، وانا مكنتش اعمل حاجة تضر بنتى ابداً.

استقامت منة واقفة فجأة مقربة منه، محتضنة إياه بقوة، دافنة وجهها بين ثنايا عنقه، تنشج بخفوت، ليبتسم زين بحنان وهو يحاوطها بذراعيه مربتاً على رأسها برفق وهو يقول :

_يا منة مؤمن بيحبك، زى مانتى ما بتحبيه واكثر، فبلاش عناد، وبلاش تخترعوا اوهام فى دماغكم ملهاش اساس من



الصحة مش هتستفادوا منها بحاجة غير الحزن وبس،
صدقيني الوقت مش بيستنى حد، وانتوا محدش يعرف ايه
ممکن يحصل معاكم بكرة؛ عشان كده كل لحظة بتبقى
بمثابة كنز لازم نحافظ عليه ونستغله دايمًا لسعادتنا، لازم
نعيش كل لحظة على انها آخر لحظة، عشان يا عالم بكرة
مخبي ايه .

غامت عينا زين في آخر حديثه وهو يواصل الترييت على رأس
منة بشرود وذهن صافٍ..

ها قد عادت "العينان الزمردتان" لتداهمانه من جديد،
فهل هنالك من سبيل؟

وهل هو بقادر على تجاوز "أحجار كريمة" وقعت في طريقه
يومًا..

أحجار كريمة قد تغوى قديسًا، تمكث في عينين شرستين
تداهمانه بطريقة أشد شراسة هو غير قادر على تفاديها !

=====



"البدايات للجميع، أما الثبات للصادقين!"

وهو حقاً كان صادقاً في حبها، مما أهله لفوز حربه ضدها،
متسلحاً قلبه.. ضد عقلها العنيد!

جلست حلا في (كافيتريا) الجامعة تنتظر قدوم رنيم لها،
ولكنها تأخرت كعادتها، ووجب عليها انتظارها لتأتي، ولتزفها
أيضاً خبر موافقتها، وإعلامها بكل ما حدث، عليها تحصل
منها على مشورة ما تلمم بها شتات نفسها مما حدث
صباحاً!

فرنيم هي الدرع الحامي لها، أولنقل "عقلها العملي" الذي
تفكر به؛ إذ أن عقلها يابس بما فيه الكفاية كي يمنعها عن
التفكير السليم في مثل تلك الأمور..

فتحت هاتفها على صوت وصول رسالة عليه، عبر تطبيق
"الواتساب" لتجد حازم يرسل لها برسالة ما، كان محتواها
صادم لها بشدة، من عمق ما يحتويه بفلسفته ..

(يا معشش جوا قلبي، وانا قلبي مش متين ... من حبك جالى
سكر، وباخود انسولين)
متبوعة بوجه غامز فى آخر الرسالة..

ضحكت ملء شديها بصوت عالٍ بشدة، جعل كل
الجالسين يلتفتون لها بدهشة!
حلا ذات الوجه الخشبى تضحك بتلك الطريقة داخل
الحرم الجامعى لهو فعل غريب فى يوم غريب لواحدة أشد
غرابة من الجميع..



ولكن ضحكتهما مع استمرارها طويلاً إلا أنها زالت بعد أن
قام بحظرها نهائياً، عقدت حاجبها بشدة، وهى ترمق
العبارة شزراً "لا يمكنك إرسال رسالة لهذه المحادثة!"
هل يعاقبها مثلاً، هل يتهرب منها لأنه يعلم أنها تريد الحديث
معه كي تملئ شروطها الوهمية؟!
أم لماذا يهدف من فعلته هذه؟!

فتحت بقية مواقع التواصل، لتجده قد قام بحظرها من
جميع المواقع إلا موقع واحد فقط قد ترك لها عليه رسالة
اخيرة قبل الحظر...

(عارف انك عايزانى ومش هتلاقينى، تجاهل بتجاهل و
البادى اظلم يا "حلايا")

هكذا إذا يريد مراوغتها ويتعمد تجاهلها كما كانت تفعل
معه دائماً، حسناً لنرى من ستوافق على عرض زواجه منها
إذا!

تجاهلٌ بتجاهلٍ والبادى اظلمُ يا حازم !
ماذا الآن تأخرت رنيم كثيراً، ليس من عاداتها التأخر لهذا
الوقت !!

ما بها؟! أیكون قد أصابها مكروه ؟!
أوربما ؟!..

اتسعت عينا حلا بارتجاع عند خاطرها الأخير وهي تتذكر
تاريخ اليوم، لتجده اليوم الموافق ليوم عملية والدة رنيم
الجراحية !!

لابد وأنها تنهار اليوم، وهي ليست بجوارها..
ماذا دهاها لتنسى الموعد، يجب أن تكون معها حالياً !

لذلك ملمت حاجياتها بسرعة وهي تغادر نحو المشفى
الخاصة بهم، فوالدة رنيم كان من المفترض أن تقوم
بالجراحة فى المشفى الخاصة بهم لابد وأنها هناك الآن !

=====



وقفت رنيم فى منتصف الرواق الطويل بالمشفى، وعقلها يتسائل :

ما الذى يلقوه على مسامعها للتو؟!
أم مَنْ التى توفاهها الله قبل أن تدلف إلى غرفة العمليات
بالأساس!؟

هل هو يهذى؟!
أم هى من تشاهد مسرحية هزلية لا علاقة لها بها أبداً؟!!!

يقولون لها الآن أن والدتها قد تعرضت لإنخفاض مفاجئ
لضغط الدم أثناء تجهيزها للجراحة، وتوفاهها الله قبل
العملية...!!

فقدت رنيم عقلها وهاجت على كل من يقف جوارها لتصرخ
دون وعى :

_ام مين إالى اتوفت انتوا بتتكموا ازاي؟!
حتى شغلکم مانتوش فاهمينه .

يا أنسة بقولك قضاء وقدر احنا ملناش دخل، هي اصلا
مادخلتش الجراحة وأتوفت قبلها، والله ما أعطى والله ما أخذ
هتف بها الطبيب مهدئاً ولكنها لم تقتنع بل هتفت بعصبية :
_مادخلتش ايه انت اصلا مش فاهم حاجة، هي فين انا
عاوذة أشوفها انا هقومها وانت هتعرف انك غلطان، اوعى
كده .

قامت بدفع الطبيب من أمامها وهي تتجه نحو الغرفة التي
تمكث فيها جثة والدتها، لتدلف إليها وهي تهتف بصوتٍ عالٍ
:

_ماما يا ماما ردى عليا وعرفيم انك كويسة عرفيم انك ..
انقطعت كلماتها نهائياً وكأنها وجدت ما يعرقل خروجها من
حلقها، وهي ترى أمامها أمها مُمدة فوق الفراش يغطونها
بملاءة بيضاء لا يظهر منها سوى وجهها شبه المبتسم والذي
يشع نوراً !



لتهمس رنيم بتحشرج وهى تقترب حتى وقفت جوار فراشها
تتلمس وجهها بعينها المغمضتين غير مُصدقة :
_ماما ..

صوتها يكاد لا يُسمع وهى تواصل ندائها المترجى :
_ماما ، اوعى تسيبينى، انا معدش ليا غيرك، ماما .

التفتت لمرضة تقف جوارها على مقربة منها وهى تقول
متسائلة بخفوت :

_هى ما بتردش ليه؟! هو انتوا اديتوها مخدراو حاجة نيبتها
!؟

ظهر الحزن على وجه الممرضة المتقدمة فى السن جوارها
وهى تربت على كتفها مواسية وتحاول جذبها لتخرج :
_يا حبيبتي يا بنتى وحدى الله، امك فى الجنة ونعيمها انشاء
الله .



جذبت رنيم ذراعها من يد الممرضة وهى تنظر لأُمها بوجهٍ جامد، لم تبكى، ولم تصدر أى شئ سوى أنها قالت بخفوت وهى تجلس على كرسى مجاور لسرير أُمها ووضعت رأسها فوق صدرها :

__يعنى ماتت ؟!

اومات الممرضة دون صوت وقد بدأت تبكى لأجلها، أما رنيم فلم تبرح مكانها وهى تضم جثة أنها إليها أكثر، وقد تركها الجميع احتراماً لحزنها ولصدمتها، لكنها اطالت المكوث جوارها، ويبدو عليها أنها لا تنوى تركها، ليدلف الطبيب بعد فترة إلى الداخل مرة أخرى وهو يتطلع للمظهر أمامه بصبر بدأ ينفذ وهو يشير للممرضة بأن تنهى الأمر، ولكن الوقت امتد مرة أخرى دون أى تغيير فى موقف رنيم ذات الملامح المتجمدة !

لهذا بدأ الطبيب بالتدخل بعدما نفذ صبره بالكامل :

يا أنسة مش هينفع كده إكرام الميت دفنه، مايصحش إالى
انتى بتعملية .

لكن رنيم لم ترمش بعينها حتى، ولم يظهر عليها أى تعبير..
ليرتفع صوت الطبيب أكثر وهو يحاول إنهاء الأمر بطريقته،
ولكن لا استجابة أيضاً مع التجمهر الذى بدأ بالتكون أمام
باب الغرفة من بعض العمال والطاقم الطبي !!

استمر صوت الطبيب العالى فى الحديث ورنيم لا تكاد تفقه
حرف مما يقول بل تكاد ألا تسمعه، وصوت واحد يهدر
داخلها :

"قد ذهبت، ذهبت مَن كانت لكِ، لتواجهى الآن مصاعب
الدنيا دونها.."

_ ايه إالى بيحصل هنا، وليه كل اللمة دى كل واحد على شغله يلا.

هدربها الصوت الأنثوى الحاد بحزم، لينصرف البعض ويبقى البعض الآخر، قبل أن تدلف هى إلى الداخل وتهتف مخاطبة الطبيب :

_ فى ايه يا دكتور أيمن؟! ليه كل اللمة دى؟!
ليجيها الطبيب بعصبية مشيراً إلى رنيم التى تحتضن والدتها دون حراك :

_ يا دكتورة فريدة الانسة والدتها اتوفت قبل ما تدخل الجراحة وبقالها فترة طويلة وهى على الحال ده مش عاوزه تسيبها عشان نشوف شغلنا!!

عقدت فريدة حاجبها وهى ترنوبعينيها الخضراوتين نحو رنيم التى تجلس جوار أمها دون أن تدري بما يحدث حولها، ولكن نظرة فريدة إليها تألقت للحظة وكأن غلالة دموع



أغشت عينيها، وبان الألم فيها جلياً، لتعود إلى صلابتها في لحظة أخرى وكأن ألمها ما كان!!

عادت إلى الطبيب مرة أخرى هاتفة بحدة وتوبيخ :

_ خلى عندكم شوية رحمة، البنت فى حالة صدمة، و اسلوبك الهمجى ده مش هينفع.

_ دكتورة فريدة انا مسمحلكيش بالاهانة، مهما كان وضعنا.

هتف بها الطبيب بحدة لترد عليه فريدة مرة أخرى بغضب

قد بدأ يتصاعد، وقبل أن يجيها الطبيب بفضاظته مرة

أخرى، مواصلاً سجاليهما الحاد، صدح صوت رجولى

غاضب فيهم :

_ فى ايه هنا؟! وايه إالى انتوا بتعملوه هنا ده؟!!

التفتت فريدة بحدة إلى الواقف أمامها وهى تتسائل بصوتٍ

غاضب قد بدأت تعلو وتيرته :

_ ومين حضرتك انت كمان انشاء الله؟!!



التمعت عينا الرجل بنظرة غاضبة وهو يجيها بنبرة مشتدة
:

_انا معاذ البدر، صاحب المستشفى إلى حضرتك شغالة
فيها .

ارتبكت ملامح فريدة لجزء من الثانية لكنها عادت لصلابتها
دون أن يلاحظها أحد وهي تشرح الموقف لمعاذ بصوت بدأ
يتهدب قليلاً، لينظر معاذ خلفها نحورنيم التي لا تشعر بشئ
ولا يهتزلها جفن لكل ما يحدث حولها، قبل أن يتجاهل
فريدة حالياً وهو يتجه نحوها!

هل سيكون أحق إن قال أنه يعرفها؟

نعم ملامحها ليست غريبة عليه لكنه لا يذكرها، عينيها
الرماديتين ووجهها المستدير يتذكره لكنه متى وأين هو
لا يعرف..

اقترب منها قبل أن ينحني إليها قليلاً هامساً بلطف :

_يا انسة، ممكن تسمعي شوية .

اول بادرة حياة قد بدأت تظهر عليها وهى ترفع وجهها إليه،
فأصبح قريباً جداً منها ليزداد انعقاد حاجبيه وظنه بأنه
يعرفها يتأكد له، ولكن أفكاره تشوشت عندما همست هى
بصوت تائه :

_هسيها، وهقوم، بس كان نفسى افضل معاها شوية..
اشبع منها قبل ما تمشى .

رمقها معاذ بعينين متأثرتين، وشعور قابض داهم قلبه
فجأة، لكنه يتخذ مجراه حيث صده صوت من خلفه :
_رنيم حبيبتي ايه إلى حصلك، لا حول ولا قوة الا بالله .

هتفت بها حلا وهى تدلف إلى الغرفة ولم تجد فيها سوى
معاذ ورنيم فقط، فقد غادر الطبيب وغادر كل من بالغرفة،
حتى فريدة قد ذهبت دون أن يشعر بها معاذ!

تقدمت حلا من رنيم وهى تأخذها فى أحضانها وقد بدأت
تبكى بعد ما شاهدته، وتركت زين الواقف على باب الغرفة



يتمتم بالرحمة لوالدتها، ليباعد معاذ عنهن تاركاً لحالا مجال
رنيم!

ولكنه مدّ يده ليرفع الغطاء على وجه المرأة، وقبل أن تمتد
يده للغطاء وجد يد رنيم فوق يده تمسك بها وهى تقول
بجمود :

_لا .. سبها .. انا هغطيها !

ثم نظرت إلى أمها مبتسمة بشكل يدمى للقلب، وهى تقول
بنبرة تماثل ابتسامتها المأ وكأنها تخاطب أمها :
_انا هعملك كل حاجة، متقلقيش، مش همشى غير لما
اوصلك لبيتك.

ظل معاذ ناظراً لها بتشتت بعدما سحب يده، وقد تذكر
هويتها، كان يعرفها، رنيم الشاذلى! صديقة حلا وابنة صديق
أخيه، يتذكر بعضاً من طفولتها مبعثرة المعالم فى ذهنه،

ذكريات قد مر عليها سنوات ولكن ملامحها قد ظلت عالقة
في مخيلته على ما يبدو!!

اقترب منه زين وهو يتطلع إلي حلا التي أخذت رنيم لتجلسها
على مقربة منهم، ثم استدعت المعنين بالأمر ليبدأوا التجهيز
لإجراءات الدفن، بينما سحب زين معاذ من يده وهو يخرج
به؛ ليستعلم عما يحدث، ولعلمه أيضاً صعوبة موقف
كهذا على معاذ بالذات..

جلس معاذ على أحد الكراسى الجلدية مستنداً بمرفقيه إلى
ركبتيه، ليقترّب منه زين محاولاً سؤاله عن أى تفاصيل
ليجابه معاذ بتشتت :

_مش عارف، أسأل الدكتورة إلى كانت هنا.

تسائل زين :

_دكتورة مين ؟!

أجابه معاذ بذهنٍ شارد :

_دكتورة فريدة .



عقد زين حاجبيه وهو يميز الاسم، ليطبق شففيه بخطٍ
مستقيم مستاء، ليس وقتها، ليس وقت الزمرد بعينها الآن،
وكأنه قد نسيه بالأساس !

استسلم زين بالآخر وهو يبتعد بحثاً عن مكتب المدعوة
فريدة، حتى وجده..

طرق على باب المكتب عدة مرات ولكن لم يأتية رد.. طرق
مرة أخرى بصوت أعلى وأيضاً لا رد !

ليتخذ قراره ويفتح الباب!

ولكنه صُدم مما رأى..

حيث كانت فريدة جالسة على المقعد الجلدي خلف المكتب
العريض الذى تستند عليه بمرفقيها تخفى وجهها بين يديها،
واهتزاز كتفيها انبئه بأنها تبكى!!

تبكى؟! ولكن لما؟! أوالدتها هى التى توفت!؟

اقترب زين منها حتى وقف أمام المكتب، فنقر بأصبعه عليه عدة مرات، فلم تستجيب ولكنه عندما يأس من ردها، وجدها في آخر لحظة ترفع وجهها المغرق بالدموع له، و الزمردتين في عينيها غارقتين في بركتين حمراوين من الدماء إثر البكاء الذي لا يهدأ حتى بعد مرآه، لم تصمت بل ازدادت وتيرة بكائها لدى رؤيته، ليعقد زين حاجبيه وهو ينظر لها مجفلاً..

ماذا بها؟!

تسائل زين بدهشة :

_دكتورة فريدة ، في ايه؟!

هزت رأسها نفياً بإشارة غير مفهومة، وهي تنظر له ولعينييه،

فحاول زين تهدئتها مرة أخرى قائلاً :

_طب اهدى طيب، في ايه لكل ده؟! حد دايقك؟!

هزت رأسها نفياً مرة أخرى، فقال زين مجدداً :

_طب اسكتي طيب ، ايه مش عارفة تسكتي؟!



أيضاً تهز رأسها نفيماً دون إجابة مقنعة، فأغلق زين عينيه
للمحظة بإرهاق قبل أن يفتحهم ناظراً لها بقنوط!
مد يده ممسكاً بكوب الماء الموضوع على المكتب أمامها
مقرباً إياه منها قائلاً:

_ طب اشربي شوية ميه يمكن تهدي .

أيضاً رد غير مفسر باهتزاز رأسها نفيماً، ومثله إجابة على
سؤال زين الذى تلى بنفاذ صبر:

_ ايه مش عارفة تتكلمى كمان !؟

مسح زين بكفه على صفحة وجهه بصبر محاولاً تهدئة
نفسه، قبل أن يقترب منها خلف المكتب ممسكاً بكوب الماء
يقربه من يدها :

_ طب خودى اشربي .

لتعلو وتيرة بكائها أيضاً دون رد..



فلم يجد زين بُدأً من أن يرفع يده بكوب الماء إلي فمها بعدما شاهد يديها المرتعشتين والغير قادرة على رفعهما حتى..
حاول زين أن يجعلها تشرب من الماء ممسكاً الكوب بيد وبالأخرى ممسكاً برأسها بحذرو كأنه يعامل طفلة..

فارتشفت فريدة القليل، وهى تنظر لعمق عينيه بنظرة غريب، وهو يبادلها النظر بقلق متوتر، مرتبك من نظرتها لعينيه بتلك الطريقة التى لا يفسرها، ليبعد زين الكوب عنها بمجرد انتهائها دون أن يزيح يده عن رأسها، وهو يتسائل :

_ احسن!؟

حاولت فريدة تهدئة نفسها دون أن تومئ له نفياً تلك المرة..
تتنفس ببطء وهى تنظر بعينينه بنفس النظرة الذى لا يعرف تفسيراً لها إلى الآن.

إلى أن هدأت تماماً، وكفت عن البكاء، وخمدت أنفاسها
الثائرة..



نظرلها زين بحذرو كرر سؤاله :

_ احسن؟!_

ابتلعت فريدة ريقها وهى تقول بصوت معدوم النبرة تماماً

بل يكاد لا يُسمع إثر البكاء :

_ اسفة جدا، بس مبعرفش اسيطر على نفسى لما اعيط،

اسفة!!

لانت نظرات زين قليلاً قبل أن يقول بهدوء :

_ مفيش اسف ولا حاجة بس كانت حالتك غريبة، انتى كده

على طول ولا دى اول مرة؟!_

أغمضت فريدة عينيها بإجهد، وهى تتنهد بثقل قبل أن

تهمس :

_ لا .. انا كده دايماً لما بحزن بتجلى الحالة دى، بفقد النطق

لفترة ومبقدرش اسيطر على هستيريا العياط إالى بتجلى .

نظر زين لعينيها المغمضتين وهو يشعربأن هناك لغزاً محيراً

خلفها، إلى أن انتبه أنه مازال ممسكاً برأسها ليتركها من

فورہ مما جعلها تجفل وتفتح عينها ناظرة له بغرابة وكأنها
كانت تحيا حلماً ما للتو، قبل أن يتنحى زين بخشونة قائلاً
:

_ طيب انا كنت جى اسالك عن إلی حصل مع رنیم ووالدتها .
استقامت فريدة واقفة وهى تحاول القول بهدوء :
_ طب اتفضل معايا نوصل لیم واشرح لحضرتك .
اوما زين وخرج معها ماشياً جوارها فى الرواق مستمعاً إلى
حديثها عن حالة والدہ رنیم كيف كانت وكيف توفت ...!
=====

حتى وصلوا عند البقية، ليجدوا حلاتتناقش مع رنیم بأمر
ما..

_ يا رنیم بلاش خلیکی معايا هنا .
_ بلاش ایه یا حلا .. دى امی، هقف على غُسلها، ماتخافيش
علیا انا کویسة .

قالتها رنيم بصوتٍ جامد وهي تنظر لحلا، وما زالت لم تسقط منها دمعة واحدة حتى رغم شحوبها وذبول وجهها، إلا أن عينيها كانتا تشعان قوة وإصرار عجيب أثارا دهشة زين وقبله معاذ الذي يقف أمامهم معجباً بقوة تلك المخلوقة التي ظهرت فجأة من عدم، بعدما ظن أنها ستتهاوى حزناً جوار جثة أمها، وكأنها فعلا كانت تريد أن تشبع منها مثلما أخبرته منذ قليل، ولكنها تواصل إبهاره !!

تقدمت فريدة منهما بوجهها الذي يماثل وجه رنيم ذبولاً وعينيها المنتفختين إثر البكاء، لتحرر يد رنيم من حلا قائلة بهدوء :

_سيبها تعمل إلى هي عوزاه دي امها .

بمجرد أن تحررت يد رنيم من حلا حتى توجهت نحو المكان الذي أخذت إليه أمها للتولتقف معهم أثناء تغسيل جثتها، فحاولت حلا اللحاق بها ل تمنعها، لكن يد فريدة حالت دون ذلك وهي تهمس لحلا بنبرة حزينة :



_سيبها، ماتخافيش عليها، هتقوى وهتعمل إلی هی عوزاه .

غامت عينها بحزن شارد قبل أن تستطرد :

_يارتنی كنت بس فی نص قوتها وقتها .

لتترك يد حلا وترحل بعدها تحت أنظارزين الملاحقة لها،

وهويزداد يقيناً بأن الزمرد فی عينها ما هوإلا ساتراً جميلاً

لروح مشوهة، مليئة بالندوب !!

=====

"قدرنا جميعاً ان نفقد أحداً ما عزيزاً علينا .. فنبقى من

بعده مجرد حطام لا يضر ولا ينفع.."

تم الدفن وتوارت جثة أمها تحت التراب، ماذا بعد؟! ماذا

ستفعل؟! وكيف ستحيا من جديد؟!

لأجل من ستصحو صباح كل يوم؟!

على دعوة من ستبدأ يومها؟!

كل هذه الأسئلة تبادرت إلى ذهنها تباعاً وهى واقفة الآن أمام
قبر أمها جوارها حلال لم تفارقها، لتهمس بصوت خفيض
مجهد :

_ ايه تانى يا ماما؟! ايه مستننى بعد كده تانى؟! ادينى
وصلتك .. ووقفت على غُسلِك .. ينفع دلوقتى اعيط؟! ولا
اسيب الدموع لوقت تانى أكون محتجاها فيه؟!

تهاوت جالسة على ركبتها فوق الرمال، وهى تنظر بنظرات
مشوشة بفعل الدموع نحو القبر، إلى أن شهقت بقوة،
شهقة شقت السكون من حولها، قبل أن تنخرط فى نحيب
مؤلم، لم تبقى عليه طويلاً إلا وقد اغشى عليها!!

حاولت حلا افاقتها بعدما سقطت أرضاً منها دون جدوى..
فاقترب منها معاذ الذى كان يقف على مقربة منهم الآن،
بعدما غادر الجميع خارج المدفن، فانحنى إليها وهمّ بحمل

رنيم على ذراعيه كى يخرج بها من هنا، لكنه ما كاد يفعل إلا
وقد وجد من وضع يده فوق يديه صاحباً جسداً رنيم إليه
قائلاً بخشونة وعينين تبرقان شرراً :
_ ابعد عنها!

لم يستطع معاذ السيطرة على أعصابه، فاستعد لعراكٍ
قريب وهتف بنبرة مشتعلة :
_ وانت مين انت كمان؟!
والرد جاءه جاهزاً، صادماً :
_ انا جوزها !!

=====



الفصل السابع

=====

"حين ماتت أمى..

أدركت أنه ليس هناك أحد أشكوله، وهذا أكثر ما احزننى،
فالشخص الوحيد الذى أردت أن اشكوله موت أمى، هى
أمى.."

استلقت رنيم على سرير حلا وهى تنظر لسقف الغرفة
بنظرات خاوية!

تشعر بأنها تسقط سقوطاً حراً، تنعدم الجاذبية من حولها،
لتسقط كفراشة تائهة بين تيارات الهواء، تهوى .. تهوى نحو
القاع دون هواد!!!

شعرت بنصل رفيع ينغرز فى ذراعها، قبل أن تشعر بتدفق
السائل البارد عبر وريدها، ولم تلبث إلا وقد راحت فى سبات
عميق، على ما يبدو قد حقنوها بشئ ما ليهدي من صدمتها

ولتنام أيضاً بعد المجهود المضني الذي لحق بها مختوماً
بالمهذلة التي حدثت أمام قبر والدتها !!
نعم مهذلة وهذا وصف منمق لما حدث..

خرجت حلا من الغرفة بعدما اطمئنت إلى نومها بسلام،
لتواجه أمامها ثلاثة أزواج من العيون ينتظرونها، فقالت
بجفاء ونبرة باهتة :

_نامت، وياريت نبعد عن هنا عشان تعرف تنام .

_تنام ايه انا مش هسيها هنا انا هخودها معايا .

نظر معاذ للمتحدث بتلك العبارة بنظرات ضيقة، حانقة،
يود لو يطبق على عنقه مفقداً إياه آخر أنفاسه في تلك
الدنيا خاصة بعدما حدث أمام القبر هناك..

حين مد يديه ليسحب رنيم المغشى عليها أرضاً ليُفاجأ بمن
أبعد يديه صاحباً جسدها نحوه، هاتفاً بصرامة في وجه
معاذ :

_ ابعد ايديك عنها .

لم يستطع معاذ السيطرة على أعصابه وقتها فهتف فيه
بحدة :

_وانت مين انت كمان ؟!

_ انا جوزها !!

شعر معاذ وقتها بأن دلواً من الماء البارد قد سُكب فوق
رأسه..

زوج من ؟! رنيم ؟! أهى متزوجة بالأساس ؟!

اشتعلت عيناه بجحيم مستعرو أعصابه مشتدة، وجميع
عضلات جسده متحفزة ينوى الانقضاض عليه ليفتك به!
لكن حلاً أنقذت الموقف بتدخلها وهى تبعد جسد رنيم عنه
محاولة إفاقتها دون أن تنسى رمق هذا المدعوأياً كان اسمه
بنظرة محذرة قائلة :

_ طليقها يا "هيثم" اوعى تنسى!

إلى أن استطاعت حلا افاقتها، ففتحت رنيم عينيها بنظرة خاوية باردة، لترمق ذاك المدعو هيثم القابع على مقربة منها بنظرة جامدة، قبل أن تساعد حلال للوقوف واسنادها حتى خرجوا وعادوا بها إلى البيت هنا !

مع معاذ الذى ساد ملامحه صمت مطبق يحاول تدوير الحديث فى رأسه على يحصل على أى إجابة شافية، أو تفسير منطقي لما تلى على مسامعه للتوفلم يستطع!

.....

والآن يستمع لحديث هيثم بضرورة أخذها معه دون أن يفهم أيضاً ما يحدث، أتكون سنوات غيابه قد طالت لهذا الحد الذى دارت فيه العديد من الأحداث دون أن يعلمها؟ نظرت حلال لهيثم بعنف مكبوت وهى تقول من بين أسنانها :
_تسمحلى بس اسألك سؤال، بأى حق عاوز تاخودها معاك وتمشى ؟!

أجاب هيثم ببديهية وكأنه يحفظ الإجابة لا يفهمها :



_عشان هي مراتي، وانا ابن خالتها .

هذه المرة زين هو من تدخل في الحوار، قائلاً بنبرة هادئة لا تخفى صرامتها :

_حضرتك انت تلغى السبب الأول عشان هي معدتش مراتك من زمان مش من دلوقتي، ولو على السبب الثاني فمحدث بيقول انها مش بنت خالتك، بس توضيح بسيط انت ساكن لوحديك ووالدتك الله يرحمها من سنين، فباي حق جى تقول هتيجي معاك ؟!

اشتعلت عينا هيثم بنيران قاتمة قبل أن يلتفت لزين بكليته قائلاً ببرود :

_انا اه طلقته بس هنرجع، انما انا مش عايش لوحدي انا عندي البيت كله خدم فوق وتحت يعني مش لوحدي نهائي ، ثم إن هنا مفيش رجالة مثلاً هتقعد هي في وسطهم، ولا انا اخطئت التعبير!؟



رفع معاذ حاجباً واحداً بشراسة وهو يرمق هذا المتملق من
أعلى رأسه حتى أصابع قدميه بنظرة شاملة مزدرية تناسب
الإهانة المبطنة في كلماته، بينما زين الذي رمقه بنظرة حادة
وقد التقط الإهانة في حديثه تكلم بنبرة جادة :

_انصحك تراعى كلامك، ورداً على سؤالك الفلسفى، فهنا
فى اختى إالى هى صحبتها، وامى إالى هى بمثابة والدتها.. غير
اختى الثانية، فحضرتك ملكش حجج، ونهاية للجدال
العقيم ده رنيم مش هتمشى من هنا غير بإرادتها هى للمكان
إالى هى عوزاه .

زَمَّ هيثم شفتيه غضباً، والتفت مغادراً بعد أن رمق معاذ
بنظرة تحذير وقال بفظاظة :

_انا هسيها انهاردة بس بكرة هكون موجود، لما نشوف
آخرتها .

ابتعد خارجاً من البيت فتنهد زين بإرهاق قبل أن يقول
موجهاً حديثه لحلا باختصار:



_خليكى معاها يا حلا .

اومات حلا بصمت قبل أن تتجه إلى حيث غرفة أخرى لتنال قسطاً من الراحة أثناء نوم رنيم .

و حين صار معاذ وزين بمفردهم ، وجه زين حديثه إلى معاذ قائلاً بجدية :

_معاذ ، تعالى نروح نبات الكام ليلة دول فى بيت جدى ، عشان مايبقاش ليه حجة .

عقد معاذ حاجبيه بضيق وهو يرفض الفكرة تماماً ، لالن يعود لبيت والده ، هو ليس أهلاً للابتعاد عن الذكريات القديمة التى تسكن جدران هذا البيت !!

بدا زين وكأنه قرأ التردد الذى حل على ملامحه فقال بهدوء وهو يربت على كتفه :

_معلش ، هما كام ليلة بس على ما رنيم حالتها تتحسن .



طالت فترة صمت معاذ قبل أن يومئ لزين موافقاً على
مضض، ليذهب وله الله في تلك الليالي، ولكنه أولاً سيعرف
من هيثم هذا وماذا يريد!؟

=====

ضوضاء .. ضوضاء تحيط بها من كل جانب..
ضحكات طفل صغير يتردد صداها بين جدران تلك الغرفة..
لا ليست غرفة بل امتداد إلى ما لا نهاية لحديقة ما، لمكان
ملئ بالورود والأشجار الجميلة!
الطفل يجرى أمامها بخطواته المتعثرة وقدميه المكتنزتين،
وهي تجرى خلفه ضاحكة أيضاً..

ولكن لما يبدو أنها لا تستطيع اللحاق به رغم تعثر خطواته،
يبدو كمان يسابق الرياح وهي تجرى خلفه دون أن تلحقه،
ليتوارى فجأة خلف الضباب والدخان الذي انتشر فجأة
من عدم، فتحاول الصراخ بأعلى صوتها ولكن صوتها لا



يتعدى حنجرتها، تبحث بعينيها ذات اليمين وذات اليسار ولا ترى شيئاً أبداً.. ضباب فقط !

ليظهر فجأة وجهه من بين ذلك الدخان بملامحه المتجهمه، ونظرات عينيه اللائمة المحتدة، صارخاً بها :

_ انتى السبب، انتى السبب .

تحاول الصراخ أيضاً بأن لا ذنب لها ولكن صوتها لا يخرج، لا يُسمع أبداً، تماماً كندائها المترجى كل تلك الأيام الفاتئة بأنها ليست السبب، بأنها لا ذنب لها !!

...

شهقت رنيم بشدة وهى تنهض من نومها فزعة، تهتف بصوت عالٍ :

_ عمر.

عمر، اين عمر؟! كان هنا قبل لحظات، وكان هيثم أيضاً هنا؟! ما الذى حدث؟ تداخلت لديها المرئيات والأحلام، فأصبح كل شئ أمامها الآن مجرد هلاوس !

هل بالفعل أصبحت تهلوس؟!

لا تفرق بين واقع أو خيال؟!

تريد أن تشكو لأحد عنه يمنحها تفسيراً، أمها نعم، أمها،

لكن أين هي لتشكولها؟!

فغرت رنيم شفتها تريد الهمتاف باسم أمها لتأتى إليها وتشكو

لها، لكنها دارت بعينها في الغرفة..

لا تلك ليست غرفتها، هذا ليس مكانها!

عمل عقلها بسرعة، لتستوعب أن حتى أمها قد رحلت، فلم

يعد سوى نفسها لنفسها فقط!!

فمنذ أن ظنت أنها تحب شخصاً كريهاً كهيثم وهي تعلم أن

تلك هي بداية النهاية!!

لم يكن هيثم مجرد ابن خالتها فقط، كان صديقها، وحب

طفولتها ومراهقتها، إلى أن أصبح زوجها؛ كنهاية بديهية لأي

قصةٍ كتلك!



لكن ما بعد النهاية لم يحسب حسابه أحد، كان حال هيثم ميسوراً، يمتلك من المال والجاه ما يجعله سليطاً بشكل لا يُطاق، وكانت هي تتحمل لأجل حبها أولاً ولأجل ابنها ثانياً..
عمر.. ثمرة زواجها من هيثم ولكن على ما يبدو أن كل ماهو مبني على أعمدة متزعزعة كحب هيثم لها، مصيره ألا يبقى !
فما بنى على باطل فهو باطل..

ذات مرة قد ضاقت ذرعاً بذلك الحصار الذي يفرضه عليها في البيت، فالبيت رغم اتساعه وكبره إلا أنها تريد الخروج، تريد رؤية الناس تريد أشياء كثيرة قد توقفت عن فعلها منذ زمن، تريد رؤية أمها على أبسط التقديرات، ولكن تعليمات هيثم كانت تنص على أن لا خروج بالطفل من البيت خوفاً عليه، تراها هي ليست أمه مثلاً، لن تستطيع الحفاظ عليه ..



يومها لا تعلم ما جرى لها سوى أنها شعرت بجدران البيت تكاد تطبق على أنفاسها، فاتخذت قرارها بأنها سوف تخرج لتذهب لأمها، وياليتها ما فعلت..

فيومها وهي متجهة تعبر طريق السيارات، فوجئت بدراجة بخارية تُقدم عليها بسرعة قصوى فارتطمت بها مما أدى إلى تحليق الطفل في الهواء إلى أن هوى أرضاً فاقداً لروحه، بينما نُقلت هي إلى المشفى، وقد أصيبت هي الأخرى ولكن أى إصابة تلك قد تعادل موت ابنها!

يومها افاقت في المشفى لتجد جوارها ورقة طلاقها من هيثم، دون حتى أن يعبأ بكونها فقدت ابنها للتو، ولكن الوثيقة لم تكن وحدها بل كان مرفقاً بها رسالة منه ...

"انتي عارفة ابني كان عندي ايه، عارفة قد ايه هو عندي اغلى حاجة، مع ذلك كسرتى كلمتى وخرجتى؛ وادى نتيجة إالى انتى عملتيه، ابني راح .. ابني معدش موجود وكله بسببك، انا طلقتك يا رنيم .. غيابى .. لانى مكنتش هقدر



ابص فى وشك بعد إالى انتى عملتیه .. ولا عاوز اشوف وشك
تانى، اخرجى من حياتى وذنّب ابنى ف رقبتهك.."

وقتھا كانت تقرأ الكلمات وعینھا تجرى على السطور بعدم
تصديق، أهذا هیثم؟! من احبته؟! والد طفلھا الراحل؟!
كلماته کلھا تنص بأنه ابنى .. ابنى .. وكأنه لیس ابنھا هی
الأخرى، وكأنھا ما فقدت قطعة من قلبھا للتو، یحاسبھا
بذنّب ما حدث، وكأنھا كانت تتقصد، یحاسبھا وكأن ما حدث
لم یکن إلا نتيجة لأفعاله!!!

=====

_بس یا سیدی هی دى حکایة رنیم، من بعدها رجعت تعيش
مع مامتها، بقالھا حوالی ثلاثة سنين، وبالعافیة على ما حلا
اقنعتها ترجع للکلیة تانى، وتکمل دراسة لکن ارادة ربنا بقى
، هنعمل ایه.!!؟

اختتم بها زين حديثه إلى معاذ وهو يقود بسلاسة متجهين نحو بيت جده؛ ليقضوا بضعة أيام فيه، لتشرّد ملامح معاذ لوقت طويل وهو يعيد الحديث في عقله مرة بعد مرة.. دون أن يعقب على الأمر، وكأنه لا يجد رداً سوى أن أعصابه تنتفض بتحفز، يريد أن يذهب لينقض على ذاك النذل مفقداً إياه روحه ليذهب ليقابل ابنه الذي يتشّدق بحبه أمام وجهه رب كريم !!

كيف له أن يكون بمثل هذا الجحود، تلك مشيئة الله قد نفذت فمن هوليعترض، وأى مختلٍ هو كي يعاند الأقدار؟!

=====

_خودى يا أروى النسكافيه ده طلعيه لاسرفوق هتلاقيه مع عمك خالد تقريباً .

هتفت بها عبير مبتسمة بهدوء وهى تقف أمام أروى فى المطبخ حاملة كوب المشروب الساخن الخاص بأسر،

_معلش يا حبيبتى بدالى عشان مش قادرة اطلع السلم .

مطت أروى شفيتها بإستياء قبل أن تتناول منها الكوب
متجهة نحو بالأعلى، بحثت عنه عند أبيه أولاً لكنه لم تجده
وأخبرها أبيه أنه ذهب منذ قليل، فاتجهت تلقائياً نحو
غرفته..

لتغمغم وهي تدق على باب الغرفة:

انا مالى انا، مفيش غيرى حيلة مايلة فى البيت ده، ما ترد
انت كمان .

ظلت تطرق الباب الذى ظل دون رد بطريقة فظة أشبه
بطريقة مراد عندما يطرق باب أسر؛ لهذا السبب هتف أسر
بعصبية وهو يفتح الباب بعنف :

_خلاص يا بنى ادم فى ايه مية مرة أقولك ماااااا.....

قطع أسر حديثه بدهشة، بل صدمة تحاكي صدمة أروى
الواقفة أمامه بذهول فاغرة الفم، متسعة العينين وهي ترى
أسرواقفاً أمامها عارى الجذع يلف جزئه السفلى بمنشفة
كبيرة بينما شعره وجسده يقطران ماءً !!

شهقت أروى بعنف وهي تغلق عينيها بقوة، في حين صفق
أسر الباب في وجهها بسرعة!!
كل هذا حدث في جزء من الثانية جعل وجنتها تلتهبان
بحمرة قانية، وهي مازالت واقفة مغمضة عينيها بل تعتصر
جفنيها ومازالت الصدمة مسيطرة عليها..

إلى أن شعرت بالباب يُفتح، وأسريطل من خلفه مرتدياً
ملابسه كاملة بينما مازال شعره الطويل نوعاً ووجهه
يقطران ماءً وقد ارتدى ملابسه على عجالى !!



ما زالت هي مغمضة عينيها وهي واقفة تمسك بالكوب بيديها
الاثنين وقد بدت وكأنها تجمدت مكانها كتمثال رخامي
جميل الملامح أسرعيني أسر للحظات وهو يحدق فيها دون
ملل، إلى أن تدارك نفسه وهو يهمس باسمها :
_اروى .

هزت أروى رأسها نفيًا بإشارة غير مفهومة، وكأنها لم
تسمعه، فرفع كفه يربت على كتفها بخفة، فانتفضت
شاهقة بفزع وهي تسقط الكوب من يدها، ليقع أرضاً
متهمشماً .. وينسكب السائل الساخن على قدميها وبعض
قطع زجاج غير مرئية خدشت قدميها، لتجهش فجأة في
البكاء، بينما بدا أمامها أسر مرتبكاً وهو ينحنى إليها بلهفة
هاثفاً باسمها بجزع :

_اروى !!



حملها أسرفوق ذراعيه وهى تبكى، ليدخل بها ويُنزلها لتجلس على طرف فراشه بينما هوجثى أمامها أرضاً رافعاً قدمها بين كفيه يتفحصه بقلق، ليهتف بعصبية وهو يشاهد إحمرا قدمها الذى ظهر عليها واضحاً مع بعض الخدوش التى بدأت تنزف :

_ انتى على طول كده مابتبصيش قدامك مية مرة أقولك بلاش شغل العيال إالى انتى فيه ده !!
استمر بكائها وهى تهدر بعنف بدورها :
_ وهو كان حد قالك اطلع بالمنظر ده قدامى .
_ وانا اش عرفنى انك انتى إالى بتخبطى، كنت بحسبك مراد .
هتف بها بحدة، لتحتد هى بالمقابل هاتفة بألم :
_ رجلى بتوجعنى اعمل حاجة .

سيطر على أعصابه بأعجوبة وهو ينهض متجهاً نحو علبة الإسعافات، ليأتى إليها ثانيةً ويبدأ فى تعقيم جرح قدمها، ويضع لها طبقة مرهم فوقه، وبدأ ينفخ فوق قدمها ببطء

لتلفح أنفاسه بشرة قدمها فتقشعر فجأة، فرفع لها عينين
مازال القلق يتلاعب بنظراتها قائلاً بخشونة ونبرة متحشجة
:

لسه وجعاكى .

هزت رأسها نفيًا وهى تنظر لعينييه أولاً ثم جرت عينيها على
ملامحه بافتتان، والماء مازال يقطر من شعره فوق وجهه!
راقب أسر نظراتها نحوه ليبتسم ابتسامة جانبية قبل أن
يخفض رأسه متابعاً عمله بنفث الهواء فوق قدمها.. لتخرج
هى من شرودها على صوته العابث والذى تبدد به القلق
قليلاً:

يعنى اعمل فيكى ايه!؟

رفع وجهه لها وهو يترك قدمها ليهب واقفاً أمامها، حين
تململت هى وبدأت فى سحب قدمها من بين يديه..
لتمط شفثها بوجنتين محمرتين خجلاً وتهمس بخفوت
شديد:

_ انا كان ايه إلى طلعتي، مانا كنت قاعدة تحت بكرامتي!
_ طلعتي لقدرك يا بنتي، معلىش يا غالية.. قدرك ونصيبك .
هتف بها بنبرته العابثة التي تلازمه عادةً .. وتخالف حالة
القلق التي إعتريه منذ لحظات، فلم تملك ابتسامة خبيثة
شقت شفيتها وصوت عابث داخلها يهتف :
_ احلى قدرده ولا ايه؟! حد يطول قدربعيون زرقه اه يانا
يامة؟!
اخفضت وجهها وامتنعت عن الرد لبيستم هو بخفوت،
سائلاً إياها بخبث :
_ طيب هتعرفي تمشى ولا اشيلك انا تانى؟!
احتقن وجهها بالدماء فبدأ كثرمة طماطم ناضجة، وشهية
جداً، لتهتف بفضاظة تحاول مدرارة خجلها :
_ لا بعرف لسه ماتكسحتش .



ضحك أسربصوتٍ عالٍ وهو يراها تقف على قدميها لتتأوه بصوت خفيض لأول وهلة ثم تشرع في المشي بسهولة؛ فالجروح والإصابة لم تكن عميقة، وهو خلفها حتى خرجت من الغرفة ووقفت على عتبة بابها حين استوقفتها كلماته الجادة:

_اروى .. خودى بالك بعد كده بلاش تمشى مغمضة كده .

شهقت باستنكار وهي تلتفت له هاتفة :

_انت كمان بتحط الحق عليا، انت يا بنى ادم مش انت إالى طلعت ، طلعت ...

صمتت غير قادرة على المتابعة وقد استفزتها كلماته، فاخفضت وجهها بخجل وكلمها راودها مظهره هكذا تكاد تكون غير قادرة على النظر في عينيه، ليضحك هو بخجل نادر قليلاً وهو يحك مؤخرة رأسه بارتباك قائلاً:

_اسف هاخود بالى بعد كده !!



ابتسمت وهى مازالت مطرقة برأسها لا تنوى الرحيل على ما يبدو، ليهتف باسمها بدهشة :

_اروى !

_نعم .

_نعم الله عليكى يا حبيبتي، اتفضلى .

كلمة "حبيبتي" التى خرجت من بين شفثيه بعفوية شديدة، فعلت بها الأفاعيل، فغرت شفثها وهى تنظرله بتعقيد، ليغمض عينيه يأساً من لسانه المنطلق دون كوابح، قبل أن يفتحهما قائلاً بنبرة مرحة نوعاً ما :

_لازم نعمل بالخطوبة صح ؟!

استدركت ملامحها وهى تضحك بخفوت مخفضة وجهها الذى ازداد إحمراره أكثر وأكثر، لتفتن عينيه المأسورتين بها.. قبل أن يجد نفسه يهمس بصعوبة وقد استشعر بقرب الخطر يحلق فوق رؤوسهم :

يا اروى انا كل ما اقول هقدر ابعد ارجع تانى ضحككتك
تقتلنى .. وتحيينى فى نفس الوقت، مش عارف ايه إالى خلانى
اتعلق بيكى، بس بس انتى حاجة محصلتليش ف حياتى
كلها، ولا هتحصل انتى حاجة مش بتتكرر غير مرة فى العمر
يبقى ملعون إالى يسبها تفلت من إيداه !

لم تستطع منع ابتسامتها من الاتساع، كيف وهى تقابل
عاطفته السخية بهذا الشكل المهلك لها..

طفلة، بالطبع طفلة لم تبلغ مبلغه فى مشاعره، ولا تحدد
خطأ من صواب، وهو كان شبه مغيباً، متجاهلاً لذاك
الخطأ الذى استشعره يحلق فى الآفاق منذ قليل وحتى الآن..

امتدت كفه تُمسك بكفها، وقربها منه ببطءٍ حذر، وكأنه
مغيب غير واعي لما يفعله، وحالها لم يختلف عن حاله كثيراً..



لينتفضا فجأة على صوت معاذ الآتى من أول الرواق
الطويل الممتد بين الغرف :

ينهر ابوكم اسود !!

شهقت أروى بذعروها تهتف بعدة كلمات لا تعرف كيف
خرجت من بين شفيتها اساساً :

_ آه معاذ .. اهلا ... عامل ايه .. انا رايحة اذاكر عن اذنك.

اتمت كلماتها وهى تندفع من جواره مبتعدة نحو غرفتها فى
أول الرواق، وما ان أغلقت بابها خلفها حتى استندت عليه
بظهرها تتنفس باضطراب وصوت لاهث..

يا إلهى ما الذى يحدث.. يوماً ما سيوقعها حياً لأسرفى خطأ
جسيم لا محالة..

=====

اقترب معاذ من أسر الذى تسمرت قدماه على عتبة غرفته
قائلاً بملامح متبلدة :

_ هو احنا عارفين ان العقول المغيبة فى العيلة دى كثير، بس توصل لحد كده فيها كلام تانى .

أمسك أسريده بسحبه للداخل وهو يقول بهدوء :

_ تعالى بس يا معاذ كده ربنا يهديك ويهديننا يارب، اسمعنى للاخروقدر موقفى.

_ ايه يا ابنى جو "استرعليا الله يستر ك ده" ماتنشف كده .

قالها معاذ بتشفى وهو يجلس مواجهاً له على أحد الكرسيين المتقابلين فى الغرفة، وقد أثر أن يتناسى ما حدث قبل قليل فى بيت زين وكل المعلومات التى عرفها عنها حالياً، ليعطى نفسه فرصة لتهدئة اعصابه ..

فى حين قال أسرو وهو يزفر بعنف :

_ اول حاجة متجيش سيرة قدام حازم او خالى محمد ولو بالهزار حتى، عشان انا مش عاوز كركبة .

ارتفعوا حاجبا معاذ بدهشة وهو يهتف بسخرية :



_اسد يالا فى ايه، وبعدين م تحترم نفسك طالما انت خايف.
زفر آسر مجدداً لكن تلك المرة بأقل حدة، وهو يقول بشرود
:

_انا بحبها يا معاذ ولو حد وقف فى الليلة دى هيبوطها، انا
بس مش عارف كان مالى، كنت عامل شبه المغيب وانا
شايفها قدامى.. انا مش متظبط من يوم مانزلت مصر اصلا
.

ابتسم معاذ بفطنة، وهو يرت على كتفه قائلاً بنبرة صبحها
بمرحه كى يوفر عليه حرج الموقف، بينما أعصابه المشدودة
منذ بداية النهار جعلته يرغب فى عدم الغوص فى أى
تفاصيل الآن :

_يا حبيبى يا ابن اختى، اهدى انت بس كده واتقل، وقبل ما
تسافر اخطيها، على ما تكون هى دخلت الكلية اتجوزوا،
عشان دى حالتك بقت صعبة اوى !!



ضحك أسر ضحكة قصيرة بخفوت، قبل أن يقول بنبرة خفيضة وكأنه وجد أخيراً من يستطيع البوح له بكل ما اعتمل صدره :

_بس .. خايف .

_من ايه ؟!

_خايف انى اكون بظلمها معايا، خايف تيجى بعد كده وتبعد، خايف تندم بعد ما اكون اتعلقت بزيادة !

همس أسر بخفوت، ليرفع معاذ حاجبيه بدهشة وهو يستمع لهذا الحديث لأول مرة من أسر، قبل أن يقول بهدوء :

_يا أسر اروى بتحبك، انت مش محتاج تأكيد .. الكلام ده

واضح للاعمى من زمان اوى مش من دلوقتي .. فمتحيرش

نفسك وتتوهم حاجات تبعدكم عن بعض .. بس برضو لازم

تلموا نفسكم شوية، انا المرادى اتكلمت عادى عشان

الموضوع ميكبرش، بس عشان خاطرى بلاش تعمل فرقة بين



امك وخالك عشان خاطر اخطاءك انت واروى .. لازم تفهم
ان كل حاجة ليها حدود .

يعنى انت شايف كده ؟

قالها اسر بهدوء، وهو يغلق باب الحديث على هذا القدر،
فأخرج جملتين من معاذ يرضيانه، يرضيانه حقاً رغم العتاب
الذى وجهه له فى النهاية، وهو يحاول..

صديقاً يحاول تجنب أى شئ سيثبت الفرقه أو سيوقعه فى
خطأ.. لكنه لا يستطيع، صديقاً لا يستطيع !

ولكن هناك فرقاً شاسعاً بين ما يرضيه وما وجب عليه فعله
.. وهذا تحديداً ما يؤرق ضميره !!

=====

"فسلاماً على من احبنا بعيوبنا قبل محاسننا.."

دلفت فريدة من باب البيت بملامح متبلدة، بل تكاد تكون
صخرية قُدت من حجر، تحت أنظار داليدا غير المُندهشة؛

فهذا هو حال فريدة كل يوم تقريباً، عدا بعض النوادر التي تكون فيها مبتسمة نوعاً..

دلفت داليدا خلفها لتجلس مجاورة لها على أريكة بيتهم القديمة، كما كل شئ في بيتهم يتسم بالقدم، دارت فريدة بعينيها في الغرفة الدافئة رغم أنها متواضعة لكنها تبقى دافئة، بها من الحميمية ما لن تجده في أعظم القصور، وهذا يجعلها تتسم بال.. أصالة، لا بالقدم مطلقاً!!

_هاا يا ست فريدة هتفضلى مكشرة كده كثير!؟

هتفت بها داليدا بهدوء بنبرتها الرخيمة التي تجعل فريدة تريد البكاء بصدق..

تلتفت فريدة لها تنظر لملامحها البسيطة ذات الجمال العادى غير المهر مطلقاً لكنها تظل في عينيها أجمل ما يمكن أن ترى، فملامحها التي تكاد تكون نسخة طبق الأصل عن

ملامح أمها تجعلها تعشقها كأخت، وكأم، وكما لم تحب
أحداً من قبل..

عينها السمراتين، بشرتها البيضاء التي تناقض بشرة
فريدة السمرات لحد كبير، وثغرها المبتسم دائماً إبتسامة
يشوبها خطٌ من الحزن لا تملك صلاحية محوه أبداً، كل هذا
يجتمع ليجعل منها أمام ناظري فريدة.. مقدسة!!

هي ليست بالكبيرة، بل تكاد تقاربها عمراً، لا تكبرها إلا ببضع
سنوات قلائل، لكنها تشعر بها أمها بصدق..
ارتمت فريدة في أحضانها وهي تقول بصوت متحشرج واشى
بانفعالها الداخلي :

_الحالة جاتلى انهاردة تانى .

تأوهت داليدا دون صوت وهي تقول بقلق :

_ليه كده، ايه إالى مزعلك ؟!

لتجيبها فريدة بشرود :



_كان عندنا حالة وفاة انهاردة فى المستشفى، وصعبت عليا البننت جدا.. فمقدرتش امسك نفسى ومعيطش .

ربنت داليدا فوق ظهرها بحنوقبل أن تقول بهدوء :

_لازم تتماسكى شوية يا فريدة، معلىش، انا عارفة انتى جواكى ايه، بس انا واثقة انك أقوى من كده .

صمتت فريدة لا تقوى على الرد، ولكن وجودها فى أحضان داليدا الآن، يجعلها تشعر براحة تغمرها، بعد الموقف التى تعرضت له أمام زين !

زين .. هذا الذى كان آخر فرد على ظهر الكوكب تتمنى أن يراها بهذه الحالة، ولكن القدر قد اختاره هودوناً عن غيره ليراها هكذا..

بالتأكيد نعتها بالحماقة، والطفولية، فهى نفسها لا تعرف تفسيراً منطقياً لتلك الحالة التى تنتابها كلما حزنت.. تبكى دون توقف أو قدرة على التوقف، تفقد النطق تماماً ولا تستطيع التحدث، وأحياناً يزداد معها الأمر بصراخ هستيرى



وعدم قدرة على التحرك، اصابتها تلك الحالة من بعد موت والدتها، وظلت في التكرار على المزيد من المواقف دون أن تدري لها تفسيراً !

_فريدة روى لدكتور نفسى يمكن حد يقدر يفسر حالتك دى ؟!

قالتها داليدا مقترحة بهدوء، لتومئ فريدة ببطء وهى تهمس :
_حاضر هبقى اشوف الموضوع ده .

لم تكذ تتم همستها حتى فُتح الباب ودلف احمد إلى الداخل مع زوجته ندى وابنهما سيف، لتنتفض فريدة فجأة مبتسمة بمرح وكأن حالها انقلب ثلاثمائة وستين درجة :

_سيفوو حبيب قلبي ، وحشتنى !
هرول إليها الطفل بمجرد رؤيتها وهو يغغم بفرح :
_ "ايدا" ، "ايدا" .

_قلب ايدا انت، وحشتنى موت .

تلقفته بين ذراعيها وهى تنهمر فوق ملامحه المحببة
بالقبلات، ليضحك الصغير بصوت عالٍ فيتعالى صوت
أحمد جوارهم هاتفاً :

_ اما انك واطي يالا، بتبعنى عند اول مصلحة .

ضحكت داليدا وهى تضرب كتفه بخفة :

_ اسم الله عليه ماتقولش عليه كده .

_ خلاص يا ست .

قالها أحمد ضاحكاً وهو يدلك كتفه إثر قبضتها بألم
مصطنع، قبل أن ينتبه على صوت فريدة التى قالت بجدية :

_ تعالى معايا يا أحمد عوزاك .

_ مش مرتاح انا لنبرتك دى بس يلا .

اتبع قوله بوقوفه متجهاً خلفها نحو غرفتها، وما إن دلفا
حتى مدت يدها نحو حقيبتها مستخرجة منها مبلغاً مالياً
قدمته له قائلة :



_لسه قابضين انهاردة، صحيح اتأخرنا الشهر ده شوية بس ملحوقة .

غامت عينا أحمد بنظرة عتاب، قبل أن يمد يده ويقبض على كفها الممسك بالمال قائلاً بابتسامة فاترة :

_خلى فلوسك معاكي يا فريدة، ده شغلك ودى فلوسك انتى، هو انا مخليكم محتاجين لحاجة ؟!

اتشحت نبرته بعتاب واضح فى آخر جملته، لتبتسم فريدة بخفوت :

_والله ابدأ انت ربنا يخليك لينا، لولاك كان زمنا متهدلين فى الشوارع من سنين.. بس انا عارفة ان العيشة بقت صعبة وانا مبعملش حاجة بهم هبقى مرتاحة يعنى وانا شايلة فلوسى وشيفاك كل يوم والتانى تسيب شغلانة وتطلع على التانية لحد ما حيلك يتهد بس عشان ماتخليناش نحتاج لحاجة، طالما أنا فى ايدى اساعد يبقى ليه لا ؟!

زمّ شفتيه قائلاً باعتراض :

_يا فريدة بس مش هينفع ...

قاطعته فريدة بحزم حنون :

_مفيش بس هو ايه إالى مش هينفع، هو انت يعنى لو

مكنتش اصريت انى اكمل تعليمى بعد كل السنين والذل

إلى شوفناه ده كله.. كان زمانى قدرت اعمل حاجة ولا ابقى

الدكتورة إالى كله بيتكلم عليها، انت اساس كل حاجة،

والفضل فى الاول وفى الاخير جعلك؛ عشان كده دى

فلوسك انت مش فلوسى انا .

اتبعت كلامها بتشديد يدها على كفه تاركة المال فيه، ليتهد

أحمد باستسلام أخيراً وهو يضم رأسها إليه فى عناق حار

اشتاقت له فريدة حقاً.. ليقول بعدها بهدوء :

_انا معملتش حاجة غير الصبح واللى كان مفروض عليا

اعمله، انتوا إالى باقينلى فى الدنيا دى كلها اصلا .

اغمضت فريدة عينيها وهى تندس بأحضانها أكثر.. أحمد!!



سيظل درعاً حامياً لها مهما طال الزمن، فهو كان أسوء المتضررين من ماضيهم المشترك في البؤس والحزن والذي كان له نصيب الأسد فيه، بينما هي رغم حالتها تلك ولكنها بالفعل من خرجت بأقل الخسائر، لكن على ما يبدو كانت هي أكثرهم هشاشة وقابلية للكسر، لذلك كان أثر الماضي عليها عظيماً !!

=====

"بعض الأحاديث لا يفلح معها إلا حديث العيون، تلك التي إن تفوهت بها الألسنة، فقدت قيمتها"

انطلقت ضحكات الصغيرة الطفولية بين ذراعى يارا بصوت عالٍ جداً يشى بفرحتها، بينما يارا تؤرجحها عالياً بيديها !
ماسة .. ماستها وكنزها، هي بالفعل ما يعوضها عن جفاء أبيها والذي أضاعت عمرها انتظاراً له، لتأتى ابنته بالأخير



لتشبع بعضاً من شوقها الذى يكاد يقتلها كوحش ينهش
أعماقها نهشاً !

ماذا يظنها؟! جبلاً مثلاً، قادراً على إخفاء الكثير والكثير فى
جعبته دون أن يميد، بل ويدفن كل ما يحويه تحت أمواج
عاتية فى بحر ليس له قرار، ولا يظهر من قمته إلا النذر
اليسير!!

لا إنها بشر، بشر أهلكه الشوق وهجر أحبته، بشر انتظر
عاماً بعد عام، لتأتى نتيجة الصبر على هيئة صدمة
بزواجه، ثم صدمة أخرى بموت زوجته أثناء الولادة، فأى
جبرٍ يستطيع ترميم ما تكسّر بداخلها !!!

أنزلت الطفلة جالسة على الأريكة فى غرفة الجلوس وهى
تشاركها لهاثها ومرحها، والضحك الصاخب، لتتنهد يارا وهى
تشرّد فى البعيد قبل أن تنتبه للطفلة وهى تُمسك هاتفها

الملقى على السرير بين يديها تهم بوضعه بين فكها، لتهتف
يارا بجزع :

_ لا لا اوعى ، اقطعك !

زمت الصغيرة شفيتها عندما سحبت يارا منها الهاتف،
لتضحك يارا مجدداً وهي تدغدغها بلطف قائلة :
_ لا اوعى تكشرى، هجبلك اغنية دلوقتى بس ماتعيطيش .

ضحكت الصغيرة مرة أخرى بعدما دغدغتها يارا بحنان قبل
أن تولى يارا اهتمامها الهاتف وتقوم بتشغيل أول ما وقعت
يداهما عليه دون تمييز...

رفعت وجهها لتبتسم للصغيرة فى حين انسابت الألحان عبر
الهاتف ...

عمال يعادى ويتكابر.. ويسوق فى عنده ومش صابر.. وانى
من عيلة وبنت أكابرو فى وسط ناسى يا ناس آيه..

سبحان ما زان حسنه و رسمه..

ده الناس بيتغنوا باسمه..

ورد و طرح قبل مواسمه..

من غير لا زرع ولا سقاية..

ضحكت يارا بخفوت شابه بعض حزن لم تملكه، فى حين

ضحكت الصغيرة وهى تلوح بيديها فى الهواء، فتتابع الألحان

انسياها فتسرد يارا الكلمات مع الأغنية بصوتها الناعم وهى

تنظر لملامح الطفلة الشبيهه لملامحه بدرجة كبيرة..

يا بوى على جماله رواية..

شربات عنب يروى رواية..

عطشانة جابنى على عمايا..

ومشيت وقلبي يا ناس خالى..

مع أنه توبه مهوش توبى..

طالع فى قدرى و مكتوبى..

من يوم ما سبنى ورمى طوبى..



بشكيه لناسه ..وناس خالى...

طرقات صغيرة على الباب -الذى أغلقته يارا لتحظى ببعض الخصوصية مع الطفلة- جعلتها تصمت ولكنها لم تتمالك ضحكتها مع الصغيرة، قبل أن تحملها على ذراعها وتتجه لفتح الباب لتفاجأ به أمامها وجواره درة، ليقول مصطفى بهدوء :

_ازيك يا يارا .

ردت بخفوت ناقض ضربات قلبها التى ازدادت على نحو مؤلم، ورؤيته مع كلمات الأغنية التى تركتها تفعل بها الاعاجيب :

_الحمد لله .

_ابيه مصطفى جه عشان ياخود ماسة يا يارا، هاتيها .



انتهت يارا على صوت درة فرفعت وجهها له وقد رأت في
عينيه استحسانه لمناداة درة له بلقب "ابيه" احتراماً لفارق
السن بينهما بينما هي لا تفعل، ليزداد غيظها فتد قائلة :
_وماله "مصطفى" يشرف في اى وقت .

شدت على اسمه بطريقة واضحة جعلته يرفع حاجبه
ببطء وقد التوت شفتاه بما يشبه ابتسامة إن صحت
التسمية .

وكأنها تخبره أنه أن كان أخاً لهم فليس أخاً لها أبداً !
رفعت الطفلة لتناولها إياها ناظرة بعمق عينيه للحظات
طالت، ولم يكن هو أيضاً بالقادر على الإشاحة بعينه عنها،
بل بدوا وكأن بين عينيها حديث عميق يفقد قيمته إن
تفوهت به الألسنة !

يا بوى على جماله رواية..

شربات عنب يروى رواية..

عطشانة جابني على عماية..

ومشيت وقلبي يا ناس خالى..

=====

وقف أدهم في موقع العمل تحت الشمس بتجهمه المعهود،
ينظر يميناً ويساراً وهو يطمئن على سير العمل بشكل جيد،
قبل أن يتوجه نحو المبنى غير كامل البناء يستظل به قليلاً،
عمله كمهندس يحتم عليه الوقوف في تلك المواقع طويلاً،
فما يكاد ينهى عمله إلا وتكون الشمس قد ضربت رأسه
بأشعتها مسببة له ألماً فيها قد تضاعف مع آخر حادث
تعرض له !

جلس على كرسي خشبي هناك، وهو يتطلع حوله للمبنى
ويرسم في ذهنه خطأً للعمل القادم !

ولكنه لم ينتبه لذلك اللوح الخشبي الذي سقط فجأة من الأعلى حيث المبنى غير مسقوف سوى ببضعة ألواح خشبية؛ فما زال في طور البناء ولسوء حظه ارتطم اللوح برأسه دون ان يجد الفرصة ليحيد، ليسقط أرضاً فاقداً لوعيه وقد التف الجميع من حوله هاتفين ببعضهم البعض لإحضار إسعاف !

ودعونا هنا نقول ل "حسن حظه" ليس لسوء حظه أبداً،
فماضي كالذي كان يملكه لا يسحق التذكر، أبداً !!

=====

جلس زين في تلك الغرفة التي سيمكث فيها مع معاذ بضعة الأيام القادمة، كان جالساً أمام النافذة ينظر من خلالها إلى الخارج بنظرات خاوية، يتذكر انهيأرها أمامه بهذا الشكل..
ماذا حدث معها يا ترى ليجعلها في تلك الحالة والتي ذكرت أنها دائماً ما تتعرض لها !؟

وكيف يسمح لها عملها كطبيبة بتلك النوبات الغريبة، من المفترض أنها قد تدرّبت للتعامل مع تلك المواقف وإحتمال الموت وتلك الأشياء الكثيرة التي تخص من يعمل في الطب، لكنها تبدو وكأنها لا تحتمل رؤية إصبع أحد مجروح !!

والغريب في الأمر أنها جراحة، فأى هراء هذا ؟!

لم تستطع تحمل رؤية رنيم منهارة بموت والدتها وهرعت هي الأخرى نحو غرفة مكتبها تبكي بهستيرية وغير قادرة على التوقف ولا الحركة أيضاً وكأنها أُصيبت بشلل مؤقت..

فريدة !!

سيظل اسمها يؤرقه طويلاً !!

صفة فيه يكرهها حقيقةً، هو لم يكره أى شئ في نفسه من قبل سوى هذا الذي يمكن تسميته بال.. الفضول !

لا ليس تطفل على حياة الآخرين وتصميم على معرفة ما لا يريدونه أن يعرفه !



ولكن ... هناك حالات تحتم عليها ألا يتركها إلا وقد علم
خبئتها كاملة !

حالات تسترعى انتباهه وتستحوذ على جزء يسير من تفكيره،

حالات يصل حاله معها الى ما يشبه الهوس !

حالات لم تصبه سوى مرتين في عمره كله، مرتين فقط،

أولهما كانت مع الراحلة "ذكرى"، والثانية مع

لا .. لا يمكنه حتى مجرد التفكير في شئ كهذا !

تباً له !

لابد أن يكون منيعاً قليلاً أمام الأعين الزمردية التي تداهمه

ذكرها من حين لآخر، وإلا لن ينجو من ألم الذنب، لن ينجو

أبداً..

وخاصة وحق ذكرى لم يأت بعد !!

وعلى ذكر حق ذكرى..



فقد تعالى رنين هاتفه مخرجاً إياه من شروده، لينظر إلى
اسم حازم يضيئ الشاشة فيبتسم قليلاً قبل أن يجيب
مازحاً:

_حقيقة انا مش مصدق، انت بنفسك بتتصل بيا، ده
التليفون نور والله !!

ولكن ابتسامته خبت تماماً وصوت حازم يأتيه قلقاً لاهثاً
من على الجانب الآخر، وقد سرى قلقه عبر الموجات بينهما:
_زين اسمعني كويس ... الواد إالى كنا بندور عليه لقيناه
وهو دلوقتي محجوز معايا ولازم تيجي فوراً !!

=====



الفصل الثامن

=====

"أحياناً يجب أن نُجرب الحزن لنتذوق السعادة، الضوضاء
لتقدير الصمت، الغياب لندرك أهمية الحضور!"
-سوزان كولنز.

=====

_لا طبعاً مش هتجيب سيرة لماما دلوقتى اصبر لما يفوق .
هتف بها أسربتوترو وهو ينظر لمراد الواقف أمامه فى المشفى
أمام غرفة أدهم والذى يقبع بداخلها الآن فاقدًا لوعيه
بعدما تم نقله إليها من مكان عمله !
رد مراد بدوره بتوتر أكبر:

_بس يا أسر مش هينفع مانقولهاش مسيرها هتعرف .
_بس مش دلوقتى .

قاطععه صوت خروج الطبيب من الغرفة قائلاً بعملية :



_ ماتقلقوش مفيش مضاعفات تقلق هي مجرد كدمة بس هنتأكد اكر لما يفوق .

تنفس مراد الصعداء، فيما ضيق أسر عينيه بشك وهو ينظر للطبيب قبل أن يهتف فجأة بتساؤل قلق :

_ هولو كان فيه إصابة في دماغه قبل كده ممكن تأثر عليه مع الإصابة دي كمان وخصوصاً ان الإصابة الأولى مكنتش من فترة طويلة .

عقد الطبيب حاجبيه وهو يبادل أسر النظر بتفكير قبل أن يقول :

_ منقدرش نجزم بحاجة حالياً غير لما يفوق .

أوماً أسر بصمت شارد وعقله لا يكف عن العمل ..

سينتظر حتى يفيق، لعل ما سيحدث يكون خيراً !!!

=====

_ فين يا حازم ؟!



هتف بها زين بلهفة وهو يقف أمام حازم فى القسم ينتظر
إجابة حازم على أحر من الجمر، فدلّه حازم نحو إحدى
الغرف وتقدمه بملامح متجهمة، ولكن كانت صدمة زين
حين دلف من باب الغرفة، وكانت صدمة حازم المضاعفة
أيضاً والذى جحظت عيناه على المشهد أمامه دون أن يدرى
تفسيراً لما رآوه !!

فقد كان الصبى جالساً على أحد الكرسيين المتقابلين أمام
المكتب، محنى الرأس فوق صدرٍ أخضل بدمائه !
وقد بدا وكأنه طُعن، بل ذُبِح !
مثله مثل الشاب الذى قُتل قبل ذلك فى المشفى، ذاك
الشاب الذى كانت تتولى ذكرى حالته، وقد هاتفت زين ذات
مرة ليلاً تخبره عن موته..
ولكن ليس هذا ما يثير الدهشة فى الأمر!



بل لانه ... الشاب الأول كان أحد المتورطين في القضية ضد
المجرم المجهول الذي يبحث زين عنه ويشك بنسبة كبيرة
بأن يكون هو من خلف ما حدث معه ومع ذكرى!
والآن هذا الصبي المقتول هو أيضاً أحد المتورطين في
الحادثة خاصته..

فأى برهان أكثر من ذلك يخبره أن "المجرم المجهول" هو
سبب كل هذا، سبب الحادث وسبب فقدانه لذكرى!!

حينها قست عينا زين وهما مثبتتان على المشهد أمامه، قبل
أن يلتفت راحلاً دون حديث، ليتدارك حازم ملامحه
ويسعف عقله بالتفكير في كيفية إنهاء هذا الأمر، يحمد ربه
ألف مرة أنه لم يفعل شيئاً من تلقاء نفسه أو حسب أوامر
زين فحسب بل كان كل شئ بإذن قانوني وإلا كانت تهمة هذا
الشاب قد وقعت على عاتقه هو وزين الآن!



والمصيبة الكبرى ها هنا، من يفعل ذلك ؟ من قتل
الشابين، من يدور وراء زين يريد قتله؟ بل كيف حدث ذلك
في القسم؟! كيف يُقتل الشاب هنا؟! كيف رحل العسكرى
الذى كان يقف أمام الباب؟! من دلف إلى الداخل وفعل كل
هذا؟!

كل هذه تساؤلات كانت تطرح نفسها على عقله وهو كالأصم
داخل زفة شعبية لا يدري تفسيراً!

=====

_هتعمل ايه يا زين؟!

تسائل حازم بقلق حدد قسماته، وهو واقفاً أمام زين الذى
يوليه ظهره ناظراً من النافذة الزجاجية نحو الخارج، وكان
الصمت جوابه لوقتٍ طويل قبل أن يتسائل زين بنبرة
متباعدة:

_محدث اتكلم معاه قبل ما يحصل إلی حصل؟!

رد حازم بهدوء، عاقداً حاجبيه يحاول الاستقواء على
اشتداد هذه المحنة عليهم :

_ايوه انا اتكلمت معاه وكان كل كلامه إنكار، ومقلش حاجة
مفيدة غير اسم "إسماعيل هنداوى"، قال انه أخذ الأوامر
من الراجل ده بأنه يعمل فى عربيتك كده، والظاهر ان
الراجل ده كان على علم بكل تحركاتك وعاداتك فى انك
تودى عربيتك عند ورشة عم علام بالذات، خدت منه
المعلومة دى وطلعت اكلمك واستنيتك لما جيت،
مانشغلتش عنه كتير بس انا كنت فعلاً بعيد عن الاوضة
إلى هو فيها .. ولما حصل إلى حصل انا ماشوفتموش .

_إسماعيل هنداوى !

تمتم بها زين بخفوت شديد ومازال على شروده الذى قطعه
صوت حازم الحذر خلفه :

_زين انا مش مرتاح للمكان هنا، إالى عمل كده فى الشاب
بتاع المستشفى والشاب ده دلوقتى اكيد حد مراقبنا فى
المكان وعارف كل حاجة عن شغلنا هنا .

ولكن يبدو على زين أنه لم يسمع حديثه أصلاً، وما زالت
تروس عقله تدور وتعمل يحاول تذكر الاسم من زوايا
ذاكرته البعيدة :

_انا سمعت الاسم ده فين ؟!

عقد حازم حاجبيه وهو يؤجل حديثه عن الخطر الذى
يحوم حولهم فى المكان هنا، ويهتم بحديث زين عن إحتمالية
سماعه الاسم قبل ذلك !

قبل أن يجفل لمراى زين يلتفت بسرعة هاتفاً :

_مصطفى، انا سمعت الاسم ده من مصطفى قبل كده !!

سارعت أصابعه لتتلقف هاتفه من جيبه قبل أن يجرى
إتصلاً هاتفياً..



رد عليه مصطفى بعد ثوانٍ فسأله زين بلمهفة وصلت
مصطفى واضحة عبر الخطوط :

_تعرف حد باسم اسماعيل هنداوى يا مصطفى !؟

انعقد حاجبا مصطفى بإدراك جعل عينيه تلتهبان بقسوة
قبل أن يهدربعنف :

_ايوا .. ده يبقى ابو هشام، اسمه هشام إسماعيل هنداوى
!!

ها قد وقع المحذور وما كان يخافه، المؤامرة محكمة من
حوله، ليس له هو فقط بل لكافة عائلته !!

_فى ايه يا زين، ليه بتسأل عنه دلوقتى تانى انت عرفت عنه
حاجة ؟!

هتف مصطفى بقوة لم تُخفى قلقه، إلا أن زين لم يريحه
قائلاً باقتضاب قبل أن يغلق الخط :

_مفيش حاجة يا مصطفى، ماتشغلش بالك .

أغلق زين الهاتف ووضع أمامه قبل أن يرفع رأسه لحازم
المواجه له ثم قال :

_زى ما توقعت الاسم ليه علاقة بصاحب مصطفى إالى كان
سبب إالى حصل معاه قبل كده .

عقد حازم حاجبيه وهو يقول بحيرة :

_مجر صدفه ولا حاجة متدبرة ؟!

اوما زين برأسه قبل أن يقول بقسوة :

_اكيد مش صدفه، حاجة زى دى عمرها ماتيجى صدفه ابدأ
.

صمت قليلاً قبل أن يستطرد :

_بس ادينا عرفنا معلومة عن الراجل ده، ممكن باسمه

نقدر نجمع عنه معلومات زيادة، ولو انى مظنش أن يكون

اسمه ده حقيقى اصلاً او مسجل بيه حاجة قانونية فى البلد
.

حك حازم فكه بتفكير قبل أن يقول :

_ممکن ..وممكن يكون ده الاسم إلی بیتعامل بیه فی صفاته وغیره زی لقب مش اکثر..

إلی مخلصنا مش متأكدين اننا لما مسكنا إلی كانوا متورطين فی القضية بتاعته قبل كده كان المساعد بتاعه مش هو، والمساعد بتاعه رفض انه يعترف بحاجة عنه وشال هو القضية كلها، بس احنا عارفين كويس ان فيه حد مجهول وراه، مظهرش عنه غير اسمه بس دلوقتي، وزى ما مصطفى قال انه هشام صاحبه كان بنفس الاسم يبقى اكيد بينهم صلة مادام اسمه بيدل انه ابوه .

صمت قليلاً ثم قال بخفوت :

_احنا مش هندور ورا اسم وهمي ملهوش وجود، كل إلی كان يربط اسم إسماعيل هنداوى بالواقع هو هشام، وهشام احنا عارفين عنه كتير..لذلك احنا هندور ورا هشام، وهو هيوصلنا للمجهول إلی منعرفش عنه حاجة !!



صمت زين قليلاً بتفكير وهو يجد حديث حازم مقنعاً، فقال
بعد فترة :

_طيب .. كده هنستعين بمصطفى هو أكثر معرفة بيه عننا،
واكيد في حاجة يعرفها عنه احنا مانعرفهاش، صداقته هوو
مصطفى قبل كده هتفيدنا كتير.

=====

جلس مصطفى أمام زين وحازم في مكتبه..
بمجرد أن أخبره المسبوق بالذكر أنه يريد له لم يتوان لحظة
عن المجئ خاصة وهو يشتم رائحة هشام تحوم في المكان
منذرة بقرب لقاء سيقص منه فيه عن كل ما سببه له من
حزن وحسرة !

_خير يا زين ؟!

قالها مصطفى بتوجس وهو ينظر له مترقباً، قبل أن يرد عليه الأخير قاصداً كل تفاصيل ما حدث معه قبل ذلك منذ حادثته إلى وفاة الشاب مقتولاً اليوم !!
إلى أن ختم حديثه بقوله :

_اي حاجة تعرفها عن هشام، اي حاجة مهما كانت صغيرة هتفيدنا حالياً كثير.

شرد مصطفى للحظات قبل أن يقول بهدوء :

_من اول ما هشام ساب مصر وهرب وانا موقفتش مراقبه لاي حاجة كانت تخصه، الفيلا بتاعته .. الحركة فيها طبيعية جدا كأن حد سكان فيها، ناس داخله وناس طالعة زي ما كان عايش فيها بالضبط، ورغم يقيني أنه سافر فعلا كنت فكرته لسه موجود في الفيلا بتاعته .

عقد زين حاجبيه بتفكير قبل أن يتسائل بهدوء :

_طب ايه إالى استنتجته من كده ؟

رد مصطفى بهدوء :

_الى عرفته بعدها أن هشام كان ليه مساعد، قريب منه
جدا، وعارف عنه كل حاجة، تقريباً اسمه هانى الوكيل .

_طب ايه علاقة ده باللى بتقوله ؟!

_عرفت ان إالى ساكن فى الفيلا حالياً هو هانى ده، حتى
شغل هشام زى ما هو موقفش !!

_تعرف ايه عن ابوه، عمرك شفته..؟!!

_لا .. هشام كان قايل أن ابوه مات، بس سماعى للاسم منك
خلانى افكره، وده يثبت كذب هشام، لأن ابوه كده مش
ميت ؟!

دق زين بأصبعه على سطح المكتب دقات رتيبة لعدة
لحظات قبل أن يقول بهدوء :

_تتخيل ممكن يكون ايه بيحصل فى الفيلا دى حالياً ؟!
_اكيد صفقات مشبوهة .

رد مصطفى بتهكم بديهي، ليرد زين بشرود :

_تتوقع ممكن هشام يكون برا مصر فعلاً ؟!



هنا عقد مصطفى حاجبيه بشك تجلى بنظراته قبل أن
يتطلع لعيني زين بنظرة جامدة ذات مغزى !
وهنا أيضاً، كانت بداية لخطة جديدة، ربما سينتهى بهم
مطافها في مفترق طرق !!!

=====

هاهى الأيام تدور ..

وهو يجلس فوق السور المقابل للبحر، يتطلع إلى أمواجه
المتلاطمة بشرود، ولكن شروده مختلف.. شرود فارغ،
عقله ساكن لا يعمل، ولما لا وهو لا يجد أى معلومة شافية
فى رأسه يستطيع فيها التفكير!

عقله فارغ تماماً .. لا ذكريات، لا خطط لشيء ما، لا أناس
يحجم فيكثر التفكير فيهم، لا يوجد أى شئ !!
صفر اليدين تماماً !!

شئ واحد فقط طرأ على عقله منذ دقائق، هل من الممكن
أن يكون قد نسى الكثير؟!

فهو منذ ان أفاق -ليجد أسرومراد حوله في مشفى استنتج
وجوده بها من الوسط المحيط به- لأول وهلة، ظن أنه في
الخارج مع عائلته، فتسائل قائلاً بالإنجليزية :
_ اين أنا ؟!

ليأتيه الرد بعدها بأنه في مصر!
كيف نزل مصر أصلاً؟ وكيف حدث كل ما أخبروه به، هو لا
يتذكر أي شئ !

آخر ما يذكره .. عندما كانوا في بيتهم بالخارج يقضون الليلة
التي كانوا يجتمعون فيها جميعاً على العشاء بأمر من أبيهم
ليلم شملهم..

فقط، هذا كل ما يذكر مؤخراً!



بينما هم يخبروه أنهم قد انتقلوا إلى مصر، بل وسيقيمون فيها من الآن فصاعداً، أو-بالأدق- منذ ذاك اليوم الذى جائوا فيه -والذى لا يذكره- فصاعداً!

لا يعلم ما الذى جعلهم يتخذون مثل هذا القرار المصيرى، ولكن لا بأس مادام لم يفته الكثير بالأحداث الماضية فلا بأس أبداً!

مجرد أربع سنوات مُحيت من عقله، لم تكن تفيده في شئ.. ولكن لما يشعر بهذا الكم من الفراغ، هل حقاً لا يعلم لماذا؟! وكأن الأربع سنوات بالشئ الهين!!

فات على حادثته التى فقد فيها الذاكرة الآن شهر كامل، لم يرتح فيه ولو للحظة واحدة، كل ما يؤرقه ذاك الفراغ الذى احتل كيانه بعدها..

يشعر بفجوة زمنية كبيرة فى عقله، بينما قلبه هائماً فى وادى الخواء!!



ولا عزاء لقلبٍ ضعيفٍ سمح للهواجس بزعزعة مياهه
الراكدة !!

زفربحنق، قبل أن يعتدل وينزل من فوق السور، وسارحتي
وصل لسيارته، فاستقلها وظل يجوب بها الشوارع لبعض
الوقت، دون أن يدري لنفسه وجهة محددة، ليغرق في
شروده الفارغ مرة أخرى..

لكنه انتبه فجأة .. وضغط مكابح السيارة بعنف موقفاً
إياها على مرأى تلك التي كانت تعبر الطريق شاردة هي
الأخرى -على ما يبدو- وقد اصطدمت بها سيارته!

ترجل من السيارة بسرعة ودار حولها ليجدها واقعة أرضاً،
تمسك قدمها بالأم شديد، تسمر مكانه للحظات وهو يراقب
رأسها المحنى بصدمة، ظناً منه أنها إصابة خطيرة، قبل أن
يتدارك نفسه وينحني إليها هاتفاً بقلق :

_انتي كويسة، يا آنسة ؟!

رفعت عينيها الدامعتين إليه، فتلجم لسانه عن الحديث
للحظات وهو ينظر لها خوفاً، إلى أن هز رأسه بعنف وهو
يهتف :

_انتي كويسة ؟!

ارتبكت بشدة وهي ترفع رأسها لتنظر للتجمهر من الناس
حولها، تلك التجمعات التي ترهبها رفعت الدماء لوجنتيها
فاحمر وجهها ارتباكاً، قبل أن تحاول الوقوف فجأة،
ودموعها تزداد غزارة على وجهها دون صوت، سواء من هذا
التجمع أو من ألم قدمها المبرح !

ظل أدهم مقطباً وهو ينظر لها تحاول الوقوف، وما إن
وقفت على قدمها حتى تهاوت ساقطة غير قادرة على المشي
وصوت تأوها المتألم ارتفع فجأة !!

لكن ذراعاً أدهم تلقفانها؛ ليسندها مع قوله المتشح بالذنب
:

_انا اسف والله ما قصدتش، تعالى معايا في مستشفى قريبة
من هنا هاخذك ...

قاطعته بقولها الحاد :

_خلاص يا استاذ، ابعد كده !!

تركها ادهم فجأة وهو يدرك أنه كان شبه يحتضنها،
فاستندت هي على مقدمة السيارة بألم وهي لا تقدر على
الحراك!

ولكن بعد الضغط والكثير من جدال العامة حولها
رضخت بالأخير لأن تستقل معه السيارة ليقلها المشفى..

ركبوا السيارة سوياً وانطلق بها نحو المشفى الخاصة بهم،
ولسانه لا يكف عن الإعتذار والذي قابلته هي بصمتها :

_ انا اسف والله مقصدتش، انا كنت سرحان شوية وانتي
كنتى معدية من قدامى وملحقتش اوقف العربية .

_ خلاص يا استاذ مش مشكلة .

همست بها الفتاة بخفوت وهى تتطلع من نافذة السيارة إلى
الخارج، ليصمت هو ولكنه لم يحتمله لفترة طويلة فتسائل
بهدهوء قلق :

_رجليكى لسه بتوجعك !؟

هنا نظرت له بعينها عميقتى السواد نظرة رادعة فارتبك
للحظة وهو يلاحظ لأول مرة ملامحها بهذا القرب، قبل أن
تقول هى بهدهوء قاطع وكأنها تنهى أى مجال للحديث رغم
عبراتها التى لم تجف لشعورها بالألم الحاد فى قدمها :

_مفيش داعى يا استاذ لكل القلق ده، انا جيت معاك بس
عشان الناس إلى كانت متجمعة ومكبرين الموضوع .

صمت أدهم متجهماً ولم يتحدث بعدها إلى أن وصلوا أمام
المشفى، فتطلعت الفتاة للاسم مقطبة جبينها، ولكن أدهم

لم يلاحظ هذا وهو يترجل من السيارة ويدلف للمشفى
طالباً المساعدة..

=====

بعد قليل من الوقت..

جلست الفتاة على سرير الكشف بعدما تم فحصها وتبين
حاجتها لتجبير قدمها؛ فقدما قد كُسرت ...

جوارها أدهم الذى يقف مرتبكاً بشدة بعدما أدرك مصابها،
منتظرين التجهيز حتى يتم تجبير قدمها !

ومن ثم فجأة هبت على الغرفة عاصفة تهتف بقلق عارم :
_داليدا ... داليدا حبيبتي ايه إالى جابك هنا؟! وايه إالى
حصل معاكي؟!!

وما كانت العاصفة سوى لفريدة التى دلفت إلى الغرفة
بملامح قلقة ممتعة..

لتقف أمام داليدا تنظر لها بقلق ومازال هتافها مستمراً :
_يا بنتى ردى عليا ايه إالى حصل .

قطعت عبارتها وهى تنتبه لأدهم أخيراً فتنحنت بارتباك
قائلة :

_بشمهندس ادهم، اسفة حضرتك مخدمتش بالى انك
موجود بس ايه إالى حصل معاكم، وايه إالى جابك ليها،
اقصد ...

رفع أدهم كفه مقاطعاً إياها بهدوء :

_انا اسف بس خبطت الانسة بعربيتى وجبتها على هنا .
اكتست نظرات فريدة بالعداء للحظة وهى ترمقه شزراً قبل
أن تتدارك نفسها وهى تقول :

_حصل خير بس الدكتور قال ايه ؟!

كان الآن دور داليدا كى تتحدث بخفوت قائلة بألم :

_قال انه كسرولازم تتجسس .

اولتها فريدة اهتمامها كاملاً وهى تحتضنها برقة هامسة :

_بسيطة ... خير انشاء الله، متقلقيش انتى بس .



كانت فريدة تعلم ارتباك داليدا من التجمعات والغرباء وما شابه، فحاولت تهدئتها بالاندماج معها في الحديث قائلة :
_كنتى برة بتعملى ايه ؟!

_كنت نازلة اشترى هدية لسيف، عيد ميلاده انهارة
..وكنت عارفة انك انتى كمان هتيجى متأخر فقولت اجبلك
حاجة تديها لوبدل ما يزعل، بس قبل ما اوصل الأستاذ
خبطنى وانا بعدى الشارع .
ربت فريدة على كتفها بحنان قائلة :
_خلاص متقلقيش خير انشاء الله .

=====

_فى ايه يا ادهم ؟! ايه إالى حصلك ؟!
صدرت عن زين الذى يقف خلف أدهم فى المشفى، فالتفت
الأخير له قائلاً بتساؤل وحاجبين منعقلين :



_ ايه إالى فى ايه ؟! انت إالى جيت ليه انا كويس مفيش حاجة

تنفس زين الصعداء وهو ينظر له بتفحص قبل أن يقول :

_ وقعت قلبى منك لله، جالى إتصال من هنا قالوا انك فى

المستشفى دلوقتى، فكرت أن حصلك حاجة تانى، عمتو

كانت راحت فيها لو كان جراك حاجة .

زفر أدهم بضيق وهو يروى له تفاصيل مع حدث، إالى أن

انتهت حواس زين كلها على ذكر اسم "فريدة" لينهى أدهم

حديثه بقوله :

_ وجبتها على هنا، وظهرت اختها إالى اسمها فريدة دى وادها

بتتجسس جوا .

كبح زين ابتسامته بصعوبة وأدهم يردف بنبرة عدا :

_ انا مش عارف مالها الدكتور دى بتبصلى ولا كانى قاتلها

قتيل .



ربت زين على كتفه وهو يقول بصوت لم ينجح في كبت ضحكته :

_هدى اعصابك انت بس بلاش انفعالات احنا لسه مخلصناش من إصابتك مش ناقصين إصابة ثانية، المرادى هبعثك على العباسية عدل .

ابتسم أدهم بنزق، وقبل أن يرد عليه فُتح الباب وطلت منه فريدة، التى بمجرد أن رأت زين أمامها حتى استحال وجهها إلى ثمرة طماطم من فرط إحمراره، فوجهت كلامها لأدهم بنفس النبرة العدائية متجاهلة إياه عن عمد :

_المرادى عدت على خير، ياريت تاخود بالك بعد كده يا بشمهندس، حد غيرنا كان عمك محضر.

كتم زين ضحكته بصعوبة وهو يتطلع لأدهم الذى استحالت نظراته إلى شرر من جحيم، ولكن فريدة هى من التفتت نحو المقعد المتحرك الذى تجلس فوقه داليدا

بقدمها المجبرة، فأخذت تدفع الكرسي أمامها مبتعدة عنهم،
بينما داليدا ترمق أدهم بنظرات مختلصة جانبية تكاد
تنفجر ضاحكة رغم ألمها من نظراته التي تكاد تحرق،
الموجهة لفريدة عقب حديثها الفظ معه !!

=====

خرجت فريدة من بوابة المشفى تدفع الكرسي المتحرك
أمامها، الى أن أصبحت على قارعة الطريق، تنوى إيقاف
سيارة أجرة، قبل أن تجد أحد يهتف باسمها خلفها :
_دكتورة فريدة .

اغمضت عينيها وهي تميز نبذة الصوت التي تحفظها عن ظهر
قلب، قبل أن تلتفت بملامح عادية لا تنم عن شئ قائلة :
_نعم يا حضرة الطالب .

ابتسم زين بهدوء قائلاً بلطف :

_اتفضلوا معايا انا هوصلكم .

_لا مفيش داعى انا هاخود تاكسى .

قالتها باعتراض وهي تلتفت لتراقب الطريق مرة أخرى ولكنها
ما كادت تفعل حتى هتف زين بتحذير وقد تلاشت الابتسامة
المهذبة عن شفتيه :

_دكتورة فريدة، ارجوك اتفضلى .

نظرت له فريدة رافعة حاجباً واحداً بتمرد قائلة :

_وانا قولت مش جاية، أنت لاوى دراعى ولا حاجة ..

ضغطة خفيفة من داليدا على يد فريدة جعلتها تنبته لها و
داليدا تنظر لها بتحذير طفيف، وكأنها تخبرها "أنها غير
قادرة على التحمل أكثر من ذلك الألم"، فزفرت فريدة
باستسلام حانق قبل أن تقول بنزق :

_اتفضل حضرتك !!

.....

استقلت معه السيارة هي وداليدا فى المقعد الخلفي بينما هو
وأدهم فى الأمام؛ أدهم الذى كان يبدو متجهماً بشدة وهو
ينظر أمامه مختلساً النظر نحو داليدا عبر مرآة السيارة !

_ممكن توصفيلى العنوان .

صدرت عن زين بتهذيب شديد وهو يمسك المقود بين يديه
ناظراً لها عبر مرآة السيارة، فردت عليه فريدة باقتضاب
وعبارات مختصرة، ليومئ زين برأسه قبل أن ينطلق
بالسيارة نحو العنوان الذى وصفته ..

صمت سادهم طوال الطريق لم تقطعه سوى فريدة التى
تسألت فجأة بعفوية شديدة :

_الانسة رنيم عاملة ايه دلوقتى يا زين ؟!

سؤالها كان يحوى عدة هفوات صدرت عنها بعفوية..
تضارب رسميتها الشديدة -الأقرب الى التعنت- فى معاملتها
معه ..

بدءً من نطقها لاسمه مجرداً وهى التى لم تفعلها قبل ذلك
قط ..



سؤالها شديد العفوية عن رنيم وكأنها كانت تعرفها منذ سنوات، لم تلتقيها سوى مرة واحدة..
انتهاءً بلمعة عينيها الخضراء بلهفة وصلت زين واضحة عبر مرآة السيارة..
لذا ابتسم زين بلطف وهو يجيبها :
_بخير الحمد لله .

اومات فريدة بشرود وابتسامة صغيرة تشق شفقتها على استحياء..
لا تعلم لماذا لم تفارق رنيم مخيلتها كل تلك الأيام، ربما لأنها وجدت فيها صورتها وكل ما كانت تعانيه قبل ذلك،
ربما ...

ولكنها احبتها كثيراً دونما سببٍ يذكر!



خيم الصمت مرة أخرى عليهم، قطعتة فريدة مجدداً
ولكن تلك المرة بلهفة أشد عفوية من سابقتها:
_اوقف هنا شوية لو سمحت.

توقف زين بالسيارة حالما طلبت منه، ليجد أنهم توقفوا
أمام متجرل "ألعاب الأطفال"، ترجلت فريدة من السيارة،
وتوجهت -تحت أنظار داليدا المبتسمة- نحو ذاك المتجر!
غابت فيه لدقائق قبل أن تعود وبيدها العديد من الأكياس
والتي استنتجوا محتواها ببديهة..
ركبت السيارة مرة أخرى موجهة حديثها لداليدا قائلة بلهفة
طفولية وابتسامة حقيقة لأول مرة يراها زين على شفرتها
منذ أول مرة التقاها فيها:

_شوفي .. جبتهم لسيف عشان عيد ميلاده، انا مكنتش
ناسية بس مكنش عندي وقت فعلاً زى ما قولت، بس ادى
تداير ربنا .

ضحكت داليدا بخفوت وهي تقول بخفوتٍ مرح رغم ألمها:



يمكن يكون ربنا عمل فيا كده عشان نجيبك بدرى
ومنزعلش الواد الغلبان ده .

ضحك أدهم ضحكة صغيرة رغباً عن تجمهه وهو يراقب
تعبيراتهم الطفولية عبر المرأة...

أما زين فقد ابتسم بهدوء رغباً عنه شابه بعض الإعجاب،
وهو يعيد تشغيل السيارة وينطلق بها..

إعجاب ؟

لا .. هذا ليس إعجاب، بل .. اشتياق !

هل سيكون أحقق إن قال أنه يشعر بأنه يشتاقها حقاً، لا
ليس شخصها كفريدة، هو يشتاق لتصرفات كهذه كانت
تصدر يوماً عن واحدة كان يعتبرها كل ماله، تصرفات
تراوده على هيئة "ذكرى"!

=====

وصل أمام البناية خاصتهم فى حى بسيط يكاد يكون قديماً قليلاً، تنهد زين باستياء وهو يود لو كان الطريق أطول بضع متراتٍ آخر!

ترجلت فريدة من السيارة وغابت داخل البناية قليلاً من الوقت قبل أن تأتى مرة أخرى وخلفها رجلٌ ما !
تقدمت فريدة من السيارة قائلة لأحمد الذى يقف خلفها بقلبي متجهم :

_بسطة ماتقلقش كده .

فتحت الباب وافسحت المجال أمام احمد الذى تقدم من السيارة ليحمل داليدا فوق ذراعيه..

بينما خرج زين وأدهم من السيارة يراقبونهُ وهو يحملها ويدلف بها للبناية وكأنه لم ينتبه لهم من فرط قلقه على أخته وأخرما سمعوه صوت داليدا وهى تقول بإنهاك مرح متشبثة بكتفيه :

_عنى عليك ياخويا ضهرك اتقطع بدرى بدرى .



ليبتسم أحمد مجيباً بمرح مماثل :

_ عيب عليكى يا ديدا ... دانتي ريشة .

ضحكت فريدة بحرج قبل أن تلتفت لزين وأدهم قائلة بنبرة جادة رغم الابتسامة التى مازالت بقاياها عالقة على شفثها :

_ شكرا يا حضرة الظابط، وشكرا يا بشمهندس تعبناكم معانا .

رفع أدهم حاجبيه بدهشة، من يراها الآن لا يراها منذ قليل وهى تكاد تلتقط أى حجر لتفتح به رأسه نكالا لما فعل فى أختها..

صحيح، إن دخل عدوك بيتك فمحرم عليك أذيته!!
لكن دهشته لم تطل وأحمد يخرج من البناية مرة أخرى متقدماً منهم بجدية، مع عبارات ترحيبية تقليدية، ليقول أدهم بالنهاية معذراً :

_اعتذر عن إالى حصل ده يا استاذ احمد، انا بس ...

قاطعہ أحمد قائلاً بتهذيب :

_مفیش داعى يا استاذ حصل خير، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

ابتسمت فريدة بفخروهى تتطلع لأخيها قبل أن تقول بهدوء :

_اعرفك يا حضرة الطابط أحمد اخويا، وده يا أحمد .. زين
آآ..

_زين الدين البدر؟!!

قاطعها أحمد وهو يرمق زين بدهشة مالبثت أن استحالت
إلى ضحكة مشدوهة، بينما زين يهتف بدوره :

_احمد بركات، والله زمان يا راجل .

امتزجت ضحاكتهم تحت أنظار فريدة وأدهم المندehشة،

بينما أحمد احتضن زين بلهفة أخوية واضحة قائلاً :

_معقولة نرجع نتقابل بعد كل السنين دى !!



نظرله زين ضاحكاً بسعادة حقيقة نادراً ما تصل لعينينه
هذه الأيام، وقال :

_مش بيقولك مسيرالحى يتلاقى، عامل ايه ؟!

ابتسم أحمد بهدوء مجيباً :

_الحمد لله، اهى الدنيا ماشية، يوم لىك ويوم عليك .

_معاك حق .

همس بها زين، لتقاطعه فريدة بسؤالها المتوجس :

_انتوا تعرفوا بعض ؟!

وضع أحمد كفه على كتف زين مجيباً :

_زين كان عشرة عمر، كنا مع بعض فى المدرسة لحد

الثانوية، بعدها انا طلعت من المدرسة وهو كمل، والدنيا

فرقت كل واحد وشغلته بمشاغله، وادىها رجعت لمتنا تانى .

عبست فريدة بشدة وهى تتذكر تلك النقطة السوداء من

تاريخ أحمد، كيف خرج من المدرسة ولماذا خرج، وما حدث



بعدما خرج، لكنها أبعدت تلك الأفكار السوداء عن رأسها
الآن وهي تنتبه لاستطراد أحمد :

_ كنا على طول سوا، كنا اكثر من خوات، صحيح كنت عارف
انك بتشتغلى فى مستشفى البدر، بس مجاش فى بالى يكون
هوزين بتاع زمان، قولت يمكن حد تانى أوتشابه فى الأسماء
!!

ابتسم زين وهو يقول له :

_ حكمة ربنا يا اخى هتعرض .

_ لا ياخويا مش معترض، كفاية انى رجعت اشوفك تانى .
احتضنه زين مرة أخرى وهو يربت على ظهره بقوة قائلاً
بشجن وكأن رؤية أحمد قد عادت به لتلك السنوات الذى
يود لو يعود كما كان فيها :

_ صح، كفاية انى رجعت اشوفك تانى .

=====

"حارب معى اخطائي ولا تحاربني من أجلها"

_ها يا حلا، ايه الكلام إلی عاوزة تقوليه ؟!
صدرت عن حازم الذى يجلس مقابلاً لها الآن فى بيتهم!
كان هذا مطلبها ..أن تتناقش معه فى بعض النقاط؛ لتضمن
هدوء حياتها بعد الزواج -على حد قولها- !
"ما أوله شرط آخره نور" !

والآن هوهنا لتملى شروطها عليه، لا أحد يعلم مقدار ما
يتأجج داخله من نار الآن، بعد كل هذا وبعد كل ما حدث،
تريد أن تُملى شروطها لتوافق عليه، وكأنها مازالت لا تثق به!
ولكنه ليكون معها لآخر المطاف، ويسترضى روح الطفلة
المتمردة التى تتلبسها أتي إليها، أتي وهويقول داخله بأن
يعصرفوق كرامته ليمونة، لعله ينتهى من عناد البغال
الذى تصرعلى معاملته به !!

بل هو استنزف مخزون العام من الليمون..



_حازم ، اسمعنى للاخر ، وقدر موقفى .

قالتها حلا بقوة ، فأوماً حازم موافقاً لتقول هى يهدوء بعدما
اخذت نفساً عميقاً :

_انت عارف انا دراستى مهمة عندى اد ايه ؟!
_عارف .

_انا مش عاوزة حد يمنعنى عنها .

_ومين قال أن فى حد هيمنعك عنها ، من الاول وانتى عارفة
ان محدش هيمنعك عنها ، وانا بقولك دلوقتى تانى دراستك
حقك تكملها انا لا كنت همنعك ولا عمري همنعك ، وعهد
عليا إالى يعارضك انا إالى هقفله .
هتف بها بحزم كان خالياً من التملق تماماً ، هولم يكذب
هذا هو ما كان بضميره وسيظل ..



أما حلا فقد اسبلت جفنيها ببعض الارتباك ولم تكن تتوقع
جديته هذه في الحديث عن هذا الأمر لكنها، تشجعت
ورفعت عينيها له قائلة بشجاعة مزيفة :

_طيب، انا هشتغل، اول ما اخلص دراستي هشتغل .
كان دور حازم الآن ليخفض عينيه مُخفياً عنها انفعالاته،
هو لا يريد لها العمل، ولما العمل اساساً إذا كانت لا تحتاج
له، لكنه عاد ليقول أن هذا حقها، هولن يمنعها عن شئ
تريده وإن لم تكن تحتاجه لكنها تريده وهو ليس ديكتاتوراً
ابداً، لذا رفع عينه لها قائلاً باستسلام حانق :

_حقك، وانا مش همنعك عن حقك، مش ضعف منى، بس
انا مش همنعك عن حاجة انتى عاوزاها حتى لو مش
محتاجاها .

صمتت قليلاً لتأتى له بمطلبها الآخر:

_مش هنتجوز فى بيت العيلة، انا عاوزة بيت لوحدى .



هنا لمعت عيناه ببعض الاعتراض وهو ينظر لها وهمّ بقول

شئ ما، قاطعته هي بقولها :

_استنى، لما تسمع آخر كلامى .

صمتت قليلاً مردفة بنبرة ذات بأس :

_ومفیش خلفه، غير لما انا اقرر ده لوقبلت انى اخلف منك

اساساً .

هنا لم يدرأى جزء قد كُسر فى قلبه، أم أنه تحطم كلياً..

حطاماً لم يظهر على وجهه، بل ذاك الشيطان الذى احتل

ملامحه وقتها كان أبلغ من أى تعبير!

شيطان ساق قدماه نحوها ببطء قبل أن يقف أمامها

مشدوهاً للحظات، بعدها لم يدر ما حدث سوى كفه التى

هوت على وجنتها بصفعة؛ لعلها تفيق قلبها المتحجر من

غفلته !

=====

الفصل التاسع

====

لم يدري وقتها هل صفعها أم تلقى هو الصفعة فوق قلبه..
هل تألم فعلاً من كلماتها التي خرجت كنصل السهام نحو
قلبه، أم تألم لأنه جاء اليوم الذي امتدت فيه يده إليها؛ لا
ليربت على وجنتها بحنان بل ليرديها عقاباً على كلماتها
الحمقاء!

حمقاء؟! هل كلماتها هي الحمقاء أم أن فعله هو الأشد
حمقاً؟!

مهما كان سوء ما نطقت وإن كان مهيناً لرجولته أم لا، لم
يكن يتوجب عليه -قطعاً- أن يفعل ما فعل!

هو لم يفعل شيئاً هيناً، هو صفعها، بل صفع قلبه قبلها..
يعلم كم هي شديدة الحساسية لأمر كهذا، هي التي لم تمتد
يد عليها من قبل -ولا حتى يد أبيها- جاء هو وفعلها!

وبالأخير ولأنه لا يملك أى ذرة مقدرة على الاعتذار بعد حرب
استنزاف الكرامة التي كان يخوضها منذ قليل، انصرف !
انصرف بهدوء تاركاً إياها جالسة على الأريكة مطرقة برأسها
واضعة يدها على وجنتها الحمراء، تنظر أمامها أرضاً لنقطة
وهمية، لا يدري هل هو عدم تصديق لما حدث، أم هو
لامبالاة به وبكل ما يدور حوله !!!

أما عنها هي بعد أنصرافه..

فقد انزلت يدها ورفعت وجهها وانفها عالياً بكبرياء لا يليق
بما حدث منذ ثوانٍ، لم تبكى، لم تنفعل بل ابتسمت
ابتسامة متيبة، وعينها تحكى ألف قصة من جمود، قبل
أن تنهض متجهة نحو غرفتها بالأعلى، لتوقفها أمها على أول
درجات السلم، تتطلع لها بفرحة شابهة بعض القلق وهي
ترى وجهها المحمر وعلامات الأصابع فوقه، فتسائلت بقلق :



مالك يا حلا؟! ايه إالى حصل معاكي انتى وحازم، اتفقتوا على ايه؟!

_ماتفقناش .

همست بها حلا بخفوت شديد وهى تتطلع لأمها بملامح جامدة فى ظاهرها، قبل أن تتجه للأعلى دون أن تريح قلب أمها الذى تلوى لوعةً لمراها هكذا دون أن تدرى ما حدث معهم بالداخل منذ لحظات !

=====

_بردو مش عاوز تريحنى وتيجى تقعد معانا هنا .. هورب هنا مش رب هناك يا ابنى .

هتف بها إبراهيم بلطف وهو يربت على ظهر معاذ برفق، ليقبل معاذ يده قائلاً بنبرة اتشحت ببعض الذنب :

_اعذرني يا بابا عشان خاطرى، مش عارف اكمل فى البيت هنا نهائي ..

تنهد ليهمس بعد فترة بخفوت :

_مش عارف .

ربت ابيه فوق يديه بلطف، قبل أن يقول بهدوء وإبتسامة
عذبة تظلل شفيته :

_هون على نفسك يا ابني، مفيش مشكلة اعمل إلی يريحك،
انا عارف أنت كنت بتحب آدم قد إيه، وصعب عليك تقعد
في مكان ليك معاه فيه ذكريات، بس من اسمها "ذكريات" لا
هتجيب إلی راح ولا هترجع إلی فات .

نظر معاذ له بامتنان، قبل أن يقول بحرارة :

_ربنا يخليك لنا، ومايحرمننا منك ابداً، اعذرني انا كل م
افتكر جمعتنا هنا وبعديها أفكر أن معدش في حد ..

هزكتفيه بإشارة موحية دون أن يجد تفسيراً منطقياً
لشعوره الذي يشبه الخواء، فاتسعت ابتسامة إبراهيم
لتغضن عيناه المجدتين وهو يهز رأسه بتفهم، إلی أن قال
مشاكساً لتغير مجرى الحوار:

_طب يا بكاش، مش ناوى تتجوز بقى عشان تجبلى حتة عيل
قبل ربنا ما ياخود امانته .

_بعد الشر عنك ماتقولش كده .

هتف بها معاذ بلهفة، ليضحك إبراهيم بخفوت قائلاً :

_ايوه بقى اقعد قول كده عشان اقولك عمرالموت ما كان
شريا ابني والجوده بس لا ، ماتخودنيش فى دوكة، ورد على
السؤال .

أخفض معاذ وجهه ضاحكاً متمهداً بصوتٍ عالٍ، مما جعل
حاجبا أباه ينعقدان دون أن تزول الابتسامة عن شفتيه،
قبل أن يرفع معاذ رأسه وهو يقول بخفوت :

_مش عارف ، يمكن قريب !

_ومين سعيدة الحظ بقى ؟!

تسائل أبيه بفرحة طفيفة شابت نبرته، لتلتوى شفتا معاذ
بما نستطيع تسميته "ابتسامة" ثم أجاب بهدوء :
_لسه ماخدتش قرار نهائي .



ليرد أباه بدوره بإصرار:

_ايوا بردو مبدئياً كده هي مين؟! بنت مين؟! حد نعرفه ولا لا
؟! حبيتها امته.؟!!

رمى سؤاله الأخير بمراوغة، حققت مسعاها عندما نظر له
معاذ بعينين متسعيتين قائلاً:

_ايه يا بابا، حنيت للأيام الخوالي ولا ايه يا حاج؟!
ضحك إبراهيم مجدداً قبل أن يهتف:

_يااااه هي فين أيام الشقاوة بس .. الله يرحمها امك
، بس المهم دلوقتي هي مين إلی علیها العين والنية؟! وبطل
تتهرب من السؤال .

كان دور معاذ ليضحك، قبل أن يقول بهدوء:

_يا حاج مانت مش فاهمني انا لسه مش متأكد انا حبيتها
فعلا ولا، وعامة انت تعرفها، بنت صاحب آدم الله يرحمه .



غامت عينا إبراهيم بحزن للحظات مُتمتماً بالرحمة بخفوت
على روح ولده قبل أن يستعيد مرحة لحظياً حتى يحصل
على الإجابة من بين شفتي متيبس العقل ذاك أمامه :

_تكونش رنيم، صاحبة حلا بنت اخوك ؟!

اوماً معاذ بصمت وابتسامة صغيرة فوق شفتيه، لترسم
ابتسامة إستحسان ماثلة على شفتي والده وهو يقول
بهدوء :

_ربنا يكرمك بالخير يا بني مهما كان.. رنيم جدعة انا اعرفها
واعرف ابوها الله يرحمه من ايام آدم .

_يعنى مش مدايق انها مطلقة ؟!

رمى سؤاله بحذروتوجس، فربت إبراهيم على يده بتلك
الحركة الحنونة مع قوله :

_مدام فيها خيرليك يبقى ايه المانع ؟!

الطلاق يا ابني لاهو عيب ولا هو حرام، ده نصيب وهى مش
مُقدرة للى كانت معاه من الاول، دى كل الحكاية لاهى فيها

عيب ولا طليقها فى عيب هو النصيب مش أكثر.. هو صح
انت ماسبقلكش الجواز بس انا مربى راجل وعارف ازاي هو
قادر يفرق بين الصح والغلط !

اتسعت إبتسامة معاذ بامتنان يتزايد كل لحظة عن سابقتها
لذاك الرجل المائل أمامه، إن لم يكن هذا سنده فى الحياة
!؟ فمن يكون غيره ؟!

الآن فقط يشعر بقيمة المقولة التى تنص بأن "أبوك وأمك
هم أكثر من يحبونك فى الحياة، حب غير مشروط، فخذ
ما يمنحانه لك عن طيب خاطر؛ فهم لن يضروك ابداً"
انحنى معاذ مقبلاً يده مرة أخرى، قبلة سبقت همسه الممتن
:

_هفضل اقولها طول عمرى.. ربنا ما يحرمنى منك ابداً .

=====

_حلا فين يا ماما ؟!

هتف بها زين بغضب وملامح متجهمه، مما جعل قلق والدته يتضاعف وهي تقول بقلق :

_استهدى بالله يا زين، هو ايه إالى حصل بينها وبين حازم بس ، اخد فى وشه ومشى من غير كلمة واحدة وهي طلعت على اوضتها على طول ومعرفش حاجة م إالى حصلت معاهم ، هو قالك ايه ؟!

لم يجيب زين على تساؤلها القلق بينما يقطع درجات السلم بنهم متجهاً نحو غرفتها، وأمه خلفه تناديه مترجيه، ليفتح باب الغرفة دون طرق ويدلف لتلك التى كانت جالسة على الفراش ضامة ركبتيها لصدرها، بملامح رخامية لا يبدو عليها شئ..

تسمرت قدما زين أرضاً للحظات وهو يراها هكذا، قبل أن يندفع نحوها ممسكاً بذراعها بقبضة مؤلمة، وهو يقول بغضب :

_ ايه إالى حصل بينك وبين حازم؟!

رفعت حلا عينها نحوه ببطء قبل أن تهتف بتهكم مريم:

_ هو حالاً، حالاً ما وصلك التفاصيل واشتالك؟!

اقترب منها بعينين تقدحان شرراً، ممسكاً بذراعها بقسوة،
هادراً:

_ حازم مقلش حاجة يا ست هانم مقلش بس غيران "مفيش
نصيب" بس انا عارف انها اكيد حاجة من بلاويكى السوداء
وكلامك إالى بتحدفيه من غير حساب .

أمسكت أمه بذراعه برجاء هاتفة بهلع :

_ يا ابنى استهدى بالله مش كده، مش هو إالى بيقول مفيش
نصيب تعمل ايه هى يعنى .

صرخ زين بجنون وهو يشير نحو حلا الصامته بتبلد :

_يا امى يعنى انتى مش عارفاه وعارفة كلامها بيبقى عامل
ازاى؟! هتلاقى فين حد عاوزها وشاريها زى حازم .

_يا ابنى ماتغصبهاش على حد هى مش عاوزاه .

_وانا كنت غصبتها امته على حاجة، انا سألتها وهى وافقت،

حصل ايه بعد كده عشان ترفضه تانى .

وجه حديثه، أوبالأحرى "صراخه" لحلا:

_انطقى، قولتيله ايه؟!!

صرخت حلا بانهيأروهى تهب واقفة أمامه فجأة بغضب
الجم لسان زين تماماً:

_مش عاوزاه ..مش عاوزاه.. محدش يجبرنى عليه انا م الأول

مكنتش موافقة وعشان ترتاح انا قولت انى هتعلم

وهشتغل ومش متجوزة فى بيت عيلة، وكان من شروطى أن

مفيش خلفه وهو ماوقفش ومكفوش كمان، ده

ضربنى ضربنى فى بيتى واخويا على وش الدنيا!

صمت زين بصدمة للحظات قبل أن يهدربعنف:



_والله انا لو كنت موجود كنت كملت عليكى ضرب، اى راجل مكانه كان عمل كده، ده كلام واحدة متربية تقوله يا محترمة يا متعلمة .. ابن عمك وشاريكى مدام انتى مش عاوزة ممكن ترفضى بكل بساطة مش تهينيه وتهينى رجولته وتيجى تشتكى انه ضربك .

لتصرخ حلا مرة أخرى، وقد هاله انهيارها بهذه الحالة، والدموع التى بدأت تغرق وجهها :

_وانا مش عاوزاه وكان لازم اهينه زى ما اهانى، وبطل تدافع عنه، هو مش ملاك .

أمسك زين بذراعها مجدداً وهو يقول بغضب :

_انا مش بدافع عنه .. انا بلومك على دماغك وافعالك السوداء دى فوقى لنفسك يا حلا، انتى مش صغيرة عشان تعملى إالى بتعملية إهانة ايه إالى هواها نالك .

لم يبدو عليها أنها استمعت لما يقوله، بل هتفت دون وعى :



_مش عاوزاه .. مش عوزاه .. بكره اللحظة إالى قولت فيها
موافقة عليه، بكرهه وهكرهك يا زين لو غصبتنى عليه انا،
انا مش هتجوز واحد "زانى"!!!

=====

"الوحدة والموت هما الحقيقة الوحيدة، المطلقة فى هذه
الحياة"

ها هى فى شقتها منذ أيام، تحديداً منذ أن خرجت من بيت
حلا، كل يوم يمر ببطء أكثر من صاحبه، البيت الخاوى
بزواياه الباردة بعدما كان يشع دفئاً!

كل يوم تظل تنقل بين أنحاء الشقة تنظر لكل ركن، لكل
زاوية، كل مكان فيه يروى ذكرى قديمة لها!

وليس أقسى من الرحيل سوى الذكريات العالقة بين حنايا
الروح لو تعلمون !!



حقيقة تجربتها مع الموت سيئة، بل سيئة للغاية، لدرجة
تخالف الذين يقولون "أن الموت ليس شراً ابداً" بل هو شر،
عندما يسلب منا أعز من نملك لهو شر بالفعل !

بدايةً بأبيها، مروراً بأبنها، نهايةً بأمها !
كل هذا ألا يعد ظلماً أن تتحمله واحدة مثلها وحدها !!

صوت رنين الجرس أخرجها من شرودها العميق
بالذكريات، فنهضت معدلة حجابها قبل أن تمشى بتثاقل
نحو باب الشقة..

فتحته، وما كادت تفعل إلا وقد أغلقته مرة أخرى من
فورها، ووقفت تستند بظهرها إليه..

مجرد رؤية وجهه فقط أثارت حفيظتها بشكل لم تكن
تتوقعه في نفسها، ماذا دهاها؟! هذا هيثم من كانت تهيم
فيه حباً من قبل، إذاً ماذا حدث ؟
والجواب يأتيها بسلاسة شديدة..

حدث أن مرت الأيام لتكشف معدنه الأصلي دون تزييف،
وما أسواء من أن تكتشف بأنك عشت عمراً مخدوعاً بوهم
يسمونه حب، لتفيق منه على صفة الحقيقة، وخيبة ظن
بمن أحببت، فبئس الحب وبئس ما صنع !!

صوت طرقات الباب تجعلها تنتفض، وصوته يعيد إليها
ماضي لا تريد تذكره :

_افتحي يا رنيم، ارجوكِ اديني فرصة عشان خاطري .
صمت لبعض وقتٍ ظنت فيه أنه رحل بهذه السرعة، ثم
مالبت أن جاءها صوته بنبره خافتة معذبة :
_عشان خاطر "عمر" !!

بمجرد ذكر اسمه اغمضت عينيها بوجع حقيقى جعلها
تهتف بقسوة :

_امشى يا هيثم ، امشى مش عاوزة أشوف وشك تانى .



كرر جملته مرة أخرى بنفس النبرة وهو يستند على الباب
بكفيه من الخارج :

_اديني فرصة يا رنيم، ارجوكِ انا عارف انى ظلمتك كثير و
أهنتك، سامحيني خalina نرجع زى زمان احنا الاتنين بقينا
لوحدنا، معدش لينا غير بعض ارجوكِ !!
أجابته رنيم بنبرة قاسية ناقضت الابتسامة الصغيرة التى
شقت شفيتها :

_مين قال انى انا لوحدى؟! انا مش لوحدى.. انا معايا بابا
وماما و..... عمر!

كلهم حواليا ماسبونيش انت إلى سبتنى وانت إلى خذلتنى
يا هيثم .. معدش فيه رجوع .

_اديني فرصة !

همسه الملتاع أشعل فتيل غضبها، لتهتف بنفس النبرة
القاسية :

_معدش فيه فرص، رنيم إالى كانت قادرة تسامح خلاص،
راحت دور عليها مكان ماسبتها بحسرتها على ابنها وانت
مطلقها عشان مش قادر تبص فى وشها، روح دور عليها
يمكن تلاقيها وترجعها الى انا، قبل ما ترجعلك هي !
_رنيم .

صرخت فيه بشدة :

_امشى يا هيثم .. امشى ، مش عاوزة اسمع صوتك !
انهيارها هاله بشدة، ليجد نفسه يجر قدميه بخيبة -
متوقعة- عائداً من حيث جاء !
صدقته هي عندما قالت له "ابحث عنها حيث تركتها
بحسرتها"، صدقت وهي تترجاه أن يعيد لها نفسها القديمة
التي فقدتها؛ لعلها تعود كما كانت يوماً !!

=====



الفصل العاشر

=====

"مَن يريد القمر لا يتجنَّب الليل، مَن يرغبُ في الورد لا
يخشى اشواكه، ومن يسعى إلى الحب لا يهرب من ذاته!"
-جلال الدين الرومي.

=====

_انتي بتقولى ايه؟!

هتف بها زين بصوت خافت إثر صدمته من حديث حلا، بل
بالتحديد آخر كلمة نطقت بها!
"زانى" ..

مِن أين لها بوصف مثل هذا لحازم؟!
وما هو دليلها على ما تقول؟!

_ردى يا حلا، تعرفى منين الكلام إلى انتى بتقوليه ده؟!



وقفت حلاً أمامه تلهث بعنف، قبل أن تقول بصوت خفيض مُنْهَك :

_مش مهم عرفت منين .. المهم انى مش هعيش مع واحد مستعد كل يوم والتانى يخونى مع واحدة شكل ! صمتت لهنيهة قبل أن تستطرد :

_عشان كده قولت إالى قولته وقصدت اهينه بالكلام، انا مش عايزاه .

صمتت خيم على المكان للحظات، وكل الملامح واجمة لا يدري أحد ما يقول !

قبل أن يضحك زين فجأة بشدة مما جعل حلاتجفل، عابسة !

أهو يضحك؟! بعد كل ما قالت يضحك.. بالتأكيد يراها حمقاء الآن ولما لا؟! !

أليس صديقه ومن يدري ..

ربما يكون هو الآخر مثله مثل ابن عمه؟! !



همّت بترجمة تفكيرها على لسانها إلا أن حديث زين -الذي
دمعت عيناه من شدة ضحكه- قاطعها :

_حازم..بتقولى الكلام ده على حازم ..اسكتى يا حلا الله
يهديكى !

ازداد انعقاد حاجبها، وهى تنظرله بتعقيد، قبل أن تقول
بنبرة مهاجمة بعدائية، مُهينة :

_ماتلاقيك زيه !!!

صمت زين ولكن لم تُمحي الإبتسامة الساخرة عن شفتيه
وهو ينظرلها قبل أن يقول بهدوء ناقض الغضب الذى
انتشر على امتداد حدقتيه :

_متشكر.. بس ممكن أعرف انتى بتقولى عليه كده ليه ؟! او
بالأصح "علينا احنا الاتنين" كده ليه ؟! بما ان "تلاقينى زيه"

أشبكت أناملها ببعضها بتوتر شابه الكثير من الغضب،
تنظر له شزراً لتقول بعصبية بعد أن جلست على طرف
الفراش من خلفها :

_شوفته وهو طالع من شقة مفروشة مع واحدة شكلها،
شكلها مش مضبوطة .. والعمارة إالى كان طالع منها مع
الست دى وركبت عربيته معروف عنها أن سمعتها وحشة.. و
بيحصل فيها كل الشغل القدرده !

صمتت لبرهة ثم استطردت بأنفعال اكبر:

_تقدربقى تفسرلى ليه هويبروح أماكن زى دى أن مكنش
كده فعلا؟ ولو صفينا النية واحسنا الظن وقولنا انه كان
رايح لحاجة معينة فى العمارة دى بالذات دوناً عن غيرها..
ليه يطلع مع واحدة منها وكمان تركب عربيته وصوت
ضحكها كان واصل من اول الشارع !!

ارتفعوا حاجبا زين لبضع لحظات وهو ينظر لها، قبل أن
يتسائل بهدوء :



_وانتى ايه إالى وداكى الشارع ده اصلاً؟!
_كنت رايحة لرنيـم، والدنيا كانت زحمة والشارع العام
مقفول، فسبت العربية ونزلت مشيت من شوارع جانبية
وشوفته .

قالتـها بهدوء ظاهرى، مشتعل حقيقةً .. مشتعل بنارٍ لم تكن
تتوقع أن تجدها فى نفسها لأى سببٍ كان !
تراها أحبته حقاً، لذلك كانت رؤيته فى هذا الوضع بمثابة
ضربة قاصمة لها !

تراه الحب يضعفها، وهى التى لم تعرف سوى طعم القوة و
التمرد..

ظل زين مطرقاً صامتاً للحظات طالت، قبل أن يرفع وجهه
لها ليقول بهدوء قاطع :

_حازم مش زى مانتى فاكرة يا حلا، حازم كان هناك فى
شغل، وتحديدأ شغل خاص بيا انا .. هو مرضاش يخلينى انا



أروح يومها عشان كنت فى حالة متسمحلش اتمم مهمة زى
ده فى الوقت ده !

شجبت ملامحها وهى تتطلع له بعينين متسعيتين، لتهدر
بغضبٍ أعمى :

_شغل ايه إالى ممكن يوديه فى مكان زى ده، ويطلع واحدة
معاه فى عربيته !

_شغل وخلص .. مش هقدر اديكى تفاصيل عن اى حاجة
حالياً وزى ما قولتلك ده شغل خاص بيا انا، فلوانتى مش
واثقة فيا يبقى خليكى على موقفك من ناحية حازم لان
قبولك لحازم من عدمه بعد إالى عرفتيه هيبقى بمثابة
حكم على ثقتك فى اخوكى يا حلا، ولو مش بتثقى فيا يبقى
خليكى على كلامك !!!

هتف بها زين بنبرة قاطعة قبل أن يستدير مغادراً، تاركاً
الغرفة باندفاع !



تقدمت أمها منها بهدوء لتربت على وجنتها الشاحبة بحنو
وهي تقول بهدوء :

_استهدى بالله يا حلا، وصدقى اخوكى، هو عمره ما كان
هيكذب عليكى ولا يعمل حاجة تضرك .

غامت عيناها قليلاً بشرود وهي تنظر للباب الذى خرج زين
منه لتوه، مردفة :

_ربنا اعلم هو فيه ايه، ولا فى دماغه ايه ؟!

أعادت بصرها لحلا التى كانت تنظر أمامها بذهنٍ صافن،
قبل أن تربت على وجنتها مجدداً لتترك الغرفة هى الأخرى
راحلة !

تاركة تلك البائسة فى بحر حيرتها، بين أن تصدق ما رآته
عيناها، وتصدق ما قيل لها على لسان أخيها !!

أى "حيرة" تلك وأين تكمن "الخيرة" فى الأمر؟!

هل فى مرأى العين، أم مسمع الأذن !

عقلها يحدثها: بأن ليس هناك ما هو أصدق مما رأته
عينها !

وقلبها يحثها على تصديق حديث زين إيماناً بشعوره نحو من
يميل له حالياً !

وبين هذا وذاك هى فى حرب استنزاف للمشاعر!

ويبدو ان النتيجة محسومة لا محالة !

ولا عزاء لقلب يصارع عقلٍ عنيد كعقلها ..

=====

_ ادخل ؟!

قالها زين بهدوء وابتسامة شاحبة مُرهقة بعد المواجهة

السابقة مع حلا، وهو يفتح باب غرفة منة ويستأذن

للدخول ..



لتلفت منة برأسها وهى جالسة على مقعد أمام مكتبها
وتقول بمرحها المعهود :

يعنى مانت فتحت الباب عاوزنى اقولك مانت دخلت
وشغل الافلام ده يبقى تنسى، زين البدر ما بيستأذنش يا
باشا !

اتبعت قولها بغمزة عابثة، مما جعله يضحك بخفوت وهو
يدلف مُغلِقاً الباب خلفه..

تقدم منها ليجلس مقابلاً لها مستنداً بمرفقه على حافة
المكتب قائلاً :

بتعملى ايه ؟

لوحى بيديها بملل وهى تقول :

بذاكر، حاجة مملة، بعمل ايه انا طول النهار غير بذاكر !!

اوما بصمت وهو ينظر لها طويلاً قبل أن يتنهد بهم يثقل
كاھله وينحنى مستنداً بجهته إلى ساعده المتكى على المكتب

.. فرقت نظرات منة له وهى تتوجه لتقف خلفه وتضع كفيها على كتفيه قائلة بحنان :

_ انا سمعت إالى حصل معاكم انت وحلا، معلش يا ابيه، خليك معاها بالراحة حلا عنيدة ومش هتيجى بالشدة كده .
رفع رأسه ينظر أمامه بابتسامة فاترة ليقول بشبه مرح ظلل كلماته :

_وانتى طبعاً العاقلة الراسية صح ؟!
عقدت ساعديها الملتفين حول كتفيه وهى تنحنى مستندة بذقنها على كتفه من الخلف هاتفة :
_ عيب عليك يا راجل، انا عمرى غلبتك كده .
_ صراحة ربنا .. لا طول عمرك مطيعة عنها !
قالها بهدوء لترد هى بمرح :

_ شوفت .. وعشان كده بردو بعد إالى حصل مع المجنونة جاي للقلب الحنين هنا او بمعنى اصح .. جى تحط همك فى المسكينة الصغيرة .



ضحك زين بخفوت وهو يرفع يده مشبكاً إياها بساعديها
حوله قائلاً بحذر:

_طب القلب الحنين .. اقصد المسكينة الصغيرة قالت ايه
في إالى قولتلها عليه قبل كده .

لم تنكر فهمها في هذه الحالة... في موقف آخر كانت لتتصنع
الحُمق، وتدعى أنها لا تفهم عماذا يحكى، لكن الآن ..
تهدت بخفوت وهى تقول بهدوء شديد :

_موافقة يا ابيه !

صمتت للحظة ثم أردفت :

_عارف .. بعد إالى حصل من شوية ده لو كان عندى ذرة
رفض واحدة فهى تلاشت تماماً وحتى لو مكنتش بحبه كنت
هوافق واقولك ايوه بردو .. لانى واثقة مليون فى المية انك
عمرك ما هتعمل حاجة تضر "بناتك" ابداً ابداً !

تعمقت ابتسامة زين بعمق شعوره بالراحة بعد حديثها هذا
!

هكذا هو دائماً بعد مشادة لا طائل منها مع حلا وتمردها تأتي
منة لتمحى كل أثرٍ لهزائم المعركة التي تسبقها.. صحيح هي
أصغر منها سناً، لكنها أكثر قرباً منه، أعمق تأثيراً بمشاعره،
مشاعره التي ترتفع حد الرضا ..

منة تُشعره بأنه أدى ولو نذراً يسيراً من وصية أبيه، أما حلا
فبأفعالها المتمردة تهدم كل ذرة ثقة بينهما، وترفع بدلاً منها
ألف حاجز منيع، فأى طريقة ستجدى نفعاً مع من هي مثلها
!!

تهد زين براحة هذه المرة وهو يرفع إحدى كفيها لشفتيه
مقبلاً إياه، قائلاً بمرح :

والله مع انك عبيطة ومجنونة وطفلة مكملتش تلت سنين
ومستفزة بالكرتون إالى بتسمعيه لكن بجد .. ربنا مكملك
بعقلك !

عقدت منة حاجبها هاتفة بتوجس :

_ اعتبرده مدح ولا ذم ؟!

_ ايه لا ذم ايه وانا اقدر برضو .

=====

انزل مؤمن الهاتف عن أذنه بعدما استمع للموافقة
الصريحة لمنة على لسان زين، لا يدري بماذا يشعر تحديداً
الآن.. مشاعر شتى تجتاحه لا يميز منها سوى رغبة في البوح
الآن !

لذا استدار عن النافذة التي كان يقف أمامها في غرفة ذكرى
-كعاداته- متجهاً نحو صورتها الكبيرة المعلقة بعرض الحائط
!

ليقف أمامها للحظات برهبة قبل أن يجد لسانه يحكى
تلقائياً :

_ وافقت يا ذكرى .. إلى كنت بحكيك عنها بالساعات وكنتي
بتزهقى من كثر كلامي عنها .. وافقت، كان نفسى تكونى

موجودة فى الوقت ده معايا .. صدقيني محتاجك دلوقتى
اكثر من اى وقت عدى .. محتاجك تقوليلى اعمل ايه؟!
اقول ايه اقول لبابا وماما ازاي، اقولهم ازاي انى هتجوز و
معداش على وفاتك غير ست شهور بس، ايوا ست شهور
مش فترة طويلة لا ست شهور بالنسبة لى ست ثوانى،
حاسس كأنك لسه سايبانا امبارح .. ربنا يرحمك .. على قد
حبي وحاجتى ليكى دلوقتى ربنا يرحمك يا ذكرى !

ترك مكانه أمام الصورة، ليتجه نحو مكتبها البسيط
ويجلس خلفه لوقت طويل جداً وهو يحدق فى الصورة
أمامه .. ثم اخفض رأسه وهو ينظر لها تفه الملقى على سطح
المكتب بإهمال، قبل أن تمتد يده إليه ببطء ويفتحه ناظراً
له للحظات، وجد أصابعه تعاند عقله فى تفكيره وتكتب لها
رسالة مختصرة .. لا ليست مختصرة تماماً !



(يقولون ان أحببت أحدهم..

فقل له ليعلم، وكررها ليطمئن، واعمل بها ليقن..

وانا سأقولها لك دائماً وابدأ حتى تعلمي، وسأكررها

لتطمئني أنني اعنيها، وسأفعل بها لتوقني أنني أشهد أن لا

امراً إلا أنتِ !)

.....

أما على الجانب الآخر..

فكانت عينيها المتسعيتين تجرى على أسطر الكلمات بفمٍ

فاغر، حالها كحال أي أنثى تتلقى غزلاً لأول مرة في حياتها !

لا تصدق أن حديثٍ مثل هذا قد يأتي اليوم الذي سيُوجه

فيه إليها !

تتسائل ! هل هذا واقعاً ملموساً، أم أنه ضرباً من جنون

مصدره محض خيالها الخصب فحسب، حقاً هي لا تدري !!!

=====



فتح حازم باب غرفته بعدما سمع الطرق المستمر عليها..
حقيقةً هولم يكن يريد أن يرى أحداً ابداً، ولكن الطرق
المُح على الباب جعله يفتح متذمراً، ليجد زين أمامه، فترك
الباب مفتوحاً ودلف للداخل دون أن يعيره اهتمام. فدلف
زين مغلقاً الباب خلفه، ثم توجه إليه ليجلس مواجهاً له
وهو يهتف :

_طب أختي ومنتخانق معاها أنا ذنبي ايه في الهري ده كله .
نظر حازم عبر نافذة غرفته بضيق نادراً ما يشوب طبيعته
المرحة، ثم قال بخفوت :
_اسكت يا زين والنبى .

صمت زين للحظات ثم قال بهدوء مشبكاً أصابعه أمام
عينيه، يتفحص تشابكهما العصى، ذاك الذى يشبه
علاقتهما تماماً:



_ شافتك وانت فى عمارة*** بتجيب البنت إياها من هناك ..
ففكرتها طالعة معاك من هناك، وحكمت على كده ان
سكتك شمال .

ابتسم حازم بسخرية قائلاً دون أن ينظر له :
_ اهوده إالى الواحد بياخدوا منكم ومن عيلتكم، صحيح
خيراً تعمل شراً تلقى .

_ بتقول حاجة يا حازم، عشان ماسمعتش كويس !
هتف بها زين بتهديد، ليلتفت حازم له بشراسة هاتفاً بحدة،
وكأنه يفشى كل انفجاراته فى زين :

_ انا زهقت منكم اقسم بالله، انت وعيلتك كلها ...دى يا
راجل يوم ما تيجى تمسك عليا زلة تقوم تعمل إالى عملته
كله على حكاية غلط أساساً لا وايه كمان تخيل تكون انت
صاحب الحوار من اوله، استفدت ايه انا من كل ده غير
الاهانة، يا شيخ منك لله انت واختك .



زفر بعنف وهو يجلس مرة بعدما كان قد وقف بانفعال،
ليقابل زين انفجاره ببرود أعصاب وهو يقول ببرود :
_ اهدى بس كده يا عم الحلو، انت فاكرانى هعديلك ضربك
ليها فى بيتى بالساهل .

هتف حازم بحنق :

_ لا والنبي يا اخويا، ما اروح اعتذرلها بالمرة وابوس على
رأسها كمان، معلىش يا حلايا حبيبتي اسف انى ضربتك بعد
ما اهنتينى عشان حوار كله غلط فى غلط اصلا!
بقولك ايه اطلع من دماغى انت واختك بقى عشان أنا
استكفيت منكم اقسم بالله خلاص .

تركه زين بفرغ كل انفعالاته وغضبه حتى انتهى لاهثاً، ثم
قال بصوت مستفز لم يخفى غضبه:

_ خلاص كده هديت، اتبطيت .. اسمعنى بقى، انا اه عارف
ان كلامها معاك كان مهين واوى كمان بس انت كمان
غلطان لان مهما حصل مكنتش تمد ايديك عليها، انا عايش

ماموتش وهى لسه مبقتش مراتك، وحتى لو بقت مراتك
مش هسمحك تمد ايديك عليها اصلا، ايه رايك بقى وهى
لسه فى بيت أبوها.. يبقى تلم دورك كده وتقول يا باسط !

نظرله حازم وكأنه ينظر لكائن فضائي قبل أن يقول بصوت
باهت :

_ لا ياخويا خليها جمبك، انا لا عاوزها تبقى مراتى ولا
يحزنون انا خلاص استكفيت، لا يُلدغ المؤمن من جحر
مرتين .

_ يعنى بدمتك انت مالسه بتحيا، حتى بعد كل إالى حصل
واللى عملته فيك ؟!

هتف بها زين وهو ينظرله بتدقيق، لينظرله حازم بتبلد
قائلاً بعد برهة :

_ زين انت عاوز تلبسهالى صح ؟! اه مانت زهقت من جنانها
قولت مدام فى مغفل هيشيل على قفاه يبقى ايه المانع .



لم تتأثر ملامح زين وهو ينظر له نظرة متعالية قائلاً:
_ راعى الفاظك يا جدع انت، وبعدين ده مش رد على سؤالى
انت لسه بتحياها؟!

هتف حازم بأنفعال لم يقوَ على كبحه واستكمال الدور
بالوجه الخشب:

_ اه يا زين .. لسه بحياها عشان دى حب عمرى كله مش
هنساها فى ساعتين تلاتة، لسه بحياها وده إالى مخلينى عاوز
اقتلك واقتلها واقتل نفسى وراكم، عشان انا إالى صابنى
من وراكم انت واختك مش شوية ورغم كل ده مش عارف
اكرهها ولوحتى للحظة، عقلى الغبى عمال يخترعلها فى
اعذار، بألف حكاية ورا حكاية واقول اكيد ليها عذراها
تقول الكلام ده مع أن اهانتى منها محدش يسكت عليها،
قلبي المتخلف إالى عنده تعوق فى مشاعره ده، اول ما سمع
إالى انت قلته حنلها من كلمة، بمجرد مالى عذرهما كان
تافه وعذرا صلا يثبت عدم ثقتها فيا، قال خلاص كده



ماتعملش حواردى حلا، حلا إالى عشت عمرک کله تتمناها
وهى زى مانت عارف كده.. عينك ماتشوف الا النور !!

صمت يلهث بأنفعال ووجه محمر من شدة غضبه وحنقه
على نفسه قبل أن يكون عليها، ليستم زين بخفوت وهو
ينظر له قائلاً بهدوء فاتر بعد فترة، ونبرة باهتة :

_ اطمئن هى مش مابتثقش فيك انت لوحدهك ده فيا انا
كمان، بتقول انا مش كويس وسكتى مش كويسة بمناسبة
انى صحبك الانتيم وكده .. حلا تقدر تقول كده انها بتشك فى
صوابع ايديها.

عقد حازم حاجبيه وهو ينظر له مندهشاً بما يقول، ليردف
زين :

_ وخود الثقيلة بقى انا شبه عقدت معاها اتفاق، لو وافقت
عليك واعتذرتلك يبقى ده بمثابة إعلان انها بتثق فيا، انما

لواصرت انها ترفضك يبقى كده هي بتثبت عدم ثقتها فيا
لانىها فعلا معتبرانى عدوها !!

رفع حازم حاجبيه المنعدين بدهشة قائلاً:

_ انت يا زين، بتقولك انت الكلام ده؟! انت إالى بمثابة
ابوهم تقولك انت الكلام ده!؟

اوما زين بصمت، وحديث حازم يصيب قلبه بشدة، ليضرب
حازم كفاً على كف وهو يقول بسخرية:

_ وعاوزنى اتجوزها، لا يابا من خاف سلم دى هتخلى عيشتى
جحيم! اوما لما بتعمل مع اخوها إالى مربها كده هتعمل
معايا انا ايه!؟

اغمض زين عينيه بألم وهو يدفن وجهه بين كفيه، مستنداً
بمرفقيه إالى ركبتيه ثم هتف باختناق:

_ ساعدنى يا حازم .. ساعدنى نرجعها تانى لعقلها حلا، حلا
هتجننى اقسم بالله انا ما عانيت فى حاجة قبل كده قد ما
عانيت معاها .



_ انت بتقول ايه يا زين !؟

هتف بها حازم بتشتت، ليرفع زين وجهه له قائلاً:

_ اعملها ايه ؟ قولى انت كده اعمل ايه من موقف شافتك

فيه قلبت عليا انا، هي مش عارفة نفسها بتعمل ايه، ولا

عاوزه ايه، هي تايهة، تايهة وعاوزه إالى يرجعها من جديد

وانا مش عارف الطريق عشان ارجعها فيه !!

بلل حازم شفتيه وهو يستمع له، ثم قال بهدوء :

_ احنا مش هنعمل حاجة لان مفيش فى إيدانا حاجة نعملها

انت رميت الكورة فى ملعبها حالياً، قرارها بالنسبالي هيكون

بمثابة إعلان مشترك بينى وبينك، يا تكسبنا سوا، يا تخسرنا

سوا، وحلا أن كانت مستعدة تخسرني مش مستعدة

تخسرك انت يا زين، هي مش كرهاك هي كارهه اجبارك ليها

عليا، قرب منها بهدوء وسيبها براحتها لحد ما هيجي اليوم

إلى تقبلنا فيه سوا .. انا متأكد !!



"لا تزال رؤيتك في مقدمة رغباتي كل يوم!"

ها هو صباح يوم جديد، تبدأه بطقوسها المعتادة..

وعندما نذكر "طقوس معتادة" ها هنا لا نعني بها كل طقوس

البشر المعتادة كالاستحمام والافطار وما شابه .. لا،

الطقوس هنا لها معنى مختلف كلياً عما اعتدناه!

فهي تستفيق من نومها كاشفة عن "عينها الزمردين"،

تشخص عيناها على سقف الغرفة قليلاً مستوعبة الزمان

والمكان، ثم تلقائياً تمد يدها ناحية هاتفها المجاور لها، تقلب

فيه بعدة خطوات محفوظة بعينين ناعستين لم تستفيقا

تماماً بعد!

تنتهي الخطوات بفتح صورة شخص ما على شاشة هاتفها،

ذاك الشخص الذي بمجرد رؤيته تتضح لديها الرؤية تماماً

وتستعيد وعيها كاملاً، لتشق إبتسامة طريقها على شففتها!

إبتسامة صافية، راقية، حاملة، نادراً ما تظلل شفيتها
المزموتين دوماً، ثم تهمس بصوتٍ ناعسٍ لم يغادره النوم بعد
:

_صباح الخير، صباح كل حاجة حلوة!!

ثم تغلق هاتفها، لتتمطى في فراشها بدلال للحظات، قبل أن
تلبس قناعها المتجمد وتستقيم جالسة..
انتهت "الطقوس الأولى" لتأتى طقوس البشر المعتادة بعدها
.. ولكن!

اليوم لا رغبة لديها فى القيام، اليوم عطلة من العمل،
فلماذا تفيق من نومها يا ترى!؟

زفرت بإحباط وهى تندس تحت الفراش مرة أخرى، لتفتح
الهاتف وتنظر للصورة أيضاً مرة أخرى!
منذ متى أصبح هوسها به مَرَضِي لذاك الحد؟



منذ متى ما عادت فريدة المسيطرة على نفسها والقادرة على
كبح لجام مشاعرها في كل الأوقات ؟!

هى نفسها لا تعرف متى تدهور بها الحال لهذه الدرجة ؟!
أمنذ علمت بأنه أصبح حراً أخيراً من عقد زواج، أصبح حراً
بعد موت امرأته ؟!

لا لا .. هى لم تكن يوماً شديدة القسوة بهذا الشكل، لم تكن
لتفرح بموت أحدهم لمجرد ان يصبح "حبيبها حراً" !
وهل يا ترى هو حراً الآن ؟!

زين الدين، أولنقل -من منظورها هى- "زين الرجال"!
لم تكن يوماً شديدة التعلق بأحدهم حدّ الهوس مثلما هى
معه..

كانت دائماً تسمع الفتيات يتشدقن بحبهن -الذى أتى من
أول نظرة- ولم تكن تعلم بأنها هى سوف تحب -من أول
صورة- !!



صورة؟! نعم صورة أول معرفتها به لم تكن سوى صورة !
صورة أتت إليها غفلةً وهي تتصفح موقع التواصل !
تقريباً .. كانت تهنئة من فارس -ابن عمه- بمناسبة "عقد
قرانه" !

لا تعرف يومها ما الذي جعلها تحقق في صورته طويلاً،
وتشرد بعيداً، بعيداً !

شابٌ وسيم، بأعين خضراء شاحبة تناقض خضار عينيها
الغامق، جسد ممشوق، ضحكة جذابة، بل مهلكة، و...
شعره البني !!

ضحكت بشدة وهي تتذكر يومها كيف أن أكثر ما لفت نظرها
لصورته هو شعره، لم يكن مصففاً بعناية !

بل كان طويلاً نوعاً ما، مشعثاً بعفوية، يمنحه مظهراً عابثاً
بعض الشئ هو أبعد ما يكون عنه !!



دققت فى أدق، أدق التفاصيل، حتى ثيابه لم تسلم من
عينها المتفحصتين..

فكان يومها يرتدى بنطالاً من الجينز الغامق، وقميص أبيض
تعلوه كنزة صوفية تُظهر ياقته وأساوره !

وفى يده خاتم خطبته يغشى عينها ببريقه بين أصابعه !
تلاشت ضحكتها وهى تتحدث إلى نفسها

بأنه ما كان يومها ليس له مسمى، ما يجعل واحدة مثلها
تحب أحدهم لمجرد ان رأت صورته بل والأدهى أن الصورة
كانت مرفقة بخبر زواجه !

فأى غياب منقطع النظير هذا ؟

كانت باسمه وهى تعيد الذكريات..

لكنها عادت وابتئست، عبست، وتذكرت أنها يوماً لم تكن
تنظر إلا لرجلٍ متزوج، كان عقد قرانه، فأى ذنبٍ ذاك الذى
اقترفته!!



لكن القدر لم يكن رحيماً أبداً، فعندما أتاها به، أتاها به
يوم عقد قرانه .. فى اليوم الذى تقيد به بعقد زواج!!

هى لم تعمل فى مشفاهم منذ وقت طويل، بالكاد من بضعة
أشهر، لم ترى فيهم زين هناك قبلاً، لم تره إلا بعدما رأت
صورته..

بعدها كل زيارة له فى المشفى كانت شبه تتبعه دون أن يدري
أحداً، تتقصى أخباره أو أى معلومة مهما كانت صغيرة عنه،
حقاً كانت وما زالت .. مهووسة ..!!

وما هى بالنسبة له إلا "لا شئ" !

هى بالطبع حمقاء، لكن ليست لهذه الدرجة لكى توهم
نفسها بأنه يهتم بها ولو بمثقال ذرة، بل هى تعلم بأنها صفراً
على اليسار بالنسبة له ليس أكثر!!

ولكن لا حيلة لها مع هذا القلب اللعين..

لا حيلة لها ابداً !

لو كانت هناك طريقة لكانت محتة من حياتها بممحاة،
ولكن ذلك الحنين ليس لها يد فيه، تقسم أنها كانت تمنع
نفسها بالشدة..

ولكن كل مرة تعود إلى صورته من جديد تنسى عهداً بأنها
لا بد أن تبتعد !

طالما أنها لا تؤذى أحداً بحبها - عدا نفسها بالطبع - إذاً لا
ضرر ولا ضرار، فليقل قلبها نتائج اختياراته وحده إذا !!

_فريدة !

صوت هتاف أحمد يخرجها من شرودها وهو يدلف إلى
غرفتها فتغلق هاتفها بسرعة مرتبكة قبل أن تدسه تحت
الغطاء، حركة لم تفت على عيني أحمد الصقيرتين لكنه لم
يشأ أن يتحدث في الأمر الآن !!

بل هتف بنفس مرحة :

يلا قومى كده بمناسبة انك اجازة وانا الحمد لله اجازة انا
كمان يبقى يلا بينا نطلع نتغدى برا ونقضيلنا يوم حلوسوا
وبالمرة نفرح سيف عشان عيد ميلاده عدى ع الناشف كده
!!

زمت فريدة شفتيها وهى تقول بتكاسل :

وداليدا يا بختى، انت ناسى انها متجلسة وقاعدة هنا
هنطلع احنا ونسبها لوحدها شبه قرد قطع كده .

هى مين إالى قردة يا ام لسان دبش .

صدرت عن داليدا التى تدلف إلى الغرفة مستندة على
عكازيها بصعوبة، لتتجه فريدة نحوها بسرعة ولهفة
تسندها قائلة بتذمر:

يعنى اعمل ايه مش ده التشبيه الوحيد إالى مصركلها
متفقة عليه .

جلست داليدا على طرف الفراش جوار أحمد وهى تقول
لفريدة التى جلست على كرسى مقابل لهم :

_التشبيه ده وقف إصداره من سنة ٨٨ يا مفترية .

ضحكت فريدة، وهى تنظرلها قائلة :

_خلاص، سوري سوري .

امتعت ملامح داليدا وهى تنظرلها ثم قالت :

_طيب يا اختى، مش عاوزة تطلعى مع أحمد وسيف ليه ؟

_نطلعوا فين ونسبوكى هنا .

هتفت بها فريدة باندهاش لتقول داليدا بهدوء :

_لا مانا ندى هتبقى معايا.. هى رفضت تروح وتسبنى

لوحدى، اطلعى انتى مع أحمد وسيف عشان خاطر سيف

مطلعش فى عيد ميلاده، وانا هفضل مع ندى هنا، كمان

عشان سيف بيحبك وتبقى معاها .

ظهر عدم الاقتناع على ملامح فريدة، لتجد الصغير يهرول

من خلفها هاتفاً باسمها المتقطع، فتلقفته بين ذراعيها

ضاحكة فهتف الصغير بنبرته الطفولية :



_يلا ايدا، عشان خاطرى.

قبلت الصغير على جبينه وهى تنظرله ضاحكة :

_بتثبتنى انت صح، خلاص يا سيدى جاية .

=====

تأففت حلا بضجروهى تنظرلمنة -التي تصرعلى ركوب

ألعاب الملاهى - بامتقاع، هل تعتقد نفسها طفلة مثلاً !!

أدارت وجهها بعيداً عنها كي لا تصاب بنوبة قلبية..

حينها نظرزين إليها وهى تشيح بوجهها بعيداً عنهم !

اليوم هو استجاب لطلب "طفولى بحت" من منة بأن

يذهبوا لمدينة الملاهى، وها هو فعل مصطحبين حلا معهم

بعد طول عناد وقد رضخت إليهم فى الأخير بنزق !

نظرزين لمنة وهو يضحك على طفولتها قائلاً :

_يا ماما مش عيب لما شحطة زيك كده تقول عاوزة تركب

لعبة فى ملاهى .



نظرت له منة بتعالى ثم قالت بعملية شديدة :

_ ايش فهمك انت، الملاهى دى مزاج يا ابنى اه والله.. بالك
انت لما ترقعلك صوتين فى اللعبة إالى بتشقلب الناس دى
مش هيفيدوك، إطلاقاً .. "ابسلوتلى" ده انت كده بتحرر
الكبت إالى عندك على هيئة صرخات، ويا سلام بقى لو
معاك واحد صاحبك عبيط ودماغه مهوية، ياااه ياااه يا
ابو الزين هتكون احلى متعة، صراخ وضحك ومن كل إالى
قلبك يحبه !

ضحك زين عالياً، وهو ينظر لها تتحدث عن الملاهى وكأنها
تتحدث عن إكتشاف حديث فى مجال الطب، قبل أن يهتف
بمرح :

_ الله يخربيتك يا منة، نظريتك عن الملاهى هايلة .

ابتسمت منة بفخروها تقول بتباهى :

_ اومال يا ابنى هو انا اى حد .



نظرت لحلا -المبتسمة دون حديث- نظرة جانبية وهى تقول
بخبت :

_العيب الوحيد بس انا معيش حد من صحابى كانت هتبقى
ليلة فل والله .

لاحظت حلا نظراتها الخبيثة نحوها فنظرت لها باستنكار
ورفض لحظى، قابلته منة بتحدٍ أكبر وكأنها مسألة حياة أو
موت !!

.....

صراخ، صراخ مَرِح يصم اذنيها، سواء من منة أو من تلك
ذات العينين الخضراوتين التى تجلس جوارها، حتى هى
كانت تصرخ وتضحك بمرح وانتعاش وكأنها لم تعش من
قبل !

لم تتركها منة إلا وقد ركبت جوارها فى تلك اللعبة المهلكة ..
تنزل بهم لأسفل بشدة، ثم ترفعهم عالياً وكأنهم يحلقون، ثم
تدور بهم دورة كاملة بشكل حلزوني، بشكل يخطف الأنفاس

لمن يقف متفرجاً من بعيد وهو يظن بأنهم سيسقطون في لحظات كالديجاجة الذي يقع من القفص !!!

_الحقيني يا منة هموت من كتر الدوخة .

هتفت بها وهي تشعر بالكون ينقلب ثم ينعدل، ثم يدور !
ضحكت منة عالياً وهي تصرخ عندما اعتدلت بهم اللعبة مرة أخرى فجأة، ثم قالت بصوت عالٍ :

_دوخة !!! يا مصيبتى، مبروك المدام حامل !!
ضحكت حلاً عالياً، وهي تعاود الصراخ بذعر هي الأخرى عندما تحركت بهم اللعبة بشكل مفاجئ، ثم هتفت بها ضاحكة :

_الله يخربيتك إالى يسمعك دلوقتى يقول ايه ؟!
يقول إالى يقوله محدش مركز اصلا، وبعدين احنا بنتنا
أشرف م الشرف، الطارولا العاريا هريدى يا ولدى !



هتفت منة بمرح انتهى بصرخة مرة أخرى، تلتها أخرى من
حلا، وكلّ منهم تشعر بأنها تحررت من قيد وهمي، وتحلق في
السماء فعلياً !

حسناً فلنعترف، نظرية منة عن الملاهي لم تكن سيئة إلى
هذا الحد على كل حال !

.....

أما بالأسفل فكان زين يراقب مظهرهم من بعيد مبتسماً
بشroud !

لأول مرة يرى حلا متحررة بهذا الشكل، وكأنها لا تنعى للدنيا
هماً !

ولكن هذا لم يثرد هشته لهذا الحد، بل تلك التي تجاورها،
هي ما جعلت عيناه يتسعان بعدم تصديق وصوته يهمس
بانشداه :

_فريدة، هي دي فريدة !!

نعم هي فريدة، من كانت تصرخ بلا قواعد ولا قيود، تضحك بصوت عالٍ جداً يكاد يرى ملامحها المبتهجة من كل هذا البعد !

فريدة التي لطالما اقترنت رؤيته لها بحزنٍ ما، يراها الآن على تلك الصورة..

تلك الصورة التي انطبعت في مخيلته، ولا يظنه سينساها، مطلقاً !!

أخيراً انتهى وقت اللعبة، وانتهت معه تلك اللحظات التي حملت كلاً منهن على "بساط ريح" تجول بهم عبر السماوات وفوق السحب !!

اقتربت منة من زين ضاحكة وهي تسند حلا التي كانت على وشك السقوط من فرط ما تشعر به من دوار، فقطع زين المسافة بينهم وهو يسندها قائلاً بابتسامة :

_انتوا نازلين من اللعبة دى شبه أسرى الحرب، لا .. أسرى
حرب مين دانتوا عاملين شبه إالى لسه عامل دماغ متكلفة !
لتهتف منة بمرح ، لاهثة وهى تجلس معهم على طاولتهم فى
"الكافيتريا":

_بنوع فاخر كمان مش أى نوع !!!
ضحكت حلا وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة قائلة :
_ياربى، كنت هموت والله العظيم .
ابتسم زين وهو يتطلع لها..
تتحرر من قيودها شيئاً فشيئاً، تماماً كما توقع حازم وكما
أمره أن يفعل..
ولكن صورة لأخرى تضحك صارخة تداعب مخيلته فتتسع
ابتسامته بعمق، قبل أن يفيق على صوت منة تقول :
_يكرمك ربنا يا ابيه روح اشتريلنا حاجة نشربها الهى يسترک
ريقى ناشف .
ضحك زين وهو يهيب واقفاً ويقول :



_ خلاص ياما انتى هتشحتى، اللى واقفين على باب السيدة
مش بيعملوا كده !!

ابتعد عنهن ليشترى لهن شيئاً، ومازالت الابتسامة عالقة
على شفتيه، بل طوال طريقه يضحك بين الفينة والأخرى
وهو يتذكرهم جميعاً حلاً ومناً و.. فريدة !

تقدم من منصة البائع ليدفع ثمن ما أخذ ليرى أحمد واقفاً
أمامه حاملاً طفلاً فوق ذراعيه وجواره فريدة تداعب هذا
الطفل بمحبة شديدة، ربت زين على كتفه من الخلف،
ليلتفت له أحمد متفاجئاً للحظة، قبل أن يندمج معه في
حديث طويل لم تنل فريدة الواقفة جوارهم أى جانب منه !
إلا بعد أن أنهى زين حديثه مع أحمد ملتفتاً لها قائلاً
بابتسامة :

_ ازيك يا فريدة .

ردت فريدة بابتسامة مصطنعة التكلف :

_الحمد لله يا حضرة الظابط .

ليأتى صوتٌ عابثٌ داخلها :

_يا دبشة، الراجل الكبيرة يقولك عاملة ايه يا فريدة تقومى

تردى الرد الناشف ده لا وياحضرة الظابط كمان، والله

ما فى حد عسكرى غيرك هنا ، يا فقريافقر!

زمت شفتيها بشدة تمنع ضحكها من الانفلات وهى تتقدم

مع أحمد وزين نحو الخارج !

ذهبوا لينضموا على طاولة واحدة جميعهم، مع أخوات زين

اللواتى احبتن بشدة وخاصة منة تلك المشاغبة، ولما

لا أليسوا أخوات زين، إذاً فستعشقهم حتى لوكانوا لا

يُطاقون يكفى أنهم قريبين منه، فقط يكفى !

هاهو هوسها يعاود بسط سلطانه على شعورها بأكملها،

فتتمحور كل أفكارها عنه !

وكيف لا وهو يجلس أمامها الآن تجمعهم طاولة واحدة،

بضحكته التي تكاد تصيها بالجنون !!

صدقاً .. من أين له بضحكة كهذه ؟

ضحكة وقورة بصوتٍ رخم رغم المرح الذي يكاد يشع من

كلماته وكأنه لم يكن يضحك طوال حياته !!

وتلك الحركة التي يفعلها بعفوية شديدة كلما يرفع يده

ويمررها بشعره مرجعاً إياه للخلف، تخطف عينيها كل

لحظة ..

أعلم أنها تعشق شعره بالأخص فيتعمد كل لحظة وأخرى

أن يجذب نظرها إليه..

هذا ليس عدلاً، ليس عدلاً!

"الذي ليس عدلاً ما تفعليه، كفاكى نظراً وتأملاً له، حرام ..

أمرنا الله بغض بصرنا فما الذي تفعليه انتى يا مُغيبة !!؟"



صدحت هذه الكلمات في عقلها فجأة، فزفرت بعنف وهي
تطرق برأسها بعيداً عن مدى رؤيته..

بقايا ضمير لديها يخزها بشدة، وخوف من خالقها يجعلها
تشعر بذنبٍ لما تفعل !

لكن أليس الله هو مالك القلوب "يقلبها كيف يشاء" ؟!
ماذا تقدر على فعله هي سوى الدعاء لربها أن يهديها طريقاً
صحيحاً !

فقلبها ليس لها يدٌ فيه، ذاك الحنين الغادر ليس لها يدٌ فيه
أبداً !!

=====



الفصل الحادى عشر

=====

وليس لنا فى الحنين يد، وفى البعد كان لنا الف يد،

السلام عليك..

افتقدتك جداً، وعلى السلام فيما افتقد!"

-محمود درويش

=====

تنحى زين وأحمد على طاولة بعيدة نسبياً عن الفتيات،

ليحظى كلٌ منهم بحرية الحديث..

جلس زين مقابلاً له، وهو يتسائل بخفوت :

_ايه إالى حصل معاك يا أحمد، وليه سبت المدرسة اصلاً

ايامها ؟!

ابتسم أحمد بخفوت شابه بعض الألم رغماً عنه وهو يطرق

برأسه للحظات قبل أن يرفع عينيه له قائلاً بنبرة شاردة :

_مطلعتش بمزاجى، ولا كنت اتمنى انى اطلع، مكنتش اتمنى
لنفسى اتدل الذل إالى انا بشوفه لحد دلوقتى بس ما باليد
حيلة .. كلنا مكنش لينا يد فى إالى حصلنا، انا وداليدا
وفريدة .. مكنش لينا ذنب ابدأ !

تلقائياً ارتفعت عينا زين نحو فريدة المبتسمة على الطاولة
المواجهة له، لتلتقى عينيها بعينه من فورها..
أهى كانت تراقبه أم أنه يتخيل مثلاً؟!
اخفضت عينيها بسرعة فى حرج وهى تزدد ريقها بصعوبة
وتهمس فى نفسها :

_اهدى، لا اتلمى .. اتلمى عشان شكلك بقى وحش اوى !!

بينما زين أعاد عينيه المبتسمتين إلى أحمد منتبهاً لحديثه
بعد ما لم يسمع بقية ما قال منذ ثوانٍ، لينظر له أحمد
بعينين شاردتين وكأنه يعايش الذكرى من جديد....



كانت حياتهم مثالية، بل مثالية جداً في الواقع..
أب متفهم، أم حنونة، أخواته اللواتي يعشقهن، حياة هادئة
يتمناها أى بشر، ولكن دائماً تجرى الرياح بما لا تشتهي
السفن، ولا بد من وجود موجة ما تزعزع مياه الحياة
الراكدة..

وكانت أول ضربة لهم متمثلة في "وفاة أمهم"!
يعتقد أحمد أنها كانت أقوى الضربات وأكثرهم كسراً لهم..
لكن هو كان أكثرهم تماسكاً بعد أبيه، بينما داليدا كانت
كبيرة بما يكفي لجعلها تستوعب موت أمها وتصبر على
فجيعتها، أما فريدة فهي من جمعت حزنهم وزادت فوقه
أضعافاً واستأثرت به لنفسها..
فكانت أكثرهم حسرة وحزناً، بل وتلك "الحالة" التي تنتابها
كان مصدرها موت أمها !!



ولم يمر وقت طويل بعدها، بالكاد استعادوا فيه حياتهم الهادئة لكن ليس السعيدة -بالطبع- لكنها على الأقل كانت هادئة، وهذا يكفي!

ولكن حتى الهدوء لم يكن لهم به نصيب، ليفاجئهم أبيهم بـ "زوجة جديدة" بعد أمهم..

بالطبع ثارت فريضة واعتراضت رغم أعوامها الأربعة عشر وقتها، وظهر رفض داليدا جلياً في كل أقوالها وأفعالها، لكن أحمد هو ما كان صامت طوال الوقت لم يعلق بشئ.. لم يعترض ولم يوافق، كان يدرك أن أبيه لابد له الزواج ولم يشأ أن يبدأ عداوة بينهم الآن، يكفيه رفض إخوته، لكنه لن ينكر ذاك الرفض والنفور الذي اجتاحه تجاه تلك المرأة منذ رآها!

وقد صدق حدسه، قد صدق تماماً!

.....

_أحمد، انت معايا يا ابني!؟

قالها زين الذى ينظر لشروده الطويل باستغراب وحاجبين منعقلين، فهز احمد رأسه نفيماً بإشارة غير مفهومة وكأنه ينقى أفكاره، ثم ابتسم باصطناع وهو يقول :

_ معاك يا حاج هو انا هربت يعنى ؟!

ابتسم زين بتردد وهو ينظر له قائلاً :

_ الأوضاع كانت صعبة اوى كده ؟!

ضحك احمد بإستياء وهو يطرق برأسه، ثم رفع عينيه له، قبل أن يسرد كل ما تخاطر على ذهنه منذ لحظات.. ليعقد زين حاجبيه بضيق وهو يزداد تأكيداً بأن القادم لن يعجبه، إلا أن هرولة سيف نحو أحمد جعلته يصمت ويرفعه بين ذراعيه ليقول الصغير بتذمر:

_ كفاية قعدة بقى، عاوز أركب المراجيح .

ضحك احمد وقبل وجنته الممتلئة ثم قال وهو يهب واقفاً :

_ يلا يا سيدى اركب شوية قبل ما نمشى .



سبقة الصغير بخطواته الطفولية قبل أن يستدير لزين
المبتسم بهدوء والذي قال له :

_لينا قعدة تانية سوا، بس روح مع ابنك دلوقتي .

ضحك أحمد زهو يهتف بمرح :

_الا قولى يا زين، انت مش ناوى تتجوز بقى ولا ايه، اديك
بتقول "ابنك" مش عاوز يكون عندك ابن انت كمان .

تلونت عينا زين الفاتحتين بمشاعر شتى كان الألم جلياً على
سطحها، ليضحك بافتعال قائلاً بنبرة جاهد لجعلها
طبيعية:

_قول يارب، معندكش عروسة ؟!

كاد أحمد أن يرد إلا أن سيف الذى عاد متذمراً جعله
يصمت وهو يستدير ليذهب معه رامقاً زين بنظرة غريبة لم
يستطيع الأخير تفسيرها..

=====



كانت تجلس على مقعد خشبي بسيط جوار نافذة غرفتها
التي تطل على الحديقة الخضراء بمنظرها المريح للنفس
وهي تحمل بين يديها المصحف الشريف تقرأ وردها اليومي
منه..

ترتدى جلباباً بسيطاً أبيض اللون، ترتديه وقت صلاتها و
حجاب بسيط يحيط بوجهها الأبيض الصبوح..
فكانت قبلة للنظر بتلك الهالة التي تحيط بها تُشعرك وكأنك
تنظر لهالة من نور..

وهذا تماماً ما كانت تفكر فيه أمها وهي تدلف للغرفة عليها
دون أن تشعر درة بها، حيث كانت مستغرقة تماماً فيما
تقرأ..

جلست عير أمامها لتنتبه لها درة أخيراً وترفع وجهها إلى أمها
المبتسمة بفخر وحنان، ومضات من فرحة تظلل عينيها
الشبيهة بعينيها جداً!



هى وأسروأمها لهم نفس لون العيون المميز، حتى يارا-والتي
تكون تؤام أسر- لم تكن مثلهم، هى وأسرفقط من ورثوا
لون عينيها الأزرق عن أمها !!

لا يعلموا لماذا هم هكذا حتى ؟!

تقريباً "جدتهم الكبرى" كانت من أصل تركى كما حكى أمها
لها يوماً؛ لذلك هم كذلك..

صدقت درة وأغلقت المصحف وهى تتمسك به بين يديها ثم
قالت بابتسامة لأمها :

_ خيراً ست الكل !؟ نظرتك دى مش مريحانى .

ضحكت عبيروهى تنظرلها قائلة :

_ الواحد مش عارف يعمل فيكم ايه انتى واخواتك محدش
عجبكم نهائي كده .

قبلت درة رأسها وهى تقول بابتسامة مَرحة :

_ مين ده إالى انتى مش عجباه دانتي "كبيرة الفخايدة" فخد
فخد، وهو حد يقدر يتكلم .



ضحكت عبير عالياً وهى تنظر لابنتها بنظرة غير مفسرة
بالنسبة لدرة التى ضيقت عينها وهى تنظر لها بتشكيك
لتقول بنبرة محقق بوليسي :

_لا بقولك ايه يا عبير، فى موضوع انتى عاوزة تتكلمى فيه
ومش عارفة تبدأى منين، فندخل فى الموضوع على طول الله
يكرمك عشان لمعة عينك دى مش مريحانى .

ضحكت عبير مجدداً، ثم صمتت وهى تنظر لها بابتسامة
لتقول بجدية هذه المرة :

_تعرفى يا درة انى فخورة بيكى اوى، رغم أنك
قاطعتها درة بسرعة هاتفة :

_ايوا ايوا هتقعدى تقولى جيتى غلطة، على سهوة مكناش
مخططين نجيبوكى اصلا، والكلام إالى بيحسنى انى عالة
على المجتمع ده .

_بس بس فى ايه هو انا لحقت اتكلم اصلا .

_طب كملى يا ست الحبايب ايه إالى عندك .



استطردت عير بجدية :

_بصى بقى يا بت انتى مدام الذوق منفعش معاكى، خالك
حسين تحت مع ابوكى وطالب ايدك لفارس، وانا بصراحة
موافقة.

تبلدت تعايردرة تماماً وهى تنظر لأمها، ثم ابتسمت فجأة
بسماجة قائلة وهى تشير لامها بسبابتها :

_على فكرة يا عير النكتة دى مش حلوة، مبقتيش بتعرفى
تألشى .

رفعت عير حاجباً واحداً، دل على روح الأم الشريرة التى
تلبستها هذه اللحظة وهى تنظر لدرة بتلك النظرة التى لا تنم
عن خير، إلى أن قالت أخيراً بهدوء :

_نقول تانى الظاهر ما سمعتيش، خالك حسين تحت مع
ابوكى .. طالب ايدك لفارس وانا موافقة .

زمت درة شفتيها وهى تنظر لها بحيرة ثم قالت بمراوغة :



_بردويا عبير ادائك مش عاجبني، وبالذات آخر جملة دي
ملهاش اى لزمة خالص، بعيد عن أن أنا مش موافقة وكده
كده مش هتفرق فى حبكة الحوار، لكن الجملة دي بالذات
متنفعكيش ماهو ابن اخوكى، ومين يشهد للعريس .
زفرت عبير بحدة وهى تتطلع لدرة بجدية، ثم تسألت :
_يعنى ايه مش موافقة ؟!

_هى كلمة مش موافقة ليها تفسير تانى يا عبير؛ بس مش
مشكلة نبقى نشيلها م السيناريو ونحط حاجة اوضح .
لتهتف عبير بحدة بعدما عيل صبرها من سماجة درة التى
تتعهد لها لى لا تعطى للموضوع أهمية :

_درة !! احترمى نفسك، واتكلمى معايا زى ما بكلمك بلاش
قلة أدب، ده اسمه عدم تقدير!

عقدت ردة حاجبها وهى تنظر لها بجدية ثم قالت بنبرة
تحاكي نظرتها :



_ انا مقولتش حاجة غلط، انا فعلا مش موافقة وده إالى انا قولته .

وقفت عبير وهى تهتف :

_ومش موافقة ليه ان شاء الله ؟

لم تنفعل درة بل رفعت كفها بهدوء قائلة بعقلانية :

_كده ... عشان فارس مش الزوج إالى انا اتمناه .

ردت عبير بحمائية لابن أخيها :

_ليه بقى ان شاء الله ؟! ناقص ايد ولا ناقص رجل، راجل

محترم ودكتور ليه اسمه، بيصلى وعارف ربنا ايه إالى

مخليكى معارضة بقى .. وبلاش تتكلمى فى شغل البنات بتاع

مابحيهوش والكلام ده عشان أنا امك وفهماكى اكر من

نفسك يا درة، كل الكلام ده مايفرقش معاكى قبل الجواز!

أجابتها درة بتلقائية، مؤكدة :

_فعلا يا ماما، انا كل الكلام ده مايفرقش معايا، انا عمري

ما ابص لراجل واقول بحبه اول قبل مايكون فيه بينا رابط

شرعى ده تفكيرى وانتى عارفاه كويس، بس ده ملهوش
علاقة برفضى لفارس، راجل محترم ودكتور ليه اسمه
مقلناش حاجة ربنا يزیده والف واحدة تتمناه بس مش انا
!!!

يا بنتى طب ليه؟! ما اهو كويس وانتى بلسانك بتقولى عليه
ايه .

يا ماما انا مش هعيب فيه، بس مش ده الزوج إالى انا
اتمناه، مش فارس ... لا .. انا عاوزه واحد تفكيره زى
تفكيرى، واحد يكون زى، فارس متحرر وتفكيره متحرر
وعمرنا ما هنتفق على حاجة ابدأ، انا عاوزه واحد بدل ما
يدخل بيته مستننى ابقى لا بساله الاحمر والاصفر، يسألنى
حفظتى ايه م القرآن، راجل يبقى شيخى قبل مايكون
جوزى، راجل يعينى على الخير وياخود بإيدى للجنة، تقدرى
تضمنيلى أن ابن اخوكى يكون كده زى مانا بتمنى ؟!



صمتت عبير للحظات أمامها، فاستغلت درة صمتها واردفت
:

_لا طبعا ماتضمنيش، لانه هو غير كده تماماً وبطبعه

المتحرر عمره ماهيناسبني ولا هيناسب تفكيرى !!!

زمت عبير شففتها وهى عاجزة عن الرد أمامها، لكنها بالأخير
قالت :

_انتى حرة فى رأيك بس ربنا مقلكيش تحكمى على الأمور

بسطحية كده، خلينى انا بتحيز لابن اخويا وباجى عليكى

عشانه مع انى عمرى ما هكون كده ابدأ، ربنا قال "إذا

جائكم فاسق نبأ فتبينوا" ويالك انا امك مش حد

عاوزلك شر، من حق فارس تسمعيه مش تحكمى عليه

بالشكل ده انتى متعرفيش عنه وعن طباعه حاجة عشان

تتكمى بثقة كده، اتكلمى معاه وافهميه وقبل كل ده صلى

استخارة محدش بيجبرك على حاجة، بس لازم تديله

فرصته .



صمتت لوهلة تلتقط أنفاسها ثم قالت :

_فارس بيحبك، وده واضح جدا بعد ما اخذ الموضوع بشكل
رسمى احتراماً لطبعك ودخل البيت من بابہ زی ما بيقولوا
لا حاول يتواصل معاكي بشكل شخصي ولا غيره، من حقه
زی ما أحترم تفكيرك وطبعك تحترمي مشاعره وتديله
فرصة، وفوق كل ده انا مش عاوزة مشاكل مع خالك يا درة،
رفضك هيبقى بمثابة حاجز هيترفع بينا وانا مش عاوزة
حاجة بيني وبين خواتي ويكون سببها ولادی، فكري فی إلی
قولتهولك! واعقلي الكلام كويس.. وفي الاخر ده رأيك وانتي
حرة فيه عشان متقوليش اني بجبرك على حاجة مش
عاوزاها.

قالت عبير كلماتها ثم استدارات خارجة من الغرفة تاركة درة
مكانها جوار النافذة، تائهة بالمعنى الحرفي للكلمة، لا تدري
ماذا تفعل ..



جزء منها يقول أن كلام أمها صحيح تماماً، والجزء المتمرد
العنيد داخلها يرفض كل ذلك ويتمسك بوجهة نظرها فقط
!!!

=====

_ها يا عبير!

قالها حسين وهو ينظر لها بهدوء بعدما أتت وجلست
جوارهم هو وزوجها، لتقول عبير بهدوء وابتسامة متكلفة :

_انت عارف البنات يا حسين عاوزين ياخدوا وقتهم
ويفكروا، عاوزة يومين تصلى استخارة وتقولك ردها !!

ابتسم حسين باستحسان وهو يقول :

_عين العقل، طول عمرى بقول على درة اعقل ولادك يا
عبير، عشان كده ماستغربتش لما فارس قالى انه عاوز
يتقدملها، حتى انه رفض يجى معايا قالى عشان هى ممكن
ما تحبش وجودى .



ظلت بابتسامة عبيد متجمدة على شفيتها وهى تنظر لأخيها
وتهمس فى نفسها بنزق :

_ربنا يهديكى يا درة، بقى ده شاب يترفض .

=====

طرقت باب مكتبه ببطء ودون حماس، بل بخوف،
نعم كانت خائفة، تريد أن تعرف الحقيقة، حقيقة مقنعة
تهدى بها قلبها وعقلها معاً، لكنها لا تريد أن تُظهرها بمظهر
المخطئة، فمازال كبرياءها اللعين حائلاً بينها وبين الجميع !
_ادخل .

صوت زين الرخيم أتاها من الداخل، ففتحت الباب ودلفت
إلى الداخل بخطٍ وئيدة، إلى أن تقدمت من مكتبه وجلست
أمامه تحت انظاره المتفحصة باندهاش..

ظلت حلا مطرقة برأسها لبضع لحظات قبل أن تقرر التحلى
بالشجاعة وترفع وجهها له قائلة بهدوء ونبرة ميتة :

_ ايه الحقيقة يا زين ؟ ايه الصبح ورا كل الكذب إالى احنا فيه ده ؟!

استرخى زين فى مقعده مستنداً على ظهره بأريحية، ثم قال بعد لحظات :

_ قبل كل ده ! انتى مصدقانى اصلاً ؟

صمت للحظات ثم أردف بنبرة ذات مغزى :

_ انتى بصراحة آخر كلامك ليا كان غير كده، كنتى بتقولى عنى انى

_ انا اسفة !

قاطعته حلا فجأة بحدة، مما جعل زين يغير مجرى حديثه تماماً، ويقول بهدوء ناقض كل مخططاته فى التعامل معها هذه الأحيان :

_ انتى عايزة تسمعى ايه ؟!

_ الحقيقة، ايه إالى بيحصل من ورانا، ايه إالى يخليك انت وحازم تدخلوا فى المتاهات دى ؟!



أجابته بصراحة شديدة، استعجبتهما هي في نفسها لكن وبما أنها قد اعترفت وانتهى الأمر فلتكمل ما بدأتها :
_ انا، انا مقصدتش اللى قولته عنك انت وحازم وبالذات انت يا زين، انت عارف كويس انك في مقام ابويا وانا عمري مكنت اعيب فيك بكلام زى ده، انا ..

صمتت وقد اختنق صوتها بالبكاء والتمعت عينيها بدموع حبيسة أبت -رغم كل شئ- أن تذرفها، ليقوم زين من مكانه خلف مكتبه وتوجه إليها ليجلس أمامها، منتظراً إياها بصبر أن تكمل، وبالفعل أكملت بعد لحظات وهي مطرقة برأسها :
_ انا قولت كده من غضبي.

أطرقت براسها للحظة ثم تمتمت بخجل:
_ انا كنت كنت حبيته، انا حبيته من زمان اصلاً، بس اتأخرت اوى على ما اعترفت لنفسى بكده، وبعد كل ده اجى اشوفه كده زى ماشوفته، ده كان كفيل أنه يهد كل قناعاتي



.. كان كفيل يمحي كل ذرة ثقة اديتهاو، عشان كده اهانتته
واتعمدت اهينه، لكن بعد كلامك حسيت انى توهت، توهت
ومش عارفة حاجة خالص انا مكنش قصدي انى اغلط
فيك او اتهمك بحاجة زى دى، لكن وقوفك فى صفه خلى
غضبي يزيد .

أجابها زين بهدوء وهو يشبك أنامله ببعضها :
_ انا موقفتش فى صف حد يا حلا، هو اخويا زى مانتى اختى،
انا وقفت مع الحق، إالى انا قولتهولك كله مفهوش حاجة
غلط، هو فعلا كان فى شغل وشغل ليا انا، انتى إالى رافضة
تصدقى الحقيقة !

رفعت حلا عينيها الدامعتين له وهى تلوح بيديها بيأس قائلة
بفتور :

_ مش مصدقة عشان ده مش كلام مقنع، انا مش مقتنعة،
ان كنت صدقت أن حازم ملهوش ذنب وكان فعلا فى شغل



ليك ... ايه علاقتك انت بالشغل ده، ايه علاقتك بالاستات
دى وبمكان زى ده ؟!

أطرق زين برأسه للحظات، وهويشعربأن كل الطرق تُسد
أمام وجهه..

حالا ليست غبية لكى تقتنع بكلمات مموهة، غير مُجدية عن
خطتهم وما هم واقعين به، لن تهدأ إلا وقد عرفت كل شئ
يبرئه ويبرى حازم أمامها..

و"كل شئ" -ها هنا- لا تعنى سوى شئ واحد فقط !
الحقيقة !

الحقيقة كاملة، دون نواقص أو تزييف؛ لذا تهد زين وهو
يستقيم فى جلسته أمامها قائلاً باستسلام :

_ انا هقولك كل حاجة يا حلا، هريحك واريح نفسى انا كمان

اومات حلا ناظرة له منتظرة ما سيقول..

لتتسع عيناها بإدراك وصدمة مع كل كلمة يلقيها زين على مسامعها..

عقلها لا يستوعب كل هذا الكم من الحقائق بل هذا الكم من الصدمات، نعم صدمات فما عرفته -ويعرفه زين أيضاً- ليس بالقليل، ولكن ما خُفي كان أعظم !!!

قصّ عليها كل ما كان يعرفه قبلاً وكل ما عرفه حديثاً بعد شروعه في الخطة التي رسمها هو ومصطفى، وما زالت الخطة مستمرة التنفيذ..

_ ايه إالى انت بتقوله ده يا زين ؟! كل ده حاصل ومحدث يعرف عنه حاجة ؟!

سؤالها الغير مُصدق غادر شفيتها أخيراً بإرتجاف لم تملكه وهى تتطلع لزين المطرق أمامها، يكاد عقلها يتشتت، ليرفع زين عينيه لها قائلاً بهدوء :

_مش محتاج اقولك طبعاً ان الكلام ده مايطلعش لحد
نهائي، انا قولتلك لاني فعلاً محتاج اتكلم وانا عارفك كويس
انك عمرك ما هتطلعي سرى برا .

كادت الابتسامة المزهوة بحديثه تشق طريقها على شفثها
وقد استعادت عهد الثقة المتبادل بينها وبين أخيها من
جديد، لكن ما عرفته يعاود بسط نفوذه على عقلها، فيمحي
الابتسامة وينشر التششت بين دهاليز عقلها مجدداً !

لم تملك سوى أن تومئ برأسها موافقة وهي تقول بهدوء
بينما تستقيم واقفة مستعدة للمغادرة :

_ما تخافش، شرك في ييرزى مايقولوا .

قالتها واتجهت بالفعل نحو الباب تنوى الخروج ليعاجلها

زين بسؤاله :

_طب وحازم ؟!



هنا ابتسمت حلا وهي توليه ظهرها ممسكة بمقبض الباب،
فلم يرى ابتسامتها الفاترة بل سمع صوتها الأشد فتوراً وهي
تقول بخفوت :

_ سيب كل حاجة لوقتها !

ثم دون إضافات فتحت الباب وخرجت، بينما زين تراجع في
مقعده ناظراً لسقف الغرفة بشرود وكل ما قاله لها منذ
قليل يعاود طوافه في مدارات عقله مجدداً وهو يشعر بأن
وقت كشف الحقيقة قد اقترب كثيراً !!

=====

_ اتفضلوا !

قالها زين بخفوت متألم وهو يستقبل مؤمن وأبيه على باب
بيته، فابتسموا له ابتسامة تحاكي ابتسامته خفوتاً وهم
أيضاً تعود لهم الذكرى بكل تفاصيلها..
ذكرى يوم كهذا كانت الأدوار فيه مقلوبة وزين هو من ذهب
طلباً ليد ابنتهم التي رحلت..

العجيب في الأمر أن العلاقة بينهم لم تتأثر بالشكل المتوقع حدوثه بعدما حدث وتوفت ذكرى وهى معه، لكنهم كانوا على قدر كافٍ من الإيمان ما جعلهم متيقين بأن هذا كان عمرها وقد انقضى..

دلفوا إلى الداخل وتلقوا ترحيب من الجميع بحضور جد زين وعميه، واستمرت الجلسة بينهم بضعا من الوقت وقد لاقى العرض استحسان الجميع!

ليتفقوا على عقد القران بعد عدة أسابيع من الآن، وقد أثر مؤمن أن يجعلوا الأمر تكتمياً، بمعنى أنه لن يكون هناك إحتفال؛ احتراماً لفقيدهم رغم أنه قد مروقت كافٍ بعد وفاتها إلا أن هذا كان مطلب مؤمن والذي وافق عليه زين بشدة...!!

لتنقضى الجلسة على تلك القرارات، ولكن بعد وقت قليل قال مؤمن بخفوت لزين وهو يميل عليه برأسه :

_ عملت ايه في إالى كنت سألتني فيه !؟

دارزين بعينه على الموجودين، وهو يتوقع أن يكون أحداً
قد سمع مؤمن، لكن لم يبدو على أحد أنه استمع لشيء؛ لذا
وقف زين وسحب مؤمن من يده وتوجه به نحو غرفة مكتبه
!

وما إن دلف وأغلق الباب خلفه حتى عقد مؤمن حاجبيه
وهو ينظر له قائلاً:

_ في ايه يا زين ؟!

_ الموضوع كبير يا مؤمن ومكنش ينفع نتكلم فيه برا .

اوما مؤمن موافقاً وهو ينتظر سماع زين الذى قال أخيراً
وهو يجلس مقابلاً له على أحد المقعدين أمام المكتب :

_ الاول انت متأكد من صحبك إالى اخدت منه تفاصيل

الفيلا دى انه هيتكلم على الموضوع .

فأجابه مؤمن مؤكداً :



_ايوا ما تخافش، انت لما كلمتنى وادتنى عنوان الفيلا إالى
عاوز تعرف تفاصيلها من جوا حظك كان حلوما دورت
وراها وطلع إالى مصممها واحد صحبى وقدرت اعرف منه
تفاصيل كثيرة عنها .

بلل زين شفتيه وهمّ بقول شئ قطعه دخول حازم للمكتب،
فأعاد زين نظره لمؤمن ليواصل حديثه وقد أراحه وجود
حازم قليلاً..

هو يعتبره شريكاً فى كل شئ وينوب عنه التفكير فى كثير من
المواقف حيث تكون صدمته فيها أعظم من أن يفكر فى شئ
آخر:

_انا ماستغربتش لما قولتلى عن "غرابة تصميمها" من جوا
كانت عاملة ازاي، كمية الغرف المقفولة فى اماكن سرية
محدث يوصلها بسهولة، والممرات إالى معمولة بطريقة
مخفية وبتطل على الشوارع الخلفية للفيلا .. لكن مش ده
إلى خلانى استغرب، إالى انا مستغربه أنه صحبك ده ازاي



مشكش فى حاجة زى دى وازاى مفكرش انه مفيش حد
هيطلب منه تصميم بالغرابة دى الا لولغرض مش كويس
!؟؟

كان حازم قد جلس جوارهم، فنظر مؤمن لكليهما وهو يجيب
:

_ انا بردو سألتة نفس السؤال، قالى انه كان لسه مبتدئ
وشركته على قدها، ايام ما كان مصمم الفيلا دى كان لسه
متخرج من وقت قليل ويادوب بدأ يشتغل، ومكنش بيفكر
كتير فى نوعية التصميم إالى بيتطلب منه، طلب بالضخامة
دى يجى لواحد مبتدئ زيه كان بالنسبالة صفقة العمر
فمكنش بيفكر غير انه لازم ينهيه وخلاص، ساعتها انا فكرت
فى حاجة .. ان الراجل اللى اسمه "اسماعيل هنداوى" ده لما
طلب تصميم بالشكل ده مكنش هيطلبه من حد متمرس فى
المجال يكشف خدعه والغرض من ورا الممرات والغرف
السرية بسهولة، اللى بيحصل ده يفسر هولييه طلب حاجة

زى دى من واحد مبتدئ ويؤكد ظننا تجاهه، مجرد مصمم
يعمل إلى هو عاوزه من غير تفكير كثير وشوشرة وطبيعي أن
الفلوس هتعمى عينيه !!

اوما زين بخفوت وهو يؤيد مؤمن فى تفكيره، فى حين قال
حازم بهدوء :

_ فعلا وده بردو نفس إلى فكرت فيه .

عقد مؤمن حاجبيه وهو يتسائل مرة أخرى :

_ طيب انت عملت ايه بعد ما عرفت التفاصيل دى عن
الفيلا ؟! قصدى قدرت توصل لايه وازاى ؟!

نظرله زين بعد لحظة صمت شعر مؤمن فيها بتردد زين فى
إخباره لكنه فى الأخير تكلم :

_ انا حظيت مراقبة على الفيلا دى من بعيد لبعيد كده،
لاحظوا حركة الدخول والخروج منها، ناس كثير تدخل
وتطلع، ولاحظوا كمان دخول ستات فى المكان .
رفع مؤمن حاجبيه قبل أن يستطرد زين :

_ومعنى ستات هنا مفهوم مش محتاج شرح، واحنا كنا محتاجين حد يدخل جوا يشوف إالى بيحصل، مين عايش فيها، مين بيدخل، مين بيطلع .. المعلومات إالى خدناها منك لازم نتأكد منها من جوا، والغرف دى بيستخدموها فى ايه، الممرات بيعملوا فيها ايه، فكان لازم يبقى لينا عين جوا .
_الستات ؟!

رد مؤمن ببديهية متهمكة، ليومئ زين مؤكداً قائلاً وهو ينظر لحازم :

_بالظبط، مكنش حد ينفع يدخل هناك غير كده، بعدها كان دور حازم فى الخطة الوقت ده، حازم راح وقدر يستدرج الست إالى بتودى البنات هناك، طبيعى اللى قاعدين فى الفيلا اياً كانوا مين .. اكيد ناس معندهم مش دين اصلاً فمش هيملى عينهم غير التراب طبيعى مش هيكتفوا بواحدة ولا اتنين، عشان كده مكناش ضمنين أن البنت إالى تروح مرة تروحها تانى ودى كانت فكرة حازم اننا نضغط على الست



إلى ماسكة شغلهم ده، بحيث أن كل إلى هتروح الفيلا
تبقى تحت إيدانا احنا، وطبعاً واحدة زى دى مكناش
عاوزين ندور وراها كثير هويتنا ومهنتنا كفيفة بأنها تخليها
تسلمنا من غير مقاومة مع تهديد بسيط بأيه إلى ممكن
نعمله فيها لو أخذنا شغلها بمحمل جدى .

اتسعت عينا مؤمن بإدراك، وتساءل بخفوت :

_وايه إلى حصل بعدها ؟!

هززين كتفيه بشكل لامبالى ثم قال :

_ولا ايه، ادينا مستنين الأخبار إلى هتيجى من هناك، لسه

احنا واقفين لحد هنا .

نظرة جانبية - ذات مغزى - من حازم نحوزين الذى بادلته

النظر بتحذير، ليواجه مؤمن الذى شرد يفكر فيما قاله

زين، وقال :

_ طيب يا زين، اتمنى لو حصلت حاجة تانية تعرفنى !



اوما زين موافقاً ليقوم مؤمن مُستأذنًا للخروج، وما إن خرج
حتى نظر حازم لزين مستفسراً :

_ليه مقولتلهوش باقية إالى حصل واللى عرفناه .

هز زين رأسه نفيّاً وهو ينظر لحازم بتحذير :

_اوعى يا حازم، اوعى حد يعرف حاجة، مؤمن بالذات لازم
ميعرفش .

عشان كده إالى حصل بعد إالى انا عرفتهولوا مايلزمش حد
غير انا وانت ومصطفى ..بس !!

=====

"لن تجد الهدوء أبداً، مادام مصدر الضجيج أعماقك!"

مرت أيام..

وهاهى جالسة جوار نافذتها بجلستها المعتادة..

بعد أن أنهت وردها اليومى عادت أفكارها لتضج بما يموج

داخلها من حيرة طغى عليها الرفض !

نعم هي مازالت ترفض، ترفض أن يفرض أحدهم رأيه عليها بهذا الشكل..

منذ أن صلت الاستخارة وهي لا تفكر سوى في الرفض، الرفض فحسب.. لا تفكر في جانب آخر منه سوى ما قصته على أمها ذاك اليوم، هولن يناسب تفكيرها، هولن يكون كما تريد، لن يكون زوجاً كما تتمنى، ذاك فحسب هو ما تفكر فيه، وهذا ما نوت أن تخبر أمها به إن فتحت الأمر أمامها مرة أخرى !!

هذا هو قرارها، فكفاها حيرة لن تنفع؛ فكل المبررات لا تسمن ولا تغنى من جوع مع رفضها العنيد !!
وهذه إحدى عيوبها رغم مميزاتها الكثيرة، لكن صحيح ليس الكمال إلا لوجه الله..

طرقات على الباب أخرجتها من شرودها وأمها تدلف إلى
الداخل تنوى المواجهة بأسرع مما كانت درة تتخيل بمراحل
عدة..

_ خالك اتصل، ويسأل انتى قولتى ايه ؟!

قالتها عبير بتأنيب ضمنى، لتنظر لها درة من جلستها بهدوءها
المعتاد ثم قالت :

_ مش موافقة يا امى .

_ يعنى ايه مانتش موافقة، انتى بعد كل ده تق.....

كادت عبير أن تكمل هتافها الغاضب إلا أن رنين الهاتف
الذى تمسكه بيدها قاطعها، فرفعته لتنظر فيه لوهلة وترى
آخر اسم مستحب وجوده هذه اللحظة..

فارس ... ماذا عساها تجيبه ؟!

بماذا ستبرر، وماذا ستقول ؟!



لكنها فى النهاية امتثلت للأمر وهى تنظر لدرة بتحذير...
فصمتت الأخيرة تماماً، بينما أجابت عبير بهدوء أجادت
اصطناعه :

_ايوا يا فارس، الحمد لله يا حبيبي ... اه.. لا لسه مكلمتهاش
... اخلص بس إالى فى ايدى وهبقى اتصل بيك .. ماشى يا
حبيبي مع السلامة .ض

أنزلت الهاتف عن أذنها وهى تنظر لدرة بحدة قابلتها الأخيرة
بتحدٍ متحفز، لتهتف عبير بغضب :

_اعمل ايه دلوقتى، اقولهم ايه يا درة، انتى بردو بعد كل إالى
قلناه ماقتنعتيش بحاجة خالص !

وقد كان إنفجار درة الذى تلى الضغط بعد كثرتة، لتهتف
بغضب يحاكي غضب أمها وهى تقف أمامها :

_انتى معايا ولا معاه، انا إالى بنتك ولا هو، انا شرحتك
وجهة نظرى والمفروض تفهمينى .. افهمينى يا امى .
هزت عبير رأسها بيأس وهى تقول زافرة بتعب :

_ انا تعبت .

لتقطعها درة ببرود :

_ انا رافضاه مش عاوزاه ؟ عشان هو مش زى ، مش من توبى

...افهمينى !!

استمرت عبير بهز رأسها بىأس ، قبل أن تلتفت مغادرة

الغرفة بحدة ، تاركة درة خلفها تنظر فى فراغها بتمرد طغى

على ملامحها ، وقد نوت على شئ تحسم به الجدل حول هذا

الأمر !!

=====

صوت دلوف أبيه إلى الغرفة قاطع استغراقه فى شروده ،

فاعتدل فارس فى جلسته وهو يقول لأبيه بهدوء :

_ خيرا بابا .

ابتسم حسين وهو يجيبه :

_ انا كلمتك عمتك زى مانت عاوز ، الدور والباقي عليك انت

بقى منك ليها انت راجل وليك كلمتك .

ابتسم فارس بزهو وهو ينظر لنظرة التقدير في عين أبيه..
يكاد يقسم أنه يرى حب ذاك الرجل لهم يظلل نظراته
نحوهم وهو يعشقه ويقدره بقدر حبه لهم جميعاً، أبوه ليس
كأى أب، بل هو محظوظ لأن رجل كهذا يكون أباه هو!!
ليجيبه فارس أخيراً بابتسامته :

_الى تشوفه يا بابا، انا هكلمها بس ادعيلى الموضوع يتم
على خير.

استند حسين بكتفه إلى إطار الباب وهو يكتف ذراعيه أمام
صدره قائلاً بنبرة ذات مغزى :

_ايه يا "ابو الفوارس"، شكل "عبلة" وقعتك ولا ايه؟!
ضحك فارس عالياً وهو ينظر لأبيه، ثم حك شعره بارتباك
قائلاً :

_مش عارف والله، بس شكلها كده يعنى ولا انت ايه رايك؟!
رفع حسين يديه عالياً بحركة مسرحية وهو يقول :



_ رأى انى مليش فيه، ان كنت بتحبا عليك وعلى عمتك
تجوزها لك .. خلينى انا برا عشان خاطر عمتك .

ابتسم فارس بتقدير يتزايد كل لحظة عن سابقتها، قبل أن
يقول بمرح وتبسط :

_ ايه يا بابا شغل "يا داخل بين البصلة وقشرتها" ده !؟
ضحك حسين عالياً فى حين أردف فارس :

_ بس تصدق، انت كده صح، بردومش عاوزين نسبب
احراج لعمتى فى حين رفضت درة ولا حاجة لقدر الله يعنى .

_ ايوا لا قدر الله يعنى، انشاء الله توافق، هى هتلاقى زيك فىن
!؟

قالها أبيه بمزيج بين أمل وهزل شابه بعض السخرية
المرحة، فضحك فارس وهو يقول :

_ ايوا شغل مين يشهد للعريس ده انا عارفه .

_ ويشهدله ليه يا حبيبى، اسمك بيتكلم عن نفسه .



تلك الجملة هذه المرة صدرت عن أمه التي على ما يبدو كانت تتابع الحوار من أوله، فزدادت وتيرة ضحك فارس وهو يشاهد أبيه وأمه واقفان أمامه في موقف كهذا، لهو أمر غير مستحب بالنسبة له إطلاقاً !!

أحاط حسين كتفى زوجته بذراعه قائلاً بضحك :
_شوفت يا فارس اهو، جالك إالى هيشهد بصحيح، ومش بعيد "يطبلك" كمان !!

نظرت له فريال عاقدة حاجبها وهى تقول بنبرتها الارستقراطية المترفعة :

_ايه "يطبلك" دى انتوا بتجيبيوا المصطلحات دى منين ؟!
استمر ضحك فارس بهستيرية وهو يرى الشجار المعتاد بين ترفع أمه ذات الطبقة المخملية الرفيعة، وبين تباسط أبيه فى كل ما حوله، فسبحان من جمع هذان على أمر كالزواج !!
ظل الحديث المرح بينهم لدقائق، انتهى عندما قال حسين وهو ينسحب بزوجه بعيداً غامزاً فارس بمكر :



_تعالى بس كده يا حبيبتي، نتكلم فى المصطلحات دى،
ونسيب فارس يشوف شغله .

ظلت ابتسامة فارس على شفتيه بعد مغادرة والديه، ثم قرر
الامتنال لأمرابه بالاتصال على عمته، وبالفعل فعل،
لتجيبه ببضع كلمات مموهة لم تسمن ولم تغنى من جوع
معه، إلا أن عمته نسيت للاتصال مفتوح على ما يبدو!
وكل ما قيل بعدها قد تلى على مسامعه !

هاهو قد استمع للرفض الصريح دون تزييف، فهل يريد أي
براهين أخرى ؟!

فى لحظات مُحيت الابتسامة عن شفتيه، وكل تلك السعادة
التي كانت تتملكه قد أَسْتَحَالَتْ هباءً تذرّوه الرياح !

=====



الفصل الثانى عشر

=====

بعد عدة أسابيع أخرى..

كان منكباً على أحد تصميماته ينوى إتمامها لأجل عمله الذى تغيب عنه مدة لا بأس بها بعد حادثته التى فقد فيها الذاكرة، ولكن حتى بعد عودته لا يزال "فراغ" عقله يحتل كل "مساحاته"!

ترك ما بيده بحدة، زافراً، ثم استدار إلى نافذة غرفته ينظر منها للسيارات التى تجرى على الطرق المرصوفة أمامه.. حجمها بالنسبة له لا يتعدى عقلة الأصبع على كل هذا الإرتفاع، لكنه مازال يعتقد أنه يحسبونه هين وقد يكون عظيم!

تماماً كما فى حالته، مجرد بضعة سنوات قد مُحيت من ذاكرته، لا ضير من ذلك، لكنه متيقن من أن ما يخفى عنه



عظيم تماماً كما يرى السيارات الآن صغيرة جداً غير ذات أهمية، وفي الحقيقة هي بالأمر الجلل والشأن الكبير! تنهد بضيق وهو يهتف في نفسه بتهكم :
_ خليك انت في فلسفتك دى لحد دماغك ما هتبوظ اصلها ناقصة.

هز رأسه يائساً من نفسه، وأطرق للحظات شارداً إلى أن رفع وجهه فجأة وهو يهتف :

_ معاد فك الجبس بتاع "داليدا" .

ومن اللاشئ الذى يحتل عقله صدح اسمها فجأة كـ "طوق نجاة" له من أفكاره المميتة، فاستدار على عقبيه بلمهة استعجبها فى نفسه، وهو يهبط لأسفل مستقلاً سيارته بسرعة متجهاً بها نحو بيتها، الوقت مازال باكراً بالتأكيد لن تذهب للمشفى الآن، ولن يكون الأوان قد فات !

_ ان شاء الله، ان شاء الله .

ظل يردد لها وهو يبتهل كي لا تكون قد سبقتة وذهبت، وفي حين تردده لدعائه المتوسل، عقد حاجبيه فجأة وهو يهتف بحلق لنفسه :

_ انت في ايه.. هو انت رايع تستلم "نوبل" وخايف لا الحفلة تفوتك اهدى يا ادهم بلاش هبل .

ليجد لسان حاله يجيب عليه بمنتهى البساطة والسلاسة :
_ دى اهم من "نوبل" واللى خلفوه يا بنى ادم، انت كنت عارف تشوفها اصلا، وجاى دلوقتى مش عاجبك كمان، بعد الفرصة ماجتلك .

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يحدث نفسه مرة أخرى بالصوت المتذمر:

_ وتشوفها ليه اصلا ؟

_ يمكن تكون حبيتها مثلا ؟!

_ وانا احبها ليه هو انا كنت شوفتها غير مرة وياريتمها كانت ظروف كويسة يعنى دانت كنت خابطها بالعربية .



_بس ماتنكرش تعلقك بيها.. والا مكنتش حفظت التاريخ
وقعدت تعد الأيام إالى هتعدى لحد ما يجى معاد فك
الجبس بتاعها عشان تروح وتشوفها واللى انت بتعمله
حالياً خير دليل على كده .

أوقف السيارة فجأة بحركة متهورة وهو يقول بتذمر:
_لا انا مش عاوز اشوفها ومش رايح هو كان مجرد احساس
بالذنب مش اكثر.

_ايوا احساس بالذنب بأمانة ما هتمشى دلوقتي وتكمل
طريقك وتكمل إالى كنت ناوى تعمله .
_لا مش هروح ..

لم ينهى جملته إلا وقد صدح صوت السيارات المتذمرة
خلفه وسائقوها يصيحون به أن يفسح الطريق الذى سده
فجأة بكل رعونة، فأعاد تشغيل سيارته بعنف شاتماً



الفراغ أمامه.. ثم انطلق بها نحو وجهته التي يريد؛ ليكمل ما
يريد !!!

....

بعد مدة وصل إلى المكان المنشود، ووقف ينتظروقتاً طويلاً
جداً، وصراع عقله بذاك الصوت المزدوج يكاد يفتك
برأسه، بل يكاد يجن من فرط ما يشعر به ويدعى عكسه !
إلى أن أنقذه أخيراً رؤية أحمد يخرج من باب البناية وهي
تستند على ساعديه بكفيها، إلى أن هبطوا الدرجات القليلة
أمام البناية !

هنا ظهر أدهم في الصورة بعدما قرب سيارته من مكانهما
وخرج منها قائلاً بهدوء وابتسامة لبقة :

_السلام عليكم، ياريت تساعدنا وتدخلوا العربية اوصلكم
للمستشفى .

ارتفعوا حاجبا أحمد عالياً حتى كادا أن يسلما على مقدمة شعره، وهو ينظر له وكأنه ينظر لكائن فضائي، ثم قال بهدوء أخيراً بعد أن اسعفه صوته وخرج من حلقه :

_اعذرني يا بشمهندس على قلة ذوقي، بس ايه إلی عرف حضرتك بمعاد المستشفى بتاع داليدا، وليه تعبت نفسك وجيت لحد هنا .

توترت بابتسامة أدهم الدبلوماسية للحظات قبل أن يقول بنبرته اللبقة والتي يحاول جاهداً الحفاظ عليها :

_الحقيقة انا كنت بحسب الأيام وعرفت أن انهاردة اليوم إلی لازم تروح فيه المستشفى .. وتعبت نفسي وجيت ليه، فمفيش تعب ولا حاجة، ده كان واجب عليا بما اني السبب في كل ده ... وكنت عاوز اشوفها !!

بالتأكيد تنمة الجملة الأخيرة لم ينطق بها لسانه -رغم أنه كاد يفعل- لكنه في اللحظة الأخيرة قد بترها من جملته !!



هذه اللحظات لم يكن حال داليدا يختلف كثيراً عن حال أحمد المندھش، بل كانت هي أكثر دهشة منه !!
وبالأخير ساعدها أحمد على ركوب السيارة رغم عدم اقتناعه بكل ما تلى على مسامعه للتو.
لكن المثل قد قال له "امشى وراء الكذاب" وها هو قد فعل
!!!

.....

وصلوا أخيراً إلى المشفى، فترجلوا جميعاً منها وكان فى استقبالهم فريدة والتى يبدو أنها كانت تنتظرهم، ورغم دهشتها هى الأخرى من الأمر إلا أن أدهم لم يبال وتركها لتستوعب دهشتها على مهل، فهو لم ينسى النظرات النارية التى كانت ترمقه بها يوم الحادث، وما زال هو لا يقبلها كأن هناك سداً منيعاً أحجاره من "عدم قبول" قد شُيد بينهما !
توجهوا نحو الداخل وأدهم خلفهم، عينيه تارة تأتى على داليدا بانجذاب لم يملك ردعه، وتارة أخرى يرمق فريدة

بنزق وهو يهمس لنفسه بنبرة طفل يلعب ضد غريمه في أحد
الأزقة :

_مش قابلك انا معرفش ليه، لله في لله كده والله .

.....

أخيراً انتهوا وقد فحص الطبيب المختص قدم داليدا وقد
مر الأمر على خير وتعافت هى تماماً ...

وحين خرجوا من المشفى همّ أحمد بإيقاف سيارة أجرة وهو
يقول لأدهم بتهذيب :

_شكرا يا بشمهندس تعبناك معانا .

ليجيبه أدهم بسرعة وهو يفتح باب السيارة الخلفى بدعوة
غير منطوقة ليركبوا السيارة :

_لا على ايه لا تعب ولا حاجة .

نظرت داليدا إلى الباب المفتوح، وهى تعض على شففتها
بقوة تمنع ضحكتهما من الانفلات فى هذا الموقف وهى تراقب
الوضع المضطرب بين أدهم وأحمد ...

فعز عليها أن تراه في موقف كهذا وهو من أتى خصيصاً لها
وكان يعد الأيام واحداً تلوا الآخر ليطمئن عليها.. فتوجهت
نحو السيارة وركبت بأمر غير مباشر لأحمد بأن يقبل الأمر
ويصمت..

لينظر أدهم نحوه نظرة انتصار متشفى ثم تركه وركب هو
الآخر في مقعد السائق ناظراً لداليدا المبتسمة في الخلف عبر
مرآة السيارة..

ليقطع تواصلهم غير المنطوق أحمد الذى ركب السيارة
بعنف ناظراً نحو داليدا فى الخلف نظرة وعيد، تقبلتها هى
مبتسمة بوداعة!

انطلق أدهم بالسيارة فى طريقه، صمت أطبق عليهم
للحظات قطعه أحمد وهو يقول بفضاظة :
_متشكرين يا بشمهندس .

ابتسم أدهم بتسلية وهو يشتم رائحة الاحتراق فى نبرته فأراد
أن يشعل النار بالزيت، فقال بهدوء وابتسامة :



_العفو عملتش حاجة، ياريت بس تكون الانسة داليدا
آآآ....

_مدام .. مدام داليدا !!

نبرة أحمد القاطعة جعلته يصمت وهو ينظر للطريق أمامه
متجمداً اللحظات قبل ان يتدارك نفسه بسرعة ويعاود
رسم الابتسامة على شفثيه لكن بأكثر جموداً الآن ويستطرد
بنفس النبرة وكأن كلمة أحمد لم تكن :

_ياريت تكون بخير، واكرر اعتذارى عن إالى حصل مرة
تانية .

بعد جملته تلك صمت، وصمت هو وهى أيضاً !

لكن "صمتها" هى كان "يصرخ" بالكثير الذى وصل أدهم
واضحاً عبر مرآة السيارة، بعدما نظرت داليدا من نافذة
السيارة بحزن حدد محياها الجميل!

كلمة أحمد لم تكن كذباً او رياءً بل كانت حقيقة هي لا تريد الاعتراف بها، ذاك الجزء من حياتها تريد لو تمحيه من حياتها بممחה، ولكن لا أحد يملك القدرة على ذلك! قلبها الذي كان يرقص طرباً منذ قليل قد انزوى مدحوراً بين ضلوعها، وقد انطفئت كل شعلة إنطلاق كانت قد اشتعلت في عينيها منذ قليل !

هكذا هي الحياة، عادلة مع البعض، شديدة الجحود مع البعض الآخر..

وبين هذا وذاك يقع كل فرد على حافة البرزخ بين ماضيه وحاضره يتساءل أيهما كان أشد وطأة على نفسه، هل هو ماضي مؤلم أم حاضر ملوث بذكريات سوداء، أم مستقبل مجهول يحلق في الآفاق ؟!

لا يدري أحداً لربما تحققت "عدالة السماء" في مجهول لم نعرف عنه شيئاً بعد !!



_الحقنى يا خالد، درة مش فى البيت ومش عارفة راحت فىن
!؟ محدش شافها ولا قالت أحد انها طالعة فى حطة .. الحق
بنتى يا خالد !

صدرت عن عبيرالتى هتفت بها ببكاء وهلع يكوى قلبها،
وعقلها يصور لها أبشع السيناريوهات عما قد يكون قد
حدث مع ابنتها !!

وقف خالد بحدة وهو يتساءل:

_راحت فىن يا عبير، ازاي طلعت وما قلتش لحد ؟!
انهارت عبير جالسة على المقعد خلفها وهى تهتف بينما
تدس رأسها بين كفيها :

_مش عارفة، مش عارفة.. رجلى بنتى يا خالد، رجلى بنتى،
يارتنى ما غصبتها على حاجة.. يارتنى .



رمقها زوجها بنظرة أخيرة تحمل توبيخاً وإدانة ضمنية بأنها
هى من فعلت ذلك، وهى سبب ما حدث، لكن هذا ليس
وقت الحديث فليطمئن على ابنته أولاً!!

.....

خرج خالد للبحث عن درة دون أن يخبر أحداً بالأمر بينما
بعد وقت قصير امتلئ البيت بالجميع وكلّ يسأل عما دفع
درة للهرب -بفرض هذا الاحتمال- مع وجود احتمالات أخرى
كاختطاف مثلاً، لكن لم يشأ أحد أن يذكر شئ كهذا أمام
حالة عبير السيئة!!

_انا السبب انا إلى ضغطت عليها، انا السبب!

ظلت عبير تردد تلك الكلمات التى تخترف كيان فارس
وتسوءه بشدة، لكنه لن يعتب عليها فى شئ، تكفيها فجيرة
اختفاء ابنتها!!

.....

عاد خالد إلى البيت خالى الوفاض، ويبدو وكأنه قد قلب
المدينة بحثاً، وقد حل الليل ودرة لم تظهر بعد !!

جلس جوار عبير ينظر أمامه بشرود والجميع حوله منتظرين
... إلى أن رن هاتف خالد فجأة ليجد رقم أخيه الكبير على
شاشته، لوهلة استغرب الأمر لكنه فى النهاية أجابه بهدوء
ليصله صوت أخيه المؤنب، كيف يترك ابنته تسافر فى هذا
الوقت وحدها ؟!

ليعقد خالد حاجبيه وهو يهتف بحدة :

_هى عندك يا "حسن" ؟!

ليجيبه أخيه الأكبر والذى يسكن إحدى محافظات الصعيد
:

_لا، مجتش لسه بس هى دلوقتى لسه راكبة القطر إلى جاى
على هنا واتصلت بيا عشان يبقى فى حد فى انتظارها الصبح

عقد خالد حاجبيه وهو يريد توضيحاً للأمر ليصله صوت
احيه :

_انا معرفش هي قضت طول النهار فين، بس إالى فهمته منها
أنها لسه راكبة القطار دلوقتى، والطريق من عندك لهننا
طويل بياخود الليل بطوله .

بعد هذا لم ينتظر فارس ليسمع المزيد، بل اندفع خارجاً من
البيت وقد نوى على شئ ما !!!

=====

استقل أول رحلة قطار نحو المحافظة التى توجهت إليها درة،
حسب توقعاته وحديث عمها، هى لم تغادر منذ وقت طويل،
سوف يصل بعدها بوقت قليل ربما يلحقها وربما يذهب
خلفها نحو بيت عمها، المهم أنه لن يعود سينفذ ما يريد،
فحالة عمته لا تسرعدو ولا حبيب كما يقولون !

وإخوانها وأبيها قد أطمئن كل منهم لوجودها لدى عمهم،
لكن فارس كان بخاطره شيئاً آخر.

حل النهار وأشرقت الشمس بعد ليلٍ طويلٍ حالك لم
يغمض له جفن فيه، وهو ينتظر وقوف القطار بفارغ
الصبر، إلى أن توقف أخيراً في المحطة التي يريد أن يهبط بها !
نزل من القطار وهو ينظر حوله في الوجوه بتدقيق يحاول
إيجادها هنا أو هناك .. لكن دون جدوى !

يبدو أنها قد وصلت قبله بالكثير من الوقت..

لذا جر قدميه بثقل نحو إحدى المقاعد الحجرية ليرتاح
قليلاً قبل أن يتجه لبيت عمها، وخلف أحد الأعمدة
الصخرية رآها هناك وهو يتوجه ليجلس !

جالسة على أحد المقاعد، تنظر أمامها بتشتت وكأنها تائهة،
جوارها حقيبة ظهر متوسطة الحجم وهي بملابسها
الواسعة وحجابها الطويل الذي يتلاعب به الهواء من



خلفها، تفرك أصابعها بتوتر يدل على مدى الصراع الذى
تعانيه !

مظهرها بهذا "الضياع" أسر عينيه للحظات، قبل أن يفيق
وهو يتوجه نحوها بسرعة ولهفة ويبدو أنها لم تشعر به إلا
عندما جلس جوارها على المقعد بهدوء ناقض تلك
المفقرعات التى تهدر داخله بشده، واضطراب وجيب قلبه
يخبره بوضوح أى ورطة قد وقع قلبه فيها !!

وكأنه كان يبحث عن درةٍ وسط مغارة مليئة بالمخاطر، لتزل
قدمه وقتها ويسقط فى بئر أسود لا قرار له..
تورط قلبه، وانتهى الأمر !!!

نظرت درة لذلك الجالس جوارها عاقدة حاجبها قبل أن
تهتف بعدائية :

_انت ماشى ورايا ؟!

نظر لها فارس بطرف عينه وهو يشبك أنامله ببعضها، قبل
أن يجيبها بهدوء :

_ انا مامشيتش وراكى .. بس مكنش ينفع نسيبك لوحذك
كل ده، عمك اتصل وقال لابوكى انك مسافرة بليل وعمتى
كانت هتموت عليكى .

أطرقت برأسها بخزى وهى تتبين لتوها فداحة ما فعلت،
ولكن قبل أن يصدر عنها أى شئ عاجلها فارس بسؤاله :

_ انا مش هسألك انتى عملتى كده ليه، انا عارف انك
رفضتىنى وعارف اسبابك وفاهمها ومحدثش كان هيجبرك
على حاجة ... إلى انتى عملتية غلط، على الاقل كنتى قدرى
موقف والدتك، سؤالى هنا انتى كنتى فى طول النهار إمبارح
!؟

ظلت مطرقة برأسها دون إجابة، فتنهد فارس وهو يستقيم
فى جلسته دون أن ينظرلها وقال :

_ يلا بينا نرجع يا درة، عمتى مستنياكى .

تجاهلت أمره الأخير، وهى تقول بصوت مختنق بينما مازالت
تخفض رأسها :



_انا طول النهار إمبراح كنت فى محطة القطر مش عارفة
امشى ولا ارجع البيت، امى كانت، كانت عاوزه ...
صمتت وهى لا تجد صيغة مناسبة لصياغة الكلام، فكل
الكلمات هاهنا سوف تمس كرامته بشرخ لن ينساه لا
محالة !

لكنه فاجئها وهو يكمل لها بهدوء :

_عاوزه تقنحك انك تقبلىنى، وانتى رافضة عشان مش انا
الزوج إالى تتمنيه ... وكنتى محتارة تروحي بيتك ولا تسافرى
لعمك ينجدك من ضغط امك عليكى، بس خلاص يا درة
محدث هيجبرك على حاجة بعد كده، ارجعي لبيتك عشان
امك وابوكى، والموضوع ده اقفليه اعتبريه متفتحش من
اساسه .

هنا رفعت درة وجهها تنظر أمامها بشرود، وللمكان الذى
خلا من حولهما إلا من بعض الأشخاص القلائل الذين
يمرون كل فترة وأخرى، فى هذه الساعة الباكرة !



قولها المرتجف خرج أخيراً من شفيتها دون أن تنظر إليه :
_ انا اسفة.. مكنتش اقصد انى اجرحك بالشكل ده بس ...
ضحك فارس ضحكة متحشرة وهو يقول بصوت اجش :
_ مفيش بس، يلا نرجع للبيت الكل قلقانين عليكى .

ضحكته المتألمة استطاع تحويلها لأخرى مرحة بكل اقتدار
وهو ينظر لها أخيراً بنظرة لا تحمل أى تعبير..

لا غضبه، لا ألمه، لا حبه الذى لم ينقص رغم كل شئ !

فبادلته درة النظر لأول مرة بتوجس ثم قالت بحذر:

_ يعنى مش زعلان انى..

هز رأسه نفيّاً مقاطعاً إياها مع همسه :

_ لا !

عقدت حاجبها وهى تنظر له بتشكك ثم قالت بنبرة فضحت

تلك الطفلة التى تسكن داخلها :



_يعنى صافى يا لبن ؟!

ضحك فارس عالياً وهو ينظر لبحر عينيها لثوانٍ قبل أن
يشيح بعينه عنها قائلاً بابتسامة جميلة -ظاهراً- تؤذى
بشدة فى باطنها :

_حليب يا "قطشة"!

و"قطشة" ها هنا لم يكن يقصد بها سواها لكنه كتم ذاك
الصوت العاثر داخله رغم كل الذى يعتريه ومنع ضحكته
بصعوبة من تفكيره المتطرف هذا !!!

كاد أن يمد يده ليصافحها بمثابة "عربون صلح"، لكنه ما
إن فرد كفه أمامها حتى سحب يده بسرعة ليرفعها نحو
رأسه، يحك شعره بارتباك !!

فنظرت درة لحركته وهى رافعة حاجيها بابتسامة "مُحذرة"
بعض الشئ، فضحك بارتباك اكبر وهو يقول بصوت خافت
:

_معلش، انا اسف .

اتسعت ابتسامتها وهى تشيح بوجهها بعيداً عنه، وقد
شعرت وقتها بشعور متطرف عن رفضها الذى كان يعتريها..
شعور ب "الألفة" أوب "الأمان" هى لا تدرى لكنه شئ من
هذا القبيل، وكأن هناك صوت يقول داخلها
"لم أراه مُنفراً".

لكنها هزت رأسها وكأنها تنقى أفكارها، ثم انتهبت على صوت
فارس وهو يهب واقفاً ويقول :
_مش يلا بينا نرجع ولا ايه ؟!

رفعت وجهها له وهى تقول بنبرة متخاذلة قليلاً :
_فارس معلىش ممكن توصلنى عند عمى، هقعد هناك يومين
اربح فيهم شوية .

نظر لها فارس بتردد وهو يقول بخفوت :
_بس يا درة عمتى ..

قاطعته بسرعة قائلة :

_ انا هكلمها فى التليفون واقولها انى هقعد هنا كام يوم بس،
ارجوك .

زفرباستسلام وهو ينظر لها بطرف عينه وقال وهو ينتشل
حقيبة الظهر جوارها :

_ قومى يا أخرة صبرى، هوصلك هناك وتنتهى مهمتى كده..
منك لعمتى بقى بعدها .

ابتسمت بامتنان وهى تقف جواره قائلة بهدوء :

_ شكرا .

_ العفو .

قالها تزامناً مع زفرته الجادة وهو يثبت الحقيبة فوق ظهره،
لتضحك هى بخفوت على مظهره وهى تراه كأنه طالب فى
الثانوية متشبثاً بذراعى حقيبته، فابتسم وهو ينظر
لضحكتها الذى يشكر نفسه لرسمها على شفرتها رغم أنف
ألمه وغضبه منها !

أشار لها بيده أمامه وهو يقول بلباقة :



_اتفضلى حضرتك، السيدات أولاً.

لكنه عقد حاجبيه بتفكير ثم قال متراجعا:

_اممم لا سوري خليكى انتى ورا .

ثم تقدمها مولياً إياها ظهره وهو يبدأ فى التحرك قائلاً:

_بس لو دخلت فى شارع غلط ولا حاجة نهيىنى ماتسبيناش

نتوهوا، ولا انتى شكلك مش فاكرة بيت عمك فىن اساساً .

لم يصله ردها ويبدو أنها كانت شاردة، لكنه ناداها دون أن

يقف قائلاً:

_درة انتى توهتى ولا ايه ؟!

تلك المرة اجابته وهى تبسم ابتسامة لم يراها لكنه شعر بها

فى نبرة صوتها :

_طريقتك دى فكرتنى بقصة سيدنا موسى عليه السلام .

ابتسم وهو يرد بدوره :



_اه عارفها .. لما كانت فى بنتين بيسقوا من أحد الآبار
ومكنوش بيقدروا وابوهم كان عجوز، فهو سقى لهم،
والبنتين راحوا لوالدهم وحكوله على إالى حصل معاهم،
فأمرهم انهم يرجعوا تانى ويجيبوا معاهم الشاب إالى سقى
لهم، فواحدة منهم رجعت لسيدنا موسى وقالتله انه والدها
حبيب يشوفه، فلما جه يمشى معاهم مرضاش يمشى
قدامها وقالها تمشى هى وراه وتحدد الطريق ب "الحصى"
عشان مايتوهش، ولما راح ابوهم عرض عليه أن يتزوج
واحدة من بناته على أن يأجره ثمانى حجج، فوافق سيدنا
موسى، وفى الآخر.. تزوج البنت إالى راحتله .

رفعت حاجبها بتعجب وهى تقول :

_دانت مذاكربقى .

وقف فارس فجأة فى منتصف المسافة بينهم مما جعلها تكاد
ترتطم بظهره، لكنها تمالكت نفسها فى حين نظرلها هو من



فوق كتفه دون أن يستدير، عاقداً حاحبيه وهو
يتساءل بسخرية :

_درة !! انتى مفكرانى "هندوسى" يا ماما؟! اقسم بالله انا
مسلم زى زيك بالضبط .

رفعت يدها أمام وجهها وهى تقول بضحك :
_صادق والله خلاص .

هز رأسه بيأس وهى يستدير ليكمل طريقه أمامها !
طريقتهما تلك معه تنبئه بأنها تراه أحد "العابثين" مثلاً، مع
أنه أبعد ما يكون عن وصف كهذا !
لا بأس .. هى مجرد نظرة سطحية سرعان ما ستتغير مع كثير
من الأمور ...

لوربما لا تتغير، هو لا يدري، ما يدريه فقط هو أنه أحب تلك
المخلوقة، بكل ما تحمله من براءة، طفولية وتهور !!
ولا ضير إن كانت لا تبادله الشعور، كفاه هو ما يحمله لها! و
لله دُرّ قلبه فيها !!!



ليل الشتاء يشهد كل الشوارع ساكنة قد ما الهوا كان ساقع
قد ما كنتى انتى إلى باردة..

شدت ايدك لبرمظنش عدل انا اغرق..

رجعيلى نفسى الى اتفقدت فى حبك يمكن اهدى..

انا مش عيان لكنى بتعالج بالوقت..

بلقى راحتى بين مزكى وبصفى لوحدى الناس بتهد..

مش قصدى اكتبلك بس حقيقى انا اشتقتلك..

كنت برتاح جوا الوحدة فهمينى ازاي حنتلك..

يعيشك يالى سبتيلى تعب فى قلبى..

باهى شكلك برشا بس فى رمش عينك سم مخبى..

منحبش غيرك.. بس شكون عشان ارضيكي ؟

قداش بقى من عمرى ليا وقداش بقى من عمرى ليكى؟

انا مش براضيكي..



على فكرة خاطرى انا المكسور عشتى تحدفينى بطوب
وعشت ببنيك فى بيوت..

انا عشقتك فصعب انساكى خلصت...بس
ياللى انت نور عنيا نغير عليك حتى ما الشمس..

=====

_مش عاوزة حاجة، قبل ما امشى؟!

قالها فارس بهدوء وهو يقف على باب بيت عمها ليودعها،

فابتسمت درة بهدوء قائلة :

_عاوزه سلامتك، شكراً .

_العفو، دائماً فى الخدمة .

قالها بابتسامة وهو يبتعد عنها، وهى تنظر له يبتعد خطوة

بعد أخرى إلى أن أبتعد عنها مسافة كافية فاستدار مغادراً

حتى توارى عن ناظرها !

ظلت واقفة مكانها عدة لحظات، لتشعر بعدها بكف
أحدهم على كتفها، فعلمت أن هذا عمها الذى أتى وصوته
يأتى من خلفها به لوماً ضمنياً :

_بقى انتى شايقة ان إالى عملتيه ده صح ؟!

فأجابته دون أن تستدير:

_حتى انت يا عمى ؟

ابتسم عمها بهدوء وهو يقول بخفوت :

_بقى ده راجل يترفض ؟!

ابتسمت درة ابتسامة جانبية بها شئ من التفكير أو من
التخاذل عن قرار، ثم همست بصوت لا يسمع وهى مازالت
تحقق فى فراغه :

_يمكن لا، ويمكن اه !!

=====

الفصل الثالث عشر

=====

"لا تتعلق بشخصٍ لا يكتب لك، لا يُزاحم يومك، لا يقرأ ما بك، لا يحفظ اهمّ توارىخك، ولا يملئ حياتك بالمفاجآت!"
- غسان كنفاني.

=====

عاد فارس إلى بيته بعدما مر على بيت عمته وطمئنهم على حال درة، وانتظر حتى هاتفت درة عمته وهدأت الأوضاع تماماً..

وقتها فقط قرر منح نفسه الحرية..

حرية من كل القيود التي فرضها على نفسه ليتماسك، أمام عمته، أمام درة، أمام بقية العائلة..

لكن الآن في غرفته لا يوجد أحد سوى نفسه، فهل يتماسك لأجلها أيضاً، أم يسمح لها بحرية الانهيار؟
انهيار!!

لهى كلمة عجيبة على مسامعه..

هو لم يبكى أحداً يوماً، ولم يندم على شئ فعله مع أحد
مادام ضميره مطمئناً..

فهل يبكى الآن على أطلالها، أم أنه من رحل رحل وهو غير
نادم على حبها ابداً !!

هو تماسك أمام الجميع، ونفسه اعزّ عليه من الجميع لن
يسمح لنفسه بهذا ابداً !

صدق يوماً في تفكيره حينما كان يقول..

"لنفسك عليك حق، فلا ترهقها بالتعلق بكل عابر"

لكنه لم يفعل، بل تعمد أن يعلقها بالعابرين، ليصبح حاله

الآن كما هو عليه بين "مد" يأمره بالابتعاد عن "خذلان"

نفسه، و"جزر" يجره نحو الأعماق يغريه برفاهية إنهيار لا

يملكه !

وبين هذا وذاك هو عالق لا محالة!

....



صوت طرقات باب غرفته اخرجته من غياهب تفكيره التي كادت تبتلعه، ليفتح أبيه الباب ويقف في إطاره دون أن يدلف إلى الداخل .. يراقب جلوسه الكسير هذا على طرف فراشه..

رفع فارس عينيه له ينتظر منه أى حديث، لكن أبيه لم يعلق بشئ وهو ينظر له نظرة لم يستطيع فارس تفسيرها.. وكأنه يعاتبه على ما وضع نفسه فيه..

دائماً فارس ما يرى حب أبيه غير المشروط له هو بالذات عن جميع إخوته، وبالتأكيد لن يعجبه حاله الآن !
سرعان ما تحول تفكيره إلى حديث على لسان أبيه بنبرة عاتبة :

_عاجبك إلى انت فيه ده ؟!

ولم يكن ينتظر رداً على سؤاله بل تركه مفتوحاً له، وتركه هو وذهب، وكأن فارس مثلاً كان يعرف بأن كل هذا سيحدث وسيضع نفسه في موقف كهذا !!

ظل بعدها ماكثاً مكانه دون أن يتحرك لفترة طويلة، إلا
بعدما شعر بتصلب عضلاته وجسده بأكمله فاستقام
واقفاً ليتحرك قليلاً..

وقف أمام مكتبته التي تشغل عرض الحائط ينظر لها طويلاً
ولتلك الكتب المرتبة بنظام هو من يعرفه، ثم إلى الجانب
الأخر منها والذي يحمل العديد والعديد من الإسطوانات
الموسيقية !

هذه المكتبة عشقه الأبدى، فهي تحوى كل ما واساه في
عزله يوماً..

كتب بمختلف أنواعها، وروايات عدة بمختلف الأنواع..
بالإضافة إلى الموسيقى بالطبع !

إخوته وأولاد عمومته كانوا كثيراً ما يتندرون بطباعه
وهوياته المختلفة عنهم..

كانوا يقولون له دائماً بمرحٍ ساخر:

_بقى فى راجل عاقل بيقرا روايات سبت ايه انت لأختك
وبنات عمك .

لكنه بالتأكيد لم يكن يبالى ولن يبالى.. إلا لشخص واحد
فقط !

ولكنه لن يبالى له مجدداً..

ألا يقولون ظلم بظلم والبادى أظلم .. حسناً هو لم يبتدى
شئ، بل كان دائماً قلبه هو المغلوب لكنه لن يكون هكذا
بعد الآن..

مد يده ليسحب إحدى الإسطوانات ليقوم بتشغيلها، لكن
يده توقفت فى منتصف الطريق ومن اللامكان تنبعث
كلماتها فى ذهنه..

"فارس مش الزوج إلى انا اتمناه.. تفكيره غير تفكيرى، هو
مش زى"



ظلت يده معلقه فى الهواء وهو يغمض عينيه بشدة بل
يعتصر جفنيه يود لو يمحي ذاك الصوت -الذى يعشقه- من
عقله !

غريب !

غريب هو عندما يرفق جملة كـ "الذى يعشقه" بـ "يمحيه
من عقله"، ولكن ما الذى ليس غريباً فيه..

من يوم وُجد على الدنيا وهو يتسم بالغرابة فى كل شئ، فلا
ضرر ولا ضرار من "تفكير مضطرب" أيضاً، و"قلب أحرق"
يلقى نفسه إلى التهلكة هذا يعتبر تحصيل حاصل على كل
حال !!

لكنه رغم كل شئ قام بسحب يده عن الأسطوانات
الموسيقية وصورتها وهى جالسة تقرأ فى المصحف الشريف
فى ذلك اليوم -الذى تلى مجيئهم من الخارج إلى بيت جده- لا
يباح مخيلته !



فيتذكرها وهى منغمسة بكل جوارحها فيما تقرأ، ويتذكر
تلك الهالة من النور التى تحيطها، أليس هذا ما جعله
يعشقها؟!!

إذاً لما يتذمر من طباعها وهى التى جعلته يقع فى فخ عشقها
دون تفكير؟!!

ليتنهد بهمٍ يثقل كاهله، وقد ضج داخله بكل الذى يحمله ولا
يتمكن من البوح به !
لكنه فكر قليلاً..

لا ضرر إن جرب ما كانت تفعله هى عليه يكتشف هذا
السبب الذى جعلها ترفض رجالاً مثله الجميع يشهد
بصفاته !!

لذا دون تفكير زائد تحرك نحو الحمام الملحق بغرفته،
ليتوضئ ومن ثم خرج ليتجه نحو الركن الذى يخصصه فى
غرفته للصلاة وتلاوة القرآن .. هو لم يكن منقطع عن ربه
على كل حال !



جلس على تلك السجادة الصغيرة في هذا الركن، ثم جذب المصحف الشريف من فوق الحامل الخاص به ورفع به بين يديه.. ثم فتحه عشوائياً لتقع عيناه على بضعة سطور راح يقرأ فيها بتمعن !

هنا شعر بحاجته ليكمل، فأكمل وظل يقرأ لوقت طويل، إلى أن انغمس هو الآخر فيما ظل يقرأه لوقت طويل حتى أنهى خمسة أجزاء من القرآن الكريم..

لم يكن يشعر بالوقت الذي يمر ولا بشئ حوله، لم يشعر سوى بأن هناك حملاً قد زال عن كاهله، ووزراً قد عُفِيَ من ذنبه.. وكأن هذا ما كان ينقصه ليرتاح !

أغلق ما بيده ووضعته في مكانه المخصص، ثم تنهد على أمل أن يرتاح عقله قليلاً من التفكير، لكنه عاد يحدث نفسه وكأنه يبرهن لها : هو لم يفعل هذا لها، ربما "بسببها" انتوى التقرب أكثر من ربه، لكن ليس "لأجلها" ! وهذا فارق كبير بالنسبة له !

هو أحبها بصدق ويُشهد الله على هذا، وبعدها سيترك
الأمر لربه يسيرها كيف يشاء، ليعترك النصيب يتخذ مجراه
بينهما، عليها كانت له ذات يوم !!

=====

عقد قران منة ومؤمن !

كان يوماً مميزاً رغم بساطته..
لم يكن احتفالاً بقدر ما ماكان تجمعاً عائلياً من قبل
الطرفين، القليل من عائلة مؤمن وعائلة زين فقط هم من
كانوا مجتمعين !

النساء كن يجلسن بغرفة منعزلة عن الصالة الخارجية
والذى تجمع بها الرجال، وبالداخل كانت منة جالسة وسط
الجمع النسائي حولها..

الجميع يتضاكون ويتجاذبون أطراف الحديث، وهى
تجلس وحدها على أحد الكراسى..

أمها منشغلة بضيوها، تارة تضحك مع الأخريات وتارة أخرى تنظر لصورة آدم التي تزين الحائط وتنظر لمنة ومنها إلى الصورة مجدداً، فتجد دموعها تسقط على وجنتها حينها تنظر لها منة بتأنيب وحاجبين منعقدين قليلاً مع ابتسامة صغيرة، فتبتسم أمها وهي تهز رأسها بقلّة حيلة وتمسح دموعها بسرعة ثم تعود لتنخرط مع الجالسين مرة أخرى..

حالا واقفة جوارها بملامح شاردة أقرب إلى التجهم وهذا تحديداً ظهر على ملامحها بعد مواجهتها مع حازم اليوم، فتلك كانت أول مواجهة لهم بعدما حدث بينهم آخر مرة أهانته فيها بالحديث..

حين رآها حازم مع بقية النساء القى عليهم التحية دون أن يختصها بها كعهده معها، بل كان يدعى عدم وجودها أساساً ولا يوليها أى اهتمام، وهذا ما أثربها بشدة، ولكن ما هالها أكثر هي نظرتة التي ضبطته ينظر لها بها خلسة..



مزيج من مشاعر شتى كان العتاب سيدها، فأشاح بوجهه عنها بسرعة بحاجبين منعقدين قبل أن يرمقها متعمداً بأخرى مزدريّة علمت أنها مصطنعة من قبله لكنها آلمتها بشدة قبل أن يترك المكان ويخرج !

ومن وقتها وهي هكذا شاردة، متجهمة، متباعدة تماماً عن منة التي تنتظر منها شئ .. أى شئ، أن تكون معها كأختٍ في يومٍ كهذا لكنها متباعدة تماماً !

حتى زين منشغلاً بالخارج مع بقية الرجال، بالتأكيد هولن يجلس جوار النسوة هنا فقط لأجلها..

ابتسمت لتفكيرها وهي تنظر حولها مرة أخرى، رغم تجمع الجميع حولها إلا أنها تشعر بالوحدة، تشعر بال .. غرابة !

نعم هي في موقف غريب عنها، ستنتقل لبيتٍ لم يكن بيتها يوماً، ستعيش مع شخص لم يكن حديثها معه يتعدى الرسميات..



بسبب حبها له فقط وافقت، ويبدو أنها تسرعت ونسيت أنه دائماً "الحب وحده لا يكفي" !!

هزت رأسها نفيًا كي تفيق من كل تلك الأفكار السوداء التي تراودها، لتلتفت نحو حلا وقد قررت الحديث بأي شئ لكي تلهي نفسها عن أفكارها المميتة، ثم تساءلت منه بخفوت :
_ البنات لسه مجوش يا حلا ؟!

اجفلت حلا وهي تنتبه لها، ثم ابتسمت بارتجاف وهي تجيبها :

_ لا لسه مجوش .. يارا كانت مستنية اروي انتى عارفة انها بتأخر فى اللبس وكده، وكمان قالوا درة جاية انهاردة من عند عمها، فعشان كده اتأخروا شوية ومفيش هنا غير سمية زى مانتى شايفة كده .

أتبعت جملتها بنظرة نحو سمية التي تجلس بتعجرف واضعة ساقاً فوق أخرى متباعدة عن الجميع وكأنها ليست منهم، عينيها مثبتتين على الخارج بالظبط نحو .. زين !!



عادت حلا بعينها لمنة التي كانت تنظر لسمية هي الأخرى
لتعود منة بعينها إليها قائلة بخفوت :
_ربنا يهديها .

ثم أستطردت بمرح وهي تنظر لحلا :
_الا قوليلي مكياجي مضبوط ؟!
نظرت لها حلا بحنان وشعور بالذنب، تعلم أنها متباعدة
عنها كثيراً لكن ليس لها حيلة..

مواجهتها "الصامته" مع حازم قد استنزفت قوتها.
لذا أحاطت وجه منة بكفيها بحنو وهي تقول بابتسامة
عذبة، صادقة :

_والله ما شوفت بجمالك، ربنا يحميكي يا منة.. متزعليش
مني عارفة اني مقصرة معاكى اوى، انا اسفة !
صمتت، لتتبع صمتها بمحاوطة منة بذراعيها وهي تضمها
إليها بحنان..



ك "اعتذار" عن تخاذلٍ في دور أختٍ تعلم أنها لم تؤديه على أكمل وجه..

ك "إحتواء" لنفسها قبل أن يكون لمنة..

ك "رغبة" في الاكتفاء من عذوبة عناق كهذا لن تناله بعد ذلك إلا على فترات متباعدة..

أما منة فقد ادمعت عيناها بتلك الدموع التي كانت تكبحها بصعوبة منذ زمن، وكادت تبكى لولا حلا التي ابتعدت عنها قائلة بمرح :

_لا اوعى .. دانا اصور قتيل هنا .. احنا صارفين ومكلفين ع "الميك اب ارتيست" عشان تيجي دلوقتي تبوظيه بدمعتين . ضحكت منة وهي تعاود ضمها مجدداً، لتتنهد حلا بصمت وهي تشعر بأن مشاكلها مع حازم قد جعلتها تتناسى دورها كأختٍ في يوم كهذا، خاصة مع انشغال والدتها بضيوفها،



لذا قررت أن تتعقل قليلاً إلى انتهاء اليوم وتوديع منة على
أقل تقدير!

تركتهما حلا وهي تقف أمامها هاتفة بمرح :
_سبقتيني واتجوزتى قبلى يا صغيرة والله ما هعديها لك .
ضحكت منة وهي ترد عليها بخبث :
_انتى إلى دبشة ومش وش نعمة اعملك ايه .

وإن كانت توقعت أن حلا سوف تتأثر بالكلمة بعد أحداثها
السابقة فلم تفعل بل ضحكت بمكروهي تقول :
_بكرة اوريكى بس اصبرى عليا بس ولا بكرة ليه.. هوريكى
دلوقتى .

نظرت لها نظرة أخيرة عابثة قبل أن تلتفت لبقية من
بالمكان، ألقت عليهم نظرة سريعة ثم توجهت نحو مشغل
الموسيقى فى زاوية الغرفة، قامت بتشغيله وخفضت
الصوت نسبياً بحيث لا يصل لمن بالخارج، ثم قامت بفك
الوشاح الملتف حول رأسها وأسدت شعرها على كتفها و

ظهرها، ثم لفته حول خصرها ووركها، لتشرع بالرقص
على الأنغام التي انبعثت في المكان !!
حلا ترقص !!!

كانت صدمة لمنة وأمها اللتان وقفن يراقبن تلك التي تتلوى
يمنة ويسرة بحركات راقصة لا تليق بطبيعتها الجادة
إطلاقاً، وشعرها يشاركها جموح اللحظة وهو يلتف هنا
وهناك ويلطم وجهها بنعومة ليعود وينسدل من جديد مع
كل حركة لها..

صدمة صحيح ؟!

إلا أن حلا تستمر في إبهارهم دائماً !!

أما عنها فهي كانت ترقص بانطلاق شاعرة بنظرات الجميع
المسلطة عليها بإعجاب أقرب إلى الحسد من قبل النسوة -
من يعرفها ومن لا يعرفها- فهي رغم كل شئ جميلة، بل
جميلة جداً في الواقع !

حسناً فلتعترف بتلك "الأنثى" القابعة داخلها تريد التحرر
من قمقمها التي فرضته عليها قسراً طوال عمرها !
دلف بقية الفتيات من باب الغرفة تزامناً مع العرض
السخي لحلا اليوم..

يارا جوارها أروى مصطفىين جوار بعضهن البعض يراقبن
المشهد بأفواه فاغرة، لكن أول من أفاق كانت أروى التي
إبتسمت بخبت وهي تلتقط هاتفها خفية وتصور به هذا
العرض السخي الذى لم ولن يتكرر مرة أخرى ! لعلها
استفادت وشاركت به فى "متحف الأثریات" ذات يوم !
ثم انسحبت من جوار يارا لتنضم لحلا بمرح وترقص مقابلة
لها بانطلاق يوازی انطلاق حلا فى لا تقل مهارة عنها !
انشق ثغرمنة بابتسامة كانت مبهورة وسعيدة فى ذات
الوقت وهى تفسح المجال ليارا التى أتت جوارها ليراقبون
العرض دون أن تلقى عليها مباركة حتى، فليتركوا تلك
"الشكليات" لوقت آخر فالיום يوم المعجزات !!



.....

أما بالخارج انتهى عقد القران، فسحب كلاً من مؤمن وزين
يديهما بابتسامة مشرقة لم يخفى الألم منها بعد، والذكرى
أيضاً تعود بكل التفاصيل !!

لكن زين ابتسم وهو يقف محتضناً مؤمن بمحبة هامساً
جوار أذنه :

_مش هوصيك عليها، انت عارف انها بنتى .

أبتسم مؤمن وهو ينظر له بهدوء قائلاً بصدق :

_زين انت عارف كويس اوى انى بحبها .

اوما زين بابتسامة شاردة وهو يمس بنبرة لم يملك ذاك
القلق الذى غلفها :

_خايف يكون "الحب لوحده ميكفيش".

بادله مؤمن النظر بتفهم وثقة وهو يقول بنبرة متزنة،
متفهمة :



زين انا مقدر جدا موقفك، بس متخفش منة فى عيونى ..
اوعى تفكرانى ممكن اخودها بذنب ذكرى او أقول ان دى
اختك والتانية كانت اختى واقارن ده ب ده .. خليك عارف
انى فاهم كويس الفرق بين وضعنا ووضعك انت وذكرى الله
يرحمها، ده كان عمرها .. وانا عمرى ما كنت قليل الإيمان
بربنا عشان افكر تفكير رجعى زى كده .

هذا تحديداً ما كان يدور بخلد زين، بل ويؤرقه كثيراً منذ
اليوم الذى تلى مجيئهم لطلب يدها منه بشكلٍ رسمى، لكن
قلقه مبرر، وله كل العذر..

منة ابنته، لا يعلم إلى متى سيظل يردد تلك الجملة لكنه لن
يمل وسيقولها أبداً، منة ابنته .. وهو يخاف عليها حتى من
شكة إصبع!

لذا "تفكير خطير" كالذى كان يراوده كان يحتاج إلى "توكيد
حار" كالذى أعطاه إياه مؤمن الآن، رغم أن قلقه لم يزول
بالكامل لكنه على الأقل ارتاح قليلاً.



يلا بقى روح خلى العروسة تمضى عوزين نتمم الجوازة .
قالها مؤمن بحنق وهو يناوله الدفتر الخاص بالمأذون ،
فضحك زين وهو يلتقطه منه ويتوجه به نحو غرفة النساء ..
حمحم بصوت مرتفع لينتهوا لمجيئه لكن يبدو أن لا أحد
ينتبه له بسبب الصوت الصاخب الذى يهيمن على المكان ،
لكن هذا لم يدهشه ، بل ما أدهشه هو ما رآه !
حلا ترقص !!

إنها كارثة طبيعية ، وسيموت أحد اليوم لا محالة !
كان يقف ممسكاً بالدفتر بكفيه مفرودين والدفتر فوقهما ،
حاجبيه منعقدين بصدمة ورغم ذلك حاجباً منهم يرتفع
لأعلى فى تعبير بشرى لا يمكن وصفه ..
زاوية شفثيه ترتفع لأعلى قليلاً فلا تدرى
هل هو امتعاض أم دهشة لرؤية ما يراه ..
كان تعبيره عبارة عن تجمع لمجموعة مشاعر إنسانية رائعة
شديدة الصدمة !!



انتهيت له أروى عندما دخل فانسحبت بخفة دون أن
يلاحظ أحد، بينما بقيت حلا تتراقص بجموح وهى غافلة
عنه، إلا أن زين تمالك نفسه وتعايره الغريبة وهو يهتف
بصوت عالٍ لى يعلو فوق صوت المشغل الصوتي :

يا جماعة !!

شهقت حلا بفزع وهى تلتفت له بينما تكفلت إحداهن
بإطفاء المشغل الصوتي، لكن حلا تنهدت بارتياح وهى تنظر
له ضاحكة وتقوم بفك الوشاح عن خصرها وترفعه حول
عنقها :

_ خضتني يا عمنا .. فكرت حد غريب .

ما زالت الصدمة تلجم لسان زين، لكنه تنحنح بخشونة وهو
يقول بسخرية :

_ ما غريب الا الشيطان يا اختي .. انتى يا حلا انتى، طب كنتى
سيبىها ل اروى حتى، انتى يا حلا .

_ ايه يا ابيه الالهانة دى، مالها اروى يعنى انا مش فاهمة ؟؟!

قالتها أروى بتهكم وهى تنظر له بحنق، لينظر لها زين بضحك
وهو يقول :

_والله ما اقصد بس الصدمة بس .

نظرت له بطفولية عابسة وامتنعت عن الرد.

فأهداها زين ضحكة خفيفة، قبل أن يشيح بعينه نحو
منة.

كان زين يقف بباب الغرفة وأبناء عمومته خلفه، فالتفت
حلا بسرعة وهى تعيد ترتيب شعرها ولف حجابها حول
وجهها.. ليدلفوا خلف زين ومن ورائهم معاذ.

بينما زين توجه نحو منة ليجعلها تمضى على العقد..
فاستقامت واقفة ما أن اقترب منها..

ابتسم زين لها بعاطفة تشع من عينيه، عاطفة أبوة عرفها
هو قبل أن ينبج ابن من صلبه !

قدم لها زين الدفتر دون حديث فالتقطت منه القلم ومضت
فى المكان المخصص لها، لتكون زوجة مؤمن رسمياً !!

بعدها وضع زين الدفتر بعيداً ثم أحاط وجهها بكفيه وهو
يقبل جبهتها باعزاز، لتبتسم منه وهي تنظر له بعينين
لامعتين بدموعها هامسة بصوت مختنق لم يخفى مرحة :
_سبقتك يا ابو الزين واتجاوزت انا قبلك.

ضحك زين ضحكة متحشجة افصححت عن دموعه الذي
يكبتها بقوة وهو يرى "ابنته" عروساً أمامه، لا تقل جمالاً
عن أى عروس رأها في حياته بل جمالها يكمن ببساطتها ..
بفستانها الأبيض الرقيق وتلك الفراشات الرقيقة التي
تزينه وتمائله لوناً، فستان لا ينم عن شئ سوى جمالها و
براءتها !

ضمها زين برقة نحوه، ليكون ذلك بمثابة إذن لمنة لتشرع
بالبكاء هامسة بصوت لم يسمعه غيره وهي تخفى وجهها في
صدره :

_كان نفسى بابا يبقى موجود .



كاد زين أن يرد عليها وقد اختنقت عيناه بدموعه أكثر، لكن
منة اردفت همساً :

_وربنا استجاب دعائنا وابويا موجود معايا دلوقتي .. انا بس
.. مش عارفة هسيبه وامشى ازاي .

شدد ذراعيه حولها وقد أبت دموعه إلا أن تخذله في هذه
اللحظة وتسقط، ليهمس بصوت خافت :

_انا إلى مش عارف هقعد من غيرك في البيت ازاي ؟!

_يا سلام يا خويا يعنى انا مش مالية عينك مثلاً .

كانت تلك حلا التي اقتربت منهم وسمعت آخر حديثه،
لتستطرد بصوت مختنق بدموعها أيضاً :

_ولا منة هي إلى ع الحِجروانا بنت البطة السوداء .

ضحك زين من وسط دموعه وهويلف ذراعه حولها هي
الأخرى محتضناً إياهما معاً، وقد طفقت حلا هي الأخرى

تبكي لتنضم أمه لهم وهي تقول :

_مليش مكان انا يعنى .

تلك المرة ضحكوا جميعاً وأمهم تنضم لهم فى "عناق
جماعى" شعروا جميعاً به كـ "طوق نجاة" ينقذ سفينتهم
كلها والتي كادت تغرق !

نظرهم أربعتهم مُعلق بصورة والدهم المعلقة على الحائط
وكلٌ يهمس له بكلمات مختلفة وكأنه يسمعهم حقاً، ويشعر
بما يمرون !

نظر حازم لهم من بعيد وهو يبتسم لمراى "فرسه الجامحة"
بمثل تلك الوداعة والسكون الآن وكأن كل شراستها طوال
عمرها ما كانت، ليخرج هاتفه ويلتقط صورة لذاك "العناق
الجماعى" على غفلة ممن يعيشوه، وكان ذلك أفضل شئ
قد حدث فى هذا النهار !

=====

كانوا جميعاً واقفون الآن أمام باب البيت يودعون منة وهى
تستقل السيارة مع مؤمن الذى وما أن انتهى وداعهم لها
انطلق بسيارته مبتعداً عن الجمع، ومنة تنظر خلفها نحو

أهلها الواقفين أمام البيت يلوحون لها من بعيد وهي تتلاشى عن ناظرهم شيئاً فشيئاً إلى أن اختفت تماماً..

حينها لم تتمالك والددة زين نفسها وهي تلقى بنفسها في أحضان ولدها تبكي بعنف ولم تكن قد بكت أمام منة قط !
ليربت زين على كتفها وهو يقول بابتسامة :

ـ يعنى يا حاجة ما عيطتيش قدامها وجاية تعيطى دلوقتى ؟!
ـ مكنتش عاوزه ازعلها وهي ماشية بس مقدرتش امسك
نفسى اكتر من كده .

اجابته وسط بكائها لتتسع ابتسامته وهو يربت على كتفها
بحنو، ودعائه الصامت لها يغادر شفثيه أخيراً :
ـ ربنا يسعدنا .

=====

بعدها دلف زين لبيته وبعدها صعدت حلامع أمها إلى
غرفتها استوقفه نداء حازم فالتفت له وهو واقفاً في بهو
البيت .. أقترّب حازم منه ووقف مقابلاً له ثم تساءل :



_بص هو انا عارف انه مش وقته بس انا عاوز أفهم.. انت ليه مرضتش تقول لمؤمن يومها على إالى احنا عرفناه .
ابتسم زين نصف ابتسامة وهو يعود بذاكرته لذلك اليوم الذى عرفوا فيه أن "هشام" عائد قريباً إلى مصر!!
يومها أته الأخبار عن طريق الفتيات اللاتي كن في "الفيلا" الخاصة بهشام، وقد قالوا على لسان المساعد الخاص به أنه عائد إلى مصر قريباً، والمكان مملوك له لذا وجب على مساعده أن ينهى المهازل التي كان يقيمها في بيته، وبهذا انقطع وجود الفتيات في المكان وانقطعت معهن أخبار هشام أيضاً، وحتى موعد وصوله بالضبط لم يعرفوا عنه شيئاً، لذلك كان كل ما ملكوه الآن هو الإنتظار والمراقبة !!
عاد زين بنظراته إلى حازم الذي ظل منتظراً إجابته التي أته بعدها بوهلة :

_مؤمن يا حازم متهور، ناهيك عن ان ذكرى عنده كانت حاجة كبيرة اوى، ممكن يعمل اى خطوة غلط لما يعرف ان



هشام نازل مصر قريب وهو نفوذه مش شوية برضو وممكن
بكل سهولة يوصله قبلنا؛ بكده خطتنا هتبوظ وانا مش
مستعد اجازف ولو واحد في المية أنها تبوظ .

بادله حازم النظر بإدراك في حين استرسل زين في حديثه :
_انى مقولتش لمؤمن ده مش قلة ثقة فيه، لانى لو مش واثق
فيه مكنتش جوزته اختى ... انا خايف من تهوره أنه يبوظ
خطتنا مش أكثر.

اوما حازم موافقاً وهو يقول بخفوت :
_طيب، كده احنا مش بإيدانا شئ غير نستنى .
_بالظبط .

قالها زين مومناً بجدية، وعينية تتلونان بإصرار عجيب، و
بعض الرهبة من القادم تحتل شعوره !!! لكنه لربما يكون
خير .. ربما !!

=====



التفتت منة بعد ابتعاد السيارة بالقدر الكافي لجعلها لا ترى عائلتها .. فاعتدلت فى جلستها وهى تنظر من النافذة جوارها، لكن شهقة بكاء خافتة منها جعلت مؤمن يلتفت لها عاقداً حاجبيه، وكانت تلك أول مرة ينظر لها فيها !!
كم كانت جميلة، هشة، ورقيقة..

كان وكأنه ينظر لها لأول مرة، وهى بالفعل كانت أول مرة..
أول مرة ينظر لها بتلك الحرية متشرباً كل ذرة من ملامحها المحببة..

أول مرة يشعر بها كزوجته، منة أصبحت حلاله، لا تلك التى كان يغض بصره عنها باحترام..

أهذه هى مكافئة القديراً ترى ؟!

لا يدري، لا يدري سوى بأنه يعشقها..

ظلت منة تبكى بصمت وهى تنظر من نافذة السيارة.. تشعر بأنها مقبلة على شئ كبير، شئ لم يكن من شأنها ابداً، تشعر بكبر المسؤولية التى سوف تقع على عاتقها، ولم تكن هى



مستعدة لها بعد .. لم تكن مستعدة، ولكن قد فات أوان
التراجع، فلتقابل ما هي مقبلة عليه بشجاعة !!
شعرت فجأة بيد أمسكت بكفها وقربتها من شفתי صلبتين
طابعاً قبلة رقيقة فوق كفها مع همسه الرفيق :
_بتبكي ليه ؟!

اجفلت منة، لكنها مسحت دموعها قبل أن تلتفت له وهي
تسحب يدها بسرعة وكأن حية قد لدغتها، لتقول بتلعثم :
_ها.. لا ابدأ مش ببكى ولا حاجة، كل الحكاية انى كنت ..
كنت .

اغمضت عينيها بياس وهي تشعر بنفسها تثرثرون كلمات
مقنعة، لتزفر بضيق دون أن تفتح عينيها، وقد قررت
الصمت تماماً..

لكنها وجدت مؤمن يتشبث بيدها بإصرار وهو يقول بخفوت
وابتسامة عذبة :



_ ماتقلقيش كده، مش هتبعدى عنهم خالص .. هنزورهم دائماً .

لكن كلماته لم تريحها، لأنها لا تناسب مخاوفها..
هى خائفة .. خائفة من أن ماضى زين المشترك مع ذكرى قد يكون بمثابة شوكة بخاصرتها فى حياتها مع مؤمن، وهذا ما لن تحتمله هى أبداً ولن تقدر على تحمله !

لكنها نظرت لابتسامته المطمئنة، لتبادلته بأخرى مثلها بارتجاف وهى تتطلع أمامها دون أن تنزع يدها منه هذه المرة..
حسناً هى فقط تحتاج الوقت لتعتاد على الأمر، هذا زوجها .. هذا زوجها !!

=====

هذا زوجها ...

وهذا ما ظلت تقنع نفسها به طوال الطريق إلى البيت وهى تسترجع فى ذاكرتها حديث أمها عندما أتت إليها قبل رحيلها، وقد نصحتها بالكثير والكثير لكنها الآن تشعر بأن كل ما قالته

قد أصبح هباءً منثوراً وهي تدلف معه إلى البيت الذى بمجرد أن عبرت بوابته إلى بهوه الداخلى، وقد شعرت أنها دخلت عالماً مغايراً تماماً عما كانت فيه، عالم ستكون هى سيدته لا فرداً من أفرادهِ؛ لذا وجب عليها التصرف على هذا الأساس، وبرقى يناسبه !

بالبداية توجهوا نحو غرفة أمه التى لم توافق أن تحضر معهم عقد القران بحالتها تلك، فهى فاقدة للنطق تماماً منذ وفاة ذكرى، ولم يشأ مؤمن أن يضغط عليها رغم أنه يعلم كم كانت تتوق ليوم كهذا، يوم ترى فيه ابنها يتزوج ممن تمنّاها قلبه، لكن مع وضعهم الحالى، ستكون الذكرى أقسى عليها من أى وقت مضى، فلم يشأ أن يسبب لها حزناً !

قضوا بعضاً من الوقت معها، قبل أن ينسحب مؤمن مع منة بهدوء ..



وحقيقة هى كانت شاكرة له هذا، فهو لم يثقل عليها بالمكوث
كثيراً وهو يعلم رهبتها من المكان حولها !

لينتهى بهم المطاف أخيراً أمام غرفته .. أو غرفتهم بالمعنى
الأصح !

اعتقدت منة قبل أن تدلف إليها بأنها ستكون ككل شئ فى
هذا اليوم، هادئة لا تمت ليوم عرسٍ بصلة !

لكن ما وجدته داخلها أدهشها !

فكانت الغرفة مزينة بطريقة عصرية، أبهرت قلبها قبل
عينها، ويبدو أنه قد قام بتجديد كل شئ فيها، حتى أثاثها ..

نظرت حولها للورود التى تفترش المكان، والإضاءة الخافتة
التي تنبعث من زاوية الغرفة، والرائحة العطرة التى تنبعث
فى المكان إثر احتراق أحد الشموع المعطرة، كل هذا كان فوق

خيالها حقاً !



تركها مؤمن لتتأمل المكان كيفما تشاء، ثم اقترب منها بالأخير
واضعاً كفيه فوق خصرها وهو يقف خلفها، هامساً
بخفوت بنبرة مزجت وده وهيمنته بلمحة اعتذار:

_ اسف انى مقدرتش اعملك فرح يليق بيكى، بس انتى عارفة
الظروف وظروف امى، وده كان بمثابة تعويض بسيط ..
تقدرى تقولى عليه كده .. عربون لبداية جديدة .

كانت عيناها الهائمتين بالمكان تغفلان عن وضعهما هكذا
وهى تهمس :

_ تحفة يا مؤمن .. بجد شكراً، وانت عارف انى مفرقش
معايا فرح من غيره، كفاية ان عيلتى كانت جنبى .

إلا أنها انتهت وهو يقربها منه أكثر محاولاً إياها بذراعيه
مستنداً بذقنه على أحد كتفيها هامساً :

_ يعنى مش زعلانة ؟!



هزت رأسها نفيًا بتشتت، وهى تشعر بتماسكها يتبعثر ذرة وراء أخرى، وقلبيها يطرق بعنف داخل صدرها، ليهمس مؤمن مرة أخرى :

_اومال كنتى بتعيطى فى العربية ليه ؟

ازدردت ريقها بتوتروهى تهمس بدورها بتلعثم :

_عشان .. عشان مش هشوف ماما .. وزين و...

تلعثمت أكثر وهى تشعر به ينزع عنها حجابها برقة متناهية،

مُسدلاً شعرها على كتفيها وظهرها بنعومة مع همسه :

_وايه .. كملى .

لتمثل لأمره وتهمس بأنفاس مضطربة وهى تشعر بأصابعه

تتخلل خصلات شعرها ببطء، وأنفاسه الحارة تلفح جانب

وجيها وعنقها المكشوف :

_وحلا .. وسبت، سبت .



لتنقطع بقية جملتها المتلعثمة على ضفاف شفثيه بعد أن
أدارها إليه محتضناً شفثيها بنعومة، وكأنه يؤكد لها أنها
ليست وحيدة هنا، هو معها خطوة بخطوة !
وهذا ما ترجمه لسانه وهو يبتعد عنها للحظة ملتقطاً
أنفاسه :

_ انا معاكى، ماتخافيش .

_ مؤمن .

وكانت تلك آخر أحرف نطقها، قبل أن يحتل شفثيها
بشفثيه من جديد، مغيباً إياها في دوامة ابتلعها ...
قبل تشعر بسحاب فستانها ينجذب للأسفل ببطء ونعومة
جعلتها تسلم جميع حصونها، دون مقاومة تذكر..
فالمستعمر يبدو وكأنه قد نال رضا أهل الأرض التى
استعمرها لتوه !!

=====



"ويكون حب أحدهم لك ضوءاً، ليؤكد لك أن الظلام لم يعد مطبقاً"

-رضوى عاشور.

بعد رحيل منة وقف مصطفى خارج البيت حاملاً ابنته الباكية على ذراعيه، ينتظر والدته أو حتى سمية لكي تخرج من البيت وتأخذ منه الطفلة لكي يستطيع الحديث مع زين قليلاً قبل أن يرحل، لكن لا أحد يخرج لا سمية ولا والدته !

ظل بعضاً من الوقت وهو يحاول تهدئة ماسة بشتي الطرق والصغيرة مستمرة بالبكاء، فهمس لها بلطف لم يستطع ضيقه أن يمحيه :

_ خلاص يا ماسة، حبيبة بابا في ايه ؟!

ازداد نسيج الصغيرة الخافت والذي احزنه بشدة !

حقيقة .. مصطفى شديد الحساسية لكل ما يتعلق بابنته، لا يحب أن يراها تبكى ولا يحب أن يراها مريضة، بالطبع جمع الأباء كذلك لكنه هو مختلف، تعلقه بها يكاد يكون مريضاً؛ خاصة مع حبه الشديد لوالدتها باعتبارها هي ما تبقى منها !

بان الحزن على ملامح مصطفى وهو ينظر للصغيرة بعجز لا يستطيع أن يوقف بكائها، وأثناء تطلعه لها وهي تبكى، أول من خطر على باله هي يارا، تذكرها وهي تمسك الصغيرة بين يديها وتعلق الصغيرة الشديدة بها، فتهد بخفوت وهو يتخذ قراره بأنه سيدلف لها ويعطيها ماسة، لكن ظهور سمية خارجة من البيت استوقفه فتطلع لها وهي تقترب منه إلى أن مرت بمحاذاته، فنادها قائلاً:

_سمية .. ممكن تاخدى ماسة شوية تسكتيها عشان مش راضية تسكت معايا .



نظرت سمية فى ساعة معصمها بضيق هاتفة بنبرة
ممطوطة :

_اه مصطفى معلىش بس ورايا معاد واتأخرت عليه اوى
معلىش .

نظر لها مصطفى بضيق وهو يتساءل بنبرة تحاكي نظرتة :
_طيب ماما فين ؟!

نظرت مرة أخرى لساعتها باستعجال وكأنها تشير له بصورة
غير مباشرة أن طلبه مرفوض :
_ماما مشيت من بدرى كانت تعبانه شوية ومشيت، وعن
اذنك يا مصطفى انا مستعجلة .

رمت جملتها بفضاظة ثم تركته وذهبت، ليضم مصطفى
رأس ابنته نحوه ويشدد من احتضانه لها بقوة وهو ينظر فى

فراغ سمية أمامه بنظرات ضائعة، غاضبة تكاد تختنق من
شدة سوء معاملتهم لابنته ..

ابنته لم يكن لها ذنب في شئ أبداً، وما يؤذي ابنته يؤذيها وهو
أبداً لم يكن ليفرط في حقه أبداً !

شعر فجأة بيد تحاول جذب الصغيرة منه فزادت قوة ضمه
لها تلقائياً بعدائية، ليجفل على مرأى يارا تحاول جذب
الصغيرة منه مع قولها الرفيق :
_سيها انا هسكتها .

ازداد تشبثه بابنته وقد تضاعف غضبه بشدة لسبب لا
يعلمه ليقول بحدة :

_لا مش هسيها انا هعرف اسكتها لوحدى .

لم تجفل من حديثه ولم تلمه على حدة حديثه معها.. فهي
كانت تراقب الموقف منذ بدأ، حيث كانت قادمة مع مراد من

الداخل متوجهين نحو بيتهم ليروا هذا المشهد الذى بعث
الضيق فى قلوبهما..

تمسكت يارا بالطفلة وقالت بإصرار:
_سبها يا مصطفى .

إلا أن مصطفى كان أكثر ضيقاً من أن يستمع لأحد أو يمثل
لأمره، فردد بعناد قبل أن يذهب بطفلته من أمامها :
_قولت لا يعنى لا !

توجه مصطفى نحو سيارته ووضع ماسة بها ثم دار حولها و
ركب هو أيضاً لينطلق بها بسرعة جنونية نتيجة لغضبه،
فنظرت يارا نحو مراد الواقف جوارها يتابع المشهد بصمت
غاضب، فهتفت به بسرعة :

_هات عربيتك يا مراد وتعالى نروح وراه ده سايق وهو مش
شايف قدامه .

اوما لها مراد وهو يتوجه بالفعل نحو سيارته ليأتي بها،
لتركب يارا بها بسرعة وهم يتجهون خلف مصطفى الذى
كان ينهب الطريق إلى بيته بسرعة جنونية..

أما مراد فكان غضبه لا يقل عن غضب مصطفى بالمرّة..
منذ أن رأى "عديمة الرحمة" - كما سماها - تترك أخيها بابنته
التي انفطرت من كثرة بكائها وترحل متعللة بـ "مشوارها"،
وهو يكاد يغلى غضباً وسخطاً على نفسه قبل أن يكون عليها
!

"عديمة رحمة" ماذا رأى قلبه فيها ليتعلق بها منذ أن رآها ؟!
ماذا رأى فى تلك التى تتحدث شخصيتها عن نفسها
"المشوهة" والتى تعيثُ فساداً فى قلوب الآخرين وأولهم قلبه
هو!

"عديمة رحمة" ترفض حتى مساعدة أخيها فى عبء ابنته
التي توفت أمها !

"عديمة رحمة"، "فاسدة الأخلاق" لماذا تعلق بها إذا؟!
أكون قلبه بالفعل قد رأى أبعد مما تبصره عيناه وأن
"المظاهر تخدع" كما يقولون!
أم ببساطة هو مجرد "مغفل" وقع في فخ عشقٍ ظن نفسه
أنه ناجٍ منه يوماً؟
وليس أقسى على المرء بأن يكتشف أنه قد وقع في فخٍ خالف
كل توقعاته قبلاً لو تعلمون!!
ولا عزاء لقلب ترك نفسه لهواها ليسقط في بئر أسود يدعى
"التعلق بما لا يناسبه"!!

.....

وصل مراد أمام بيت مصطفى وكان قبله الأخير قد وصل
وصف سيارته بإهمال ليترجل منها ...

خرجت يارا من السيارة بلهفة وهى تنوى تتبعه للداخل،
لكنها فوجئت بمراد مازال جالساً بالسيارة غائباً فى غياهب
شروده ..

فانحنت لتنظر له قائلة :

_مش هتيجى معايا .

نظر لها مراد بضيق ثم قال بخفوت :

_لا يا يارا، روحى هاتى البنت منه وتعالى على طول .

نظرت له نظرة أخيرة مُحترارة، قبل أن تستقيم وتدلف إلى
الداخل تاركة مراد خلفها فى السيارة يكاد "مارد جنونه"
بالسيطرة عليه وهو يلعن قلبه ألف مرة على اختيار بائس
كهذا !!!

.....

بينما يارا دلفت للبيت فى الداخل لتواجه الخادمة
فتساءلت بخفوت وقلق :

_فين مصطفى يا ام فوزى ؟

اشارت لها المرأة المتقدمة بالسن قليلاً نحو الأعلى قائلة :
_طلع على اوضته فوق، وشكله كان متعصب خالص
والبنت كانت بتعيط ومرضاش يديهالى، اطلعيله يا ست يارا
حرام البنت مفطورة من العياط .

توترت يارا قليلاً، وهى مترددة .. أتصعد أم لا، لكنها فى النهاية
حسمت أمرها لأجل الصغيرة وقررت الصعود !

فتركت أم فوزى واقفة أسفل السلم لترتقى درجاته نحو
غرفة مصطفى الذى كان صوت بكاء الطفلة ينبعث منها
بوضوح !

تقدمت للداخل بخطوات متباطئة، قدم تتقدم واحدة،
وأخرى تعود ثلاثاً، إلى أن تشجعت ودلفت له !

بالبداية طافت عيناها بالغرفة لوهلة رأت فيها صور زوجته
الرحلة معلقة على جميع الجدران دون استثناء !
واحدة لها بعرض الحائط فوق الفراش، كانت بها تضحك
بانطلاق وشعرها الغجري كان يتطاير حولها، بمظهر أخبر
يارا بوضوح أنها، أنها كانت جميلة جداً، أجمل منها هي حتى !
عند هذا الحد غضت بصرها عن بقية الغرفة جميعها،
لتصب تركيزها كله على ذاك الجالس أمامها على أحد
الارائك دافناً وجهه بين كفيه، وطفلته جواره تكاد أنفاسها
أن تتوقف من كثرة البكاء، ناهيك عن ألم قلبها وتلك
الغصة التي تحتل حلقها تكاد تشطره نصفين، لكن لا بأس
.. لا بأس أبداً !

اقتربت يارا منه وهي تحمم بصوت عالٍ لينتبه لوجودها،
وقد فعل حين شعر بها وهي تلتقط الطفلة من جواره
تهدهدها بين ذراعيها ناظرة لها بحنان، ولم تحاول أن تلقى



له كلمة حتى، وهو أيضاً لم يحاول الحديث بل ظل على وضعيته..

مع ارتخاء أعصابه المشتدة قليلاً تزامناً مع توقف بكاء الطفلة نسبياً إلا من بعض الشهقات الخافتة !
إلا أن إرتفاع صدره وهبوطه بانفعال جعلها تدرك أنه، ليس على ما يرام..

ليس على ما يرام أبداً !

عقدت يارا حاجبيه وهي تنظر له..
هل يبكي؟ هل سمعت صوت بكاء للتو؟ مع توقف بكاء الطفلة التي غفت بين يديها لتوها، أم أن هذا محض خيالها الخصب فحسب؟

أما هوفكان في حالة يرثى لها حقاً..

رجل مثله يبكى، لهو أمر كان من الصعب جداً عليه، بل كان من المستحيلات، ولكن دموعه لم تشأ إلا "خذلانه" وأمام من، من كانت ومازالت وستظل تعشقه مادامت حية !!
لكن بكاء ابنته وذاك الموقف الأخير الذى تعرض له، كان فوق احتمالاه، فوق احتمالاه حقاً مادام الأمر قد تعلق بماسة فهو فاقد لصوابه لا محالة !

شعربيد تمتد لتربت على كتفه برقة متناهية لم تكن سوى ليارا التى لم تقاوم شعورها بضرورة "احتوائه" وامتدت يدها لتربت على أوجاعه عليها تمحى من حزن قلبه ولو النذر اليسير!

لهمس يارا بصوت خافت مس قلبه :

_مصطفى انت بتعيط ؟!

وهو لم يكن مستعداً السؤال كهذا -فى حالته تلك- لم يكن مستعداً ابداً !



لذا وبمجرد أن انتهت من جملتها حتى وجد نفسه ينظر لها، و
ينطق دون كوابح بصوت شابه الكثير والكثير من الألم،
بينما يشير بيده في حدة نحو متهم وهمى، متهم أفسد حياته
دون أن يعلم من هو، لكن النتيجة واحدة :

_ايوا بعيط ..بعيط عشان أنا إنسان فاشل، فاشل فى كل
حاجة فى حياتى، لا ابن نافع، ولا زوج نافع، ولا اب نافع، ولا
أخ نافع، انا كده، شئ غلط لكل الناس فى حياتى .. مفيش
حد دخل حياتى إلا وناله منى اذى، ابويا وامى علاقتى بيهم
تقدرى تقولى عليها مدمرة، خواتى واديكى شوفتى موقف
بسيط من حياتنا سوا ... مراتى .

صمت لوهلة اختنق بها صوته، ودموعه تسقط مدراراً على
وجنتيه ليكمل بصوتٍ اختنق بشدة بشعوره بالذنب :

_مراتى ماتت وهى فاكرانى بخونها.. ولحد دلوقتى مش عارف
اجبلها حقها م إالى عمل فينا كده ...وبنتى، حتى بنتى مش

عارف ابقالها اب زى باقية الناس، تقدرى تقوللى بقى ايه
السبب إالى يخلينى معيطش وانا كده كده حياتى كلها
ضايعة !!

صمت وهويتطلع لها بعينين حراوين من البكاء وأنفاس
تهدجت، لتبادلله النظر بقلب يكاد ينفطر لمراه، نعم هى الآن
تراه بقلبيها لا بعينيها، ولا بقلب تلك العاشقة المتيمة، بل
كانت تراه "بقلب أم" انفطر لحال صغيرها كما شعر هو منذ
قليل !

لقد سمعت كثيراً عن "قهر الرجال" لكنها ولأول مرة تراه بأم
عينها .. أهكذا يكون؟ مؤلماً لذاك الحدّ الذى يجعل من كان
جداراً صلباً كمصطفى ينهار، مُعرياً روحه بهذا الشكل،
وأمام مَنْ؟! أمامها هى، هى من كانت تنتظر منه نظرة حتى،
والآن لا تشعر سوى بأنه بعينها لا يزيد عن ابنته التى تضمها



لصدرها الآن وتتمنى أن يكون رأس أبيها هو من يرتاح على
صدرها لتمتد هذه مثلها وتربت على جروح قلبه النازفة !
وتشهد الله عليها بأنها ستفعل هذا بقلب أم لا تراه سوى
كابنته التي بين احضانها !
ولكن هل يجدى التمنى يا ترى ؟!
انقطع تفكيرها بعد طول شرود، وجملته التي تلت كل ما
قال هي من كانت القاصمة لها هذا اليوم :
_تتجوزيني يا يارا ؟!

=====



الفصل الرابع عشر

=====

"ومن ثم تتخبط روحى، فتعيثُ فساداً بين جنباتى،

فلا أدرى هل "اتسول" حبك؟؟

أم "اتوسلك" الرحيل"

=====

_تتجوزينى يا يارا؟!

نظرت له يارا بصدمة ممزوجة بأمل شع من عينيها
المتسعتين، وكأنها تعيش حلماً أزلياً كالذى ظلت تحلم به
طوال عمرها..

مصطفى الآن يطلبها للزواج ...

لا تعلم هل حديثه جدياً أم أن انهياره هو ما يسول له ما
يفعل؟!

لكنها بالأخير لا تقدر على البت فى الأمر بشئ، لا الرفض ولا
القبول..

فمن هي لترفض حب سنوات أتى لها هكذا مقدماً على طبق من فضة..

ومن هي أيضاً لكى توافق على بيع نفسها بهذا الشكل؟ نعم "بيع نفسها" فهي تعلم تماماً ما يفكر به، هو لا يريد سوى شراء أماً لابنته، ومن غيرها يصلح لهذا الدور؟!

لكن الآن كفى، كفاها "إهانات" لقلبيها الذى لم يذق فى حياته سوى علقم "التعلق بالغير" ولم يراضيه القدرولو "بشرية ماء" تروى ظمأه ممن تمنى لهم الرضا ليرضوا!
_ انا هاخود البنت يا مصطفى، لما تفوق نبقى نتكلم .

قالتها بجدية مضادة لكل ما يجيش بداخلها من مشاعر شتى، وهى تستدير لتذهب بالطفلة فهذه ليست أول مرة تبیت فيها معها على أى حال !

لكن كف مصطفى التى امتدت ممسكة بيدها مع همسه المترجى منعتهما :

_ ارجوكى .

كانت تعلم .. كانت تعلم أنه لم يكن واعياً لما يقول وسينهر نفسه بعد إفاقته على كل الذى تفوه به؛ لذا لم تشأ أن تُعلق قلبها بأمل زائف سرعان ما سيزول ولن يكون سوى "إضافة سالبة" لرصيده لديها، هذا إن بقى له رصيد عندها بالأساس..

لهذا التفتت له بابتسامة رفيقة وهى تنتزع يدها منه وتربت على كتفه وكأنها تعامل طفلاً صغيراً، وهمست له بنبرة نقية، هذا إن صح وصف نبرة صوتٍ بـ "النقاء" لكنها كانت كذلك :

_ صدقنى بكرة هنتكلم بس انت دلوقتى تعبان، ارتاح وبكرة تعالى نتكلم .

_ مش هترفضى، عشان خاطر ماسة !

تساءل بخفوت أقرب للجواب ولاوعى -تماماً- كما فسرت هى منذ قليل بأنه لا يعى ماذا يقول، لكنها حافظت على ابتسامتها مع قولها :



_مش هرفض .

_توعدينى ؟!

_اوعدك !

=====

ها قد أتى الصباح عليها وهى مازالت على وضعها منذ ليلة
أمس..

تجلس فوق الفراش ضامة ركبتيها لصدرها وشعرها
يحاولها وكأنه يواسيها..

ما حدث ليلة أمس لم تكن مستعدة له وهذا ما جعل رد
فعلها هكذا !

.....

كادت تستلم وهو يمسحها بعاطفته الحارة والتي لم تعلم عن
جموحها شئ من قبل، لكنها ولأجل سبب لا تعلمه شعرت
بشئ خاطئ..



مكانها ليس بين ذراعيه كما هي، ذاك الوضع غريب عليها؛
لذا دفعت كتفه بخفه عنها وهي تهمس بتوتر:
_مؤمن ... مؤمن .

لكنه كان مغيباً عنها تماماً وهو يستشعرها بين يديه بكل
تلك النعومة والوداعة..
شفتيه تتلأأ بين ملامحها وشفتيها وهو يضمها إليه بشوق،
لكن دفعها الضعيف له أعاد بعضاً من عقله وهو ينظر لها
لاهنأ ويشرف عليها من علو..
لتهمس منه بخفوت، وحدقتيها تهتزان بتوتر:
_اسفة .. بس .. بس مش هقدر، مش هقدر أكمل، عشان
خاطري بلاش انهاردة .

كان يلهث بعنف وهو ينظر لها دون حديث..

ظنته سيفضب، سيصب لعنته عليها، لكنه كان يهدأ
وأنفاسه تستكين رويداً رويداً، وظل ينظر لها كثيراً من
الوقت وهو يحاول تهدئة أنفاسه الثائرة ووجيب قلبه
المتعالى !

حين هدأ تماماً -كما استشعرت هى- وجدته يربت على
وجنتها برفق وهو يعيد ترتيب خصلاتها الثائرة، ليقول بهدوء
لم يدعيه :

_مفيش حاجة هتحصل ...اهدى .

ازدردت ريقها بتوتر، لتهمس بارتباك وهى تشعر بأنها قد
تفتعل مشكلة بينهما هى فى غنى عنها :

_انا اسفة، مؤمن انا، انا بس

قاطعها بهدوء وهو يستلقى جوارها محتضناً إياها برفق :
_هشششش، محصلش حاجة خلاص، انا إالى اسف .

_بس ...

قاطعها مجدداً وهو يشدد ذراعيه حولها برفق، ويربت على شعرها بهدوء وكأنه يهدد طفلة :

_مفيش بس .. انا عارف ان المكان جديد عليكى والوضع كمان جديد، كل حاجة حصلت بسرعة، وانا مقدرده .. عادى، ده مش مهم، ان محصلش انهارة هيحصل بكرة او بعده، بعد شهر.. سنة ، مش مشكلة، عشان انا متجوزتكيش عشان كده .. انا اتجوزتك عشان بحبك يا منة .

فغرت شفيتها وهى تتنفس من بينهما بتثاقل..
كان ينظر بعمق عينها وهو ينطق جملته، والتى لأول مرة تسمعها منه..

مؤمن قد تعترف أخيراً، قال "يحبها"، وماذا دورها الآن يا ترى ؟!

إحساسها بكلمته وصلها كاملاً، عميقاً، بنظرته، مع ثقل
نبرته الرخيمة..

وهي تكاد تبتلع لسانها ولا تقدر على النطق، هل هو خجلها ما
يمنعها؟! أم أن إحساسها لم ولن يكن نصف إحساسه هو
بها؟!!

لا تدري!

ولم تدري بشئ إلا وهو يعيد تربيتاته الرفيقة على وجنتها
بلطف وكأنه لم يكن ينتظرداً، ثم أولاها ظهره وهو يهمس :
_تصبحي ع خير.

.....

ولكن هي لم يغمض لها جفن، طوال الليل جالسة هكذا ...
تضم الغطاء حولها، تنظر أمامها بخواء ونظرات فارغة..
تتساءل في قرارة نفسها، ماذا منعها عنه؟!
أكانت خائفة مثلاً؟!!

ولكن مما؟ هذا مؤمن، ألم تكن هي من قالت إنها أحبته من قبل؟!

إذاً ماذا الآن؟!

أ يكون خجلها؟!

لا .. هي لم تكن خجلة منه، بل كادت تنصهر معه في عاطفته !

وظلت تتساءل وتتساءل حتى حل النهار عليها وما زالت على وضعها..

ليفيق هو أخيراً..

ظلت تراقبه وهو يبدأ في افاقته لكنها استغربته حقاً !

فتح عينيه السوداوتين بثاقل ونعاس وهو يشخص بهما على سقف الغرفة..

حاجباه ينعقدان بإدراك للمكان والزمان..

صدره يعلو ويهبط بأنفعال..

و شفتيه تهمسان بشئ هي لم تسمعه لكنها قرأته بحركة شفيته، كان يتمتم باسم "ذكرى" ..

ليدير وجهه ناحيتها أخيراً، فتجفل وهو ينظر لها بهدوء، قبل أن يبتسم وهو يهمس :

_ صباح الخير .

صمت ثانيةً ثم أتبع جملة بهمسه أخيره جعلت الإبتسامة تشق طريقها على شفتيها :

_ يا كل الخير !

_ صباح النور .

نطقها خجلة بعد أن كانت ستمتنع عن الرد تماماً وهي تشعر بحلقها ينعقد غير قادرة على الحديث، لكنها فعلت بالأخير، لابد لها أن تتخلص قليلاً من ذاك الارتباك؛ فهذا زوجها على كل حال !

نظر مؤمن لها بتمعن ثم قال عاقداً حاجبيه :

_ انتى مانمتيش ؟!

هزت رأسها نفيأً دون حديث، فاستقام مؤمن جوارها
جالساً ليحيط خصرها بكفيه مقرباً إياها منه قائلاً بهدوء :
_ مش هينفع كده يا منة، انتى كده هترهقى نفسك .. انا
قولتلك انى مقدر أن المكان لسه جديد عليكى، بس مش
معنى كده انك ترهقى نفسك بالشكل ده .

أدارت وجهها تنظر له عن هذا القرب ثم اومأت دون صوت،
ليربت هو على وجنتها بلطف قائلاً بابتسامة :
_ خليكى ناميلك شوية .. انا هقوم عشان انزل لماما .
ثم أتبع جملته بنهوضه عن الفراش، لتمسك هى بيده وهو
ينهض مقاطعة إياه :

_ تنزل لماما ايه، لا استناني انا انزل الأول عشان اعملكم
الفطار.



ابتسم بعمق وهو ينظر لها، قبل أن يجلس مرة أخرى
محاوياً خصرها بذراعيه هامساً جوار أذنها :

_ ايه ده احنا بدأنا مسؤولياتنا بدرى بدرى كده، مش
المفروض انك عروسة بقى وكده ولا ده شغل قديم واحنا
بنجدد .

ابتسمت بمرح وهى تلتفت لتنظر له قائلة :
_ هى المسؤوليات فيها بنجدد ولا لسه قديم .

صمتت تنظر بعمق عينيه، لتقول بعدها وكأن الكلمات
تنبعث من تلقاء نفسها :

_ انا يا مؤمن من يوم ما وافقت عليك وانا عارفة كويس انا
وافقت ليه وعاوزة ايه وايه مستننى .. عارفة كويس ان
عيلتك من أهم مسؤولياتى يمكن أهم منك انت شخصياً..
وانا فعلا زى ما بتقول انت، الموضوع بس مجرد رهبة المكان



عشان مكان جديد ودى اول ليلة ليا فى البيت لكن غير كده
انا فاهمة كويس ليا ايه وعليا ايه .

_كنت عارف انى محبتكيش من فراغ .

همس بها بخفوت شديد رغم المرح ، لتبتسم منة دون رد ،
لكنه لم يكن ينتظر رداً بل احتضن شفتيها بشفتيه برقة
شديدة ، لابتعد عنها أخيراً هامساً :

_تعرفى انى من يوم وفاة ذكرى وانا كل الشغل ده انا إالى
بعمله لوحدى ، كل حاجة ، كل حاجة ممكن تتخليها .

انزلق على الفراش مستنداً برأسه فوق فخذيها ناظراً
لسقف الغرفة بشرود ، لتمتد يدها بتلقائية تمسد شعره
ببطء وهى تنظر له تنتظر أن يكمل ، فأردف وهو ينظر
بعينيها :

_كنت بحاول على قد ما اقدر اعوض ماما وبابا عن غياب
ذكرى، محدش يعرف ذكرى كانت بالنسبالنا ايه، ومهما
اتكلمنا مش هنقدر نوصل حقيقة مشاعرنا،

ذكرى كانت شايلة البيت كله بمعنى الكلمة، رغم أنها كانت
بتشتغل لكنها على قد ما كانت بتقدر مكنتش بتخلي ماما
تعمل حاجة.. كانت تيجى من الشغل تعمل شغل البيت
كله، اكل وتنضيف وغيره، تهتم بعلاج ماما وصحتها .. و
تساعد بابا فى الشغل كمان، وتحفظ مواعيد ادويته
والكشف الدورى بتاعه، تهتم بهدومى وبأكلى وكل تفصيلة
فى حياتى ولو كانت صغيرة .. كنت أقوم من النوم الاقيها
كاويالى هدومى ومحضرة حاجتى كلها، حتى الفطار عاملمهولى
قبل ما تمشى لشغلها واول ما تيجى ونخلص إالى ورانا كلنا،
تقعد زيك كده وتاخودنى على رجليها واقعد احكيها كل
حاجة .. كل حاجة ممكن تتخيلها، حتى هى كانت اول واحدة
تعرف انى حبيتك، ذكرى كانت .. كانت امى .



صمت لبرهة وقد اختنق صوته .. لكنه تابع بعدها :
_ من يومها وانا بحاول على قد ما اقدر اعمل إلی هی كانت
بتعمله، بس مهما عملت، مش هقدر اعوض ولو حاجة
بسيطة م إلی كانت بتعملها .

اكتوت عينيه بدموعه ولكنه لم يذرفها، ولن يذرفها أمامها
أبداً..

لن يُشعرها أنها تتكى على حائط هش، ضعيف قادر على
الانهيار بها في أى لحظة !

كانت منة تستمع له بتأثر، وحين انتهى ظننه سيبكى، لكنه
كبت دموعه وسط عينه بمهارة يُحسد عليها، لتحنى مقبلة
جبينه بلطف، فأردف هو همساً :

_ تقدرى تبقى ليا انا وعيلتى زى ذكرى ما كانت لينا .



اومات بصمت وابتسمت لعينيه وهى تراه يخفى ضعفه
وحزنه أمامها، ليمس هو بخفوت :

_توعدينى ؟!

_اوعدك !

=====

كانت هى من تنتظره تلك المرة..

واقفة أمام النافذة فى غرفة الجلوس تنتظره ليأتى،

لأول مرة تنتظره هى، لأول مرة تتلف هى لرؤيته، لأول مرة

تصالح عقلها مع قلبها بشأنه !

بعد طول تفكير وتفكير، تفتق ذهنها أخيراً بأنها لابد أن

تعتذر..

لم تكن "حلا القديمة" لتعتذريوماً عن شئ أبداً..

لكن تلك "المستحدثة" تهرها بكل أفعالها التى أصبحت أقل

تكلفاً، أكثر بساطة، وأعمق حباً !

ونفس تلك "المستحدثة" هي من حثتها ليلة أمس على بعث رسالة مختصرة له..

(عاوذة اتكلم معاك .. ممكن تيجى بكرة)

ظلت الرسالة معلقة لوقت طويل جداً، إلى أن رأت العلامة المميزة ل "تمت المشاهدة"، ليأتيها بعدها بدقائق الرد :
(انا اصلا جى لزين بكرة)

رسالة "ذات وجهان" كما وصفتها ليلة أمس، بمعنى أنه سيأتي لكن ليس لها بل لزين، لكن لا بأس، المهم أنه سيأتي
!!!

صوت احتكاك إطارات سيارته بالباحة الخارجية للبيت
أخرجها من شرودها، لكنها لم تتحرك من مكانها، فبقايا من
كبرياء مازالت لديها، ولكنها ستستخدمه لصالحها لا ليهدم
ما تحاول بناءه معه..

صوت حممة خشنه آتية من الباب، جعلتها تلتفت بهدوء
وهي تقول دون تعبير:

_اتفضل .

دلف إلى الداخل بخطوات مترددة، ولكن ظاهرها كان واثقاً
-على الأقل بالنسبة لها-، ليقول حازم أخيراً وهو يقف
قبالتها :

_زين فين .

نظرت له بلوم، أو، بعتاب هو لا يعرف، هو فقط شعرباًن
نظرتها قد تغيرت عن ذي قبل .. أم أنه هو من يتخيل ؟
ولكن لا .. لم يتخيل، هو لم يلقى عليها تحية حتى وهو
متعمداً ذلك، وحلاً ليست بالغبية لكي لا تفهم أنه يتجاهلها
عمداً..

ولو صدق حدسه فهذا الشئ قد أثر بها ولو بالندر اليسير!
_انا عاوزة اتكلم معاك انت شوية وبعدين تبقى اطلع لزين
اوضته .

حديثها الخافت خرج أخيراً من شفيتها، ولم يلقى رداً من قبله، فهو قد صمت تماماً منتظراً ما ستقول، وهو يتخذ قراره في قرارة نفسه بأنه لن يتهاون معها أبداً..

التفتت تولى شطرها للنافذة، لتقول بعد فترة صمت بصوت خافت لا يكاد يسمع لكن أذنه الحساسة التقطته :
_ انا ... انا اسفة يا حازم .

"أسفها" هذا خرج من شفيتها خافتاً جعله يبتسم بسخرية ...

ما زالت كما هي، حلالن تتغير..
كبريائها سيظل حائلاً بينهما، فحتى "اسفها" استنكف لسانها على أن ينطقه بصوت عالٍ كما فعل مع "الإهانة"
مثلاً!



تحنحت بخفوت شديد وهى تستطرد دون أن تجرؤ على
مواجهته -رغم كل شئ- :

_انا فهمت كل حاجة من زين، واكيد هوفهمك انا ليه
عملت كده .. ياريت تقدر موقفى .

_ماهى المشكلة انك فهمتى، ومع ذلك بردو مفيش نتيجة .
تعقيبـه خرج مستاءً رغماً عن أنف تكبره، لتلتفت هى له
قائلة بجدية :

_حازم انا اتأسفت عشان عارفة انى غلطانة فى حقك باللى
عملته .. بس إالى انا عملته مكنش بدون سبب .

عقد حاجبيه وهو ينظر لها بضيق، هو يعلم تمام العلم أنه
إن ظل يجادلها من هنا إلى صباح اليوم التالى لن يجدى
نفعاً؛ لذا اختصر على نفسه الطريق قائلاً بإيجاز:

_حلا انتى عاوزة ايه ؟



لجم حديثه لسانها ولم تدري ما تقول، هي أرادت الاعتذار له .. وظنت أن حبه لها كفيل بأن ينهى هذا الأمر، ولكنها على ما يبدو كانت مخطئة !

لم تنطق حلا بشئ وهي صامته تنظر له بحيرة، فعلم هو ما يدور بخلدها، فقال بهدوء ناظراً لها بنظرات لانت قليلاً عن سابقتها :

_متفكر يش أن حبي ليكي هيضعفني .. انا اه حبيتك، وحتى لو كنت عاوز اكرهك مكنتش هعرف، بس لكل شخص رصيد يا حلا، بينقص كل ما الشخص يتمادي ويفكر نفسه غالى للدرجة إلى تخلى الشخص إلى قدامه قادر أن يسامح دائماً.. بس فى النهاية احنا بشر، ولكل واحد طاقة .. وانا طاقتى معاكى بدأت تخلص، إلى نالنى منك مش شوية .. ومع ذلك انا عارف دماغك، وفاهمك كويس، ومقدران لو واحدة مكانك وشافت إلى انتى شوفتية كانت هتعمل كده..



بس انتى عرفتى الحقيقة ... ومعدش عندى حاجة اقولها..
غيرانك حرة.. القرار قرارك، انا مش هغصبك على حاجة .

ازدردت ريقها بتوتروهى تلتفت لتنظر عبر النافذة مرة اخرى،
هاربة من نظراته التى تنفذ إلى أعماقها، وتعري روحها بهذا
الشكل كما لم يفعل أحد من قبل..

هى تعلم أنه محق، وكل ما تفوه به سليم تماماً، ولكن
كبرياءها .. ماذا عنه هاهنا ؟
_ انا موافقة .

موافقتها خرجت عبر شفتين مترددتين، قبل أن تسمع صوت
خطواته يقترب منها لتشعر بدفء جسده خلفها على بعد
شعرة واحدة، ليهمس جواراذنها :

_ موافقتك مش مهمة عندى قد اقتناعك، اقتناعك بيا انا
.. بشخصى انا، قادرة تقبلى حازم بطبعه إلى انتى عارفاه
كويس زوج ليكى، قادرة تحببني زى مانا بحبك يا حلا .



ظلت صامته للحظات، صمت كان قائم بالنسبة له، لتومئ
بالاخير دون رد، فتهدد حازم بقلة حيلة لتلفح أنفاسه جانب
وجهها، ثم قال بعدها :

_ما تهزيش دماغك وخلاص.. انا عاوز رد، انا بشر.. فى الاول
والاخر بشر، عاوز حد يدينى زى ما بعتى، وانا اديتك كتيريا
حلا.. وعاوز قد ما عطيت .. ممكن تعتبرها انانية، بس انا
كده، وهفضل كده .

_موافقة يا حازم .

_موافقة على ايه ؟!

_موافقة عليك كزوج، موافقة انى اقبلك زى ما انت .

لن ينكر.. لن ينكر ذاك الأمل الذى شع داخله فجأة، لكن
تجربته المريرة مع حلا علمته ألا يأمن "مُكر القدر"، ليتريث
قليلاً ولا يتشبث بأمل زائف..

لذا قال بهدوء بعد لحظة :

_عارفة يا حلا انتى مشكلتك ايه، انك خائفة .

هذا تحديداً ما تشعر به، وقد علم خبيئتها -كعاداته- دون أن

تنطق، لكنها تساءلت بخفوت :

_طيب وايه الحل ؟!

_حلك انك تتعلمى تحبى من غير ما تخافى .

_وهو مش المفروض انك تخاف قبل ما تحب، ومن خاف

سلم صح ولا لا ؟!

_معاكى حق .. بس تخافى قبل ما تسلمى قلبك، تخافى لو

تسلميه لحد ما يستاهلهوش، لكن لما تكونى متأكدة من

الشخص إلى قدامك، فخوفك كده ملهوش مبرر .

_وانا عاوزه احب من غير ما اخاف، تقدر أنت تعلمنى ده ؟!

_اقدريا حلا.. اقدر عشان انا عارف مكانى جواكى ايه .

همست حلا بحرارة مؤكدة على حديثه :



_والله هحاول، هحاول بس خليك معايا.. وانا، انا هعمل
المستحيل .

ابتسم حازم هامساً وهو يرفع كفيه واضعاً إياهم على كتفها
برفق، مقترباً منها أكثر:

_توعدينى ؟!

_اوعدك !

=====

حين خرج من البيت قابل معاذ على باب البيت، لينظر الأخير
له رافعاً حاجباً واحداً بلوؤم قائلاً:

_خير ياسى حازم، كنت مشرفنا بتعمل ايه ؟!

نظر له حازم بتعالٍ قائلاً بنبرة مرحة :

_اسكت بقى .. خلاص الكلام معايا بعد كده بمواعيد .

_ليه انشاء الله هتتجوز السفيرة عزيزة .

اوماً حازم بتفاخرو هو يقول بسماجة :

_اينعم .

رفع معاذ حاجبيه بتعجب ثم قال أخيراً بإدراك :
_ قول والمصحف .

_ والله يا عم .. انت فيه ايه .

ضحك معاذ وهو يقول :

_ مش القصد والله بس مش مصدق يعنى .

نظر له حازم باستخفاف قائلاً :

_ اومال انت مفكر ايه ؟!

نظر له معاذ بجدية :

_ ولا اتكلم عدل، هى حلا وافقت بصحيح ؟!

ليرد حازم وهو يفرد كفيه باستسلام :

_ اه والله هكذب عليك ليه ؟!

ضحك معاذ عالياً وهو ينظر له رافعاً كفه فى الهواء، ثم قال

بصوتٍ عالٍ مقلداً فيلم شهير :

_ حازم حازم !

ضرب حازم على كفه بكفه هو قائلاً بضحك :



_بسيونى بسيونى !

_اقسم بالله كنت بدأت افقد الامل فيك انت ووش الخشب
إلى جوا دى .. بس قدرولطف الحمد لله .

_هى مين إلى وش خشب يا معاذ ؟

كانت تلك حلا التى اقتربت منهم بعد أن سمعت الجلبة التى
أحدثوها بالخارج، لتستمع لحديث معاذ الذى اقترب منها
الآن قائلاً بجدية وابتسامة هادئة :

_والله عملتى عين العقل، انا كنت هكلمك بس انتى سبقتى
وعملتى الصبح .

ابتسمت حلاله بهدوء دون أن تنطق بشئ، وهى تشعر
برضاه يشع من عينيه..

حقيقة هى إنسانة لم يفرق معها رأى أحداً من قبل، ولم
تكن تهتم بأمر أحداً أبداً..

إلا معاذ ... صورة معاذ فى مخيلتها مقترنة اقتراناً وثيقاً
بصورة أبيها، ترى فيه أبيها دائماً، لذا تسعى لإرضاءه، وأكثر
ما يسعدها هى رؤية فخره بها لأى شئ، وعن أى شئ !
لذا وإن كانت تشعر بأى ذرة تردد، فقد محتها نظرة معاذ
الآن !

ولكن رنين هاتفها قاطع تواصلهم البصرى هذا، لتلتقطه
من جيبيها يهدوء ولكنها عقدت حاجبيها وهى ترى اسم رنيم
مضيئاً على الشاشة، فتوجست خيفة وهى تفتح لترد، وقد
صدق حدسها :

_حلا ... بالهداوة كده انا ف مستشفى *** وعوزاكي تجيلى
على هناك .

=====

"احذر أولئك الذين يتخذون أحباباً مؤقتين، ريثما تبرأ
جروحهم!"



-نزار قباني-

=====

_حلا انا في مستشفى**** عوزاكي تجيلي على هناك .. بس
الاول روحى على شقتى هاتيلي من هناك حاجة البسها اقدر
اخرج بيها من هنا، وانتى عارفة مكان ما بشيل المفتاح ..
معلش هتقل عليكى بس معنديش حد اثق فيه غيرك .

صوت رنيم الذى وصلها واهناً، خافتاً عبر الهاتف جعل
الدماء تضرب برأسها وهى لا تكاد تفهم شئ، لكنها بالنهاية
أفاقت لنفسها، لتقول لها بلهفة :

_طيب، طيب يا حبيبتي، انا هجيلك على هناك على طول ..
ما تخافيش .

أغلقت الهاتف وهى تهرول للأعلى لتبدل ثيابها استعداداً
للذهاب، بينما حازم الذى كان يتابع الموقف بصمت وقد

علم أن هناك مصيبة ما وهى تستعد لتخرج ذهب لجهز
سيارته ليقلها لكن أوقفه صوت معاذ الذى قال :
_ انت رايع فين ؟!

نظرله حازم بوجوم ثم قال ببديهية :
_ يعنى هكون رايع فين يعنى ، هحضر العربية على ما تنزل
عشان اخودها مكان ما هي رايحة .
تنحج معاذ بارتباك وهو يقول :
_ لا .. لا خليك انت هنا وانا هروح معاها اشوف هي رايحة
فين .

وجد أن حديثه غير مقنعاً تماماً، مع نظرات حازم الذى
ينظرله رافعاً حاجبه وقد شعر به يخفى شيئاً؛ لذلك تحدث
معاذ بصوتٍ عالٍ مهدد، فخذوهم بالصوت وإلا غلبوكم :



_وبعدين انت مفكر نفسك رايح فين، انتوالسه
متختبطوش رسمى حتى، وعاوز تطلع معاها كمان يا
بجاحتك يا آخى .

ابتسم حازم بسخرية ثم قال بلامبالاة وهو يتركه ويذهب إلى
زين :

_ولعوا فى بعض .. بس خليك عارف انك مش تمام يا معاذ..
وانا عارف انك رايح لصاحبته مش رايح عشان حلا والكلام
الفكسان ده .

امسكه معاذ من مؤخرة قميصه قبل أن يتحرك وهو يرجعه
للخلف بقوة هاتفاً بغیظ :

_ورحمة امى يا حازم لو ما اتلميت لكون مبوظلك الجوازة،
لم دورك عشان انا كمان الم دورى .
أبعد حازم يده عنه بضيق :



_ياخى نق على حاجة تانية، هى كده كده الجوازة خربانة،
قال ضربوا الاعور على عينه .

ثم تركه ورحل دون إضافات أخرى، فنظر معاذ لظهره وهو
يرحل هاتفاً بضحك :

_خود يا حازم، ولا يا حازم هى ايه إالى خربانة ؟!
_الجوازة يا فقر.

_ما تقلقش هظبطلك الدنيا .

لوح حازم له بيده بلامبالاة دون أن يستدير وهو يصعد
الدرج متجهاً لغرفة زين، ليضرب معاذ كفاً فوق كف وهو
يتمتم :

_الله يخربيتك يا حلا، بوظتى عقل الواد .

وعلى ذكر حلا عقد حاجبيه وهو يتذكر مكالمتها مع رنيم منذ
قليل..

فهى ذهبت دون أن تُعلمهم أى شئ، ولا يعلم ما بها رنيم..

لكن تفكيره جعله يعبس بشدة وهو يتمتم :

_ يكون هيثم اتعرضلها تانى ؟!

_ انت بتكلم نفسك يا معاذ !!

كانت تلك حلا التى أتت خلفه وسمعته يحدث نفسه،
فالتفت لها قائلاً :

_ لا ماتاخدش فى بالك، يلا بينا انا جى معاك .

نظرت له حلا بتفحص، فعلمت من نظرتة المرتبكة أن هناك
ما يخفيه عنهم، لكنها أثرت الصمت وهى تسبقه إلى السيارة
قائلة :

_ طيب، يلا .

=====

كان جالساً بغرفته على المقعد الوحيد الموجود بها، يمسك
هاتفه بين يديه بوضعٍ عرضيٍ مندمج فيما يشاهده وعينية
تبرقان فرحاً، فخراً ربما أو شئ آخر، لا يدري !



هو فقط يرى صورها هي وفارس تُغرق موقع التواصل، وهو
يكاد ينهر بما علمه من مكالمة فارس منذ قليل..
حين قرأ ما كُتب على الصور والفيديوهات المنتشرة..

((انت عبيط يا فارس، ازاي متقولش انك هتعمل حاجة
زى دى، "مؤتمر صحفى" يا بنى آدم ومتقولش .
_والله كل حاجة جت فجأة، انت عارف ان ***** عضو
مجلس الشعب أتعرض لحادثة من كام يوم.. وكانت حالته
حرجة جدا..وجه على المستشفى عندنا .. قدرنا نعمل
العملية ونجحت وادى الراجل عندنا فى المستشفى حالته
زى الفل وعایش والحمد لله، ولأن الحالة دى انجاز
بالنسبالنا فعملنا مؤتمر صحفى بس دى كل الحكاية ..
عشان الجراحة إالى عملناها مكنتش سهلة وکمان سريعة
لكن احنا عملنا شغلنا بمهارة وخاصة أن الرجل مكانته
كبيره فى البلد وصاحب نفوذ .



_ايوا بردوده مش مبرر، وبعدين عمال تقول احنا احنا..

مين انتوا دول ؟!

_انا ودكتورة فريدة .

_فريدة !

والله يا فارس ما هعديها لك، بس اصبر عليا، اه صح ومين

ساعدك بقى انشاء الله .

_بابا .. هو اصلا صاحب الفكرة .

_امشى يا فارس امشى، مستشفى ابوك هى .

_لا يا ظريف بتاعتنا كلنا لومش عارف تعالى بص على

اليافتة !

_امشى يالا .))

أغلق معه الإتصال وهو يتوعده، فهو قام بالعملية ونفذ كل

شئ، حتى المؤتمر دون علمه..

وتلك الأخرى التى تتحدث فى الفيديو أمامه الآن بكل ثقة لكنه يعلم أنها تخفى خلف كل هذا توتراً كبيراً ناتج عن شخصيتها المهتزة .. لكنه لا ينكر، شعر بالفخر الحقيقى وهو يراها هكذا فى مركز عالٍ يضاهى مركز ابن عمه، لكن شتان ما بينهما وبين ابن عمه..

لا ينكر اجتهاد فارس فى عمله وكفأته، لكن فى الأول والأخير تلك المستشفى خاصتهم فهو أنهى تعليمه ليلتحق بها مباشرة...

أما عنها فكل هذا جهدها هى، عملها هى، هى التى بدأت من تحت الصفر، رغم ماضيها المعقد -والذى لا يعرفه- ولكنها ثابتة حتى أصبحت مثلاً مثل الذى أنهى تعليمه ليجد المشفى تحت يده..

ألا تستحق ثناءً على هذا؟!

ظل يمرر الصور والفيديوهات التي تصادفه على الموقع إلى أن وقعت أمامه صورة لها وحدها، التقطت لها عن قرب.. تظهر بها ضاحكة بإشراق و"الزمردتين في عينيها" تلتمعان بمشاعر شتى تظهر من عينيها الشفافيتين رغم لونهما الداكن..

عاود لتأمل وجهها من جديد..

عينيها المميزتين، وجهها ذو البشرة الداكنة، ابتسامتها، و حجابها الذي تتقن اختياره -كما العادة- ليجرز ألوان ملامحها بفتنة ...

ابتسامة جانبية شقت ثغره وهو يقوم بحفظ الصورة على هاتفه، وما كاد ينتهي إلا وقد فُتح الباب بقوة دون طرق مما اجفله، تبعه دخول حازم مباشرة بملامح مكفهرة، ليضع زين الهاتف جانباً غافلاً عن غلقه وهو ينظر لحازم رافعاً حاجبه بشر:

_انت يا بنى ادم مش فى حاجة اسمها اخبط على الباب قبل ما ادخل .

جلس حازم مقابلاً له على طرف الفراش هاتفاً بحدة متجاهلاً حديثه :

_بص بقى عشان نكون على نور .. حلا وافقت، وهنكتب الكتاب آخر الأسبوع، طبعاً مش محتاج اقولك يا زين تلم اختك عشان أنا تعبت منها، اهدوا كده لحد ما نكتب الكتاب وبعدين تبقوا اعملوا إالى انتوا عاوزينه .. انا سكوتها ده مش مرتاحله وهتحصل مصيبة يعنى هتحصل مصيبة .

حين صمت، رفع زين حاجبيه بدهشة وهو يقول :

_اهدى يا بابا فى ايه، انا مش فاهم حاجة .. ولما هى وافقت انت زعلان ليه كده ؟!

زفر حازم بضيق وهو ينظر له للحظة ثم قال بهدوء جاد :



_حلا وافقت من غير شروط، ومن غير اهانات ولا حتى كلام..
وبصراحة انا خايف لتكون بتفكر في حاجة كده ولا كده..
فأنا بحملك المسؤولية، اتلم انت وهى لحد ما نكتب الكتاب
وبعدين يبقى منى ليها بقى .

ضحك زين عالياً وهو يتطلع له بسخريّة..
حازم عندما يتعلق الأمر بحلا فهو يكون فاقداً لعقله تماماً،
بل يكاد يشك في أصابع يديه من فرط قلقه .. وحقيقةً هو
يعذره؛ فما فعلته به حلا ليس بقليل..
قال زين أخيراً بهدوء مبتسماً :

_حازم انت عامل شبه إالى ماشى على حرف جبل خايف
تقع وخايف تكمل توصل لسكة مسدودة .. ريح نفسك،
مش هي اختى، بس انا بقولك اهو مدام حيها هيخليك كده
انساه يا حازم .



اطرق حازم برأسه للحظة ثم قال بخفوت :

_مش عارف يا زين، مش عارف، انا بحبها وحتى لو فكرت
اكرهها مش هعرف، بس انا مش ضامن افعالها، المرة إالى
فاتت وافقت والدنيا كانت كويسة جت هى عملت إالى
عملته .. خايف المرادى كمان يحصل حاجة، تخيلنا نبعد
تانى، مش هستحمل وقتها والله مش هستحمل .

تنهد زين بارتياح غريب..

لا يعلم لماذا كلما فعلت حلا شيئاً مغيضاً لحازم فيزداد
تمسك حازم بها يشعر بعدها بارتياح، يمكن لأنه يتيقن بهذا
بأنه سيرتكها لمن يرعاها ويحافظ عليها لهذا هو دائماً فى
صف حازم؛ بل ومستعد لإجبار حلا عليه أيضاً !

_خلاص يا حازم خليك جمبها، ساعدها، واللى اتكسر
يتصلح .



كلمات زين خرجت من شفيتها أخيراً، لينظر له حازم
بسخرية قائلاً:

_مع اختك انا مش ضامن نفسى اصلاً.. ومفيش حاجة
اسمها إالى اتكسريتصلح مشاعر الناس مش "مواعين"
امك هي !

ابتسم زين وهو يهز رأسه نفيماً بقلة حيلة، يكاد عقله ينفجر
من كثرة الضجيج التي تحدثه علاقة حازم بحلا فيه .. لا شئ
يؤرقه في حياته قدراً ما يؤرقه ما تفعله أخته وابن عمه..
علاقة معقدة لا ينوبه منها سوى "وجع الرأس" !

_هي راحت فين ؟!

انتبه حازم من شروده على سؤال زين الخافت ليقول له
بهدهوء :

_معرفش راحت هي ومعاذ لواحدة صحبتها في المستشفى .
لم يفكر زين في حديثه، بل هز رأسه موافقاً ثم قال وهو يهيب
واقفاً :

_طب يلا يا حبيبي انكشح من هنا عشان عندى مشوار.
رفع حازم له رأسه بلامبالاة لكنه لمح الهاتف من خلفه
وصورة فتاة تظهر منه فابتسم بخبت وهو يميز هيئتها ليقول
لزين وهو ينظر له بمكر:

_اقدر اتخيل نوع المشوار إالى انت راичه .
نظر له زين بعدم فهم، ليشير حازم بعينه نحو الهاتف
جواره، فالتفت زين نحوه بسرعة وهو يغلقه ويضعه
بجيبة، ثم قال ببرود:

_ملكش دعوة ... يلا اتكل على الله .
تحولت نظرة حازم الساخرة لأخرى جادة وهو يقول بهدوء :
_زين .. انت دائماً بتقول ان بنات الناس مش لعبة، ياريت
تحط الكلام ده كويس اوى فى دماغك .

نظر له زين بضيق وهو يقول بنبرة تحاكي نظرتة :
_قول إالى انت عاوزه بصراحة تقصد ايه ؟!
وقف حازم قبالته، قائلاً بجدية :



_انت فاهم كويس انا اقصد ايه .. وانت اكيد فاهم نفسك
يا زين، انت شايك ذنب موتها لحد دلوقتي مارتحتش منه..
ومش هترتاح غير لما تجيب حقها قلبك اتعلق بغيرها اه، بس
عقلك مش هيسمحك تاخود اى خطوة تجاه واحدة
غيرها من غير ما تجيب حقها .

نظرله زين بضيق قائلاً:

_وبعدين المغزى من الحوار ده .

تنهد حازم وهو يعقد حاجبيه قائلاً بجدية :

_ده مش حواريا زين، انا بحذرك بنات الناس مش لعبة
..متاهة القلوب صعبة أن دخلتها مش هتقدر تطلع منها،
لازم هتوه .

قال جملته ثم ربت على كتفه برفق قبل أن يتركه ويذهب،
تاركاً إياه لصراعات تفكيره..

هل حقاً هو مثلما فهم من حديث حازم ؟!



يتخذ لقلبه ملجأ مؤقت، وملاذٍ زائل بمجرد ما أن يقتص
لذكرى؟! لا!

هذا ليس تفكيره، هو لم يعترف لنفسه بعد أنه تعلق بها
أصلاً، لكنه لا ينكر تلك "الكيمياء" التي تدور بينهم ما
إن يلتقيها وينظر لعينيها المحبتين!

لكن جزء من حديث حازم صحيح تماماً، عقله لن يسمح
لقلبه بالتعلق بأخرى إلا عندما يقتص لها..

فهل هو الآن أنانى لتلك الدرجة التي تجعله يتخذ أحباباً
مؤقتين ريثما تبرأ جروحه؟!
=====

روح الأول على العنوان ده يا معاذ .

قالتها حلا بصيغة أمرة قبل أن تتلو عليه العنوان الذي
تريد، ليقول هو متساءلاً:

_ليه، هى مش دى شقة رنيم؟! هى فى المستشفى ولا فى شقتها
!؟

_لا هى فى المستشفى بس هجبلها حاجات من هناك الأول .
عقد حاجبيه و"مارد جنونه" يصور له العديد من
السيناريوهات التى لن تسره مشاهدتها أبداً..
لكنه فى النهاية امتثل وذهب إلى المكان المنشود..
وحين وصل، وتوقف أمام البناية ترجلت حلا من السيارة
قبل أن تتوقف وهى تشعر به خلفها، لتلتفت له متسائلة :
_انت جى معايا، قصدى طالع فوق ؟!
اوما بصمت وهو ينظر لها بغرابة، لتهزكتفها بلامبالاة
وتتقدمه..

وحين وصلوا أمام شقتها، انحنى حلا وهى تلتقط المفتاح
القابع تحت قطعة السجاد الصغيرة التى تفتersh الأرض
أمام الباب، فضحك معاذ بخفوت وهو يراها تحاول فتح
الباب :

_صحبتك دى مش سهلة، شايلة المفتاح تحت العتبة..
صحيح المرء على دين خليله !

نظرت له شزراً وقد اتمت فتح الباب، لتقول وهى تدلف
لداخل بحرية وقد بدت كأنها تحفظ المكان :
_قصدك انى خبيثة يا معاذ .

ضحك وهو يرفع يديه عالياً باستسلام :

_والله انا مقولتش خبيثة، انتى إلى شايقة نفسك كده .
هزت رأسها بيأس من مشاكسته وهى تتجه نحو
الداخل ومنها إلى غرفة رنيم تأتى لها بما تريد، بينما هو
وقف فى منتصف الصالة ينظر حوله بتفحص للمكان، لتقع
عيناه على صورة عريضة مؤطرة تُعلق على أحد الحوائط..
تقدم منها بخطٍ وئيدة، وهو يرفع عينيه لها متأملاً إياها..
فقد كانت رنيم تظهر فيها أصغر سناً، تقف فى منتصف
المسافة بين والديها، وكلاً منهما يحتضنها من جانب، بينما

هى تضحك بانطلاق، ضحكة مشرقة لم يرها على شفتيها
من قبل، إلا ومضات من ماضيها المشوش فى عقله، يكاد لا
يذكر منه شئ ...

كانت تشبه "الورد" .. هكذا كان يفكر وهو ينظر لوجهها
الضاحك، أحمر الوجنتين، وعينيها الفاتحة بلون "دخانى"
يشبه الرماد المحترق والتى كانت تشع سعادة!
سعادة!!

يشك أن مثلها عرف يوماً سعادة، ففى تخرج من حفرة لتقع
فى بئر!

هو الآن يشبه عينيها ب "رمادٍ محترق" يشع سعادة، وهل
بعد الرماد سعادة يا ترى؟!
أم أنها احترقت لتصنع "شعلة" تضئ طريقها المظلم، و
الذى يقضى الى المجهول!!

"شعلة" تمدّها بالحرارة، تحميها من "برد الخذلان" القارص
!!!

_حبيتها مش كده ؟!

كانت تلك حلا التي انتهت مما تفعل ولم يلحظها وهي تقف
جواره، فكان غائباً في غياهب شروده ...

لم يجفل معاذ، فقط أوقف تخيلاته ذات البلاغة المجازية
وهو يتأمل لون عينيها وحمرة خديها !

_هو انا واضح اوى كده !!؟

قالها بمزاح وعينه لم تنزل عن الصورة، لتقول حلا
مبتسمة :

_والله انت إالى مش شايف نفسك، انت مفقوس بشكل
غريب اوى يعنى .

ضحك وهو ينظر لها ليضرب صدغها بسبابته بخفة هاتفاً :

_طب يلا يا ام لسانين، خرينا نروح لى هتخلل فى المستشفى
دى .

ابتسمت وهى تجارية فى الحديث :

_يلا .

=====

_السلام عليكم !

قالها مصطفى وهوى زرد ريقه بتوتر..

حين فتحت هى الباب له مبتسمة بهدوء ناقض تورم عينها
والذى انبئه بوضوح أنها قضت ليلتها باكية !

_وعليكم السلام، افضل .

ردت عليه بخفوت وهى تفسح له المجال ليدلف إلى
الداخل إلى ان ولج وتوجه لغرفة الجلوس، قالت يارا وهى
تهم بالخروج :

_ثوانى هروح اجيب ماسة الأول .

اوما لها بهدوء وتركها تذهب بينما هو نظر أمامه بشرود..

حين استيقظ صباحاً، وتذكر ما قاله ليلة أمس لم يفعل،
ولم يندم على ما قاله بل لأول مرة في حياته يكون شاكرًا ل
"اندفاعه" في أمر ما.. لن ينكر أنه لم يقل ما قاله إلا بسبب
ضيقه وقهره من الجميع، لكنه ليس بنادم، فقد حدث ما
حدث؛ لأنه إن كان قد فكر ولو بمثقال ذرة في الأمر لكان الآن
جالساً بلا حول ولا قوة ينتظر أن تكف ابنته عن البكاء..
هو يحتاج لوجود يارا بحياته، وليس لأجل ماسة فقط، بل
لأجله هو حتى وإن أنكر عقله ذلك !!!

وقوف يارا أمامه وهي تمد يدها بماسة نحوه أخرجته من
شروده ليرفع عينيه إليهما ينظر لهما بابتسامة، ليأخذ ماسة
من بين يديها فجلست يارا على مقعد مجاور له، بينما هو
طفق يضاحك الطفلة بابتسامة رائعة تناقض ذلك الصراع



المتقد داخله، لتتعالى ضحكات الصغيرة وهي تتشبث بلحيته وتشدها بقوة..

مربعض الوقت عليهم هكذا، إلى أن أدرك أهمية الحديث مع تلك الجالسة تنتظره بصبر تُحسد عليه..

أجلس ماسة على ركبتيه وهو يلتفت ليأرا بهدوء، ثم قال بعد برهة حاول فيها استجماع كل قوته :

_يارا .. انا إلى عندي قولتهولك امبارح، ومستنى رأيك قبل ما افاتح عمتى فى حاجة .

ازدردت ريقها بتوتروهى تراه يرمى الكرة فى ملعبها، والقرار متوقف عليها لكنها ليست مستعدة للقرار لا تدى خطأ من صواب..

لتقول بخفوت وهى تطرق برأسها :

_اتكلم مع بابا وماما واللى يقولوا عليه هنفذه .



رد موارد .. لا يثبت موافقتها ولا رفضها، جواب ليس شافٍ
بالنسبة له ولكن مع "وعدها" التي قطعتة ليلة أمس،
سيعتبرها موافقة..

استقام واقفاً وهو يحمل ماسة على ذراعه لتقف هي
بدورها، فقال مصطفى بهدوء :

_معتبردى موافقة، وهفاتح عمى خالد وعمتى، واللى فيه
الخير يقدمه ربنا .

اومات بصمت وهو يتخطاها ليذهب، لكنها اوقفته بنائها
دون أن تستدير:

_مصطفى .

نظر لظهرها المواجه له وتوقف، لتساءل هي بهدوء :

_ليه انا ؟!

أجمه السؤال للحظة، فهزكتفيه جهلاً، وقال بخفوت
متنهداً تنهيدة من الأعماق :

_مش عارف.. صدقيني مش عارف، لكن حاجة واحدة بس عارفها ماسة محتجالك اوى .

قالها ثم ذهب، فخشت أن تصدق ذاك المغزى الذى وصلها، ليس ماسة من تحتاجها، بل قصد أن يقول "بل والد ماسة يحتاجك"!

صوت جلبة شديدة بالأسفل أخرجتها من شرودها، فأجفلت وهى تهرع للخارج، لتقابل مصطفى فى منتصف الدرج :

_فى ايه ؟!

_مش عارف، بس ده صوت عمى .

اكملوا هبوط الدرج معاً ليجدوا عبيرتقف فى منتصف الردهة تبكى بشدة وهى تهتف باسم درة :
_بنتى يا خالد، هاتلى درة يا خالد .



عقدت يارا حاجبها وقلبها يسقط بين قدميها بخوف، كان من المفترض أن تأتي درة يوم عقد قران منة لكنها لم تفعل، فظنوا أنها أرادت المكوث أكثر عند عمها، لكن حدث الآن ...
_ايه إللى حصل يا بابا!؟

كانت تلك يارا تهتف بتوتر، ليجيها أباهما بتوتر أكبر وهو بالكاد يتحامل على أعصابه :

_عمك اتصل بيظمن على درة وصلت ولا، قال انها طلعت من إمبارح مع سعيد ابن عمك، ولا هورجع البيت عندهم، ولا درة جت هنا !

توترت يارا أكثر، والخوف ينهش داخلها نهشاً وصوت بكاء أمها يوتر الجميع..

تزامن ذلك مع هبوط إخوانها الثلاثة من الأعلى، مستعدين للذهاب للبحث عنها، وقف أدهم مكفهر الملامح أمام أبيهم

يتحدث معه قليلاً بخفوت ليومئ أدهم بالنهاية بصمت وهو
يستدير على عجلة من أمره قائلاً:
_ يلا يا أسر، يلا يا مراد .

أفاق مصطفى وهو يعطى ماسة ليارا فأخذتها الأخيرة منه
بيدين مرتعشتين مع قوله :
_ معلىش خليفها معاكى، انا هروح معاهم .

اومات دون رد وهى تنظرله برجاء، وكأنها تترجاه بأن يعيد لها
أختها، ليومئ مصطفى مع همسه :
_ هترجع .. ماتخافيش !

قالها ثم ذهب خلفهم ليركب معهم بالسيارة متجهين نحو
المطار ليذهبوا نحو المدينة التى يمكث بها عمهم بأسرع وقت
ممكناً !

...



وما كاد يمر الكثير من الوقت حتى هاتف فارس مصطفى،
ليفتح الأخير الإتصال وهو يرد بكلمات مقتضبة، فتوجس
فارس خيفة وهو يقول :

_ في ايه يا مصطفى ؟!

فأجابه الأخير باقتضاب :

_ درة طالعة من بيت عمها بقالها مدة ولسه مرجعتش البيت
.

لتتسع عينا فارس بارتياح وسأل :

_ طب انتوا فين ؟!

_ احنا على طريق المطار، هنسافرلها!

_ طيب انا جيلكم على هناك .

=====

أغلق فارس الإتصال معه وهو يهرول خارجاً من المشفى،
ليستقل سيارته بسرعة جنونية نحو المطار... وعقله يعمل

بأبشع الطرق، ويصور له مختلف الصور والتي تكون هي
فيها فاقدة لحياتها بها..

ضرب على المقود بيده وهو يصرخ بجنون، يسابق الرياح
نحو المطار، قلبه سيتوقف من فرط وجيبه المتعالى، ولا
يعلم إن كان سيرها مجدداً أم لا !

=====

وصل إلى المطار قبل أن يصلوا هم حتى، ولم يمر وقت طويل
حتى وجدهم يترجلون من السيارة بسرعة، متجهين نحو
الرحلة التي ستقلع على الفور، فقد قاموا بالحجز مسبقاً
على متن أول طائرة، وأخبرهم مصطفى بأن يحجزوا لفارس
هو الآخر..

اجتمعوا جميعاً في صالة المطار، فقص أسرع على فارس كل
ما علموه لتتحول عينا فارس إلى نيران متقدة، لينظر له
أدهم وهو يقول :
_بتفكر ف ايه ؟

فنظرله فارس متساءلاً.. ولم يقابله سوى صمت أدهم وهو
ينظرله بنظرات ذات مغزى، ليقاطعه مراد وهو يمسك
بتلابيبه، هاتفاً بحدة :

_اقسم بالله يا أدهم لو هتفضل تفكر فى إالى فى دماغك
لهتكون دى اللى بينى وبينك ... دى درة يا ادهم، درة انت
بتفكر فى ايه...مش عارف درة !!

أبعد أدهم يدا مراد عنه بحدة وقد فهم الجميع ما كان
يرمى إليه أدهم منذ قليل، لتتسع عيونهم بعدم تصديق
ولكن أول من هتف كان أسرا الذى قال :

_لو بتفكر كده عشان طلعت مع ابن عمها واللاتين اختفوا
فأنت غلطان يا ادهم، متخليش ماضيك يسيطر على
دماغك، دى اختك وانت ادرى بيها من الكل !

زفر أدهم بحدة وهو يكاد يصرخ بهم :



_اومال ايه إالى حصل، ايه إالى يخليهم يختفوا الاتنين مع بعض فى وقت واحد !

جادلله أسربحدة :

_انت بتقول ايه ؟؟! ابن عمك كان طالع معاها لحد المطار وراجع تانى، مكنش هيسافر معاها، وحتى لو كده انت ازاي تفكر فى درة بالطريقة دى، فوق يا ادهم .

لم يرد أحدهم بل كان كلاً منهم بتعبير مختلف عدا فارس الذى كان ينظرلهم بلا تعبیر، لم يكن ذاك هو تفكيره.. لكن أدهم قد فتح عينيه على أشياء لم يكن ليفكر بها من تلقاء نفسه

(على الركاب المتجهين الى **** رحلة رقم **** التوجه نحو
مقرا الإقلاع)

قاطعهم الصوت الذى صدح فجأة، ليهتف أسربحدة وهو
يرمق أدهم شزراً :
_ يلا بينا .

ليتجهوا بعدها نحو وجهتهم، وكلّ منهم بخاطره شئ مختلف
عن الآخر!
=====

دلف حازم إلى البيت بخطوات متثاقلة، ليجد أروى تجلس
فى صالة المنزل تعبث فى هاتفها بتركيز شديد..
توجه نحوها ليرتمى جالساً على الأريكة جوارها، لتشهق هى
بملع قائلة :
_ مش تكح يا ابيه .

نظر لها بلامبالاة ثم قال بهدوء :
_ بس يا بت .

رفعت حاجباً واحداً بشروهى تنظرله، ثم قالت بمكر:
_ طيب .. انت الخسران .

لم لها بطرفٍ خفى قائلاً :

_هاتى إالى عندك يا اروى .

_لما ترد على سؤالى الأول .

_وهو فين سؤالك ده ؟!

حممت بحرج قبل أن تتسائل بهدوء :

_هو.. هو أسرفين ؟! مش بيرد على مكالمات، وحتى مش

فاتح تليفونه، متعرفش عنه حاجة ؟!

رفع حازم حاجبيه بدهشة وهو ينظر لها بتعجب ثم قال

بهدوء خطير:

_انتى بتسالىنى انا عن أسر؟! لا والحماسة وخداكى اوى

كده، واسرفين ومعرفش ايه .. دانتي نهرا بوكى اسود .

تراجعت أروى فى مقعدها بخوف ثم قالت :

_لا بص، اعتبرنى مقولتش حاجة خالص، انا، انا اسفة

اقسم بالله.. خلاص.. ااا



تأوهت بألم وحازم يلف ذراعه حول رقبتها بخشونة مشدداً
عليها، هاتفاً :

_وربى يا اروى لو اعرف أنكم اتكلمتوا تانى، ولا اى حاجة
من شغل البنات بتاع اليومين دول ده لاكون مبوظلكم
الدنيا انتوا الاتنين، فاهمة ولا لا .

لتهتف أروى بحنق طفولى وهى تحاول تخلص نفسها منه :
_يا عم اوعى كده، روح اتشطر على إالى منفضالك طول
السنين دى، جى عليا انا والغلبان التانى ليه، ده ايه
الجبروت ده ؟!

ضحك حازم رغماً عنه وهو ينظر لها، ليخفف قبضته وهو
يضمها نحوه قائلاً :

_تعرفى يا بت يا اروى، انتى الوحيدة إالى هفرح بوجود حلا
فى البيت عشانها .

نظرت له بضيق ثم قالت لاهثة :

_ ده لو افترضنا انها وافقت على الجوازة وهتيجى تتنيل
تعيش هنا، ليه بقى هتفرح فيا انا، هي ضررتى ولا حاجة؟!
ضحك عالياً، وهو يجيها، ضارباً إياها على مؤخرة رأسها :
_ يا بت لسانك ده ايه، مبرد .. ايه تتنيل تعيش هنا دى، بس
يا ستى هعديها لك لانها وافقت انهاردة فعلاً، وفرحان فيكى
لان مفيش بينك وبينها عمار.
فغرت أروى فاه بتعجب وهى تهتف :
_ قول وربنا ، حلا وافقت انهاردة؟!
_ اه وربنا .. هو انتوا كلكوا مش مصدقين كده ليه !

وما لم يحسب له حساباً، تلك الزغرودة التى انطلقت من
حلق أروى تلقائياً حين علمت بالخبر!
لتتسع عينا حازم بارتياح قبل أن يكمم فمها بيده هاتفاً :
_ الله يخربيتك هتفضحيننا ... انتى بتعرفى تعملى الحركات
دى ازاي؟!



أزالت يده عن فمها وهي تهتف بسعادة :

_ هو احنا عندنا كام حازم يعنى؟! وبعدين دى حركة بسيطة خالص، حتى بص .

وهمت بإعادتها، فكمم فمها مرة أخرى هاتفاً من بين اسنانه :

_ خلاص، خلاص عرفت انك فرحانة وتهتموتى م الفرحة، اكتفى بقى قدراتك الخارقة دى !

أنزلت يده وهي تومئ برأسها بوداعة، ليهتف حازم بها مرة أخرى :

_ يلا يا زفتة انتى روحى اعملى كوباية شاي .

نظرت له بخبث ثم قالت :

_ من عنيا، ثانية كده .



وقبل أن تمشى أمسكت هاتفها عبثت به قليلاً، ثم تركته
جواره وذهبت، ليرمق حازم الهاتف بنظرة جانبية قبل أن
يغلبه فضوله، والتقطه عبث به قليلاً ليهاله ما وجدته وما
رأى !!

رفع الصوت قليلاً وعينيه تتسعان بانشداه، وهو يرى
الفيديو المسجل لحلا وهي ترقص !!

تلك الحية المتراقصة أمامه، لا يصدق أنها نفسها حلا التي
يعرفها ... هذه .. هذه مهزلة !!!

ازدرد ريقه بتوتر وهو ينظر إلى الهاتف عاقداً حاجبيه، وكأنه
يحل لغزاً رياضياً !

قبل أن يرتفع حاجباه بتعجب مما يفعل، ثم رمى الهاتف
بعيداً عنه بعد أن أغلقه، وهو يقلب شفتيه بامتعاض



يشوبه بعض الخيبة بعد أن فوت على نفسه فرصة هذا العرض..

زفربحدة وهو يكتف ذراعيه، مانعاً يديه من أى حركة متهورة بينما عينيها ترمقان الهاتف بنظرة جانبية قاتلة، لكنه ألتزم الأدب وظل مكتفأ يديه قبل أن يهتف بصوت عالٍ يكاد ينفجر:

_الشأى يا أروى!!!!

=====

وصل معاذ برفقة حلا نحو المشفى الموجودة بها رنيم، ليترجلوا من السيارة، ثم دلفوا للداخل وبعد وقت قصوه بحثاً عن غرفتها، وصلوا إليها أخيراً، ليقفوا أمامها فى حين تكلم معاذ قائلاً:

_ادخلى انتى الأول، شوفيهالو محتاجة حاجة على انا ما ادفع حساب المستشفى ونيجى نروّحوا.



اومات وهو يبتعد عنها، لتدلف هي إلى الداخل لتجد رنيم
ممددة على فراش المشفى ويتصل بذراعها المصل !
كانت هزيلة، شاحبة، تكاد تجزم أنها نقصت نصف وزنها
تقريباً، وجهها الذى كان يشع حياة أصبح الآن مجرد ملامح
باهتة، غائرة بشدة !

ـرنيم !

همست بها حلا وهى تتقدم منها بلهفة قائلة :

ـرنيم حبيبتي، حصلك ايه ...ليه كده، انا فكرتك كويسة
والله.

نظرت لها رنيم بوهن قائلة :

ـ اهدى يا حلا فى ايه ؟! عادى محصلش حاجة .

جلست حلا جوارها على طرف الفراش وهى تمسك مقدمة
شعرها القصير بحنان، ودموعها شقت مجراها على
وجنتيها :

_محصلش حاجة ازاي انتى مش شايفة نفسك، اسفة والله
انى انشغلت عنك كل ده .. اسفة !

ربت رنيم على يدها بابتسامة حنونة، ممتنة لتلك
الصديقة والأخت فى المرتبة المعنوية، تكاد تقسم أنها لو كان
لديها أخوات لما فعلن معها كما حلا الآن..
قالت رنيم بخفوت :

_يا بنتى والله محصلش حاجة، هو مجرد اغماء بس. اغمى
عليا وانا نازلة من العمارة وعمى عبده البواب وواحدة
جارتنا جابونى على هنا .

ازدردت حلا ريقها وهى تقول باستياء :
_مجرد اغماء ايه بس، انتى مش شايفة حالتك خالص، انتى
اهملتى فى نفسك خالص، وانا كمان غلطانة انا إالى سبتك
لوحدك كل ده .

ربت رنيم مرة أخرى على كفيها بابتسامة وهي تغير مجرى
الحديث :

_ طيب جبتيلي معاكى إالى قولتلك عليه .

مسحت حلا دموعها بظاهريدها قائلة :

_ اه جبتلك إالى انتى عاوزاه، قومى بس نغيرهدومك إالى
اتهدلت دى، والفلك حجابك عشان معاذ جاى .

عقدت رنيم حاجبيها وسألت باستغراب :

_ معاذ مين ؟!

_ معاذ، عى معاذ.. متعرفهوش ؟!

هزت رنيم رأسها نفياً بينما حلا تساعدها لتستقيم جالسة :

_ لا معرفهوش، مش ده إالى كان مسافر على ما اظن !

ابتسمت حلا وهي ترتب لها خصلاتها القصيرة قائلة :



_طب مانتى عارفاه اهو، هو كمان إالى كان موجود يوم وفاة والدتك، بس تلاقيكى مش فاكراه لأنك مكنتيش فى وعيك اصلا.

ازداد انعقاد حاجى رنيم وهى تتذكر أشياء كانت غائبة عن ذاكرتها ...

يد تربت على كتفها وصوت حنون يأمرها بالنهوض، ونفس اليد التى امسكتها هى تمنعها عن لمس أمها !

طيف حامى كان تشعر به خلفها فى كل خطوة تخطوها، إلى أن ذهبت أمام قبر أمها ونفس الطيف يلاحقها، إلى أن اغشى عليها يومها ولم تعد تتذكر شئ !

نظرت حلالشرودها وهى تقول :

_كمان كان هيتعارك مع هيثم لما انتى وقعتى وراح يشيلك .

هزت رأسها نفيأ وهى تهتم لتخبرها بألا تذكر اسم ذاك الشخص المسمى هيثم أمامها مرة أخرى، إلا أن الباب الذى

فُتح فجأة اجفلها، تبعه دخول نفس الشخص الذى جاءوا
على ذكره الآن !

غطت عينيها بكفها بيأس هاتفة فى نفسها :
_ياربى !

_انت يا بنى ادم انت، ازاي تدخل كده ؟!
كانت تلك حلا التى تصرخ به بتعنيف، فتجاهلها وهو يتجه
نحورنيم التى تجلس على الفراش بلا حول لها ولا قوة..
لينظر لها هيثم بلهفة تكاد تكون مَرَضِيَّة وهو يمسك بيديها
قائلا :

_رنيم، حبيبتي حصلك ايه، ومقولتليش ليه .. انا كنت
جيلك والناس قالولى انك هنا، ايه إالى حصل .
تلقائياً شعرت بنفور يجتاح أوصالها، والذكرى السوداء
تعاود بسط نفوذها على عقلها..

دراجة بخارية..

الدماء..

جثة ابنها المسجية أرضاً..

الدماء..

ورقة طلاقها..

الدماء..

كل هذا جعلها تدفعه بنفور وهي تهتف بعنف :

_ابعد عني !

اقترب منها هيثم مرة أخرى بإلحاح وهو يقول بإصرار

تعجبته فيه :

_ارجوكي يا رنيم، اديني فرصة واحدة، ارجوكي .. انا يا رنيم

.. بحبك والله العظيم بحبك !

_وانا مش طايقة ابص في وشك، ابعد عني يا هيثم !

هتفت بعنف مرة أخرى، وهي تعاود دفعه بقوة، مما جعل

السن الرفيع المغروس بوريدها يخرج بإهمال وجعل يدها



تنزف بشدة، وهى تصرخ به بانهيىار، انهيار لم يجتاحها حتى
يوم وفاة والدتها :

_ابعد عنى .. مش عايزة اشوف وشك تانى، انت السبب..
انت السبب فى كل ده، هى مكنتش هتموت، مكنتش هتتعب
.. كل إالى حصل بسببك، من حسرتها على بنتها ..
تعبت وماتت بسببك وبسبب افعالك وانانيتك، انت السبب
فى كل ده .. ابعد عنى !

تزامن صراخها مع دلوف معاذ إالى الغرفة وسط مراقبة كل
من كان يمر بالممر التى تقع فيه غرفتها..

تعدى معاذ الواقفين أمام باب الغرفة، ليرى رنيم بهيئتها
تلك ... وحلا التى تحاول إخراج هيثم من الغرفة بينما هو
متسمر بالأرض...

لا يعلم ما انتابه، لا يعلم سوى أن شياطين الأرض جميعها
اجتمعت أمام عينيه للتوفتجعله لا يرى أمامه شئ !

تقدم من هيثم وهو يهتف بحدة :

_مش قالتلك ابعدها !

نظرله هيثم بازدرء قبل أن يرمق رنيم شزراً هاتفاً بشر:

_مين ده يا ست هانم، طالع كل يوم والتانى فى المكان إالى

بتكونى موجودة فيه ليه، ليكون من المعجبين ولا حاجة .. اه

مانتى دايرة على حل شعرك وعاملة عليا انا الخضرة

الشريفة !

حاله الذى تبدل فى لحظة واحدة جعل هلع رنيم يتزايد وهى

تقول به باكية :

_اخرص ... انا اشرف منك ومن كل إالى زيك .

ولكن صرخة رنيم ضاعت هباءً أمام زمجرة هيثم الذى تلقى

لكمة من قبضة معاذ اسقطته أرضاً، ليقوم بعدها مسدداً

لمعاز واحدة مثلها، ليشدد العراك بينهما بقوة، إلى أن تركه

معاذ مسجياً أرضاً ليستقيم وهو يهتف بعنف :

_اقسم بالله لو تكون مقربها تانى ليكون يوم موتك !

هب هيثم واقفاً وهو يمسح الدماء التي سالت من شفثيه،
ليرمقهم جميعاً بنظرة أخيرة متوعدة، ثم استدار على عقبه
خارجاً من الغرفة، وهو يتوعدهم بأغلظ الإيمان !

=====



الفصل الخامس عشر

=====

"انت ضيف يا قلب، فأفرح بما تجده، وليس بما تتمناه..

فإن حدث غير ذلك، فلا تلم أحداً ولا تحزن!"

=====

كانوا يجلسون بالطائرة المتجهة بهم نحو المدينة المنشودة،
وكلاً منهم ينهش القلق أعماقه نهشاً..

ولكن قلق أدهم كان قلقاً من نوع خاص!

لما قال أسر "لا تدع ماضيك يؤثر على تفكيرك"، لماذا؟!

ما به ماضيه؟!

لماذا قال له هكذا؟

إلا إذا.. إذا كان هناك ما يوجد في ماضيه ويتماشى مع سوء

تفكيره الآن!!!!

نظر لأسر الذي يجلس جواره صامتاً بملامح متجهمه،
فناداه، فنظر له أسر بصمت، ليقول فجأة بنبرة هادئة لكنها
تحوى في أعماقها الكثير:

_ انت ليه قولت قبل ما نطلع الطائرة "ما تخليش ماضيك
يأثر على تفكيرك" .. ليه قولت كده، في ايه حصل وانا نسيتيه
بعد الإصابة .

هل يُخيل له الآن أن ملامح أسر ارتبكت !

هل يهرب بعينه من مواجهته ؟!

_أسر، انا عاوز الحقيقة !

قالها مشدداً على حروف كلماته، فنظر له أسر بصمت
للحظات، ثم تحدث :

_مفيش حاجة يا ادهم، انا مقصدتش حاجة عن ماضيك
الى انت ناسيه .. انا قصدت تفكيرك طول الوقت وطابعك
الشكاك في كل حاجة .

نظرله أدهم بشك، ليومئ أسرمؤكدأ مع استطراده :
_ايوا انت على طول شكاك فى كل حاجة، وانا مش
هسمحك تفكر فى درة بالشكل ده، انت عارف كويس يعنى
ايه درة يا أدهم .

انعقد حاجبا أدهم بضيق وهويشبح بوجهه عنه، هولم
يقصد قول هذا على أخته لكن ما يحدث لا يثبت إلا شئ
واحد..

أنها هربت مع ابن عمها !!
ماذا يفعل ؟!.هو خائف عليها أيضاً، وب "طبعه الشكاك"
كما قال أسرلن يسعفه عقله فى التفكير بغير هذا !

=====

_خلينى اساعدك .
صدرت عن مؤمن مشبعة بضحكه، وهويقف خلفها يكاد
يموت من كثرة ضحكه على مظهرها !



حيث كانت توليه ظهرها تحاول إعداد أى شئ للإفطار...
ولكنها لا تدري ماذا تفعل، تنظر هنا وهناك، تتلمس
المكونات أمامها بيديها وتنظر لها كأنها تنظر لكائن فضائي
من خارج المجرة بأكملها، إلى أن أمسكت بيضة تنظر لها، ثم
أخرجت مقلاة معدنية وكسرت البيضة لتضعها بها.. لكن
البيضة لوثت يدها، فرفعت أصابعها عالياً بتقزز وهي تنظر
لها بنظرة غريبة، وكأنها ستبكي فى أى لحظة !

كان ينظر إليها هكذا وهو خلفها يكتم ضحكاته بصعوبة إلى
أن افلتت منه ولم يستطع كبحها..

نظرت منه له بلامح ممتعة على وشك البكاء لتقول
بصوتٍ يماثل ملامحها امتقاعاً :

_ انت بتضحك ؟ !!

_ اعمل ايه يعنى وانا شايفك كده، إالى يشوفك وانتي
متحمسة الصبح ... وخليك انت وانا هعمل الفطار وبتاع،
مايشوفك دلوقتي وانتي هتعيطي قدام الاكل .



اجابها ضاحكاً بصوت عالٍ، لترفع هى المقلاة بيدها وكأنها
ستلقها عليه، لكنه تمالك نفسه وهو يتقدم منها ويمسك
المقلاة من يدها، ثم وضعها خلفها، ليجدها تنظر بضيق
حولها وكأنها ستبكي بحق !

وضع ما بيده ليحيط وجهها بكفيه ناظراً لها بدهشة قائلاً:
_ ايه يا منة انتى هتعيطى .. عادى يا ماما فى ايه، انا
هساعدك .

هزت رأسها نفيماً وهى تغمض عينيها الدامعتين، لتهمس
باختناق :

_ لا... مش كده انا بعرف اعمل كل حاجة، وشاطرة جدا فى
المطبخ، وكنت على طول بقضى وقت مع ماما فيه بس .. بس
انا بقرف من البيض .

نظر لها بعينين متسعيتين قليلاً، قبل أن ينفجر ضاحكاً
بهستيرية أكبر من سابقتها .. حينها ضربته بخفة على كتفه

وهي تنظر له شزراً، ليبتلع ضحكاته بصعوبة وهو ينظر لها
بابتسامة قبل أن يقول بهدوء :

_ خلاص يا منة ماتزعليش، انا مش بضحك عليكى والله بس
انتى مدام بتقرفى م البيض بتيجى عليه وتعمليه ليه ؟!
_ مانا قولت ممكن تكونوا بتحبوا ع الفطار، مش هفضل
على طول كده اقرف يعنى .

قالتها بنزق قابله هو بابتسامة سمحة مع قوله الهادئ :
_ يا منة مش مشكلة والله، عادى دى حالة استثنائية مش
مهم .. لو خلاص يعنى البيض هيوحشنا اوى كده هبقى
اعمله انا و خلاص .

زمت شفتيها بعدم رضا ثم ابعدت يديه عنها برفقٍ حازم مع
قولها :

_ طيب شيل انت البيض وانا هكمل بقية الفطار.



اوماً وهو يكتم ضحكته لأجلها، ثم باشر بفعل ما قالت له،
بينما هي التفتت تكمل الإفطار بصمت..

نظر لها مؤمن نظرة جانبية ليجدها صامته بوجوم، فقال
بعدها بهدوء ماكر:

_بس يا منة لو هتفضلي كده تقوليلى على كل حاجة بقرف
يبقى يفتح الله هركنك ع الرف واجيب واحدة تانية بقى .
رمقته من فوق كتفها بإهمال وهي توليه ظهرها ثم نظرت
أمامها مرة أخرى، قبل أن يأتيه ردها بعد عدة لحظات
بعنجهية :

_وانا إالى يركنى ع الرف بكسر الرف على دماغه .
لحظة واحدة ووجدته خلفها يديرها إليه لتواجهه وهو
يقول كلمة واحدة خافتة قبل أن يعانق شفتيها بشفتيه :
_يسلملى "الشرس".

حاولت الابتعاد لكنه كان متشبثاً بها بقوة وكأن هاهنا تكمن
حياته، لكنه تركها بعد لحظات وهو يقول بخفوت :



_منة .. هو لازم فطار؟

ضحكت بخفوت وهى تخفى وجهها فى كتفه قائلة :

_منك لله يا مؤمن هو احنا لوحدا فى البيت اتلم عشان لو حد دخل .

فما زاده حديثها إلا تشبثاً بها وهويشدد ذراعيه حول خصرها بتلك الطريقة التى يمزج بها قوته برفقه، قبل أن يقول ببعض العبث :

_واحد ومراته الله .

وكأن عبثه انتقل منه إليها، لتفك ذراعيه عن خصرها وهى تبتعد عنه قائلة بمكر:

_لينا اوضة تلمنا .

ضحك مؤمن عالياً وهويطالعها بعينين متسعيتين بعدم تصديق، بينما هى ذهبت لتكمل ما تفعله، لتزداد ضحكات مؤمن وهويشير إليها بسبابته ويقول مقلداً فيلماً شهيراً :

_هى دى بوسى .. هى دى ملاك الرحمة .



ضحكت ضحكتها الكارثية التى لا تخرج إلا فى المناسبات،
دون أن تستدير له، ليقول مؤمن بخبث وهو يتقدم ويقوم
بمساعدها :

_طب يلا يا شرس عشان اليوم يخلص بدرى بدرى .
نظرت له وهى تهز رأسها بنفى يائسة من مشاكساته التى لا
تنتهى !

....

وبعد مرور بعض الوقت كانوا انتهوا وهم ينقلون الأطباق إلى
السفرة الخارجية، وصوت ضحكاتهم يتعالى ويصل بوضوح
لمسامع والدته الجالسة جوار نافذة غرفتها تحتضن صورة
صغيرة مؤطرة لذكرى بين كفيها كعادتها منذ وفاتها ..
لتبتسم بشرود وأصابعها تزداد تمسكاً بالصورة بين كفيها
دون وعى منها..

وقليها يتلو الدعوات الصادقة لأن يحفظ الله لابنها سعادته
!



تلك الدعوات التي يعجز لسانها على البوح بها، ولكن قلبها
المبتهل كفيلاً بها !

ـ يلا يا حاجة عاوزين نفطر "وعوعت" !

هتف مؤمن بمرح وهو يفتح باب غرفة والدته فجأة،
لتبتسم الأخيرة بخفوت وهي تنظر لضحكته التي لأول مرة
تراها تنير وجهه بسعادة، قبل أن تجد منة تزيحه من طريقها
بنزق وهي تقول بمرح :

ـ ياعم اوعى كده، انت بتسد نفسها عن الأكل ولا بتقولها
تعالى كلى .

لتقترب منها منة بابتسامة وهي تجثو على ركبتيها أمامها
وتمسك بكفيها بحنو قائلة بهدوء :

ـ سيبك منه، تعالى معايا انا نفطروا، اول مرة هتاكلى من
عمايل ايديا وادينى رأيك .

لهتف مؤمن الذى يقف عند الباب بسخط :
_ عمايل ايديا .. صدقت نفسها دى ولا ايه ، او مال لو مكنتش
انا عامل نص الفطار .
نظرت له منة هاتفة بابتسامة سمجة :
_ بتقول حاجة يا حبيبي .

"حبيبي" .. هل نطقت حبيبي للتو؟!
وهل نطقها هنا ، أمام أمه؟!
نظر لها مؤمن بوعيد تقبلته هى بخبت وهى تعلم ما يدور
بعقله ، قبل أن يهتف مؤمن بتذمر :
_ بقول لا إله إلا الله !!
رمشت بعينها ببراءة وهى تقول :
_ محمد رسول الله يا حبيبي .



ضغطه على أسنانه بغيظ وصلها بوضوح رغم أنه يغلق فمه
لكن لغة جسده المتحفزة تخبرها بوضوح أنها تستفزه،
لتجده يقول بسماجة تحاكيها :

_مبروك يا حبيبتي دخلتي الإسلام، قومي بقى صليلك
ركعتين !

ضحكت تلك "الضحكة الكارثية" وهي تهز رأسها نفيماً يائسة
منه..

يائسة منه ؟!

هي بالكاد عاشت معه من أمس فقط..

فهل هذا وقت كافٍ لتقول أنها يئست من مشاكساته ؟!

لكن لما تشعر بأنها تعيش معه منذ دهور ؟!

التفتت برأسها لوالدته عليها تخرجه من عقلها قليلاً، لتربت
على يديها برفق وهي تستقيم قائلة :

_يلا بينا .

لكنها لاحظت تشبها بصورة ذكرى بين يديها، فرفعت وجهها
تنظر لعيني حماتها الحزینتین وكأنه حزن فطری، نزع
صورة ذكرى من بین یدیها بصعوبة ثم عانقتها بحنان و
همست :

_هی دلوقتی فی مکان احسن، معرفش کام مرة سمعتی
الجملة دی ومن کام شخص، لكن إلی اعرفه انی مؤمنة
بها جدا .. ولأزم هقنک بها .

ثم ترکتها وهی تنظر لعینی المرأة الدامعتین وقالت بابتسامتها
الرائعة :

_صدقینی عوض ربنا کبیر، وهو قال عسی أن تکرهوا شیئاً
وهو خیر لکم، یا عالم کان ایه إلی ممکن یحصلها فی الدنيا
ویخلی قلبک یتکوی علیها اکثر، لكن هی دلوقتی هناك .. عند
ربنا، وربنا مش بیختار غیر الناس إلی بیحبهم ، ده
ما یفرحکیش شویة !!



كانت تعلم أنها لن تتلقى رداً بطبيعة الحال؛ لذا مسحت
الدمعتين اللتان سالتا على وجنتيها قبل أن تقول بمرح
استعادته من جديد :

ـويلا بقى نفطروا عشان مؤمن فاضله سيكا وهياكولنا .
ابتسمت المرأة وهى تستقيم معها بينما منة تشبثت بكفها
وهى تسير معها، غافلة عن نظرات ذلك الذى كان يقف
قبالهم يرمقها بنظرات لورأتها لكانت أقسمت بعمق حب
هذا الرجل لها !

لا ليس حبه فقط، بل إمتنانه !!

=====

توقف بالسيارة أمام المنزل بعنف جعل إطاراتها تحتك
بالأرض محدثة صوتاً عنيفاً مما جعل رنيم الغافية فى
حضن حلا تفزع من نومتها !

رمقته حلا بلوم صامت عبر مرآة السيارة، ليبادلها هو النظر
باعتذار لم يقلل من شدة ضيقه !

لتربت حلا على كتف رنيم بهدوء قائلة :

يلا يا حبيبتي .

اومات الأخيرة بوهن وهى تترجل معها من السيارة..

فبعد انهيارها بالمشفى اغشى عليها، ولكنهم ايقظوها من

جديد وقررت حلا أن تأتى معها إلى البيت !

دلفن إلى البيت تاركين خلفهم من يكاد يحترق بالسيارة !

مشهد ذاك النذل وهو يقترب منها بالمشفى..

انهيارها الذى لم يتوقعه..

وهنأها، هزلها، وشحوب ملامحها بتلك الطريقة كل ذلك

يجعله يكاد يفقد عقله !

هو يعلم أن الطريق إليها طويل، بل طويل جداً فى الواقع، إن

لم يكن مستحيلاً.. لكن ماذا بيده أن يفعل غير هذا ؟

هو أحبها !

لا يعلم كيف، متى، ولا لأى سبب ؟

لا يعلم، ولكن يخشى .. يخشى أن يكون ماضيها مع ذاك
النذل عاقبة في طريقه وهو لن يحتمل !!!

دلف إلى البيت بعد صعوده إلى غرفة حلا بالأعلى،
ليتوجه هو إلى غرفته لكنه قابل سامية على الدرج، تلك
التي نظرت له الآن عاقدة حاجبها بضيق وهي ترى وجهه
المكدوم والإرهاق البادى على ملامحه، فقالت بيأس :
_حلا قالتلى ع إالى حصل، ومكنش صح تعمل كده يا معاذ
.. الناس تقول على البنت ايه دلوقتى لما يلاقوا راجل
بيتعارك مع جوزها كده فى المستشفى .

اشتعلت عيناه بشراسة غير معهودة على طبعه الحلیم،
شراسة جعلت سامية تتعجب لأمره خاصة مع هتافه الحاد
:

_مش جوزها .. مش جوزها ومحدث يقول جوزها .

رفعت كفيها بوجهه قائلة :

_طب اهدى .. اهدى، بس افهم منها الأول هي عاوزه ايه حالياً .

عقد حاجبيه بضيق وهو يتسأل :

_افهم منها ايه ؟!

_شوفها عاوزه تقول ايه، كانت بتسأل عن زين لكن زين خرج من بدرى ومش عارفة راح فين، وتليفونه مقفول .

ازداد وجوم ملامحه، وهو يشعر بتخبط لأول مرة يجتاحه في حياته ... طلبها لزين في وقتٍ كهذا يجعل عقله ينحدر لتفكير هولا يفضل به طبيعة الحال، لكنه في النهاية اوما بصمت وهو يتخطى سامية نحو غرفة حلا..

تقدم من الغرفة وهو يطرق بابها، لتفتح له حلا بوجوم قبل أن تفسح له المجال ليدخل، فدلف وهو يبحث عنها بعينه حتى وجدها بهيئتها الهزيلة تلك تجلس فوق الفراش ضامة

ركبتها لصدرها، تنظر حولها بضيا ع كطفلة ضلت طريقها
عن أمها ... وكم آلمه قلبه وقتها !!

تنح بخشونة لتنتبه هي له وهي تعدل جلستها وتنظر أرضاً
بتحفظ، ليقول معاذ بهدوء قد رما استطاع تصنعه :
_ قالولى انك كنتى عاوزة زين، بس هو مش هنا، تقدرى
تقوللى إالى انتى عاوزاه .

رفعت عينها الدخانيتين أخيراً له بضيا ع أهلكه واستنفر
حميته لاحتواءه بقدر ضيقه من اهتزاز شخصيتها وضعف
نفسها بتلك الطريقة، لكنه أجبر نفسه على الاشاحة بعينه
عنها، عينيه التى اتسعت بشرمع كل كلمة كانت تلقها
بصوتها الواهن :

_ مش عارفة إالى هقوله ده يمكن يفيد ولا لا، بس .
صمتت للحظة تستجمع فيها قوتها لتقول :



_هيشم طول الايام إالى فانت كان شبه بيطاردنى ... على طول كان بيمشى ورايا فى اى مكان اروحه، وعلى طول كان يجى يخطب على باب شقتى فى اى وقت، لكن فى مرة جيه وقال أن فيه ورق لازم اوقع عليه، ورق يثبت ملكيتى لنص املاكه تقريباً .. استغربت وقتها وواجهته وقولتله انى مش عاوزة حاجة، لكنه كان بيترجانى انى اقبل وانه بيعتبرده تكفير عن ذنبه فى حقى قبل كده... مسكت الورق لقيته فعلا بيثبت انى اخود نص املاكه، موافقتش أوقع ... ورفضت وطردته من بيتى، لكنه كان هيضربنى، اتهجم عليا وكان هيضربنى، فوقعت غصب عنى عشان ارضيه ويمشى، وفعلا بعد ما وقعت قعد يطلب منى انى اسامحه زى كل مرة .. ولما ملقاش معايا نتيجة مشى !

صمتت للحظة قبل أن تنحنى عينيها بألم وهى تردف :
انا اتوقعت انهانه بيعمل كده عشان يغربنى بالفلوس،
وانه مستعد يحط املاكه كلها ف ايدى عشان ارجعله، بس



انا مكنتش عاوزة حاجة، مكنتش عاوزة حاجة منه ..
وقولت هروح وهخليه يقطع الورق لانى مش هقبل بحاجة
زى دى وبالذات منه هو، لكن يومها قبل ما اطلع من
البيت، لقيت واحد بيخبط عليا وسلمنى ورقة، بيقول فيها
أن هيثم .. ان هيثم رفع عليا دعوة، وطالبنى فى "بيت
الطاعة" !

=====

أما لدى من يبحثون عن درة ...
فقد وصلوا إلى المدينة، وبدأوا البحث من فورهم فى كل
الأماكن، أقسام الشرطة، المستشفيات، محطات
القطار، المطار، كل مكان بحثوا فيه .. كل منهم فى منطقة
يبحث فيها أو مكان يبحث فيه، ما يساعدهم أن المدينة
ليست كبيرة جدا، لذا يستطيعون البحث بجدية، لكنهم لم
يجدوا شئ !



تجمع أدهم وفارس ومراد ومصطفى فى أحد الأماكن
العامة وكلّ منهم يعلن عن حاله، خالى الوفاض !!
لكن أدهم هتف بحاجبين منعدين :
_ اومال فين أسر!؟

نظر الجميع لبعضهم علامة عدم المعرفة، ليجفلوا فجأة
على رنين هاتف مراد، فأخرجه ليجد أسر هو المتصل..
فتح الاتصال، وما كاد يتحدث إلا وهتف بلهفة :
_ لقتها ، لقتها فين يا أسر!؟

اغمض فارس عينيه للحظة بإرهاق وهو يحمد الله بداخله
ألف مرة، لكن صوت مراد الذى هتف بقلق جعله يفتح
عينيه باتساع :

_ طب قولى فيه ايه طيب، طب ماشى يا اسرانت فى
مستشفى ايه واحنا جاينلك على هناك !!

=====

وصلوا للمشفى المنشود وهم ينهبون الطرق نهباً ليصلوا
لمكان أسر، ليجدوه واقفاً أمام أحد الغرف مستنداً برأسه
على الحائط خلفه .. فاتجهوا نحوه سبقهم فارس الذى
تساءل بلهفة خرجت عن زمام أموره تلك المرة :
_ هي فين يا اسر، وايه إالى حصلها .

نظرله أسربعيني شرسيتين تكادان تخرجان من محجريهما،
يكاد يقسم من يراهما أنه يرى بحرين يتنافسان بعينه فيما
بينهما، أى منهما سيطيح بأواجه فوق أمواج صاحبه أولاً
!؟

وصوته الذى خرج خافتاً من بين أسنانه التى يكز فوقها
بعنف :

_ محاولة اعتداء ... لا دول اعتدوا عليها !

=====



ذهبت تجر قدميها بإرهاق نحو سور البحر "معشوقها الاول"
كما تحب أن تلقبه..

جلست فوق السور تريح قدميها المرهقتين..

اليوم ما كادت تنهى عملها الذى ازداد بعد غياب فارس من
المشفى دونما سبب إلا وقد ملمت حاجياتها بسرعة و
خرجت من المشفى قبل استدعاء آخر لها، فقد تعبت حقاً !
اليوم كان حافلاً، بدايةً بالمؤتمر الصحفى الذى فوجئت به
تماماً وكأنها ليست جزءاً منه، ثم عمل المشفى الذى لا
ينتهى !

وما إن سنحت الفرصة لها خرجت بكل سرعة لتأتى
لالتقاط أنفاسها هنا قليلاً، لدى معشوقها !!

ظلت تنظر للبحر كثيراً من الوقت ... تتنفس بعمق، وهى
تشعر بطاقتها تتجدد مع كل شهيق وزفير!



ضحكت فجأة بمرح هي تتذكر صورة ساخرة رأتها على
الهاتف منذ يوم، تلك التي تدعى "كوميكس" وكان يُكتب
عليها..

"شاكٍ إلى البحر اضطراب خواطري..

فيجيبني : يا با احلى رياح هوجاء علشانك"

....

صمتت عن الضحك، لكن الإبتسامة العالقة على شفثها
لم تبارحها، إلا حين تساءلت في قرارة نفسها..
هل لو كانت أمها على قيد الحياة، لكانت الآن تفتخر بها
صحيح !؟

لكانت احتوتها بين ذراعيها وتغرقها بدموعها التي تنبئها
بفرحتها !

لكانت فعلت أشياء كثيرة أولها الفخر والذى تتمنى أن تراه
بعين أحدهم، صحيح هي يوجد بحياتها أحمد وداليدا
وبالتأكيد سيكونون فخورين بها الآن، لكنها لم تراهم من

وقتها ولم ترى نظرتهم الفخورة بعد، لذا إلى الآن لا تشعر
بطعم النجاح الذى حققته بل الفجوة داخلها تتسع وتتسع
وتكاد تغيب قلبها فيها !!

ظلت تفكر فى حياتها التى انقلبت، وتحديدأ منذ زواج أبيها
بعد وفاة امها !

((كانت امرأة بغیضة، بغیضة بشكل جعلها تكرهها فوق
كرهها الطبيعى لها أضعافاً مضاعفة فهى من أخذت مكان
أمها بطبيعة الحال .. ولكن ذاك لم يكن سبب كرهها لها،
هى كانت طفلة ورغم رفضها وغضبها كانت ستقتنع..
بطريقة أو بأخرى كانت ستقتنع بها، لكن تلك المرأة لم تكن
سوى شوكة فى خصرتهم جميعاً، وكل ما فعلته كان يؤول
لرفض، فأى قبول تنتظر!

ما فعلته لم يكن قليلاً، بدايةً بالمعاملة السيئة التى كانوا
يتلقوها جميعاً وخاصة أحمد رغم أنه كان أكثرهم حلاًماً

وصبراً، لكنها كانت تستغل ذلك لصالحها هي، سكوته عن
أفعالها المشينة أمام أبيها هو ما جعلها تتماذى أكثر مطمئنة
بأن أحداً لن يشي بها!

وأباهم الذى كان يغرق فى عمله نهائياً كان غافلاً عن أفعالها
وكل مصائبها، ولم يكن أحد ليقول أمامه شيئاً سواء كان
خوفاً منها، أو من أبيهم .. أو خوفاً على خراب بيتهم الذى
ظلت تلك المرأة تعيث فيه فساداً لعدة سنوات..

مرت عليهم كسنوات "القحط السبع" ولكن المختلف ها هنا
أنه لم يكن هناك "عامٌ فيه يُغاث الناس" بل كان هناك
هلاك لا محالة !!

نصيب فريدة من القحط كان أيسرهم ولكنه كان أعمق أثراً
!

تمثل فى ترك المدرسة لعدة أشهر ضد رغبتها ولكن ما كان
يصل لأبيها أنها تفعل هذا عن طيب خاطر؛ لأنها تكره

التعليم، وما كان يقال على لسان زوجة أبيها أن هذا خير لها
توفيراً للمال الذي يُصرف عليها أولاً، وثانياً لتساعد في
أعمال المنزل التي لا تنتهي، وكانت تتحدث بكل براءة و
وداعة !!

ثم عملها المستمر في المنزل من بداية النهار حتى آخره، و
حرمانها من أبسط حقوق طفولتها .. طفولتها التي تلوثت
مبكراً كثيراً، فصنعت منها تلك "مشوهة النفس" !
فالأساس كان باطلاً، والتربية غير سليمة فأى شخصية
متزنة كانت تنتظر!

كانت تُرهق، تُرهق بشدة وبشكل ضار لمن في مثل سنّها،
ولكن لم يكن هناك قلباً رحيماً يمكن مناشدته، فالرحمة
أحياناً تُنتزع من القلوب كلياً !

وجود داليدا جوارها هو ما كان يحميها، فداليدا كانت
تحمل عنها عبء أعمال البيت كلها أحياناً .. وتأخذ نصيبها

ونصيب فريدة فى كل شئ، سواء أعمال، إهانات، أوحى
إدانة أمام أبهم فى أى شئ، وهذا كان بداية نصيب داليدا
من القحط !

تلاه مباشرة زواجها دون إرادتها، لم يعلموا وقتها بماذا
وسوست تلك المرأة لأبهم حتى وافق على زواج داليدا ما أن
اتمت الثامنة عشرة من عمرها لرجل يكبرها بستة عشر
عاماً، نعم كان فى السادسة والثلاثين من عمره بينما هى
بالكاد اتمت الثامنة عشرة، لكن الحظ كان معها تلك المرة و
اختيار زوجة أبها لم يكن سيئاً كلياً، فالرجل كان حنوناً،
مراعياً، وعلى خلق .. لكن ما كان يمثل لها جحيم حياتها هى
والدته، بل كانت الجحيم بعينه .. نسخة أخرى عن زوجة
أبها .. ذهبت لتجدها فى بيت زوجها الذى بالكاد اقتنعت
وارتضت به لحسن أخلاقه معها، حمايتها تلك التى لم يكن
يشغل بالها سوى طفلاً يحمل اسم أبيه، وكعادة المصريين



فى هوسهم ب "الذكر" كانت هى كذلك، وإن لم يكن ذكراً لن ترضى، وكأنها ستختار مثلاً إما ان يكون جنينها ذكراً أم لا ! لكنها صبرت على بلائها فى حمايتها التى تظل ترهقها فى أعمال المنزل طوال اليوم وكأنها تؤدى حبساً اختيارياً مع الأعمال الشاقة، نعم شاقة لأن هذا لم يكن عمل منزل قط، بل كانت المرأة تتعمد تكليفها بكل ما هو مرهق ومتعب بالنسبة لها !

ولكن يشاء القدر وأن يتأخر حملها كثيراً معارضاً رغبة حمايتها والتى لم تسلم هى من غضبها عليها ! ومع مرور الأيام كانت الأحوال فى بيت أبيها تسوء بشدة .. خاصة مع طبع فريدة الحاد والتى كانت تتمرد على كل شئ، وما كان يصيبها بالأخير سوى أن تبیت ليلتها على أرضية المطبخ مبللة الثياب، بعد يوم عمل طويل.. فبعد خروج داليدا من البيت كان لها نصيب الأسد فى كل العمل بالبيت، دون رأفة بصغرسنها على هذا...



كانت تقضى كل ليلة على أرضية المطبخ، مبللة الثياب،
باكية بشدة لدرجة عدم القدرة على التوقف !

وهذا حقيقة "الحالة" التى تنتابها، من آثار ماضىها المغبر
ظلت تلك الحالة تراودها .. بكاء هستيري يصاحبه عدم
قدرة على التوقف أو النطق بأى شئ، شلل مؤقت بأطرافها
لا تقدر معه على الحراك !

وأين كان أحمد من كل ذلك، كان يبيت ليلته بالخارج .. ليس
مهم أين .. المهم ألا يبقى مع حرم أبيها المصون فى البيت، ما
إن شب عن الطوق حتى اعترضت على مبيتة فى بيتها .. لا
يصح، وكأنها كالذى قال الله عنهم "يؤمنون ببعض الكتاب
ويكفرون ببعض" ... تؤمن أنه لا يصح أن يبيت أحمد ليلته
فى البيت ... ولا تؤمن بوجوب الرحمة لأهل البيت الذى
تسكنه، منعت أحمد عن إتمام دراسته نهائياً بعد أن كان
فى أواخر المرحلة الثانوية، وبعدها بفترة منعت من المبيت فى



البيت، بل وأجبرته أيضاً على العمل، وفي الحقيقة لم يكن إجباراً بالمعنى الحرفي لأن تلك كانت رغبة أحمد أن يعمل ! ومع تعدد زيارات داليدا لهم ورؤية حالهم الذى لا يسر، فكرت أن تحدث أביها والذى كان يعلم عن وضعهم بالطبع ولكنه كان مغيباً تماماً عن الواقع كما يقولون، ولكن قبل أن تنفذ قرارها بالحديث معه عرفت بخبر حملها الذى جاء بعد عناء، فاستغلت زوجة أביها هذا لتوسوس لحمايتها تمنعها من زيارة بيت أביها لفائدة مشتركة بينهم، واحدة لأجل حفيدها المنتظر والأخرى لأجل ألا تحدث داليدا أביها فى شئ !

لتمضى الأيام ... ويشاء القدر ألا يكتمل حمل داليدا.. وتسقط فى شهرها الرابع، رغم خطورة الوضع عليها وعلى بنيتها الضعيفة وقتها، إلا أن حمايتها لم تكن لتسكت عن الوضع أبداً يكفى اهداراً للعمر دون حفيد، فقامت بتطليقها من ابنها لتزوجه بأخرى قادرة على اكسابها ما



تريد.. لتعود داليدا إلى بيت أبيها، حاملة للقب مطلقة،
مُحطمة، شبه امرأة، أو شبه طفلة، فهي لم تكن بالراشدة
في سنّها هذا على كل حال !!

وعاد الوضع كما كان عليه، عمل لا ينتهى .. إهانات ...
إدانات بأشياء كثيرة أمام أبيها وصلت حد الإتهام بالسرقة
... ولكن كانوا يصمتون إجبارياً، ف "الدفاع عن النفس"
كان "رفاهية" لا يملكونها !

أما عن أحمد فكان شبه مستقل بحياته بعيداً عنهم تماماً ..
وإن كان هو مستقل، فأمواله التي كان يجنيها بعرقه لا لم
تكن مستقلة، بل كان جزء منها يذهب ليد زوجة أبيه بصفة
دورية !

إلى أن جاء يوم، كان يوم انتفاضة .. ثورة .. صحيح أتت
متأخرة، لكنها بالآخر أتت .. حين جاء أحمد ذات يوم وثار
على الوضع الموضوع فيه إخوته وما ينالونه على يد زوجة
أبيهم، يومها لم ينل سوى الإهانة ولكنه كان مصراً على ما



يريد، سيأخذ إخوته معه وليفعلوا ما يفعلوه، كان قد جهز
سكناً متواضعاً مسبقاً لهن من عمله بشتى أنواع الأعمال
التي ممكن ان يتخيلها عقل بشر!

ولكن أقصى ما استطاع فعله ذاك اليوم أن أخذ داليدا
فقط، بإرادتها مع مقاومة رفض أبيها، بينما من لم تأتي
كانت فريدة ... تشبث أبيها بها هو ما منعها، ولم تكن راضية
أبداً هي أرادت أن تتخلص من هذا العبء لكنها كانت مُجبرة
على المكوث، يومها خرج أحمد ثائراً مع داليدا، يتوعد بأن
يأخذ أخته ولو بالقوة، ولكن القدر سهّلها عليه تلك المرة،
ليأذن وقت رحيل أبيه عن الدنيا، وعند ذكر السبب .. كان
يُقال "توفي من قهرته على ابنائه"، ياله من عُذرواهٍ صحيح
!؟

ولكن هذا ما كان يُقال !!!

وفي النهاية .. انتهى بهم المطاف هكذا، تاركين بيتهم القديم
لزوجة أبيهم التي لا يعلمون عنها شيئاً إلى الآن، وخروجهم

هم من المكان الذى كانوا يسكنوه نهائياً إلى مكان آخر تماماً؛
أملأ في حياة جديدة، وقد كانت .. ولكن رواسب الماضى تظل
عالقة رغم كل محاولاتهم المستميتة لإزالتها !!)

تهدت وهى تفيق من شرودها الذى طال، وتمسح دمعة
شريدة انزلقت على وجنتها، وهى تذكر نفسها بأن هذا كان
ماضى .. عهد ولى وفات..

درارت بعينها فى المكان، وأثناء هذا الدوران علقت حدقتها
بشئ .. لا بل بكائن، كائن حى شديد الروعة، شديد
الجاذبية، لا لن تصفه بغير "كائن"، لأنها لا تدرى وصفاً غير
هذا، فكلمة "إنسان" لن تجدى نفعاً هاهنا خاصة مع
نظرتها التى تلتمع بشغف لم تشعر به فى حياتها قط !



وأمامها كان زين يجلس على أحد الصخور الضخمة
القريبة من المياه، يوليها ظهره، مبتعداً عن صخب كل من
يجلسون على الأسوار مثلها ...

لا يسمع سوى صوت أمواج البحر تتلاطم، وصوت أفكاره
الصاخبة والذي يطفى على كل شئ وقد ضج داخله بما
يحملة ولا يستطيع البوح به !

انتقلت عيناها تلقائياً من تأمل البحر إلى تأمله هو، فأى
شئ سيكون له سطوة بحضوره حتى لو كان البحر !!

طال تأملها له، والترصد لكل حركة تصدر عنه، ولم تكن
تلك الحركات متمثلة سوى بشعره الذي يتناثر هنا وهناك
بفعل الرياح، ثم يده التي ترتفع كل لحظة وأخرى لتمشط
شعره الكثيف للخلف بتلك الحركة التي أقرت في نفسها
ألف مرة أنها تعشقها !



"يديه"، لا هي تعشق يديه أكثر، ولا تسألوا لماذا؛ لأن
تبريرها سيكون غيباً، فلعل الصمت أسلم !

لكن ما لم تحسب له حساباً هو التفاته بعد أن استقام
واقفاً ويبدو أنه ينوى المغادرة، ف وقعت عيناه عليها من
فوره، لتتسع عيناه بانهار يوازي انهارها هي به !!
هل عقله يصور له الأوهام الآن ... هل أصبح يهلوس أخيراً
بفضلها !

كان يفكر فيها وفي حديث حازم، وفي ذكرياته البعيدة إما مع
ذكرى أو مع أبيه، ولكن هي كانت تحتل جزءاً يسيراً من
تفكيره، لينتهي به المطاف يتخيلها أمامه بهذه الدقة !!

اغمض عينيه للحظات وهو يَمْنِي نفسه بأنه سيفتحها ليجد
"طيفها" قد تلاشى..



لكن لا نتيحة، فتح عينيه ونظر بطيفها ليجدها مازالت
جالسة تحديق به بدهشة رافعة حاجبها بعدم تصديق !
إذاً فهي حقيقة، ومع تصرفاته التي لا تصدر عن عاقل ابداً
بالتأكيد تنعته بالجنون الآن !

لكنه تنحنج بخشونة وهو يتقدم منها بهدوء، ليجدها
مازالت محدقة به بدهشة، وعيناها تكادان تلتهمانه !
أقترب منها بدرجة كبيرة، وهو ينظر لها عن قرب لتحرك هي
عينها تنظر له بتعقيد وتجاري حركته بها، لكنه رفع يده
عالياً يلوح بها أمام وجهها هاتفاً :
_فريدة ... فريدة، انتي ياما !

انتفضت بذعر ليباعد هو عنها هاتفاً بحنق :
_في ايه يا ماما انتي لوحد جه سرقك وانتى قاعدة كده
هتقومى تمشى معاه وماتخاديش بالك !



لكنه كان يحدث نفسه، لأن عينيها علقتا بكفه التي كان
يلوح بها أمامها للتو، لتهتف بها مرة أخرى بضيق عندما
لاحظ شرودها مرة أخرى :
_يا فريدة .. دكتورة فريدة، يا زفتة !

شهقت وهي تنظر له بعينين متسعيتين، لتهتف هي بضيق
تلك المرة :

_هي مين إالى زفته يا جدع انت ؟!
رفع حاجبيه بشرو هو يطالعها بنظراته الساخطة قبل أن
يشير لها قائلاً :

_جدع انت !! انتى مش شايفة نفسك يا ماما قاعدة ازاي ؟!
نظرت له بوداعة عكس ثورانها منذ قليل وهي تهتف بنفسها
بنزق :

_يا صلاة النبى، يا ربى هوفى حلاوة كده، بطلى دبش بقى
الراجل الكبرة خايف عليكى اتلمى كده !!

لتتنحج بحرج وهى تنظر له قائلة بهدوء :

_ اه حضرة الضابط معلى كنت سرحانة ومأخذتش بالى،
اسفة!

رفع حاجبيه المرفوعين أساساً حتى كادا أن يسلما على
مقدمة شعره وهو ينظر للطفلة التى تجلس أمامه الآن، بل
يا الله الطفلة بإمكانها أن تكون أكثر منها حكمة !
قال زين أخيراً بهدوء :

_ حصل خير مفيش حاجة !

ثم وجد قدميه تتقدمان منها رغماً عنه معارضة رغبة عقله
بالابتعاد، ليجلس جوارها فوق السور قائلاً بنبرة جادة :
_ مبروك على المؤتمر، واه صح بتعملى ايه هنا ؟!

توترت بشدة، وهى تراه يجلس جوارها هكذا، ويحادثها بكل
بساطة وكأنه يعرفها منذ سنوات !



قلبها الذى يطرق بعنف داخل صدرها الآن هل يعتبر هذا
أملًا فى شئ ما ويتطلع للمزيد، أم يكفيه خيبة ويصمت !
لكنها فى الأخير قالت بطبيعة وهى تهزكتفها بلامبالاة :
_ عادى ... لسه مخلصه شغل وقولت اجى اقعد هنا شوية، و
الله يبارك فيك .

لكن لامبالاتها لم تستمر وهى تراه ينظر لها بتلك النظرة التى
تمنت رؤيتها فى عين أحدهم .. نظرة الفخر، هل يشاء القدر
أن تراها فى عينه هو الآن ؟!
ولكنه أشاح بوجهه عنها فجعلها تفيق وهى تحاول تهدئة
قلبها الثائر قليلاً !

رمىها بطرف خفى وهو يتساءل بهدوء :
_ وبتيجى تقعدى هنا على طول ؟!
اومات دون حديث، فنظر لها قائلاً بتلقائية كانت قاتلة
بالنسبة لها :



_حتى انا كنت باجى اقعد هنا على طول .

لتتسائل هي باستغراب :

_كنت !!؟

ابتسم بشرود وهو يقبض أصابعه فجأة وقال بعد لحظات
بنبرة متباعدة، جعلت دقات قلبها تتضاعف بشعور مغاير
عن هوسها به تلك المرة، بل بشعور من الغيرة ربما :

_اه كنت، كنت باجى هنا انا ... وذكرى !

اشاحت بعينها عنه وهي تتسائل بهدوء مصطنع، رغم
علمها مسبقاً بالإجابة :

_مين ذكرى؟! اختك؟!؟

اتسعت ابتسامته وهو ينظر لها نظرة غريبة استعجبته هي
حين التفتت ورأتها بعينه، لكن كلماته التي تلت كانت
بالنسبة لها أعظم من نظرتة :

_لا .. ذكرى مراتى .



معرفتها بالأمر كانت شئ، وأن تسمعه منه هو الآن لهو
العذاب بعينه، لكنها استمرت بجلد الذات الذي تمارسه
على نفسها وهي تتساءل بخفوت :

_مراتك؟! والفرح امته بقى؟! على حد علمي ان ايدك
فاضية .. لا انت خاطب ولا متجوز .

لم تبارح ابتسامته الشاردة والتي نالها شئ من الحزن
شفتيه وهو ينظر لها، وقال بهدوء استعجبه هوفي نفسه
وهو يرد عليها بتلك البساطة ولكنها بساطة متألمة :

_تقدرى تقولى، ان ذكرى فضلت تبقى ذكرى زى اسمها!
تصنعت أنها فهمت مقصد حديثه لتوها، وهي تعتذر
بخفوت :

_بجد اسفة .

هز رأسه نفيماً بإشارة دون معنى، وهو ينظر لها ليجد نظرها
معلق بيده المقبوضة فوق فخذه، ففك تنشج كفه وهو

ينظر لها بتعقيد لترفع هي نظرها نحوه قائلة بهدوء يتنافى مع

ذلك الانهيار في ضربات قلبها :

_ليه كنت ضامم ايدك كده !؟

حقيقة هي سألت هذا السؤال بتلقائية وعفوية شديدة

لتداری به خجلها من اكتشافه لمراقبتها لیده، لكن رد فعله

جعلها تعقد حاجبها وهي تستمع لما يقول متهدأ :

_صدقيني مش عارف .. بس لما بتكلم عن ذكرى بحس،

بحس انی جوایا طاقة كبيرة، طاقة غضب عاوز اطلعها في

ای حد ..ومش عارف، بحس انی ممكن اتهور في ای لحظة ...

واضرب ای حد قدامی عشان كده بضغط ايديا جامد

تلقائياً حتى من غير ما احس، تحسباً لأى فقدان أعصاب !!

قال كلماته وهو ينظر أمامه بضيق، لا يعلم لما يجد لسان

حاله ينطلق معها هكذا دون كوابح، يشعر بحاجته للبحر

بشدة، ولا يعلم لما يطلعها على دواخله ويجعلها تسبر أغواره
بشكل لم يسمح به لأحد غيرها من قبل !
دائماً ما كان عقله وقلبه فى صندوق مغلق لا يعلم أحد
خبيئته، لكنه الآن وبكامل إرادته يبوح لها بكل شئ !

ولم يكن يدري بقبضته التى اشتدت مرة أخرى أثناء تفكيره،
ولم يدري إلا على كفها الرقيق الذى امتد نحو قبضته
تحاول فكها، ليرفع عينيه ينظر لملامحها الجادة وعينيها
الخضراوين وهى تحاول فك تشنج أصابعه، ليجاريها فيما
تفعل ويفك يده غافلاً عما يحدث بقلبيهما معاً الآن ...
أمسكت بأصابعه، وهى تفرد لها بالقوة وتنظر ليده للحظات،
قبل أن ترفع عينها له قائلة بخفوت :

_ ده اسقاط من عقلك الباطن عشان انت متعلق بيها،
وبحقها إالى لسه مجاش، حاول تترتاح وتريح عقلك م



التفكير في الموضوع ده شوية، ورخي اعصابك عشان ده كده
غلط عليك !

قالت كلماتها ثم وقفت قبالته، لتجده ينظر لها عاقداً
حاجبيه، ليتساءل فجأة ببعض الدهشة :
_موضوع ايه ؟! وانتى تعرفى ايه عنه وتعرفى ايه عن حق
ذكرى !

ابتسمت وهى تهز رأسها نفيماً دون أن ترد، ليمسك هو بيدها
بقوة قائلاً بهدوء :

_اتكلمى يا فريدة، تعرفى ايه ؟
_صدقنى انا ممكن اكون عارفة عنك حاجات انت نفسك
ما تعرفهاش !!!

نظرتها الحزينة مع كلماتها جعلته يفقد صوابه وهو يقف
قبالتها، ويشدد يده على كفها أكثر قائلاً بهدوء جاد :

_تقصدي ايه يا فريدة؟!

كفها الحرامتد ليحرر صاحبه من قبضة زين وهى تقول
بنفس الابتسامة التى لا تدرى هل هى حزينه أم أنها سعيدة
لذلك العبء الذى ازالته عن كاهلها :
_مش هتفهم، صدقنى مش هتفهمنى !

عمق نظرتها وكلماتها التى تخرج من بين شفيتها بصوت طير
ذبيح جعلته يضطرب داخلياً، ولكن كفها الذى نجح أخيراً
فى تحرير صاحبه سمح لها أن تبتعد عنه بسرعة، وهى
توقف أول سيارة أجرة قابلتها، بل كانت هناك امرأة تركب
بها أيضاً ولكنها لم تبال .. أهم شئ لديها الآن أن تبتعد عنه
بأسرع وقت ممكن !

أما هو فظل يراقب طيفها بحاجبين منعقدين، ووجيب
قلبٍ متعالٍ وهو يشعر بلمستها على يده وكأنها تركت أثراً

بقلبه ... وكلماتها التي تظهر خبيرة بطبعه تجعله محتاراً في
أمرها !!

والأسئلة تطرح نفسها على عقله..

كيف تعلم عنه كل هذا ؟!

كيف تعلم عن ذكرى وحقها ؟!

ألم تزعم لتوها أنها لم تكن تعرف بأنه كان متزوج بالأساس
!؟

ليفيق على صوت هاتفه الذي فتحه منذ قليل، ليجد
العديد من الرسائل تصله، منها واحدة من زميل له وكانت
هي آخر ما تلقى كُتب فيها... (زين افتح تليفونك اول ما
تشوف الرسالة، عمك معاذ في واحد اسمه هيثم أمين، جه
حرر ضده محضر تعدى!)

=====

الفصل السادس عشر

=====

حذق زين فى الرسالة التى وصلته للتوب بشرى تطاير من عينيه، واسم "هيثم أمين" يصدح فى أذنيه كدوى مدفع! كان يعلم أنه لن يترك رنيم وشأنها، ولكن ما دخل عمه معاذ بالأمر!؟

ولكن تفكيره لم يدم طويلاً، وهويجفل على صوت الرسالة الأخرى التى وصلته منذ قليل، وكان محتواها :
(انت فين يا زين ..وقافل تليفونك ليه كل ده ؟! خلص بسرعة تعالى على بيت عمك، درة مختفية ومحدث لاقىها
(!)

أنهى قراءة الرسالة بملامح مبتئسة قبل أن يهرع نحو سيارته يركبها بسرعة منطلقاً نحو بيت عمته، وجملة واحدة تصدح بعقله..

"إن المصائب لا تأتي فرادى" !

.....

لم يكد يقطع نصف الطريق حتى نحوبيت عمته، إلا وقد
تعالى رنين هاتفه باسم حازم .. فقام بفتح الإتصال، وهو
يستمر بالقيادة ليصده صوت حازم المتذمر:

_ انت فين يا زين ؟!

تأفف، رافعاً عينيه للسماء مترضعاً، قبل أن يجيها بنزق :

_ يادى النيلة على زين .. انا جى جى والله .

_ يا شيخ اتنيل .. هتيجى تعدل المائلة، على العموم روح لمعاذ

الأول شوف الحوارايه ... متجيش عند عمتك، درة أخواتها

لقوها وهما اصلا مش هنا دول عند عمها ومعاهم مصطفى

وفارس .

عقد زين حاجبيه وهو يدير السيارة متجهاً نحو بيته هو،

وسأل حازم :

_وانت عرفت منين إالى حصل مع معاذ ؟
_ماهو الباشا قافل تليفونه والله أعلم هوفى انهى خرابة ..
عشان كده لما ملقوش منك رد اتصلوا بيا انا، قبل ما يروح
حد يجيب عمك من قفاه من البيت !
_اتلم يا حازم، لسه منعرفش هوايه إالى حصل، ودخل
معاذ ايه فى الموضوع ؟!
_طيب طيب روح شوف ايه الحوار ولما توصل أخبار عن درة
هبعثلك .

_طيب .

=====

وصل زين لبيته فترجل من السيارة بسرعة نحو البيت،
ليجد معاذ يجلس بهو البيت بملامح متجهمه يكاد يشتعل
كأتون وهو جالس ... لغة جسده المتحفزة، وأعصابه
المشدودة تنبئه بكم الضغط الذى يعاينه ويكابد لكبته..
لكن ليس الآن وقت الوقوف ومراقبة حالته التى لا تسر!



فليعلم ما به أولاً، ثم يساعده على الاسترخاء الذي يعلم الله
وحده متى سيحل على حياتهم البائسة !
وقد كان، حين تقدم منه زين مربتاً على كتفه بهدوء.. فلم
تهتز لمعاذ شعره واحدة حتى، وحديثها الذي تلى إخباره بما
فعله هيثم، يكاد يصم أذانه بصخبه !

((_انا، انا معرفتش اعمل ايه، بس انا متأكدة ان الورق
إلى مع هيثم مزور ولو مش مزور انا ممضتتش عليه بإرادتى،
وهيثم مش عبيط عشان يعمل ورق مزور ممكن نطعن فيه
بسهولة، فروحت لمحامى، وفهمته إالى حصل وهو.. وهو
قال أننا ممكن نحل الموضوع بعقد جواز بتاريخ قديم، عقد
جواز رسمى من شخص غير هيثم بتاريخ يسبق تاريخ تقديمه
للعقد بتاعه، وانا، انا ملقتش حد يساعدني !



صمتت بعدها، لتردف بخفوت بعد لحظة استجمعت فيها
صوتها بصعوبة :

_عشان كده كنت .. كنت عاوزة زين عشان يساعدنى،
يكتب كتابى عليه ويتصرف بعقد قديم نطعن بيه فى عقد
هيثم ..وانه عقد باطل ميصحش، وهو فعلا باطل لانى
مضيت على حاجة انا معرفهاش، حتى هو مجبش مأذون،
هو كل إالى معاه ورق رسمى عليه توقيعى وامر المأذون مش
هيبقى صعب عليه أنه يزور شهادة واحد !!!))

ربت زين على كتفه ببعض القوة لكى ينتبه له، فأعاد عقله
من غياهب شروده بالقوة !

أجبر روح الشر التى تلبسته على الانصراف، وعينيه على
النظر لزين دون أن يسمح لغضبه أن يعى عينيه !

جلس زين أمامه وهو يحدق به بريبة، لا يعلم لما هذا
السكون غير المنطقى -من وجهة نظره- !

لكنه لم يظل غير منطقي ... بسبب قول معاذ الغاضب، و
المغلف بطبقة هادئة لم تنطلي على زين :
_روح شوف رنيم عاوزة ايه، بس قبل ما تطلع جيب مأذون
عشان تكتب كتابك عليها .

يقول كلماته بغضب أصبح مفسراً لدى زين الذى نظر بعدم
فهم بعد..

يعلم سبب غضبه، لكن سبب ما تفوه به لا يعلمه !
توجه معاذ للذهاب من أمامه ايقظه، فأمسك بمرفقه
يوقفه بالقوة وهو يقول بجدية :

_اوقف هنا يا معاذ .. انت رايح فين ؟! كتب كتاب ايه إالى
هكتبه، وايه إالى حصل بينك وبين هيثم أمين خلاه يحرر
ضدك محضر تعدى !!



التفت له معاذ بعينين تقدحان شرراً جعلت زين يجفل قليلاً وهو لا يفسر انفعالاته، ليقول معاذ بعد برهة بصوت جامد اهرب زين شخصياً :

_حرر ايه؟! محضر تعدى، عشان اللى عملته فيه بسبب إالى كان عامله فى رنيم، اومال لو كنت عملت إالى كنت ناوى اعمله فيه كان حرر ايه، قضية شروع فى قتل؟!!

نظر له زين بعدم فهم، جعله يثور أكثر وهو يقول بحدة وصوت عالٍ :

_ايوا يعنى عايزين ايه؟

_هو ايه إالى عايزين ايه، انا مش فاهم حاجة اصلاً..عمل ايه فى رنيم وانت ليه ضربته، ما تهد بقى وتحكىلى ايه الى حصل .

هتف بها زين بحدة أقرب إلى الصراخ وهو يكاد يفقد أعصابه امام غضب معاذ المستطير، لينظر له معاذ بضيق

وهو يقص عليه كل ما حدث، قبل أن ينتهى بقوله الساخر..
سخرية مقبلة، افصحت عن كم القهر داخله تجاه الوحيدة
التي "ظن أنه أحبها":

_فهي بقى عاوزه مساعدتك.. تكتب كتابك عليها عشان
تطعن فى عقد هيثم، فهمت بقى يا حلو.. يلا يا حبيبى
بقى روح جيب المأذون وتعالى عشان هعملك ليلة
محصلتش، ومحضر البتاع إالى هو عمله ده يروح يبله
ويشرب ميتة .. انا مضربتهوش من مفيش وكل اللى كانوا فى
المستشفى يشهدوا بكده !!

أجابه زين ببرود أشعل فتيل غضبه :

_حاضر ماشى، هروح اجيب المأذون، هى مين هيساعدها
يعنى غيرنا؟! وبعدين انت مالك محموق ليه كده؟! تخصك
هى ولا حاجة .



لم تكن إجابة معاذ له سوى لكمة جعلته يترنح للخلف
ولكنه توازن لكي لا يسقط قبل أن يحدق به بغضب هاتفاً :
_ انت مجنون يا معاذ ... قولى بس لو انت مختل عشان
اعرف اتعامل معاك !!

راقبه معاذ وهو يمسح خيط الدم الرفيع الذى سال على
جانب شفتيه بنظراته القاتمة، ليقول بعدها ببرود لم
يتصنعه :

_ ماتخلينيش افقد اعصابى وتيجى بعدها تشتكى .

زفرزين بحدة وهو ينظر لكف يده الذى تلوث بدمائه قبل
أن يرمق معاذ شزراً وهو يقول بحدة :

_ لما انت متنيل غيران عليها، انا ذنب أهلى ايه ؟! بتضربنى انا
ليه ماتروح تتشطر على إالى عاوز يتجوزها بالعافية !!
_ ليه هو انا لسه مستنى حضرتك عشان تنبىنى .



قالها بسخرية لم تختلف عن سابقتها، ليستطرد بعدها
بجدية وعينية تحكى ألف قصة من غضب، من غيرة، من
صراع داخلى يكاد يبتلع قلبه فى برائته :

زمانه دلوقتى متكثف فى المخزن القديم، ويبقى يجى يقابلنى
لوشاف شمس تانى؛ ولا طلع عليه نهار.... مش هوراح يتبلى
عليا فى القسم خلاص هو إالى جابه لنفسه .. مش تحت
محضر ملهوش لزمة همزنى، الموضوع مش هيكبرلانه طلع
مغفل ونسى أن فيه ناس فى المستشفى شافته وهو بيتهجم
على رنيم، وانا هطلع منها كده كده ...انما هو بقى قول عليه
يا رحمن يا رحيم !!

زفرزين بضيق لم يفارقه وهو ينظرله، ثم قال بعد
لحظات بهدوء استجمعه بصعوبة :

_طيب ورنيم هنعمل معاها ايه فى موضوع عقد الجواز، هو
مش هيتنازل عن القضية حتى لو اجبرناه!! فأروح اجيب
المأذون بقى ولا أعمل ايه!؟

نظرله معاذ بطرف عينه بمكرقائلاً بهدوء جعل زين
يتوجس خيفة :

_مانت هتروح تجيب المأذون فعلاً!!

عقد زين حاجبيه وهو يراقب استسلامه للأمر الواقع بهذه
الطريقة، لكن تفكيره لم يستمر حيث التفت معاذ له بحدة
وهو يهدر بطريقة جعلت زين يعتقد أنه يعانى من
"الشيزوفرينيا" :

_بس هتجوزها انا، على جثتى أن اسمك اتكتب جنب اسمها
ولو بالغلط حتى يا زين !



نظر له زين باستخفاف قليلاً وهو يقول بقلة حيلة :
_ربنا يهديك يا معاذ، انت عندك انفصام شخصية ؟!
_اه عندي انفصام وخاف على نفسك منى بقى .
_طيب ينفع تستنى بكتب الكتاب لبكره عشان نشوف بس
صاحبة الشأن هتقول ايه ؟!
_اعمل اللى تعمله بس مش هتتجوزها زين .
قالها بإصرار جعل زين يتعجبه !
هو لم يكن يوماً هكذا، من يقف أمامه الآن ليس معاذ الذى
يعرفه، بطبعه الرزين، وحلمه الذى كان يحسده عليه !
من أمامه الآن ما هو إلا ناتج "معادلة حب" غير متكافئة
الأطراف !
لا ريب أنه هناك طرف فيها يمثل معاذ الذى يعشق دون
حدود، يعطى بسخاء ظناً منه أنه قادراً على الموازنة !
وطرفاً آخر، يمثل رنيم التى كانت تستمع لكل ما قيل عن
طريق الصدفة حين علمت بعودة زين وهمّت بمحادثته بما



تريد، لتعلم هي كل ما يريد معاذ أن يفعل، فلم تشعر سوى
برفضٍ فوري !

رفض طغى على ملامحها الضائقة بكل ما يحدث، رفض
يصر على أن يُخل ب "توازن معادلتة" والتي يحاول جاهداً
تحقيقها دون جدوى !!!

فلن تجدى علامة "التساوى" هاهنا نفعاً !!
إذ به الحب غير متكافئ لكلا الطرفين؛ فأى نتاج ينتظر؟!

=====

حل المساء !

وما زالت طفلتها لم تعد..

اتخذت عبيراً من بهو بيتها مجلساً، تنتظر ظهور أى أحد من
أولادها يطمئنها، يطمئن قلبها الذى يكاد ينفطر من كثرة
بكائها، ودموعها التى لم تجف منذ علمها باختفاء درة !

ولكن لا أحد، لا أحد يظهر!

رغم التجمع حولها، وجميع عائلتها التي تحوطها لكنها تشعر بالبرودة ... برجفة تجتاحها، وقلبي يخبرها أن طفلتها ليست بخير، ليست بخير أبداً !

رنين هاتف خالد جعل الجميع ينتبه، مع قوله الذي وصل الجميع متلهفاً رغماً عن تظاهره بالثبات :
_ايوا يا ادهم !

صمت قليلاً يستمع للطرف الآخر قبل أن تنفج أساريه مع قوله :

_لقتوهاوهي كويسة ؟! طب اديها الى اكلها !

وقفت عير بسرعة، وقد توقفت عن البكاء فجأة وهي تحقق بوجه زوجها بلهفة تضاعفت مع قوله عبر الهاتف :
_درة، حبيبتي انتي كويسة !!



لكن لا رد على الطرف الآخر سوى أنفاس لاهثة لا غير، وهذا جعله يهتف بريبة :

_درة .. درة حبيبتي انتى معايا ؟!

ولكن الهاتف قد اختطف من يده بقوة بيد عبيرا التي وضعتة على أذنها وهي تهتف بقلبٍ ملتاغ :

_يا حبيبتي ردى علينا، درة...يا درة !!!

لكن أيضاً لا رد، ومن ثم تستمع لصوت أدهم الذى جاء حنوناً عكس طباعه الجافة بعض الشئ تلك المرة وهو يقول :

_اهدى يا ماما، درة بخير ومعانا .. بس هى فى المستشفى دلوقتى ومش قادرة تتكلم .

عقدت حاجبها، وقد استحال القلق إلى وحش ينهش أعماقها خوفاً على ابنتها الغائبة، وهذا جعلها تهتف بذعر:

_مستشفى، مستشفى ليه ؟!

_ما تعلقيش يا ماما، هي كويسة والله بس مش قادرة تتكلم
بس !

_مش مهم ... مش مهم تتكلم المهم انها بخير، هي بخير صح ؟
لا تعلم إن كان سؤالاً بحق أم أنها تجبره على قول شئ يهدئ
من تلك النار المستعرة داخلها، لكن أدهم اجابها بكل
الأحوال :

_والله كويسه خالص ومفيش اى حاجة اهدى انتى بس !!
_طيب طيب ... اهم حاجة انها كويسة، احمدك واشكرك
يارب .. الحمد لله .

تركها خالد تكمل دعائها المبتهل وهو يحيط كتفها بذراعه
بحنان لم تقلله السنون، مع قوله عبر الهاتف لأدهم :

_ايه إالى حصل يا ادهم، ولقتوها ازاي ؟!

_مش وقته يا بابا .. لما نيجى، بس مش هنيجي بعد أقل من
أسبوع، على ما نضمن على درة .

وهكذا أغلق أدهم الإتصال معه ليلتفت لتلك التى ترقد
فوق سرير المشفى تنظر للسقف الذى يعلوها بلا تعابير!
خواء نظراتها يماثل ذاك الفراغ فى روحها!
لم يكن يُخيل لها فى أبشع كوابيسها أن يحدث لها ما حدث
هذه الأوقات!
هى..

درة! من تمتلك صفات اسمها عن جدارة! أن الوقت وقد
خرجت الدرة خاصتها من غلافها الذى كان يحيط بها
لتتلوث بيد نجسة وصلت إليها بالقوة!
فلم تعد الدرة نقية كما السابق..
ولم تعد هى "درة" التى كانت تعهدا!

((كانت تسير مع ابن عمها متجهين نحو المطار بعد العطلة
التى قضتها فى بيته بعيداً عن الاضطراب الذى يسود بيت

والدها، ولكن لم يحسب أحد حساباً لتلك السيارة التي ظهرت في طريقهم فجأة وترجل منها خمس رجالاً لا تبدو عليهم الثمالة، وكما العادة غلبت الكثرة الشجاعة، وسقط ابن عمها بعدما تلقى ضربة على مؤخرة رأسه افقدته الوعي وقد علمت مؤخراً من حديثهم جوارها أنه قد نُقل إلى هذه المشفى أيضاً يعاني من غيبوبة مؤقتة بسبب الضربة... وهي تلقت مصيرها المجهول الذي لم يعد مجهولاً بعد ما حدث معها !

انتهكت انتهكت بأبشع الطرق وأقساها !
ظلت تصرخ، تصرخ بقوة وتقاوم حتى وهنت، وبَحَّ صوتها ..
لتستسلم بعدها للإغماء الرحيم الذي رحبت به بشدة، بعد ما نالها على أيديهم ((

كانوا ملتفين حولها جميعاً، أدهم .. أسر .. مراد .. مصطفى
...وفارس !



ينتظر أحدهم منها أن تنبث ببنت شفه لكنها صامته.. صمت
قاتل بالنسبة لهم ولا يعلم أحدهم لما لم تتحدث إلى الآن،
حتى عندما سمعت صوت أمها لم تصدر عنها أى بادرة
حركة !!

نظر لها أسربعينين تقدحان شرراً، كلما نظر لحالتها هكذا
يكاد يجن وهو لا يعلم شيئاً عمن فعل بها هذا !
حين سألوا عمن جاء بها إلى المشفى لم يجدوا رداً.. فمن أتى
بها كان رجلاً مسناً، من المستحيل أن يكون هو من فعل بها
هذا، لا سنه ولا لياقته تسمح له بشئ كهذا.. ولكنه رغم
ذلك اختفى بمجرد أن استلموها منه فى المشفى، تركهم
وهرب.. ليهرب معه آخر أمل لأن يعرفوا من فعل بها هذا !
وهذا تحديداً ما يجعل من عيني أسربحراً قاتماً.. والطوفان
فى عينيهِ الغاضبتين يجاهد كى يثور !



أما أدهم فكانت طبقة جامدة تغلف ملامحه، وعينية القاتمتين تضجان بغضب يجاهد كي يكبحه !
ولكن من كان منهم ثائراً على كل شئ مراد .. لوهلة لم يستطع تصديق حديث أسر عندما قابلهم أمام الغرفة،
وكاد يشتبك معه وهو ينعته بالجنون !
مع صمت فارس الذى كان يصرخ بالكثير وهو يبعد عينيه عنها بقوة جبرية مانعاً نفسه بقوة عن الذهاب إليها وضمها إليه عله يخرجها عن طور صمتها الذى يقتله !
صمته وكبته لما يشعر داخل صدره يكاد يفتك به، لكن لا حيلة له -كما لا حيلة لهم جميعاً- فمن فعل هذا، فعلها و فرها رباً .. وإن تكلم بالأصول، فمن حقه أن يغضب بصفتها ابنة عمته و غاضب لما حدث معها، لكن الذى يضج داخله الآن ويحرقه بنار سوداء ليس مجرد غضب لابنة عمته، وهذا صحيح فهو لم يعتبر ذرة ابنة عمته فحسب يوماً !!



دمعة وحيدة تغادر عينيها الشاخصتين نحو سقف الغرفة،
في أول بادرة تدل على الحياة منها !
ليتبعها بعدها بكاء صامت لم يرف لها جفن فيه، بكاء أول
من لاحظته عليها كان أسر الذي تقدم منها بلهفة هاتفاً بقلق :
_درة، درة حبيبتي انتى كويسة ؟!

أبعدت حدقتها عن سقف الغرفة أخيراً، لتنظر لعينييه
المشابهة لها ووتيرة بكائها تزداد دون صوت مطلقاً، وكأنها
الآن قد أفاقت وفطنت لما حدث معها !

جلس أسرجوارها على طرف الفراش وهو ينظر لها بحزن
تجلى في عينييه اللتان التمعتا ببريق دموعه !
رفعت درة يدها بضعف تحاول الإمساك بكفه عليها تشعر
ولو ببعض الطمئينة، فكانت لها كفه الذي التقطته بين



يديها تشد عليه بقوة تعبر عن كم القهر الذى يعرّب داخلها
دون القدرة على الإفصاح عنه بعدما فقدت صوتها !
بينما كفه الآخر ارتفع ليمسح دموعها التى تنسكب مدراراً
من عينيها !

ليشدها أسرفجأة نحوه وهو يضم جسدها الذى اهتز
بعنف مكتوم إثر بكائها نحوه بقوة !
يمسد فوق رأسها بقوة حانية بينما عيناه كانت قصة أخرى
مع همسه الغاضب، المتوعد :
_ وحياتك عندي ما هسيب إالى عمل فيكى كده ... وحياة
غلاوتك يا درة لهجيبه واخيله يندم على اليوم إالى جه فيه
على الدنيا !

=====

بينما على جانب آخر، لدى فتاة أخرى لنفس العائلة..
كانت تعيش أكثر أوقاتها سعادة الآن..
كان يوماً رائعاً بكل ما تحمل الكلمة من معنى..



وجود مؤمن جوارها بمرحه وابتسامته التى تكاد لا تفارقه،
وابتسامة والدته الهادئة والتى عادت إليها بصعوبة بعد
حزن الأيام الماضية، هدوء والده وابتسامته الوقورة التى
وجهها لها أثناء تشاركهم طعام الغذاء مازالت إلى الآن لها
أثرها عليها !

فكانت وكأنها "برداً وسلاماً" على البيت أجمع !
غيمة ظللت عليهم تحميمهم من حرارة الحزن القاسية..
كل هذا جعلها أكثر من سعيدة، ومطمئنة الآن !
وفكرت بتعويض مؤمن الليلة عن ليلته التى أفسدتها أمس
دون سببٍ وجيه !

لذا أنهت كل شئ سريعاً، وتركته جالساً مع أبيه وأمه..
وصعدت هى إلى غرفتهما !
أعادت ترتيب زينة الغرفة التى أعدها هولييلة أمس، فكانت
تماماً كما لو كانت زينتها لأول مرة !



ثم أخرجت لنفسها قميصاً حريراً أبيض اللون، وفوقه
مأزره بعدما لم تستطع تخيل نفسها تقف أمام مؤمن به
هكذا بعدما اكتشفت أنه جرى بعض الشئ !

تركت مأزره مفتوحاً وهي تجلس أمام مرآتها، ظلت تنظر
للمحتويات أمام المرأة لبعض الوقت، تنوى وضع بعض
مساحيق التجميل، لكنها ما كادت تفعل إلا وقد شهقت
بفرع وهي تستدير على الصوت الهادئ الذي أتى من خلفها :
_ اوعى تحطى حاجة على وشك، انا عايزك كده... "بيور" !

نظرت له بعتاب وهي تقول بخفوت :

_ كده يا مؤمن خضتني والله، وبعدين انت دخلت ازاي ؟!
_ ايه يا منة في ايه يا ماما .. داخل اوضتي بس انتي شكلك
كده كنتي سرحانة .



أجابها ساخراً، فوقفت وهي تقترب منه بخيلاء، تبتسم
بخبث إلى أن انقضت المسافة بينهما، فلفت ذراعها حول
عنقه بدلال قبل أن تهمس بخفوت :
_ اه كنت سرحانة !

_ وسرحانة في ايه بقى، اوعى تقولى فيا، اتغركده .
بادلها همسها بمثله لكن بأكثر عبثاً، وكفيه يعرفان طريقهما
نحو خصرها، تضمها نحوه بحميمية !
فأجابته بإمالة بسيطة وهي تبتسم بخجل، فما زال لديها
بعضٌ من حياءٍ على كل حال !

اتسعت ابتسامته بشوق وهو يرفع كفه نحو وجهها يبعد
غرتها الكثيفة لخلف أذنها مع همسه جوار أذنها بحرارة :

_ انا فخور بيكى ...اوى، مش بس فخور وبحبك اوى كمان .
نظرت منه في عينيه بوعد غير منطوق، وكأنها تعده بأنها لن
تتنازل عن تلك النظرة بعينيه، حتى ولو أفنت عمرها بأكمله
لتراها منه !

وهو لم يكن يحتاج لأكثر من تلك النظرة التي تعده بالكثير!
ليهبط إليها ببطء مراعيًا خجلها منه والذي لم يزل بعد
ليحتضن شفتيها بنعومة، لوقت لم يطل
ثم يبتعد عنها ينظر لوجنتيها اللتان تخضبتا بحمرة محبة،
ثم لشفتيها مجددًا!

لكنه ابتعد عنها قليلاً وهو يمد ذراعيه على طولهما يبعدها
عنه مع تأمله لها، وقوله المرح:
_كان مستخبيك فين ده بس يا مؤمن يا ابن ام مؤمن..
بركة دعاكي يا حاجة!

رفعت كفيها لوجنتيها الساخنتين، ضاحكة بخجل، قبل أن
تجده يقول فجأة:
_لا استنى بس كده.. في حاجة غلط، اه صح لابسة الروب
ليه، شيليه كده!



نطقها بعث جعلها تضحك أكثر وهي تضم طرفي مآزرها
حول جسدها أكثر قائلة :

_ لا، لا .. ده في أحلامك الوردية دي عارفها .

_ لا ما هو مش هيبقى في أحلام خلاص، الأحلام دي كنت
سايها وانتى بعيدة وانا شايفك كده زى النجمة، جميلة بس
بعيدة عليا .. بتمنى اليوم إالى هتبقى فيه معايا، في بيتي ..
تحت سقف واحد، لكن دلوقتي اتخيل واحلم ليه وانا
ممکن اخليه حقيقة، ودلوقتي لو عاوز !

رفعت كتفها بلامبالاة مدعاة وهي تبتعد بعينها عنه قائلة
بابتسامة :

_ طب ما تخليه حقيقة، هو حد قالك لا .

نظر لها بعث وهو يقول :

_ ايه ده ايه ده بقى، ماحنا بنعرف نتكلم اهو ونلمح وحاجات
حلوة ... اومال كنتى منشفاها علينا ليه !

_منشفاها عليك، طب خليك بقى لما انشفها عليك بصحيح !

قالتها بتذمر وهى تحكم ربطة مآزرها حول خصرها مجدداً وتوجهت نحو الفراش تنوى النوم وتجاهله، لكنه كان أسرع منها وهوى يتقدم منها بسرعة، حاملاً إياها على حين غرة منها جعلها تضحك عالياً، ليشاركها ضحكتها لكن بعث وأنامله تتلاعب بربطة مآزرها هاتفاً :

_رايحة فين يا شابة، هو دخول الحمام زى خروجه .

ضحكت بخجل وهى تدفن وجهها بتجويف عنقه، ليتم هو فك رابطة مآزرها مع همسته الماكرة :

_استعنا ع الشقا بالله .

وكانت ضحكتها آخر ما استمع إليه، لتصبح الآن زوجته أمام الله !

دون حواجز نفسية اليوم، دون أى عوائق تمنعها عنه !

=====

"لن يلتقى ساكنان ... على أحدهما التحرك!"

=====

ها هو "غريمه" يجلس أمامه مقيداً، يتلوى بعنف فوق
المقعد المقيد به، يحاول التحرر .. ينظر له بنظرات تقذح
شرراً تُعلمه بمقدار الغضب "المَرَضِي" الذى من الممكن أن
يمتلكه شخص كـ "هيثم"!

أما عنه، فلم يكن سوى تمثالاً نُحت من رخام بارد، يحاول
بشتى الطرق أمامه التمسك بأقصى درجات ضبط النفس،
وشيم التحضر التى تعلمها بمرور سنوات عمره!
_فكرت انك ممكن تنفذ بعملتك .

صوته القاسى بعبارته الغاضبة غادر شفتيه أخيراً ولم يلبث
إلا أن تحول إلى شبه صراخ أفرغ فيه كل غضبه :

_فاكر انك لما تتعدى على حاجة تخص معاذ البدر هسكتلك

وتيرة صراخه تعود لتنخفض من جديد مع استطراده
الخافت، الشرس :

_كان نفسى اقولك انى اقدر اسامحك بس للاسف ... مش
انا إلى بسامح، وبردو مش بسيب حقى .

ينظرله هيثم بنظرات حارقة وهو يتذكر تلك الضربة التى
تلقاها على رأسه وهو يسير فى شارع جانبى لا يوجد به
أشخاص كثر، ضربة جعلته يفقد الوعي ليفيق ويجد نفسه
فى هذا المكان المتطرف عن المدينة، شبه صحراء والرجال
من حوله يتحدثون فيلتقط كل برهة وأخرى اسم "معاذ"
لتتضح أمامه خيوط اللعبة كاملة، معاذ هو من فعل هذا ..
لكن لماذا؟! ما دخله برنيم!؟

هو يعلم تمام العلم أن ما يفعله مع رنيم لهوقمة "الدناءة"،
لكن ماذا بيده أن يفعل غير هذا؛ ليكفر عن ذنبه القديم؟!
تفكير عقيم .. إلا أن هذه هي حقيقته !

همهمات مختنقة تصدر عن فمه المكتم فقام معاذ وانتشل
اللاصق عن فمه بعنف جعله يصرخ وهو يعنفه :

_ انت مالك ومال رنيم؟! عاوز منها ايه ؟

_ مش انت إالى من حرك تسأل عاوز منها ايه بعد إالى
عملته معاها .

أجابه بهدوء خطر، فازدرد هيثم ريقه بصعوبة هاتفاً
بعصبية :

_ ملكش فيه .. انا وهي محدش يتدخل بينا .

رفع معاذ يديه باستسلام مظهرى، وقال بهدوء ناقض ذلك
الصراع داخله :



_ انا مليش دعوة باللى بينكم ... انا ما اتدخلتش فى حاجة،

انا ليا دعوة باللى ليا .

_ وهو ايه إالى ليك ؟

يسأله بلهاث ليجيبه وهو ينحنى ناظراً لعينيه بشر:

_ المحضر إالى قدمته ضدى .

يبتسم هيثم بتهكم وهو ينظر له غير مصداقاً، ليقول بسخرية
مقيدة :

_ وانت عاوز تفهمينى أن حنة محضرزى ده ههزفى معاذ
العظيم ولا زين ابن أخوه شعره واحدة حتى، بتنقص حق
نفسك اوى يا معاذ بيه .

ابتسم ابتسامة شرسة وهو يرى عقلية هيثم الذى استهان
بها، ليربت على كتفه بقوة وهو يقول :
_ ملكش دعوة انا بقدر نفسى ولا لا .

_ انت عاوز ايه .. وايه اخرة التمثيلية دي ؟

هتف به بعنف ليفاجئه رد معاذ :

_ تتنازل عن قضية رنيم .

ظهرت بوادر الإدراك على ملامحه ليهتف به بحدة :

_ ده على جثتي .. مش هتنازل عنها، ومش هسيهالك يا معاذ .

عاود التريت على كتفه لكن المرة بأكثر عنفاً قائلاً من بين فكيه المصطكين :

_ يبقى حضر نفسك عشان جنازتك قربت .

نظر له هيثم بشرر ... ومعاذ يبتعد عنه مستعداً للمغادرة و قال :

_ ماتتنازلش .. كده كده هخلصها منك، بس انت إالى

هتخسرها .. هي وحياتك سوا .

لم تتبدل نظرات هيثم له، بينما معاذ ابتسم بسماجة وهو يقول :



_كان نفسى اعزملك على كتب كتابنا انهاردة بس للاسف،
مش هتعرف تحضر.. ابقى اجبك صور الفرح .

صمت ثم أشار لرجاله بإشارة خاصة، مفادها أن اهتموا به
جيداً فعلموا نوعية هذا الإهتمام .. قبل أن يوليه ظهره و
يذهب مستمعاً لوعيده خلف ظهره !

=====

بعد إسبوع !!

=====

وماذا بعد يا "درة" ماذا يخبئ لك الزمن؟!
منذ أن تركت مكنك وكل يد أصبحت تمتد لك، لا لتمنى
الوصول، بل لتنال منك بأقسى الطرق !
ظلت عبارتها تنهمر عبر عينيها دون توقف، وكأنها بهذا تطهر
روحها قبل جسدها بعد طول دنس !



فى طريقهم للعودة وهى تتشبت بقميص أسرالذى يضمها
لصدره منذ أمس، وعينيه تنطقان بألف وعيد لمن تسبب
لها بهذا الكم من الأذى النفسى قبل الجسدى..
بعدها سبق واطمئنوا على ابن عمهم الذى عاد إلى بيته بعد
إفاقة من الغيبوبة، ووعد ألا ينطق بأى شئ عما حدث لأى
مخلوق !

هبطت الطائرة بهم أخيراً، فاستقلوا السيارة الخاصة بهم،
وهم يتوجهون نحو بيتهم !

وفارس الذى يجلس بالأمام جوار مراد الذى يقود السيارة
بينما مصطفى قد اصطحب أدهم إلى سيارة أخرى حتى لا
ينشب بينه وبين مراد شجار كما كاد يحدث على مدار هذه
الأيام، يراقبها عبر مرآة السيارة بلوعة، وقلب يكاد ينفطر
لمرآها ... وهو يستعيد آخر محادثة بينه وبين أولاد عمته،
حين استسلمت هى للنوم أخيراً وخرجوا من غرفتها !



(((_استنوا !

صدرت عن أسرا الذي كان في أشد مراحل غضبه وحسرتة
الآن .. مزيج عجيب وليس غريباً عليه، هو يعتبر درة من أغلى
الأشخاص في حياته حتى أكثر من يارا التي من المفترض أنها
تؤمه، لكن درة .. درة يشعر وكأنها ابنته قبل أن تكون أخته
المقربة له !

_ في ايه يا أسر؟!

قالها مصطفى عاقداً حاجبيه، ليتبادل الإخوة الثلاثة
النظرات مع بعضهم قبل أن يشيح أسربوجهه وكأنه غير
راضٍ عن الحوار الذي سيدور والذي علم به مسبقاً، بينما
أدهم هو من وقف ثابتاً وهو يقول موجهاً حديثه لفارس
بيروود لم يتعمده :

_ انت لسه عند عرضك إالى قدمته قبل كده ؟!



زوى فارس ما بين حاجبيه باستغراب متساءلاً :

_عرض ايه ؟!

ازداد الجليد فى نبرته، وتبلدت عيناه وهو يوضح سؤاله أكثر

:

_لسه عاوز تتجوز درة !

نظرله فارس وكأنه ينظر لمجذوب ثم تدارك ملامحه بسرعة

وهو يجيب :

_ايوه بس ليه السؤال ده دلوقتى ؟!

أغمض أدهم عينيه بإصرار وكأنه يقاوم غضبته قبل أن

يفتح عينيه ببرود يتزايد وهو يكتف ذراعيه أمام صدره :

_يعنى لسه عاوز تتجوزها ؟

_ايوه يا أدهم، بس هى إالى مكانتش موافقة، وانا مش

هجبرها عليا .

قالها فارس بهدوء متوجس ناظراً لأدهم بحذر، ليتهد الأخير بهم وهو يقول بهدوء حزين وكأن كرامته تستنكف أن يبخس قدرأخته بهذه الطريقة ولكن ما باليد حيلة :

_اتجوز درة يا فارس، احنا مش هينفع نجيب سيرة حاجة م إلى حصل قدام أى حد فى العيلة، مش هنقدر نخليها واقفة قدام الكل نفسها مكسورة بسبب إلى حصل، وماما .. ماما مش هينفع نقول قدامها حاجة، دى ممكن تروح فيها .

نظرله فارس دون تعبير كان أبلغ من أى تعبير آخر! وبعد فترة صمت طالت كثيراً .. تكلم أخيراً بخفوت :
_وانا موافق يا ادهم .(((

والآن، خرج الجميع من السيارة ليستريحوا قليلاً من الطريق الطويل بين المطار وبيتهم، بينما بقى أسر مع درة فى السيارة، ومازالت هى تتشبث به كطوق نجاة !



_درة .

نداء أسر الهادئ جعلها ترفع له عينيها المتورمتين من كثرة
البكاء، فرفع أنامله يمحو الدموع العالقة في عينيها هامساً :
_ممكن تفوقى شوية، عاوز اتكلم معاكي فى حاجة .

اومأت بضعف وهى تعتدل فى جلستها، لتواجهه بصمت،
فتنهذ أسر بخفوت قبل أن يوجه حديثه الهادئ لها :
_درة .. خليكى عارفة ان انا بحبك جدا، ومستحيل اعمل
حاجة تضرك .

ابتسمت له بضعف وهى ترمقه بنظراتها الصامتة التى
تحدث بالكثير...ثم اومأت برأسها دليلاً على تصديقه..
فبادلها أسر الإبتسامة بأخرى، سرعان ما اختفت وهو
يستطرد :

_درة احنا مش هينفع نجيب سيرة لحد عن إالى حصل
معاكى هنا، انا مش هقدر اشوفك وانتى واقفة مع حد
نفسك مكسورة قدامه .. وماما مش هينفع بردونقولها اى
حاجة، خصوصاً أن هى زعلانة عشان هى إالى كانت السبب
فى انك تبعدى عن البيت وتروحي عند عمى .

توجست خيفة مما هو قادم، لكنها اومأت بصمت بطبيعة
الحال؛ ليقول أسر بعدها :

_عشان كده فارس مستعد أنكم تتجوزوا فى اسرع وقت لما
نرجع .. وبالنسبة لغيابك هنقول انكوا اتعرضتوا لقطاعين
طرق، حرامية اخدوا منكم كل حاجة.. وضربوا ابن عمك
وانتى فقدتى صوتك م الصدمة بس .



ارتجافة جسدها ودموعها التي عادت تنهمر بسرعة جعلته
يندم على ما قال، فضمها نحوه بقوة وهو يقبل جبينها قائلاً
:

_صدقيني يا درة ده الاحسن ليكم، فارس كان معانا وعارف
كل حاجة .. وده هيكون جواز صوري مش اكتر بينكم، لحد
ما المحنة دي تعدى على الاقل عشان ماما .. وصدقيني كل
حاجة هتتحل .

ظلت متشبثه به بعضاً من الوقت اكتفى هو فيه بهذا
الحديث، منتظراً منها رأيها، بينما درة قد نضبت دموعها
نهائياً وكأنها ما عادت قادرة على البكاء، وظلت على هذا
بعضاً من الوقت، حتى استقلوا هم السيارة مرة أخرى..
وبدأوا بالتحرك..

وبينما أسر كان يربت على ظهرها بشرود، ربتت هي على كتفه
تنبيه لها، فنظر لها مستفهماً، لتزهي رأسها بالإيجاب ..

فازداد انعقاد حاجبي أسردون فهم، ليجدها تحرك شفتيها بكلمة .. "موافقة" .

فابتسم أسرلها بهدوء وقد فهم ما تريد أن تقول .. ثم اوماً لها بخفوت وقبل جبينها مرة أخرى، مكتفياً بهذا القدر من الحديث لهذا اليوم، ولعل القادم يكون أفضل !

شرد بعينه قليلاً يحكم خيوط القصة التي سيتلوها على مسامعهم في بيتهم والتي كانت كما قال لها منذ قليل ..

تعرضوا لهجوم من قطاع طرق سلبوهم ما كان معهم و قاموا بضرب ابن عمها .. وهى من صدمتها فقدت قدرتها على النطق لبعض الوقت، أما عن كونها كانت محتجزة طوال إسبوع فى المشفى فهذا فى الحقيقة كان ليبراً جسدها نسبياً من آثار الإعتداء، وفى القصة التى سيروها أنهم انتظروا ليطمئنوا عليها وعلى قدرتها على السفر ليس إلا !!

=====

_ انتى شايقة أنه كده صح ؟

قالتها رنيم بخفوت شديد وهى قابعة بين ذراعى حلا التى تحتضنها برفق عليها تساعدنا قليلاً على النوم، لكن الأولى لم ترتح ولم يهدأ لها بال !

ستجن بعدما عرفت ما يدور فى عقل معاذ وزين، رغم أنه زواج صورى وهى لن ترضى بأكثر من هذا، لكن وضعها مع زين كان سيختلف، خاصة بعدما سمعته على لسان معاذ !
يا الله لو كان ما سمعته على لسانه صحيح..

هو يحبها .. وهذا كان واضحاً فى حديثه، لكن ماذا عساها تفعل !

بالنهاية هى حطام امرأة لم تعد لها طاقة تجعلها قادرة على الحب أو الكره حتى، يكفها ما هى فيه !

_ رنيم انتى محتاجة حد يساعدك لا اكثروا اقل، مش هتفرق بقى لو كان زين أو غيره .



كلمات حلا التي غادرت أخيراً شفتيها اخرجتها من شرودها،
فرفعت نظرها لحلا قائلة :

_بس؛ انا مش عاوزاه يتعلق بأمل كذاب .. انا معدش عندي
طاقة عشان أخوض في تفاصيل أكثرم إلی انا فيها .

ربتت حلا على كتفيها برفق وهی تستلقى جوارها على الفراش
قائلة بهدوء :

_يا حبيبتي مفيش اى حاجة .. اعتبرى نفسك ماسمعتيش
حاجة، معاذ مش ناوى يجبرك على حاجة ابدأ .. هو
هيساعدك بس مش اكر، وللازم تعذرى زين لانه فعلا مكنش
هيقدر يعمل حاجة زى دى، مش عشان معاذ بيحبك وبس ..
لان زين اتعقد م الجواز وحتى لو هيكون الغرض منه
يساعد بيه حد .

ا طرقت رنيم برأسها وقد اکتفت من الجدال بهذا القدر!

زواجها من معاذ سيكون مجرد مساعدة لا أكثر ولا أقل..
وهي لن ترضى بأكثر من هذا على كل حال !
قلبي لم يعد قادراً على تحمل المزيد من التفاصيل، إن كان
يحبها كما يزعم، فليحتفظ بحبه لنفسه، هي ليست أهلاً
لحب كهذا .. ولن تكون يوماً !

=====

"صدقني انا ممكن أكون عارفة عنك حاجات انت نفسك
ما تعرفهاش"

من اللامكان تنبعث الجملة التي قالتها له في رأسها، وذكرى
اللقاء الأخير بينهما تطوف في عقلها تمنعها التفكير في أى شئ
عداها !

ماذا دهاها ؟!

ماذا دهاها لتقول له شيئاً كهذا، بالتأكيد سينعتها بالجنون
والحمق .. والحق يقال، لا أحد يلومه !

لم يكن يتوجب عليها قول شئ مثل هذا والخوض في
تفاصيل مثل ماضيه مع ذكرى !
يا إلهى بل والأدهى أنها أمسكت بيديه، هل كان هذا حقيقة
!؟

سلطان "هوسها" به يعاود فرض نفوذه على عقلها، بل
وكيانها كله .. يذكرها بدفء كفه الذى تلقتة راحة يدها،
وكان جسدها كله يحسد كفها الذى كان يلمسه عليه ..!
تتذكر كيف كان يبوح لها بكل ما يعتمل دواخله دون كوابح،
فتتسع ابتسامتها وهى واقفة أمام النافذة القديمة فى غرفتها
!

تراقب القمر الذى كان مكتملاً الآن لا هلالاً مكسوراً !
بدرًا بازغاً فى السماء، تماماً كما تراه هو!
ليلاً يكون بدرًا ينير ظلمتها، وشمس عالمها الثانية نهاراً !



رفعت كوب الشراب الساخن الذى تحتسيه نحو فمها
ترتشف منه ببطء، وعيناها ترمقان القمر أمامها بطرف
خفى بين الحين والآخر، وبيدها الأخرى تمسك هاتفها
تتصفح موقع التواصل و-كعادتها- ملفه هو الشخصى !!
اخفضت عينيها نحو صورته الشخصية التى اختارها دون
ابتسامة، بل يكاد يكون فيها عابساً، والمؤثثات فيها غامقة،
تبيض وأسود .. يبدو فيها وكأن أحد التقطها له شارداً دون
ان يدري بها، ولكنها كما وصفتها هى الآن بصوتها :
_ "عميقة" !!

استعت ابتسامتها وهى تضع الهاتف على حرف النافذة ثم
رفعت كفها -الذى رفضت غسله- نحو أنفها، تستنشق
رائحة عطره -الذى علقت فى كفها- بإنتشاء وكأنها مدمنة ما
!



ضحكت بخفوت من طرافة تشبيها الأخير وهي تنظر لكفها
وكأنها ترى صورته هوفى راحة يدها، ثم همست تحدث
نفسها بضحك :

_والله عشان خاطر الريحه دى بس مرضتش اكول عشان
مضطرش اغسل ايدى، ولما غسلت غسلت الثانية وسبت
إلى ريحتك لازقة فيها .. عرفت بقى انت غالى عندنا ازاي .

لكنها تنهدت بضيق وهي تتذكر اللقاء وما تفعله فى وجوده،
فعادت تحدث نفسها بنزق :

_طب كنت هعمل ايه؟! هو إلى قعد يحكى وزنقنى فى الكلام
.

تنهدت وفرض الضيق سيطرته على ملامحها مجدداً.. قبل
أن تخفض رأسها وهي تحدث نفسها ببؤس :

_بس مينفعش إلى بيحصل، مينفعش .. ده مش صح !!
صحيح .. لا ينفع !



كان الجميع الآن قد وصلوا البيت لدى عبيرا التي استقبلتهم بحفاوة سرعان ما تبدلت إلى بكاء حارق على ما آل إليه حال ابنتها بعدما اقنعها أولادها بتلك الحكاية التي اصطنعوها هم عن ما حدث مع درة، والغريب أنها قد انطلقت عليها !
إما أن يكون هذا ثقة زائدة بابنائها، أو يكون عقلها قد رفض أن يصدق إلا هذا !

فقلب الأم داخلها يتمنى لو كان هذا فقط ما حدث، لذا اقتنعت تماماً، أو مثلت الاقتناع دون الخوض فى أى تفاصيل !

كان الجميع منشغلاً بما حدث .. فتسلل أسرببطء من بينهم، وصعد الى غرفته لينال قسطاً من الراحة بعد كل ما حدث ويعد نفسه للأيام القادمة..

أمه لم تعرف شيئاً عما حدث، لذا سيكون دوره هو مع درة الآن .. دوره أن يخرجها مما هي فيه؛ إذ أنه لا أحد من عائلته يعرف، وهو أقرب من يعرف إليها، عله اقنعها بزواجها من فارس ليكون زواجاً دائماً !

فهو لن يطمئن عليها مع أحد غيره بعد الآن !!

استلقى فوق فراشه وهو يتأوه بتعب، لم يكلف نفسه حتى عناء خلع حذائه وتبديل ثيابه بل استلقى كما هو ومعصمه خلف رأسه متكئاً على ظهر الفراش !

ومر به الوقت ولم يعلم كم من الوقت مضى وهو غافياً ! لكنه فتح عينيه بتثاقل وهو ينظر نحو أروى -التي لم يعلم من أين أنبثقت فجأة- وهي تخلع عنه حذائه، ثم حاولت جعله يستلقى براحة فوق الفراش !

_اروى !



همس اسمها بخفوت وقد عادت له الإبتسامة بعد طول
عبوس لكنها ما لبثت أن اختفت جين وقفت جواره دامعة
العينين !

استقام جالساً وهو ينظر لها عاقداً حاجبيه، وقال بقلق :
_مالك يا اروي، حد مزعلك .

هزت رأسها نفيماً وهي تهمس بصوت مختنق، بينما تعاود
جعله يستلقى ثانية :
_مفيش حاجة ماتخافش، ارجع بس نام عشان شكلك
تعبان !

سحب يدها ليجلسها أمامه قائلاً بهدوء :
_هرتاح لما تقوليلي انتي مالك، حصل معاكي ايه ؟
_والله مافي حاجة، انا بس زعلانة عشانك، شكلك تعبان اوى

تنفس الصعداء وهو ينظر لها يهز رأسه بقلة حيلة، ثم قال
بخفوت :

_ ماتخافيش عليا .. انا كويس، بس بردو مش ده إلی مزعلك
.

اومات موافقة هذه المرة وهي تقول بعدما اجهشت في البكاء
:

_ انا زعلانة منك، عشان انت مشيت من غير حتى ما تقولي
انك مسافر.. وطول اليومين إلی فاتوا مكنتش بتردد على
اتصالاتي وانت عارف اني بخاف عليك .

نظر لها أسر قليلاً، قبل أن يضحك بخفوت يائس..
طفولية !

طفولية بشكل يجعله يشعر بها ابنته حقيقة لا مجازاً ! بكل
أفعالها الصبيانية تلك !

طوق أسروجهما بكفيه وهو يقول بخفوت مبتسم :

_والله كان غصب عني، لو تعرفى الرعب إالى كنا فيه
هتعذريني ... بس اوعدك مش هعمل كده تانى .

ازداد بكائها وهى تضربه فى كتفه بقوة :

_انت بتاخودنى على قد عقلى .

ضحك بصوتٍ أعلى قليلاً، ولم يقاوم رغبة ضمها لصدره

الآن .. لا تهتم العواقب، هو سيفعل هذا وبعدها يفكر!

لذا مد لها ذراعيه لتلقى هى بنفسها فوق صدره الرحب دون

تردد .. فاتسعت ابتسامته وهو يضمها نحوه أكثر يكاد

يجعلها تنفذ بين ضلوعه .. ولكن ابتسامته لم تظل،

وتفكيره ينحدر لمنحنى آخر!

ماذا لو أصاب أروى يوماً ما أصاب درة ؟!

هل سيكون قادراً على مواجهة الأمر بصلابة كما فعل مع

درة !

ام أن تماسكه أمام فجيرة درة سلبه كل قوة احتماله ولن

يبقى له شئ، ولو حتى النذر اليسير!



قوة ذراعيه حولها اشتدت، وتفكيره جعله يقطب حاجبيه
بقوة ويحاول صرف عقله عن تلك الأفكار المميتة !
أروى لن يحدث معها كما حدث مع درة، هولن يسمح بهذا !
سيتزوجها بأسرع وقت ولن يسمح لها بالابتعاد عن محيطه
بالقدر الذى يمكنه من حمايتها فى كل وقت وكل مكان !
أما هى فقد شعرت وكأنها قد وجدت ضالتها هاهنا أخيراً !!

_مش كفاية بقى كده ولا ايه ؟!

تأوه أسربخفوت وهويشدد من احتضانها أكثر لمرة أخيرة .
رمقه حازم الذى يتكى على إطار الباب بكتفه بحدة وهو
يقول :

_أروى !!

ابتعدت أروى عن أسربسرعة وهى تقول بارتباك :

_اه حازم .. انا رايحة اشوف ماما عاوزة ايه .

وأثناء مرورها جواره، قبض بكفه على ذراعها هامساً بشر
من بين أسنانه، بينما عينيه ترسلان لها رسائل حادة :

_اتفضلي، ولينا كلام بعدين!

تركتم وركضت إلى أسفل بسرعة، بينما حازم بقي مكانه
يرمق أسر شزراً!

ليبادله أسر النظر باستفزاز هاتفاً :

_نعم .. عاوز ايه ؟!

حد جه حازم بنظرة مميتة ثم أشار له قائلاً بجمود :

_اختي انا هعرف اتعامل معاها ازاي، إنما انت احتراماً

للظرف إالى احنا فيه فمش هتكلّم حالياً، ولو ترضى على

حد من خواتك كده تبقى تعالى وواجهني!



تهد أسروهو يكتنف رأسه بين كفيه للحظات بإرهاق لم
يخفى عن عيني حازم الصقريتين، لكنه فى الأول والأخير لن
يتهاون فى هذا الأمر!

رفع أسر عينيه له مرة أخرى وهو يقول بإرهاق :

_حازم .. نخلص بس م إالى احنا فيه ده، وهاجى اطلبها
رسمى !

لكنه كان يحدث فراغه..

فقد ابتعد إلى حيث لا يعلم، وذهب يبحث عن أروى لكنه
لم يجدها، فأجل الحديث لوقتٍ آخر..

ذاك التأجيل الذى لم يكن أبداً فى محله، فعلى حسب
تبريره..

هو يثق بأخته، فهمى لن تفعل شيئاً مشيناً، وتلك المغالاة فى
الثقة رغم رفضه لما يحدث تحديداً كانت أكبر خطأ !!

=====

أما بغرفة أخرى..

فكان مصطفى يتناول ماسة من بين يدي يارا بابتسامة
قابلتها ابنته بضحك صاخب وهى تراه بعدما غاب عنها
الإسبوع الماضى.. فاتسعت ابتسامته وهوينكب على وجهها
يقبلها بنهم ويدغدغها بقوة تجعل ضحكتها تتزايد !
غافلاً عن تلك التى تراقبهم بابتسامة شاردة، لكنها انتبهت
على صوت مصطفى الذى أتاها بعد فترة، وهوينظر لها
قائلاً بحرارة :

_شكرا .. شكرا على حاجة بتعملها عشاننا، بجد شكراً .

وكعادته ... لا يجد الطريقة الصحيحة التى يعبر بها عن
مشاعره لكنها وكعادتها .. تجيد فهم ما يريد أن يقوله
ويعجز لسانه عن البوح به !

لذا رفعت يدها لتربت على ظهر الصغيرة برفق وهى تقول
بخفوت وعينيها مثبتتان على الطفلة :

_انا مبعملش حاجة اتشكر عليها، ماسة زى بنتى واكثر.



لم يعطها تعقيباً؛ لذاك حين طال صمته رفعت عينيها نحوه
فهايتها تلك النظرة في عينيه، نظرة لم تعتقد يوماً أن تراها
في عينيه .. نظرة امتنان !

وهي لا تطمع في أكثر من هذا، كيف تطمع وأول حلم تمنيت
يوماً أن تعيشه معه قد بدأ في التحقق، فأى جاحدة هي كي
لا تفرح بإنجاز صغير كهذا !

لكن صدمتها لم تكن بنظرته فحسب بل بما تلى !
حين احنى مصطفى رأسه مقبلاً جبينها برفق، فأجفلت..
وتراجعت للخلف من فورها..

تخاف أن يكون كل هذا حلماً وتفريق منه حين يصطدم
بصخرة الواقع !

لكنه لا .. لم يكن حلماً، ولم تجد "صخرة واقع" هاهنا .. بل
نظرته كانت وما زالت كما هي، وتأكدت بنفسها حين نظرت

له لتجده مرتبكاً وكأنه لم يخطط لما فعله منذ قليل، ولكن
نظرته تنزل على قلبها برداً وسلاماً وتنبئها أنه مرتبك نعم،
لكنه غير نادم !

ثاني حلم لها قد تحقق في أقل من دقيقة ... شئ غريب
صحيح ؟!

لكنها تشعر بقلبيها سينفجر من قوة دقاته !

=====

في اليوم التالي !

عقد قران معاذ ورنيم..

لا ريب أن يوماً كهذا قد أعاد لها ذكرى عقد قرانها وهي ثم
كاملة !

لكن شتان ما بين الأمرين، وما اشبههم !

كلتا المرتين كان خيارها فيهما خاطئاً، لكن المرة الأولى كانت
ببساطة مغفلة؛ تختار الخيار الخاطئ طوعاً وعن طيب
خاطر، وهي تظن نفسها ملكة الدنيا وما فيها !



أما هذه المرة، ففى تختار الخيار الخاطئ عن اقتناع تام وهى تعلم أن هذا خاطئاً، لكن ما باليد حيلة، ولا توجد خيارات متاحة أخرى !

هى تُلقى بنفسها إلى التهلكة، وتعلم هذا !
فمعنى أن تربط اسمها باسم شخصٍ يحبها أنها تمنحه صك ملكيتها على طبقٍ من ذهب، وهوليس بأحمق لكى يتركها بعدما أصبحت ملكه !

_ماشاء الله عليكى يا رنيم، بجد جميلة اوى .
كانت تلك حلا التى وقفت خلفها وهى تحط بكفها فوق كتفى رنيم الجالسة أمام المرأة !
بعدما اصرت حلاً أن تلبسها شيئاً يليق بمناسبة كتلك وكأنها تفعل هذا بنفسٍ راضية .. فألبستها فستاناً "أسود" ممثلة لرغبة رنيم التى أخذت عهداً على نفسها بأنها لن



تخلع عنها هذا اللون مهما حيت، وكأنه مثلاً سيعيد من
رحلوا !

_وهيفيد بأيه الجمال مدام انا جويا مش راضية .
اجابتها رنيم بحزنها الذى ما عاد يفارقها، لتضرب حلا جانب
رأسها بخفة هاتفة بضحك :

_انتى بس لىنى الدماغ المصفحة دى وانتى كل حاجة معاكى
هتتحل ان شاء الله، نسييتي صحبتك واللى كانت عملاه فى
نفسها وفى إالى حوالها .

ابتسمت رنيم ابتسامة باهتة وقالت بنبرة ماثلت ابتسامتها
بهتاناً :

_ومازالت صحبتى والله يعنى هى حرمت مثلاً .
_ماشى يا ست مقبولة منك المرادى، عشان انهاردة محدش
قدك بس .

_يا شيخة اسكتى يعنى شايفة حالى يسرعدو ولا حبيب .

قالتها رنيم وهى تستقيم واقفة أمام حلا بعدما أنهت ضبط حجابها الأسود مثل رداءها، فنظرت حلالها مبتسمة بشجن قبل أن تحتضنها بقوة هامة :

_صدقيني يا رنيم .. معاذ لما بيحب، بيحب بجد، بيبقى مستعد انه يعمل اى حاجة فى سبيل الشخص ده.. فأرجوكى، أرجوكى ماتضيعيهوش من ايدك، مش هتلاقى شخص زيه صدقيني؛ وانتِ شوفتى كتير ومن حقت تفرحى .. افرحى يا رنيم؛ افرحى على قد ما تقدرى؛ مع شخص يحبك و يستاهلك بجد زى معاذ !

ادمعت عينا رنيم رغماً عن أنف رفضها لكل ما يحدث.. ولكن ركن صغير بعقلها يتساءل : هل من الممكن أن يكون معاذ هو من ظلت عمرها تنتظره ليكون لها سنداً وظهراً أمام كل ما تلقته ؟

لكن هذا التساؤل عاد مدحوراً أمام ردها التلقائي على السؤال : لا .. لا يمكن، يمكن لو كانت قابلية في ظرف غير هذا لكانت أحبته حقاً، لكن الآن .. الآن هي لا تراه سوى أمر واقع فُرض عليها بسبب هيثم وهي مرغمة على تقبله، شاءت أم أبت، ولم تكن هي يوماً بالعقلية العملية المتساهلة تلك التي تسهل عليها تقبل الأمور والأمر الواقع، بل تفضل أن ترسم هي واقعها كما تريد .. لكن على ما يبدو "فرشاتها" قد خانتها تلك المرة، و"لوحة" حياتها براقعة الألوان، قد طالها "الأسود" أخيراً لتستحيل إلى لوحة كئيبة لا تفضلها هي مطلقاً !

=====

هبطت الدرج جوارحها وهي ترمق الأشخاص القلائل أمامها بتوجس، قبل أن تقع عيناها على إبراهيم -والد معاذ- وهو جالساً جوارهم يرمقها بابتسامة، لا تزال تذكر هذا الرجل .. حقيقة أخرى تعترف بها؛ هي لم ترى منه سوى كل خير!



اخذت تدور بعينيها لتجد زين، جواره حازم، ومعهم ابن عم
آخر لهم، اخذت وقتاً طويلاً إلى أن تذكرت اسمه... مصطفى
!

وأين العريس يا ترى؟!
يبدو أنه علم أن القضية خاسرة وهرب بما بقى له من
كرامة، حافظاً ماء وجهه!!
الخاطر الأخير رسم ابتسامة ساخرة على شفثيه لم تتبدد
بالاستقبال الحار الذي تلقته من الموجودين، إلى أن
استقرت أخيراً جالسة.. وما زال العريس هارب!

لكن العريس لم يظل هارباً لوقت طويل بل ظهر، وظهر
بطلة جعلتها تفغرفمها، وهويكاد يكون "القمر" وهي "ليله"
!

حسناً تعترف بأن تشبيهها غريباً لكنها لم تجد سواه، حيث
كان يرتدي بنطالاً من الجينز الأبيض، وفوقه قميصاً يماثله
لوناً، يفتح ازاره العلوية، مما منحه مظهراً عابثاً بعض
الشئ هو أبعد ما يكون عنه !

لكن حقاً كان تماماً كما قالت، هي "الليلة" بسواد سمائها،
وهو "القمر" بهاء طلته !

جلس أخيراً بينهم، ليتم بعدها عقد القران !
وكان وكيلها زين الذى أصرت هى أن تمنحه هذا الدور، بينما
شهد حازم ومصطفى على العقد !

نزع معاذ يده من يد زين وهو ينظر له مبتسماً بإشراق،
ابتسامة لم يرها على معاذ منذ زمن بعيد، ليحتضنه بعدها
بسعادة حقيقة، وكأنه يعقد قرانه رسمياً على من أحبا
بصدق !

لكن .. أليست تلك هي الحقيقية، هو بالفعل عقد قرانه رسمياً على من أحبها بصدق ! فهل هناك حقيقة أوضح من هذه ؟!

بعدما تركه زين، جلس هو جوارها، وهي تطرق بوجهها أرضاً ويبدو أنها لا تنوى رفعه، لكن لا بأس سيجبرها على رفعه يوماً ما !

مال حازم على زين هامساً في أذنه بنزق :
_بقولك ايه يا زين، ما المأذون هنا اهو، والشهود موجودين،
ماتكتب كتابي على اختك بقى انا حمضت، اكتب كتابي بس
اضمن نفسي وبعدين تبقى اعمل إالى انت عاوزه .
نظرله زين بطرف عينه بخبث وهو يبدو وكأن الفكرة راقته
حقاً، والأمر لن يتعدى عقد قران ! الأمر مسلٍ فعلاً !
لذا نظرله زين بجدية وهو يقول :
_ومالوا، نكتب الكتاب بس .



....

ولم يكد يمر وقتاً طويلاً إلا وقد اتسعت عينا حلا بصدمة
بعدها عُقد قرانها، هل هي فعلاً وافقت وتم عقد قرانها على
حازم .. أم أنها تتخيل فقط، وكل هذا من نسج خيالها
الخصب !

لكنها حقيقة .. حقيقة جعلت رنيم تضحك متناسية وضعها
قليلاً، وهي تقول لها بشماتة :
_مبروك يا بسكوتة، دخلتي القفص .
نظرت لها بصدمة وهي تقول :
_لا بجد بجد الكلام ده حصل !!

غردت ضحكة رنيم عالياً مما جعل قلب معاذ يكاد يخرج
عن مكمته، لكنه التزم الصمت والملاح الجامدة !

بينما حازم قفز من مكانه بمجرد انتهاء الصيغة التي يتلوها،
واحتضن زين سريعاً وهو يقول بسرعة وأنفعال :
_مش مستنيك توصيني انت عارف انى هاخود بالى منها، و
اوعى بقى كده .

ضحك زين عالياً وحازم يتركه بسرعة ويتجه نحو سامية
التي لم تمتلك دموعها التي تنسكب من عيناها، فمسحها
حازم بسرعة وهو يقول :
_والله ما تعيطى انتى هتسلميها لأبولهب ولا ايه .. دانا سفيت
التراب عشان اوصلها، بنتك مش ساهلة يا حاجة دى
طلعت عيني .

ضحكت وسط دموعها وهي تراقب حازم الذى تجاوزها
بنفس السرعة وكأنه يسابق الزمن، حتى وصل إلى حلا
فاستقر أمامها بملامحها التي لم تزل عنها الصدمة بعد،



ليقبل جبينها بحرارة .. وطالت شفتيه هناك قليلاً، قبل أن
يعترف رسمياً أخيراً وشفتيه مازالت فوق جبهتها :
_بحبك !

كانت تتمنى لو كان ينظر لعينيها وهو يقولها صريحة، لكن لا
بأس ستحصل عليها يوماً ما !
لكن معاذ الذى وقف جوارهم وربت على كتف حازم ببعض
القوة أخرجه من شروده ونظرله بغيط، لتقابله ضحكة
معاذ وهو يقول :

_ايه يابا .. انت نسيت الزمان والمكان ولا ايه، احنا قولنا
كتب كتاب مش دخلة !

_عاوز ايه يا فصيل، مش عندك عروستك هناك اهى، ما
تروحلها وسبنى انا القط رزقي !

ضحك معاذ مرة أخرى وهو يبعده عنها، بينما رنيم انسحبت
بهدهوء لتقف جواز زين الذى نظرلها بابتسامة قائلاً بصدق :

_مبروك يا رنيم!

نظرت له مبادلة إياه الابتسامة وهى تقول بسماحة :

_الله يبارك فيك، مبروك لحلا .

أجابها بالرد التقليدى، وقد شعر أنها تجاوزت عن الموقف الأخير، وفهمت أنه ما تقاعس عن مساعدتها إلا لأسباب فهمتها هى جيداً.

_مبروك يا "ست كخة"، والله و جالك يوم وبقيتى محسوبة علينا واحدة .

قالها معاذ لحلا بمرح وهو يحتضنها فتشبثت هى بعناقه الذى تعتبره كعناق أبيها الراحل !

دمعة واحدة .. تجرأت وفرت من عينيها مسحها ببعض العنف وكبرياءها يحيل بينها وبين بكائها، لتعود بقية دموعها مدحورة وكأنها لم تكن !



ابتعدت عنه وهى تضحك باختناق هاتفة :

_ طول عمري وانا محسوبة عليكم واحدة ... تقدر تقول غير كده ؟

_ لا يا قلبى مقدرش .

يقولها ضاحكاً وهو يعاود ضمها مرة أخرى، ويتمنى أن تجد سعادتها أخيراً !

رنين هاتف معاذ جعله يبعدها عنه بمرح وهو يقول :

_ اوعى بقى كده خلينى اشوف اتصالاتى .

ضحكت بمرح شاركها هوفيه قبل أن يبتعد عنها بابتسامة عالقة على شفثيه، لينضم لها حازم مرة أخرى ويبدأ فى مشاكساته التى لا تنتهى !

_ الو .



قالها معاذ بعدما ابتعد عن صخب حديثهم هناك، لتتلاشى
ابتسامته فوراً بعدما سمع :

_معاذ بيه .. هيثم هرب مننا، مش عارفين ازاي بس احنا
مغفلناش عنه خالص، لكنه هرب !

ولم يحتاج دليلاً على ما يقول محدثه، فالضجة التي حدثت
خلفه إثر صرخة رنيم المذعورة، كانت هي دليله !

ليغلق الهاتف دون تعقيب، ووضعها في جيبه بكل هدوء ..
ويلتفت ليوواجه ما يحدث بكل جسارة !

حيث كان هيثم يقف أمام الجميع يبتسم بشيطنة ولكنها
كانت ابتسامة مَرَضِيَّة .. حقاً !

مشهراً سلاحه في وجه معاذ وهو يهتف بشر :

_معاذ بيه ... مكنتش تتوقع وجودي مش كده .



لم تتأثر ملامح معاذ الجامدة ولا أحد يستطيع التحرك
خوفاً من أن يتهور هذا المختل ويطلق عليه !
لهتف معاذ بقوة غير أبهاً لخطورة الموقف :
_عاوز ايه يا هيثم !

_عاوز روحك يا معاذ بيه، اقل تعويض على إالى نالنى منك
طول الاسبوع إالى فات، واللى اخدته انت منى !

الغريب هاهنا أنه لم يلتفت لرنيـم ولوحتى عن طريق
الخطأ، مما يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن رنيـم لا تعنيه فى
شئ، الوضع بأكمله مجرد "جنون العظمة" لا غير!

_وانا قدامك اهو، لوراـجل اعمل إالى بتقول عليه !
يقولها معاذ بتحدٍ وهو يثبت عينيه فى عينى هيثم بقوة
متحدية جعلت شر الأخير يتزايد وهو يهتف :
_راجل .. راجل وهعملها يا معاذ .



ارتفعت عينا معاذ نحو حازم الذى كان يتسلل بخفة خلف
هيثم ينوى الإمساك به قبل أن يتهور، لكن بطء حركته كي لا
يشعر به هيثم لم تكن مناسبة للموقف بتاتاً !

حيث تهور هيثم أخيراً وضغط على الزناد بقوة مرتين
متتاليتين، ليجفل معاذ وهو يتبس مكانه وقد الجمته
الصدمة تماماً، لم يكن يعتقد أن الأمر سيصل بهيثم إلى
هذه الدرجة من الجنون، لكن زمام الأمور قد انفلتت
وقضى الأمر !

انطلقت الرصاصتين بقوة بالتصوير البطئ .. جداً، وكأنها
تتعمد بث الرعب فى قلوبهم قبل أن ينفذ الأمر المحتوم !
وقد كان .. !

حين أغمض معاذ عينيه بقوة بعدما شلته الصدمة،
مستقبلاً الرصاصتين بكل رحابة صدر.. لا يهم ماذا
سيحدث، وستفيض روحه الى بارئها أم لا !



صوت اصدام الرصاصة بالجسد كأنه دوى مدفع..

ولكن أين؟

قلبه..

قلبها!

لا يعلم!

=====



الفصل السابع عشر

=====

"تعود الا تتعود على أحد .. فذات يوم ستنتزع منك الأيام ما

اعتدت عليه"

-نجيب محفوظ.

=====

أغمض عينيه بقوة متظراً أن تحط الرصاصة في جسده
وينتهى كل شئ..

ولكن لا شئ، ولا حتى صوت !

هو لا يستوعب حوله سوى الصمت والطين يكاد يصم
أذنيه، هذا فقط لا غير..

لكن هذا لم يستمر فقد أفاق من فوره على صوت ارتطام
شئ بالأرض الصلبة !

و.. انتفاضة جسده العنيفة .. هل ضربت الرصاصة جسده
أخيراً وانتهت حياته ؟!

أم هو ما زال ينتظر مصيره كمن يقف على حافة هاوية!
لكن لا .. لم يحدث له شئ، وهو لم يصبه شئ .
إذاً ما هذا ؟!

فتح عينيه أخيراً ببطء شديد، ليجد الجميع يقفون أمامه
بخير، وهو أيضاً بخير لم يصبه أذى، إذاً ما الذى حدث ؟!

انخفضت عينيه ببطء إلى شئ يقبع تحت قدميه ليجد
جسد رنيم ممدداً أرضاً ... غارقاً فى دماؤه !!!
أما عن الصمت فهو يشعر أن المحيط حوله خلى حتى من
ذرات الهواء !

لا يسمع سوى طنين فى أذنيه، تقطعه دقات قلبه الهادرة !
انخفض جالساً فوق ركبتيه أرضاً وهو يرفع رأس رنيم فوق
قدميه، يتلمس وجهها بكفين مرتعشين وصورتها أمامه



تشوشت بفعل الدموع التي تجمعت أمام حدقتيه، ليمس
أخيراً أمام عينها بنبرة مرتجفة تماثل جسده ارتجافاً :
_ليه .. ليه عملتي كده !؟

ابتسمت بضعف ووتيرة أنفاسها تنخفض على نحو خطير،
وهي تنظر لعينيها القلقتين بعينين تجاهدان كي لا تنغلقا،
لتبادله همسه بأخر ضعيف :

_مكنش .. مكنش ينفع اسيبك تموت ... تموت بدالى، مكنش
ينفع .

ثم بدأت عينها تنغلق شيئاً فشيئاً، فربت هو على وجنتيها
برفق وهو يهتف بوجل :

_رنيم .. رنيم فوقى .. ماتغمضيش عينيكي .. خليكي معايا .



ظل هو على هيسيريته ولم ينتبه لهيتم -الذى ما أن أطلق
الرصاصتين لتصيب إحداهما كتفها والأخرى جذعها،
وتسقط رنيم أمامه بعدما تخلت عن مكانها بسرعة شديدة
لتقف أمام معاذ وتُصاب هي ... ليسقط على ركبتيه أرضاً
دون حراك، حتى لم يقاوم حازم الذى تشبث ظناً منه أنه
سيهرب لكنه فاجأه حقاً بسكونه غير المفسر هذا !

=====

ظل يجرى بما حاذاة السرير الذى ينقلها نحو غرفة
العمليات، وهو يتشبث بكفها البارد بقوة، ينظر لملامحها
التي شحبت كالأموات، أوليس كـ "الأموات" بل لأنها ميتة
فعلاً!

نفى عن رأسه هذا الخاطر الأخير، وهو يتوقف أمام باب
الغرفة الذى اغلقوه أمامه الآن مانعين إياه من التحرك



للداخل .. ذاك الباب الذى استند إليه بجبينه تاركاً روحه
تهفو خلفها !

ظل على وضعيته قليلاً من الوقت قبل ان يشعر بيدٍ تربت
على كتفه برفق لا يخلو من حزم، فالتفت معاذ إلى زين الذى
كان يقف خلفه يراقب حالته المنهارة هذه..
لم ير معاذ ملهوفاً وخائفاً بشكلٍ كهذا من قبل، لكنه يعذره
!

فمن ذاق "مرارة الفقد" مرة، سيشعر بكل من يتعرض
لموقف كهذا يوماً ما بكل تأكيد !

ظل ينظر له طويلاً قبل أن يقول زين بهدوء لم يخلو من قوة
:

_لازم تقوى !

لم يرد ولم يومئ حتى، اكتفى بنظرة حملت كل ما يجيش
بصدره !

والآخر لم يكن يحتاج لتأويل..

=====

بعد وقتٍ طويل !!

أخيراً يراها أمامه، يراها .. ولا بأس إن كان خلف زجاج المهم
أنها بخير..

ظل يتلمس زجاج الغرفة الذى يفصله عنها، وعيناه
مثبتتان عليها وهو يستمع لفارس الذى يتحدث خلفه :

_متقلقش عليها يا معاذ .. هى كويسة؛ الطلقة إالى أخذتها

جت واحدة فى كتفها والتانية كانت فى موقع حساس .. ستر

من عند ربنا اننا قدرنا ننقذها، هتفضل تحت المراقبة

الكام يوم الجاين .. ادعيلها ربنا يعديهم ع خير!!



أوماً دون حديث فصمت فارس متهدأ بإرهاق قبل أن يربت
على كتفه مرة أخيرة ويرحل، تاركاً إياه مع زين والذي حدثه
معاذ بخفوت شديد، خالى من الحياة :

_ عملتوا فيه ايه ؟

_ متقلقش .. احنا عرفنا سكته .. مش هنسيبه !

أجابه زين بثقة فاوماً معاذ بصمت، ولم يرد .. لا يقوى حتى
على حديث، وكأن الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت !!

لا يعرف متى احتلت كل تلك المكانة داخله، لكن ومضات
بعيدة من الماضي تضيئ بعقله كل فترة وأخرى، وذكرى
طفلة جميلة بعينين دخانيتين و صفاء ربنية ساحرة تجتاحه
فتذكره بطفولتها المشتركة مع حلا والتي بالكاد يستطيع
تذكر منها شيئاً يسيراً..

وفي حاضرها .. أنثى هشة، قابلة للكسر تستفز داخله رغبة
دفينة في حمايتها، وتستنفر حميته لأجلها !!



وقلبه الذى لم يكن يخشى الحب يوماً -بعكسها تماماً-
سرعان ما عرف وأعترف بأنه أحبها، دون حتى مبهراتٍ تذكر
!!!

والآن .. لم يفتئ أن وجدها إلا وفقدتها في ذات اللحظة !!
أى حظ ذلك الذى يملكه ؟؟ أى حظ ؟
وكأن وشيجة عداوة قد انبثقت بينه وبين القدر!!
وشيجة تنص ألا يكتمل حبه أبداً !!

=====

تركه زين واقفاً محله وهو ينوى المغادرة، لكن حدس ما
استوقفه أمام باب مكتبها شبه المغلق !!
لم تتثنى له فرصة الحديث معها منذ آخر لقاء بينهما والذى
قالت فيه هى أشياء جعلته يتخبط بين افكاره !
وإن دلف، ماذا سيقول؟ لا يدري، لكنه يريد الاستفسار عما
حدث وانتهى الأمر!



حسم قراره وهو يتقدم ليطرق باب مكتبها بهدوء فأتاه صوتها وهي تسمح له بالدخول، فولج وهو يجول بعينه في المكان للحظة قبل أن تحط عينيه فوق ضفاف الزمرد خاصتها، ظل ساهماً في عينيها التي ابتلعت فكره للحظات، قبل أن يفيق وهو يتنحى بارتباك ويتقدم ليجلس قبالتها ! ملامحها كانت ثابتة بشدة لا يبدو عليها أى توتر، عكس ما كان يجول داخلها من طبول حربٍ انبلجت فجأة من اللامكان !

مرت سحابة صمت ثقيلة من فوقهم، قطعها زين الذى ابتدر الحديث :

_ هو سؤال واحد بس عاوز إجابته .

_ ايه هو ؟

سألته بهدوء زائف، فأجابها بقوة :

_ ايه الكلام الللى قولتيه امبارح ؟ وليه ؟

_ وانا معنديش إجابة على سؤالك يا حضرة الظابط .



جوابها كان صادماً بالنسبة له، هويخشي شيئاً واحداً فقط، أن يكون أحداً يعلم أى شئ عن خطته فيضيع كل تعب هباءً، لكنها لا يبدو عليها معرفة شئ، ومع ذلك كيف قالت ما قالتة؟؟

ابتلع تساؤلاته المضنية كلها وهويستقيم واقفاً ويرحل دون حديث آخر، ومع آخر خطوة خطاها خارج الغرفة تنفست الصعداء وهي تحيط وجهها بكفيها المرتجفين، هي تستحق، هي من ظلت تنطق بالحديث دون حساب، ويبدو أن الأمر جلل لديه !

ها هي ما كادت تقترب منه خطوة إلا وابتعداها هو عشراً !
وكله يرجع لافعالها؛ لذلك هي لا تلومه !

=====

بعد عدة أيام..



مر الوقت المحدد للتأكد من سلامتها .. وها هي تم نقلها إلى
غرفة عادية بالمشفى التى لم يبارحها معاذ من يومها إلا
لساعات معدودة كل يوم !

فى هذا الوقت كان معاذ جالساً جوار فراشها بالمشفى ينظر
لوجهها الشاحب، وشفتيها الزرقاوتين بأسى بالغ !
يعز عليه أن يراها فيما هى فيه وبسببه .

_مكنش ينفع اسيبك تموت بدالى .

من العدم تنبعث جملتها التى قالتها يومها فى عقله، فيغمض
عينيه متأوهاً دون صوت، ياليتها قد أصابته هو، ياليته قد
كان هو مكانها فى هذا المرقد !

استغفر ربه سراً قبل أن يقوم متهدداً عندما صدح الأذان
فجأة، ولى شطره الحمام ليتوضىء ثم عاد ليصلى فرضه..
ولكن أثناء صلاته وهو يولمها ظهره رافعاً كفيه للسماء يدعو
ربه متضرعاً، فتحت هى عينها ببطء شديد، كانت أول مرة

تفريق فيها وهو جوارها، تأوهت دون صوت وهى ترفع ذراعها
الحرّة نحو رأسها الذى يضج بألمه، حاولت أن تقول شيئاً إلا
أن صوتها لم يسعفها فصمتت غير قادرة على الحديث إلى
أن انتهى هو من صلاته، فالتفت لها ليجدها تفتح عينيها
بإعياء والوهن الذى يحتل قسماتها واضح عليها..

لأول وهلة لم يستوعب الأمر كاملاً، لكن الأمر لم يطول بل
هى هنيهة مرت حتى قام بلهفة من جلسته وهو يجثو فوق
ركبتيه جوار فراشها..

كفه يمسد مقدمة شعرها بلطف، أنفاسه متهدجة لا يدرى
لماذا لا يستطيع التنفس، عينيّه سرعان ما غشيتهما غلالة
رقيقة من الدموع وهو يُقر عينيه برؤيتها أمامه، إلى أن تكلم
أخيراً بنبرة خافتة :

ـ حمد الله ع السلامة .

بللت شفّتيها الجافتين وهى تهمس بصوت لا يُسمع :

ـ الله يسلمك، بقالى قد ايه نايمه ؟

_مش مهم، المهم انك بخير.

همس بها مرة أخرى والغصة تحتل حلقه تمنعه من إكمال ما يريد .. موقف مهيب، لأول مرة يجد نفسه أمام عطية القدر السخية هذه فلا يدري طريقة يحمد الله بها على رؤيتها سالمة أمامه..

عينيه تحكى ألف قصة أمام عينها المتعلقتين به فلا تدرى مغزى منهم إلا أنه يحبها بل روحه معلقة بروحها في سمو! حاولت التغاضي عن كل ما فهمته إلا أن وعيها لم يسعفها، وتلاعب الكرى بمعازل جفنها، فراحت مرة أخرى في سبات!

حينها تغضن حاجبيه بقلق، لكنه اطمئن إلى تنفسها المنتظم، فاطمئنت ملامحه أيضاً وظل وقتاً لا يعلم ماهيته جالساً جوارها هكذا متطلعاً لملامحها، لكنه أفاق على ألم ركبتيه فنهض على قدميه، لكن قبل أن يبتعد اقترب منها



ببطء حتى مس شفتيها بشفتيه مساً خفيفاً ثم رفع وجهه
ينظر لها مرة أخرى يكاد يرجوها أن تعود..
ليبتعد أخيراً عنها خارجاً من الغرفة وكأن شيئاً لم يكن..
عقله يحدثه أنه أخطأ؛ فهي لو كانت واعية ما سمحت له
بالاقتراب منها قط ! لكن لا حيلة له في قلبه !!!

=====

بعد عدة أيام أخر..

كانت رنيم فيهم استعادت عافيتها، واستردت شيئاً من قوتها
الواهنة !

كانت جالسة على فراشها بالمشفى وحيدة بينما معاذ الذي
كانت تتلاشه منذ أفاقت قد ذهب إلى البيت لبضع ساعات
ليرتاح فيهم؛ فهو لا يفارقها لا ليل ولا نهار، وهذا ما يؤرق
مضجها بشدة !

لا تتمكن من غرس نظراتها في عينيه؛ تشعر وكأنها السبب في
كل ما يحدث لها ولمن حولها .. فبمجرد ما إن تطأ عينيه

أرض حدقتها لثوانٍ معدودة، تشيح هي بوجهها وكأنها تهرب
من فعل شائن !!

لا تدري تفسيراً لشعورها سوى أنها تشعر بنفسها
حملاً ثقيلاً على الجميع !

وهذا شعور خارج حدود المعقولية اصلاً؛ فمعاذ يؤدي دوره
بتفانٍ، ويبدو أن هذا بالتحديد سبب ارتباكها !!

قطع حبل خواطرها دخول فريدة الى الغرفة؛ حيث كان
تطمئن عليها كما اوصاها فارس في وقت عدم تواجده
بالمشفى، فضلاً عن أنه أى شخص من ناحية زين من قريب
أو من بعيد لن تحتاج هي وصاية لى تعتنى به !

والحقيقة التى تعلو فوق كل هذا هي أن رنيم تحتل مكانة ما
فى خاطر فريدة، ربما لأنها رأت فيها شبح ماضٍ قديم قبل
ذلك !!

ـ هقدر اخرج امته ؟



تساءلت رنيم بخفوت شديد إثر اهراقها، فنظرت لها فريدة
بهدوء وهي تنهى ما تكتبه فى الورقة التى تحملها :

_الحقيقة مش انا اإلى هقرر، دكتور فارس لما يقول، فضلاً
عن ان حضراتكم صحاب المستشفى يعنى فبراحتكم .
خرجت آخر جملتها بمرح مصطنع قليلاً، فضحكت رنيم
بصوتٍ خفيض وقالت :

_يا ستى اعتبرينى مريضة عادية، مليش انا فى قعدة
المستشفيات .

_ان شاء الله قريب نطمئن عليكى بس، ويومين ولا حاجة
تخرجى .

قالت فريدة بتباسط وابتسامتها العذبة تكلل شفيتها،
فطالت نظرة رنيم لها وهي تقول أخيراً بابتسامة مماثلة :

_انتى جميلة اوى يا فريدة ربنا يحفظك، بس حاسة انى
شوفتك قبل كده فى مكان .



مالت إبتسامة فريدة بنوعٍ من الحزن، ثم اجابتها بتأثر وهي
تخشى أن يسبب الأمر "لهما" جرحاً :
_شوفتيني يوم وفاة والدتك، كنت انا إلى واقفة معاكى .

بهتت ابتسامة رنيم قليلاً ثم اومأت إيجاباً بحركة موحية
وهي تتمتم بالرحمة على روح أمها، فأرادت فريدة أن تدير
الدفة بعيداً عن هذه النقطة الآن، فتصنعت مرحها الذى
جذب رنيم حتى انتهى الحوار ويبدو أن فريدة قد راقتها حقاً !

=====

خارجاً من بوابة بيتهم متجهاً نحو بيتها هى، قبل أى شئ هى
على رأس قائمة أولوياته، إن لم تكن أولوياته كلها بالأساس
!

استقل فارس سيارته بشئ من الضيق ثم سار فى طريقه
نحوها، وكل ما يدور بخلده أنه ضائق من الوضع المحيط !



لا يعلم كيف استطاعت درة بكل اقتدار أن تخفى أمر الذى حدث معها على أمها، والأدهى أن عمته انطلت عليها الخديعة، كل هذا سيجعله يجن عما قريب !

زفربحدة وهويتابع الطريق أمامه، ومن ثم بدأ يحدث نفسه .. من يخدع؟؟ ليس هذا ما يؤرق مضجعه، ما يسؤوه هو انسياقه وراء أمر قلبه دون تفكير!! هى رفضته قبل ذلك؛ بدلاً من المرة اثنتين، ومن ثم حين احتاجته وجدته جوارها دون نقاش !

يشعر بنفسه هينة فى نظره .. يشعر بشئ لا يعرف له تأويل !

ما باله لا يرضى ومن تمنّاها تأتى إليه ؟

لا .. المسألة ليست فيما حدث معها وأنه سيكون بينهما عائق .. هو يعلم تمام العلم أن من يكون مهووساً بجسد لم يمسه غيره لهو مريض، لكن يقسم أن تفكيره ليس كذلك .. نفسه هى من تعز عليه بعد الرفض ليس إلا !

استغفرربه سرّاً وهو يعاود التركيز فى طريقه .. إلى أن
انقضت المسافة نحو بيت عمته، فترجل ليدلف بعدها إلى
البيت..

وبعد ترحيب ورسميات كثيرة، هاهو يجلس قبالتها فى غرفة
الضيوف !

منكسرة، حزينة، مطأطأة الرأس على غير عاداتها فى عزتها
بنفسها .. وهذا ما جعل ضيقه يزداد أضعافاً، خاصة وأنهم
لم يتوصلوا للفاعلين بعد !

لسانه معقود داخل حلقه، لا يدرى بأى شئ يبدأ حديثه ولا
ماذا يقول ! كل حروف ابجديته فى حضرتها فقيرة، بل
معدمة !

أخيراً تنحنج بخشونة وهو يسألها سؤالاً تقليدياً عن حالها
بنبرة جاهد لجعلها طبيعية، بعيداً عن الآتون المتقد داخله
.. فتجيبه بإماعة بسيطة !



أغمض عينيه بيأس من أن يمر الموقف على خير، قبل أن
يقول شيئاً كان من الغباء بمكان حيث نطقه الآن :
_كنت عاوز اسألك؛ انتى راضية تتجوزينى ولا حد من
خواتك غصبك ؟

جفניהا المسبلين بخجل ارتفعوا الآن ليكشفوا اللثام عن زرقة
عينها التى اتقدت بشئ لم يستطع هو تفسيره !
ربما استنكار لما قاله .. نعم .. هو استنكار لسؤال غبى كهذا !
بالطبع هى مُجبرة على القبول به، ألم ترفضه بكامل إرادتها
قبل هذا !!

ازدرد ريقه الجاف بصعوبة، قبل أن يهب واقفاً على قدميه
فجأة وهو يقول بتوتر:
_انا اسف .. انا لازم امشى .



أولاهما ظهره مستعداً للرحيل، لكنه ما كاد يبتعد حتى سمعها تقف من خلفه وتطرق بيدها على الطاولة الصغيرة جوارها، التفت لها عاقداً حاجبيه بتساؤل، فأشارت هي نحو الأريكة بحركة موحية فهمها هو من فوره فتقدم للجلوس مرة أخرى على مضمض، جلست محلها مجدداً ثم أشارت له بيدها إشارة أنها تريد هاتفه، فأخرج هاتفه وناولته لها، لتبدأ هي بتدوين ما تريد قوله على هاتفه :

_انا مش مجبرة.. انا وافقت بإرادتي؛ لأن ظروفى متسمحليش بتصرف الاختيار اصلاً.. السؤال هنا أنت اصلاً إالى موافق ومش مجبر.

ناولته الهاتف ليقرأ ما سجلته عليه، فعقد حاجبيه وهو يراها تعكس السؤال بدهاء، تزيح عنها عبء الإجابة والتي تعلم كما يعلم هو أنها ستجرحه .. رفع فارس عينيه عن شاشة الهاتف وهو ينظر بعمق عينيها قائلاً بنبرة صادقة :



_انا مش هقولك راضى ومش مجبر و كل ده .. انا بس عاوزك
تعرفى ان لما الأمر بيتعلق بيكى انا ببقى فاقد لميزة الاختيار،
بتكونى انت الكفة الراحبة قصاد أى شئ !

اسبلت جفنيها بخجل عاد إلى عينيها مجدداً، يديها تحتكان
ببعضهما بشئ من العنف سببه توترها في حضرته، لا تعلم
بأى شئ ترد، لكنه رحمها مما هى فيه حين رفعت عينيها و
رأته يندفع خارجاً من الغرفة..

شكرت له فعلته، ومن ثم غاصت في المقعد الذى كانت
تجلس فوقه .. تقوقعت على نفسها كما الجنين، تشعر
بضعف لم يكن يعرف طريقه إليها من قبل، لكن ومع بالغ
الأسى فهو الآن متمكن منها ببراعة !

قناع قوتها المزيف الذى تواجه به الجميع ما هو إلا قشرة
هشة تدارى بها ما تخاذل من قوتها !

ضعيفة هى بشدة ولا أحد يرى هذا سوى نفسها..



تستعجب حين ترى أمها أمامها تعاملها بكل هدوء وكأنها لا
تشعر مثلاً بما هي فيه .. لولا خوفها عليها من صدمتها لكانت
ارتمت بين ذراعيها تفرغ بين أحضانها الحنونة كل ما اعتمل
داخلها من قهر، حسرة، خوف !!

كوابيسها التي تزورها ليلاً تكاد تفتك بها، لكنها ورغم ذلك لا
تلمح عنها مجرد تلميح حتى ولو لآسر!

ضعف عزمها، خواء نفسها، والتعب الجسدي الذي
أصابها كل هؤلاء يجعلون منها مجرد ظلاً لامرأة كانت تشع
حيوية في عهد مضى ! ولولا بقايا من إيمان قوى عالقة بين
حنايا روحها لكانت انهارت تماماً !

أبحرت درة في بحر خواطرها، تتقاذفها أمواجه بين لُجةٍ و
أخرى، غير منتبهة لذلك الظل الذي كان يطل من خلف
الباب..



ظل أمها التي كانت تقف الآن تنظر إليها من بعيد، بينما عيناها تسكبان من العبرات انهاراً .. يظنونها غير منتبهة ! ولا يعلمون أن قلبها يحترق كلما تلاقت عينيها بعيني أبتها و تدعى عدم الفهم والتصديق لكذبة ألقوها على مسامعها ! هي تعلم تماماً بما مرت ابنتها به، لكنها لا تقوى على أن تواجهها بعلمها..

ترى لو عرفت درة أنها تعلم بما حدث معها، ألن تكون كسيرة النفس، مطأطأة الرأس بتخاذهل ؟! صحيح ستكون ! وهذا ما لن تسمح به أبداً .. ستدعمها لكن مع ادعاء عدم معرفتها !

فهناك أمور تبقى خيراً إن ظلت مخفية ! وأن النبش في "قبور ماضي" مرّوفات، لن يضرولن ينفع، لن يكون سوى انتهاك لحرمة نفسي استحالت من عزيزة إلى ذليلة بين لحظة وضحاها !

=====



(انتى فىن دلوقتى ؟)

رسالة مختصرة عبر تطبيق للتواصل، أرسلها حازم إلى حلا
التي كانت تجلس الآن جوار رنيم فى غرفة المشفى، عينيها
تجرى على الأحرف بسرعة، وابتسامة مُستترقة تتلاعب
بشفتيها، فتعض عليهما بقوة لتمنع ابتسامتها وهي تجيبه
كتابةً بمكانها، فأجابها :

(طب انزلى انا برا المستشفى، معاذ جه وتعالى احنا نروح
اى حطة، ده جوازايه إلى ع الناشف ده)

ضحكتها التي جلجت بعد قراءة الرسالة جعلت رنيم
الشاردة تنتبه لها وقالت غامزة بابتسامة مأكرة :
_الى عطاكم يعطينا .

_قل أعوذ برب الفلق، مانتوا عندكم بس انتى إلى مش وش
نعمة .



قالتها حلا وهى تفرد كفها فى وجهها فضحكت رنيم للحظات
مما ألمها قليلاً فوضعت كفها فوق جرحها وهى تقول
بابتسامة مجعدة :

_يعنى انا كنت لقيت وقولت لا .

تنهدت حلا وهى تنظرلها بابتسامة باهتة :
_كل شئ بإيدك .

ارتجفت ابتسامة رنيم التى أشاحت بوجهها بعيداً عنها
للحظات قطعها معاذ الذى دلف إلى الغرفة بملامح غير
مقروءة وقال موجهاً حديثه لحلا بهدوء :
_انزلى لحازم يا حلا .

اومات حلا بصمت وهى ترشق رنيم بنظرة أخيرة قبل أن
تتوجه إلى الأسفل، تاركة رنيم كما هى ومعاذ الذى تحرك
نحوها، وما إن اقترب منها قال بلا تعبير:
_عاملة ايه دلوقتى ؟

_الحمد لله .

قالتها موجزة، وهى تتجنب لقاء عينيه، فتحرك هو متجهاً
نحو المقعد المجاور لنافذة الغرفة وجلس فوقه ناظراً
للخارج، شارداً عنها، مُدعياً أنه غير عابئ بها !

أما عنها فهمى بمجرد أن ولى دبره عنها التفتت إليه، متأملة
فيه لوقت لم تعرف عدته..

وسيم ؟ ربما نعم أوروبما لا .. فمعاذ من ذاك النوع الذى
يجذبك بهيبته دون أن يكون للوسامة دور هاهنا .. وهل هى
حقاً أنجذبت إليه ؟؟..

بالطبع لا .. هذا ترف مشاعر لا يليق بها !!
تفكير عقيم قطعاً لكنها لا تملك فى أمره شيئاً !

هل ستتركه أو تطلب منه تركها ؟

الحقيقة أن هى نفسها لا تعلم ماذا تريد، ولن تقوى على
طلب هذا منه بعد مساعدته لها ووقوفه بجانبها بشهامة
طوال هذه الأيام !

لا تدري !! وفي حالة كهذه يكون ترك الأيام هي من تدير دفعة
سير الحياة هو أفضل خيار على الإطلاق، ولتترك القدر يرتع
في ربوع عمرها، ربما كان رحيماً بها أكثر من نفسها!

=====

حالما خطت قدمها ارض سيارته، لم تجد نفسها سوى بين
ذراعيه، يحتضنها!

بل يكاد يجعلها تنفذ بين ضلوعه، وكأنه يشبع شوق الأيام
المضنية الفائتة كلها..

ابتسمت بخضوع غريب على طبعها المتمرّد وكأن حلا التي
كانت لم تعد، وتلك المستحدثة بطبع جديد قد دفنت

القديمة بين دفتي كتابٍ ورمته في نهر!!!

ابتعد عنها أخيراً ناظراً لعينها قائلاً بابتسامة جميلة :

_وحشتيني .

هزت رأسها نفيّاً بأسى وهي تقول بقلة حيلة :

_مفیش فایده، وحشتك ایه یا حازم احنا لحقنا .

تبدلت نظرته إلى برود ساخروهویرد بدوره :

_لحقنا ایه یا بت عمی اتقی الله، دانا مشفتکیش من یوم
کتب کتابنا .

صمت هنیة أمام اللاتعبیرالذی يحتل قسماتها، ثم قال
بحماس جاهد لاستجلابه أمام فتورها :

_عامهً .. انا مورایش حاجة انهاردة، تعالی نروح ای حته .
اتسعت ابتسامتها مما جعله يتعجب لتذبذب أمرها نحوه،
ثم قالت بلهفة غريبة :

_هتودینی فین ؟

_هخطفك!

نطقها بطريقة مسرحية استجلبت ضحكتها وهو ينطلق
بالسيارة نحو الوجهة التي يريد !!

.....



ما إن وصل إلى مكانه المنشود أمام كوخٍ بسيطٍ في منطقة نائية عن المدينة حتى خرج من السيارة وجذبها من كفها خلفه، فضحكت عالياً وهي تقول لاهثة بينما تجارى خطواته الواسعة :

_ هو ده خطف ده، عيب عليك يا حضرة الظابط والله .
_ يعنى احنا أن خطفنا ماهو عاجب وأن التزمنا مش عاجب
اعمل ايه يعنى !

قالها وهو يتوجه نحو هذا المكان الذى يشبه الكوخ ويفتح بابه، لتري أمامها المكان من الداخل أبسط ما يكون ومع ذلك كان رائعاً فى بساطته !

المكان من الخارج يبدو مهملاً لكن من داخله يبدو أن حازم قد بذل فيه جهداً .. حيث كانت هناك فى ركن منه أريكة يلتف حولها بضع كراسى مماثلين، وفى ركن آخر جوار النافذة الوحيدة مقعدان خشبيان مع طاولة تنتصف المسافة بينهم وضوء الشمس يسقط عليهم بمظهر رائع !!

اتسعت عيناها وهى تجول بهما فى المكان قبل أن تحط فوق
ضفاف عينيه وهى تقول :

_المكان هنا جميل اوى يا حازم .. انت بتيجى هنا من أمته ؟
_مش من زمان يادوب بس عملت شوية الشغل دول بإيدى .
قالها وهو يتقدم منها محتوياً كفيها بين كفيه، مردفاً :
_كنت بعمله عشانك، فكرت انك مش بتحبى الأماكن
الدوشة والزحمة، فجبتك هنا فى نص الطبيعة .. مكان
معزول نبقى نيجى فيه بعد كده وقت الفراغ ده لوبقى
عندنا فراغ اصلا .

ضحكت ضحكة مشرقة تغضنت لها عيناها اللتان جالت
بهما فى المكان مرة أخرى، ومن ثم مالت إليه محتضنة إياه
بلطف !! فى أول بادرة تصدر عنها تجاهه !

تجمد حازم مكانه للحظات مبهوتاً، وهو لا يصدق بعد ما
فعلته حلا .. لكنه أفاق سريعاً قبل أن يضيع سحر اللحظة



وهو يحاوطها بذراعيه حتى كادت مقدمة حذاءها لا تلامس
الأرض تحتها !

ضحكت حلا برقة وهي تؤرجح قدميها في الهواء بطفولية، ثم
همست جوار أذنه بخفوت :

_بحبك !

_قولها تانى .

بتلقائية أجابها وكأنه كان ينتظر كلمتها ليجعلها تعيدها مرة
بعد أخرى، وهي الأخرى لم تمنع بل أعادتها على مسامعه
بخفوت أكثر:

_بحبك يا حازم .

انزلها حازم برفق لتحط قدميها على الأرض مجدداً وتنظر
في عينيه مباشرة؛ لطولها الذى يقارب طوله إلا سنتيمترات
قليلة .. قبل أن يقول حازم بنبرة جادة بها من الود ما كان
ليجعلها تصدقه، تحبه، بل وتزداد يقيناً بصواب اختيارها :

_اوعدك ي حلا.. انى عمرى م اخليكى تندمى انك قولتيها،
اوعدك، ووعد الحردين .

ابتسمت ابتسامة واسعة لم تملك غيرها فى هذا الموقف،
حصيلتها من كلمات الغزل والرومانسية لا تساعدنا فى
موقف كهذا؛ فحصيلتها تحت المستوى المتدنى بطبيعة
الحال؛ لذلك كانت ابتسامتها المشرقة هى أبلغ جواب من
الممكن أن تقدمه !!

وهو لم يكن يحتاج لأكثر من هذا، خيرٌ هوبها، ويحمد الله
على ذلك فهذا سيساعده كثيراً إن مرت على حياتهم أيام
عُجاف !

وبالتأكيد ستمر !!!

=====

اليوم .. قرر أن يفتح عمته في شأن زواجه منها، هذا قرار لم يعد يحتمل التأجيل !! زوجة عمه معاذ على وشك التعافي و كذلك درة التي جاءه نبأ موافقتها هي وفارس على الزواج، لذلك لم يتبقى غيره .. وابنته أولى بوجود يارا جوارها هذه الأيام !

أوليكون صريحاً مع نفسه، هو أولى بوجودها جواره !!!

وقف أمام بيتهم منتظراً، ففتحت عبيرو بمجرد رؤيته اكتست ملامحها ببعض الدهشة ! ما بالهم أولاد حسين اليوم يتوافدون على بيتها، واحدٌ يرحل والآخر يأتي لاحقاً به، هل العيب فيهم أم في بناتها يا ترى ؟؟؟!!

_اتفضل يا مصطفى .

قالتها وهي تدعوه للدخول بابتسامة باهتة قليلاً، فدلف مصطفى خلفها وبعد الكثير من الأحاديث غير المجدية قرر الدلوف في صلب موضوعه !!

لكنه لاحظ اختفاء يارا من المكان ومعها ماسة التي كانت
تبنت ليلتها لديها، ليس من عادات يارا أن تتأخر عليه لو
تواجد، بل تكون وكأنها تشتم رائحته عن بعد فتأتيه متلهفة
!! ما بالها اليوم لا تأتي !؟

كاد يسأل عمته عنها لكنه ما كرب يفعل حتى وجدها تدلف
إليهم لاهثة بتعب وكأنها كانت تعدو، وخلفها شبحٌ ما، جبينها
متعرق بشدة، القلق بادی على ملامحها، لكن العجيب أن
فوق ذراعها كانت تستقر ماسة ضاحكة عالياً وتلوح بيديها
في الهواء، فابتسم مصطفى لها تلقائياً دون أن تفوته تعابير
يارا، قام ليأخذ الطفلة منها .. بينما هو ما إن اقترب حتى
افتعلت ابتسامة واسعة وهي تناوله الطفلة ومن ثم ارتمت
جالسة جوار أمها، ويديها المرتجفتين امسكتا بذراع
الكرسي وقبضت فوقه بشدة .. اضطربت عبير وهي تسألها :
_مالك يا يارا فيكي ايه .



_ها لا مفيش حاجة بس كنا قاعدين انا وماسة برا وهى زحفت عند البسين وكانت هتوقع لولا انى لحقتها بس؛
عشان كده مخضوضة شوية .

قالتها وسط لهاثها فأومأت عبيروهى تعاود للحديث مع مصطفى الذى مهد للموضوع بلباقة قبل أن يُلقى عرضه :
_عاوز اطلب ايد يارا منكم رسمى يا عمتى .

أما يارا التى كانت تلهث منذ قليل وكأنها تعدو فى ماراثون فقد سكنت تماماً مكانها دون حراك وكأن الصدمة قد شلتها، بينما عبير قالت بابتسامة رزينة :

_ومالويا ابنى .. فاتح عمك خالد فى الموضوع وانا عن نفسى معنديش مانع، الرأى ليه هو ويارا .

_وانا موافقة !!!

قالتها يارا فجأة بحدة وكأنها تخشى أن يعود فى حديثه مرة أخرى، لا لهفة، لا خجل، لا سحر اللحظة كمان كان يظن



حالتها سيكون بعد علمه بحبها الشديد له ! كل ما في الأمر
كان يشبه الخوف أو الهووس !

عقد حاجبيه وهو ينقى أفكاره من خواطره الغريبة تلك ثم
أفاق على ضحكة عمته المفتعلة لتدارى بها الحماقة التي
افتعلتها ابنتها وهي تقول :

_ طيب وأدى العروسة موافقة، تبقى فاتح عمك خالد بقى
ونفرح ببيكم قريب مع درة وفارس .

ابتسم مصطفى بتكلف وهو يومئ برأسه موافقاً، ولكن
نظرة القلق التي اكتست عينيها بها في آخر لحظة التقت بها
عينيها بعينه هي ما جذبت انتباهه للحظة..

هو يقدر قلقها من أن يضيع من بين يديها في لحظة ما، لكن
نظرتها تلك غريبة .. بل كل أفعالها اليوم غريبة الأطوار
!!!!!!!



أما عنها فهي كادت تتمنى أن تختفى من هنا في لحظة ..
اللحظة التي انتظرتها طوال عمرها حين يتقدم رسمياً لها
ضاعت فرحتها فيها فداءً للخوف !!
خوفٌ من أن تفقده، خوفٌ من أن يفتضح أمرها وأمرها
أقدمت عليه من تهور مؤخراً !

====



الفصل الثامن عشر

=====

_الف حمد الله ع السلامة، تقدرى تخرجى انهاردة؛
هتوحشنا لولا انك لازم تخرجى كنت قولتلك خليكى هنا كام
يوم معانا.

قالتها فريدة بابتسامة وهى تساعد رنيم لتقف على قدميها
بعدها سبق وساعدتها فى تبديل ثيابها؛ استعداداً للخروج
من المشفى !

مرت عدة ايام أخرى على وجودها فى المشفى وكان احتكاكها
بمعاذ شبه منعدم، لا تعلم لماذا لكنها تخشى تلاقى عينيها
بعينيها، ربما هو خوف من ان تظلمه بجحودها تجاهه، أو
أن تظلم نفسها إن سمحت لها بالوقوع فى فخ الحب
مجدداً!



_والله انتى هتوحشيني اكتر بس مش هنروح بعيد، نقدر نزور بعض ولا انتى ناوية تنسينى بقى يا دكتورة .

قالتها رنيم مبتسمة وهى تقف قبالتها، فردت فريدة بنفس الابتسامة :

_لا والله هزورك وقت ما الظروف تسمح، حمدالله على سلامتك .

ما كادت فريدة تتم جملتها إلا وقد دلف معاذ من خلفهم بملامح مبتهجة بعض الشئ هذا اليوم، إلا أن القلق الذى يتمشى فوق قسماته بدا واضحاً خاصةً لعينى رنيم التى تعلم أنه جلّ ما يخشاه أن تطلب هى الابتعاد، وهولن يقدر على منعها !

اقترب حتى تقلصت المسافة بينهم تماماً، فى حين انسحبت فريدة بصمت مُفسحة لهم المجال، فنظرت رنيم نحوه لأول مرة منذ أن أتت !!



عينيه كانتا تحكيان حكاية عجيبة بطلتها هي بالطبع، بينما
شفتيه المزمومتين بترقب تشيان بكم القلق الذى يعانيه..
_حمد الله ع السلامة .

كلماته قد خرجت من بين شفتيه أخيراً، لكنها كانت خافتة و
مهتزة، فتهدت رنيم دون صوت وهي تجيبه الإجابة التقليدية
دون إضافة، وهذا ما ضاعف قلقه وهو يقودها نحو الخارج
!

كفه امسك بيدها بتلقائية وهو يهتف بها :
_يلا عشان نمشى .

أولها دبره وهو ينتظر أن تسحب يدها منه، أو يكون رد
فعلها على فعلته عنيفاً على الأقل .. لكن ولصدمته لم
تفعل، بل عندما تحرك خطوة تحركت هي خلفه دون
اعتراض !

واصل تقدمه إلى أن خرج من المشفى نهائياً وهي بيده
مستسلمة استسلام لذيذ !

يعترف أن لذة التعامل معها بعصبية لا تقل عن وداعتها
بهذا الشكل !

بينما هي كانت في عالم آخر من التردد والذي لم يشعر به
هو!

لأول وهلة قررت تعنيفه وسحب يدها منه، لكنها ولسبب
غير معلوم لم تفعل، بل انسأقت ورائه بانصياع تام غريب
عنها معه !

وقفا متجاورين، متشابكي الأيدي أمام زين الذي كان
ينتظرهما أمام السيارة ليقلهما، لكن نظرة ذات مغزى من
معاذ جعلته يبتسم بتكلف وهو يقول :

_حمد الله على سلامتك يا رنيم .. معلىش انا لازم امشى ورايا
مشوارمهم لازم اقضيه .

ابتسمت رنيم وهي تجيبه برسمية نوعاً :
_الله يسلمك .

_ماشى يا زين، روح أقضى مشوارك واحنا هنروح .

قالها معاذ مبتسماً، قبل أن يفتح الباب لرنيمة التي ركبت
السيارة غافلة عن غمزة زين الخفية لمعاز!
هزم معاذ رأسه بيأس وهو يستقل جوارها السيارة لينطلقوا
بها أمام ناظري زين الذي وقف وحيداً، صفر اليدين أمام
المشفى وهو يتمتم من بين أسنانه بغيط:
_عني اعمل ايه دلوقتي .. حبكت يروحوا على انفراد و
ياخود عربيتي يمشي بيها، منك لله يا معاذ.

_معلى بقى عمك، هنقول ايه .
التفت زين على الصوت الرخيم الذي أتاه من خلفه،
فالتفت ليرى فريدة جالسة فوق درجات السلم القلائل
أمام بوابة المشفى الرئيسة كمن يجلس على "باب السيدة"
ليتسول !!



لاحت ابتسامة ساخرة فوق شفثيه مع طرافة تشبيهه لكنه
محاها بصرامة، حيث لم ينسَ لها موقفها وعدم إراحته
بإجابة شافية بعد..

التفت لها بكليته، وقف أمامها مكتفياً ذراعيه أمام صدره
القوى وهو يقول بنبرة لاذعة :
_هورأى يُحترم وكل حاجة، بس مش فاكرانى طلبت رأيك .

زمت شفثيها وكأن تقريعه قد مس شعرة واحدة من شعيرات
إحساسها مثلاً، ثم قالت بسخرية تماثله :
_خسرت كتير على فكرة، أنا رأيي دائماً مفيد .
_فريدة انتى فاضية وموراكيش حاجة صح .

طفح به الكيل من سذاجتها اللزجة، فهتف بها بعصبية،
لتجيبه هى ببرود أعصاب منقطع النظير:
_فاضية اوى يعنى، لسه مخلصه شغل ومستنية احمد يجرى
ياخودنى .

زفربحدة وهو يرشقها بنظرة ثاقبة شملتها كلها في لحظة،
نظرة ساخرة نعم ! لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لها، فنظرة
بسيطة مثل هذه رفعت الدم لوجنتيها، فتخضبتا بحمرة
قانية، وكأنه ألقى على مسامعها أروع عبارات الغزل لتوه !!
أما هو، فوجد قدميه تنساقان دون إرادة فعلية منه
نحوها، قبل أن يرتدى جالساً جوارها فوق درجات السلم
كالشحاذين، زفر مجدداً وهو يرمقها بطرفٍ خفى ويقول
بعصبية إثر الموقف القديم الذي لم ينساه بعد :

_فريدة انتى عاوزه ايه ؟

_انا مش عاوزه حاجة، انت إالى بتطلع في طريقى كل مرة
مش العكس .

ولم تكن تكذب في هذه الجملة بالتحديد، هو فعلاً من ظهر
لها ليست هى من بحثت عنه، هو من تجده فى أى مكان و
ليست هى من تذهب إليه، هو كل شئ وأى شئ، هو بعينها

الكون ومن فيه لو أراد الصراحة، لكنها لن تعترف، ولن تقول !

بعد أن قالت جملتها أشاحت بوجهها عنه، وقد بدأ بعض الضيق يتسلل إلى نفسها .. ازدرد زين ريقه بتوتر لا يعلم له سبب، لكنه في حضرتها يشعر بنفسه مكشوف حدّ الشفافية، روحه عارية أمامها، معلومات كالتى تعرفها عنه يمكن لأي شخص فضولي أخرج معها ببعض البحث فقط، لكن الغريب أنها تعلم نفسه، تعلم سريره وكأنها تشعر به..
_انا بحس بيك .

جملتها خرجت من بين شفرتها كرداً متأخراً لما سأل عنه قبل ذلك، مطابقة لتفكيره وكأنها بالفعل شعرت بما يفكر وقالت أنها تشعر..

بماذا يحدث نفسه ؟؟ الأمر أصبح معقداً !!
اردفت فريدة دون أن تتجراً على النظر فى عينيه، فبقيت تحديق فى الفراغ أمامها :



_بحس انت بتفكر في ايه، اى انسان عنده شوية احساس لما

يعرف حكايتك هيعرف يحس بيك مباشرة .

_بس مش لدرجة انه يفهم انا بفكر في ايه .

_احياناً لما بيكون احساسنا بالشخص ده عميق لدرجة

كبيرة، هنفهمه من نظرة عينه، مجرد نظرة هتعرف منها هو

عاوز ايه وبيفكر في ايه .

_مش فاهمك .

_عندك مثلاً .. أم وبناتها الصغيرة، تخيل الطفلة دى هتفهم

نظرة امها ازاى، إلا أنها فعلاً بتفهمها، لما تبص لها بحنينة

البنت بتفهم ماماتها حالياً مبسوبة منها، لما تبص لها بتحذير

على اى موقف عملته بتفهم برضوان إالى بتعمله حالياً

غلط، لما بتبقى نظرة الام عصبية و غضبانة البنت بتفهم و

بتبعد تلقائياً .. الفكرة هنا أن الرابط بين الأم وبناتها اقوى

علاقة على وجه الأرض -من وجهة نظرى-.. كذلك الأمر

بيتوقف بس على قوة الرابط والعلاقة بين الشخصين،

علاقتنا قوية هفهمك، علاقتنا لوسطحية مش هفهمك
ولو حطتلى نفسك فى "كتالوج".

_بس احنا عمر علاقتنا ما كانت قوية يا فريدة .

قالها مُقرأً أمراً واقعاً، فالتقت نظراتها بنظراته أخيراً،
وقالت بنبرة خافتة بعض الشئ :

_من وجهة نظرك انت عمرها م كانت قوية .. لكن
بالنسبالى، ففى قوية بما فيه الكفاية انى افهمك دون كلام .
وكعادتها ألقت بنبذة عن طبيعة تفكيرها المعقد أمامه ثم
نهضت فجأة استعداداً للذهاب، لكنها ما كادت تخطو
خطوة واحدة إلا وقد وجدت كفه تقبض على معصمها بقوة
مؤلمة، وقال بصوتٍ خفيض :

_متهربيش يا فريدة، هتفهمينى ليه كل ده دلوقتى، مش
هتسيبينى فى حيرتى تانى .

ظلت واقفة أمامه بثبات، ترمقه بنظرات واثقة تنافى هذا
الذى ينتفض كأرنب مذعور فى يسارها .. إبهامه الذى استقر

فوق معصمها استشعر نبضها الذى تسارع بقوة رغم
ملامحها الثابتة ثبات الصخر لا يدل على ما يشعربه منها
سوى التفاتة من عينيها صدرت عنها فجأة..

كانت مجرد التفاتة فقط، افصححت بها عينيها الشفافتين
عن كل ما يجول داخلها، واللبيب بالإشارة يفهم إذا !!
ظل يحدق فى عمق عينيها وقتاً لم يدرى كنهه إلا أنه وجد
نفسه يهمس فجأة دون حساب للكلمة :

_انتي بتحبينى !!

بإقرار أم بسؤال يقولها؟؟ لا هو يعلم ولا حتى هى، نبرته
كانت مهتزة، تتأرجح بين خيارين كلاهما عذب، وكلاهما مرُّ
كالعقم..

رغم ثبات ملامحها الذى لم يتأثرا هتزت حدقتها قبل أن
تغشاهما غلالة رقيقة جداً من الدموع !



وكأن دموعها تؤيد حديثه، وكأن دموعها تتأمر معه ضدها ..
أتزعم بأن عينيه هما الشفافتان، فما بال عيناها تكادان
تنطقا بحبه دون كوابح ؟!

_فريدة !!

صوت أحمد جاء منقذاً لكليهما بعد القنبلة التي نُزع فتيلها
للتو، منقذاً كليهما من انفجار وشيك كاد أن يحدث ! لكن
هذا لا يمنع أثره بالتأكيد !!

التفت فريدة بابتسامة مفتعلة وهي تقول بمرح تستجلبه
بمهارة :

_ما لسه بدرى يا استاذ، سايبني هنا فى الشمس لوحدى .
رغم مرح كلماتها إلا أنها شعرت بنظراته تحرق ظهرها الذى
توليه له ومع ذلك لم تهتم بل استمر حديثها مع أحمد لبضع
جملٍ بسيطة، قبل أن يلتفت أحمد لزین متحدثاً معه ببضع
كلمات كانت مشوشة، ثقيلة على ذهن زين كى يستوعبها الآن
بعد ما عرفه لتوه..

انصرف أحمد ليركب في سيارة الأجرة التي أتى بها وركبت بها فريدة أيضاً بمجرد ما إن انتهى حديثها معه، وأثناء مرور السيارة من أمامه، تلاقت عيناهما، وكان لهما حديث طويل لم يستطع كلاهما فك شفراته .. كل هذا قبل أن تختل إحدى دقات قلبه حين توارت عن ناظريه وكأنه لتوه أفاق، لتوه فهم معنى ما قيل منذ قليل !!

فريدة تحبه .. تحبه هو !!

بينما هو يرفض حبها كجاحد في أرض طيبة لا يستحق أن يكون فيها .. فريدة التي كانت بمثابة لغزٍ عصي عليه فهمه، أصبحت الآن أكثر أهل الأرض شفافية، وكأن الأدوار قلبت وبقى هو يفهمها، بينما هي لا تفعل !!

ومن الطبيعي هذا بالتأكيد؛ فهو قد اكتشف سر البلورة السحرية التي كانت تراه من خلالها !!

وماذا عنه هو! هو الآن متخبط كما لم يكن من قبل وكما لن يكون بعد ذلك !!



طوال طريقه وهو يمثل عدم اللامبالاة بها ولا بتأوهاتهما
الضعيفة جواره إثر تعيها .. عيناه مثبتتان على الطريق
أمامه بتركيز كاذب، وهى جواره تنن تعباً !!

ولكن تعرقل السيارة فى مطب على الطريق جعلها تندفع
للأمام ثم للخلف مرة أخرى، فتعالى صوتها لاصطدام
ذراعها المصاب بالمقعد بعنف .. مما جعله يفزع وهو يقف
بالسيارة فى جانب الطريق، مُلتفتاً لها بسرعة ويده تلقائياً
حطت فوق الجرح فى جذعها .. وهو يقول بلهفة :

_حصلك حاجة ؟

ارتبكت بشدة حين شعرت بكفه فوقها رغم أنه لا يلمسها
فعلياً، فأزاحت كفه عنها بارتباك وهى تتمتم :

_مفيش حاجة دراعى اتخبط بس .

تنفس الصعداء وهو يراها بخير، إلا أنه عاد وعبس وهو
يراهها تتلاشى لقاء عينيه مرة أخرى..

ما بالهما عيناه؟؟ أهما مخيفتان مثلاً؟؟

_ بصيلي يا رنيم !

بجدية يشوبها إصرارقالها، بعدما فاض به الكيل من

تلاشيها له، فنظرت له ببعض التردد لكنه غرس نظراته في

عينها بقوة وهو يهمس :

_ليه بتتجاهليني ؟

_مش بتجاهلك .

تلقائياً إجابته مما دل على كذبها ببساطة، أشاحت بوجهها

بعيداً عنه وهي تقول بتوتر:

_ أرجوك يا معاذ يلا نروح .

_مش هتحرك غير لما تردى على سؤالي .

_وانا قولت معنديش إجابة .

أخيراً كشفت اللثام عن حدة كلماتها حين قالت جملتها

ببعض العنف، فثار هو بالمقابل وهو يقول بحدة تماثلها :



_مش مشكلتي، دلوقتي هتقرري، هتيجي معايا ولا اروحك
بيتك وورقتك هتوصلك .

بنظرة لازعة رمقته وهى تقول بسخرية مريرة :
_كلك شهامة والله .

رفع كفه مفروداً يمسح به فوق صفحة وجهه فى توتر..
ثم ودون حساب لخطوته، أمسك بكفها بين يديه ناظراً فى
عمق عينيها بقوة هامساً :

_أرجوك يا رنيم .. أرجوك أديني فرصة، مش هدعى انى
قاصد اساعدك اوغيره لان اصلا الدعوة إالى كان هيثم
رفعها سقطت بحكم القبض عليه، انا بحبك، وده إالى
مخلينى لحد دلوقتي متمسك بيك .

صمت لبرهة وعيناه تتلونان بشئ من الإصرار مع استطراده
:

_عاوزانى كملى، مش هتقدرى والله هبعد بس مبقاش كده،
محبش ابقى ف الرمادى!!

اختنق صوتها في حلقها، ولم تستطع الرد !
المنطق هاهنا يحكى أن معاذ رجلٌ لن يُعوض .. لكنها منذ
متى تهتم بالمنطق أو حياتها تتخذ أى شكل من أشكال
المعقولية، هى مجرد عشوائية تحياها، ولم ترى أحد مثلها !!
_وديني لحلا .. ارجوك .. عاوزه حلا .

نطقت أخيراً، ومع قولها ارتسمت خيبة كبيرة على ملامحه،
لم يكن هذا الرد الذى توقعه، رغم أنه توقع الأسوأ، لكن
ليس الرد المحايد أبداً .. لكنه استدار عنها مرغماً وهو يعيد
تشغيل السيارة وينطلق بها، لكن دون أن يترك كفه راحتها
التي يحتويها..

غرقت هى فى بحر حيرتها، تاركة يدها فى كفه!
هذا هو جلّ ما تستطيع تقديمه له !! كفها فقط، وهذا دليل
كافٍ لما تريد إيصاله لهم، لا طاقة لها لإعطاء أى شئ ! هى
فقط تريد حلا الآن، تريد أن ترتدى بين أحضانها فقط حتى
تغضى !!



وهذا يشى بمكانة حلالديها؛ فهى ليست مجرد صديقة الآن،
بل هى كل العائلة التى فقدت !

=====

عاد زين إلى البيت بعدما قام بزيارة منة بعد اللقاء الكارثى
بينه وبين فريدة !

ارتعى فوق سريريه فى غرفته بعشوائية وراح يفكر..
أنه كان يحتاج لزيارة منة .. يحتاج لأن يراها هى تحديداً فى
موقف كهذا !

براءة منة وعقليتها تدعمانه، بالطبع لم يقص عليها أى شئ،
لكن مجرد رؤيتها بالنسبة له كافية !

كافية لأن تثبت له أن تعبته لم يضع هباءً، منة هى المثال
الحى لنجاحه فى الحفاظ على أمانة والده .. وهو ما كان
يحتاجه ليثبت أركان نفسه التى زعزعتها الخمرية، زمردية
العينين !!

كيف أحبته؟ هو لا يعلم، ولكن هذا يفسر لما هي تفهمه بهذا
الشكل، وكيف واتاها الفضول لأن تتقصي أخباره وتعرف
عنه كل هذا !!

ابتسم بسخرية..

تعرف فقط ! بل هي تحفظه كخطوط كفها وتفهمه كما لم
يفهم أحد من قبل !

وكانها حين أحبته قالت لنفسها "قُصِّيهِ، فَبَصُرْتُ بِهِ" من
فورها !!

حرك وجهه بيأس إلى الجهة المقابلة، فأصطدمت عيناه
بصورة ذكرى المؤطرة والموضوعة جوار سريره !

غامت عيناه للحظة وهو ينظر لها، لكنه تحدث بصوتٍ
مسموع وكانها أمامه :

_متزعليش !! هجبلك حقك، ده إالى اقدر اقدمهولك .

صمت لبرهة ثم استطرد :

_هى حبتنى، وانا حبيتك مش هنكر، لكن هى الموجودة مش
انتى، انا مؤمن أن فيه شئ اسمه قضاء وقدر، وانتى كنتى
القضاء، لكن هى كانت القدر.

ظل على حاله للحظات طالت قبل أن يتمتم :
_سامحيني يا ذكرى، لكن ...

ولم يجد تكملة ل "لكن" هذه فى جملته !!
فماذا سيقول ؟؟ يحب فريدة مثلاً !!
لا هو لم يعترف على الأقل لها أنه يحبها، ولا يجزم بأنه لا
ينجذب إليها، يكفيه فقط أن يُذكر نفسه بانسياب لسانه
أمامها يسرد كل ما فى خاطره وهو سيعرف حق المعرفة أنه
كاذب فاشل تماماً !!

=====



وقف أمام اللافتة العريضة والمعلقة فوق المبنى الذى
ينتصب الآن أمامه !!

دكتور **** طبيب نفسى !!

ظل ينظر للتخصص طويلاً فى تردد !! أيدخل أم لا؟! وهل
بضع كوابيس يراها ليلاً تستحق أن يزورها طبيب نفسى يا
ترى ???

ياليت الأمر يقتصر فقط على الكوابيس، لكنه مشئت،
عقله مشئت كلياً، هو فقد الذاكرة نعم !! لكنه يشعر أن ما
خُفى عنه من الفترة التى نسيها عظيم، ولا أحد من عائلته
يفصح بشئ !! بل كلهم يدعون بأن كل شئ على ما يرام !!
لكن هو.. هو ليس على ما يرام أبداً !!!

استرق شهيقاً طويلاً من الهواء حوله ثم زفره بحدة وهو
يصمم على قراره بزيارة الطبيب !!



صعد نحو العيادة الخاصة به ثم دلف إلى الداخل، بعد أن
اعلمته مساعدة الطبيب بأن دوره أتّ جلس على مقعد في
الاستراحة منتظراً بملل !

لكن الملل لم يطل حيث وجدها تدلف هي الأخرى من باب
عيادة الطبيب !!

اتسعت عيناه بمفاجأة !! ماذا تفعل داليدا هنا ؟

أما هي فبعد أن أنهت حديثها مع مساعدة الطبيب وتوجهت
للجلوس في الاستراحة مع باقى المرضى .. حطت عيناها فوق
ضفاف عينية ! أى صدفة غبية تلك التى تجمعها معها هنا
الآن !!

وما الذى أتى به هو أصلاً هنا ؟؟

ابتسمت بتكلف ابتسامة مهتزة قبل أن تختار أبعد مقعد
عنه فى المكان وجلست فوقه، إلى أن جاء دوره الذى يسبقها
فدلف إلى الطبيب الذى لم يشعر أدهم أنه أرتاح له تماماً،

لم يشعر بأنه لديه استعداد لأن يفصح له عن مكنون ما
يشعر به، لذلك اخترع حكاية وهمية عن الكوابيس التي
تزوره دون أن يذكر أى شئ عما يشعر به، وانتهى اللقاء
بوصف الطبيب له أدوية، هو بالطبع لن يقرها !!

خرج فدلفت هى خلفه لكنه بقى منتظراً إياها فى سيارته
أسفل البناية؛ لشئ هو لا يعلمه، ما هى إلا حاجة فى نفس
يعقوب قضاها !!

وحين لمحها تخرج من البناية تلتفت حولها كمن فعل لتوه
فعلة شنعاء ويخشى أن يكشفه أحد !

وكأن الطبيب النفسى شبهة ما ستلتصق بها !
خرج من سيارته بسرعة يعترض طريقها وهو يقول بابتسامة
:

_داليدا !



قال اسمها وكأنه يستعذبه، فابتسمت هي ببعض التردد و
ذكرى شعورها بالخزي بعدما صرح أحمد بحقيقة وضعها
أمامه تعاود لاحتلال شعورها كاملاً!!
خزي!! تحديداً هذه هي مشكلتها..

ماضيها في نظرها ماهو إلا وصمة تمنعها العيش بسلام على
الرغم من أنه قد انتهى، بل دُفن في مسواه كما تُدفن
الجثث؛ إلا أن بقايا من أرواحها تحوم حولنا، تماماً كما
يحوم الماضي حولها كروح لكنها شريرة!!!
_ اهلا يا باشمهندس .

اتسعت ابتسامته وهو يقول :

_ صدفة سعيدة، مبسوط انى شوفتك انهاردة .

_ ايه السعادة في كده حضرتك، احنا عند دكتور نفسى لو
مش واخد بالك .

قالتها بسخرية هازئة فلم تهتز ابتسامته متجاهلاً لحديثها
مؤقتاً، وهو يشير لها إشارة موحية وقال :



_هعزمك نشرب قهوة فى كافية قريب هنا، اتفضلى معايا .

ترددت للحظات طويلة؛ بل كادت ترفض وهو المفترض أن
ترفض ! لكن حدسٌ غبى داخلها حثها على مجازاة الأمر، تريد
قربه وفقط لهذا !!

لذا ابتسمت وهى تومئ موافقة، لتسير جواره نحو المقهى
القريب كما قال !!

====

لما بدا يتثنى، حبى جماله فتنا..

أمرُّما بلحظة أسرنا..

غصنٌ ثنا حين مال..

انبعثت الألحان الناعمة فى المقهى الفاخر الذى دلفا إليه و
يبدو أنه معتاد أن يرتاده حيث أتاه النادل وسجل طلبه



بسرعة ثم ذهب ليحضرها، فيما نظر هولها نظرة أخيرة
مرتبكة؛ أستعجبتهما هي فيه !

رجل مثله يرتبك أمامها هي ! كيف بالله عليه !!؟
أشاح أدهم بوجهه عنها وهو ينظر لأمواج البحر التي تتلاطم
أمام عينيه عبر زجاج النافذة، كما افكاره المشتتة تماماً !!!

وعدى ويا حيرتى..

من لى رحيم شكوتى..

فى الحب من لوعتى..

إلا مالك الجمال.. إلا مالك الجمال..

تنهد أدهم بضيق وأفكاره تعاود جذبه نحو قاع كوابيسه
المزعجة مرة أخرى لكنه ينحيا وهو يستمتع باللحن الشجى،
بل يستمتع بقربها منه دون أى حديث .. يكفى بأن يشعر بها
قريبة !

التفت لها أخيراً بعدما كانت بدأت تمل وقال بابتسامة :

_ليه بقى خايفة حد يشوفك عند الدكتور النفسى .

مطت شفتيها بجهل وهى تقول :

_مش فكرة انى خايفة حد يشوفنى بس طبيعة إالى بيشوف

حد خارج من عند دكتور نفسى بيقولوا عليه مجنون .

جلجت ضحكته الرجولية مما جذب إليه بعض الأنظار

الأنثوية فى المكان .. فنظرت له باستغراب .. هو غريب الأطوار

قليلاً اليوم !!

لكنه عاد وقال :

_على كده بقى انتى شيفانى مجنون !

ابتسمت بإدراك وهى تخفض عينيها للحظة ثم رفعتها

تزامناً مع ضحكها التى سرقت نبضة من نبضاته، قبل أن

تقول بتباسط :



_مش كده والله، حاشا لله، بس هي نظرة الناس عامةً للى زينا.. مانا لسه خارجة معاك من هناك .

ضحك مرة أخرى وقد راقه الحديث :

_تفكيرك غلط اوى، عمرالدكتور النفسى م كان عيب؛ المرض النفسى مرض زى اى مرض قابل للعلاج .. نظرة الناس عامةً إالى بتقولى عليها .. دى نظرة عقيمة اوى .

ابتسمت ابتسامة صغيرة وهى تهزكتفها بلامبالاة قائلة :
_نفكيرى ساهل زى اى حد، يمكن انت عندك نظرة تانية
لأنك تفكيرك غير .

_تفكيرك ساهل اه، بس صعبة اوى أن حد يوصلك .
احتملت جملته الشاردة عدة معانٍ، فلم تهتم لمعرفة مقصده حتى، وساعدها مجئ النادل بقهوة أدهم والعصير



خاصتها الذى رفعته نحو شفتيها على استحياء وهى تتلاشى
نظرات عينيه !!

أما هو فلم يكن مستمتعاً مع أحد كما هو معها، إنما هى
النفس تميل لمن يفهمها فقط لا غير، ويبدو أنها مشتتة
الخاطر مثله، فالطيور على أشكالها تقع على كل حال !!!

جميلة ؟؟ نعم جميلة جداً فى الواقع لكنها تفتقد للثقة فى
جمالها هذا، تفتقد لأن تؤمن أنها إنسانة تستحق!
وربما كان هذا سبب ذهابها للطبيب النفسى !!
كل هذا فهمه من نظرات عينيها التى كانت تتوزع هنا وهناك
على كل من يجلس بالمكان وكأنها تراهم جميعاً ينظرون لها
بسخرية !!!

نفسٌ مهتزة تعانى هى منها، ويبدو أنه هو مثلها أيضاً !!!!

=====

(انتى فىن يا يارا .. انا عاوز ماسة)

رسالة مختصرة عبر تطبيق التواصل بعثها لها بعدما مرّ عليها في بيتها ولم يجدها، لكنها ترى ولا ترد، تلاعبت الشياطين بعقله وهو يفكر أنها مع ابنته وحدهما خارج البيت ! أياكون قد أصابهما مكروه !!؟؟

ظل على حاله لبعض الوقت، لكن الحال لم يطل حيث صوت رسالة على هاتفه استوقفه، فالتقطه بلهفة ليرى ما به، ليُفاجئ برسالة من رقمها هي .. رسالة صادمة في الواقع !!!

وكانت باختصار:

(إلى باعت الرسالة دي مش البنت صاحبة التليفون، صاحبتة سابتة على تراييزة في المطعم إلى قاعدين فيه و راحت تسلم البنت لواحدة شكلها مش كويسة، وشكلها كده هترجع من غير البنت، انا همسح الرسالة دي دلوقتي



عشان البنـت شكلها راجعة مكانها بس لفتت نظري رسالتك
وحببت اوضح !)

والرسالة كانت مرفقة بصورة ليارا تعطي ماسة فعلاً لامرأة
ما تولى كاميرا الهاتف ظهرها فلم تظهر له بوضوح، لكن يارا
ظهرت وهى تعطيها الطفلة بملامح قلقة بل مذعورة فى
الواقع !!!

أسقط فى يده وعينيه تتسعان بذهول وهو يرى الصورة
أمامه بهذا الشكل !! ابنته، أبنة نرmin ماذا سيحدث فيها ؟!!
لم يشعر بنفسه وهو يقود سيارته بسرعة نحو أقرب
المطاعم من بيتهم، لكن فى منتصف طريقه وجد هاتفه
يتعالى رنينه، وما أن رأى رقم يارا فتح الخط بسرعة ومن ثم
قبل أن ينطق أى شئ أتاه صوتها فزعاً :

_الحقنى يا مصطفى البنـت اتخطفت منى يا مصطفى
الحقنى !!!!!!!

جحظت عيناه بشكل مخيف بعدها وكأن شيطان قد تلبسه
!!

أهى لعبة قذرة منها للتخلص من الطفلة، يقسم لو كانت
كذلك؛ سيذيقها الويلات !!

=====

الفصل التاسع عشر

=====

لم أعرف أبداً يا ولدي..
أحزاناً تشبه أحزانك
مقدورك.. أن تمشي أبداً
في الحب .. على حد الخنجر
وتظل وحيداً كالأصداف
وتظل حزيناً كالصفصاف
مقدورك أن تمضي أبداً..
في بحر الحب بغير قلع
وتحب ملايين المرات...
وترجع كالملك المخلوع

-نزار قباني-

=====

وقفت جواره بعدما خرجا من المطعم سوياً لا تدري هي كما
لا يدري هو ماذا يفعلان !

أتركب معه سيارته ليقلمها لبيتها ؟؟ لا لا .. لا يصح !

ابتسمت بسخرية وهي توزع نظراتها على السيارات التي تمر
من أمامها بسرعة .. لا يصح ماذا يا معتوهة ؟! بعدما دلفت
معه إلى المطعم، تقبلت عرضه، وسارت معه أمام الناس
جميعاً وتأتى عند ركوب سيارته وتقول لا يصح !!

الذى لا يصح بحق هو تفكيرها العقيم، إما أن تظل بكبرياءها
منذ بداية اللقاء وإما تكمل سلم التنازلات إلى نهايته، وهذا
شئ لا يصح أكثر من الأول !!

كم بدت هيبة في نظر نفسها الآن !!

عقدت حاجبها وهي تصل لخاطرها الأخير، ازدردت ريقها
بتوتر ثم استدارت له قائلة بطبيعية حاولت جاهدة تصنعها

:

_شكرا على ذوقك يا باشمهندس، بس انا مضطرة امشى،
مع السلامة .

_طيب اتفضلى اوصلك .

_لا أبداً مفيش مشكلة .

_ميصحش، اتفضلى .

رشقته بنظرة متحيرة قليلاً، ولكن طبيعتها التى لا تميل إلى
المفاوضة جعلتها تومئ موافقة، وهى تقول بخفوت شديد :
_طيب .. اتفضل .

ابتسم أدهم وهو يسير جوارها دون وجهة محددة، بينما هى
تشبك كفيها ببعضهما، تفركهما بتوتر وكأنها مراة خرجت
لملاقة حبيبها بعد دوامها الدراسى وتخشى أعين الناس !!
بدا متفهماً لارتباكها وهو يرمقها بطرف خفى بين حين و
آخر، إلى أن غلبه فضوله، فالتفت إليها قائلاً بعفوية :
_كلمينى عنك يا داليدا، كلمينى عن ماضيكى .



ابتسمت ببعض السخرية والتي شابتها مرارة كثيرة !! عن أى
ماضي يريد لها أن تتحدث، بل الأصح أن يقول "حدثني عن
جحيمك يا داليدا" !!

يريد لها أن تتحدث عن نقطة ضعفها، عن الشئ الوحيد
الذى يجعل نفسها مضطربة، يريد لها أن تُعري روحها أمامه
-إن صحّ التعبير- !!

التفتت بوجهها إليه، رمقته بنظرة مهتزة وصلته واضحة،
مع قولها المتخاذل :
_خليها مرة ثانية، معلش .

ابتسم بتشجيع نوعاً ونظرته تدعمها دون حديث، ثم قال
بنبرة رخيمة مردداً :

_خليها مرة ثانية، بس أكيد هتحكى .. فى يوم من الأيام .
بادلته ابتسامته بأخرى مهتزة سرعان ما تداعت ..

نعم !! فى يوم من الأيام!! لربما واتتها الجرأة أن تتحدث عن ماضيها وتواجهه، لا أن تهرب منه كما وكأنها تهرب من شبح !

=====

تعالى ضحكات أروى من داخل غرفتها وأثناء حديثها المرح الطويل استطاع حازم تمييز اسم أسربوضوح ما بين ضحكاتها !!

تأفف وهو يسمع حديثهما المنطلق المتفتح ... صحيح أن ابن عمته قد عاش أغلب سنوات عمره فى الخارج لكنه أيضاً ليس بغرساذج كى ينسى ما تربى عليه ويكون بهذه الأرياحية التى يرفضها مع أخته !! هو لاحظ هذا منذ أتى وبدأت علاقته مع أروى تزداد وطأة كل مرة عن أخرى .. ورغم ذلك فضل ألا يضغط عليها كثيراً رغم أنه قام بتحذيرها أكثر من مرة بشكل غير مباشر كان سيده المرح !! وربما هذا ما جعلها تأخذ كلامه على محمل غير جدى مطلقاً !! لكن أن الأوان أن



يستخدم الجدية لمرة عليها فلحت، أما أسرفله حساباً آخر معه ...

لا يعلم لماذا إلى الآن لم يتقدم ويطلب يدها رسمياً طالما أنه غير قادر على الابتعاد عنها أو على الأقل يلتزم الجدية معها لحين أن يربط بينهما رابط رسمي !! مع أنه يفضل لو انتظرا قليلاً أروى مازالت صغيرة على كل حال وطوال سنواتها القليلة وهي تدور في فلك أسر لا غيره !!

لكن هو يتساهل وهي تنساق خلفه كالعمياء !! لذا وجب عليه التدخل الآن بدلاً من طول تفاضيه عن الأمر وكأنه غير موجود !!

فتح باب غرفتها فجأة دون استأذان فوجدها واقفة أمام نافذة غرفتها تطلع منها للبعيد وقد أنهت اتصالها على ما يبدو، لذا التفتت له متفاجئة لوهلة قبل أن ترفع حاجبها وهي تقول بمرح :



_اول مرة تدخل اوضتي من غيرم تخبط يا حازم.. هي حلا
أثرت على دماغك ولا ايه .

لكن ملامح حازم الذى كان ارتدى لها قناعاً صلباً لا يلين لم
تبتسم وهو يتطلع لها بجدية ثم قال دون مقدمات :

_كنتى بتكلمى مين ؟

ارتبكت أروى للحظة، لكنها تمالكت نفسها وهى تجيبه
بجدية مماثلة :

_أسر.

ارتفع حاجب حازم من صراحتها لكنها عاجلته بقولها :

_ايوه متستغربش انا مش هكذب .. ده كان أسر، وكلكم
عارفين اننا بنتكلم .

_بس مفيش كلام بعد كده يا أروى .

قاطعها بجدية وهو ينظر بعمق عينيها دون اهتزاز ثم
استأنف :

_الى انتوا بتعملوه مش صح .. دى قلة ادب، ولما تفرحى اوى كده وتقوليلى كلکم عارفین اننا بنتکلم دى يبقی اسمها بجاجة .

عقدت أروى حاجبها وهى تطلع له بنزق وهمّت بإعترض قطعه هو بصرامة :

_من غير ما تقاطعى .. ايوه دى قلة ادب، انا صبرت مرة و اتنين وحذرتك براحة من غير ارجى عليكى ولا اخرجك، لكن الظاهر أنك مابتاخديش كلامى بجدية ... بس انا هعيده تانى أروى .. خفى من علاقتك بأسر بالشكل ده، انتوا لا انتوا مخطوبين ولا نيلة، وحتى لو مخطوبين الحركات بتاعتكم دى قبل م تكون عيب فهى حرام !!

صمتت أروى تماماً أمامه لكن ملامحه لم تلن، وصمت للحظة أكمل بعدها بنفس الجدية :



_متفكريش انى عديت يوم م جه من السفر مع درة، انا بس مرضتش اتكلم عشان كنا ف بيت عمته، واللى حصل مكش مستحمل زيادة .

ازدردت أروى ريقها دون أن تهتز ملامحها وهى ماثلة أمامه بجمود، لكن عينها كانا بهما من التمرد ما جعله يتحداها بنظراته أكثر أن تعترض أو ترفض حديثه، لكنها لم تعترض بل قالت بهدوء جامد :

_حاضر.

_مش حاضر والسلام انا عاوز فعل، انا مرضتش اجيب سيرة لبابا ... و قولت انا هكلمك .. بس ياريت يكون كلامى دخل دماغك .

اومات برأسها مجدداً، مجرد إمالة صغيرة وهى تطالعه بعينين جامدتين ... فتهد حازم وهو يقترب منها قبل أن يحتوى وجهها بين كفيه، وقال بحنان مفاجئ :

يا أروى .. يا أروى افهمى، انا عاوزك تكونى فاهمة و
مقتنعة مش مجرد انى قولت كلمتين هتقبلهم بطلوع الروح
بدافع انى اخوكى الكبير و خلاص، لازم تكونى مقتنعة ...
اديكى عارفة انا بحب حلا بقالى قد ايه، عمري مرة روحت
مسكت ايدها ولا حضنتها ولا تجاوزت معاها فى الكلام .. لا
محصلش .

صمت قليلاً وهو يرفع عينيه مفكراً قبل أن ينظر لها مجدداً
قائلاً بابتسامة مشاغبة :

او حصل ... بس ده بعد كتب الكتاب طبعاً !!
ابتسمت أروى، قبل أن تضحك ضحكة قصيرة وهى تقول
بخفوت :

وهو انت حتى لو كنت عاوز تعمل كده هى كانت سمحتك
اصلاً ... دى حلا يا عم مش علينا احنا ... احنا حافظينها .
ربت حازم على وجنتها برفق وهو يهتف :



_عليكى نور .. حتى أنا لو عاوز هى مش هترضى، لأن ده
الصبح، هى لا خطيبتى ولا حاجة .. ما هى إلا مجرد بنت عمى،
وده ميمنحنيش الحق انى اعمل اى حاجة من دى .. فهمتى
يا أروى !!

اومات مجدداً لكن بابتسامة هذه المرة فاتسعت ابتسامة
حازم وهو يعود لمرحه مرة أخرى قائلاً:

_وبعدين يا ماما انتى لسه صغيرة، خلصى امتحانات
الثانوية الأول وبعدين نبقى نشوف الحوار العويص ده،
يعنى هى الدنيا خلاص عدمت الرجاله كلها إلا سى أسرا إلى
عامل شبه الفار الطباخ ده !!

ضحكت أروى عالياً، قبل أن ترفع حاجباً خبيثاً وهى تقول :
_بس بحبه !!

رفع حازم عينيه للسماء بمثل شديد وهو يهتف :

_ياربى يعنى اعمل شبه بتوع الجاهلية واوأدها حية ولا
اعمل فيها ايه دى .



_يعنى يا حازم انت مبتحبش حلا مثلاً!!

هتفت بها بمرح فأجابها بعصبية وهو يضرب كفاً فوق آخر:

_الله يخربيت حلاً إالى انتى حشراها فى كل نقاش دى، و

بعدين يا بنتى دى مراتى ... مراتى اقسم بالله .

ضحكت أروى وهى تتوجه خلف مكتبها وتجلس ثم تظاهرت

بالدراسة وهى تلوح له بيدها قائلة :

_طب يلا اتكل على الله روح لمراتك، عاوزة اذاكر.

_ذاكرى يا حبيبتى، ذاكرى دانتي لوبتذاكرى قد ما

بتتكلّمى معاه كان زمانك دلوقتى الدراع اليمين لمجدى

يعقوب .

=====

_انت بتقول ايه يا حازم ؟

قالها أسربصدمة وصلت حازم عبر الخطوط بينهما وهو

جالساً فى شرفة غرفته، يحادثه بعدما أنهى حديثه مع أروى

منذ قليل ...



قال حازم بجدية :

_ايوه يا آسرزى م سمعت، أروى متقدم لها عريس كويس
وانا بصراحة موافق، البنت ما عادتش صغيرة ... وانت لا
بتتقدم ولا بتتأخر.

صمت قليلاً عاقداً حاجبيه ... نبرته بدت غريبة على أذنيه،
لا تقنع طفلاً صغيراً حتى، وها هو غير مقتنع وينتظره أن
يقتنع، لكن هتاف آسر من الجهة الأخرى أنبئه أنه ربما أتاه
فى وقت غير مناسب جعل تفكيره غير سوى، وتقبل كذبة
حازم بكل غباء :

_ارفض يا حازم .

هذه المرة كان هتاف حازم صارماً :

_لا مش هرفض يا آسر، طالما انت مستغنى عنها يبقى
خلاص .

أجابه آسر بعصبية :

_يعنى انت كده شايف انى مستغنى عنها .

_ايوه يا أسر.. انت متقدمتش خطوة من ساعة م نزلتوا م السفر، ده غيرالمواقف إالى بتحطوا نفسكم فيها بعدم إحترام لأهاليكم .. انتوا مش صغيرين يا أسرو عارفين الصح من الغلط، وانت سيد العارفين مش مستنيني اعرفك أن التجاوزات إالى بتحصل بينك وبين أروى محدش مننا يقبلها .

تهند أسر بصوتٍ بدا مرهقاً بشدة ويحمل أكثر من خوف من فقدان أروى لكن حازم ظل على صمته غير المتهاون، إلى أن قال أسر بخفوت متعب :

_طيب يا حازم، انا هاجى اتقدم رسمى، بس من فضلك ... من فضلك بلاش حكاية العريس الوهمى إالى بتتكلم عنه ده، انت مش بتكلم طفل .

ارتفع حاجبا حازم قليلاً وكادت ضحكة بلهاء تخرج من بين شفثيه كبحتها بصعوبة بينما استطرد أسر بحزم :



_وانا آسف ... آسف على كل إلی انت قولته، انا فعلا

غلطان .. واوعدك انه مش هيتكرر تانى .

صمت لبرهة ثم قال بعدها بإصرار متزايد :

_غيروهى مراتى .

خفض حازم حاجباً وابقى الاخر مرفوع بتحدٍ وهو يقول :

_لما بقى !!

=====

_كلهى بابا يا أروى .

رفعت أروى وجهها عن الكتاب الذى كانت تدرس به لتوها

حين سمعت صوت أمها أتيّاً من عند باب الغرفة بنبرة

جامدة، غير متهاونة، فتأففت بشكل غير ملحوظ وهى تتمتم

:

_يارب بقى اليوم ده يعدى على خير مش هفضل كل شوية

ف الهم ده .

رفعت أمها حاجباً واحداً وهى ترمقها بنظرة لاذعة هاتفة :

_بتقولى حاجة يا أروى؟

ابتسمت أروى بسماجة وهى تتمتم من بين أسنانها :

_بقول حاضريا ماما، جاية اهو.

رمقتها أمها بنظرة أخيرة قبل أن تستدير راحلة، فتبعها

أروى حتى وصلت إلى غرفة الجلوس لتجد أبيها جالسا

بملامح جامدة ينتظرها وعينه نظرة غير متساهلة مطلقاً،

جواره حازم ينظر لها بنظرة تكاد تفتك بها من شدة غيظه

منها ومن أفعالها التى حطت على رأسهما معاً !!

امتثلت أمام أبيها باحترام وهى تتمتم بنبرة خفيفة :

_نعم يا بابا .

رمقها والدها بنظرة متفحصة، قبل أن يهتف بحدة وبشكلٍ

مباشر:

_انا عاوز أفهم دلوقتى ايه إالى بينك وبين أسريا أروى !!



رفعت أروى عينها نحو حازم بنظرة لائمة، قرأها هو بوضوح
وهو يشير بعينه نظرة ذات مغزى نحو أبيها، لم تفهمها هي
فأشاحت بعينها عنه ناظرة نحو أبيها قائلة بهدوء :
_أسرناوى يجى يخطبنى يا بابا .

رفع أباهما حاجباً واحداً وهو يقول بنبرة غير مقروءة :
_وانتى ايش عرفك كلام زى ده لازم يكون مع الرجالة
الأول بعدين نبقى نيجى نسألك عن رأيك، ولا هو الزمن حاله
اتقلب ولا ايه !!

فتحت أروى شفيتها تريد قول شيئاً، أى شئ تبرر به
موقفها، لكنها لم تستطع إزاء نبرة أبيها الصارمة، ونظراته
غير المتساهلة، فأخفضت وجهها دون رد ... حينها تكلم أبيها
بنبرة واضحة، أمرة، غير متهاونة :

_اسمعى يا أروى ... انتى معدتيش صغيرة، انا مقدر
صداقتك بأسر من لما كنتوا صغيرين، لكن لكل سن حكمه،
وانتى لازم تحترمى نفسك وتحترمى انك مبقتيش صغيرة،



انتى بقيتى انسة محترمة وميصحش إالى بيحصل من ورانا
ده .

رفعت أروى عينين مصدومتين إالى أبيها وهى تهمس بنبرة
باهتة :

_وهو انا بعمل ايه من وراكم، انت بتشكك ف اخلاقى يا بابا
؟

رفع إصبعه يشير به إليها وهو يقول بقوة :

_انا لو كنت بشكك ف اخلاقك مكنش زمانك واقفة قدامى
كده .. انا عارف انا مربى بنتى ازاي، لكن احياناً الموضوع
بيكبر وانا مش هستناه لما يكبر، فهمتى يا أروى .

اخفضت وجهها أرضاً دون رد، لكن صوت أبيها صرح مرة
أخرى أقوى :

_فهمتى يا أروى !!

_حاضر يا بابا .

تمتت بها بصوتٍ لا يكاد يسمع، فقال أبوها مجدداً :

_كلام مع أسربعد كده مفيش، لوشوفتكم بتتجاوزوا الحدود تانى يا أروى هيكون فيها كلام تانى .
سحبت نفساً حاداً، ثم رفعت وجهها فجأة وهى تقول بصوتٍ عالٍ :

_لا يا بابا ... احنا مبنعملش حاجة غلط، ولا أى غلط يدينك.. احنا بنحب بعض ومستنين الظروف تتحسن، لكن انا مش هبعد عنه لمجرد إنكم عاوزين كده وخلاص .
هب أباهـا واقفاً فجأة بملامح جامدة وقال بنبرة قوية رغم أنها لم تعلو كصوتها :

_انتى بتعلى صوتك قدامى يا أروى .
اتسعت عيناها ببعض الصدمة، لكن أخذتها العزة بالإثم وهى تهتف مرة أخرى :

_ايوه بعلى صوتى لما تتحكموا فينا لمجرد إنكم عاوزين كده و خلاص يبقى



لكن صفعة أبيها التى حطت فوق وجنتها جعلتها تصمت

فجأة وماتت الكلمات على شفتيها !!

أقرب حازم منهم بسرعة وهو يهتف :

_يا بابا استهدى بالله، الكلام مش كده .. أروى متقصدهش .

وقف حازم أمامها بملامح ممتعة وهو يراقب وجنتها التى

احمرت وظهرت علامات اصابع أبيها فوقها، ووجهها ذو

الملامح الجامدة .. فقط عينيها غشيتهما غلالة من الدموع

أبت أن تسقطها أمامهم !!

أدار حازم عينيه نحو أمه الواقفة تراقب ما يحدث بصمت

ولم تحاول حتى التدخل فى الأمر لعلها أن ابنتها مخطئة

.. ثم هتف :

_خودى يا ماما أروى طلعيها فوق دلوقتى .

أقربت والدته منهما قبل أن تسحب أروى من كفها قائلة

بجفاء :

_تعالى .



لكن صوت أبيها الذى صرح مجدداً استوقفهم للحظة :
_ياريت يكون كلامى أتعهم ويتنفذ .. عشان المرة الجاية مش
هكتفى بضربك بس يا أروى !!

أغمض حازم عينيه متهداً دون صوت بعد رحيل أروى مع
والدته وهو يرى الأمور تتأزم لهذا الحد وكله بسببه هو، هو
من لم يضع حداً للوضع مذ علم به !!
_وأنت يا أستاذ !!

ضرب حازم جبهته بكفه قبل أن يستدير لوالده منتظراً دوره
من التقرير، وبالفعل هتف أباه وهو يشير إليه :
_وأنت ان شاء الله لما عرفت بالوضع من فترة متصرفتش
ليه، ولا انت كنت مستنى ايه من يومها .

زم حازم شفتيه دون رد وهو يطالع أبيه بنظرات دون تعبير،
منتظراً لحين انتهائه.. لكنه عقد حاجبيه وهو يسأل أبيه
بهدوء :



_ معلىش يا بابا بدون مقاطعة لكلامك بس...مين إالى قالك
ع الحوار ده كله ؟

رفع أباهـا حاجباً واحداً قبل أن يقول على مضض :
_ معاذ !!

ضيق حازم عينيه وهو يود لو كان معاذ أمامه الآن، لكنه
عوضاً عن ذلك هتف بتهكم :
_ معاذ!! هوف ايه ولا ف ايه .

لكن أبيه قاطعه وهو يقول :

_ ايوه معاذ .. كنت بكلمه عشان اطمـن عليه واسأل عن
مراته، فقالى على الى حصل وانه كان ناوى يكلم أروى من
فترة بس الى حصل معاه لغبطه ... وهو مش غلطان .. هو
شاف الغلط مسكتش عليه .. مش زى ناس !

ابتلع حازم الإهانة المبطنة فى كلمات أبيه ثم قال بهدوء :
_ طيب يا بابا... انا ذنبى ايه ف كل ده .

هتف الأخير بقوة :

_ ذنبك انك متهاون ف حاجة زى دى، وده انا مكنتش اتوقعه منك ابدا ... كنت اتمنى منك تحتوى الموقف احسن من كده ومتخليناش نوصلوا للمرحلة دى .

_ يا بابا مانت لو كنت صبرت عليا شوية افهمك انا عملت ايه، مكنش هنوصل لكده ولا كنت هتضطر تمد ايدك عليها، انا فهمتها كل حاجة براحة وكان ليا كلام تانى مع أسر .. صحيح تأخرت شوية بس انا مرضتس اخرجها ف بيت عمى يومها .

_ تخرجها ف بيت عمىك انهارة؛ احسن متخرجنا هي قدام الناس كلها بكرة ... كنت مستنى ايه يا حضرة الظابط بعد كل ده .

صمت حازم دون رد وهو يشعر بنفسه يدور فى دائرة مفرغة ... هو مدان أمام أبيه ولا سبيل لإثبات العكس !!

لكنه تمسك بالجانب العنيد وهو يهتف مرة أخرى :

_ بس انت جيت عليها يا بابا ... الغلط مش غلطها لوحدها .



_ لا الغلط كله عليها، عشان هي إلی سمحتله بكده، وحتى
لوزي م بتقول انا ليا بنتی اربها من اول و جدید و آسرانا
مليش دعوة بيه هو مش ابني، انا ليا كلام تاني مع عمتك .
_ استهدى بالله ي محمد هتعمل مشكلة مع اختك عشان
خاطر الولاد.

كان هذا إبراهيم الذي دلف إلى الغرفة عند هذه النقطة
وقد كان يتابع الحوار وصوت هتافهم العالي منذ البداية ...
_ اتفضل يا بابا .

اتجه محمد نحو أبيه ممسكاً بيده حتى جلس على المقعد
المواجه لحازم ثم قال بهدوء :

_ الكلام م يبقاش كده يا محمد .. البنت صغيرة وفهمها على
قدها، ولو اني معاك ف الكلام إلی اديتولحضرة الضابط
في جنباه .

رفع حازم حاجبه وهو ينظر لجده الذي انضم إلى الحزب
الذي يجزم بخطأه لكنه لم يعقب وظل منتظراً لأن ينتهي



الحوار... قال جده مجدداً مربتاً على ركبة ابنه بعدما جلس جواره :

_متعقدش الموضوع، كل حاجة هتتحل ... بس بلاش مشاكل مع اختك، واستحلفتك بالله م ترفض طلبهم بكرة .
عقد محمد حاجبيه قبل أن يتساءل :
_طلب ايه ؟

ابتسم إبراهيم وهو يجيبه :

_اختك لسه متصله من شوية .. وقالت أنهم جاين بكرة يتقدمولها رسمى .. فاستهدى بالله ومتضيعش فرحتها و بلاش مشاكل .

رمقه ابنه بنظرة غيرراضية وهمّ بالرفض لكن نظرة أبيه المحذرة اسكتته وهو يقول :

_قولت استهدى بالله واغزى الشيطان ... انت عملت الصح .. دورهم هما بقى يعملوا إلی عليهم .

ثم أعاد عينيه إلى حازم متبلد التعابير وقال :



_وعلى الله تكون اتعظت انت كمان يا حازم .
لم يجيبه حازم ولم تتأثر ملامحه ولولذرة !!
جميعهم وضعوا الخطأ في كفته هو، بينما من أخطأ والذي
يكون أسر لم يسمع كلمة تقريع واحدة مما ناله هو أخته!
تمتم حازم دون صوت وهو يلتف مغادراً المكان قبل أن
يصاب بذبحة صدرية :
_استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم يارب .

=====

_طيب يلا نقرأ الفاتحة دلوقتي على ما نعطي خبر لباقي
العيلة وبعدين نحدد معاد الخطوبة .
قالها إبراهيم مبتسماً ببشاشة دون أن يعطي فرصة لابنه
لأن يفسد الأمر.. قبل أن يرمق أروى المتجهمه والتي تقف
جواره دون صوت وبعينين منتفختين تشيان بكم البكاء
الذي تكبدته !!



لم يكد يمر النهار إلا وقد وجدوا عبير وزوجها وابنها قد أتوا
ليفتحوا الأمر بشكلٍ رسمى، ويبدو أن أسر لم يطق صبراً
لليوم التالى كما اتفقوا .. خاصة بعد كل ما حدث !!

رفعوا جميعاً أكفهم متجاورة أمام وجوههم، وألسنتهم تتلو
فاتحة القرآن الكريم، بينما هما كلٌ كفيه أمام وجهه، لكن
عينيهما فى وادٍ آخر، تحكى قصة أخرى مشغولة عنها الألسن
الآن !!

عيناه تقابلانها بقلق بعدما لاحظ ملامحها المتجهمة لكنها
اخفضت عينها عن مرمى عينيه مما ضاعف من قلقه !!

صدقوا جميعاً وهم يخفضوا أكفهم ليبدأوا حديث عائلي
خفيف، مال أسراً إلى أذن حازم الذى يجاوره وقال له
بخفوت بينما عينيه على أروى التى رمقت حازم بنظرة
غريبة وكأنها تترجاه ألا يدع أباه يفسد الأمر فى أى لحظة :



_حازم، اعمل خيرف ابن خالك وأخترع اى حركة كده،
قولهم سيبوا العرسان يقعدوا مع بعض، قوم ودينا ف حته
على جنب اعمل اى حاجة الهى يسترک .

تجهم حازم وهو يلتفت له هامساً بدوره :

_بقى يا راجل .. مش مكسوف من نفسك وانت بتقولى
اوديك انت واختى فى حته على جنب... هو إالى انا قولتهولك
قبل كده ده كله مهنش فى احساسك شعره يا عديم الدم .

_اعمل خيرف دنيتك تلاقيه ف اخرتك بقى يا أخى .

_ابدأ .. ومش هتقعد معاها ف حته غير بعد كتب الكتاب .

_تعرف حاجة! انت مش هتورد على جنة ابدأ .

ربت حازم على كتفه وهو يهتف بسخرية :

_سبنالك انت الجنة يا تقى، يا عفيف .. ياااا....

قاطعه أسربتذمر:

_خلاص يا زفت خلاص، فى الدرك الأسفل من النار يا بنى

آدم .



_اعوذ بالله منك يا شيخ، انا لسه عريس ومدخلتش دنيا .
_يوعدك بنيزك يحط فوق دماغك، عشان لا تدخل دنيا ولا
بتاع ع الأخرة على طول .
ضحك حازم عالياً حتى جلجلت ضحكته فى المكان، وظل
الحديث هكذا لفترة...
وقد أجاد تمثيل أن ما بينه وبين أسر على ما يرام، كى لا
يُحزن تلك التى تنظرله من بعيد، تنتظرأى شئ قد يفسد
الأمر..

جال بنظره ذات مرة بعفوية، لتصطدم عيناه بعينى حلا
التى كانت تنظرله مبتسمة بشغف لم يكن يطال عينها قبل
ذلك قط، لكن رنين هاتفها قاطعها فأجفلت وهى تبتعد نحو
المطبخ بعيداً عن الضجيج لتيجب هاتفها..
كانت حلا قد أتت مسبقاً لزيارة جدها وفوجئت بما يحدث و
طلب عمته ليد أروى !!



حينها استغل حازم الفرصة وهو يستل نفسه من بين الجمع
بسلاسة ليلحق بها قبل أن يغلق باب المطبخ خلفه دون
إحداث صوت !

_ طيب يا معاذ انا هاجى على طول .

أنهت مكالمتها وهى تخفض هاتفها لتضعه فى جيب سترتها،
ثم شهقت بعنف وهى تستدير لتفاجئ به خلفها وفى عينيه
 نظرة عابثة ليست غريبة عنه !

_ عاوز ايه ي حازم .

قالتها بمحاولة واهية أن تُظهرها جادة لكن الضحكة
الصغيرة التى أفلتت مع كلماتها أضاعت الهيبة، وهى تطالع
باب المطبخ المغلق من خلفه..

تقدم منها حازم ببطء وهو يقول بابتسامة :

_ لا ولا حاجة، انا جاى اطمئن عليكى .

رفعت حاجباً مرتاباً وهى تدمدم بخفوت :

_تظمن عليا وباب المطبخ مقفول ليه ؟ ايه نوع الاطمئنان ده بالظبط .

_كل خير يا حبيبتي .

تقلصت المسافة بينهم تزامناً مع جملته التي قالها وهو يقترب منها كثيراً، فزوت ما بين حاجبيها، ورفعت كفيها نحو جذعه تصده بخفة مع قولها بابتسامة عابثة :

_أعقل يا حضرة الظابط ده كتب كتاب مش دخلة .

_طب ونستنى ليه ما خير البر عاجله .

يقولها مشاكساً وهو يطوق كفيها براحتيه ويرفعهما نحو شفتيه مقبلاً، ثم يقبل جبينها باعتزاز وهو يقول بابتسامة جادة تناقض نظرته العابثة :

_هتمشى دلوقتي ؟

اومات إيجاباً وهي تنظرله، مفسرة :

_ايوه، معاذ رجع البيت وعاوزنى عشان رنيم .

_طيب .. هاجى اوصلك .



اومات مجدداً، ثم قالت بمكر:

_ولما انت هتيجي، هتسيب أروى وأسرلمين .

_سيبهم ياخدوا نفسهم شوية قبل م اجى اكبس عليهم تانى

وبعدين عمك محمد قايم بالواجب وزيادة .

ضحكت ضحكة قصيرة، وهى منتظرة أن يفسح لها الطريق

او يتحرك هو، لكنه لم يفعل، فاضطرت لقول :

_طيب يلا .

_فين الرشوة الأول ؟

جلجلت ضحكتها فى المكان حتى عاد رأسها إلى الخلف، قبل

أن تعود بعينها إليه وهى تقول :

_ايه نوع الرشوة طيب .

_سيبها عليا انا هاخودها بطريقتى .

كادت تضحك مجدداً، لكن شفثيه اللتان اطبقتا على

شفثيها منعها حتى التنفس!



أغمضت عينيها بل اعتصرت جفنيها بقوة وهى تشعر بشعور غريب جداً عن الموقف..

لماذا ترضخ له هكذا ؟ لماذا لا تثور وترفض ؟
أين حلا القديمة من تلك المستحدثة التى تكاد تذوب بين ذراعيه ؟

أتأثيره عليها بمثل هذه القوة ؟ حتى تخضع له دون اعتراض؟!

وإن صمتت الآن، ماذا سيحدث مستقبلاً ؟ ألن تتحقق مخاوفها إن ظلت على نفس هذه الحالة من الخنوع ؟
تهددت باضطراب وهى تبتعد بوجهها عن مرمى شفتيه المهاجمتين هامسة :

_حازم ! كفاية احنا مش لوحدنا ف البيت .
نظربعينها التى كانت تهرب بهما منه، وهو يقول بخفوت :
_بس الباب مقفول .



تغضن حاجبها ببعض الضيق الذى يشئ بما تعتمل به
نفسها وهو الذى كان خبيراً بانفعالاتها لم يكن يحتاج تأويلاً
أكثر من هذا !

حلالن ترضخ بسهولة، وإن فعلت فنفسها المتمرده لن
تطاوعها طويلاً، وهكذا يأتى دوره..
ابتعد عنها أخيراً، وهو يعدل من وضع حاجبها بأنامله، وقال
:

_عشان خاطر معاذ بس المرة دى .

ابتسمت بارتجاف لعينيه، قبل أن يقودها هو إلى الخارج
حتى يقلها إلى بيتها !!

=====

أخيراً أنفرد بها فى غرفة وحدهما !! صحيح أنهم أمام أنظار
من بالخارج لكنهم على الأقل قد حصلوا على بعض
الخصوصية بعد تطفلهم الذى لا يُطاق..



ظلت أروى مطرقة برأسها للحظات طالت بملامح بلا تعبير
لكنه ظنها تخجل !!

تخجل ؟؟؟!! الكلمة مرت على عقل أسربغرابة شديدة !!
ابتسم بسخرية وهو يفكر أنه دوناً عن العالم أجمع الذى لا
تخجل أروى منه !! ربما لقربه الشديد منها وربما لأى سبب
آخر لكن النتيجة واحدة !! أروى لا تخجل منه !!
_ اوعى تقولى انك مكسوفة !

نطقها مازحاً، فرفعت عينها نحوه قائلة بنبرة باهتة بعيدة
كل البعد عن المرح :
_ مش من حقي مثلاً ؟

هنا تنهد بخفوت وهو يطالعها بقلق قبل ان ينظر لها وقال
بهدوء محاولاً التسرية عنها :

_ طيب يا ستى اتكسفى براحتك بس مش عليا يعنى .
لم تحاول حتى الابتسام وهى تتطلع لنقطة وهمية بالأرض
مما اضطره للقول بخفوتٍ قلق :



_مالك يا أروى .. حد كلمك فى حاجة اوزعلك .

ابتسمت بسخرية وهى تطالعه أخيراً قبل أن تقول بتهكم :

_يعنى مانتش شايف وشى .

عقد أسر حاجبيه وهويطالع وجهها بقلق إلى أن لاحظ

علامات أصابع أبيها فوق وجنتها .. لكنه لم يستطع النطق

بشئ سوى كلمة واحدة خافتة :

_انا آسف .

لم تتغير تعابيرها المتبلدة، فعقد حاجبيه وهويقول بخفوت

:

_اسف انى السبب ف كل ده، انا عارف انى غلطان .

أشاحت بعينها عنه دون اهتمام ومازالت ملامحها على

تجهمها .. لكن أسرقال فجأة :

_بس احنا معانا الوقت طويل، وكلهم هينسوا كل ده و

الأمر هتتحسن .

_قصداك ايه الوقت طويل ؟



سألته عاقدة حاجبها، فأجابها محاولاً تصنع الابتسام :
_ انتى ناسية انك فى ثانوية عامة وعلى وش امتحانات .. وانا
مش هعطلك، هسافرالكام شهر إالى فاضلين دول عشان
تعرفى تركزى فى امتحاناتك وهما كمان ينسوا الموضوع ده .
زفرت بضيق وهى تتمتم :

_ تسافرتانى ... مش قولنا مفيش سفر .
لوح بسبابته نفيأ أمامها وهويقول :
_ لا يا ماما .. احنا قولنا مش هنسافر غير لما يكون فيه رابط
رسمى بينا قدام كل العيلة، لكن مقولناش مفيش سفر...
ثم انى سفرى اليومين دول احسن لينا كلنا عشان الظروف
تهدى شوية .
_ يا أسربس ..

لكنها ما كادت تكمل جملتها إلا وقد تعالى رنين هاتفه
فأخرجه من جيبه ناظراً فيه لوهلة قبل أن يضم شففيه



متأوهاً دون صوت .. ازدرد أسريقه بتوتر قبل أن يرفع
عينيه نحوها قائلاً:

_لازم ارد .

حينها رفعت حاجباً واحداً متحدياً وهي تقول بتمرد غريب
على ملامحها المرهقة :

_لا ..

_لا لا لازم ارد .

لكنه ما كاد يستقيم ليبتعد إلا وقد وقفت قبالتها جاعلة
إياه يجلس مرة أخرى قائلة بقوة :

_اقعد رد هنا مدام هو مهم كده .

فغرشفيته يريد قول شئ لكن انقطاع رنين الهاتف قاطعه،
فابتسم وهو يقول :

_خلاص الرنة خلصت مش مهم .



لكنه ما كاد يتم جملته إلا وقد تعالى الرنين مرة أخرى..
فعبس وهو يزم شفثيه مترجياً إياها بعينيه، لكن ملامحها
لم تلن وهي واقفة أمامه كالحارس !

حينها لم يجد بداً من أن يفتح الإتصال ناظراً بعينها وهو
يجيب من على الطرف الآخر بالإنجليزية !
حينها ازداد إرتفاع حاجبها وهي تستمع له !!

المكاملة حتماً مهمة مادامت من تلك البلد اللعينة !!
وفي جزء من الثانية كان أغلق الإتصال بعدما قال بضع
كلمات غير مفهومة وكأنه لا يعطى من بالطرف الآخر فرصة
للرد عليه منهيّاً الاتصال بأسرع ما يمكنه !
جلست قبالته مرة أخرى وهي تقول بفتور :

_مهمة المكاملة للدرجادي ؟

ابتسم بتصنع وهو يجيبها بمسرحية :

_فوق ما تتصورى .

_طيب يا أسراحننا قلنا..



أيضاً ما كادت تتم جملتها إلا وتعالى رنين هاتفه مرة أخرى
.... فتأففت بصوت عالٍ وهي تدير عينيها بملل .. لكن أسر
الذى ظل ينظر للهاتف بحدقتين تهتزان بتوتر قام من
مجلسه، قائلاً بسرعة :

_اسف بجد مضطرب المرة دي .. نبقى نتكلم بعدين .
ومن ثم أجاب الإتصال رافعاً الهاتف إلى أذنه خارجاً من
الغرفة نهائياً !!!

حينها لم تستطع التحكم بذاك القلق الذى نشب فى قلبها
فجأة كحريق لا يجد من يطفئه، فعاث بمكانه فساداً
ليحيله رماداً تذروه الرياح !!

====

جلس معاذ جوارها على الأريكة فى صالة المنزل، منتظراً
سامية التى أتت لها بكوب من الماء وهي تجلس جوارها من
الجهة الأخرى، مُربّطة على كتفها السليم قائلة بحفاوة :



حمد الله على سلامتك يا حبيبتي، الف حمد الله ع السلامة

ابتسمت رنيم بوهن دون القدرة على الرد بعد المجهود
المضني في البكاء والذي قضته في السيارة..

أشاح معاذ بوجهه بعيداً عنهم وهو يشعر بنفسه على حافة
الانهيار! داخله يضج بحديث طويل لا يقدر على البوح به،
وهي جواره لا تشعر ولو بقليل مما تموج به سريرته..

بعد دقائق معدودة، حضرت حلام مع حازم الذي رحل بمجرد
أن اطمئن لدخولها وهو الذي ظل طوال طريقهما بلا تعبير!
لم يحدثها ولم يعلق على شئ، بل تركها تدلف للبيت ورحل
من فوره..

زاد حازم من سرعة سيارته وعينيه تغيمان بجنون، سأم
من الوضع، سأم من ملاحقتها وهي تتمنع، لا تكذ تلين قليلاً
إلا وتعاود رفع الحواجز بينهما، واحداً تلو الآخر..

أفلت منه زمام الأمور وشعر بنفسه غير قادر على التحكم في أعصابه حالياً، فأنحدر بسيارته بجانب الطريق الذي تقريباً خلا إلا منه .. واستقر هناك !

غرس أنامله بقوة في خصلات شعره وهو يتهد بضيق .. إلى متى سيظل الحال هكذا ؟

إلى متى ستظل هي تترنح بين جنبات نفسها ؟
هو يشعر بها، بتخبطها وحيرتها ؟ تخاله لا يأبه لأمرها ولا لحلمها وذاتها التي تريد تحقيقها ! لكنه معها -مادام الأمر قدرا استطاعته- !

لكنها تصر على تحميله ما لا طاقة له به !
لن يتركها لو ساوس نفسها تنخر في عقلها وتقلبها عليه .. لن يسمح للشيطان نفسها بالاستيلاء عليها .. سيحاربها ويرى إلى ما ستؤول الأيام بينهما !!

=====

_حمد الله ع السلامة ي رنيم، نورتي بيتك .



قالتها حلا وهي تقف جوار رنيم في غرفتها .. في حين اجابتها
الأخيرة بتقليدية، ثم أضافت :

_ معلى يا حلا تعبانة جداً وعاوزة انام .

اومات حلا بتفهم وبابتسامة صغيرة قادتها نحو الفراش
قبل أن ترفع فوقها الغطاء وتندس جوارها تحته ..

احاطتها حلا بذراعيها بحنان ولما استقرت رنيم راحت تسألها
بخفوت شديد :

_ عملتى ايه مع معاذ ؟ اخترتى تبقى ولا ترجعى بيتك تانى .
اهتزت حدقتى رنيم لوهلة قبل أن تمتلئ بالدموع وهي تهمس
بصوتٍ واهٍ :

_ مش عارفة .. متخبطة ومش عارفة نفسى عاوزه ايه،
حاسة ان كل الظروف بتتكاتف ضدى .. انا تعبت .
تلاشى صوتها نهائياً فى آخر جملتها مع سقوط أول عبرة على
وجنتها فشددت حلا من ضمها وهي تهمس :
_ خلاص خلاص ... ارتاحى دلوقتى ولما تقومى نتكلم .



_ لا يا حلالا .. لما اقوم مفيش حاجة هتتغير..الوضع
هيفضل هو الوقت مش هيزيده غير تعقيد .

ربتت حلا على ذراعها وهى لا تدرى بما تخفف عنها...

فماذا ستقول.. رنيم معها حق !

الوضع سيظل كما هو عليه، الألم نفس الألم، والتخبط

يسود النفس، ولن يزيده الوقت سوى تعقيداً..

يقولون دائماً أن الوقت كفيل بوأد المشاعر، بنفى الغضب

إلى مكانٍ بلا رجعة ! لكن لا !!

ليس فى كل الأوقات، هذه الحالة خاصة، هذه الحالة لا

يزيدها الوقت سوى إيلاًماً !

استطردت رنيم بخفوت، بينما حلا مستمرة فى التريت بحنو

على ذراعها :

_ انا .. انا حاسة بيه، شايفه لهفته عليا وخوفه، شايفة

حبه حتى لما كان بيحاول يداريه، لكن .. لكن مليش طاقة

لكده، بجد مليش .



تهدت حلا دون صوت وهى تبتهل داخلها أن تمر هذه الأزمة
بسلام ..

إلى أن تيقنت من نوم رنيم عبر أنفاسها المنتظمة، فتركها
ببطء وحرص واستقامت تنوى الخروج، لكنها وجدت معاذ
خلفها ويبدو أنه استمع لكل ما قيل ..

عقدت حاجبها بتساؤل، فأوماً لها معاذ بحركة موحية وهو
يتمتم دون صوت : بأن كل شئ على ما يرام ..

هزت رأسها دون معنى وهى تخرج من الغرفة تاركة إياه معها
ثم أغلقت الباب بحرص ..

أما هو فقد تقدم منها ببطء وأحضر مقعد ليجلس بجوار
الفراش، مراقباً لها دون ملل ..

عقله لا يكف عن التفكير ..

هو قد ألقى أمامها كل أوراقه، لم يعد لديه حيلة فى الأمر .. و
القرار الآن بيدها، إما أن تتقبله وترضى بكونها الآن زوجته،
وإما تفضل وحدتها فى بيتها الخالى على أن تتواجد معه ..



وهو الذى لا يعلم شيئاً عن سريرتها لا يمكنه منح الرجوح
لأى من الطرفين؛ لذا استسلم، فلتفعل ما تشاء !!
تنهد معاذ دون صوت وهو ينحنى واضعاً رأسه فوق وسادتها
.. وجهه مقابلاً لوجهها، يكاد يستنشق أنفاسها، وأيضاً
يراقبها وكأنه يحفر ملامحها فى ذهنه، قبل أن يغمض عينيه،
ويروح فى سباتٍ عميق ..!

=====

لم يعلم كيف انقضى الطريق إلى هنا .. لم يعلم حتى اين
كان عقله وهو يقود السيارة بسرعة جنونية كى يصل
لمبتغاه..

دلف من باب المطعم بخطوات سريعة .. عينيه تتجولان فى
المكان بتوتر ونظرات مهتزة سرعان ما وقعت عليها وهى
تجلس فى ركن بعيد عن كل من بالمطعم والذين يقفون
جميعاً فى حالة حيرة وجزع بعد حالة الخطف التى تمت
لتوها فيه، تدس وجهها بين كفيها ويبدو عليها الفزع

الشديد، لكن كل هذا لم يأخذ ذرة واحدة من تفكيره، بل اندفع نحوها حتى اقترب منها فأجفلت وهي تستقيم مذعورة لكنها ما كادت تنطق إلا وقد وجدت كفيه يتمسكان بكتفها بقوة مؤلمة وهو يهدر بعنف أمام عينيها :

_بنتي فين يا يارا ؟ عملتي ف بنتي ايه؟

فرت دموعها على خديها مدراراً وشعوراً بالذنب يقتلها و ينحرق قلبها نحرأً، لكنها لم تستطع النبس بأى شئ، بل هزت رأسها نفيأً بعجز وهي تتمتم :

_معرفش، معرفش حصلها ايه !

عقد حاجبيه وملامحه تتسم بشتى أنواع العنف بينما أصابعه تشد فوق كتفها بألم، هامساً :

_اقسم بالله يا يارا لو بنتي جرالها اى حاجة بسببك م تعمل اعتبارات لاي شئ .. اى شئ مهما كان، وما هيكفينى فيها روحك .



أنهى كلماته المهددة قبل أن يتركها بعنف فسقطت جالسة على المقعد من خلفها بقلبٍ وجل ونبضات مضطربة !
هى السبب !! هى السبب فى كل هذا ! لن تلومه إن فعل أكثر من هذا حتى .. مازال فى طور البداية، وما خفى كان أعظم،
وهى منتظرة لما سيحل عليها منه بعدما يعلم الحقيقة!!!

=====

الوقت يداهمه ويمر، وهو مازال يحوم فى المطعم حول نفسه كالمجذوب..

اقترب منها مرة أخرى بعينين شيطانيتين لكنه سيطر على انفعالاته هذه المرة وهو يجلس قبالتها، ثم أخرج هاتفه مشهراً إياه فى وجهها يريها تلك الرسالة المرفقة بالصورة و التى وصلته، قائلاً بنبرة مكبوتة :

_ايه كلامك على الصورة دى ؟



عينها اصطدمتا بمظهرها فى الصورة مع الحديث المرفق
أسفلها فاتسعتا حتى كانتا تامتي الاستدارة من عِظم
الصدمة، إذاً المكيدة تشملهم جميعهم، حتى هى لم تسلم !!
رفعت عينها نحوه بوجل وهى تقول باهتزاز:

_ صدقنى انت فاهم غلط .

ضرب بكفه فوق الطاولة بعنف مما اجفلها، قبل أن يهدر
بنبرة تقطراً المأ :

_ طب فهمينى، انكرى، قولى اى حاجة، انتى إالى ف الصورة
صح؟

اومات برأسها إيجاباً بعد فترة طويلة من الصمت مما جعله
يغمض عينيه بياس متأوهاً دون صوت، قبل أن يقول بهدوء
مصطنع :

_ ومين إالى انتى عطيتها البنات؟

هنا .. ازدردت ريقها بتوتروا هتزت حدقتها بخوف وصمتت
على هذا، فهدر هو بعنف مفاجئ :

_اتكلمى !

اجهشت فى البكاء بعد ضغط الأعصاب الذى تعانيه وهى
تتمتع بسرعة :

_كانت واحدة، واحدة سبت معاها البنت لحد م اروح
الحمام .

ضيق عينيه بشك ناظراً لها نظرة نارية، قبل أن يتمتع
بشراسة :

_وانتى كنتى هتسيى البنت مع أى حد معدى والسلام،
طبعاً لا، مين الست إالى عطتها البنت يا يارا؟
همت بالاعتراض وإدعاء عدم المعرفة لكنه استوقفها
بقوله بقوة :

_متكذبيش !

ازداد تكدر الدموع بعينها وهى تتمتع دون صوت و
بهىسترية غريبة :



_سامحني أرجوك، مكنتش اعرف ان كل ده هيحصل،
مكنتش اعرف انها هتاخود البنت وتمشى .. مكنتش اعرف .
ظلت تردد ما تقوله بشكل جنونى وفي عينيها صدمة إدراك،
إدراك للموقف الموضوعة فيه !! هى من فعلت هذا بالطفلة
! ماسة ضاعت بسببها هى، هى السبب وحيها هو السبب !!
فأى جرم اقترفته يداها ؟ أى جرم ؟

لفت رأسها دوامة لامرئية جعلت عينيها تزيغان على الاشئ
حتى تهاوت فى جلستها فاقدة لوعيها بعد ضغط الأعصاب
الذى تعرضت له، فتلقفتها ذارعى مصطفى الذى أخذ ينظر
لها عاقداً حاجبيه بقلق وهو يتمتم باسمها بلمهة :

_يارا، يارا فوقى يا يارا .

ولكن لا مجيب !

تراه تمادى فى الضغط عليها، أم أنها فعلاً مخطئة وقد
أدركت خطأها وها هى تُصدم ببشاعته!!



لا يدري .. لا يدري سوى أن رعبه على ابنته قد ازداد أضعافاً
بعد ما رأى وجهها الشاحب وجسدها الذى انتفض قبل أن
يغشى عليها!

.....

أخيراً أفاقت بعد عدة محاولات، لكنها ما زالت تنظر له
باكية، إلى أن همست بعد فترة وهو ما زال متشبثاً بكفيها بين
يديه :

_سامحنى أرجوك .

لم يقوى حتى على الإيماء إيجاباً ! لينتظراً أولاً ليعرف ماذا
سيحل بابنته ومن ثم يعيد النظر فى مسألة يارا ! هذا إن لم
تكن هى سبب ما حدث كما تفضل وتثبت له بإعتذارها له
منذ زمن!

أخيراً استقام واقفاً، متجهاً نحو مدير المكان هنا ليقوم
برؤية تسجيلات كاميرات المراقبة !

قاده الرجل إلى غرفة ما .. دلف إليها ومن ثم دأب على رؤية التسجيلات على مدار اليوم !

إلى أن أتت اللحظة التي رأى فيها يارا تسلم الطفلة لامرأة ما كما كانت في الصورة التي أرسلت له .. لكن المرأة تظهر أيضاً وهي مولية إياه ظهرها فلا يستطيع رؤيتها ! تأفف بضيق في وقفته واستعد لأن يذهب بعد أن يأس لكنه ما كاد يفعل إلا وقد وقف في مكانه مرة أخرى يتطلع بتدقيق إلى شاشة الحاسوب أمامه مضيقاً عينيه بتفحص !

انتبه فجأة على رؤية المرأة تستدير ويتضح وجهها أمامه في الكاميرا وهي تحمل ماسة فوق ذراعيها..

مد كفه يضغط زر ليووقف استرسال التسجيل، حينها اتسعت عيناه حتى وهويطالع الشاشة بانشداه، إلى أن همس أخيراً بصوت لا يكاد يُسمع :

_مش ممكن !!!!

=====



الفصل العشرون

=====

"لم يرد شيئاً من الدنيا سوى راحة بال .. حتى الحب زهد في نظره حين قايضه براحة البال، لكن الدنيا تصر على وضعه في مصاعب هوليس لها!"

دلف مصطفى من باب بيتهم بخطواتٍ متثاقلة لا تماثل ذاك التثاقل في نبضات قلبه !

يعرف أنه أقدم على خطوة غير محسوبة .. يعرف أنها مجازفة من الممكن أن تكلفه حياة ابنته أو ابتعادها عنه، لكنه مستعد؛ فقط لكي يعرف الحقيقة أين تكمن !!

قابله فارس في مدخل البيت فرأه يدلف للبيت دون ماسة فسأله عاقداً حاجبيه :

_ هي ماسة مع يارا انهاردة كمان ؟

اهتزت حدقتا مصطفى للوهلة الأولى، وكاد لسانه يخونه و
يبوح بكل ما يثقله لفارس لكنه تدارك نفسه في لحظات قبل
أن يرسم على ثغره إبتسامة صغيرة مؤودة الروح، قائلاً
بخفوت :

_ايوه !!

=====

أغلقت باب البيت خلفها لتستند عليه بظهرها متمدة
بإرهاق تجلى على مُحيائها بعد اليوم المضنى الذى قضته مع
مصطفى فى المكان الذى اختُطف فيه ماسة ! أوبالأصح
سلمتها هى بيديها لمصير مجهولٍ، والذى انتهى بإتفاق
مصطفى معها أنها لن تتحدث عن أى شئ أوتأتى بسيرة ما
حدث أمام اى أحد من العائلة !!

لماذا ؟ هى لا تعرف وعندما حاولت السؤال فاجئها بردٍ وقع
من نفسها موقعاً بليغاً :



"أنا مبعثش بثق فيكى يا يارا .. انا هعرف اسيطر على الوضع
ارجع بنتى، واعرف كل ده حصل ليه والأهم ازاي"
تهاوت جالسة على الأرضية الباردة أمام باب المنزل، وقد آن
أوان أول عبرة لتشق طريقها على خديها !
تقسم أنها لم تكن تنوى أى شئ من هذا .. تقسم أن عقلها
لم يسعفها في حساب النتائج لما فعلت !

كل الذى حدث بدأ في ليلة كانت ماسة تقضيها معها.. بعدما
دثرتها بغطائها وجلست تراقبها في نومتها ككل ليلة قاطعها
صوت وصول رسالة على هاتفها، فالتقطته لترى من أرسل
لها رسالة الآن .. لتجد رسالة مفادها أن هناك شخص
يأمرها بأن يقابلها غداً في الحديقة الخلفية لبيتهم،
استعجبت يارا وقتها ماذا يريد من أرسل الرسالة وماهى
نواياه ولماذا في حديقة بيتها تحديداً؟ ولكن الصباح لم



يمهلها يومها وأشرق شمسها أسرع مما تمنى وجاء موعد
اللقاء فى بيتها وليتها ما دفعها فضولها يومها لترى ما الأمر!!

ـ يارا يا يارا !!

كانت تلك عبير تنادى بلهفة وهى تراها هكذا جالسة أمام
باب المنزل بانهميار، فتحت يارا عينها بتثاقل فى حين أقبلت
عبير إليها تضمها بين ذراعيها بحنان وهى تتمتم :

ـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .. مالك يا يارا اى إلى حصل .

هزت رأسها نفيًا بإشارة غير مفهومة، قبل أن تتمتم بإعياء
شديد وهى تتشبث بحضن أمها بقوة :

ـ مفيش حاجة يا ماما بس تعبانة شوية .

ربتت عبير على رأسها بحنو وهى تستقيم وتوقفها معها قائلة
:

ـ طب تعالى يا حبيبتي، اطلعى أوضتك ارتاحي؛ اسم الله
عليكى يا قلب امك .



قادتها عبر نحو غرفتها وهي تتهدد بقلعة حيلة، حياة بنتها قد
قُلبت رأساً على عقب، ما عاد شيئاً في محله ولا شيئاً على ما
يرام أبداً !!

ويبدو أن الوضع يزداد سوءاً بشكلٍ لا قبل لقلبيها به !

=====

استفاقت من نومها الطويل أخيراً..

لكنها ما كادت تفتح عينيها حتى اصطدمتا بوجهه القريب
منها جداً، لا ليس وجهه فقط بل هوائماً جوارها، ذراعه
فوق جذعها محتضناً إياها!

وملامحه كانت شديدة الهدوء في نومه وكأن نفسه قد
حصلت أخيراً على سلامها المفقود !

ظلت في نومتها هكذا طويلاً تنظر له عن كل هذا القرب..
لا تنكر أن شعوراً جماً بالأمان والسكينة يحتاجها في هذه
اللحظة ! لكنها لا تنفك تخشى تبعات الأمور .. وكأنه داء قد



أصابعها، كل شئ له تبعات وبالتأكيد حبها له لن يعود عليها
بمردود جيد، وهى التى تعبت من كثرة ما عانت!

لكن هو.. هو ليس له ذنب فيما حدث معها قبل ذلك و
مازال يحدث، هو لم يكن موجوداً حين عانت هى كل هذا
الفقد، كل هذا الاشتياق لكل من رحلوا، كل هذه الوحدة
التي تحياها، ليس له ذنب أبداً !!

ربما هو لا يحبها وإنما فقط هو شهم كما لا يفترض أن
يكون، يشفق عليها ربما، لكن يحبها لا تعتقد !!
ولكن لحظة !

أليس هو من ساعدها، من ظل ساهراً ليله جوارها فى
المشفى، من عقد قرانه عليها ليخلصها من جحيم هيثم
الذى كانت تحياه، هو من ترى فى عينيه شغفه بها، من
وقفت هى أمامه حتى لا يتأذى من ضربات هيثم الطائشة،
من خشت فقدته كما رحل الآخرون، من كان ملهوفاً حد
الذعر عليها !



فمن هي لتبخس حبه حقه ؟!

رماد عينيها يعاود اشتعاله وفكرة تطراً على بالها لتتخلص
من كل هذا ! لا تنكر تأثيره عليها ولهذا .. هي مضطرة لأن
تبتعد !!!

تهدت باضطراب فبدأ هو يتململ في نومته حتى أفاق تماماً
! أول شئ وقعت عيناه عليه كانت عينيها، فظل ساكناً
للحظات طالت يتطلع لها دون حديث، وهي لم تكن بالجرأة
الكافية حتى تقطع على نفسها سحر اللحظة !

لكن اللحظة لم تطل، حيث اشتدت يد معاذ حولها أكثر
وهو يقربها منه حتى باتت تلاصقه أكثر، حينها عقدت
حاجبها بخفة وهمّت بقول شئ انقطع على ضفاف شفتيه !
اتسعت عيناها للوهلة الأولى وهي تشعر به يقبلها بحذرٍ
شديد خشية ثورانها عليه، لكنها كانت مستكينة بل
أغمضت عينيها للحظة مستسلمة له..



وهى لحظة واحدة !!

كانت فقط لحظة استغرقتها لاستجماع قوتها ثانية ومن ثم دفعت به بخفة لا تخلو من حزم فابتعد عنها من فوره !
بدا مندهشاً لما فعله فى أول وهلة ! لكن إدراك إستجابتها له سرعان ما جلب شبح ابتسامة لشفثيه تلاشى بمجرد سماعه صوتها الأجلش ، حيث قالت وهى تهز رأسها نفياء :
_ أرجوك ابعده .

تنهد معاذ باضطراب وهو يبتعد عنها جالساً على طرف الفراش ، فى حين استقامت هى الأخرى جالسة ، مستندة إلى ظهر الفراش .. استدار لها معاذ ينوى قول شئ يتلاشى به حرج الموقف لكنها فاجأته بقولها الجاد :
_ انا عاوزه أرجع بيتى .

رفع نحوها عينين حادتين تحت حاجبين انعقدا برفض تام لم يقدر على البوح به فى وجهها !



ولكن من هو كى يعترض، إنما هو مجرد عابر سبيل مر على
أرضها ولم يتلقَ حتى كرم الضيافة !!
هو قد سبق وأعطاهها حرية الاختيار، فلن يكون لرفضه
ها هنا معنى !

استرخت ملامحه ظاهرياً، وهو يومئ لها إيجاباً ومن ثم قال
بهدوء :

_الى انتى عاوزاه هيحصل !

=====

بعد عدة أيام...

دلف من باب المشفى وعينه تجولان فى المكان وفوق كل
الوجوه بحثاً عن واحداً بعينه !
لكنه على ما يبدو ليس متواجد !
ماذا أتى به إلى هنا ؟ هو شخصياً لا يعرف !

إنما هو فقط وجد قدميه تسوقانه نحو هنا، قبل حتى أن
يذهب لعمله !

ربما هي رغبته الخفية في رؤيتها، وربما هو يريد دليلاً واضحاً على حديثها الأخير معه واعترافها الضمني أنها تحبه ! و "ربما" هذه لا تجزم بشئ ! تماماً كما مشاعره نحوها تمثل ال "ربما" في أبهى صورها !!

صعد للطابق العلوى والذى يحوى غرفة مكتبها، وبتردد وقف أمام الغرفة المنشودة ثم طرق الباب !
مرة بعد أخرى ولا رد، خال له أنها ربما لم تأتى اليوم للمشفى لكن مرور ممرضة جواره جعله ينتبه فاستوقفها متسائلاً ببعض الرسمية عن مكان فريدة، فأنته إجابتها بأنها رأتها تخرج من غرفة العمليات منذ قليل متوجهة نحو هذا الممر!

او ما زين شاكراً إياها، وسار نحو الممر الذى أشارت له الممرضة، لكنه وصل لنهايته ولم يجد أحداً ولا شئ !
لكنه أبصر على يمينه "باب سلم الطوارئ" !!



عقد حاجبيه وهو يطالع الباب ببعض التردد لكن لا ضير
من المحاولة !

تقدم من الباب ثم دفعه ببعض الحذر الذي تلاشى تماماً
وهو يبصرها جالسة على درجات السلم توليه ظهرها ومن
اهتزاز كتفيها وصوتها المكتوم علم أنها تبكى !!
لحظة !!

هي لتوها خرجت من العمليات وها هي هنا تبكى !
إذاً هي ربما لم تستطع إنقاذ المريض وتلك "الحالة" عادت
إصابتها لها !!

جمع خيوط القصة في عقله قبل أن يتهد وهو يهز رأسه
بتفهم يشوبه بعض اليأس منها !!
هذا قبل أن يتقدم منها جالساً جوارها على درجة السلم
التي تحتلها!

اجفلت فريدة لأول وهلة قبل أن تشيح بوجهها بعدم
اهتمام، ليس أول مرة يراها بهذا الشكل على كل حال!



تنحت بنفسها قليلاً مفسحة بينهم المزيد من المجال بعدما
جلس واحتل بحضوره محل ذرات الهواء حتى !
التوت شفتاه بشبه ابتسامة وأدها بسرعة عندما استمع
لوتيرة بكائها تتزايد .. لم يتحدث ولم يحاول حتى اقناعها
بالسكوت، فقد علم مسبقاً أنها لن تصمت إلا حين تنتهي
من كل انفعالاتها الداخلية !

وعوضاً عن أمرها بالسكوت، أخرج من جيبه علبة صغيرة
بها مناديل ورقية عديدة، أخرج واحداً منها قدمه لها
بصمت، فالتقطته هي ومسحت به دموعها التي سرعان ما
انسكب غيرها !

لكنه قدم لها واحداً آخر أيضاً دون حديث، فالتقطته
لتفعل به مثل الأول !

ظلت فترة على هذا الحال جواره، تتناول منه المناديل تمسح
بها دموعها ثم تلقى تحت قدميها على درجات السلم !!



إلى أن هدأت تماماً واستكانت أخيراً، رغم أنفاسها التي
تخرج على هيئة شهقات صغيرة؛ لكنها في المجمل بخير!
_هديتي الحمد لله .

قالها زين أخيراً بمرح يشوبه بعض السخرية !
فالتفت له قائلة -كعادتها بعد البكاء- بصوتٍ مبحوح يائس :
_انت مش بتيجى غير ف الأوقات دى بس .. وانت جاي ليه
اصلاً ؟

مط شفتيه بعدم استحسان وهو يقول بسخرية :
_استقبال جميل فعلاً، ايه رايك تقومى تطردينى برا
المستشفى بتاعتنا دلوقتى .

أدارت عينها بملل قبل أن تتهد محاولة الحديث بإتزان قدر
استطاعتها فقالت بجدية وهى تنظر له بتدقيق :

_نقولها بأسلوب تانى، أستاذ زين ! حضرتك جاي المستشفى
ليه انهاردة ؟

صوتها خرج خافتاً رغباً عنها بشكل مضحك، فقطب حاجبيه قبل أن يضحك عالياً قبل أن يستطع منع نفسه، فزمت شفتيها وهي تتنهد مجدداً لكن بيأس هذه المرة..

هدأ زين تدريجياً دون أن تخبوا الإبتسامة عن شفتيه، نظر لجانب وجهها المواجه له وهو يتنهد بعمق قائلاً بهدوء :
_عشان كده بحب اقعد معاكي، لانك تانى أكثر شخص فكاى فى حياتى .. بعد حازم ابن عمى طبعاً .

شقت الابتسامة شفتيها رغباً عنها، فوأدتها سريعاً وهي تدير وجهها لتنظر له بتعبير متجهم مضحك، فبادلها النظر بصمتٍ وأيضاً بابتسامة..

مرت بضع دقائق على هذا الحال إلى أن شعرت باسترداد أحبالها الصوتية قدرتها على الحديث بطبيعية، فلعلقت شفتيها وهي تتنحج قائلة بعملية :

_طيب! جاى ليه .



داربعينيه فى المكان بعدم اكتراث وهو يزكتفيه قائلاً بنبرة
لامبالية بعض الشئ :

يمكن لأنى عاوز اتكلم مع واحدة صرحت بحبها ليا ضمناً
وسط الكلام .

أنهى جملته وهو يميل برأسه جانباً باستمتاع، قبل أن
يُفاجأ بتعقيبها الدفاعى، شبه المحتد :

وانا مقولتش انى بحبك .

وانا مقولتش أنها انتى، رغم انك فعلياً قولتها دلوقتى .
تأففت بضجروهى تشيح بوجهها عنه، ثم قالت بخفوت
يائس :

زين ! انت عاوز ايه ؟

ببساطة، عاوز الصراحة .

اومات وهى تستدير له بكليتها قائلة بهدوء :

يبقى المفروض تصدقنى، انا مقولتش انى بحبك، يبقى انا
مش بحبك .



_بس انا مش مصدقك يا فريدة!

صمت لهنيهة فأخذت كلماته الأثر المطلوب وهو يستطرد :

_لان انا وانتى عارفين كويس اوى ان دى مش الصراحة .

تهدت بملامح مرهقة قبل تهمس بخفوت وبحاجبين

منعدين :

_وانا معنديش غيرها، صدقنى !!!

اختفى الهزل من ملامحه، قبل أن يزم شففيه وهو يومئ

إيجاباً دون تعبير محدد، ثم قال مغيراً مجرى الحديث بشكلٍ

مُفاجئ :

_طيب! "الحالة" جاتلك تانى ليه انهاردة؟

استطابت محاولته للتشويش على الحوار السابق،

فابتسمت بخفوت يشوبه بعض الخجل من ذكر حالتها،

قبل أن تتصنع اللامبالاة قائلة :

_العادى بتاعى لما بنفعل، كانت عندنا عملية و.... مقدرتش

أنقذ المريض، وبس!! انا كده .



ابتسم لعينيها بتشجيع وهو يمد يده بحركة متهورة ممسكاً
بيدها وهو يشد علي كفها قائلاً:

ـ بتحصل، عمره كده! والاعمار بيد الله انتوا مش هتوقفوا
ف وش القدر، المهم إنكم اديتوا واجبكم تجاهه والباقي بقى
بتاع ربنا .

ابتسمت بخفوت مرددة خلفه :

ـ صح مش هنوقف فى وش القدر.

بادلها الابتسامة قبل أن ينهض قائلاً بعملية :

ـ طيب! مضطراى امشى، اشوفك وقت تانى .

هزت رأسها إيجاباً دون رد، وهى تراقبه يرحل بابتسامة
حزينة بعض الشئ وقلبها يردد داخلها :

"ليتك اعترفتى ! ليتك اعتقتنى من كل الحب الذى أحمل.."

=====

"موعد وهى لدى طبيب نفسى !!"



تنهد بسخرية وهو واقفاً أمام عيادة الطبيب متخصراً بيديه
ينتظرها لتخرج !!!

من كان يظن أن أدهم سيأتي عليه اليوم الذى يقف فيه
أمام عيادة لطبيب ينتظر "جلالتها" لتخرج، متظاهراً بموعد
وهى مع الطبيب المختل صاحب هذه العيادة !

تراجع لمسافة لا بأس بها، مستنداً إلى سيارته وهو يكتف
ذراعيه أمام صدره والإنتظار يصيبه بملل رهيب !!

لكن أخيراً رآها تخرج وهى تمسك بالورقة التى تحتوى على
وصفة الطبيب العلاجية تنظر لها عاقدة حاجبها !! تمشى
على غير هدى لا تنظر أين تحط قدمها حتى !

إلى أن اقتربت منه بمسافة كافية فقال ببعض السخرية :

_دكتور عاوز دكتور انا برضو مرتحتلهوش .

أجفلت وهى ترفع وجهها له بدهشة ومن ثم قالت ببعض
الاستغراب عاقدة حاجبها :

_أدهم !!



لأول مرة فى تاريخ معرفته القصيرة بها تنطق اسمه مجرداً
دون ألقاب ! وعلى ما يبدو "جلالتها" قد قررت إستخدام
صلاحيات منصبها أخيراً فى رفع التكلفة بينها وبينه !!!

فابتسمت بخفوت وهى تشير بيدها إشارة دون معنى، قبل
أن تنحى الدهشة جانباً وتعقب على حديثه السابق :

_الادوية مش ليا، ده مهدئ عشان فريدة والحالة اللى آآآ...
كانت تثتردون داع، وهولم يسألها حتى، لذلك صمتت،
باترة حديثها غير المجدى، وعوضاً عنه قالت :
_بس دكتور شاطر.

هزكتفيه دون معنى وهو يقول :

_ممكن .

_أذواق!!

ضحك عالياً بعد كلمتها الأخيرة قبل أن يقول :

_ممكن برضو .

ابتسمت وهى تكمل مسيرها نحوه متسائلة :



_ طيب ! فين الصيدلية القريبة إالى الدكتور بيتكلم عنها و
بيقول هلاقى العلاج ده فيها .

هزكتفيه بجهل وهو يقول بهدوء :

_ حقيقة انا مش عارف بس ممكن ندور عادى .

ضحكت ضحكة قصيرة، خجولة بعض الشئ وهى تقول :

_ مش عاوزة اتعبك معايا .

_ يا ستى اتعبينى كل يوم، مروحتش اشتكيتك فى حته انا .

قالها بمرح وهو يشرع فى السير أمامها، فهزت رأسها وكأنها

تنفى خاطراً ما عن تفكيرها قبل أن تلحق به بخطوات

سريعة !!!

إنما هو القدر يحاول جمعهما ليس إلا، فلما تتذمرهى ؟

أوربما ليس القدر والموقف عبارة عن "صدفة مدبرة" من

قبله! ولكن لا يهم، يكفى أنهما هنا !

يكفى أنه الشخص الذى لا تخافه كما كل البشر.. يكفى أنه

لا مفر من شعورها أمامه بأنها ليست خجلة، ليست

مضطربة، لا تهتم بنظرته لها كيف تكون وكأنها ضمنت
ماهيته الطيبة أبداً !!

سارت جواره شبه مهرولة تحاول مجارة خطواته الواسعة
إلى أن تعبت فوقفت قائلة بتذمر:

_ممكن تمشى براحة شوية .

التفت لها متفاجئاً لأول وهلة قبل أن يضحك وهو يعود
عدة خطواتٍ للخلف ليتماشى مع خطواتها الصغيرة قائلاً:

_اسف! مش بعرف غير امشى بسرعة .

اكتفت بابتسامة وهى تعاود السير جواره دون حديث !

طال الوقت قبل أن يجدوا أمامهم الصيدلية المنشودة،

فدلف أدهم لي جلب لها ما تريد ثم خرج فناولها إياه و

استداروا عائدين مرة أخرى !

ساروا جنباً إلى جنب وهو قد أبطأ قليلاً من خطواته مما

جعلها تبتسم ببعض الحرج !



ولكن فجأة وبعد لا تفكيروجدت الكلمات تتسلل من بين شفتيها، تبوح بكل ما اعتمل قلبها :

_كنت صغيرة ! لما مرات أبويا جوزتني غصب عني، معشتش معاه كثير.. وأطلقنا بعدها، بعد ابني ما مات .

صحيح كانت بضع كلمات مختصرة لا تعبر عن مدى بشاعة ماضيها، لكنها تحدثت على أقل تقدير!

وجدت القدرة في نفسها على البوح بماضيها أمامه !

أدار وجهه ناحيتها، ينظر لها بانعقاد طفيف، لا يصدق أنها تحدثت أولاً، وثانياً لا يصدق تلك الغصة التي وجدها في

قلبه حال ذكر موت الطفل !

وقعت الجملة منه موقعاً بليغاً .. ربما هو تأثره بما يسوءها،

وربما بما يسوءه هو !

هز رأسه بخفة حين طال تفكيره، وأنتبه لها هامساً :

_انا اسف .

ابتسمت بخفة وهي ترمقه بطرفٍ خفي قائلة :



_عادي انا مكنتش لسه شوفته، انا بس .. سقطت في الشهر الرابع .

لم يدرِ ما يقول أو بما يواسيها، عادةً هوفي المواساة و
المجاملات وما إلى ذلك لسانه وعقله لا يسعفانه !
لذلك لم يتحدث بل مد يده بحركة غير محسوبة العواقب،
وأمسك بكفها بين يده !

أجفلت وهي تنقل بصرها بين كفيهما المتعانقين وعينه
المشغولتين عنها بالتظاهر بالنظر للطريق أمامه، شعر بها و
رغم ذلك لم يفلت كفها وكأنه يحفر لمسته فوق قلبها !

اختلج قلبها بين جنباتها لوهلة قبل أن تزدرد ريقها بتوتروهي
تنظر أمامها مثله، متصنعة الانشغال أو عدم الإهتمام، و
ذلك ما جعله يشدد على كفها في يده، معانقاً أصابعها
بأصابعه! وكأن الفراغات في كفها كانت تنتظر أصابعه
لتملاها، وكأن مكانها الطبيعي هاهنا !

ها هي "جلالتها" معه، فأى شئ آخر يريد ؟



وتفكيره الأخير هو ما جلب ابتسامة لشفيته لم تُمحي، حتى
بعد انقضاء لقاءهما، وحتى بعد أن سحبت يدها منه بقوة و
قد عبست ملامحها قليلاً بعدم رضا، لكن خجلها منعها عن
الحديث !!

=====

كانت تضع لمساتها الأخيرة على حجابها وثيابها؛ استعداداً
للمغادرة !

اليوم عقد قران فارس ودرة، أى أنه أول يوم ستذهب فيه
لبيتها كـ "زائرة" .. لا كـ "صاحبه" !

ذراعه اللذان التفا حول جذعها وهى واقفة أمام المرأة
اخرجها من شرودها، فابتسمت منه وهى تميل إليه بدلال
قائلة :

يا نعم، عاوز ايه، ورانا مشوار عاوزين نروحوه .

مط مؤمن شفتيه بملل وهو يميل بها يميناً ويساراً قائلاً
بفضاظة مرحة :

_رايحين يا اختى، بس عاوزين الرشوة الأول .
_هى لسه فيها رشاوى، روح البس يا مؤمن الله يكرمك .
قالتها ضاحكة، فشدد مؤمن ذراعيه حولها أكثر وهو يقول
ناظراً لعينيها فى المرأة بتحذير:
_طب مش هنروح فى حطة .
ضحكت وهى تقول بتذمر:
_والله ما تحصل، دى اول زيارة ليا فى بيت اهلى ولازم اروح .
هز كتفه بلامبالاة وهو يقول ببرود مصطنع :
_انتى حرة .
ابتسمت وهى تتنهد ناظرة له عبر المرأة، ثم قالت بينما
تستدير لتواجهه :
_حاسة انى بتعامل مع طفل .
حالما استدارت له، لم تمهله فرصة الرد وهى ترتفع على
أطراف أصابعها لتصل له مقبلة شفثيه بسرعة لكنه لم



يسمح لها بالابتعاد وهو يقربها منه حتى باتت تلاصقه وكفاه
على ظهرها يمنعانها الحركة !
قبلته تتعمق أكثر، بينما هي ترفع ذراعها لتحيط بهما عنقه
!

مؤخراً اكتشفت أنها لم تكن تحب مؤمن فقط .. بل مؤمن
أصبح هو محور حياتها كلها، يجعلها كل يوم تحمد ربها ألف
مرة أن أهداها بزواج مثله !!

كانت تظن أنها ستلاقي المتاعب مع عائلته وأن رحلتها معه
ستكون صعبة، لكنه لا يفتئ يثبت لها كل يوم عن سابقه
أنه دعم ما بعده تخلى، وأنه وعد ما بعده خذلان، أنه عمر
بعد عدم لو صح تعبيرها !!!

حين ابتعد عنها، همس لاهثاً بصوت خفيض :

_الى انتي متعرفيهوش انه حتى لو جبنا عشرولاد مش هبقى
ابوولادك والجوده لا .. دانا ابنك الكبير لو مش عارفة .



ضحكت بخفوت وهو يلصق جينه بجبينها، لتقول هي بهمسٍ
مماثل :

_واللى انت متعرفهوش انى عيلة اكتر منكم والله .. وإلى
متعرفهوش برضو اننا هنتأخر لو فضلنا على الحال ده .
ضحك أخيراً وهو يقبل جبينها قائلاً بعجالي بينما يبتعد عنها
ليبدل ثيابه :

_طيب يلا بينا عشان محلفش اننا نقعد ونجيب العشر ولاد
دلوقتي .

شيعت رحيله بضحكة عالية سرعان ما استحالت إلى
ابتسامة راضية لمآل حياتها !! عليها تظل دائماً !!

=====

بابتسامة فاترة تناظر الجميع، من يهنئ ومن يبدى فرحته
بما يحدث، وكلّ سواء في نصيهم منها .. ابتسامتها الفاترة !!
خدعة !!

كل هذا ما هو إلا خدعة ابتدعوها ليحافظوا على حياة
الملك في "لعبة الشطرنج" التي يؤدونها، رغم أن الملك فعلياً
قد مات !!!!

اليوم تم عقد قرانها على فارس بحضور جميع عائلتهما ..
لكنها وحدها تعلم أنها ليست سعيدة !
لا الأمر ليس في كونه فارس، لكن لأنه الأمر الواقع وهي لم
تكره بحياتها قدر فرض الأمر الواقع !!
وهو جوارها لم يكن بأفضل منها حالاً، بل كان كمن يشاهد
مسرحية هزلية هوليس جزءاً منها !

أقبلت منة إليهما بعدما وصلت لتوها، وبابتسامتها المشرقة
هنئت فارس بكلمات تقليدية، ثم التفتت نحو درة التي
احتضنتها في حين قالت منة بحفاوة :
_الف مبروك يا درة، ربنا يتممكم على خير، وحشتوني اوى .



تجمدت الابتسامة على شفتي درة دون أن تجد القدرة على
الرد، ابتعدت منة في حين اهتزت ابتسامتها وهي تشعر بشئ
غريب في درة، عقدت حاجبها رغم الابتسامة وهي تهمس
باسمها بوجل :

_درة .. مبتريديش ليه .

فغر فارس شفيته متأوهاً دون صوت وهو يفقه لتوه أن منة
لا تعلم أى شئ عما حدث، لا الخدعة ولا الحقيقة !!
مد يده ممسكاً بكف درة داعماً، ثم ابتسم في وجه منة وهم
بقول شئ قطعه حلاً التي أتت منقذة الموقف بعدما
سحبت منة من يدها بعيداً عنهم !!

تهتت درة بارتجاف بعد رحيل منة وهي تشعر أن الوضع
أصبح ثقيلاً للغاية !! بينما فارس ينظر لجانب وجهها
المواجه له مشدداً على كفها في يده، قبل أن يهمس باسمها
بخفوت، فالتفتت له وقد تداعت الابتسامة الجامدة نهائياً
هذه المرة !

_ تحبى نطلع برا دلوقتى .

تساءل بهدوء فترددت هى للحظة قبل أن تومئ موافقة
بصمت !

=====

خرج معها من البيت إلى الحديقة الخارجية، اجلسها على
مقعد خشبى يقبع في أحد الأركان، ثم جلس جوارها متصنعاً
الصمت رغم كل الذى يضج داخله !

كان ينظر أمامه مهتماً باللاشئ فوجدها تربت على كفه برقة
لينتبه لها، فالتفت لها هامساً :

_ نعم .

ضيق عينيها بتساؤل وهى تشير نحو الداخل إشارة موحية
لما حدث قبل قليل ثم هزت يدها نفيًا، فعقد حاجبيه قليلاً
وهو يقول متساءلاً :

_ قصدك منة متعرفش حاجة ؟؟

اومات إيجاباً، فابتسم بخفة وهو يجيبها :

_لا .. منة متعرفش حاجة خالص، متزعليش منها، محدش
رضى يقولها حاجة عشان كانت لسه فى بداية جوازها .

اومات مجدداً ثم أشاحت بوجهها بعيداً تستنشق من الهواء
بعمق، عله يبدد بعض من ضيقها..

لم تعتد هذا الصمت الإجباري، إضافةً لكل ما تعتمل به
نفسها وتحتاج للبوح به .. لكن ليس هناك بديل مع بالغ
الأسى !!

تبددت ابتسامته فلم يبق منها إلا رفات وهو ينظر لجانب
وجهها المواجه له طويلاً، إلى أن همس بصوتٍ واهٍ، متأثر:
_وحشنى صوتك يا درة !

كان يظن أنها لا تسمعه أو سمعته ولم تهتم، لكنها التفتت
له بعد وهلة، تنظر لعينييه نظرة من ليس له حيلة، قبل أن
يراها تمد كفها ممسكة بيده بشئ من القوة ثم نظرت
أمامها دون تعقيب !

وكأنها بفعلتها تؤيده، وكأنها تثبت أنها الأخرى اشتاقت
صوتها، اشتاقت نفسها القديمة !!

تهد دون صوت وهو ينظر لها .. كل مرة يظن فيها أنه وصل
لطريق مسدود معها، تعيده مرة أخرى وكأنها تثبت له أن
الطريق مازال فيه متسعاً لسعادتهما معاً !! ورغم ذلك لا
يجد في نفسها رغبة في إيجادها بل تدله على الطريق ليعثر
هو على سعادتهما معاً وجلّ خوفه هو أن يضيعها !!!

أحاط فارس كتفها بذراعه وهو يقربها منه، يقبل رأسها ثم
يبقيها هناك، مستندة إلى كتفه ومسنداً جبينه على رأسها !
وهي لم تعترض بل استندت إلى كتفه، تدعم نفسها به، و
يدعم نفسه بها !! ولم يدرياً منهما من كان أضعف قوة من
صاحبه !!

=====

دلف زين من باب منزل جده متسللاً، متمنياً أن أحداً لم
يلحظ غيابه وألا يكون عقد القران قد فاته !



لكن الأجواء شبه الهادئة انبثت بآن ما يخشاه وقع وسيجد
تقريباً من جده ربما !!

ولكنه قبل أن يخطو بقدمه بعد عتبة الباب وجد مصطفى
يندفع خارجاً منه وهاتفه مرتفعاً يحدث شخصاً ما ببعض
العنف المكبوت، عقد زين حاجبيه وهو يراه يتخطاه ثم
يستقل سيارته منطلقاً بها !!

حملق زين في فراغه ببعض الشك، مرت فترة لا بأس بها منذ
أن تحدث مع مصطفى في آخر التفاصيل، لكن مصطفى
يبدو أنه لا يدرج جهداً لأى حديث ولا ينتظره حتى !!
_ زين .

نداء حازم أخرجه من شروده، فالتفت له عاقداً حاجبيه،
ليهز حازم رأسه نفيماً بإشارة غير مفهومة وهو يقول بريبة :
_ مصطفى مش مضبوط، وماسة مش موجودة .
_ يعنى ايه ماسة مش موجودة .. مش فاهم أنا .

تساءل زين بشئ من الغباء غريب عليه، فاقترب منه حازم وهو يقول :

_حالياً البنت مش مع مصطفى ولا مع يارا، ومصطفى كان مختفى طول الفترة إالى فانت دى وقايل أنه مع بنته فى مكان لوحدهم، لكن دلوقتى وهو موجود قال ان البنت مع سمية وسمية مش هنا، بس من أمته سمية بتاخود ماسة فى حته أوبتقعد معاها فى مكان ؟

_قصداً أن البنت مختفية ومصطفى مخبى علينا .

اوما حازم بجدية وهو يكمل له جملته :

_واكيد يارا بس إالى تعرف حصل ايه .

تبادلوا النظرات الحائرة فيما يحدث ولا يدروا كيف يستطيعوا استخلاص معلومة كتلك من يارا .. لكن زين قال بعملية قبل أن يخطوا أى خطوة :

_اتصل بسمية اتأكد منها الأول .. بدل ما نعمل حوار على الفاضى .

اوماً حازم موافقاً وهو يخرج هاتفه طالباً سمية التي أكدت
له بحرارة شديدة أن الطفلة معها بأمان !!

....

حين أنهى اتصاله تركه زين وهو يقول ببعض المرح :
_ خليك انت موسوس دائماً كده .

_ يا زين بس ...

وحينها كان يحدث الفراغ !! حيث غادره زين وهو يهتف من
خلفه :

_ كبر دماغك يا حازم، متبقاش شكاك كده .

تنهد حازم وهو ينظر في فراغ زين بحيرة..

الوضع ليس مطمئن، تصرفات مصطفى شديدة العصبية

تشئ بشئ غير طبيعي .. وزعمه بوجود ماسة مع سمية الآن

شئ خارج حدود المعقولية !

فما العمل الآن في هذا المأزق ؟؟

=====

وقف زين مكتفاً ذراعيه على باب الغرفة التي تجلس فيها
حلا ومنة متقابلتين والأولى تحكى شيئاً على ما يبدو أنه هاماً
والأخيرة تنصت باهتمام !!

رفعت منة حاجباً واحداً ببعض الامتعاض وهي تتمتم بعدما
أنهت حلا حديثها :

ـ يعنى انتى عاوزة تفهمينى أن كل ده حصل وانا معرفش عنه
حاجة !!! درة وإلى جري معاها وكتب كتابك على حازم .. و
معاذ .. معاذ يتجوز وانا معرفش لا ومراته تنضرب بالنارو
تدخل المستشفى وتطلع وانا برضو نايمة على ودانى
معرفش، انتوا اتهبلتوا يا عيال آدم ولا ايه .
ـ شوف بقى قلة الأدب يا اخى .

قالها أخيراً بعدما استمع للإهانة فى كلماتها، فانتفضت منة
وهي تنظرله لأول وهلة بابتسامة وكادت تهزول إليه لترتمى
بين أحضانها، لكنها عادت وأجبرت قدميها على الرسوخ فى
الأرض، لتكتف ذراعيها أمام صدرها، ثم تقول بنبرة لائمة :



_ اه وبالنسبة لحضرتك لما زورتني بدل المرة اتنين، لسانك

كان هيوجعك لو عرفتني إالى بيحصل فى بيتى من ورايا .

_ يعنى كنتى هتيجى تعدلى المائلة، الله يهديكى يا منة .

زمت شفتيها مبتلعة إهانتها المسترة خلف المرح لها، ثم

ازدردت ريقها قائلة بتعالى :

_ عامةً مش مشكلة حصل خير .

هززين رأسه بيأس من طفولتها المتأخرة، قبل أن يقول ماطاً

شفتيه، متظاهراً بالملل :

_ طيب وبعدين، مش هتيجى تسلمى .

ضحكت منة عالياً وهى تتقدم منه بسرعة محتضنة إياه و

هى تتمتم :

_ وحشتنى اوى .

ضحك وهويلف ذراعيه حولها، مخفضاً رأسه نحوها

متساءلاً بخفوت :

_ عاملة ايه مع مؤمن ؟



رفعت منة عينها نحوه بنظرة مختلفة عن نظرتها الطفولية المعتادة، نظرة عاشقة أيدت بقولها نظرتها :

_مؤمن مفيش أطيّب منه، أنا أنا بحبه اوى يا زين .

اتسعت إبتسامة تأثره وهو يربت على رأسها بحنو، ثم قال بهدوء :

_ربنا يسعدك .

_امين يارب مش هنخلص بقى ولا ايه .

كانت تلك حلا التي تدخلت بسخرية ممتعة مفسدة عليهم اللحظة، فضحكت منة وهى تبتعد عن زين، فى حين افلتها وهو ينظر لحلا بامتقاع قائلاً :

_والله م كذب إالى سماكى هادمة لذات ومفرقة جماعات بصحيح .

_طب يا سيدى شكرا كفاية .

ضحك زين وهو ينظر لهن معه، كلّ منهن وجدت سعادتها أخيراً حتى حلا والتي لطالما أرهقه تفكيره فيها، لكنها فى



الأخير عثرت على سعادتها بعد طول تعثر في صخور القدر
الناثئة !

_ولا أقولكم كملوا انتوا وصلة المحن دى وأنا رايحة اشوف
مصلحتي .

قالتها حلا بمزاح وهى تتقدم خارجة من الغرفة، شيعتها
ضحكة منة التى فهمت إلاما ترمى حلا، بينما زين غض
الطرف عن مقصدها متفادياً حرج الموقف !

=====

وما كانت مصلحتها تلك سوى حازم الذى عثرت عليه أخيراً
فى غرفته، يبحث عن شئ ما فى أحد أدراج مكتبه بعنف،
عصبيته كانت واضحة فى أفعاله وحركات يده التى تحاول
عبثاً إيجاد الشئ الذى يبحث عنه والذى لا تعرف هى
ماهيته !!

_حازم !



ندائها استوقفه للحظة، قبل أن يستدير إليها متفاجئاً
بوجودها في غرفته، ثم قال بدهشة :

_حلا ايه إلى جابك هنا ؟

كتفت ذراعها وهي تتقدم إلى الغرفة بخطواتٍ مضطربة، ثم
قالت بنبرة ممطوطة :

_عادى ... كنت بدور عليك ولقيتك هنا .

ظلت تتقدم حتى جلست على طرف فراشه، وكل هذا أمام
عينيه المتعجبتين وحاجبيه المرتفعان بمشاركةٍ في يوم
الدهشة العالمي الذي يعيشه !

حلا في غرفته، كيف فعلت ولماذا هو لا يعرف حقيقةً، ربما
هناك مصيبة أو هناك مصيبة !! لا خياراً آخر..

فحلا التي يعرفها ما كانت لتدلف من باب غرفة تجمعه بها
وحدهما إلا بعدما تُزف إليه عروساً، لو لم يكن سمو خلقاً
منها فهو بالتأكيد عنادٌ من قبلها !!

فما بالها الآن قد جنت !!!

_اصلى مستغرب الحقيقة، مش بعادتك تدخلى مكان زى ده
انا اكون موجود فيه .

رفعت طرف شفها بامتعاوض وهى تقول بخشونة لا تناسب
أنثى إطلاقاً :

_ايوه يعنى انا دخلت عليك فى مكان غيرلائق ولا ايه انا مش
فاهمة .

فغرشفيته وهو ينظرلها غيرقادراً على مجارة وقاحة
قولها، لكنه بالأخير أجلى حنجرته قائلاً :

_مش القصد يعنى، بس دى أوضة نومى .

ابتسمت بسماجة وهى تنظرله متشدقة :

_معلش مدخلتش الجامع بالجزمة انا ... دى أوضة
عادى .

همّ بقول شئ ما، قطعته هى بخشونة وهى تستقيم واقفة
فجأة :

_بس، أنا قايمة ماشية، أنا غلطانة انى جيت اصلا .



اقترب منها بسرعة واضعاً كفيه فوق كتفيها، مجبراً إياها على الجلوس مرة أخرى، وهو يقول بلهفة مصطنعة :
_ ايه ده والله مانتي ماشية انتي لحقتي تيجي عشان تمشي .
تحولت ملامحها الخشنة في جزء من الثانية إلى ابتسامة وديعة، رقيقة وهي تهمس بصوتٍ جميل :
_ حاضر.

عقد حاجبيه بتوجس وريبة وهو ينظر لها، أتكون بها مس جنى مثلاً؟؟ تحولاتها هذه عجيبة !! بل شديدة الغرابة !!!
تمالك نفسه وخواطره وهو يجلس جوارها قائلاً بابتسامة :
_ طيب عاوزه تقولى ايه .

جالت حدقتها فوق ملامحه للحظات لم تطل، ومن بعدها أشاحت بوجهها عنه وهي تتنهد بإضطراب .. هنا انعقد حاجباه انعقاداً طفيفاً وهو يشعر بها تخفى شيئاً في نفسها خلف واجهتها الهزلية التي جاءت بها !! لذا أحاط خصرها



بذراعه وهو يقربها منه أكثر ومن ثم أراح رأسها على صدره
مقبلاً إياه هامساً :

_قولى عاوزه تقولى ايه .

ظلت لفترة صامته قبل أن تمد يدها باحثة عن كفه حتى
وجدته، فضمته لصدرها، ثم همست بصوتٍ واهٍ :

_هو انا وحشة ؟ قصدى يعنى طبعى وحش ؟

_هو انا خايف اقول الصراحة تزعلى .

همس بها مازحاً، فعقدت حاجبها قائلة :

_على فكرة انا بتكلم جد، قولى الصراحة .

تنهد حازم وهو يجيبها هذه المرة بجدية :

_انتى مش وحشة يا حلا... انتى ك "حلا" عمرك مكنتى

وحشة، عيبك الوحيد أن دماغك تعبأكى، بمعنى أنك لما

بتفكرى فى حاجة بيكون كبرياؤك أول شئ بتحطيه فى

الاعتبار مع ان فى حاجات تانية أهم، تقدرى تتنازلى عن

الكبرياء قدامها ببساطة زى الحب مثلاً !!



هنا رفعت عينها إليه بعبوس قائلة :

_يعنى هو انا عشان بحبك لازم ارضى منك بأى حاجة حتى
لوفيه اهانة ليا.... ده ايه المنطق ده .

زفربحدة وهو يهدر فى وجهها :

_بت بقولك ايه .. سيبيني اكمل وبعدين اطلعى زى
"البرابنت" كده براحتك .

_ "برابنت" !!

همست بها باستنكار فضحك ضحكة قصيرة وهو يقول :

_رغاية يعنى ... بتتكلى كتير .

مطت شفثيها بحركة ملولة وهى تعاود الاستناد إلى صدره ثم
قالت :

_طيب يلا ، فهمنى وجهة نظرك العبقرية .

زم شفثيه للحظة ، ثم قال بنبرة حاول صبغها بكل مشاعره
علها تفلح فى اقناعها :



يا حلا انا محبتكيش من فراغ، أنا حببت شخصيتك اول حاجة بكل مساوئها إالى لا تعد ولا تحصى، بس فيه منطق بيقول أن لما الإنسان يتعرض لاي موقف يصبر لحد م يفهم الموضوع من كل الجوانب وبعدين يحكم انما انتى مش بتعملى كده، انتى كأنك بتبقى مستنية أى حاجة ولو صغيرة عشان تعملها حوار وتقولى اهانة وكبريائي .. متزعليش انى بتكلم بصراحة بس انتى طلبتها الأول .

صمت للحظات التقط فيها أنفاسه الضائعة ومن ثم استأنف حديثه :

_مقصدي من أن الحب "أحياناً" أهم من كبريائك فده مش معناه انى بجبرك على تقبل الإهانة منى .. لكن الحياة لازم يبقى فيها تباسط أكثر من كده .. مثلاً أفرضى انا حصل معايا مشكلة وجيت طلعت عصبيتى عليكى وجرحتك بكلمة ... هنا متقوليش انى اهنتك واتعمدت اهينك، فيه فرق بين انى اكون متعصب ومحتاج منك تحتوى الموقف و

تتقبلى كلمة قولتها فى وقت غضب وبين انى اهينك عن قصد واجبرك تقبلى الإهانة .

صمت للحظة كانت فيها تمعن التفكير فى حديثه وقد ارتئت منه جانباً صحيحاً رغم أنه يخالف "كبرياءها" !! هى شخصية قوية لا تنكرو مثلاً لم تكن تحتاج لأى شخص سوى "حازم" .. شخصية حازم وكأنها تكمل بها نواقصها!! متمسك بها بمقابل أنها كانت على إستعداد تام للتخلى عنه فى أول مرحلة شك قابلتهم..

متفهماً لها لأبعد مدى بمقابل أنها لا تعلم لونه المفضل حتى !!

ليس ضعيفاً وإنما يحتوى الموقف كما طلب منها أن تفعل هى منذ قليل !!

حازم الأنسب لها حتى وإن أنكرت هى ذلك !!

بصى يا حلا انا هجبلك م الاخر... انتى عندك "جنون العظمة" .. واحدة زيك عندها تحكم وحب سيطرة على كل



حاجة في الحياة، لوفلت حاجة من تحت ايدها يبقى كده
ده شئ مس كبريائك العظيم إالى محدش يقدر يجى جنبه ..
م الاخر انتى عاوزه تسلكى من جواكى شوية وانتى هتنورى !!!
جملته رغم المرح والمزاح الذى صبغها بهما إلا أنها حملت
الحل ضمنياً ... ولكن بطريقة لا تمس "كبريائها" !!!
هكذا فكرت وهى مبتسمة ببعض الشرود .. خير هوبها ألم
تقل ذلك قبلاً !!!

مازال يعلم سريرتها ويستطيع التسلل إليها بالطرق التى
"ترضيه" ليجعلها تفعل ما "يرضيه" .. متجنباً التصادم
بكبريائها المزعوم !

ابتعدت عنه مشاركة إياه مزاحه قائلة :
_ طيب يا خويا .. لما نشوف صاحب الحكمة هيعمل ايه فى
الحاجة إالى كان بيدور عليها .
تأوه، ضارباً جيته بكفه قائلاً :



_منك لله جيتى نستينى، تليفونى كان لسه فى ايدى من شوية
ومش فاكر حطيته فىن .

_هو ده تليفونك ؟

قالتها وهى تمد يدها تحت وسادته لتستخرج له الهاتف
الذى وضعه فوق الفراش وتوارى عن ناظريه .. نظرحازم
للهاتف فى يدها ثم قال بمسرحية :

_تعرفى يا بت يا حلا.. والله انتى ايدك فيها البركة، يلا بينا بقى
نعمل الفرحة بسرعة عشان تبقى تلاقيلى الحاجات إالى
بتضيع لوحدها دى .

ضحكت ضحكة صغيرة خبيثة وهى تستقيم واقفة أمامه
قبل أن تنحنى نحوه مقتربة منه بشدة .. حينها توجس حازم
وهو ينظر لها بحاجبين منعدين لكنه ما كاد ينطق بشئ إلا و
فاجأته عندما قبلته !!!

اتسعت عينا حازم بصدمة ورغم ذلك كان ذراعاها قد اتفاحولها، مجلساً إياها على ركبتيه، مستلماً هو الدفة من هذه النقطة !!

حلا تزداد جرأة يوماً بعد يوم، كلما اقتربت أكثر من شخصه الذى يكمل نواقصها .. ازدادت قريباً منه وتبسطاً !! وهذا بالتأكيد شئ مضر لقلبه الذى طالت به ليال الشوق !!
حرر شفيتها أخيراً فهمست لاهثة أمام عينيه :
_فرح ايه يا حضرة الطابط ما تتقل كده لما تشوفوا إالى وراكم .

كلماتها العابثة جعلته يبتسم ملتهماً شفيتها مرة أخرى لكن هذه المرة كانت أرق وأعمق تأثيراً !!
كادت تذوب بين ذراعيه لولا أنها تحلت بأخردرات قوتها و أفلتت نفسها من بين ذراعيه هاربة إلى الخارج .. تكتم تلك الضحكة التى وصلته رغم ذلك جاعلة إياه يبتسم ببعض الطمأنينة !!

حلا ورغم كل شئ مازال بقلبي متسعاً لبعض الحب له و
لكل من حولها !! ولعل هذا يهون أمر "جنون العظمة" قليلاً
!!!

=====

"وكنت اعلم فى أعماقي أنني لا استحقك، ليس لأننى لا
استطيع أن أعطيك حبات عيني..
ولكن لأننى لن استطيع الاحتفاظ بكِ إلى الأبد"
-غسان كنفاني.

آخر اليوم..

كان زين يجلس مع فارس يهنئه حين علم بمكانها من مكالمتها
مع فارس ..حيث هاتفته مهنئه إياه معذرة عن عدم تمكنها
من الحضور، حينها علم أنها قد أنهت عملها متوجهة نحو
البحر كما عادتھا !!



وكل هذا فهمه من خلال حديث فارس المتبسط معها !! لذا
لم يدخر جهداً وهو يسعى لرؤيتها للمرة الثانية على التوالي
فى نفس اليوم !!!!

فريدة - وإن أنكر - قد استحوذت على جزء يسير من كيانه
ولولا خطته التى يقوم بها لقال بمنتهى النزاهة أنها
استحوذت على كيانه كله !!

هكذا فكروه ويقدون سيارته نحو المكان الذى التقاها فيه
قبل ذلك !!

سيتحدث معها وسينتزع اعترافها الظاهر فى عينيها كاملاً
دون نواقص، دون لفٍ أو دوران حول أمر يعلم هو كما تعلم
هى أنه مفروغ منه .. وهو حبهما له!

والذى وبمعجزة ما أصبح يشاركها فيه، فبات .. حبهما سوياً
!!

سفينتهم التى وجب عليه استلام دفعة قيادتها منذ الآن وإلا
هلك وأضحى "حبهما" ذكرى طى النسيان !!!



توقف أمام المكان المنشود وصدق ظنه حين وجدها جالسة
على سور البحر توليه ظهرها !!

ظل ماكثاً في سيارته لبضع دقائق يراقبها دون أن يخرج،
لكنه حين طال به الوقت خرج منها واتجه إليها جالساً
جوارها على السور ظهره للبحر بشكل مخالف لجلستها !
اجفلت على مرآه كما كل مرة تراه لكنها تصنعت الملل وهي
تشيخ بوجهها عنه قائلة بتشدد :

_ لا حول ولا قوة الا بالله .. الواحد حرام عليه يقعد مع
نفسه شوية .

_ تصدقي وتؤمنى بالله .

قالها مزدرياً بعض الشئ فردت بدورها بملل :

_ لا إله إلا الله .

_ انا غلطان انى جيت .. اه والله .. اقعدى مع نفسك شبه
قرد قطع تانى .



انهى حديثه فانتظرتة لينهض من جوارها ويغادرها بقلبٍ يرتجف لا يظهر منه شيئاً على ملامحها المملولة .. لكنه لم ينهض ولم يغادرها بل ظل ماكثاً جوارها ناظراً لجانب وجهها المواجه له !!

حينها التفتت له متهددة فلفحت أنفاسها الدافئة وجهه، لكنها لم تتزحزح عن مكانها وهي تقول له بهدوء :

_عاوز ايه يا زين .

_عاوزك تقوليها .

_تانى يا زين .

_تانى وتالت ورابع .. مش همشى غير لما تقوليها، قولها و اديني دافع انى أدور عليها جوايا .

عقدت حاجبها بتيه وهي تطالع عينيه بشك، ناهيك عن وجيب قلبها الذى تعالى لحدٍ مؤلم .. لكنها رغم ذلك همست بصوتٍ مضطرب :

_تقصد ايه .. تدور على ايه .



يده امتدت لتحيط كفها الذى أخذ إبهامه يدور فوقه
مستشعراً نبضها الذى ينتفض تحت إصبعه كأرنب مذعور
!! بينما الحديث ينساب عبر شففته مصبوغاً بمشاعره
الخفية نحوها :

_قولى إالى فى قلبك يا فريدة .. خلينى انا كمان أدور عليه
جوايا .

زمت شفتيها للحظة .. وهى كانت لحظة واحدة استغرقتها
الكلمات لتفر من بين شفتيها، معترفة بما طال كتمانها وكأنها
مغيبة إثر سحره :

_انت عارف انى بحبك يا زين .. معرفش أنك تسمعها منى
هتفرق معاك فى ايه .. بس انا بحبك وكنت مستعدة اقولها
لكن استنيت انت كمان تكون مستعد ليها .. بس الظاهر ان
مش كل حاجة بنتمناها بننولها .



نفساً مضطرباً طويلاً خرج من بين شفثيه كتهيدة .. ربما
ارتياح بعدما حصل على ما يريد، وربما هو خوف من أن
يخذل ذاك الحب الذى يضيئ عينيها !!
وأخيراً صدرت الكلمات عنه همساً خفيضاً :

_ انتى صح .. انا عارف انى مش مستعد ومستحقكيش
بس ده مش عشان انا مش بحبك، ده خوف انى مقدرش
احتفظ بيكى للأبد .

عينيها امتلئت دمعاً لامعاً أبت أن تحرره أمامه وهى تهمس
بنبرة مختنقة :

_ طريقى معاك كان طويل اوى يا زين ... طويل من قبل حتى
انت متعرف أن على وش الدنيا واحدة اسمها فريدة .. وانا
نفسى طريقى يخلص معاك يا بحبك يا برفضك ليا .. إالى فى
قلبي قولته والقرار قرارك دلوقت .

ظل صامتاً وكفه متمسكاً بكفها يأبى تركه .. عقله لا يجد
كلمات يجيب بها على حديثها !!



ها هي فعلت ما كان يريد لها أن تفعله .. فما باله الآن لا يجد
رداً على اعترافها ؟؟

اشتدت أصابعه على كفها في حين زم شفثيه ببعض الحزم،
متخذاً قراره، قائلاً بعدها بقوة :

_فريدة .. أنا .. أنا اتعلقت بيكي، بس مش مستعد اني أتحمل
مسؤولية حب زى ده دلوقتي، وأنا لسه عليا كل الحمل ده .
_ايه إلی مانعك؟

هزت كتفها بخفة سائلة إياه، فتنهد مجيباً بخفوت :

_دين قديم لازم أردده .. حق لازم أجيبه .. وعد لازم اوفى بيه
مقابل اني أحبك دون عواقب .

هنا لم تسطع مجادلته وهي تعلم في قرارة نفسها أنه مكبل
بذنبه القديم !! لكنها طرحت على نفسها سؤالاً .. بماذا يفيد
حبها له إن لم يكن خلاصاً له من قيده ؟ فداءً له من ذنبه ؟
وفاءً بوعدده ؟



أى حبٍ تملكه له إن لم تكن له ملاذاً من جحيم ما يحيط به
!!

هنا ابتسمت وهى تميل برأسها على كتفه مسندة إياه إليه
هامسة :

_وانا هستنى .. المهم أن هنكون سوا .

عقد حاجبيه انعقاداً طفيفاً رغم ابتسامته الصغيرة، وهو
يسألها ببعض الريبة؛ خشية إجابتها :

_يعنى هتقبلى بيا حتى وأنا معاكى بنص قلب .

ابتسمت ببعض التهمك تزامناً مع سقوط دمعة صغيرة على
وجنتها، اتبعتها بهمسها الشجى، وعيناها شاردتان فى أمواج
البحر الداكنة أمامها :

_قبلت بيك وانت متعرفش عنى حاجة، تتخيل أنى ممكن
أرفضك بنص قلب !!

وإن كان "نصف قلب" فليكن !! قد رضيت منه ب "لا شئ"،
فهل سترفض الآن ؟!!!

بعد مرور عدة أيام !!!

الظلام الذى كان يغرق فيه المكان حينها كان لا يقل سواداً

عن الذى تغرق فيه القلوب !!

السيارتان المتقابلتان ضوءهما كان يضيئ المكان فيظهر

الخواء الذى يحيط بثلاثتهم !!

خلاء المنطقة الذى يقفون فيها كان يماثل ذاك الخلاء فى

قلوبهم من الرحمة .. إلا من رحم ربي !!

وقف مصطفى جوار سيارته منتظراً، وما هى إلا ثوانٍ

معدودة حتى خرج من السيارة رجل كان مألوفاً له .. بل

مألوفاً بشدة !! ومن الجهة الأخرى خرجت امرأة هى الأخرى

كانت لا تقل ألفة عن سابقها !!

لكنها أخذت نصيبها ونصيب مرافقها من اهتمام مصطفى و

نظراته .. ليس لجمالها ومظهرها العصري الجاذب للأنظار



.. ولا لأنها التي طال إليها شوق الليالي .. بل لتلك التي
تحملها فوق ذراعها !!

ماسة التي ظلت تهفونحو أبيها، وصوت ضحكاتها يتردد
صداه في هذا المكان الخالي !!

اختلج قلبه وهو يبتسم لها بلهفة .. لكنه ما كاد يخطو خطوة
واحدة نحوها إلا وقد قاطعه الرجل حين صدح صوته في
المكان :

_مفيش حمدالله ع السلامة .

لمعت عيناه بلمعة خطيرة وهو يطالعه بتهديد قائلاً :
_هات البنت .

ثم نقل بصره نحو المرأة خلفه هاتفاً :

_هاتي بنتي يا "نرمين" .

لكن لم يبدو على أحد أنه استمع له والرجل يستأنف
حديثه :

_الاول رحب برجوعنا .. مش معقول موحشناكش .

ظل مصطفى يطالع العينين الكريمتين بتركيز مشئت إثر
ضحكات طفله التي تتعالى من خلف ذاك الذى يقف أمامه
!!

تماماً كالذى يقف على حافة بركانين، لا خلاص له من بينهما
!!!!

=====



الفصل الحادى والعشرين

=====

شهران مرا ... شهران وما زال السؤال يتردد :

_ هو احنا اتخطبنا بجد ؟؟؟؟

سؤالها غير المصدق غادر شفيتها بعدما أهلكت "الدبلة" فى
اصبعها دوراناً حوله !!!

كحالتها كل يوم سواء التقت أم لا تظل تسأل نفس السؤال،
فإما يكون موجوداً فيجيبها أو يجيبها حين يلتقيها !!!

وكما يفعل كل مرة فعل الآن وهو يجيبها بمسرحية، بينما
يجلس مجاوراً لها فوق سور البحر فى مكانهما المفضل :

_ ايوه يا فريدة ... ايوه يا حبيبتي، الله يهديكى بقى زهقتينى .

_ ايه ده انت بتقول "حبيبتي" ؟

زفر رافعاً حاجباً واحداً، زاماً شفتيه بملل قبل أن يهدر

باسمها :

_ فريدة !!

_ ايه ايه .. سبنى استوعب .

_ يا ماما تستوعبي ايه .. انتي بقالك شهرين بتستوعبي !
عادت لتأملها الدبلة مجدداً وهى ترد بنبرة شاردة بعض
الشئ :

_ ايوه ماهو الموضوع صدمة برضو ومحتاج فترة للاستيعاب

ط شفتيه وهى ينظر لجانب وجهها بتعبر مضحك من
فرط ملله، ثم قال بجدية :

_ ماهوانتى لو فضلتى كل يوم مش قادرة تستوعبي كده فأنا
ممکن افركش الخطوبة دى عادى، طالما هى اكبر من
استيعابك .

انتفضت مكانها، مستديرة له قائلة بنبرة محذرة :

_ تفرکش ايه ؟

فأجابها بتلقائية :

_ الخطوبة .

_دانا افركش دمك، قطرة قطرة فى كياس الدم واوزعه على
المحتاجين فى المستشفى قبل انت حتى م تفكرتفركش
الخطوبة .. قال خطوبة قال ... لا يا حضرة الطابط،
خسئت !!!!

فغزين شففيه وهو ينظر لها غير قادراً على استيعاب وصلة
الوعيد التى افترضتها لتوها !!

لكنه رغم ذلك .. ابتسم .. ابتسامة جانبية بها بعض من
الشرود و..... والزهو !!

لا يعلم لماذا ولكن منذ خطبتهما غير المخطط لها .. كلما
جاءت فريدة بذكر حيا الميؤوس منه له يشعر بشعور غريب
!! يشعر بأنه محظوظ ربما .. لأن تحبه واحدة مثل فريدة كل
هذا الحب فهو محظوظ تماماً ... وحيها هذا يبعث فى نفسه
بعض الزهو الممزوج بالخوف !!! نعم خوف ... خوف من أن
يتحول هذا الحب فى عينيها بلحظة واحدة إلى خذلان ربما !!
وهذا ما لن يستطيع مسامحة نفسه عليه ... هو خذل



أخرى قبل ذلك وسلمها للموت بيديه فهل لفريدة المثل
أيضاً؟؟؟؟

ـ زين !

ندائها أخرجه من شروده فهز رأسه قليلاً، يجلى عقله من
المخلفات الفكرية التى تحوم به !! فريدة لن يطالها أذى ..
أى أذى من الذى تضج حياته به ... هو تعلم الدرس جيداً و
لن يكرره مرة أخرى معها !!!..

لذا تكلم بهدوء قائلاً بابتسامة :

ـ بصى يا فريدة انا هجبلك م الآخر... حاولى تستوعبى ابوس
ايدك عشان انا تعبت من أنى كل م اقابلك اقعد احلفلك
اننا اتخطبنا فعلا، فضلاً عن انى عندى شغل ومش فاضى
وربنا .

رفرفت بأهدابها بوداعة، قبل أن تتساءل بعفوية اصطنعتها
:

ـ اخر سؤال ... انت بتحبنى ؟؟

هنا انعقد حاجباه انعقاداً طفيفاً لا يُرى، ومالت شفاته
بابتسامة صغيرة، بينما عيناه كانتا قصة أخرى من عدة
مشاعر... هذا بالضبط تعبيره حين تطرح عليه سؤالاً كهذا
منذ خطبتهما !!

لا يجيب ولا ينفي وكأنه لا يقدر على قولها، هي تقرأها بعينه
نعم !! لكن لسانه هذا استنكف عن نطقها مذ اعترفت هي
بحبها له !! لم يقلها صريحة ولو مرة واحدة .. وحقيقة هذا
يسوءها بشدة !!

واحدة مثلها قدمت له فوق الحب ضعفين ما استحقت منه
اعترافاً واحداً حتى !!!!

رفع زين حاجبيه وهو يتنهد بعفوية قائلاً :

يلا بينا عشان نمشى .

هنا بان شئ من الحزن على ملامحها التي لم تكن تعرف إلا
الابتسام منذ التقت، ورغم ذلك ابتسمت بخفوت وهي
تستقيم واقفة قائلة :

..يلا بينا .

.....

"يوم الخطبة" ... حقيقة لم تكن خطبة متوقعة مطلقاً ...
منذ آخر حديث لها معه ظنته لن يرتبط بها رسمياً إلا عندما
ينتهى مما يفعله ! لكن ولدهشتها فقد وجدته فجأة يطرق
باب بيتهم ومعه والدته وجده والطلب كان يدها !!

يومها وعندما أخبرتها داليدا بما جاءوا لأجله ظلت
فاغرة الفم، متسعة العينين، غير مصدقة !!

لكنها لم تلبث إلا وقد انفجرت داخلها طاقة رهيبة ... طاقة
سخرتها كلها لتشعر بسعادة لم تشعر بمثلتها في حياتها كلها
!! ومن بعدها تم تحديد الموعد لتتم خطبتهما بعد زفاف

شقيقته حلاً ببضعة أيام !!

يومها سألته عن سبب قيامه بهذه الخطوة وهي تعلم أنه
ليس مستعداً لها كلياً، تماماً ك "اعترافه المنقوص" بحبها،
فأجابها مازحاً ببعض الجدية :

سمعت شيخ مرة قال أن المرأة المسلمة اما عزباء أو مخطوبة أو متزوجة .. فأنا دورت على دور ليكى من دول ف حياتى ملقتش غير خطيبتي ينفع حالياً لذلك جيت خطبتك، اما وجودك فى حياتى بدون مسمى ده انا مكنتش اقبله على اختى فمقبلتهوش عليكى، أنا مش مرتبط بيكى عشان احنا لا نعلم الربط إلا للدواب، اكرمكم الله .

يومها رغم ملحة الضحك التى انفجرت داخلها من تلميحه الأخير إلا أنها ابتسمت بخفوت وهى تنظر له بتقدير إنضم إلى الحب جنباً إلى جنب ليجعلها ببساطة .. متيمة !!

سعادتها لا يسعها شئ ... رغم يقينها أن حق حبيبته الراحلة مازال معلقاً على عاتقه يمنعه العيش بسلام، لكنها اكتفت منه بنصف قلب كما قال لها قبلاً !!

لا ينقصها فقط سوى اعترفه الذى يأتيها منقوصاً كل مرة ... لا ينصفها سوى عينيه .. هما من يفضحانه !!



المعاهدة التي ابرمتها سابقاً مع عينيه مازالت قائمة، لهذا
لم يبق لها غيرهما !!!

=====

لا يصدق أن هذا حدث فعلاً !!!

ومن كان سيصدق بالأساس ؟ !!!

درة هنا ... معه ... زوجته ... مغلق عليهما باب غرفة واحدة
... لو كان أحدهم أخبره بهذا منذ أربعة أشهر بالضبط لكان
نعتة بالجنون، لكن ولسخرية القدر قد حدث هذا فعلاً !!
ورغم الدهشة التي تعتريه من الوضع إلا أن تصرفات درة لا
تثير دهشته أبداً !!

ابتسم بسخرية وهو مستلقياً على الأريكة الاسفنجية والتي
ظلمها من أطلق عليها لقب اسفنجية!! بل هي أقرب إلى
الخشب من هذا اللقب، فجسده الذي تن كل عضلة فيه
طالبة الترفق قليلاً لم يتألم من فراغ !!!



عينيه فوق ملامحها الملائكية في نومها !! وهذا أيضاً يُضاف إلى قائمة الأشياء التي لا تثير دهشته؛ فهي تشبه الملاك في صحتها ألن تشبه في نومتها إذاً !!!

زم فارس شفيته وهو مازال على استلقائه فوق الأريكة، مراقباً لملامحها عن بعد المسافة بين الفراش والأريكة التي ينام عليها منذ زواجهما !!

أسيكون مثيراً للسخرية أو الشفقة ربما إن قال أنه إلى تاريخ هذه الساعة لم يرى شعرها ولولمة واحدة !! حتى في نومها تظل مرتدية حجابها، وللتوضيح فقط كي لا يظلمها فقد استبدلت خمارها الفضفاض بوشاح صغير يغطي شعرها ومقدمة صدرها !!

تهدد وهو يعتدل في نومته رافعاً وجهه لسقف الغرفة، متأوهاً بخفوت إثر ألم ظهره الشديد !!

رفع ذراعه خلف رأسه ومن ثم راح يفكر، مستعيداً ذكريات يوم زفافهما الذي أقل ما يقال عنه أنه كارثي !!



فدرة كانت وكأنها طفلة ضائعة من أمها وسط الحشود،
تنظر للجميع بنظرة تائهة، غير مستوعبة ربما لما يحدث بعد
!! وكان كفه هو ما ظلت متشبثة به طوال الحفل الذي كان
بعيدا عن وصفه بحفل !!

ولم يكن هو بأفضل منها حالاً، فضيقها من صمتها وعدم
قدرتها على رد التهنئة لمن يقدمها كان يجد صداه في قلبه
حقاً !! واحدة فقط من ابتسمت لها درة ورحبت بها جداً
أم مؤمن !!!

العلة واحدة لدى الاثنين لذا إشارات الصمت بينهما كانت
مفهومة بعض الشئ لذا لم تجد ردة حرجاً في الرد على
ايمائها بإيماءة أخرى !!!

اتسعت ابتسامته الساخرة ...

هو يعرف أن طريقه معها طويل، بل طويل جداً في الواقع،
وهو كان متوقفاً لذلك !! لكن ما لم يكن متوقفاً له هو
تعنتها الشديد، بأبسط مثال، عدم رؤيته لشعرها منذ



شهران، فضلاً عن أن قدميه قد نسيتا طريق فراشه من
أين، فهو لم يقترب من فراشه من يومها، تاركاً إياها بكل
نزاهة وشهامة منقطعة النظير!!

هو يعلم أن اتفاقهم كان على زواجاً صورياً لحين زوال
الغمة .. لكن داخله هو لم يصدق أبداً ذاك الاتفاق بل تمرد
عليه رغم ممانعة عقله من التشبث بأملٍ زائف .. لكن، لكن
هى زوجته .. والوقت كفيل بدحر الرفض والزواج الصورى
المزعوم !!

حركة خفيفة جواره انبثت بأنها قد استيقظت وعلى الأغلب
هى الآن تتأكد من وضعية حجابها الآمن كى لا يكشف عن
خصلة واحدة من شعرها الذى لا يعرف له لوناً ولا شكلاً!!
لا يعرف لماذا هو مهتماً بشعرها هكذا، ربما لأنه الشئ
الوحيد الذى كان يتطلع لرؤيته بعد الزفاف إلا أن أمنيته
غالباً قد تم وأدها حية !!!



وفي غمرة اليأس والبؤس الذي يعيشه عريس جديد كما
يفترض، شعر بلمسة كأجنحة الفراشة على ذراعه فانتفض
ناظراً لها بتعجب، قبل أن يتساءل بخفوت :

_عاوزه حاجة يا درة ؟

لم تجاوبه بالطبع، لكنها رفعت قصاصة ورق صغيرة كانت
قد كتبتها مسبقاً أمام عينيه قرأها هو بصوتٍ مسموع :

_هو انت مش رايح الشغل ولا ايه ؟

ارتفع حاجبيه لأول وهلة قبل أن يعقد حاجبيه وهو يستقيم
جالساً أمامها قائلاً :

_انتى عاوزه تخلصى منى ولا ايه ؟

هزت رأسها نفيّاً بحرارة قبل أن تتناول قلماً من فوق طاولة
قريبة ثم قلبت الورقة لتكتب فوق ظهرها :

_مش قصدى والله بس بسأل عشان الوقت اتأخروا انت
مش بعادتك تفضل لحد دلوقتى .



رفعت الورقة أمام عينيه ففعل معها كما سابقتها قبل أن
يبتسم لعينها قائلاً ببعض الحرج :

_بصى هو الحقيقة انا مش رايع الشغل انهاردة؛ وقبل م
تسألني ليه، فأنا ورب الناس جسمى مدغدغ وم قادر اتحرك
من مكانى .

هنا ازدردت ريقها بتوترو حرج، الأول لأنه سيبقى معها فى
غرفة واحدة طوال اليوم والذى لا تخرج فيه هى من هذه
الغرفة منذ أتت إلى هذا البيت لعدم الوفاق بينها وبين أى
من أهله، والثانى لأنها التقطت إشارته المخفية فى حديثه!
بالطبع هو تعب من النوم كل ليلة على الأريكة شبه
الخشبية تلك وهى تحتل الفراش بأكمله ولا تسمح له
بمشاركتها إياه !!

لذا جلست جواره، ثم مدت يدها تلمس معصمه ببعض
الرفق وفى عينها نظرة إعتذار فهمها هو فوراً، فرفع
حاجبيه بعفوية وهو يبادلها النظر هامساً :



ولا يهملك .

ومن ثم نهضت من جواره هاربة منه نحو الحمام الذى على
ما يبدو ستقضى يومها فيه !!!

ابتسم فارس بسخرية أقرب منها شفقة على النفس !!
على الأقل قد حظى بلمستين منها اليوم !! فما هذا الطمع
الذى يملكه !!؟؟

=====

"جلالتهما" اليوم تفضلت وقبلت دعوته لنفس المطعم
بنفس اليوم المعتاد الذى تذهب فيه للطبيب، ليشربا نفس
كوب العصير وكوب القهوة الزان داوما على احتسائهم
طوال الشهرين الماضيين !!

ما تفعله داليدا به غريب !!

غريب لأنه لا يشعر معها بأى شعور سوى بالاطمئنان !! و
الاطمئنان مرهون عنده بردم الفجوة الزمنية فى عقله وهذا



ما تفعله هي بجدارة لهذا هويستطيب صحبتها بل وصار
يفضلها على كل شئ !!

مؤخراً اكتشف أنه لا غنى له عن وجودها في حياته،
فأسبوعه لا يمر إلا عندما يلتقيها في يومهما المعتاد من كل
أسبوع !!

بالبداية كان يتصنع الصدف والتي فشل في تصنعها بعد
مرتين من الصدف المذهلة !! لذلك سلك الطريق المباشر و
الذى كان أنه يريد التعرف إليها أكثر !! وهى التى لم تكن
تشعر مع غيره بنصف الثقة التى تراها فى عينيه لم تكن
لتمانع أو ترفض !!!

كلاهما به فجوة يرممها الآخر بجدارة !!
هو بفجوته الزمنية فى عقله، وهى بفجوة الثقة فى النفس و
التى تشعر بها فى أعين جميع الناس عداه !
فأى طريق يتجراً ألا يجمع بينهما !!
_ اتكلمتى كثير انهاردة يا داليدا، ريحى لسانك شوية .



رفعت كوب العصير نحو شففتها ترتشف منه قبل أن
تخفضه وهى تمط شففتها بامتعاظ إثر كلماته التى من
المفترض أن تكون ممازحة !!

_مش انت إالى عاوز تعرف اكر، مانا بعرفك أهو.

ضحك أدهم تلك الضحكة التى توهن اوصالها فتجعلها غير
قادرة على مقاومة ذلك الشعور الذى ظل يتشعب داخلها
لامساً قلبها بدفء طوال الشهرين الماضيين ..

من كان ليخبرها أنها ستجلس مع رجل بمثل هيمنة أدهم و
شخصيته بل وتمازحه وتعتاده بهذا الشكل أمام جميع
البشر حولها، لكنت كذبتة من فورها !!

لكن ومع بالغ الدهشة فكل هذا حدث ولا حرج !!

_مش مرتاح انا الحقيقة .

قالها ضاحكاً، فهزت كتفها وهى تقول بلامبالاة :

_قدرك رماك معايا اعملك ايه، واحدة بتيجى تاخودها من
عند دكتور نفسى مستنى ايه مثلاً .



رفع كفيه عالياً بحركة مسرحية وهو ينظر لها قائلاً:

ـ يعني انا إلى جبت ده كله لنفسي .

ابتسمت ابتسامة جميلة وهى تومئ برأسها إيجاباً !!

لكنها لم تستعد لكلمته بعدها :

ـ وانا راضى يا ستى ... هو كان حد اشتكالك .

خفتت الابتسامة تدريجياً حتى خبت عن شفتيها !!

أى أحد آخر سىرى الشعور الذى تركته جملته فى نفسها

لظنها فعلاً مختلة نفسياً، لكن هى وحدها من تشعر بنفسها

!!

وشعورها بنفسها يقول أنها لم تراها سوى عبء على

الآخرين طوال عمرها الذى تخطى التاسعة والعشرين، و

كونه أحد راضياً بوجودها فى حياته ويتخذه أمر مسلم به،

لهودا خلها أعظم من اعتراف بالحب مثلاً!

نعم...هى من ذاك النوع الذى يفضل الرضا عن الحب،

ذاك الذى يزهد الحب فى نظره حين يقايضه براحةٍ بال !!



_داليدا!

ندائه أخرجه من غمرة شرودها، فابتسمت منتظرة حديثه،
وبالفعل زوى ما بين حاجبيها وهو يسألها :
_هو كلامى دايقك ف حاجة .

هزت رأسها نفيًا قائلة دون أن تتأثر ابتسامتها :

_والله ابدأ مفيش حاجة ... بس كنت عاوزة اعرفك أن مش
هينفع نتقابل تانى .. إلا لو كان فيه مناسبة او حاجة بحكم
النسب بينا وبينكم .

مط شفتيه بعدم فهم للحظة قبل أن يهز كتفه بجهل قائلاً :
_مش فاهم الحقيقة ليه، مش شايف ان فيه حاجة غلط
ف الموضوع .

_بس انا شايفة فيه غلط .

أيضاً ترد بابتسامتها التى على ما يبدو تجمدت على شفتيها،
فعبس أدهم قائلاً :

_طيب .. اشرحيلى وجهة نظرك .

هنا اختفت الابتسامة، تهدت وهى تعود إلى الخلف،
مستندة إلى ظهر مقعدها قائلة :

_انا عمري م عملت حاجة بدون علم أحمد، وای حاجة
مش بقدر اواجهه بيها بعترها غلط ... جيت أقارن لقيت أن
فعلاً أحمد ميعرفش اى حاجة عن علاقتى بيبك ولا اننا
اصدقاء، وأنا الحقيقة مقدرتش اروح أقوله حاجة زى دى
.. عشان كده اكتشفت انه غلط، بغض النظر انا عاوزة ده
ولا لا .

عقدة حاجبيه تزداد تعقيداً، بينما يحاول تدوير حديثها فى
عقله، وفى النهاية بلل شففيه متحدثاً :

_الحقيقة برضوانى مش فاهم ايه وجه الاعتراض ف كده،
الاعتراض على صداقة بين راجل وست مثلاً!! اظننا مش
صغيرين وناضجين كفاية اننا نفرق بين الصبح والغلط،
أسف على الوقاحة بس تقريباً مفتكرش انى مسكت ايدك
قبل كده مثلاً!!



كفها الذى هوى فوق الطاولة بينهما ببعض الصرامة اجفله
لأول وهلة قبل أن يدوى حديثها بينهما :
_ لا مسكتها !

حقيقة.... كاد يضحك !! نبرة المحقق التى تحدثت بها كادت
تجلب الضحكة لشفتيه لكنه كتمها بقوة وهو يقول :
_ مش فاكرامتى الصراحة .

_ اول مرة اتكلمت معاك فيها وقولتلك على ماضيا، يومها
مسكت ايدى واحنا راجعين م الصيدلية وعملت نفسك
عبيط ومش فاهم حاجة .

_ كملى ... كملى بقية الكلام، قولى انك برضو عملتى نفسك
عبيطة، وفضلتى سايبة ايدك فى ايدى ومش بتتكلمى، و
بعدين انا كنت بواسيكي عشان إالى قولتيه .

_ بس متمسكش ايدى .

_ كنتى شديها انتى .



صوتهما الذى علا فجأة كطفلين يتناوران فى أحد الأزقة
جذب الكثير من الأنظار إليهم بفضول، فدار أدهم بعينه
على الجموع حولهم قبل أن يعود بعينه إليها قائلاً بعنف
مكتوم :

_ اتكلمى براحة .

اصطكت أسنانها ببعضها وهى تجيبه همساً مثله :

_ ما توطى صوتك انت كمان .

زم شفتيه وهو يعود إلى ظهر مقعده، ناظراً لها بنظرات نارية
تحت حاجبٍ مرفوع بعدم اقتناع !!

بينما هى تعبيرها لم يختلف عن تعبيره كثيراً... إلى أن ضحك
أدهم فجأة وهو يمسح فكه براحته، فضحكت بالمثل وهى
تنظر له !!

_ مش هنتقابل!

قالتها مقرة أمراً واقعاً، فأجابها ببساطة شديدة :

_ ده بعينك ي داليدا .



عادت لتقول بتذمر:

_احمد ميعرفش .

_يبقى نعرفه .

_مش هقدر أقوله اننا اصدقاء .

_هو انا مش شايف الغلط فى الموضوع، واحد عنده ٣٣ سنة

وحضرتك ٢٩ سنة محناش عيال صغيرة ولا مراهقين

عشان يخافوا نبقى طايشين وكده بس انتى معاكى حق

احنا فعلا مش اصدقاء .

هنا فغرت شفتيها وعقدت حاجبيها قبل أن تتراجع فى

مقعدھا قائلة بصوتٍ واهٍ :

_قول إالى انت قولته ده تانى معلىش .

رفع حاجبيه وهو يعيد جملته على مسامعها مشدداً على

حروفها :

_احنا مش اصدقاء يا داليدا .

صمت للحظات طالت فأخذ حديثه الأثر المطلوب وهو
يستأنف حديثه :

_ انتى عارفة كويس اوى انى بحبك ... بس انتى بتحبى
تستعبطى زى يوم م مسكت ايدك كده .
فمها ظل فاغراً كما هو، وعينيها على اتساعهما غير
المصدق، ناهيك عن أنه كان هناك بضعة صبية فى نفس
الأزقة التى كانت تتناور فيها مع أدهم منذ قليل يلعبون
بعقلها كرة قدم !!

ماذا قال للتو؟ يحبها !! يحبها هى !!
الرضا أصبح فجأة مقروناً بالحب، الاثنان فى كفة واحدة، و
هذا ما هو كثير على قلبها أن يتحمله !!
أصابعه التى شبكها فوق الطاولة بينهما ببعض الصرامة
ظلت كما هى فيما قال هو بجدية :



_مش وقت صدمة ! انتى خايفة تعرفى احمد بصداقتنا
بحكم انه ميصحش وكده، فأنا معاكى ماشى .. بس مش
هسيبك ! انا هاجى اطلب ايدك رسمى !!!
_أدهم انت بتهزر ؟

كلماتها خرجت أخيراً من بين شفرتها بعدما وجدت القدرة
فى نفسها لتقولها، لكنه اوماً مؤكداً وهو يقول لها :
_وانا من امته بهزر معاكى فى حاجة زى دى ... انا فعلاً
حببتك وتكونى غبية لو مكنتيش لاحظتى كل ده من زمان .
حقيقة !! هى لاحظت، لكن أن تلاحظ وتستنج شئ !! وأن
تسمعها صريحة منه هكذا شئ آخر تماماً !!
لا تصدق أن الشئ الغير مسمى بينهما سيبقى !! بل و
سيتحول إلى علاقة رسمية أيضاً بعدما كادت تفقد الأمل فى
وجوده بحياتها !

لحظة واحدة !!!

من قال أنها ستوافق اصلاً؟؟؟؟



تلقائياً ترجم لسانها تفكيرها فقالت عاقدة حاجبها :

_مين قالك انى هوافق اصلا .

اوماً مؤكداً وهو يقول ببساطة :

_هتوافقى .

_يا بنى ايه الثقة دى .. انت جايها منين .

_من الأيام إالى قضيتها معاكى .

صمتت أمامه للحظات قبل أن تتساءل بهدوء :

_ادهم انت مدرك للى انت بتقوله .

_انا عمري م كنت مدرك لحاجة زى مانا دلوقتى .

_انت قولت انك بتحبنى .

_وده فعلا إالى انا حاسس بيه، ولو مخانيش احساسى

فانتى برضو بتبادلينى نفس الشعور .

هنا كان دورها الآن لتراجع فى مقعدها ناظرة له بعينين غير

مقروئتين تحت حاجبٍ مرتفعٍ بعدم اقتناع !!



قبل أن تضحك بعفوية وهى تميل على الطاولة دافنة وجهها
بين مرفقيها، مستمرة فى ضحكها !!
حينها ابتسم أدهم ناظراً لرأسها المخفض .. قبل أن يجدها
ترفع عينها فقط، ناظرة له بعينين شقيتين، عابثتين،
بعيداً عن داليدا مزعزعة الثقة التى يعرفها !!
وهذا ما اعتبره تصديقاً على حديثه؛ لذلك قال متسائلاً:
_يعنى بتحبينى .

لا تعلم إن كان يسأل بحق أو كان يقرأ أمراً ... لكنها ظلت تنظر
له دون حديث، وإن كان السكوت علامة الرضا فقد
سكتت !!!!

=====

تململت فى نومتها بانزعاج وهى تشعر بشئ ثقيل يجثم
فوقها، يمنعها التنفس !!
طفقت تفتح عينها رويداً رويداً ولم تكن مستعدة
للعاصفة التى كانت تحوطها !!



فحازم كان قريباً منها جداً .. جداً .. شفتيه تتلكأ ما بين
شفتيها تارة وتارة أخرى جوار أذنهما يهمس لها بخفوت أن
تستيقظ فالوقت قارب للظهيرة !!

اتسعت عيناها بارتياح وهي تصده بكفيها في صدره هاتفة
بصوتٍ مرتفع :

_حالا ازم !!!

رفع وجهه عنها ينظر بعينيها للحظة قبل أن يرفع حاجبيه
مشيراً بعينه إليها متساءلاً عن فحوى اعتراضها، لكنها زمت
شفتيها وهي تقول بغلظة أقرب للفظاظة :

_هو انت مش ملاحظ انى نايمة .

وببساطة شديدة اجابها :

_مانا كنت بصحيكى .

_وهى دى طريقة تصحيني بيها .

هجومها المحتد جعله يتراجع برأسه قليلاً إلى الخلف قبل أن
يقول بعبوس :

_اومال اصحيكى ازاي هومش انتى بقيتى مراتى .

اصطكت أسنانها بغیظ وهى تهتف من بينهما :

_وهوكل واحد بيصحى مراته كده، هتجبلى سكتة قلبية

قريب .

طبع قبله أخيرة سريعة على شفيتها وهويقول بهدوء و

ابتسامة :

_بعد الشر.

ودون إضافات نهض من جوارها وهويهتف بها :

_يلا يا ماما صحصحى كده مش هنفضل نايمين للعصر احنا

.

رمقته بنظرة مستاءة، مستنكرة وكادت تهتف بعبارة وقحة

ترد بها عليه، والذى كان مفادها أنه هو من فعل هذا، هو

من ابقاها ساهرة طوال الليل إثر.....



فضلت السكوت وهى تزم شفيتها يأساً ثم نهضت هى الأخرى
متوجهة نحو الحمام، لكنه قد سبقها إلى هناك بخطوتين و
دلف مغلقاً الباب فى وجهها !!

يعلم أن هذا يغيظها وما توقعه أتى مع هاتفها المحتد :
_ انت مصرتعصبنى ليه، م انت قايم من بدرى مدخلتش من
ساعتها ليه .

_ مزاجى كده .

دبت الأرض بقدمها وهى تستدير ذاهبة لترتمى جالسة على
الأريكة الوثيرة فى غرفتهما !!

مستفر !!! مستفز ... إلا أنها تحبه !!

ابتسمت بعصبية وهى تستند بجهتها على إصبعيها، صار
الاعتراف بحبه مرهوناً بكل حديث فى نفسها عنه ... وكأنها
أخيراً تعترف بحبه رغم شخصيتها النارية التى مازالت قائمة
!!



منذ يوم زواجهما الذى يعد من الأيام القلائل السعيدة فى حياتها وهى لا تمل الاعتراف بهذا لنفسها وله ... وهذا ما يسعده كثيراً مؤخراً واكتشفت أن سعادته تسعدها هى الأخرى طالما لا تتعارض مع مبادئها وكبريائها المزعوم !
اعتراف أخير يُضم إلى قائمة اعترافاتها ... حازم الأنسب لها و إن أنكرت هى ذلك !!

اتسعت ابتسامتها حتى استحالت إلى ضحكة صغيرة، وهى تتذكر عاصفته النارية ليلة أمس .. وقبل أمس ... والذى قبله والذى قبله ... وأيضاً ما قبله !! هو مهووس بها.... هذا ما تيقنت منه مؤخراً !!

وبعض الغرور الأنثوى داخلها راضياً حد التخمة عن هذا الهووس !!

صوت باب الحمام يُفتح قد أتاها فرفعت وجهها على مرآه وهو يخرج منه يلف نصفه السفلى بمنشفة كبيرة بينما جذعه عارياً والمياه تتساقط من شعره فوق وجهه و



جسده، فزمت شفتيها بعناد رغم المشاعر التي انتابتها فجأة
وهي تقول له بفضاظة :

_ هو انا عندي سؤال .. لا سؤالين .

التفت لها بعدما كان تشاغل بالبحث عن ملابس له، ثم
قال باهتمام :

_ سامعك .

ضيق عينيها وهي تقول بنبرة مزدرية بعض الشئ :

_ انت لحقت تاخود دش ؟

هنا ارتفع حاجباه ببعض الدهشة من سؤالها الغريب، لكنه
قال بهدوء وهو يهز كتفيه :

_ ايوه يعني اومال هفضل سنتين في الحمام وانتي واقفة على
الباب تزنى شبه الغراب .

ظلت ملامحها ثابتة رغم الإهانة، بل تغاضت عنها وهي تسأل
سؤالها الثاني :



_ انا مش قولت ١٠٠ مرة متطلعش على طول من الحمام
بكل المية دى ؟

عقد حاجبيه بغرابة وهو يرمقها بنظرة من يطالع مختل
عقلياً أوبه علة نفسية .. لكنه اوماً إيجاباً بصمت، فوجدها
تهتف فجأة بعصبية :

_ طيب لما انا قولت ... كل شوية بتطلعلى بالشكل ده م
الحمام ليه وتبل السجاد واضطراشيله .. كل مرة بالنظام
.. ده .

ظل صامتاً لم يملك أصلاً إلا الصمت أمام جنونها
المتناهى هذا الصباح .. ربما هى غريبة الأطوار قليلاً اليوم ..
ربما !! بل أكيد ..

_ انت مبتردش ليه ؟
هتافها العصبى عاود الارتفاع مجدداً فرفع كفه نحو أذنه
بملامح منزعجة، قبل أن يهدر بها بدوره :



_أرد اقول ايه، آسف يا ماما انى بليت السجاد .. انتى عبيطة يا حلا .

زمت شفتيها ولم ترد، لكن توتر نظراتها التى تتجول فوقه شاملة إياه بنظرة واحدة ظهر له بوضوح، فضلاً عن ساقها التى تهزها بعصبية إضافة إلى أصابع يدها المقبوضة إلى جنبها فوق حافة الأريكة !!

ظل يراقب انفعالاتها عاقداً حاجبيه باهتمام، لكن ابتسامة إدراك خبيثة ارتسمت أخيراً على شفتيه وهو يفتن إلى توترها واعتراضها على هيئته الذى وصله ضمناً من حديثها العصبى !

لذلك قام برمى القميص الذى كان أخرجه لتوه فوق الفراش قبل أن يتقدم منها بخطٍ وئيدة وقد محى الابتسامة عن شفتيه نهائياً، ناظراً لها بجدية منقطعة النظير !!



لكن وقبل أن يقطع المسافة بينهما، كانت هي قد اندفعت
قاطعة النصف الباقي منها، مقتربة منه ودون أى مقدمات
قبلته بجرأة لم تكن تمتلكها قبل ذلك قط !!

أما عنه فلم يكن هو ليرفض شيئاً كهذا تدفعه هي بسخاء؛
لذا لف ذراعه حولها مقرباً إياها منه، بينما يده الأخرى
ارتفعت نحو عقدة شعرها المهملة ليفكها وينثر شعرها ثائراً
حولها !!

ابتعدت عنه أخيراً بعدما انقطعت أنفاسها، فرأته مبتسماً
ببعض الخبث لكن وقبل أن يتفوه بأى شئ، امتنعت
ملاحمها وهي تمط شفيتها بازدراء قائلة :

_ايه الريحه دى .

عقد حاجبيه وهو يقول :

_ريحه ايه .

اتبع جملته برفع ذراعه عالياً وهو يشتم نفسه قائلاً بامتقاع

:

_ ايه والله انا لسه مستحمى، دى ريحة "الشاور جل".

_ ريحته وحشة اوى .

رفع ذراعه مرة أخرى وهو يشتم رائحة الغسول المعطر بعطر
مميز، ثم نظر لها قائلاً:

_ لا بقولك ايه متعمليش حوار وتغيرى الموضوع ... انتى مش
معتضة على المية انتى معتضة على انى بطلع بالشكل ده
ووووو...

و... وبعدها كان يحدث الفراغ!! بعدما غطت حلا فمها
بكفها، مهرولة نحو الحمام!!

استدار ذاهباً خلفها، ليجدها جاثية أمام المرحاض تفرغ كل
ما بمعدتها .. عقد حاجبيه بقلق وهو يجثو جوارها ممسكاً
برأسها، مرجعاً شعرها إلى الخلف قائلاً بقلق:

_ فى ايه يا حلا .. حاسة بأيه، نروح لدكتور .

شهقت وهى ترفع وجهها عالياً تلتقط بعضاً من الهواء قبل
أن تقول بصوتٍ واهٍ:

_ مش محتاجة دكتور ... ده شئ طبيعى .

لكنه رد بعصبية :

_ طبيعى ايه .. احنا لسه ع الصبح ملحقتيش تاكلى حاجة ولاااااا.....

بُترت جملته قبل أن يتمها وهو ينظر لعينها عاقداً حاجبيه بإدراك ... لكنها كانت لحظة واحدة فقط بعدها هز رأسه يجلى أفكاره وهو يقول ضاحكاً :

_ تصدق كنت هقولك انتى حامل .. قومى يا حلا الله يهدينا و يهديكى .

لكن ملامحها الجادة والتي لم تلن أخبرته عكس ما قال و طبقاً لما توقع، لذلك عقد حاجبيه مرة أخرى وهو يهمس بخفوت شديد :

_ انتى فعلاً ...

قاطعته بإيمائها الصغيرة مع ابتسامتها التي ظهرت تدريجياً على شفתיها .. لكنه بدا أيضاً غير مصدق وهو يرمش بعينه

عدة مرات يحاول استيعاب معلومة جديدة .. بل فرد حديد
سيضاف إلى حياته بعد أشهر معدودة .. وليس أى فرد .. بل
ابنه .. ابن حلا !!

فغر شفيته المرتجفتين باضطراب يريد قول شئ لم يسعفه
عقله به فظلت الكلمات عالقة على شفثيه .. بينما عيناه
اللتان التمعتا بريق الدموع هما ما اخبرنها بوضوح عن
هول المشاعر التي كانت تلفه الآن .. حتى أنه نسى مكانهما و
كيف يجلسا وكيف كانت تعاني هي منذ قليل !!
لم يدرسوى بلسانه الذى ظل يريد دون صوت :
_الحمد لله ... الحمد لله .

ابتسمت وهي تميل برأسها على كتفه مسندة إياه إليه
هامسة بصوتٍ متقطع :
_هيجلنا طفل قريب يا حازم .



لم يدرِ ما يفعل في موقف كهذا .. لم يدرِ سوى بذراعيه
يضمّانها نحوه مقبلاً رأسها بحنو هامساً بصوتٍ عادٍ إليه
أخيراً :

_ايوه هيجيلي طفل .. طفل منك انتي .. الحمد لله ، الحمد لله

صوته كان يخفت بشدة ونبرته تختنق بعبراته التي يكبحها
داخل إطار عينيّه، إلا أنها شعرت بتلك المضخة تحت أذنها
تهدر بشدة وبوجيبٍ مضطرب انبثا عن كيفية شعوره في
تلك اللحظة وهذا ما جعلها تنسى غثيانها من رائحته قليلاً !!

=====

"أعدني إلى بيتي يا معاذ ..."

ما زالت الجملة تتردد في عقله وما زال إلى الآن لا يصدق أنه
بالفعل حقق لها رغبتها وأعادها إلى بيتها .. مما ترتب عليه
عدم رؤيتها لمدة ثلاثة أشهر كاملة ... إلا مرة واحدة !!



مرة واحدة كانت بكل الأوقات التي قضاها معها، مرة ظن بعدها أنها ستطلب منه أن يعديها إلى بيته، بين ذراعيه ... إلا أنها لم تطلب وهو لم يعرض أن يعديها !

كان يوم زفاف حلا المزدوج مع درة وفارس .. أول يوم يلتقيها فيه بعدما أعادها إلى بيتها يوم طلبت منه ذلك !!

مظهرها هذا اليوم أسركيانه كله، رغم وزنها الذى ظل يتناقص حتى باتت شيئاً لا يُذكر.. بشرتها التى ازداد شحوبها والذى عملت جاهدة على أن تداريه بأدوات التجميل ويبدو أنها لم تفلح تماماً، إلا أنها رغم كل ذلك كانت أجمل من أى مرة رآها بها .. بفستان أزرق وتصميم بسيط التف حول قدها النحيف، وحجاب بلون رمادى انعكس على لون عينيها فزادها بهاء !

يومها اقترب منها ببطء وعيناه فوقها لا تبارحها، حتى وقف أمامها، ليمس بعد فترة صمت طويلة ... جداً :
_رنيم !



ابتسمت تلك الابتسامة التي ينالها الحزن رغماً عنها وهي
تقول بخفوت :

_عامل ايه يا معاذ .

كيف حاله ؟؟ أتسأله عن حاله بعدما تغيبت عنه كل تلك
الأيام ... حاله لا يسر.. لا يسر أبداً !!

لكنه ابتسم وهو يجيبها :

_الحمد لله .

صمت لبرهة، استجمع فيها قدرته على الحديث قبل أن
يقول بهدوء مصطنع، بعيداً عن ذاك الذي ينتفض في
يساره :

_اسف انى مجتش اطمن عليكى من وقتها، بس ..

قاطعته بهدوء وهي تنظر له قائلة :

_متقلقش .. حلا كانت بتجىلى .

اطبق شفيته للحظة، كانت كفيلة بجعله يلاحظ ذراعها
الذى كان متهدلاً جوارها دون قدرتها على تحريكه، فما زال

يؤلمها ورغم ذلك حررته من ربطته .. عقد معاذ حاجبيه
وهو يمد يده ممسكاً بكفها .. ثم رفع عينيه لها قائلاً :

_فكيتى ذراعك أمتة ؟

وأيضاً جاوبته بابتسامتها الهادئة :

_من يومين .. بس لسه تاعبنى شوية .

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يقول :

_بس لسه بدرى على معاده ليه فكتيه وانتى عارفة أنه
هيو جعك .

ضحكت ضحكة صغيرة وهى تقول ممازحة بلطف :

_مكنتش هعرف احضر الفرح بيه .. يرضيك احضر الفرح
بأيدي متجبرة .

ابتسمت وهو يمرر إبهامه فى باطن كفها بلطف دون أن يرد

على حديثها، قبل أن يمسك بذراعها السليم قائلاً :

_تعالى نروح نسلم عليهم بقالك يامة مشوفتهمش .



ابتسمت وهى تمشى جواره متعلقة فى ذراعه كأى زوجين طبيعيين، لا يعلم أحد أنهما زوجين بالأساس !!
فعقد قرانهما الذى عُقد سريعاً لتخليصها من التهمة التى وقعت على عاتقها وكان اسمها هيثم، لم يتم إعلام أحد به .. خاصة بعد ما حدث يومها ... وإلى الآن لا أحد يعلم بالأمر !!

لذا من كان يراها كان يظنها خطيبين على أعلى تقدير..
.....

حين انتهى الحفل ... لم يجد بداً من الطلب منها بلباقة أن يعديها إلى بيتها على أمل أن تغير رأيها مثلاً وتطلب منه أن تعود معه إلى بيته، إلا أنها لم تفعل ولم تكن لتطلب منه ذلك وزواجهما المزعوم هذا لا أحد يعلم به مطلقاً !!
لذلك ومن باب الذوق وافقت فقط على أن يقلها لبيتها !!



طالت بهما الطرقات نحو بيتها .. وطال بهما الصمت أيضاً؛
لذا استجمعت قوتها لتسأل عما كانت تنوى السؤال عنه
منذ زمن، كاسرة حاز الصمت بينهما :

_ عملتوا ايه مع هيثم ؟

سؤالها اجفله للحظة لم يطل بعدها وهو يرمقها بنظرة
جانبية نارية، مستنكراً سؤالها عن طليقها والذي كاد يودي
بحياتها .. لكنها غافلتة وهي تنظر له بقوة قائلة :

_ متستغريش انى بسأل عنه، ده مهما كان فى الاول وف الاخر
كان ابن خالتى .. هو الوحيد إالى فاضلى من عيلتى كلها .
بلل معاذ شفتيه بتوتر قبل أن يبعد عينيه عنها ناظراً
للطريق أمامه باهتمام ثم قال بهدوء :

_ هيثم نقلوه لمصحة نفسية يا رنيم، تصرفاته مكنتش بتدل
غير على أنه .. عنده خلل نفسى مثلاً .. وهو حالياً بيتعالج .
صمت لبرهة ثم استأنف حديثه :



_ قضية الطاعة إلى كان رافعها عليكى سقطت، وعقد الجواز إلى مضاي عليه بدون علمك، سقط بعد الطعن فيه، وبحكم العقد الشرعى إلى احنا قدمناه بتاريخ قديم مع الشهود والمأذون إلى جبناهم وخلصناهم يعترفوا أنهم معمولوش حاجة وانها كانت متلفة منه وانكارك انك ممضتيش على حاجة، ودى كلها كانت لعبة منه والأمر اتسوى .

بعدها أنهى حديثه، اومأت هى بصمت وهى تدير وجهها، ناظرة من النافذة جوارها ... كاد لسانه أن يزل سائلاً إياها عن مصير علاقتهما المعقدة، لكنه لم يجرؤ ... ولم يسألها بل فضل الصمت !!

إلى أن انتهى الطريق نحو بيتها فترجلت من السيارة وهو معها ... لأول وهلة استعجبت نزوله خلفها، لكنه مشى جوارها و قال دون أن ينظر لها :

_ متستغريش، هطمن عليكى وهمشى .



ابتسمت وهى تهز رأسها قائلة :

_وانا مسألتكش .

كانوا قد وصلوا للمصعد فدخلوا إليه وبعد أن انغلق الباب

عليهم، تفضل بالرد على جملتها المتأخرة ببعض المرح وهو

ينظر لجانب وجهها :

_وكأنى مش فاهمك .

.....

حين وصلوا أمام شقتها، انحنى لتجلب المفتاح الموضوع

أسفل السجادة الصغيرة كما عادت، فضحك معاذ وهو

يتذكر يوم رأى حلاً تستخرجه من نفس المكان ... فالتفتت

مواجهة له بعدما فتحت الباب ووقفت فى إطاره، تنظر له

مبتسمة قبل أن تقول :

_بتضحك ليه .

هدأت ضحكته وهو يجيبها :

_اصلى اول م شوفت حلا بتشيل المفتاح من نفس المكان،
قولت عليكى خبيثة .

_وانت جيت هنا امته .

سألته عاقدة حاجبها، فأجابها مبتسماً :

_يوم ما كنتى ف المستشفى .

اومأت إيجابا بابتسامة صغيرة وهى تعود بذاكرتها لذلك
اليوم الذى كان نقطة تحول فى حياتها .. لكنها استفاقت
على صوته العميق يقول لها :

_رنيم ممكن اتكلم معاكى شوية .

رفعت عينها الدخانيتين إليه بوجل وهى تخشى لأن يتطرق
إلى تلك المنطقة التى ظلت تتحاشاها طوال الفترة الماضية ..
مصير علاقتهما معاً !!

حقيقة ... هى ظلت تدرب نفسها على تقبله، تشجذ كل
قوتها لكى تتمكن من إظهار الحب الذى تكنه داخلها دون
إيجاد الطاقة لإظهاره !!



هى قالتها قبلاً .. فاقد الحب لا يعطيه، وهى ظلت تُحرم منه
مرة بعد أخرى إلى أن انعدمت قدرتها على العطاء تماماً،
حتى وإن كان الحب موجوداً داخلها، فهى أضعف من أن
تقدمه !!

صمتها الذى طال أمامه أخبره بوضوح أنها علمت عن ماهية
الحوار قبل أن يبدأ، لكنه ظل مصراً على وضع حد لتلك
المهزلة .. لذلك لم يتحزح من مكانه قيد أنملة بإصرار
عجيب، وهى أمامه لم تملك إلا الانصياع وافسحت له
المجال ليدلف !!

و حين استقر على أحد الأرائك وهى جواره دون أن ينسى
إلقاء نظرة على صورتها الحبيبة فوق الحائط، قال بهدوء
أخيراً دون أن ينظر لها :

_ انا مش هلف وأدور فى الكلام، سبق وقولتلك يا رنيم أن
القرار قرارك .. انك تفضلى معايا اولاده كان اختيارك،
لكنك لحد دلوقتى مختارتيش غير السكوت .



لم تجبه وحين طال صمتها، التفت لها مرغماً ليجدها
تبكي بصمتٍ جواره، تنهد باضطراب وهو يمسك بيدها قائلاً
بحنان :

_عشان خاطري متعيطيش ... انا مقولتش كده عشان
اخليكي تبكي، أنا بس ... مش عاوز اسيبك متعلقة .
أدارت وجهها نحوه، ناظرة لعينه بعينها الدامعتين وهي
تقول باختناق :

_انا تعبت يا معاذ .. تعبت من الجرى ورا الذكريات كل
شوية، تعبت من انى كل شخص فى حياتى يسبنى ويمشى ..
بابا وماما .. عمرو هيثم .. كلهم راحوا، معدش ليا حد ، و
معدش ليا منهم غير ذكري، معنديش قدرة انى احب حد ولا
اقبل حب من حد، عشان لما يجرى يمشى ميسبنيش للى انا
فيه دلوقتى .

ظل ينظر لها بصمت للحظات، وحدثتين ارتسم فوقهما
الألم جلياً ... هو يفهمها لكن ليس بيده حيلة معها، تجربتها

المريرة مع القدر لا تمنحه فرصة لأن يعدها بغدٍ أفضل بعد
سلسلة الفقد المتوالية التي عاشتها، لكنه أيضاً يملك شيئاً
واحد ليقدمه لها، حبه فقط ما يملكه وغير ذلك هو صفر
اليدين تماماً !!

أخيراً تحرك وهو يقربها منه حتى باتت تلاصقه وراح يربت
على رأسها برفق وهو يهمس في أذنها :

_وانا مش هسيبك ... صدقيني، لو كنتي انتي سبتيني فأنا
مش هسيبك ... لو كنتي مش قادرة تختاري انا هختار..
هختار اننا نكون سوا يا رنيم لأن ده إلی انتي محتاجاه زى
انا م محتاجه، هختار احبك حتى لو انتي محبتنيش، أو
معندكيش القدرة انك تحبيني ، هختارك انتي دوناً عن كل
البشر.. اوعدك .

قبل رأسها وهمّ بالنهوض ليرحل بعيداً عن ذاك الطوفان
من المشاعر الذي يثيره قلبه منها داخله، لكنه توقف على



كفها الذى تشبث بكفه وهى تبكى بصمتٍ هامسة بخفوت
شديد :

_متسبنيش يا معاذ .. أرجوك !

مطلبها حمل عدة معانٍ لم يعرف أيهما يفهم، لكنه فضل
اقلهما خطورة على الوضع، وترجمه على أنها تطلب منه ألا
يقصها من حياته ! لذلك ربت على وجنتها برفق وهو يقول
بابتسامة خافتة :

_مش هسيبك .. بس ارتاحى دلوقتى .

هزت رأسها نفيًا وهى تتمتم بشفتين مرتجفتين :

_خليك معايا .

زم شفتيه للحظة وهو يراها تحيل المطلب لاتجاه آخر،
فتهد بيأس وهو يجلس جوارها مرة أخرى ممسكاً بكفيها،
ناظرًا بعينها بنظرة متوترة !!

قربها يرهقه، يثير به زوابع من الجنون لم يكن يعرفها قبلاً،
حتى مع من هن أشد منها جمالاً !!

لكنها هي .. هي مختلفة، ضعفا وهشاشة كينونتها يستفزان فيه رغبة دفينة في حمايتها، في الدفاع عنها، إضافة إلى مشاعره التي تعاظمت بحبه لها !!

شفتيه اهتزتا بتوتر واضطراب وهو يحاول إيجاد الكلمات المناسبة ليطمئنها بها، لكنه يعود ويطبقيهما أمام دموعها المنهمرة دون توقف وشهقاتها المستغيثة وكأن كل ابتساماتها وقوتها وكل موقفها طوال حفل الزفاف كان قناعاً هشاً لكل ما تضحج به نفسها المرهقة !!

ظل يقاوم رغبته لإسكات بكائها هذا طويلاً، لكنه بالأخير ضمها نحوه برفق مربتاً فوق رأسها برفق إلى استكانت قليلاً وهدأت أنفاسها الثائرة .. وبعدما اطمئن لسكوتها، همس باسمها بخفوت، رفعت إليه وجهها المنتفخ إثر البكاء ببطء قبل أن تومئ بخفة موافقة، حينها ابتسم بخفة ناظراً لملامحها لبعض الوقت، وهي كانت كمن تستغيث به بعينها



لأن يخرجها من دوامة الحزن التي سقطت فيها نفسها دون
هوادة !!

وهو الذى كان مفتوناً بها لم يكن ليترك نفسها لحزنها
أبداً !!

لكنه أيضاً كان ضعيفاً جداً تجاهها، ضعيفاً للحد الذى
جعله يرمى كل عقل اكتسبه بمرور السنوات جانباً،
وهو يخفض وجهه نحوه مقبلاً شفتيها !!

لأول وهلة لم يستوعب أنها بقيت ساكنة مكانها، ثم فى
لحظة بدأت تتجاوب معه، عكس المرة الأخيرة والوحيدة
بينهما، وهذا ما أطاح بتعقله بعيداً !!

فلم يعلم بعدها ماذا حدث ولا كيف انتهى بهم المطاف فى
غرفتها، وقد أصبحت زوجته أمام الله ولكن ليس أمام
الناس !!!

.....

"ليس أمام الناس"، وربما هذا ما أرق مضجعه من يومها !!!

استفاق جبرياً من تلك الذكرى التى تكاد تبتلعه من شدة
حلاوتها، ومرارتها !!

فتح عينيه زافراً بعنفٍ يأس عندما أستوعب أنه مازال
جالساً على اريكته البائسة كما كل حياته البائسة من يومها
!!

داربعينه فوق سقف الغرفة وهو يشعر بغيظه من نفسه
يكاد يفتك برأسه !!

نعم هو مغتاضاً جداً من نفسه .. من هروبه كجبان يومها
صباحاً دون أن يجرؤ على مواجهتها .. مغتاضاً من أنه فقد
السيطرة، مما فعله معها وبعدها تركها وحدها دون حديث
وكأنها فتاة ليل أخذ مراده منها واكتفى !!

مغتاضاً بشدة، ولكنه رغم ذلك غير قادر على مواجهتها من
يومها، حتى بعد مرور شهرين على هذا اللقاء الكارثى !!



لا ... لم يكن كارثي .. بل كان ملحمياً، شيئاً غير قابلاً
للتفسير، ذكرى مشتعلة بينهما لم يفكر قبلها بها ولو مجرد
تفكير، ولكنها تحققت بإرادة مشتركة منهما معاً !!
هى كانت راضية، لم يجبرها على شئ مطلقاً .. لكنها أيضاً
كانت ضعيفة، ضعيفة لتلك الدرجة التى تجعل مقاومتها
مستحيلة، هذا لو كانت تريد المقاومة أصلاً !!
وهو فى نظر نفسه .. استغلها، استغل ضعفها وحاجتها
لشخصٍ يبقى بجانبها مطمئناً إياها !!
هو يعلم أنه ليس حراماً، فهمى زوجته شرعياً، لكن الناس ..
الناس لا تعرف .. زواجهما ليس معلناً لأى مخلوق سوى
عائلته، والمقربين منهم !!

صوت طرقات خافتة على باب غرفته جعلته يتأفف للحظة
قبل أن ينادى دون أن يتحرك من مكانه :
_ ادخل .



وبالفعل دلفت سامية من كانت تطرق الباب، فنظر لها معاذ للحظة قبل أن يعاود تحديقته في سقف الغرفة مرة أخرى .. لكنها لم تستسلم بل جلست مقابلة له وهي تنظر له بإصرار قائلة بهدوء :

_وبعدين معاك يا معاذ .

اخفض وجهه ناظراً لها بهدوء للحظة قبل أن يجيبها ببساطة :

_وبعدين ف ايه ؟

زمت شفتيها قبل أن تهتف بإصرار:

_وبعدين في حبستك دى .. بقالك شهرين مش بتطلع من اوضتك غير كام ساعة وترجع تانى .. ابوك عاوز يشوفك وانت مش راضى تطلع من هنا .

رفع وجهه مرة أخرى زافراً بيأس قبل أن يعود إليها مرة أخرى قائلاً :

_ انا هقولك على إالى حصل .. بس اوعدينى متقوليش لأى مخلوق .

عقدت حاجبها للحظات منتظرة ما سيقول، وبالفعل أتاها ما جعلها ترفع حاجبها بدهشة قبل أن تضحك بقلّة حيلة وهى تقول أخيراً :

_ يخرب عقلك يا معاذ .. طب استنى لبعد الفرح .

زفر للمرة التى لم يعرف عددها لهذا اليوم قبل أن يقول بنزق :

_ اهو إالى حصل بقى .

ابتسمت سامية ببشاشة لتهون عليه الأمر، ثم ربتت على ركبته بحنو وهى تقول بنبرتها التى لم تفشل يوماً فى أن تشعره بأن أمه لم تغيب عن هذه الحياة :

_ قوم يا معاذ .. أستغفر ربك وصليك ركعتين وورح لمراتك، اتكلم معاها واتفاهموا سوا بالراحة، اعتذر عن اللى انت



شايفه غلط، واتصافوا، وحددوا بقى معاد للفرح وخلينا
نفرح بيكم مع زين قريب .

لم يستطع معاذ إلا أن يقابل ابتسامتها بأخرى مثلها .. يفكر
ملياً في حديثها، ليس لأنه الأصح فقط، بل لأنه أيضاً صادر
عنها هي، وهو لم يكن ليرفض لأمه طلباً أبداً !!!

=====

أخذ يداعب وجنتيها الشهيتين كحلوى مارشميلو وهو
مستلقياً جوارها على سريرته، قبل أن يهمس جوار أذنها
بخفوت :

_ ماسة .. حبيبة بابا مش ناوية تصحى ولا ايه .

تململت الصغيرة بإنزعاج وهي ترفرف بأهدائها لبضع
لحظات قبل أن تفتحهما ببطء ناظرة له كاشفة اللثام عن
عينها الجميلتين .. وكم شعروقتها بأن أحد ما يفتح له



هدية، هدية رغم قسوة من قدمها إلا أنها ظلت غالية .. بل
غالية جداً !!

ابتسم بخفة وهو يجلى أفكاره مؤقتاً، هذا وقت ماسة .. و
وقت ماسة فهو لها، فهو إن كان تهاون في حقها قبل ذلك و
ابخسها إهتمامه بها، فلن يفعل بعد الآن، يكفيها ما نالها إثر
إهماله، والآن عليه تصحيح الوضع الذى ساء بسببه !!
حمل الصغيرة بين يديه وهو يدغدغها ممزحاً لبضع
لحظات، قبل أن ينهض وهى معه ليقوم بإتمام الطقوس
الصباحية الخاصة بها

وما إن انتهى وألبسها ثوب رقيق بلونٍ كريمى تباين مع
وجنتها الحمراءوين الشهيتين، حتى نظر لها باسماً وهو يراها
كأجمل قَدَر من الممكن أن يحدث له !!

وقف عقله للحظات عن التفكير فى سواها، وكأن ذاكرته
الحبلى بأحداث الماضى كلها قد مُحيت فجأة !! وبقيت هى
متربعة على عرش عقله، وخواطره هم رعاياها !!



لا يصدق أنه كاد يفقدها إثر موجة عاتية هبت فجأة من
بحر الماضي، وكأن ذاك البحر الذى ظن نفسه آمن فيه
مصر على إثبات غدره، وترسيخ المفاهيم عنه أنه لا أحد
يؤمن مكره أبداً !!

حتى هو... لكنه لم ينجو بل راح ضحية !! أوليس هو، بل
تلك السنون التى تناسب عمر ماسة هى ما كانت الضحية
.... ضحية شعوره بذنب لم يقترفه بل اكتشف أنه من كان
دمية تتقاذفها الأيدي، سالبة إياها حقها !!
ورغمًا عنه تفرقت خواطره على كل الأحداث التى مرت عليه
فى الشهرين الماضيين والتى لا يعلم أحد بها سواه هو، و
مؤخراً زين وحازم !!

.....

يوم اختطاف ماسة فى المطعم من يارا !!
أو الأصح ... يوم سلمت يارا ماسة فى المطعم !!

نعم هي من سلمتها لمصير تجهله خوفاً من ضياع حب حياتها
من بين أيديها، جازفت بحياة ماسة ووجودها معه مقابل
أن تبعد عنه رواسب الماضي والتي تعلم هي خير العلم أنها
ما زالت عالقة بكيانه !!

يتذكروا وقت قرر رؤية تسجيلات الكاميرا لهذا اليوم في
المطعم، وبالفعل رآها وما كاد يذهب بعد ظنه أنه لا فائدة
إلا وقد تسمر على رؤية "نرمين" واقفة قبالة يارا التي
سلمتها ماسة دون مقاومة تذكر، وكأن بينهما معرفة سابقة،
حتى أنها لم تندهش عند رؤيتها! فحسب رؤيتهم جميعاً
"نرمين عادت من الموت".... وكيفية حدوث هذا هو ما
علمه بعد ذلك بفترة !!

يتذكر شعوره وقتها وهو يرى حب حياته كلها ماثلاً أمامه
بعد ما ظن أنه ذهب بلا رجعة! كان مصدوماً، بل مصدوماً
وصف غير مُجدي لما شعر به في تلك اللحظات القليلة التي



ظل فيها جاحظ العينين على صورتها في "الفيديو المسجل"
!

لكنه وبمعجزة ما استطاع تمالك نفسه، وأخذ من المقعد
الذى يقبع خلفه مجلساً، إلى أن استرد نذراً يسيراً من إدراكه
لما رآه، قبل أن ينهب المسافة بينه وبين يارا بخطوات
معدودة، متسائلاً عما حدث، مُحذراً بلهجة شديدة أنه
ممنوع الكذب والخوض في تلك المنطقة الخطرة الآن !!
وقد فعلت، صدقت وهى تقص عليه كل ما كان يحدث !!!
بالبداية

عندما أرسل لها مجهول رسالة على هاتفها يدعوها للقاءه
فى حديقة بيتها الخلفية، لم تصدق مدى سذاجة شخص
مثل هذا وهو يريد مقابلتها فى حديقة بيتها !! لكن هذا
تحديداً ما طمئئنها.... أنها فى بيتها، لذلك ما كاد النهار يشق
أول شعاع له فى الدجى حتى استعدت لذاك اللقاء الذى
دفع الأدرينالين عبر أوردها تحفزاً لما سيحدث !!



ولكن صدمتها الحقيقة حين رأت بأم عينها نرمين زوجة مصطفى الراحلة، ماثلة أمامها في حديقة بيتها !!
كانت في الملامح تشبه نرمين لن تنكر، لكن تلك التي كانت تواجهها في ذاك الوقت لم تكن تشبه نرمين في شئ سوى الملامح فقط، حيث كانت في هيئة عصرية تماماً كسكان أوروبا مثلاً!! شعرها ذو التصفيفة الحديثة يتهادى بين تيارات الهواء متباهياً، ثيابها الخالية من التحفظ تحمل اسم أفخم الماركات عالمياً، ووجهها كان كلوحة فنية يزينها ثغرها البمستك بإغواء !! لا لم تكن نرمين، لم تكن نرمين أبداً !!

وهذا ما استطاع وقتها لسانها الهمس به عبر فمٍ فاغر من عظم صدمتها :

_مش معقول ... نرمين !!!

خفتت ابتسامة المدعوة أمامها وهي تميل رأسها باستمتاع،
مجيبة عن السؤال :



_ايوا نرمين يا يارا، متعرفنيش .

ظل فم يارا على اتساعه وكأنها نسيته مفتوحاً، وعقلها يستحلفها أن تستلم لإغماء الصدمة الذي يراودها، لكنها و بكل بسالة تحارب تيارات اللاوعي التي تجرفها بعيداً عن الواقع والذي استحال إلى فيلم فانتازيا ردئ الصنع، بل ردئ جداً !!

أخيراً وجدت القدرة في نفسها لتهمس بصوتٍ واهٍ :

_ازاى .. ازاى انتى هنا، انتى ميتة !!

زمت نرمين -أوشبح نرمين- شفتيها بعفوية وهي تقول بهدوء منقطع النظير:

_لا مش ميتة !! انا عايشة من وقتها، الفارق بس انى كنت ميتة بالنسبالكم .

همت يارا بتقديم سؤال أغبى من الذى سبقه، لكن نرمين التى صرفت روح الدعابة الثقيلة التى كانت تتلبسها قاطعتها وهي تقول فجأة بحدة غريبة :



_فين ماسة !! هاتيلي بنتى .

هنا .. لم تسمح يارا للذهول بأن يملكها أكثر، حين وصل الأمر لماسة فهي الآن أمام طريق مسدود؛ لذلك همست بشراسة وهي تجذبها من ذراعها بقوة خلف أحد الأشجار، بعدما استعادت وعيها فجأة :

_ده على جثتي لو سلمتك البنت ولا لمحتها، لا وجاية بكل بجاجة ف قلب بيتى ازاي اصلا حصل كل ده ... وازاي انتي مش ميتة ومختفية طول الوقت ده ازاي !!!
استحال حديثها في نهايته إلى صرخة مكتومة قابلتها نرمين بعينين جليديتين وهي تقول برود :

_ازاي ده شئ ميخصكيش ... وليه برضو ميخصكيش، إنما انا جاية بيتك ليه ف ده عشان انا عارفة كويس لو كنت طلبت منك نتقابل برا كان ممكن خطى تفشل، كان ممكن تعرفي خواتك، متجيبيش البنت، مترضيش تطلعى اصلا .



صمتت لبرهة وهى تكتف ذراعها أمام صدرها، قائلة بملامح
حملت بعض السخرية :

_فانا جيتلك لحد عندك ...عشان مبقاش فى حجة .
حسناً ... هذا فقط جزء من القصة قد توضح والبقية
تعرف تماماً أنها سترفض الإفصاح عنه، فكما قالت لا دخل
لها ... لذا كتفت يارا ذراعها بالمثل وملئت صدرها بنفس
عميق قبل أن تقول بهدوء تُحسد عليه فى موقف كهذا :
_والمطلوب .

_بنتى !!!!

بتلقائية شديدة أتاها الجواب، فعقدت حاجبها قبل أن
تولد السخرية عبر شفاهها :

_بنتك دى إالى انتى سبتىها يوم ولادتها، واوهمتىنا كلنا أنك
ميتة !!!

تلبدت عينا نرمين من فورها كما تتلبد السماء بالغيوم وهى
تطالع يارا بنظرات باردة، سبقت قولها الجليدى :

_قولتلك ميخصكيش، انا عاوزة بنتى وبس .

جابهت يارا نظراتها الجليدية بأخرى مشتعلة وهى تقول
بتحدٍ سافر:

_تبقى بتحلمى لو اتخيلتى انى اسلمهالك .

ظلت الأعين تتناطح بالنظرات لبرهة قبل أن تجد يارا كل
دفاعات نرmin تتهوى دفعة واحدة، وعينها امتلئت دموعاً
حقيقة، وصوتها قد خفت وهى تقول مترجية :

_ارجوكى عاوزة اشوف بنتى، ارجوكى حسى بيا، عاوزة
أشوفها ولو مرة، مرة واحدة بس اخودها ف حضنى ... من
يوم ولادتها وانا مش بشوفها غير صور، ارجوكى !!!

رجائها الحار جعل يارا تعقد حاجبها باستغراب من تبدل
حالتها بين لحظة وأخرى كهذا، لذا اتخذت من الغضب
ساتراً حتى تتفادى لعب نرmin الماكر على أوتار مشاعرها و
عطفها، فهتفت فجأة بعصبية :



_ انتى إالى عملتى كده ف نفسك وف بنتك، لو تعرفى الذل
إالى بنتك كانت بتشوفه مكنتيش فكرتى تسببها كده ... انتى
أنانية ومعدكيش رحمة، وانا مستحيل اسلمك البنت ابدأ

صمتت لبرهة تلهث بانفعال، ثم استأنفت حديثها بازدياء :

_ وبعدين انتى ازاي عرفتى أن البنت معايا .

والجواب أتاها هادئاً، هدوء متألم، وكأن من مثلها تعرف
الألم :

_ كنت مرقباكى وعارفة ان البنت معاكى، عشان كده
ارجوكى خلينى اشوفها، مرة واحدة بس دلوقتى، مش
هاخودها منك .

ملامح يارا ظلت على جمودها المزدري، مما عزز روح
الشيطان داخلها وحفزها على الخروج؛ لذلك الطريقة
الوحيدة التى ستجدى مع عقلها اليابس هى ما ستفعله



الآن، حيث أمسكت بذراعها بقبضة قوية وهى تهتف فى وجهها بعنف :

_فاكرانى مش عارفة باللى بينك وبين مصطفى، أحب اقولك انى عارفة كل حاجة، وعارفة حقيقة مشاعرك نحيته وإلى انتى برضو عارفاه انه لسه بيحبنى انا، فلو مش عاوزة تجازفى بضياعه من إيدك، هاتيلى البنات أشوفها؛ وإلا قسماً برى معدتيش هتشوفى يوم مع مصطفى بعد كده نهائى، واظنك عارفة كويس انا بالنسبale ايه .

هنا ظلل بعض القلق حدقتى يارا المهترتين باضطراب، نرمين محقة ... إن ظهرت لمصطفى الآن فلن يكون هناك أياماً قادمة بينهما، بل بعض التعاطف الذى اكتسبته فى قلبه سيغدورماداً تذروه الرياح !! وجود نرمين سيغينه عن الكون أجمع، وخاصة بعد ذنبه الذى ظل يتعذب به طوال عامين، وهو يحسبها ماتت بعد رؤية خيانتة لها !!!

ظلت صامته أمامها دقائق طالت قبل أن تهزها نرمين بقوة
وقد استنتجت تفكيرها عبر عينيها الشفافتين، ثم قالت
بنبرة أمرة، قاطعة كحد السيف :

_ اطلعى هاتى البنت .

فلم تملك إلا الانصياع لأمرها مغمضة العينين، أوروبما
كانت مبصرة وقليلها هو من قد فقد بصيرته !!

ذاك اليوم بعدما انتهى اللقاء بين الصغيرة ونرمين التى
كانت متلهفة لحد موجه للطفلة، أتموا اتفاقهن أن تقابلها
يارا مرة أخرى فى مكان عام لتتثنى لنرمين رؤية الطفلة لوقت
أطول، ويارا حسب ما اهتدى تفكيرها، وافقت !!!

ها هو الخطأ ... الخطأ الذى لا يحتاج إلا لزلة قدم ليس
بعدها إلا السقوط !!!!!

=====



الفصل الثانى والعشرون

=====

"يوم اختطاف ماسة !!"

خرجت يارا من باب بيتها بقلب وجل، وخطواتٍ مترددة، لكنها أجبرت نفسها على الصمود والتحلى ببعض الشجاعة، وإلا قد تنفذ نرمين تهديدها وتظهر أمام مصطفى الذى تقدم لخطبتها رسمياً يوم أول لقاء لها مع نرمين !!

تلك الخطبة مجهولة المصير والتي نسيت تماماً فى خضم كل الأحداث التى تلت !!

حينما وصلت لوجهتها فى ذاك المطعم الذى حددته لها نرمين، دلفت بخطواتٍ متثاقلة، فوجدتها جالسة فى أحد الزوايا تنتظرها، وما إن رأتها حتى نهضت بهيئتها العصرية و تقدمت منها، تتناول الطفلة بمحبة شديدة تناقض تركها لها وحيدة منذ عامين !!!

عقدت يارا حاجبها وهي تشعر بقبضة جليدية تقبض على قلبها، ونظراتها تتوزع على المكان حولها بتوجس بينما نرmin أمامها منسجمة تماماً مع الطفلة .. أوروبما تدعى ذلك، و هذا ما اكتشفته بعدها بلحظات !!

حين ارتفع نظر نرmin نحوها فجأة بنظرات غير مقروءة، ثم نقلت عينها خلف يارا ! فتلقائياً التفتت يارا ناظرة خلفها، لتجد على الطاولة التي تقبع ورائها رجل ينظر لها بنظرات محذرة مشهراً سلاحه من أسفل الطاولة نحوها !! عقدت يارا حاجبها وهي تعود بعينها إلى نرmin التي نظرت لها نظرة حادة وهي تقول من بين أسنانها بخفوت شرس :

بدون شوشرة، هتقومى دلوقتى، تاخدى البنت وتسلميها الى فى ايدى تانى، لكن قبلها هتسلمى الموبايل بتاعك للى قاعد وراكى ده .

تعالى وجيب قلبها على نحو مؤلم وهي ترى المكيدة التي حيكت ضدها، وعدم قدرتها على الفرار أو الصراخ حتى !!

هذا ما كانت تخشاه وربما كانت شبه موقنة من أنه
سيحدث، لكن حسبها بكل غباء أنها ستقدر على النجاة،
بعدها تُسير السفينة على اليابس !!

فعلاً.. ومن الحب ما قتل !! فيها هي ماسة ستضيع نتيجة
لحبها الميؤوس منه !!

لم تجد بداً من تنفيذ ما تريد منها؛ لذلك نهضت بتردد وهي
تسلم هاتفها إلى الرجل الذي أحست أنها رآته قبل ذلك في
مكانٍ ما ثم أخذت ماسة من بين يدي نرمين، قبلت رأسها
بخفة وبعينين دامعتين وكفين مرتجفين سلمتها لها مرة
أخرى، وفي هذه اللحظة كان الهاتف الخاص بها في يد
الرجل خلفها والذي ألتقط لها الصورة مرسلاً إياها إلى
مصطفى مع العبارة التي وصلته والتي كان مفادها أن يارا
هي من سلمت ماسة بإرادتها !!



ربما كان هذا جزء من الخطة، لثقتهم لأن يارا لن تشى بهم
لدى مصطفى وتتقبل التهمة التى وقعت على عاتقها،
فيخرجها بالطفلة وتحمل يارا المسؤولية كاملة !!!

=====

عاد مصطفى إلى واقعه وهو مازال ناظراً إلى ملامح ماسة و
التى يقسم الجميع أنها قطعة منه، بينما هو لا يراها سوى
جزء مصغر من أمها الراحلة، والتى لم تعد راحلة !!!
عقد حاجبيه وهو يتذكر أول مرة وصل لهما فيها بعد الكثير
والكثير من البحث الذى ساعده فيه رؤيتهما فى كاميرات
المطعم !!

"رؤيتهما"؟؟؟!!

وهما هذه عائدة عليها وعلى "هشام" الذى أكتشف وجوده
فى البلد ومعهما بعد رؤيته فى كاميرات المطعم أيضاً.... لا
يعرف كيف اجتمع هذان الاثنان، لكنهما كانا سوياً وهما
يخرجان من بوابة المطعم ... ربما كانا من الغباء بما يكفى

لأن يفعلوا هذا فى مكان عام سيكون فيه كاميرات مراقبة
بالطبع، أوأنهما أرادا فعلاً أن يظهرأ أنفسهما له ليعرف
بوجودهما ويعثرعليهما !!

لكن إن كانا يريدان الظهور، لم افتعلا كل تلك القصة وحاولا
أن يوقعا التهمة على عاتق يارا ؟!

وربما كان هذا ليظهرأها بمظهرالمخطئة ليفرقا بينهما أولاً،
ثم يظهرأ نفسيهما له ثانياً !!

هولا ينفى خطأ يارا لكن هما هددأها بحياتها، هوناقم عليها
لعدم إخباره لكنه فى المقابل لم يستطع لومها على موقفها
أثناء التهديد !!

ذاك اليوم ... يوم وجدهما ... كان يوافق يوم عقد قران
فارس ودرة، وكان أيضاً مرعلى اختفاء ماسة مدة لا بأس
بها، مما كان سيؤدى لكشفه بعدما أخفى عن العائلة كلها
أمرأختفائها بمساعدة يارا ! لكن وليتفادى أمركشفه،
اضطرلطلب العون من أخته سمية !!

اتسعت ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يفكر أن سمية
آخر شخص كان سيلجأ إلى مساعدته لكنها أثبتت له أن
الدم لن يصبح ماءً على كل حال!!

يحمد ربه ألف مرة أنه طلب مساعدتها خاصة بعد إتصال
حازم بها وسؤالها عن مكان ماسة!!

هو لم يكن غيباً، هو علم أن ابني عماء بالذكاء الكافي
ليساعدهما على اكتشاف الوضع، لكن صنيع سمية معه
انقذه، فزين لو كان علم بوجود هشام في البلد ما كان
سيتوانى عن الوصول إليه، وربما كان هرب هشام مرة
أخرى ولكن هذه المرة ومعه ماسة، وهذا ما كان يسمح به
مطلقاً!!

لذا ولأجل مصلحة ابنته اضطر لوضع نفسه بين برائن
هشام وأخفى الأمر عن زين إلى أن يسترد ابنته!!



لذا وبعد عقد القران، وقبل الزفاف بأيام معدودة،
استطاع تدير لقاء بينه وبينهما، بعدما ادعى سفره لعدة
أيام مع ماسة !!

.....

يوم التقاهم !!

الظلام الذى كان يغرق فيه المكان حينها كان لا يقل سواداً
عن الذى تغرق فيه القلوب !!

السيارتان المتقابلتان ضوءهما كان يضيئ المكان فيظهر
الخواء الذى يحيط بثلاثتهم !!

خلاء المنطقة التى يقفون فيها كان يماثل ذاك الخلاء فى
قلوبهم من الرحمة .. إلا من رحم ربي !!

وقف مصطفى جوار سيارته منتظراً، وما هى إلا ثوانٍ
معدودة حتى خرج من السيارة رجل كان مألوفاً له .. بل
مألوفاً بشدة !! ما كان سوى صديقه "الراحل" هشام !!... و



من الجهة الأخرى خرجت امرأة هي الأخرى كانت لا تقل ألفة
عن سابقها !!

وهي زوجته "الراحلة" نرمين !!

لم يستطع تفسير شعوره وقتها، وأيضاً لم يظهر أياً مما
داخله على ملامحه التي ظلت جامدة جمود الصخر !!!

لكنها أخذت نصيبها ونصيب مرافقها من اهتمام مصطفى و
نظراته .. ليس لجمالها ومظهرها العصري الجاذب للانظار
.. ولا لأنها التي طال إليها شوق الليالي .. بل لتلك التي
تحملها فوق ذراعها !!

ماسة التي ظلت تهفون نحو أبيها، وصوت ضحكاتها يتردد
صداه في هذا المكان الخالي !!

اختلج قلبه وهو يبتسم لها بلمهة .. لكنه ما كاد يخطو خطوة
واحدة نحوها إلا وقد قاطعه هشام حين صدح صوته في
المكان :

_مفيش حمد الله ع السلامة .



لمعت عيناه بلمعة خطيرة وهو يطالعه بتهديد قائلاً :
_ هات البنت .

ثم نقل بصره نحو نرمين خلفه هاتفاً :
_ هاتي "بنتي" يا نرمين .

وشدد على حروف كلمة "ابنته" كأنه يثبت لها أنها ابنته هو
لا ابنتها هي كما تحاول أن تثبت، لكن لم يبدو على أحد أنه
أستمع له وهشام يستأنف حديثه بنبرة مقبلة :

_الاول رحب برجوعنا .. مش معقول مو حشناكش .

ظل مصطفى يطالع العينين الكريهتين بتركيز مشئت إثر
ضحكات طفله التي تتعالى من خلف ذاك الذي يقف أمامه
!!

تماماً كالذي يقف على حافة بركانين، لا خلاص له من بينهما
!!!!

لكن هشام بالأخير تنحى جانباً وسمح له بالعبور نحو طفله
التي استلمها من يد نرمين دون أن يرد على حديثها :

_ازيك يا مصطفى .

لم يستطع منه نفسه من إلقاء عليها نظرة عن كثب !! لم تبدو كنرمين التي عرفها دوماً، لكن نظرتها كما هي وصوتها كما هو، ونظرتها تلك كانت تحكى شيئاً هولم يستطع تفسيره، بل لم يرد تفسيره بالأساس؛ ولم يسألها حتى كيف عادت من الموت وكيف هي مع هشام حالياً ولا عن أى شئ مطلقاً؛ لذا صب جل اهتمامه على ابنته التي عادت إلى أحضانه أخيراً !!!

لكن صوت هشام الذى صرح خلفه ألجمه للحظات :

_هنقدر نشوف البنت تانى أمته ؟

ظل للحظات يحاول استيعاب الطلب المتبجح الذى ألقاه هشام على مسامعه للتو، لكنه أجبر نفسه على الالتفات إليه وهو يقول بنبرة غير مقروءة :

_عفواً قولت ايه ؟



دس هشام كفيه فى جيبى بنطاله وهو يناطحه بعينين
ضيقتين، ثم أعاد سؤاله بأكثر وضوحاً :

_نقدر نشوف البنت امته تانى؟؟؟

للحظات فغر مصطفى شفثيه وهمّ بالصراخ وصب جام
غضبه المستطير ولعناته عليه، لكنه أجبر نفسه على
السكوت والتريث وهو يسأله ببعض السخرية :

_وايه إالى يجبرنى اخليك تلمحوا بنتى تانى اصلاً؟ والأهم
انت شاغل بالك ليه ؟

أخرج هشام كفيه من جيبه وهو يرفعهما عالياً بحركة
مسرحية ويقول مشيراً بعينه نحو نرمين :

_مش انا ده عشان امها .

للحظات انتابته ملحة كبيرة للضحك كبحتها بصعوبة، لكنه
لم يستطع منع الابتسامة الساخرة وهو يقول جملة قد
قالتها لها يارا سابقاً :



_امها دى إالى سابتها يوم ولادتها وهربت ... ومثلت علينا
كلنا انها ميتة !!!

_متظلمنيش يا مصطفى، انت متعرفش حاجة .

تدخلها السريع فى الحوار العقيم هذا جعل عيني هشام
ترتفعان إليها بنظرة مهددة بعد التهور الذى كانت سترتكبه،
نظرتهما لم يستطع مصطفى تفسيرها ولا نظرة هشام أيضاً، و
قد بدا أن ما يخفونه عنه جلاً!!

لكن كل اهتمامه الآن كان منصّباً على حماية ماسة والعودة
بها سالمة !!

لذا تعمد تجاهل نرمين كلياً، منتبهاً إلى هشام بنظرات قاتمة
ثم قال بنبرة حاول صبغها بكل قوته :

_بنتى مش هتشوفوها تانى يا هشام، ولا انا عاوز اشوفكم
تانى .



_ده مش بمزاجك يا صاحبي مش هنشوف البنت ببلاش،
ليك عندنا إلی ممکن تاخده، وکمان لیک الی تخاف علیه
.

قالها هشام بتحدِ سافروهو ينظر في عمق عيني مصطفى
الذي لم يرف له جفناً في مواجهته، رغم التهديد الصريح في
كلمات هشام !!

قال مصطفى بلامبالاة متخطياً جزئية مناداته بـ "صاحبي"
:

_معتقدش انى هعوز منك حاجة، ثم انى معنديش إلی
اخاف علیه طالما بنتي ف امان .

رفع هشام ذقنه بتحدِ ونظراته قد تجمدت كاشفة عن
نفسه المقيتة، وهو يقول بنبرة قوية :

_عندك يارا ... خاف عليها، وإلی ممکن تاخدو منى صدقنى
.. أهم من كل ده .



زوى مصطفى ما بين حاجبيه وهو يتطلع لهشام بنظرات متفحصة، سابرة؛ عله إستطاع أن يستشف ما يريد أن يقوله، أوروبما يستشف كذبه وادعائه بأن لديه ما يهم مصطفى، لكن ملامح هشام الجادة دون اهتزاز انبئت مصطفى أنه لا يكذب، لكنه أيضاً عليه الحذر فهذا هشام!! من أوهمه أنه صديقه ثم وفي لحظة وضحاها اختفى تاركاً إياه لكرهه له يجرى فى قلبه، كما تجرى النار فى الهشيم!!

_ اياً كان إلى عندك ميمنيش !!

قالها مصطفى بقوة وهو ينوى إنهاء الجدل عند هذا الحد، متخذاً طريقه نحو سيارته راحلاً.. لكن وقوف هشام أمامه حال دون ذلك وهو يهتف به :

_ هتسمعى لآخر، وهتصدقنى لأن إلى لىك عندى يهمنىك وانا كنت ناوى اقولك كده كده، فعشان تعرف وتطمئن على حياة يارا، سيب نرمين تشوف البنت !!

ضاق مصطفى بالوضع ذرعاً، فهتف بقوة، باصقاً الكلمات في وجهه :

_وانت ليه ادتنى البنت طالما انتوا عاوزينها وعارفين ان انا مش هسمحكم تشوفوها تانى .

حالما انتهى مصطفى من سؤاله، وجد هشام يرفع عينيه نحو نرمين بنظرات لائمة ... أم أنه أخطأ التفسير؟؟ على ماذا يلومها؟..... هل هي من رفضت أن تختطف البنت نهائياً منه مثلاً، معترفة بحقه فيها كأب؟؟

نرمين عادت ... لكنها عادت لغزاً عصي عليه فك شفراته، و لن يهتم بفكها، هي لم تعد تمثل له شيئاً بعدما أخفت نفسها عنه كل هذه السنوات !!

_هنشوف البنت يا مصطفى، مش هتقدر تمنعها عن امها .
حديث نرمين المهاجم استفز الجانب العصبي داخله، فهتف غاضباً دون أن يستدير إليها، وكأن عيناه أبت أن تنظر لها في تلك اللحظة :

_متقوليش امها، ماسة ملهاش ام، ام ماسة ماتت يوم ولادتها .

هنا من جابهه كانت نرمين، حيث أزاحت هشام من طريقها وهي تواجهه قسراً، هاتفة في وجهه بنظرات هائجة :

_مش هتقدر تمنعني عن بنتي يا مصطفى، انا مصبرتش كل السنين دى عشان اجيلها وتمنعني انت عنها !!
_نرمين !!!

صياح هشام من خلفها اخرسها وأوقف الكلمات على شفيتها، فزمتها بغضب رآه مصطفى واضحاً في عينيها قبل أن يجدها ترفع إصبعها في وجهه محذرة، وهي تقول لاهثة :

_بنتي محدش يقدر يمنعني عنها، هشوفها ولو مشوفتهاش هاخودها غصب عنكم زى م عملت قبل كده؛ ومش هيصعب عليا اعملها مرة كمان انا قوييت يا مصطفى، نرمين الضعيفة اللى كنت تعرفها هي إالى ماتت، إنما انا لا ... بنتي هشوفها ... ولو مش بالذوق هيبقى بالعافية !!!



هنا ... أجبر مصطفى نفسه على العودة إلى واقعه دون الرجوع إلى ظلام تلك الذكريات مرة أخرى !!
ماسة بخير وستظل بخير طالما هو يحميها،،، نرمين لن تفعل شئ بها؛ فهي قد رأتها أربع مرات في خلال الشهرين الماضيين ولم تصدر عنها أى بادرة غير محمودة تدل على نية سوداء لديها !!

وهو يشك أصلاً أن تستطيع هي الشعور بأى نوايا سوداء !!
فهذه نرمين رغم كل شئ !!

عقد حاجبيه وهو يكاد يجلد ذاته على هذا الخاطر الأخير....
ماذا أدراه أن نرمين ظلت هي نرمين التي عرفها؟! ماذا يجعله يثق وهي بنفسها قد قالت له أن تلك الضعيفة التي طالما عهدا دوماً هي التي ماتت، أما الفاتنة أمامه هذه هي وليدة القوة التي وجدتها بعيداً عنه !! فمن هو كي يثق بها هكذا !!



هل يتجراً ويتساءل ... أمازال يبقى على حبهما في ركنٍ دفين في
أعمق أعماق قلبه، أم أنه سيستحق النعت بالجنون إن
قال ...؟!!

هو بالتأكيد مجنون !! فمجرد تفكيره في طرح السؤال في حد
ذاته جنون !!!

وماذا عن يارا ؟؟!!

صدمه السؤال الأخير حقيقة !!

لأنه وفي خضم الأحداث الماضية قد بدأ ينسى أن حياته
تحتوى شخصاً باسمها أصلاً !!

تنهد بهم وهو يفكر بها ملياً !!

يارا لا تستحق منه هذا رغم خطأها الفادح في حقه و
حق ابنته والذي كاد يودي بها، لكن قراره متهور كالذي
اتخذته ونص على إبعاد نرمين عن مرمى نظره ما كان ينبع
سوى من حبهما له، وخوفها على أن يتسرب من بين يديها كما



يتسرب الماء، وهذا أيضاً عذرها فيه، فهذا بالضبط ما
حدث ونسيها هو تماماً !!

ميله نحوها ما كان سوى احتياج شديد، ويارا تستحق رجلاً
يحبها لا يحتاجها فقط !!!

لذاك كان ابتعاده عنها كل تلك الفترة .. قرار في محله تماماً
!!!

....

حمل طفلته فوق ذراعيه استعداداً للخروج بها، فاليوم
ميعاد رؤية نرمين لها، وأيضاً الميعاد الخامس والذي
سيماطله فيه هشام على الحقيقة التي يعرفها والتي بات
يشك في أنه لديه حقيقة ليقولها بالأساس... فهذا ميعادهم
الخامس والأخير لم ينبس ببنت شفة عن الحقيقة المنتظرة
!! بل ظل يماطل ويماطل حتى بدأ بعض اليأس يتسلل إليه
منه !!



ولكن زين الذى علم الحقيقة مؤخراً لم ييأس بل كل مرة يذهب مصطفى بها بالصغيرة يذهب زين وحازم معه بعدما علموا بالأمر وتلقى لوماً مروعاً على إخفائه، لكنهم بالأخير قدروا خوفه على ابنته !!

وهاهم على موعد منتظر مع هشام حتى يكشف الحقيقة المستترة والتي يعلم هو تماماً كيف يتحرق زين على الجمر لمعرفتها وهو لا يقدر على أذية هشام أو الضغط عليه ليتكلم، فقانونياً هو لا يملك ضده دليلاً، وبقوة الذراع فهشام لا يأتى إلى مكان إلا ويتلغم برجاله الذين ينتشرون فى كل زاوية منه تحسباً لأى حركة غدر من قبلهم ... وبما أنهم يتقابلوا فى أماكن عامة فاحتمال إصابة الأبرياء إثر الأمر تمنعهم من أى حركة متهورة !!

دخول سمية الغرفة فجأة اجفله للحظة لكنه بقى مكانه، ابنته على ذراعه، مبتسماً لها بفتور !!



ولجت سمية بخطواتٍ مترددة نحو الداخل وهي تنظر

لمصطفى بنظراتٍ مهتزة !!

ثم قالت بنبرة حاولت تصنع الحفاوة والعفوية بها وهي

تلتقط الفتاة من بين يديه :

_ ماسة، ايه الجمال ده ... رايعين فين بدرى كده ؟

عقد مصطفى حاجبيه رغم الابتسام وهو يطالعها ببعض

الغرابة !!

فحقيقة سمية تهره كل يوم عن سابقه !!

فطبيعتها الأنانية قد انقشعت فجأة تاركة الحرية لمتنفس

عطائها أخيراً !! تحديداً منذ طلبه مساعدته وإعلامها بأمر

اختفاء ماسة !!

ظل يطالعها بنظراتٍ مبتسمة وهي تقبل الصغيرة بنهم و

تمازحها بلطف غريب عن طبيعتها المتعنت ...

قال مصطفى بهدوء كرد متأخر على سؤالها بعد شرود :

_ رايعين لنرمين ... يومها مع ماسة انهاردة .



امتعت ملامح سمية من فورها وهى تقول بمقت شديد :
_هى الست دى مش ناوية تهد وتسيب البنت ف حالها بقى
ولا ايه .

رفع مصطفى كتفيه بلامبالاة وهو يقول :

_طالما مفيش أذية للبنت فخلاص مفيش مشكلة .

اظلمت عينا سمية بكره لما تفعله هذه المرأة بأخيها وابنته !!
حقيقة لولم يكن فى الأمر أذية لأى منهما فما كانت اهتمت
مطلقاً، لكنها وللحظة يوم اعلمها مصطفى بالأمر وشعرت
بضياع ماسة من بين أيديهم .. شعرت بشعور مغاير تماماً
لطبيعتها الأنانية الغير مبالية !! لوهلة شعرت بذنب كبير
تجاه ماسة بعد معاملتها الجافة معها ورفضها لها دوماً !!

فهى طفلة رغم كل شئ ولا لها علاقة بشئ مطلقاً !!

شعورها نحو ماسة تغير...وبدأت تظهر بعض الاهتمام بها ..
على أنه طبيعتها لم تتغير مطلقاً، وسمية ستظل سمية أبد
الأبدين !!!

سمية ستظل سمية أبد الأبدين !!

عند هذه النقطة هز مصطفى رأسه بيأس وضحكة صغيرة
تجتاح شفتيه بعد أيام طويلة لم يستطع فيها حتى مجرد
الابتسام، وكأن شفتيه قد صامتا عن السعادة لحين افطاره
على عودة ابنته !!

=====

كان زين جالساً في مكتبه مرجعاً رأسه للخلف، مكتفاً
مرفقيه خلف رأسه متطلعاً لسقف الغرفة بشرود !
منتظراً إتصال مصطفى الذى سيخبره فيه أنه خارجاً
لملاقاة نرمين وهشام ليذهب معه كما كل مرة !!
لكن الإتصال تأخر قليلاً، بينما ذكرها معه كانت حاضرة !!
ذكرى عينين زمردتين ملتفعتين بعدما سمعت صوته !
ضحك زين عالياً فجأة وهو يعود بذاكرته إلى ذاك اليوم ...

.....

_نزلنى هنا !!

قالتها بنزق وهى تضرب على مقدمة السيارة بكفيها و
دموعها لم تجف بعد المناقشة الحادة التى خاضها للتو
عن طريقته شبه الجافة معها، وعدم اعترافه ولو بكلمة
بسيطة بحبه !!

ذاك اليوم ... مر عليها فى المشفى بعد انتهاء دوامها ليقلمها إلى
بيتها، وقد بدا متوتراً بشدة وعلى غير عادته .. وحين سألته
عن الأمر أجاب أنها مشاكل فى عمله ولكن الحقيقة كان
متوتراً من قرب الحقيقة التى توشك ناراها على الإندلاع فى
أى لحظة !! لكنها صممت على انتزاع اعترافه كاملاً من بين
شفتيه يومها، ولم تكن حالته تسمح لأى نقاشات مطلقاً !!
فاحتدم الحوار بينهما دونما سببٍ وجيه !! ورغم شعورها
بالذنب من احتدادها عليه وهو الذى أتاها ليخفف من
الحمل الذى يثقل كاهله، لكنها استمرت فى عناد البغال
الذى تملكها فى لحظة غضبٍ مستاءة !!!



التفت رأس زين لها كطلقة رصاص وهو يقول بعصبية :

_بلاش هبل يا فريدة، تنزلى فين هنا ؟

التفتت له وهى تهتف باصقة الكلمات فى وجهه :

_انا قولت نزلنى هنا، ملكش دعوة اروح فين واجى منين .

_ليه ان شاء الله ... مخطوبة لسوسن انتى !!

أشاحت بوجهها عنه وهى تتشجج باكية بضعف، ناظرة من

نافذة سيارته نحو الظلام أمامها وكأنها ترى شيئاً فعلياً ...

لكن حتى لو كان هناك فذاك الحريق فى قلبها سيمنعها رؤية

شئ !!

هى بشر... ما لا يفهمه هو.. هو أنها بشر، تريد أن تأخذ مثلما

تعطى، تريد أن تُحب كما تُحب .. وهو لا يقدم لها هذا، ولا

يسعى حتى لتقديمه !!

صوت بكائها كان يوتره بشدة فزم شففيه بغضب قبل أن

ينأى بالسيارة فجأة عن الطريق، ويوقف حركتها بشكل

مفاجئ !!



وهو ما استغلته فريدة وهى تترجل منها بسرعة وعصبية
لتجلس على رصيف الطريق المجاور لها !!
ترجل هو الآخر من السيارة ليقف أمامها، متخصراً بكفيه
وهو يهتف :

_ انتى معتوهة ... معلىش لو عندك عته طفولى ممكن
تعرفينى عشان اعرف اتعامل بس .
أشاحت بوجهها بعيداً عنه دون أن تجيبه، وهذه المرة كان
غضبها حقاً جلياً وقد ظهر هذا لعينيه بوضوح !!
لذا أجبر نفسه على التنفس بعمق مهدئاً من عصبيته قليلاً،
ليتقدم ويرتمى جالساً جوارها فبديا كشحاذين !!
ابتسم زين وهو يتذكر يوم جلس معها جلسة كتلك أمام
سلاالم المشفى ... يوم عرف بأمر حبيبها الخفى !!
يوم خانتها زمردتها وتحالفتا معه ضدها !!
_ لو هتقولها افضل قاعد، مش هتقولها قوم امشى .



حديثها الفظ الذى خرج عبر شفيتها دون أن تستدير له
أخرجه عن خواطره، فنظر لجانب وجهها البعيد عنه وهو
يهمس باسمها بصوتٍ اجش :

_فريدة !!

شهقة بكاء أفلتت من بين شفيتها وهى تتمتم من بينهما :
_متحاولش ... مش هتنازل انهاردة، انا استكفيت منك .

ضحك زين باستياء وهو يقول بخفوت ممازحاً :

_يا بنتى هو انا بعمل فيكى ايه .

_بتعمل كتير بس انت إالى عامل نفسك اهطل ومش فاهم
حاجة !!

التفتت له بحدة وهى ترمى كلمات الحجارة تلك فى وجهه،
فعقد زين حاجبيه ببعض الاستغراب وهو يعيد كلمتها مرة
أخرى :

_أهطل !!!



تراجعت رأسها للخلف قليلاً، مضيقة عينيها وهي تقول
بتوجس :

_ايوه اهطل .. يعنى عبيط ومعتوه .

كان دوره الآن ليضيق عينية بتوجس ناظراً لها، قبل أن
يقول بهدوء مصطنع :

_يعنى انا اهطل؟؟

وبتلقائية شديدة، وصدق منقطع النظير أجابته :

_اكيد لا ... هو انت لو كنت اهطل انا كنت حبيتك اصلا .

تهد زين باستياء وهو يهز رأسه بصبر، قبل أن يضحك
ضحكة صغيرة مخفضاً رأسه قليلاً، ينظر لنقطة وهمية في
الأرض، حينها تأملته ملياً وهمست بخفوت مترجى :

_هتقولها .

تجددت ضحكته مرة أخرى بعد قولها ومازال مخفضاً
رأسه، حينها استدارت عنه مجدداً بلامح مستاءة مبتئسة

... هولن يقولها وهي لن ترضى بأقل منها ... حتى لو

سيتوقف مستقبل هذه الخطبة على هذا الأمر!!!

ازدرد زين ريقه بصعوبة وهو يشعر بغصة مسننة في حلقه

تمنعه التنفس !!

فريدة لن تفهم، لن تتفهم عدم قدرته على الصراحة الآن،

يعلم ربه وحده كيف قاوم نفسه وهو يذهب لخطبتها، لكنه

لم يكن ليرضى لها أن ترتبط به دون مسمى رسمى على

مرأى ومسمع من العائلتين !

هولن يقلها إلا بعد أن ينهى الأمر السابق تماماً، هو عهد

أخذه على نفسه ولن يتهاون فيه !!!

تجراً وهو يمد كفه ممسكاً براحتها التي كانت تقبضها فوق

ركبتها ببعض العنف، تخلل أصابعها بأصابعه وهو يفك

تشنج كفها رغماً عن مقاومتها الواهية له، غير منتبه لتلك

المفرقات التي هدرت فجأة في قلبها بعدما شعرت بملمس

يده على كفها !!



توترت قليلاً وحاولت سحب يدها منه إلا أنه كان يقبض عليها بقوة حانية وكأنه بهذا يعتذر.... أُويعترف ربما !!
لم تستطع منع نفسها من سكب المزيد من العبرات مرة أخرى على وجنتيها وهي تلتفت له، ناظرة بعتاب نفذ إلى قلبه كسهم لا يخطئ هدفه !!

لكنه ابتسم لعينيها وهو يضم رأسها نحو كتفه برفق، فاستندت هي إليه مغمضة عينيها، ناشجة بضعف دون أن تجد القدرة في نفسها على قول أى شئ !!
عناقه !!

شئ يشبه المخدر حين يسرى في الوريد !!
يشبه نسمة عليله مداعبة في يومٍ حار !!
عناقه رغم أنه ليس كاملاً كما اعترافه تماماً، إلا أنه قادر على إشعال قلبها المتيم بحبه !!

عناقه الدافئ ذاك الذى يبعث في نفسها رجفة، فتحيل قلقها إلى اطمئنان بسرعة، كما تُضرم النار في الهشيم !!



لكن عينيها استعتا فجأة، وقد وقف بكائها في لحظة واحدة،
حين أتاها صوته مدندناً، رائعاً، ذوبحة جميلة :
_زيك أنا .. مقسوم ما بين الضفتين..
ببعد ساعات .. وساعات يرجعني الحنين..

كان يغنى .. زين كان يغنى لها هي !!
وصوته .. يا إلهي صوته كان!
لم تستطع تمالك خواطرها وهي ترفع عينيها له فجأة
بصدمة سرعان ما استحالت إلى ابتسامة ناعمة على
شفتيها، وهي ترى نظرتة التي ازدادت عمقاً وشفتيه اللتان
طفقا يرددا الكلمات واللحن بصوته العذب :

_اوقات بحس اننا، شمس وقمر...

طريقين سفر... مبيتلاقوش...

أغرب ما بين كل الوشوش...

وساعات بحس أنك أنا...



فاهمة حروفي والسكات..

سامعة غنايا وكل الآهات..

وياخودنى جوا عنيكى سحر.. ودندنة ..

وساعات غنا ... وساعات دموع ... متعلقة فى حضن المنى..

فغرت شفيتها بانهاروهى مستمرة فى مطالعته، ولم تدرِ
وقتها بأن عينيها لم تكفا عن سكب الدموع أبداً ... هى فقط
نسيت الزمان والمكان من حولهما، حتى نسيت أنهما فى
الشارع، كل ما كان يحوطها هو صوته ... صوته يعانقها، و
نبرته تربت على روحها .. هل لصوت أن يعانق، لنبرة أن تربت
على الأوجاع، لكمات أن تنزل كالغيث ...؟؟! حسناً ... هى
رأت!!

كانت تنتظر أن يكمل ويستطرد غناؤه بصوته التى اكتشفت
لتوها مدى روعته، وهى التى ظنت نفسها تعرف كل شاردة و
واردة عنه !

لكنه لم يفعل، بل صمت وهو يرمقها بنفس النظرة و
الابتسامة تكلل شفثيه !!

حينها تنهدت باستسلام وهي تقول بخفوت شديد :
_يعنى عاوز ايه ؟

رفع حاجبيه من رد فعلها اللفظ قليلاً، لكنه قال بلطف :
_عاوز ايه .. يعنى انا مغنيك، ومسمعك صوتى إالى
محدث عمره سمعه وجاية تقوليلى عاوز ايه ؟
اسبلت جفنيها وهي ترمقه بطرفٍ خفى قبل أن تقول بنبرة
تصنعت بها اللامبالاة :
_اه بالمناسبة ... صوتك حلو .

_شكرا ع المعلومة .. بس تقنياً .. انا كنت عارف أنه حلو من
غير انتى م تقولى .

أجابها بنبرة فظة مرحة وكأنه يرد جفائها فى معاملته بأخر،
فوجدتها ترفع عينيها المرهقتين من البكاء إليه ثم قالت
بضعف :



يا زين .. الموضوع مش هيتحل بأغنية .. ممكن انت او غيرك تشوف الأمر تافه بالنسبالكم، لكن انا مش شايفاه كده .. كلمتك دى بالنسبالى حاجة كبيرة اوى ... على الاقل مرة واحدة .. عشان محسش انى هوينة اوى كده .

بلل شفتيه، صامتاً أمامها للحظة قبل أن يقول بهدوء :
وانا مقولتش ان الموضوع تافه .. لأنه لو كان تافه انا كنت قولتها وارتحنا كلنا، بس الموضوع متعلق بيا انا، باللى انا حاسس بيه والذنب إالى ف رقبتي، ارجوك افهمينى المرة دى كمان، زى مانتي على طول فاهمانى من غيرم اتكلم، وانا اوعدك انى هقولها، مش هفضل طول عمرى صايم عنها !!
لم تملك إلا أن تبتسم له وقتها !!

هكذا هى .. لا تملك معه إلا ابتسامتها حتى لو كان صوت الخلاف بينهما وصل إلى فوق سابع سماء وتحت أعماق الأرض !!



وهذه ميزة تُضاف إلى قائمة مميزاته الطويلة في عينيها !!
يجيد اسعادها حتى لو كانت غاضبة منه !!
بادلها زين الابتسامة بهدوء قبل أن يقف قبالتها ويمد يده
إليها فتشبثت بها وهي تنهض عن الرصيف وتستقل معه
السيارة مجدداً ليقلها إلى بيتها !!

....

قاد السيارة بعينين شاردتين، وابتسامة جانبية تتلاعب
بزاوية شفثيه ! لكنها ابتسامة مذنبة بعض الشئ !!
هي ظنت أن الأغنية انتهت عند هذا الحد !!
لكنها لم تنتهى بعد ... ربما انتهت بالنسبة لما يريد قوله لها
هى، وما بقى ليس لها، بل لأخرى راحلة ... يتمنى لو شعرت
به وهو يهمس داخله بها :

_"بس الأكيد ... لو كنتى أقرب ليا منى.."

او مبينا سنين فراق..

روحك هتفضل طيف ملازم سكتى..

جوايا ساكنة فى وحدتى..

عمرى إالى لسه ... معشتهوش ...!!

.....

عاد زين إالى واقعه ناظراً لسقف الغرفة بابتسامة شاها
بعض الذنب قبل أن يقاطعه صوت رسالة على هاتفه..
نظر لها ليجدها من مصطفى يخبره فيها بأن يستعد، حينها
تبددت الابتسامة وتلونت عيناه بتصميم على إنهاء الأمر
مهما كان الثمن !!

====

ضحكاتها السعيدة العالية كانت صداها يتردد فى أنحاء
البيت بأكمله فيشع نوراً مع ضحكها !!
وأسريقف خلفها يدفع بالأرجوحة التى تجلس فوقها
ضاحكة حتى عنان السماء...
يا بنتى هتفضحيننا، وطى صوتك ده .

قالها أسر ضاحكاً بخفوت وهو يدفع الأرجوحة إلى الأمام،
فأجابته أيضاً بضحكتها العالية وهي تقول :
_ واحدة وبتضحك مع جوزها هوايه ده .
_ واحدة !!

رددها خلفها بتهكم ساخر، ضاحكاً بصوت عالٍ هذه المرة ...
منذ أن عقدا قرانهما فى يوم زفاف فارس ودرة مستغلين
الاحتفال وقتها وهي لا تكف عن إثبات كونها أصبحت امرأة
الآن !!

دبت قدمها فى الأرض فجأة مما أوقف الأرجوحة بشكل
مفاجئ، قبل أن تلتفت له قائلة بحاجب مرتفع :
_ شايفة انه مش عاجبك .

رفع أسرحاجبيه، فardاً كفيه أمامها قائلاً بمزاح :
_ يا حبيبتي خلصى امتحانات الثانوية الأول وبعدين تعالى
قوليلى انك بقيتى واحدة ومتجوزه والجوده مع العلم
أنه مش جواز، ده مجرد كتب كتاب بس .



زمت شفتيها ببعض الحزم، وضيق عينيها ناظرة له عن
كثب !!

على ذكرا امتحانات الثانوية، فقد ذكرها بأن ميعاد رحيله
أقرب كثيراً، خاصة بعدما أوفى بعهدته معها كاملاً، وها هي
على ذمته على سنة الله ورسوله، وقد حمدت ربها ألف مرة
أنها قد أتمت الثامنة عشرة قبل عقد القران ببضعة أيام !!
كتفت مرفقيها فوق ظهر الأرجوحة وهي ترمقه بنظرة سابرة،
ثم قالت بنبرة ممطوطة بعض الشئ :

_ امتحانات الثانوية يعني انت مسافر قريب .

اختفى الهزل عن ملامحه وهو يطالعها بجدية، قبل أن
يسبل جفنيه، يخفى عينيه عنها وهو يقول بهدوء مصطنع :

_ ايوه مسافر بعد أسبوع تحديداً .

بهتت ملامحها وهي ترمقه بنظرات ضائعة، قبل أن تقول
أخيراً بعدم اقتناع :

_ اه عشان تسبني اركز في امتحاناتي .

عض على باطن خده وهو يلح السخريّة في كلماتها، قبل أن يشبك كفيه خلف ظهره، قائلاً بهدوء :

_ايوه يا أروى، انا هسافر اشوف شغلى وإلى ورايا وعلى ميعاد امتحاناتك ما يجى وتخلصى هكون انا نزلتلك عشان نجيب النتيجة سوا .

تلاعبت أصابعها على حافة الأرجوحة لبعض لحظات بملامح غير مقروءة، قبل أن ترفع له وجهها بابتسامة ناعمة وهى تتنهد باستسلام قائلة :

_طيب يا أسر... ربنا ييسر الحال .
بادلها ابتسامتها بأخرى، محدقاً بعمق عينيها العسليتين قبل أن يعقد حاجبيه بشكل مفاجئ وهو يقول :

_اروى ... هو شعرك لسه برتقالى زى ما هو؟
جلجلت ضحكها الكارثية حتى اندفع رأسها للخلف، وكادت تجيبه بردٍ مراوغ، إلا أنه هتف وهو يقترب منها خطوة :
_ايه ده وانا بسأل ليه أصلاً،، شيلى حجابك .



ارتفع حاجباها بدهشة وهى تقول ضاحكة :

_ هو احنا عشان كتبنا الكتاب لازم اشيل الحجاب .

_ مش لازم ... بس انا عاوز اشوف شعرك ومفيش حاجة تمنع .

قالها بإقناعٍ أذهلها من فلسفته الفظيعة، فنظرت له بنظرات ضائقة قليلاً قبل أن تقول بمرح :

_ بعينك يا أسر... يوم الفرح كده علينا و عليك بخير، لما نبقى نحدد معاده .

ضحك أسر وهو يقترب منها بخطٍ وئيدة، قبل أن يجثو على ركبتيه أمام الأرجوحة ثم مد يده وكأنه سينزع حجابها قسراً، فضحكت أروى وهى تبتعد برأسها عنه متمسكة بحجابها، فنظر لها أسر متصنعاً الجدية وقال :

_ شيلي الحجاب يا أروى .



هزت رأسها نفيًا بعينين شقيتين، عابثتين مما استدعى
ابتسامة صغيرة على شفثيه وهمّ بقول شئ ما، قطعه رنين
هاتفه للمرة التي فقدت عدها !!!

فمنذ آخر لقاء بينهما، وكلما تجدد اللقاء بينهما لا يكف
هاتفه عن الرنين بشكلٍ ملح، وكأن الأمر يتعدى كونه عملاً
فقط !!

عقد حاجبيه وهو يخفض صوت هاتفه ثم وضعه في جيبه
دون أن يجيب، وهى التى بدت خرقاء فى نظر نفسها الآن قد
دبت سعادة غريبة داخلها وهى تراه يؤجل الأمر الآخر فى
وجودها !!

على أن شكها لم يزل حاضراً !!
..... عندما انتهى لقاءهما، ووجب عليه الرحيل، ما كاد
يكمل خطواته نحو الباب إلا وقد نادته وهى جالسة مكانها :
_أسر !!



التفت لها متساءلاً بعينيه، لتقول أروى بعينين ضيقتين
مستفسرة :

_مفيش حاجة عاوز تقولهاالى؟؟

ابتسم أسرو وهو يهز كتفيه بخفة أمام عينيها المتفحصتين،
قائلاً بهدوء :

_اديني قدامك اهو... كتاب مفتوح ... لوفى حاجة عاوزاها
فاتأكدى انك عارفها .

بادلته ابتسامته بأخرى شاردة، ثم تركته ليذهب دون إبطاء
مرة أخرى !!! لكنها لم ترتاح، ولن ترتاح طالما دلف الشك
قلبها وأتخذ منه مجلساً، فلن تبرح إلا وقد سبرت اغواره !!
=====

"على عتبة بابها" !!

واقفاً منتظراً، تماماً كما يقف معلقاً فى المنتصف السخيف
على عتبة قلبها، لا يملك العودة ولا التقدم نحوها، فكلاهما
مرهق وكلاهما مهلك حد الألم !!

زفر معاذ بخفوت وهو يستمع بإنصات إلى صوت خطواتها
التي اقتربت من الباب .. إلى أن .. فتحته !!
لحظة .. اثنان ... ثلاثة ... أربعة !!
وبعدها اختل المؤشرو فقد قدرته على العد !!
للحظات طويلة ظلا ينظران لبعضهما دون حراك وكأنهما لا
يصدقان اجتماعهما هذه اللحظة ...!!
هو بملامحه التي اتصفت بكل معاني الاشتياق بعدما خال
له خلال شهرين أنه لن يستطيع مواجهة عينيها أبداً و
هى بملامحها العاتبة، وحاجبيها المنعقدين فوق عيني
غائمتين بآلم، ممتزج بفرحة يتمنى ألا يكون أخطأ تأويلها في
عينيها الدخائيتين !!
ذبذبات تنتقل بينهما عبر البضع خطوات التي تفصل بينهما،
إلا أنها ذبذبات غير مرغوب بها إطلاقاً في موقف كهذا !!
خاصة وهواتٍ لتصحيح ما حدث مسبقاً !



لكن الوقت لم يستمر زيادة عن هذا، فقد انفلتت رنيم فجأة بإدراك متأخر، ودون مقدمات صفقت الباب في وجهه، مغلقة إياه بمنتهى العنف وعدم احترام !!!

انعقدا حاجبا معاذ بشدة والغضب داخله بدأ بالتصاعد، متشعباً بقسوة من فعلتها عديمة الأدب تلك ... لذا مد يده يطرق على الباب بعنف وهو يهتف من خلفه :

_افتحي يا رنيم، بدل م اعلى صوتى والجيران يطلعوا .

_مش فاتحة ... عاوز ايه .

صوتها العنيف الأقرب إلى الصراخ أتاه فجأة، فتوقف مكانه للحظة قبل أن يأخذ شهيق وزفير مهدئاً من أعصابه التى بعثرتها المجنونة تلك، ثم طرق على الباب بهدوء مجدداً وهو يقول بعقلانية :

_افتحي يا رنيم انا جاى اتكلم معاكى بهدوء .

_وانا مش عاوزة اسمع .



لم يرها وهى تغمض عينيها بألم مستندة بكفيها وجهتها على الباب، وذكريات ما حدث بينهما عادت لتشتعل برؤيته، و كأن هيئته كانت قاذح لنار ذكريات اللحظات بينهما والتي لم تنطفئ مهما حاولت تناسى ما حدث !!

ـ رنيم .

همسته باسمها جعلتها تفتح عينيها وهى تقول بنبرة اجبرتها على أن تخرج متزنة، بعيداً عن شعورها المتقد طوال الشهرين الماضيين :

ـ شهرين ... شهرين وانا كل يوم اقول هيجى، اكيد ميقصدهش أنه يعمل كده ويهرب بعدها، كل يوم كنت بكذب نفسى واقول هيجى، معاذ مش كده ... بس انا طلعت رخيصة عندك اوى يا معاذ ... اوى .

ـ ارجوكى متقوليش كده .. انا .. انا غلطان، مش بنكر .. بس ده لانى مقدرتش اواجهك صدقيني ... تقدرى تقولى عليا جبان، بس عمرى م كنت هقدر أبص ف وشك وقتها .

صوته يأتيها خافتاً، مربتاً على أوجاعها لكنها تزم شفيتها
بإصرار قبل أن تتخذ قرارها، وتفتح الباب له !
اجفل معاذ حينما فتحت له لكنه أجبر شفيتها على الابتسام
بخفوت، منتظراً حديثها، وبالفعل هتفت بقوة وهي تجابه
نظراته بأقوى منها :

_اتفضل !

دلفت أمامه بثقة لا يعلم من أين اكتسبتها خلال الفترة التي
تركها فيها، فلحق بها قبل أن يجلس مواجهاً لها في صالة
شقتها، وقد حرصت على أن تجلس على مقعد يبعد عنه
قاربة المتر!

وهذا ما جعل حاجبه يرتفع ببطء شديد مستنكر، لكنه
أجبر ملامحه على الإلتزام في موقف كهذا !
أخيراً تكلمت رنيم بقوة رغم ظهورها جلية في نبرتها إلا أنها لم
تفلح في إخفاء الألم والعتاب كلياً :
_بما انك إالى جيت، فأنت مطالب بتبرير!

فغر شفتيه ينوى قول شئ قطعته بقولها وهى ترفع كفها
لتوقفه :

_ وانا مبطلبش انك تبرر إالى حصل بينا، اللى حصل بينا،
انا معترفة وفاهمة كويس اوى انى غلطانة زى زيك ! بس
حالياً انا بطلب تبريرع إالى عملته بعدها .

وكانت تقصد رحيله بعدها دون علمها وكأنها فتاة ليل !! و
أمامها صمتت شفاهه تماماً، وعجزت الكلمات عن عبر
حلقة !!

هو هكذا حين تتذوق شفتاه العتاب، يحلولة السكوت ولا
غيره !!

لذا ابتسمت ببعض التهكم وهى تنظر لعينييه المحدثتين بها
قبل أن تقول بنبرة خفيضة :

_ ايه، ردع السؤال ... قول انت مشيت وسبتنى ليه، شايف
أن الأمر تافه ومش مستاهل إالى انا بعمله ده كله، انت صح



هو فعلا مش مستاهل ... لان انا إلى عملت كده ف نفسى م
الأول ... انا إلى رخصت نفسى .

استفزته كلماتها حقاً، ففتح فمه وهوينوى امطارها بوابل
من حديثٍ لاذع، امتنع عنه بصعوبة في آخر لحظة مغلقاً
شفتيه مرة أخرى !!

وظلت هى أمامه صلبة الملامح دون تهاون، رغم الإحمرار
الذى يغزو وجنتيها كلما أتت بذكر ما حدث بينهما !!

ما حدث خطأ ... خطأ فادح ارتكبته هى فى حق نفسها حين
ضعفت أمامه رغم أنه زوجها، لكن نفسها لم تقبل بأن
تسلمه نفسها وزواجهما ليس معلناً بشكلٍ كامل بعد .. هى
معترفة بخطئها أمام نفسها وها هى ألقتة على مسامعه ...
إلا أننا هكذا، نحن البشر لا نرتكب الخطأ، بل نقع كالحمقى
وبعدها يحلو العض على أصابع الندم متمنين أن يعود بنا
الزمان للخلف، إلا أن الذى لا نعلمه هو أنه حتى الزمن لو
عاد، فسنعيد ما فعلنا دون إبطاء أو تردد !!!



دوامة هى تدور بها طوال شهرين دون هوادة، ما بين تعنيفها
لنفسها دون رحمة أو شفقة على الذات، وبين انتظار قدومه
فى أى لحظة وهو لا يأتى إلى أن تسلل اليأس إليها متمكناً منها
!!

بللت شفتيها، ناظرة له بصبرٍ ليبتر الحوار الذى لا تدرى
كيف ستديره حتى الآن، رغم أنه فعلياً قد بدأ ! وبالفعل
رفع وجهه المطرق إليها، وكم بدا وقتها مرهقاً، مجهداً، و
ملامحه ذابلة وكأنه لم يذق الراحة منذ أيام ثم قال
بنبرة مرهقة لكنها كانت قاطعة، جادة :
_ انا آسف .

عقدت حاجبها للحظة، لكنه استطرد :
_ اسف انى ضعفت فى لحظة واستغليتك وقت احتياجك
لحد يطمئنك ويهون عليكى إلى كنتى بتمرى بيه ... آسف انى
ماوفتش بوعدى وسبتك طول الفترة دى لوحذك خصوصاً
بعد إلى حصل آسف لكل حاجة وجعتك ... آسف انى

خذلتك ... بس موعديكش انى اسيبك لحظة تانية لوحدك،
مش اسف انى هخلف وعدى إالى ادهولك وقولتلك انى
هديكى الوقت إالى تحتاجيه، لانى هجبرك تحبينى، لومش
بمزاجك هيبقى غصب عنك يا رنيم !!

ظل حاجباها على انعقادهما وانحت عيناها بألم لم
تستطع تمالكه، بينما انطلق لسانها يحكى، معارضاً أوامر
عقلها فى التزام القوة أثناء المواجهة التى دأبت تدرب نفسها
عليها مراراً طوال شهرين :

ومين كان قالك انك كده بتخلف بوعدك، انت فعلا وفيته
من قبل م توعد بيه اصلا ... انت فعلا ادتنى الوقت و
حبيتك، مش هنكر... بس إالى عملته خلانى احس نفسى
رخيصة اوى، عارفة اننا غلطانين بس ...

اختنقت نبرتها بدموعها التى تكبحها بقوة وهى تستأنف
همساً :



_بس كنت مستنية تكون موجود ... تظمني أن كل حاجة
هتبقى كويسة، تظمني أن غلطنا نقدر نصلحه، وخاصة اننا
معملناش حاجة حرام لأنك جوزى على سنة الله ورسوله ...
ايوه انا فاهمة كل ده .. بس كنت مستنية اسمعه منك انت
يا معاذ .

اطرق برأسه مجدداً وهو لا يجد ما يُقال، على الرغم من أنه
ظل طوال طريقه يحضر ما سوف يقوله ... وما أكثره ! لكنه
الآن يشعر بأجديته قد تلاشت فجأة، وحروفه كلها فقيرة
حد العدم !!

أخيراً وبعد طول صمت استغرفته هي في تأمل ملامحه التي
افتقدتها بشدة رغم كل ما كان، استقام واقفاً على قدميه
أمامها فرفعت وجهها تنظر إليه، ليقول معاذ بنبرة جادة :
_مش هقدر اقولك غير آسف يا رنيم وإلى اقدر اعوضك
بيه، اننا هنعمل فرحنا قريب، حلا هتبقى تجيلك تقولك ع

التفاصيل، بس انا مش هتشوفيني تانى من هنا لحد يوم
الفرح .

أنهى كلماته ثم رشقها بنظرة أخيرة وكأنه يحتفظ بملامحها
فى مخيلته قبل أن يستدير على عقبه خارجاً من المكان !!
حينها منحت لنفسها حرية التنفس .. حرية الشعور و
التفكر فى حديثه عن زفافهما الذى أقترب ... حرية الابتسام
أخيراً بعدما صامت عنه طوال شهرين !!

=====

نفث دخان سيجارته بشرمقيت مخفياً خلف ملامحه
المازحة بسماجة، ناظراً لوجه مصطفى المواجه له بشراسة
تارة، وتارة أخرى يرمق نرmin القابعة على الطاولة خلفهم
تداعب طفلتها بمحبة تجلت على مُحياها، وظهرت واضحة
لعينيه هو تحديداً !! هو تحديداً من يعرف قدر اشتياقها
لطفلتها ويعرف بأى شئ كانت لتضحى بمقابل عناق واحد
من طفلتها !! كادت تضحى به هو... كادت تضحى بعلاقتها

معه فى سبيل طفلتها وسيضيع كل تعبته ومخططاته قبل
ذلك سدى ... وهذا ما لم يكن ليسمح به مطلقاً حتى لو
اضطر لاختطاف الطفلة من مصطفى نهائياً على أن تظل
نرمين معه...

لكن !!!!!

قطع تفكيره العميق صوت زين ذو البأس وهو يهدر فجأة
بنبرة منذرة بالشر:

_ اسمع ... انا مش هفضل كل أسبوع اجرى وراك عشان
تعرفنى الحقيقة، صدقنى انا ممكن اطربقها على دماغك
ومش هيهمنى حد .. فاتفضل بكل هدوء وقول الحقيقة،
ابوك فين؟؟ واياك تقول أنه ميت !!

ابتسم هشام بابتسامة جانبية وهو يخفض نظره نحو
سيجارته التى سحقها فى وعاء زجاجى صغير موضوع فوق
الطاولة، قبل أن يرفع رأسه لينظر إلى ملامح مصطفى



الصامت بتجهم، ثم لحازم المتحفز دائماً، ثم إلى ملامح زين
الذى كان يطالعه منتظراً... فقال بضحكة صغيرة مقببة :
_ لا ... مش هقول أنه ميت، ابويا مش ميت .

التمعت عينا زين بظفر سرعان ما تحول لطاقة غضب
هائلة كبحتها بصعوبة وهو يقول بقوة :
_ هوفين ؟

ضحك هشام مرة أخرى وهو يقول رافعاً حاجبيه :
_ دايمًا مستعجل كده يا زين، مش تصبر لما تتأكد الأول اذا
كان ابويا فعلاً إلى عمل كده ولا حد تانى .

عقد زين حاجبيه وهو يتبادل مع حازم النظرات الحائرة
فيما يقول هذا الوغد أمامهم ... ماذا يقصد بكونه أباه لم
يفعل هذا؟؟ إن لم يكن هو.. إذاً لما نطق ذاك الشاب الذى
امسكوه فى البداية باسم "إسماعيل هنداي" وهو الاسم
الذى يلى اسم هشام مباشرة!! مما يعنى أنه والده!!



أعاد زين عينيه المشتعلتين بلهب أخضر يشبه إضرام النار
في حديقة شاحبة الأعشاب، ثم هدر بقوة ونفاذ صبر:
_وضح كلامك .

لعق هشام شفثيه، ثم قال بعملية وهو يرفع أصبعين
متجاورين أمام عينيهم :

_الاول لازم تعرفوا اني ليا أيين مش أب واحد .

الآن كانت كل الملامح مهمة التعبير أمام حديث هشام غير
المنطقي !! لكن أول من أفاق كان حازم الذي ضحك
بسخرية وهو يرمقه باستخفاف قائلاً بإزدراء :

_ربنا يشفيك .. هو الصنف إلی بتضر به عالي اوى
للدرجادى .

رفع هشام حاجبيه ببراءة وهو يطالع حازم قائلاً :

_بجد والله مش بهزر .. انا ليا أيين مش أب واحد .

ضيق زين عينيه وهو ينظر له ويعض على باطن خده
بتفكير، قبل أن يقول بإدراك :



_تقصد أن ابوك إلى اسمه ورا اسمك ف البطاقة ده واحد .. وأبوك الفعلى واحد تانى .

رفع هشام كوب العصير الموضوع أمامه يرتشف منه على مهل، قبل أن يرفعه محيياً وهو يقول بابتسامة لزجة :
_بالظبط كده .. انت كده بدأت تشتغل معايا .

ظل زين على نظراته السابرة وهو يستطرد حديثه :

_وإلى عمل كده فينا كان ابوك بالاسم مش ابوك التانى .. و
عمل كده معايا تحديداً عشان بيتاجر فى الممنوعات إلى
اصلاً ضمن نطاق شغلى وكنت مقرب اكشفه، ولما لاقى
التهديد مش جاب معايا نتيجة قرر يتخلص منى شخصياً
عن طريق واحد يبوظ فرامل عربيتى وتبقى حادثة قضاء و
قدر .. بس إلى هو معملهوش حساب أنى انجى من الحادثة و
مراتى هى إلى تموت .

اوماً هشام مرة أخرى مصداقاً على حديثه .. فقال زين بقوة :

يبقى مهمكش ف حاجة، عشان كده بقى انا عاوز اعرف
هو فين ... ومن غير مماطلة .

هز هشام كتفيه وهو يقول بنفس الابتسامة الباردة :

يبقى يؤسفنى اقولك أنك مش هتعرف توصل لأى حقيقة
مطلقاً ... لأن ابويا إالى انت عاوزه وعمل فيك كده وكان
سبب أن مراتك تموت وانت مش هترتاح غير لما تاخود حقك
و حق مراتك منه .

صمت مجدداً بعدما عدّ مساوى الأمور كلها أمام عيني زين
الذى كان يتحرق على الجمر منتظراً حديث هشام والذى
جاء كدلو الماء البارد حين تسكبه على شعلة نار فتحيلها
رماداً كئيباً تذوره الرياح :

يؤسفنى اقولك ان ابويا إالى بتدور عليه انتقل إلى رحمة
الله تعالى قبل م انزل مصر، وده كان السبب إالى نزلت
عشانه ... ابويا الحقيقى إالى ملهوش فى الحكاية اصلا
وحشنى فنزلتله .



الفصل الثالث والعشرون

====

"حقها قد ضاع"

هذا ما هو موقناً منه منذ أسبوع وهو ما كثأ في غرفته الذى لم يغادرها من يومها !!

حق ذكرى ضاع بعد كل تلك المحاولات المستميتة وسعيه بإصرار خلف الجانى منذ أشهر طويلة !!

ويأتيه بالأخير خبر وفاته دون أن يقتص منه لما فعل .. دون أن يقتص لذكرى !!!

عند هذه النقطة اظلمت عيناه وهو يتذكر يوم أخبره هشام بوفاة والده قبل مجيئه إلى البلد، كيف قال كلمة واحدة هادئة وهو يستقيم مغادراً دون أى ثورة توقعها هشام :

_ انت كذاب وانا هعرف ازاي اجيب الحقيقة بطريقتي، بس خليك فاكرانى حطيتك فى دماغى .

روائع الروايات الرومانسية



لم يكن موقناً مما يقوله يومها، بكل صدق لم يكن موقناً
مما يقول .. هو فقط رفض التسليم للأمر بهذه البساطة،
رفض تسليم أن حق ذكرى قد ضاع ... رغم أن كل الظروف
المحيطة تنبئه بوضوح بأن مسعاه قد خاب !!

لم يبدو على هشام أنه يكذب حينها، وبعرض البحث
الجدى طوال الأسبوع الفائت من داخل غرفته تأكد من أن
اسم إسماعيل هنداوى قد أصبح فى تعداد الموتى فعلياً !!!

لكن ماذا عساه يفعل .. ماذا يصدق ؟؟

يصدق أن حق ذكرى قد ضاع بكل هذه البساطة .. يسلم
بالأمر الواقع ويدعي عدم ملكه لشيء يفعله !!

لا هو قادر على فعل أشياء كثيرة ولن يتوقف عند هذه
النقطة !!

رغم أن فعلاً النهاية قد سُطرت بموت الرجل !!



ذكرى ماتت فداءً له .. ماتت بدلاً منه بينما كان هو المقصود، وحين قرر القصاص لحق بها من أذاها لتجتمع الخصوم عند الله !! ... نقطة آخر السطر.

قصة قصيرة بأئسة ... بل ساخرة حد الألم !!!

لا يعلم حقيقة ما يتوجب عليه فعله .. إلا أنه لم يستطع الخروج من غرفته من يومها ... حتى فريدة التي يكاد هاتفه يتوسلها أن تقطع رنينها المتواصل الذي اجهدته ومع ذلك لا يجيب على أى من اتصالاتها حالياً !!

رغم حاجته الماسة لأن يفعل .. رغم يقينه أنه لن يجد الراحة إلا حين يسمع صوتها، ويرى عينيها حبيبتيه أمامه ... إلا أنه لهذا بالتحديد لم يفعل !!

وكأنه بهذا يعاقب نفسه !!

على ماذا يعاقب نفسه ؟؟ على ذنبٍ لم يرتكبه، لكنه بالتأكيد كان سبباً .. سبباً في ضياع الحياة من ذكرى، بينما هو هنا يحيا، يحب، بل ومقبل على الزواج أيضاً !!



ضحكة ساخرة عبرت شففيه بعد طول صمت، وهو يرجع رأسه إلى الخلف مستنداً بها إلى ظهر الأريكة المرتقى فوقها بإهمال، ينفث دخان سيجارته عالياً في الهواء، فتتعالى الدوائر الدخانية أمام عينيه قبل أن تتلاشى كما تلاشى حقها من أرض الواقع تماماً !!!

عبث... كل ما يحدث ما هو إلا عبث !! وعبثاً يحاول هو إخراج نفسه من تلك الدوامة التي تبتلعه في طيات ظلامها دون هوادة !!!!

دقات رتيبة هادئة على باب غرفته اجفلته للحظة قبل أن يعود إلى وضعيته هاتفاً بصوتٍ فاتر:
_ ادخل .

سمع صوت الباب يُفتح ويطل منه آخر وجه تمنى أن يراه !!
رفع زين حاجبيه بدهشة وهو يطالع فريدة التي تقف على باب غرفته بتوتر ملحوظ، تفرك أصابعها ببعضها ببعض



العنف ونظراتها تتوزع بسرعة على غرفته، تراقب كل إنشٍ
بها وتسجله في عقلها بسرعة قياسية !!

لا ليس آخر وجه تمنى أن يراه تماماً ... هو فقط لم يتوقعه،
لذا لن يكذب ويقول لم يتمناه !

ابتسامة صغيرة شقت شفثيه وهو يتطلع لها بعينين
غائرتين، ابتسامة حقيقة ... بعدما توقفت شفثاه عن
الابتسام منذ حينها .. لكن صوتها الذى جاء متوتراً جعلها
تهت قليلاً وهى تقول :

_ممكن تيجى .. نتلكم تحت شوية، مش هينفع نتكلم هنا .
لم يجيبها وهى لم تكن تلتظر رداً بل خرجت مسرعة، حينها
همس زين بصوتٍ باهت :

_فريدة .

لكن الباب كان قد انغلق وقضى الأمر!

=====



نزل إليها بعد فترة فوجدها جالسة مع والدته فى ردهة البيت، وقد سمع صوت أمه تقول بلهفة :

_ربنا يهدى زين بقى، ويعجل معاد الفرح شوية ... تيجى تملى عليا البيت بدل ماهو فاضى عليا بعد منة و حلام مشوا .
عقد زين حاجبيه قليلاً دون أن ينتهوا له بعد .. ولأول مرة يذهب تفكيره فى هذا الإتجاه !

هو كان أنانياً الفترة الماضية لا ينكر.... أمه كانت وحيدة بعد رحيل ابنتها لكنه لم يكن يتطلع لهذا مطلقاً ولم يعيره ذرة من اهتمام، بل كان جُلَّ اهتمامه منصباً على هشام وكيف يمكنه معرفة الحقيقة منه، الحقيقة التى يتمنى لو كان ما عرفها !

تهد بضيق وهو يكمل طريقه نحوهما وجلس جوار أمه،
مقابلاً لفريدة التى نظرت له بعتاب ... حينها قالت أمه وهى تنهض مفسحة لهم المجال :
_هقوم اعملكم حاجة تشربوها .



راقبها زين إلى أن انصرفت .. ثم أعاد عينين غير متهاونتين إلى
فريدة، قبل أن يقول بصلافة :
_أحمد يعرف أنك هنا .

ارتبكت للحظة مما أنبئه بالإجابة بوضوح، لكنه انتظر حتى
هزت رأسها نفيًا ببطء، حينها ابتسم زين ساخرًا، غير متهاونًا
وهو يستند إلى ظهر الأريكة قبل أن يقول وكأنه يحدث نفسه
:

_وطبعاً ميعرفش أنك طلعتي لحد اوضتي فوق .
احتدت فريدة فجأة وهي تقول مهاجمة :

_انت مسبتليش حل تانى ... حد قالك اقفل على نفسك
بقالك أسبوع ومتردش على اتصالاتي وانا معرفش عنك أى
حاجة .. ايوه جيت على هنا قبل م اروح شغلى ... وأحمد
ميعرفش .

رفع حاجباً واحداً باستياء وهو يقول بنبرة فاترة :
_يعنى عارفة انك غلطانة !

زمت شفتيها بارتباك أمام عدم تساهله معها، وقد غزا
بعض التورد وجنتيها، فأخفضت وجهها دون أن ترد ...
حينها قال زين بهدوء وهو يطالعها بنظرات جاهد كثيراً حتى
يخفى انفعالاتها :

_ انا كويس يا فريدة ... واديكي اطمنتي ... قومي روجي شغلك
وانا مش هجيب سيرة لأحمد انك جيتي لحد هنا من وراه،
بس ياريت متكررش تانى .

رفعت وجهها له بسرعة وقد التمعتا عيناها انفعالاً، لكنها
التزمت الحيادية وهي تقول :

_ انا كده كده كنت ماشية، حببت اطمن عليك ... واعرف
انت قافل على نفسك كل ده ليه .

امعنت النظر به هذه المرة، وقد لاحظت لتوها كم هو مجهد
وملامحه مرهقة، عينيه غائرتين تحوطهما هالات زرقاء،
ذقنه غير حليقة على غير عادته، حتى ثيابه البيتية التي
يرتديها غير مهندمة بالمرة ...

فغرت شفيتها للحظة قبل أن يخرج من بينهما نفساً
مرتجفاً، بينما تهمس باسمه :

ـ زين !

بادلها الابتسام بخفوتٍ فاتر وهو يقول :

ـ عرفت أن الراجل إلى كان ورا موت ذكرى مات .. قبل م
اوصله .

نظرت له لوهلة بعدم فهم، لكن سرعان ما ارتسمت
علامات الإرتياح على عينيها وقد قرأها هو بوضوح، فقال
بابتسامة لم تصل لعينيها، دون أى قدر من المرح :

ـ ايه .. شايفك راضية عن الموضوع .

ارتبكت فريدة وهى تشيح بعينيها عنه قائلة :

ـ وانا مالى .. انا عمرى م اتدخلت فى شغلك، ولا جيببت سيرة
إلى حصل مع خطيب.... مراتك الاولانية .

كان يعلم أن الكلمة تؤلمها، وهى تعمدت جلد ذاتها بها، لكنه
قال بخفوت :

_ انتى عارفة كويس انها مكنتش مراتى .. ده كان كتب كتاب .
هزت كتفها وهى تقول بنبرة اشم رائحة احتراقها بالغيرة
بوضوح :

_ بس اتكتبت على اسمك، والفرح كان بعدها بكام يوم .. و
انت اعتبرتها مراتك ... تبقى كانت مراتك .
لكن زين قاطعها على نحو مفاجئ :

_ انتى عمرك شوفتى ذكرى ؟
نظرت له مجفلة من سؤاله لكنها قالت بخفوت :
_ وانا كنت هشوفها منين .

_ ولا حتى صورة ؟
أيضاً هزت رأسها نفيماً وهى تتطلع له بغرابة، لكنها شهقت
وهى تراه يستقيم فجأة ممسكاً بيدها يجرها خلفه، صاعداً
السلم نحو غرفته !!

وقد بدا كمن أصيب بصمم مفاجئ غير عابئاً بندائها
المتوسل خلفه ألا يفعل، وقد خرجت أمه من المطبخ على



صوتهما فشبهت وهى تراه كمن عمى عن كل شئ إلا طاقة
الغضب الهادرة داخله وقد قرر أن يهديها إلى فريدة ...
بأقصى طريقة !!

كان زين قد صعد إلى غرفته يجرف فريدة من معصمها خلفه،
وأمه خلفه تهتف به دون جدوى ...

توقف بها أخيراً أمام صورة ذكرى الضاحكة على الطاولة
بجوار سريره، جعلها تواجه الصورة مرغمة وهو خلفها
ممسكاً بكتفها، وأصابعه تحفر بها بشدة مؤلمة وكأنها
ستهرب ... قبل أن يهتف بها بنبرة مقهورة، بها من الألم ما
جعلها تغمض عينيه مستسلمة :

ـ شيفاها ... هى دى ذكرى ... شوفها كويس، شوفى إذا كانت
دى تستحق الموت بدالى ولا لا، بصيلها وقوليلى تستحق
فعلا ولا لا ... اه هى كانت مراتي، وانا معرفتش اجبلها حقها
بعد م ضاعت حياتها بدالى وانا هنا عايش وبحب وهتجوز
كمان !!



صمت لبرهة لاهثاً بعنف، فلفحت أنفاسه الحارة جانب
وجهها، لتغمض عينيها أكثر معتصرة جفنيها بقوة... تلعن
ذاك الغباء داخلها الذي حثها اليوم صباحاً على الاطمئنان
عليه !! لم تكن تعلم أن كل هذا الألم ينتظرها، لم تكن تعلم
!!

لو فقط عرفت أن اعترافه بحبها سيأتيها بعد طول صبرٍ بهذا
الشكل المخزى لما أتت أبداً !!

لو كانت تعلم أي ألم يعاينيه في هذه اللحظة .. لم أتت أبداً !!
فقط لو كانت تعلم ...!!

هدر صوته مجدداً، بغضب أكثر من الأول، بإهانة أكثر من
الأولى :

_شوفي كويس مين إلى انتى هتاخدى مكانها، شوفي كويس
ذكرى كانت ايه، عشان تبقى تغيرى منها بحق !!



عند هذه النقطة استدارت فريدة لتواجه عينيه المشوشتين وكأنه لا يعي ما يفعل، ثم صرخت به بقوة ضاربة صدره بقبضتها :

_حرام عليك .. حرام عليك كل إلى بتقوله وبتعمله فيا، عملتك ايه لكل ده .

صمت فجأة كما بدأ انهياره فجأة وهو يتطلع لوجهها المحمر من البكاء، وعينها المنطفئتين لأول مرة منذ عرفها !!

فغر شفتيه بدهشة وهو لا يستوعب بعد انهياره فجأة هكذا في وجهها !!... لكن فريدة لم تمهله وهي تعدو خارجة من الغرفة بل ومن البيت بأكمله .. بينما أمه راقبت رحيلها بعينين دامعتين وهي تتمتم ببضع كلمات لم يفهم زين منها شيئاً، سوى عندما هتفت بقله حيلة وهي تتطلع للامحه بعينها الدامعتين :

_ليه بس كده يا ابني .. ليه كده يا زين .. لا حول ولا قوة الا بالله .



ومن ثم خرجت هى الأخرى مغلقة الباب خلفها حينها
اجفلت عيناه لأول مرة وهويطالع الباب بعينين شاردتين
غير مستوعبتين لكل الذى فعله، ثم همس باسمها بنفسٍ
مرتجف :

_فريدة !!

لكن وكما السابق !! كان الباب قد انغلق وقضى الأمر !!!

=====

أغلقت الباب بعد رحيل إخوانها تستند إليه بظهرها وهى
تتنفس بعمق محاولة تهدئة الأنفعال الذى تمر به ولا تقدر
على البوح به أبداً !!

تشعر بأن كل شعور مهما كان صغير يظل سجيناً داخل
صدرها دون أن تجد القدرة على الصراخ به عالياً يزيد من
ضيقها وشعورها بالقهر.. لكنها تتغلب عليه بمهارة تحسد
عليها !!



صحيح أنها بعدما حدث معها ضعفت كثيراً وفترت عزيمتها، لكنها كانت قوية جداً في اجتياز محنتها، كثيراً من الفتيات ممن تعرضن لما تعرضت هي له ساءت حالتهم بشدة بعدها ... لكن هي لم تكن لتسمح للضعف بأن يتسلل إليها أكثر من هذا .. فهي درة ... وستبقى درة بكل قوتها !!

اليوم أخبرها أدهم بنيته في الزواج وسط الحديث بينهما .. وقتها شعرت بأنها تريد الصراخ عالياً تود أن تبارك لأخيها، تفرح له بعدما لاقاه في ماضيه الأسود مع زوجته الأولى والذي تحمد الله أنه نساه تماماً .. لكنها لم تستطع أن تنبس بأى مما اشتعل داخلها من كلمات !!

وأسر .. أسر عقد قرانه على أروى يوم زفافها هي ورغم ذلك لم تستطع مشاركتة فرحته، فضيقها من عدم قدرتها على البوح كان أكبر من أن تحاول وهي تعلم أنها دون جدوى !!
_هتفضلى واقفة عندك كده كتير.



صوت فارس أخرجها من شرودها العميق، ففتحت عينيها ناظرة له دون رد بطبيعة الحال، لكنه اقترب منها أكثر وهو يقول بابتسامة :

_خواتك مشيوا وانتي لسه واقفة مكانك كده ليه .

ما إن اقترب منها حتى شعرت بنفورٍ تلقائي وقبضة جليدية تعتصر قلبها خوفاً، لكنها لم تسمح لنفسها بالتهاولى، بل تحكمت فى تنفسها اللاهث ورسمت على وجهها إحدى أجمل ابتسامتها وهى تمثل أمامه مذكرة نفسها أن هذا فارس .. ليس أى مما كانوا فى الحادثة .. هذا فارس .. و أصابع يدها ليست كبعضها البعض !!..

انهر حقيقة بهذه الابتسامة التى يراها نادراً على شفيتها .. لكنه لم يكذب يعقب إلا وقد وجدها تتجاوزه نحو المذكرة التى تكتب بها على الطاولة الصغيرة بجوار الأريكة التى جلست فوقها وهى تشير إليه أن يأتيا .. فاتسعت ابتسامته وهو يقترب حتى جلس جوارها منتظراً، لتبدأ هى فى الكتابة

بسرعة وانفعال إلى أن انتهت فأدارت المذكرة له ليقراً ما
سطرته عليها :

_انا فرحانة اوى لادهم بس معرفتش أتكلم معاه ولا اقوله
حاجة ... بحس انى مدايقة جدا من كده بس .. بس لما
بشوفهم فرحانين ... بحاول مابينش كده عشانهم .

بهتت ابتسامته قليلاً وهو يرفع عينيه عن المذكرة إلى عينيها
المبتسمتين فرقت عيناه لها وهو يقول بخفوت :

_هو فاهم كويس انتى فيكى ايه، واكيد مقدر... بس احنا
مدام الوضع ده ممكن يطول .. ممكن نستشير دكتور .

هزت رأسها نفيّاً ببطء وهى تخفض وجهها لتكتب :

_معتقدش أن الوضع محتاج دكتور .

رفع عينيه عن الكلمات ثم قال بجدية :

_بس يا درة انا شايف أنك تجاوزتى الصدمة من فترة، بس

برضولسه مش قادرة تتكلمى .. اظن كده لازم استشارة

دكتور .. ولا انتى بقى عاجبك الحال إلى انتى فيه ده .



زمت درة شفيتها وهى تهز رأسها نفيأ ببطء، فابتسم فارس
قبل أن يرفع يده بحركة مترددة ليربت بها على جانب وجهها
برفق قبل أن يقول بخفوت :

_هاخذك معايا بكرة المستشفى ونبقى نشوف الموضوع ده .
اومأت إيجاباً، لكن ما أثار دهشته كان شعوره بارتجافها
تحت يده ورغم ذلك لم تحاول إبعاد وجهها عن مرمى يده ..
وكأنها تحارب شعوراً قاتماً بداخلها، وكم بدا الصراع
واضحاً فى عينيها .. لكن ما أسره كان رؤية انتصارها على
صراعها كاملاً منية إياه بابتسامة كلفتها الكثير لرسمها على
شفيتها كأغلى لوحة من الممكن أن يعثر عليها !!

=====

احكم غلق الرباط الطبى حول كفه المجروح بعمق وهو
يلعن ألف مرة بصوت هامس من تسبب له فى هذه القطبات
الصغيرة !!

بينما صوت بكاء ماسة تعالى من الخارج .. أسرع مصطفى
فى الخروج إليها ليحملها من فوق الفراش بذراعه ذو الكف
السليمة وظل يهددها برفق حتى هدأت تماماً !!

نظر مصطفى لمامحها المحببة طويلاً وهو يتذكر ذات مرة
تخلى الجميع عن ماسة فيها وكانت يارا بجواره وجوار ابنته
وقتها افتقدها !! افتقدها فعلاً بعد كل هذه الأيام التى
مرت دون يراها ... لكن !!!

لكن نرمين !! نرمين عادت من الموت، نرمين التى طالبت
اليالى شوقاً لها ومع ذلك لا يصدق كيف عادت بهذا الشكل
وبهذه الطباع الجديدة التى تجعلها لا تمت لحبيبته؛ أم
طفلته بصلة !!

هل له أن يحب اثنتيهم؟؟ هل له أن يشتاقيهن فى ذات
الوقت؟؟!!

يارا تلح عليه رؤيتها منذ فترة بعدما ظل كل هذه الفترة بعيداً
عنها، أما نرمين فالحماس الذى يملئه لمجرد فكرة أنه

سيراها اليوم .. يخيفه بشدة ..! يخيفه أن يقع بين ضفتين
كلّ منهن تمثل واحدة ومن ثم يطبقن عليه فلا له بعدها إلا
الغرق !!

انتبه مصطفى إلى الوقت وهوى بآن وقت لقاء نرmin قد
حان ... لا ليس يوم ماسة، بل لقاء خاص بينهما بأمر من زين
!!

زين الذى يرفض أن يصدق حتى هذا الآن أن حق حبيبته قد
ضاع هباءً ... أمره أن يطلبها فى مقابلة وحدهما ليحاول
استدراجها لعلها تفضى له بأى معلومة ولو كانت صغيرة !!
فهو إلى الآن لم يثق بهشام تمام الثقة وضميره يثقله...
يخشى أن يتهاون ولا يجد فى البحث عن أى شئ يوصله لأى
حقائق أخرى من الممكن أن تساعد فى الأمر!!

زفر مصطفى بخفوت وهو يتوجه لينهى ارتداء ملابسه ومن
ثم مر على سمية ليسلمها الطفلة لحين عودته، فأخذتها
منه مبتسمة بفرح مما طمئنه قليلاً، ليخرج بعدها، يقود

سيارته فى طريقه نحو المكان المنشود ولم ينس أن يرسل لها رسالة مؤكداً على وجوده وانتظاره لها !!

=====

أما على الجانب الآخر...

فقد استرعى انتباهها صوت وصول رسالة على هاتفها الموضوع على حافة المسبح الضخم الذى كانت تسبح فيه ببطء ... تتنعم بتلك الحياة وتلك الرفاهية التى لم تمتلكها حتى مع مصطفى، على الرغم من ثرائه الذى لا تنكره، لكن هنا الحياة تختلف !!

هنا لا يوجد أى معوقات، الحياة تفتح ذراعيها أمامها بكل مباهاجتها غير عابئة بقيود أو شروط أو التزام أخلاقي حتى ... وهى لم تكن لترفض شيئاً كهذا رغم امتناعها عنه فى البداية !!

لكن من قال أن الإنسان بنفسه شديدة الضعف قادر على الصمود متحلياً بالأخلاق والمبادئ التافهة أمام كل هذه

المغريات .. من قال أن الإنسان قادرٌ على تحدى غواية الحياة له حين تقرر أن تعطيه من النعم ومن كل ما يشتهيهِ وما كان يفض الطرف عنه !!

كل بنى آدم مثله، معه الحياة فى الجنة وأمامه شجرة محرمة، أزلهم الشيطان عنها فأخرجهم مما كانوا فيه !!
توقفت عن السباحة بجوارها تفها، فاستندت بمرفقيها على حافته وهى تمد يدها ملتقطة هاتفها، لتجد الرسالة من مصطفى .. مصطفى !!!

ذاك القريب البعيد ... ذاك الذى تشعر معه أنهما يقفان على حافتي منحدر، تفصل بينهما فجوة سحيقة، قريبان حد تلاقي الأعين وبعيدان بعد المشرق والمغرب !!
لا تزال تتذكر حياتها معه، لا تزال تتذكر حبه .. حبه الذى رغم ما حدث ما برح قلبها قط !

نعم هى كانت تحبه وما زالت، إلا أن الوضع الآن تغير!! فهى الآن تدفن هذا الحب فى أعماق أعماقها، فى ركن سحيق،

مهمل جداً فى قلبها ولا تسمح له بالطفو وتعكير الصفو
المزعوم كذباً فى هذه العلاقة الجدلية بينها وبين هشام !!
علاقة جدلية .. بل هى مأساة .. مهزلة !!!
استدارت نرمين، مسندة ظهرها إلى حافة المسبح شاردة فى
السماء الواسعة فوقها والتي أخذتها إلى ذكريات رغم قربها
إلا أنها تشعر بها بعيدة، بعدها الآن عن شخصها القديمة !!

كان يوماً صعباً .. شاقاً جداً على قلبها قبل جسدها !!
يومها اكتشفت خيانة مصطفى لها، دلفت إلى مكتبه لتجده
وامرأة لا تعرفها فى وضعٍ كانت نفسها قديماً تعف عن
وصفه، يومها لم تستطع تحمل صدمتها وما زاد الأمر سوءاً
هو أن موعد ولادتها قد حان فى نفس اللحظة !!

ذكريات مشوشة بعدها لا تكاد تذكر منها شيئاً .. انتهت
بتخديرها قبل أن تدخل غرفة العمليات لإجراء ولادة

قيصرية .. لم تعلم وقتها ماذا حدث ولا كيف استيقظت
فجأة لتجد نفسها في مكانٍ آمن ، سرير صغير بالكاد يكفيها في
مكان نظيف ومرتب !!

يومها فتحت عينيها وهي لا تعي شيئاً، تنتظر أحداً أن يحط
ابنتها بين يديها في أى لحظة، تنتظر رؤية مصطفى على
الرغم مما ألم بقلبها منه ... لكن لا شئ يحدث ولا أحد
يظهر، وفجأة وجدت باباً يفتح وتطل منه فتاة بزي ممرضة
مبتسمة الملامح وهي تقول لها بود :
_حمد الله على سلامتك .

عقدت نرمين حاجبها بعدم فهم وهي تهمس بصوتٍ
مضطرب، وذهنٍ مشوش من تأثير المخدر:
_انا... انا فين ؟ فين بنتي ؟

ظهر التأثر على ملامح الفتاة للحظة قبل أن تزعم شفيتها وهي
تقول لها بتعاطف :

_ربنا يعوض عليكى ... صعبان عليا انى اعمل فيكى كده بس
حكم القوى .

لم تستطع فهم حديث الفتاة بشكلٍ سوى والنحاس يعاود
فرض خيوطه العنكبوتية حول عقلها، فيغيها لكنها تقاوم
انغلاق جفنيها، وفجأة أتاها صوت تألفه وهيئة تعرفها، ما
كانت سوى لهشام الذى وقف أمامها مبتسماً وفى عينيه
نظرة ظفر مريضة، حينها لم تستطع تمالك أن تهمس
بخفوت وتلعثم :

_استاذ هشام ... مصطفى، فين مصطفى .
شعرت يومها بهشام الذى جلس مجاوراً لها، بل ملاصقاً لها
وهو يقول بنبرة غير مقروءة :

_معدش فيه مصطفى خلاص، بقينا احنا وبس .
اضطربت بشدة وهى تتلوى لتبعد نفسها عنه، لكن سرعان
ما ألمها جرح الولادة الحديث فتأوهت بصعوبة، لكنها
سرعان ما شعرت بذراعيه يضمانيها نحوه وصوته يهمس

بخفوت بأن كل شئ سيكون على ما يرام !! ولم تستطع
بعدها تبين شئ من الذى قال بعدما غاب عنها وعيها للأمد لم
تحسبه !!

لثانى مرة أفاقت..... لكن هذه المرة وجدت نفسها فى غرفة
واسعة جميلة، محاطة بالنوافذ الزجاجية من كل جانب
مما جعل الضوء يغشى عينيها، رفعت يدها لتظلل عينيها
قليلاً متأوّهة، تتساءل أين هى ؟ وماذا سيحل بها ؟؟
لكن تساؤلاتها لم تدم طويلاً وهشام يدخل الغرفة عليها
للمرة الثانية، لكن هذه المرة كانت واعية له تماماً فهتفت به
بصرامة :

_ انت جايبنى فين، وفيين بنتى وفيين مصطفى؟ وازاى تسمح
لنفسك أنك تدخل عليا بالشكل ده.

يومها ضحك هشام ضحكة مقبلة وهو يقيمها من أعلى
رأسها الذى كان خالياً من حجابها وشعرها المسترسل على

كتفها وظهرها، وحتى أخص قدميها الممددتين على
الفراش !!

نظراته كانت غريبة لم تعتدها منه خلال الزيارات القصيرة
التي كان يأتي فيها لبيتها هي ومصطفى، وهذا جعل هلعها
يتزايد وهي تصرخ به :

_رد عليا انا فين وفين بنتي .

_انتى ف امان !!

كلماته جاءت هادئة بشدة مما أثار حفيظتها لكن ما تلى كان
ضربة قاصمة لها :

_انتى معايا ف امان وده المهم، إنما بنتك فأسف انى مش
هقدراجيالك أو على الأقل دلوقتى .. ويؤسفنى انى اقولك
اسهلك انك تنسيها؛ خاصة أنك لسه مشوفتيهاش !!

فغرت شفتيها غير مصدقة لكل هذا الجنون الذى يحدث ..
ربما، ربما مازالت فى ولادتها تحت تأثير المخدروما كل هذا إلا
تهيئات تجتاحها وستنتهى !!

نعم نعم هذا كابوس وستفيق منه !

رفعت كفها نحو جبهتها تضغطها فى محاولة واهية
للاستيعاب وتحمل الألم الذى يلم بجسدها الآن ... لكنها لم
تجد الفرصة، حيث وجدت هشام جالساً بقربها، وهو يزيح
يدها عن جبهتها برفق، حينها انتفضت مبتعدة عنه رغم
الألم وهى تهتف بهلع :

_ ابعد عني، أنت بتعمل ايه؟ اتقى ربنا فى عرض وشرف
صاحبك يا أخى .

لكن ضحكته التى كانت أشد سواداً وقتها الجمتها، هذا إن
كان لنبرة صوت لونا، ثم قال بهدوء متملقاً بينما عينيه
تجريان عليها ببطء ودون خجل :

_ نرمين .. حبيبتي صاحبي دلوقتي زمانه بياخود عزاكى !!
افلت نفساً مرتجفاً من بين شفيتها وهى تهمس بصوتٍ واهٍ :
_ عزايا!!! انت بتقول ايه .

ارتفع حاجباه بتأكيد مردداً بثقة دون أى قدر من التأثر:



اه والله !! هو حالياً عنده فكرة أنك اتوفيتي وانتى بتولدى،
وشايل ذنب أنك موتى وانتى فاكراه بيخونك انما
الحقيقة أن الجثة إالى هما دفنوها دى كانت حالة وفاة
تانية فى المستشفى، وطبعاً ببعض الفلوس إالى وزعتها هنا و
هنا وصراحة مش خسارة فيكى، منعوا أى حد من أنه
يشوف الجثة فى الغُسل، حتى والدتك مشافتش غير الكفن
وإلى مفكره بنتها فيه وبس !!! بالنسب بالهم حالياً انتى فى
عداد الموتى ... و حالياً انتى فى بلد بعيدة عنهم ملايين الأميال
.

شلتها الصدمة لدقائق طويلة، كانت فيها غير قادرة على
النطق، وقد توقفت تروس عقلها عن العمل تماماً دون ذرة
استيعاب واحدة لما قال !!

لكن مهما طال الوقت، كانت الصدمة ستزول وهذا ما
حدث !!

يومها ثارت وصرخت غير آبهة بالألم الشديد ...



بكت ... بكت كثيراً حتى نضبت دموعها وجفت منابعمها،
صرخت حتى كاد حلقها يتشقق كأرضٍ جافة تمنعت عن
الطعام والشراب لأيامٍ طالت حتى وجدت نفسها ذات يوم
ملقاة على أرضية الغرفة فاقدة لوعيها أوروبما كادت تفقد
روحها وقتها !! إلا أن تدخل هشام السريع انقذها !!

في الواقع كان قد مر أسبوعان على وجودها هناك، تحتجز
نفسها داخل الغرفة صائمة عن كل شئ في الحياة منتظرة
أن يحين أجلها في أى لحظة، عوضاً عن كل هذه البشاعة
التي تحياها على يد هشام الذي لم يفارق غرفتها رغم
رفضها ونفورها منه !!

كان يجلس صامتاً يراقبها ويراقب تعاقب المشاعر على
ملامحها وكأنه يجد لذته في انتزاع حياتها القديمة منها !
نعم كان يحاول انتزاع حياتها القديمة منها كما ينتزعون
السم من أوردة المدمنين، ظناً منه أنها ستعاني من بضعة
أعراض انسحاب ويتم الأمر على خير!



كانت كزرعة انتشلها من أرضها الخصبة مقتلعاً جذورها
بضراوة، ثم قرر زراعتها في أرض بور منتظراً إياها أن تثمر!!
لكن مالا تعلمه أو كانت تعلمه وتخشى الإيمان به أنها كانت
كالصبار.... صلبة، قاسية، قادرة على تحدى الظروف
الصعبة في سبيل حصولها على الحياة!!

كانت تخشى الإيمان أنها تأبى أن تفارق الحياة رغم كل الألم
الذى تعيشه، تخشى أن تصدق أنها رغم بعدها عن طفلتها و
زوجها مستعدة للتحمل فقط كي تحيا!!!.... لم تكن تعلم
مطلقاً أنها متشبثة بالحياة لتلك الدرجة إلا عندما وجدت
نفسها معرضة للموت فى ظل الظروف التى تعيشها مع
هشام فى تلك البلد الغريبة بعدما رفضت كل محاولاته
للتودد لها، بينما هى فى الواقع يمكنها أن تحيل كل هذا
العذاب لنعيم فى لحظة واحدة، وبإشارة واحدة من إصبعها
إن أرادت!!



لذا لم تفكر كثيراً وهى تتشبث فى الحياة التى تمثلت أيامها فى هشام لا غيره !!

لم تفعل شيئاً سوى الاستسلام له، سلمت له كل مقاليد أمورها واستسلمت لتلك الحياة المرفهة المغالية التى تعيشها معه !

ناسية أو متناسية أن هناك طفلة وزوج كادت حياتهما أن تهلك حزناً عليها لكنها أقنعت نفسها أن لا حيلة بيدها لتفعل شيئاً وأماتت ضميرها على هذا !!

.....

لكن بدا أن ضميرها لم يمت كلياً، وأحياناً كانت الأم داخلها تنتصر على تلك المرأة التى استسلمت لمباهج الحياة فتجعلها غير قادرة على الصمت على رؤية ابنتها أكثر فكانت تتبعها من حين لآخر خفية أن يكتشفها هشام، كانت تصل لأخبارها بحيلة أو بأخرى ومن بعض الصور لها مع والدها على موقع التواصل كانت تراها كيف تكبر يوماً بعد آخر،

طفلتها شبيهة أبيها تكبر بعيدة عن أحضانها ... ومع ذكر أبيها كانت خواطرها تنقلها لمنحنى آخر، هي لم تنفصل عن مصطفى فعلياً، بل هو ظنها ماتت وعقد الزواج الذي كان بينهما قد إنتهى قانونياً بهذا الظن وبعد استخراج شهادة وفاة لها !!

حقيقة هي لم تكن تعلم إذا كان زواجها من مصطفى هكذا شرعاً قد انتهى أم أنها مازالت على ذمته بينما هي هنا في أحضان رجلٍ آخر بل وبينهما عقد زواج بهوية جديدة لها أيضاً !! كانت تعلم بنسبة خمسون في المئة أنها بهذا ترتكب جرماً بشعاً، وتحيا حياة محرمة شرعاً لعدم تحررها من مصطفى إلا أنها لم تهتم بالسؤال حتى، وكان تفكيرها يهديها بأنه إن يكن حراماً فليكن فمن يهتم هنا في هذه البلد لأمر كهذا، وهشام بالطبع لم يهتم، فلماذا هي تهتم وهما زوجان !!!

....

لم تكن تعلم الكثير عن حياة هشام، بل هو كان كالبر
الممتلئ بالأسرار ولم تكن هي بالجرأة الكافية لتقتحمه .. كل
ما تعرفه وما زالت إلى الآن تعرفه لا يتعدى حدود معرفتها به
منذ أن عرفتة أول مرة عن طريق مصطفى !
لكن مفاجأتها كانت يوم اتأها وهو يقول مبتسماً :
_هنزل مصر قريب !!

يومها كانت متكئة في فراشها تتصفح موقع التواصل بحثاً
عن صور لماسة أو عن أى أخبار لمصطفى، وبمجرد دلوفه
أغلقت كل ما كانت تسعى إليه، وانتهت له كلياً وهي تتمتم
بصدمة :

_انت قولت ايه .

أخذ من جوارها مجلساً قبل أن يزح غرة شعرها المصفف
بعناية عن وجهها وهو يقول باسماء :

_زى م سمعتى، هنزل مصر، بابا وحشنى ونازل عشان
أشوفه ... وفرصة ليكى انتى كمان تشوفى بنتك .



فغرت فاه غير مصدقة قبل أن ترتسم معالم الإدراك على
محياتها وهي تهتف :

_ثانية بس ثانية ... باباك ايه هومش انت باباك مات من
فترة صغيرة ؟

ضحك هشام عالياً حتى ارتمت رأسه إلى الخلف ثم عاد
بنظره إليها قائلاً :

_لا .. انتى معلوماتك عنى زيرو خالص كده .

مطت شفتيها وهي تهز كتفيها قائلة بخفوت :

_وانا هعرف مين .. انت كنت قولتلى حاجة ؟

أيضاً ضحك مرة أخرى لكنه لم يجيبها، فصمتت للحظة

وقد غلبت لهفتها على ابنتها فضولها فقالت بخفوت بينما

ترمقه بطرفٍ خفى :

_وهو فعلاً ... ممكن اشوف ماسة ؟

_ماسة !!!



ردد خلفها عاقداً حاجبيه، فعضت على شفتيها بعنف تؤنب
نفسها على زلة اللسان هذه، لكن هشام لم يمهلها وهو
يقول بجدية مفاجئة :

_ازاي عرفتى أن اسمها ماسة ؟

رفعت وجهها له بسرعة وقد التمعت عيناها انفعالاً قبل أن
تقول بحدة :

_يعنى انت عارف أن بنتى سموها ماسة ... معنى كده أنك
انت كمان بتعرف أخبارهم أول بأول، ليه مخبى عليا يا
هشام .

ظل صامتاً للحظات طالت وهو يتطلع لها بنظرات سابرة،
قبل أن تجده يقترب منها فجأة فتراجعت للخلف من فورها
لكنه لم يتراجع بل ظل يقترب منها حتى استلقت وهو يشرف
عليها من علو... لكن ملامحه كانت جامدة لا تعبر عن أى
شئ مما فى داخله، ثم قال بنبرة أمرة ظهر بها بعض من
غضبه :



_هوريكى بنتك يا نرمىن، هخليكى تشوفها بصفة دورية و
برضا أبوها كمان ... لكن .

صمت بعدها، لكن صمته كان مليئاً بالتهديد .. قطعه هو
حين أخفض رأسه إليها مقبلاً شفتيها بقوة قبل أن يهمس
جوار أذنها بصوتٍ شرس :

_لكن يا نرمىن .. اياك ثم اياك وتقربى لمصطفى، واخباره
إلى انتى عماله تتابعيها أول بأول دى ... تمنعيها بنفسك،
لانى لو منعها انا مش هتعجبك طريقي !!

رفع وجهه لها بشفتين مبتسمتين بغواية لكن عيناه كانتا
محذرتين، مهددتين، لا تقبلان بالتهاون .. فأومات موافقة
بطاعة !!

وهل تملك غيرها؟؟ هى فقط رهن إشارته، طاعته هى كل ما
تفعله فى حياتها المرهونة به !!



هى هنا لا تستطيع حتى التنفس إلا ويكون هو على علم به !!
فأى مفرٍ ستلقى بعيداً .. هذا إن أرادت أن تلقى مفر
بالأساس !!!

.....

بعدها وفي حديث بينهما عرفت أن طريقة جلبها لهنال لم تكن
بإخفائها عن مصطفى وإيهامه بأنها ميتة !!

بل كانت خطته أن يثبت أمامها خطأ مصطفى، فتضطره
للتخلى عنه بإرادتها وهى تظن أنه مُدان، ومن ثم يخلو
الطريق أمام هشام، لكن الخطة جد بها موعد ولادتها لذلك
وجد أن هذه الطريقة هى الأنسب !!

هو فكر أنه على كل حال علاقته بمصطفى شبه منتهية منذ
اليوم الذى وقعت عينا هشام فيه على زوجته وقرر أن هذه
المرأة ستكون فى قبضته يوم من الأيام !!

لذلك أن يكرهه مصطفى بهذه الطريقة أو غيرها لا يشكل
فارقاً، ولم يهتم مثقال ذرة له .. وفكرة أن نرمين ستكون

بعيدة عن ناظره تماماً، ولا يحاول حتى أن يبحث عنها أو
يثبت أمامها براءته وهو يظنها ميتة أرضته جداً، بل وجدها
أفضل الخطط بالنسبة له فنفذها من فوره، رغم أن
معرفة مصطفى بحياة نرmin من عدمها لا تهمه !!
لذلك كان ظهوره أمامه هو نرmin شيئاً عادياً جداً لم يهمه
مطلقاً، وقد وجد أنه مهماً مؤخراً كي تستطيع نرmin رؤية
طفلها !!!

.....

بعدها أملى هشام على مسامعها الخطة بدءاً من مقابلة يارا
وحتى تسليم البنت ليدي مصطفى !!
لكن حدث تغير طفيف واختلاف بينهما !!

حين رأى هشام أنه ليس هناك ضرورة لإعادة البنت
لمصطفى وهو مستعد للسفر بها والعودة إلى حياتهم
الطبيعية كان اعتراض نرmin له بالمرصاد... أخبرته حينها

أنها لن تستطيع تحمل مسؤولية طفلة يكفها رؤيتها من حينٍ لآخر!!

لكن حقيقة الوضع كانت أن "قليها" من لم يطاوعها على حرمانه من ابنته ... لأنها ببساطة لم تبارح حبه من يومها!!
و حين علمت بقرب ارتباطه ببنت عمته تلك التي تسمى يارا،
وعلمت بقرب ابنتها منها بهذه الدرجة، قررت اقحامها في
الخطوة بالقوة لتكون مدانة أمام مصطفى وتضرب
عصفورين بحجر واحد!!

فهي إن استطاعت أن تبتعد عنه فلن تدع أخرى تقترب!!!
وظهورهما علنياً أمام مصطفى وهما يعلمان جيداً بأنهما
سيظهرا في كاميرات المراقبة فتلك كانت رغبة هشام الذي
مل التخفي!!

قال أنه مل الهرب و حان أوان المواجهة، فهناك حقائق تهم
مصطفى عنده سيساومه عليها بمقابل أن ترى نرمين
الطفلة!!! و جرت الأمور كما خطط لها!!



=====

أفاقت نرمين من ذكرياتها البعيدة القريبة على صوت رنين
هاتفها جوارها ورأت اسم مصطفى مضيئاً على شاشته
فالتعمت عيناها قبل أن تجيبه برسالة مختصرة عن قرب
قدومها !!

ثم خرجت من المسبح تلف نفسها بمنشفة كبيرة فوق رداء
السباحة شديد الإغراء الذى ترتديه ... لتتجه نحو غرفتها
داخل البيت وتقوم بتبديله إلى أشد ثيابها أناقة وجمال
استعداداً لهذا اللقاء المنتظر!!

صحيح أنها خائفة من علم هشام بالأمر لكنها حرصت على
ألا يصل له أى خبر فهمى لم تكن لتجازف بحياتها المغالية
مقابل رؤية مصطفى غير معلومة الأسباب حتى الآن !!

=====



دلفت سمية إلى بيت عمتها وماسة فوق ذراعها بخطواتٍ
متردة ... لا تعلم تحديداً ما الذى تفعله هنا ولا ما تلك
السذاجة التى ارتكبتها بمجيئها !!

هى فقط أرادت ليأرا أن ترى الطفلة بعدما انقطعت عنها
خلال شهرين !!

فى الواقع يارا هى من طلبت هذا عبر إتصال بينهما، وكادت
ترفض رفضاً قاطعاً بحجة أن أخيها أمر بعدم خروج
الصغيرة من المنزل إلا وهى معه وستكون محقة بهذا !! لكن
...

ولسبب لا عمله، حثها قلبها الغبى الساذج على موافقتها و
المجئ بالصغيرة إلى هنا بعد خروج مصطفى؛ لترى يارا
الطفلة !!

تأففت سمية وهى واقفة أمام باب المنزل تطرق جرس الباب
بفضاظة وهى تتمتم بكلمات حانقة على نفسها قبل أن يكون
عليهم جميعاً، لكن الباب الذى فُتح فجأة ومظهر مراد أطل

عليها أعاد الكلمات إلى حلقها مدحورة مرة أخرى .. وعوضاً
عنها تمتعت بخفوت :

_السلام عليكم !

رمقها مراد بنظرة غير مفسرة إلا أنها لم تكن مرحبة على
الإطلاق وهو يتمم من بين أسنانه دون ترحيب :
_وعليكم السلام، عاوزه مين ؟

رفعت حاجباً متحدياً، وقد بدأت روح الكائن الهمجي
داخلها تطفو على السطح، لكنها التزمت الهدوء بالقوة وهي
تقول بصلافة :

_عاوزه يارا !!!

ظل مراد صامتاً للحظات دون أن يجيبها بينما نظراته
تشملها من رأسها حتى أخمص قدميها، في الواقع لم يكن
يتطلع لها بأى قدر من العاطفة بل كانت نظراته أقرب إلى
الامتعاض والامتقاع، وهذا ما قرأته واضحاً وجعلها تهتف
قبل أن يجيبها بأى شئ عن حديثها السابق :

_ممكن افهم انت بتعاملنى كده ليه .. هو انا كنت قتللك
قتيل ولا حاجة ؟

أيضاً صمته كان جوابها للحظات إضافية، لكن نظرتة هي
ما لانت قليلاً على ما تعتقد، أم تراها تظن !!

جال بنظراته فوق ملامحها الجذابة قليلاً .. إلا أنها جاذبية ..
جاذبية قليلة الأدب !! هكذا وصفها فى عقله ساخراً وهو
يطالع حجابها الذى تراجع حتى منتصف شعرها مما لا
يعطيه أى مؤهلاً ولو كان بسيطاً لأن يسمى حجاباً بالأساس،
وملابسها شديدة الضيق والتي تفصل جسدها تفصيلاً ..
بينما وجهها يحمل بعض الزينة جراء استخدام مساحيق
التجميل .. والتي فى الواقع هو لا يحبها مطلقاً ولا يحب المرأة
التي تستخدم تلك الأشياء !!

إذاً لماذا أحبها يا ترى ؟؟؟

وإجابته ببساطة لأنه مختل !!!

_ انا مبكره كيش ولا بعاملك وحش، انتى عاوزة تدى نفسك
قدر أعلى من قيمتك انتى حرة فى تفكيرك ... واتفضلى يارا
فوق اطلعيلها .

قال كلماته التى سممت بدنّها بكل بساطة ثم بكل هدوء و
برود أعصاب منقطع النظير واستدار تاركاً إياها واقفة على
باب المنزل !!

رفعت سمية حاجبها بغیظ شديد واصطكت أسنانها
ببعضها حتى أصدر اصطكاكهما صوتاً مزعجاً .. لكنها
أجبرت قدميها على الدخول بالطفلة وهى تلعن ذاك القرار
الذى اتخذته بالمجئ إلى هنا !!

....

فتحت يارا باب غرفتها بعدما طرقته سمية، وأطلت منه
بملامح مرهقة، متعبة بل شديدة التعب !!



لكن تهللت اساريها وهى تستقبل سمية مختطفة الطفلة
من بين يديها خطفاً، لتشبعها تقبيلاً وهى تهتف بصوتٍ
ضعيف، واهن :

_وحشتينى اوى ... وحشتينى اوى يا ماسة .

دلفت سمية وجلست على طرف فراش يارا تراقب لهفتها
على الطفلة بينما هى حالها يبدو شديد السوء فرق قلبها
قليلاً متناسية لقاءها الكارثى مع مراد منذ قليل !!

جلست يارا جوار سمية على طرف الفراش بينما عينها لم
يفارقا ملامح ماسة مطلقاً حتى وهى تقول محدثة سمية
بحرارة :

_شكراً يا سمية، شكراً انك جبتها .. متعرفيش انا كنت
عاملة ازاي لولا انى شوفتها .

ابتسمت سمية ابتسامة مختصرة وهى تقول بإيجاز:
_العفو!



لكن نظرة مطولة نحو ملامح يارا التى تبدو متعبة بشدة، و
جسدها الذى أصبح هزيراً جداً، وهى تنأى المأ بين الفينة و
الأخرى جعلتها تتساءل مضيقة عينيها بتدقيق :
_مالك يا يارا .. انتى تعبانة .

الآن انتهت يارا بعد طول شرودها فى الطفلة، فرفعت
عينيها إلى سمية أخيراً وهى تبتسم بحزن قائلة بخفوت :
_كنت تعبانة اليومين إالى فاتوا، بس لما شوفت ماسة
حاسة انى فوقت والله ... شكرا يا سمية، مش هنسالك
موقفك أبداً .

رقت عينا سمية فى بادرة غريبة جداً على طبعها اللامبالى،
ثم قالت بخفوت وهى تربت على ذراع يارا :

_مفيش شكرولا حاجة، انا عارفة انتى بتحبى ماسة قد ايه .
أعادت يارا عينيها نحو وجه ماسة الضاحك ويديها التى
تضرب بهما فى الهواء عالياً، وصوتها التى يتعالى متممة
بكلمات لم تفهمها .. ثم قالت بخفوت حزين :



_بحبها جداً ... دائماً بحسبها بنتى !

تهدت سمية وهى تتطلع لجانب وجهها بتفحص ، حقيقة هى
ناقمة عليها قليلاً لما فعلته بمصطفى وبالطفلة بالبداية ،
لكن نظرة واحدة لمامحها الآن تعلمها أنها قد عانت قدرما
عان أخاها وابنته أضعافاً !! إضافة إلى أن الطفلة بأمان ،
فلم تملك إلا أن يرق قلبها لمظهرها الغريب على يارا التى
دائماً ما كانت تشع حيوية قبل أن تنطفئ بهذا الشكل
الغريب !!

=====

_صدق الله العظيم .

تمتموا بها جميعاً بعدما اخفضوا أكفهم !!
وكانت تلك فاتحة القرآن الكريم التى تلوها بعدما تقدم
أدهم رسمياً بطلب يد داليدا !!



جده وأمه وأبيه هم من أتوا معه اليوم ليتم طلب يدها
رسمياً من أخيها، وما سهل الأمر عليهم كان النسب الذي قد
تم سلفاً بين العائلتين بخطبة زين وفريدة !!
فريدة التي كانت تبحث داليدا عنها طوال اليوم ولم تجدها
وحتى هاتفها وجدته مغلقاً رافضة أن تجيب أى إتصال من
أى أحد !

قلقها عليها تفاقم خاصة وهى تشعر بشعورٍ غير محمود
يقبض صدرها منذ بداية اليوم، لكنها أسندت ذاك لتوترها
الشديد لا أكثر !!

الحديث اللطيف بين الجالسين استمر طويلاً مما جعل
أدهم يتململ فى جلسته قبل أن يميل على أذن أمه الجالسة
جواره قائلاً:

_بقولك ايه يا حاجة ؟ هما مش المرفوض يسمحوا للعريس
يتكلم مع العروسة شوية برضو ولا ايه .



رمقته عبير بابتسامة واسعة وهى تطالع ملامحه بسعادة
غريبة غير مدركة وكأنها إلى الآن لا تصدق أن حياة أدهم قد
استقامت أخيراً بعد كل الذى حدث معه ... بادل أدهم أمه
نظراتها وهو يراها بهذه السعادة التى لم يراها عليها منذ حين
!!

حتى سعادتها بداليدا نفسها لا توصف .. هوفى البداية
خشى أن يرفضوا داليدا لماضيها ولحقيقة وضعها
بأنها مطلقة، رغم أن خاله معاذ سبق وفعّلها وتزوج من
مطلقة، لكنه خشى أن يكون لعائلته رأى آخر والذى تلاشى
تماماً بترحيبهم الشديد بالأمر وعدم تعقيهم على حقيقة
وضع داليدا ... مما دفع عقله للشك قليلاً فى طبيعة ماضيه
الذى لا يعلمه، لكنه عاد وعدل عنه وهو يتيقن بأن عائلته
متحضرة الفكر قليلاً والأمر عندها لا يشكل فارقاً .. فكونها
مطلقة هذا لا يعيها فى شئ !!



يا ابني اتلم واسكت اخوها قاعد، يقول عليك ايه دلوقتي
... وبعدين اصبرمانتوا هتعملوا الفرح قريب اهو.

همست عبير بخفوت محذرة، فتنهد أدهم وهو يتمتم من بين
أسنانه :

يا حاجة هو انا بقولك هاخودها واطلع بيها فى مكان كده
ولا كده لا سمح الله، دانا بقول العرسان يقعدوا مع بعض ..
هو مش فى حاجة اسمها رؤية شرعية برضو.

مصمصت عبير شفيتها بحركة الأمهات الشهيرة وهى تهمس :
_ عيب عليك يا ابن بطنى ... مش على امك يا أدهم، الرؤية
الشرعية دى انت كررتها بدل المرة عشرة، ولولا انى نفسى
الموضوع يتم على خير وانى بحب البنت دى لله ف لله كنت
خليت عيشتك سودة على خروجك كل شوية معاها كده
من ورا اخوها، بنات الناس مش لعبة يا أدهم والصبح م
الأول كنت تدخل البيت من بابه .



امتعت ملامح أدهم وهويطالع أمه بنظرات ضائقة، قبل أن يقول حانقاً :

_ خلاص يا حاجة، خلاص ... جاية تعاتى وتعيدي تربيتى من اول وجديد ف بيت الناس، ما تروحي تقوليله احسن .

تهدت عبيروهى تحدجه بنظرة محذرة ثم همست بحنق :

_ بقولك ايه يا واد، مانتي متخرجنيش عن شعورى وتقولى بيت الناس ... انت إالى اتكلمت الأول يبقى تستحمل بقى .

_ حاضريا أمى .. حاضر.

تمتم بها بنزق وهويستقيم فى جلسته مرة أخرى، مطالعاً أحمد بنظراتٍ مبتسمة بسماجة، بينما أحمد يبادلله النظر بهدوء ورزانة .. وجواره داليدا التى تكاد تذوب خجلاً فوق المقعد الجالسة فوقه !!!

لا ... الأمر مختلف مع أدهم وحده، بينما أن تكون مع عائلته هكذا وفى هذا الجمع هذا ما لا تفضله، رغم شعورها بالسعادة التى تموج داخلها !!



_ قوم يا أدهم كده ... اقعد هناك، عاوزة داليدا جنبى .
قالتها عبير ببشاشة وهى تلكزه بخفة آمرة إياه بالنهوض
فحدجها أدهم بنظرة غاضبة سريعة لم يلحظها غيرها، ثم
قام بعدها منتقلاً لمقعد آخر، وترك مكانه لداليدا التى
تابعها بعينه حتى جلست مكانه .. حينها احتضنتها عبير
بمودة وهى تقول :

_ ما شاء الله عليكى يا بنتى، ما شاء الله، ربنا يحميكى من
العين .

نظرت لها داليدا وكأنها تنظر لكائن غريب، هل هى تمدح
جمالها ؟ أم أنها أخطأت الفهم !!

لأنها حقيقة لم ترى نفسها يوماً جميلة أبداً ... إلا بعيون
أدهم فقط !!!

اختلست داليدا نظرة نحو أدهم القابع مقابلاً لها، فوجدت
عيناه عليها مراقباً إياها، مما زاد من ارتباكها ... لكنها حين
أعادت نظراتها نحو عبير رأت تعبيراً مختلفاً بعينها ... شئ



من الخوف، من التردد أو ربما سرُّ مخبأ!! لكن عبير سرعان
ما تداركت ملامحها وهى تعاود المدح فى جمالها بملامحها
البشوشة!!

لا تعلم داليدا لم هذا الخوف الذى داهمها فجأة، لكنها
رفضت التسليم لأى من رهابها اليوم، أن آوان الخروج عن
قوقعة ماضيها ... فيها هو المستقبل يحلق أمامها فى الأفق،
فلماذا تتمسك بماضى زائل لا يضر ولا ينفع!!

أما عبير فقد عضت على شفيتها بقوة تمنع نفسها من
الحديث أو التفوه بأى شئ مما كانت تنتويه!!

وهى تهمس داخلها بهلع .. ما الذى كدتِ تفعلينه يا امرأة، لن
تخرب سعادة ابنها أبداً بعدما حصل عليها أخيراً بعد عناء ...
ماضيه قد انتهى عندما نساها أدهم بأمرٍ من القدر فلماذا
تعاود فتح الأمر مجدداً فى نوبة صراحة فجائية وتذكره
بالأمر!! لا ... لن تفعلها لأجل سعادة ابنها لا غير... وداليدا
يبدو عليها حياء لأدهم حتى وإن لم تفصح عنه .. فلن

تستطيع سلب ابنها سعادته بمعاودة فتح الدفاتر القديمة
أبداً أبداً !!

=====

جلس مصطفى في مقعده في ذاك المكان العام الذي قرر أن
يلتقيها فيه ... عينيه عليها، يراقبها ببعض التفحص عليه
يستشف شيئاً من تفكيرها أو يرى تأكيد على ما سيطلبه
منها، لكنها كانت تقابله بملامح عادية لا تنم عن شئ مطلقاً
!!

بماذا يهذى، هو صحيح يراقبها لكن لا ليستشف موافقتها
.... بل ليستشف بعضاً من حبه القديم ربما !

وتفكيره الأخير هذا ما جعل ملامحه تتجهم برغبة عنيفة في
لكم نفسه على تفكيره الساذج الغبي !!

تنحنج بخشونة وهو يستقيم في جلسته مقابلاً لها، قائلاً
بصوتٍ اجش :

_نرمين، انا طلبت أشوفك لاني عاوز أعرف منك حاجة مهمة، وياريت يكون الموضوع ده بعيد عن هشام، ويفضل انه ميعرفش عنه حاجة .

طالعه بملامح مهمة التعابير، واضعة ساقاً فوق أخرى بأناقة وتعالى واضح ... لا ريب أن من مثل نرمين ستشعر بمثل هذا التعالى على خلق الله، فهي كالذى كان فى جرة و خرج منها ... كما يقول المثل !!

ابتسامة متهمكة، ساخرة اعتلت شفتيه، فأساءت هى تفسيرها على أنه حنين ربما .. لذا بادلته ابتسامته بالمثل وهى تقول بهدوء :

_قول يا مصطفى .. متخافش، هشام مش هيعرف حاجة .
حمم مجدداً وهو يسبل جفنيه لثوانٍ مخفياً عنها انفعالاته، قبل أن يبدأ حديثه متساءلاً بشكلٍ مباشر:
_مين ابو هشام ؟



عقدت نرمين حاجبها وهي تناظره بشك، ثم أجابت سؤاله
بسؤال آخر:

_بتسأل ليه؟

تلاعبت أصابعه على حافة الطاولة ببعض الشرود، لكنه
رفع رأسه لها قائلاً... وقد فضل السير في طريق مباشر:

_انت عارفة حكاية زين ابن عمي وإلى حصل مع مراته الله
يرحمها؟

اومات إيجاباً، فلحق مصطفى شفتيه مستطرداً:

_زين شاكك أن يكون هشام مخبي عنه حقيقة ابوه.. هو
معندهوش شك أنه عنده أبين واحد ف البطاقة وواحد ف
الحقيقة واحنا لحد دلوقتي مفهمناش حقيقة الوضع ده
ايه، لكن إالى عارفينه أن واحد منهم هو إالى عمل كده، و
يمكن هشام ضحك علينا وقال أن ابوه إالى مات هو إالى
عمل كده، إنما في الحقيقة يكون ابوه التاني .

أطرقت نرمين برأسها للحظات قبل أن ترفع وجهها له قائلة :

_معتقدش أن تفكيرك صح، من خلال معرفتي بهشام الفترة
إلى فاتت .. فأبوه إلى مات هو إلى كان صاحب الشغل ده
والحكاية بتاعت التجارة الممنوعة دى، إنما أبوه الحقيقى
ف ده متهيقلى كان مجرد شريك أو ممكن يكونش ليه فى
الحوارده كله اصلاً، لأنه هشام مكنتش بيتكلم ف الشغل
ده غير مع أبوه ع الورق وإلى هو اسماعيل .

صمت مصطفى لدقائق طويلة، يمعن التفكير فى حديثها و
الذى رآه منطقياً من وجهة نظره، لكنه أيضاً تساءل :

_طيب مين أبوه الحقيقى ؟

هزت نرمين رأسها نفياً وفردت كفيها بجهلٍ، مجيبة :

_معرفش !!

تصلبت ملامح مصطفى فجأة وكأنه بهذا يخبرها أنه متيقن
من كذبها؛ وقد فهمت هى إشارته لذا رددت بحرارة :

_والله العظيم م اعرف ... انا دخلت حياة هشام بالغصب، و
كونى راضية دلوقتي بحياتي معاه ف ده مش معناه انى
اعرف عنه كل شئ ... هشام كان ومازال سر كبير جداً انا
لحد دلوقتي مش عارفة اكتشفه؛ وحتى بعد م عدى سنتين
على جوازنا .

طالعها بعينين جليديتين، مردداً خلفها بهمسٍ ساخر:
_جوازنا !!

لم تعقب على همسته، رغم أنها شعرت بها كنصلٍ ثلم شق
قلبها، لكنها لم تبالي ... فمنذ متى سمحت هى لقلبها أن يفسد
الحياة التى تحياها بشكلٍ مغالى ..؟

تجاهل مصطفى طعم الصدا الذى ملء حلقه، وتدارك
ملامحه التى اشتدت بسخرية ممتعة، ثم قال بهدوء أمر:
_وانا عاوز اعرف يا نرمين .. هتقدرى تعرفينى الحقيقة .

دقت أصابعها على الطاولة بلحنٍ رتيب قبل أن تقول بنبرة
عملية :



_بمقابل ؟

_بمقابل انى اسيبك تشوفى بنتك، و محرمكيش منها .
عقدت حاجبها قبل أن تنفلت ضحكة رقيقة من بين
شفثها بعيدة كل البعد عن المرح وهى تقول بعد أن خفتت
ضحكتها :

_وانت فكرك انك تقدر تمنع بنتى عنى ... لعلمك يا مصطفى
انا إلى مرضتش أحرملك منها مع ان كان فى ايدى انى أسافر
بيها وامنحك تشوف ضوفرها، بس لجل العشرة مرضتش
اعمل كده .

احتدت ملامحه وهو يضرب بيده المجبرة فوق الطاولة قائلاً
بشراسة :

_اقدريا نرمين .. المرة الأولى انا كنت مغفل وواثق ف ناس
متستاهلش، إنما المرادى لا .. انا واعيلكم كويس .
ضيق عينيها متفحصة فى ملامحه، تحاول إيجاد أى صدى
لعدم الثقة التى يتحدث عنها فى عينيه .. لكنها لم تجد ..

لكن يكفى أنه قال بلسانه أنه لا يثق فى يارا وإن كان المعنى
متستراً خلف كلمة "أناس"!

ازدردت ريقها وهى تجابهه بقوة، ثم قالت بعد فترة، كانت
فيها سحابة الصمت تظللها بقتامة :

_هقدريا مصطفى .. هقدرا جيلك الحقيقة وكل إلى انت
عاوزه .

صمتت لهنية استأنفت بعدها :

_بس ده مش لانى خايضة من تهديدك بحرمانى من بنتى لا
سمح الله ... خود بالك م الجرح إلى فى ايدك وهو يفكر
كويس انى قدرت اخودها مرة فهقدرا خودها الثانية .

أنهت كلماتها وهى تستقيم واقفة، لتضع النظارة الداكنة
على عينيها المرسومتين بعناية، ثم قالت بهدوء مجابهة إياه
من خلف نظراتها بقوة :

_انتظرمنى إتصال أو طلب انى اقابلك فى مكان زى ده،
اجيلك فيه المعلومات إلى محتاجها !!



أنهت حديثها ملقية عليه نظرة أخيرة، ثم انسحبت بهدوء
تماماً كما جاءت بهدوء !!

تاركة إياه يطالع كفه كما أمرته، يتذكر كيف أحدث هشام
هذا الجرح الذى احتاج إلى تقطيب فيه !!

كان يوم لقائهم الأخير وبعدما غادرزين غاضباً يتبعه حازم
محاولاً تهدئته، ظل هو ماكثاً يراقب هشام لقليل من
الوقت، قبل أن يجد لسانه يقول قبل أن يستطيع منع
نفسه :

_انت **** إنسان شوفته فى حياتى .

وبالطبع أجابه هشام بجوابٍ سمج كعاداته، مما جعل
الشياطين تتراقص أمام عينيه وقتها، تعميه عن كل ما
يطلبه الموقف من هدوء خاصة فى وجود ابنته، لكنه تصرف
كأخرق وهو ينهض مندفعاً نحو نرمين مقتلعاً الطفلة من بين
ذراعيها بعنف مهدداً بعدم رؤيتها مرة أخرى .. لكن هشام
الذى نهض خلفه لم يمنحه الفرصة وهويشتبك معه فى

عراكٍ حاد يبدو أنه كان يتوق كلاهما إليه منذ زمن؛ تفرغاً
لكل الانفعالات التي تملء النفوس ضد بعضها، ووسط
احتدام الموقف قام هشام بكسر كوب العصير القابع فوق
الطاولة وجرحه في كفه بعمق، مبعداً إياه عنه، ورغم ذلك
وبعد انتهاءهم لاهئين من شجارهم ترك له الطفلة مهدداً
بحياة من يهيمونه جميعاً...!!

تأفف مصطفى وهو يسترخي في مقعده وعينيه لا تبارحان
الرباط الطبى حول كفه ... هشام لا يهدد عبثاً، سبق ووضع
عينيه على امرأته فسلها منه بكل بساطة ... والله وحده
يعلم، من سيسلب منه مجدداً ... ومن سيقصيه القدر من
حياته !!!

لكن ما لا يعلمه مصطفى أنه بعدما غادر ساحقاً الطريق
تحت إطارات سيارته، وقف هشام مقابلاً لثمين بعينين

تشعان غضباً عارماً، ثم قال مهدداً من بين أسنانه التي
تصطك ببعضها بعنف :

_لاخر مرة يا نرمين، لآخر مرة هقولك هجبلك البنت لحد
عندك ونرجع تانى زى م كنا، ونتابع حياتنا بشكل طبيعى
تانى .

هذه المرة لم تستطع التحكم فى ضحكة ساخرة عالية
انفلتت من بين شفتيها قبل أن تطالعه بسخرية مقيبة قائلة
:

_نتابع حياتنا بشكل طبيعى !!!! انت واهم يا هشام، موهم
بأن إالى بينا طبيعى؛ لكن إالى عمره ابدًا ما كان طبيعى ...
انا وانت فاهمين كويس جدا ان حياتنا كلها حرام ف حرام
فمتحاولش توهم نفسك بالعكس عشان هوية جديدة
طلعتها الى خلتنى فى نظر القانون مش مذنبه .

تجمدت ملامحه وهو يطالعها بنظرة جليدية تكاد تجمدها
مكانها ... لكنه أصر متجاهلاً حديثها الأخير قائلاً :



_لاخر مرة يا نرمين، انا قضيت غرضى من هنا وشوفت
أبويا ومستعد اجبلك بنتك ونرجع زى م كنا تانى .
هزت رأسها نفيأ بعد فترة صمت طالت ثم قالت بخفوت
جامد :

_لا يا هشام .. انا مش هسيب المكان ده تانى، وبنتى مش
هحرمها من أبوها زى مانا م سبق واتحرمت منه .
فجرت قنبلتها ثم استدارت مغادرة بعد أن زرعت الشك فى
قلبه .. وهذا ما ظهر جليأ على عينيه اللتان شيعا رحيلها
بنظرة جليدية، مصرة، غير متهاونة أبداً ...
نرمين له وستظل له حتى وإن كان ما بينهما "وهم" كما
تدعى هى، لكن يكفى بأنه موجود، وهو كفى بدحر مصطفى
عن مرمى تفكيرها للأبد !!

=====



الفصل الرابع والعشرون

=====

"كيف للإنسان أن يتناسى حياة بأكملها بدعوى التخلص من رواسب الماضي، وله أن يتخيل أنه مجبر على تناسى ماضيين لا واحد .. حياتان صغيرتان بأكملهما مجبر على تناسيهما، فأى حظٍ ذاك الذى يملك؟!..."

طوال طريقه عودة للبيت والسؤال يلح عليه .. هل هو قادر على تخطى كل ما عاشه مع كلٍ منهما؟؟
كل واحدة فيهما دلفت حياته بقرارٍ منه، ورحلت بقرار خارج عن إرادته ومع ذلك اقتطعت جزء يسير من قلبه ورحلت به بعدما تركت بصمة غير قابلة للمحو فى حياته !!
وكل واحدة منهما كان خطأها أبشع من الأخرى !!



دلف إلى غرفته بملامح مكفهرة تتميز غضباً وتقبع فوق
ذراعه ماسة التي تنظر له بملامح باكية تزداد حزناً كلما
تطلعت للغضب الذي يلوح في عينيه والعصبية البادية
حتى في حركات أصابعه الخرقاء وهو يخرج هاتفه من جيبه
بعسر.. لكنه سرعان ما طلب الرقم وأتاه صوتها واهناً،
خافتاً اقتلع الجزء المتبقى من قلبه معها :
_السلام عليكم .

لكنه ورغم كل المشاعر التي انتابته فور سماع صوتها بعد
إنقطاع فترة طويلة، وقلقه الذي دب داخله واستوحش
يقتات على روحه بعد سماع نبرتها التي تشي بكم الألم الذي
تحاول التحكم فيه .. هدر فيها بغضب :

_انتي ازاى تطلبى من سمية تطلع بالبنت من البيت لوحدها
يا يارا ... انتى مبتحرميش، عاوزه بنتى تضيع منى للأبدو
بسببك مرة ثانية !!!



سحابة صمتٍ خانقة حلقت فوق الأجواء فمنعت التواصل
على ما يبدو، ويارا تتطلع للسماء الممتدة أمامها من شرفة
غرفتها، لكنها تمالكت نفسها وهي تتمتم بلا شعور :
_انا آسفة .

وكأن دلواً من الماء سُكب فوق رأسه فجأة، فتسمر مكانه
لدقائق لم يقطعها سوى صوت ماسة، لكنه لم يستكمل بل
قطع الإتصال فجأة وعلى حين غرة منها !!

حينها أنزلت يارا الهاتف عن أذنها ناظرة له بنظرة غير
مقروءة، لكنها سرعان ما ابتسمت بتهكم وهي تتطلع للهاتف
وكانها تشكوله :

_كنتى مستنية ايه، مستنية يجى راعع عندك يشكرك على
أنك بسبب حبك الغبى ليه كنتى هتضيعى بنته من ايده و
من ايديكى انتى كمان !!

انحدرت اول دمعة على وجنتها رغم الابتسامة المرة وهي
تستطرد تتمتمها :

_مكنتيش غبية قبل كده يا يارا، مبقتيش غبية غير لما دخل
حياتك اكثر، وأتمكن منك اكثر... وبعديها سابك لما مراته
رجعت !!

هل يا ترى سيعود لها مرة أخرى ؟ وإن عاد ... هل سترضى
هى أن يعودا كما السابق وكأن شيئاً لم يكن ؟ فحتى
احتياجه لها لم يكن سوى لماسة لا أكثر ولا أقل !!!

فهل سترضى هذا على نفسها مرة أخرى ؟!
لكن بالأساس هل سيعود ؟ أم سيظل بعيداً كما كان
دوماً !

هل قصتهم ستكتمل أم ستنتهى عند هذا الحد، ويكون
المشهد قد انتهى وأسدل الستار، وخطت كلمة " النهاية "
بخطٍ عريض جثم فوق قلبها !!!

.....

وهذا تحديداً ما كان يفكر به مصطفى وهو جالساً على
طرف فراشه يحدق في نقطة وهمية في الأرض، يربت على
ظهر ماسة التي غفت على كتفه !!

هل سيعود لها يوماً ... لا ينكر أنه اشتاقها رغم مشاعره
"المخزية" التي تلح عليه عند رؤية نرمين !!

مخزية ... مخزية بشدة خاصة وهو يعلم بظروف زواجها
المزعوم من هشام، والذي يعد حراماً!!

مشاعره متضاربة بينهما، متضاربة بشدة ورغم أن القرار
محسوم وليس هناك مجال للمقارنة المجحفة بين نرمين و
يارا، إلا أن سفينته الحائرة لا تجد مرسى بين أمواج بحره
المتلاطمة !!!

وكان أفضل حل توصل إليه بعد عصف ذهني من التفكير
... أنه سيبتعد عنهم جميعاً !!

سيبتعد مؤقتاً ليستطيع تحجيم التخبط الذي يسود نفسه
ويعربد بين جنباته !!!



واسلم حل دلوقتي..
نغيب عن بعضنا شوية..
يا جابنا البعد تانى لبعض..
وردك من جديد ليا..
يا نبعد وإلى بينا يعيش
جميل فى عينيك وف عنيا..
اعتبرنا خدنا هدنة من عهدنا..
كل واحد فينا قلبه يكون وحيد..
تبقى فرصة نداوى روحنا من جروحنا..
أونشوف الصورة أوضح .. من بعيد

=====

استقرت مقابلةً له، جالسة على أحد المقعدين المتقابلين
أمام مكتبه !!

زمت شفتيها ببعض الحرج وهى تختلس النظرات نحوه !!

لتوهم أنهموا استشارة الطبيب الذى رشحه فارس لها، و
الذى قال أنه ليس هناك ضرر جسمانى بها وأن الأمر
متوقف على حالتها النفسية التى مازالت غير مستقرة !!

قابلية عودة صوتها من عدمها تقبع بين يديها ...

مدت يدها ببعض التردد تمسك ورقة وقلم كانوا قابعين
فوق سطح مكتبه لتكتب فوق الورقة أمام عينيه المراقبتين
لها :

_ انا مفهمتش هولىه قال كده، انا عاوزة أن صوتى يرجع و
نفسى ف كده يعنى انا مش مانعة نفسى من كده... ومش
عارفة اعمل ايه عشان صوتى يرجع .

طالع الورقة باهتمام يقرأ ما خطته أصابعها النحيلة فوقها
ثم رفع عينيه لها مدققاً لفترة، قبل أن يقول فجأة :

_درة .. انتى مرتاحة بالقعدة فى بيتى ؟

عقدت حاجبها وهى تخط على الورقة بسرعة :



_ليه بتقول كده .

دقق فى عمق عينيها وهو يقول بهدوء :

_لان كلامك صح عن إالى انتى حاسة بيه، وبرضو كلام

الدكتور صح ... وفعلا ده متوقف على حالتك النفسية

ولو انتى مضطربة من قعدتك فى بيتى ومش مرتاحة فانتى

عمرك م هتهدى ونفسيك تستقرو يبقى عندك الاستعداد

ان صوتك يرجع تانى .

أطرقت للحظات برأسها تمعن التفكير فى حديثه، وأصابعها

تنقر بسن القلم بلحنٍ رتيب على سطح المكتب ازعجه بشدة

فامتعت ملامحه قبل أن يقبض بكفه فوق يدها بحركة

فجائية اجفلتها وهو يقول بحدة :

_بس !!!!

اتسعت عيناها لحظياً وهى تنظر له مجفلة، وتسمرت

للحظة مكانها فاعرة شفيتها ونفسٍ مرتجف افلت من بينهما

جذب انتباهه نحو شفيتها متأملاً فيهما بحرمان، قبل أن

تغمض عينيها وهى تسترخى مجدداً قبل أن تنقض على
ذراعه بضربات خفيفة جلعت ضحكاته تتعالى وهو يحاول
التحكم بكفيها قائلاً من بين ضحكاته :

_بس ... يا درة بس ي بنت الناس الله يحرقك .

صمتت وهى تقبع مكانها لاهثة فاعرة شفيتها قبل تكتب
فوق الورقة بحركة عنيفة :

_الله يحرقك انت يا بنى آدم يا لزج يا سمج، خضتني وانت
عارف انى مش بستحمل حد يخضنى بسبب أم الكوابيس
إلى كل يوم بتجلى .

علقت الابتسامة على شفتيه ممتزجة ببعض الإشفاق على
حالتها وهو ينظر لها، قبل أن يتمتم ضاحكاً :
_خلاص انا آسف .

اشاحت بعينيها عنه دون اهتمام، وهى تتفحص بناظرها
مكتبه ... بسيط، يغلب عليه اللون الأبيض كما معظم



الأطبة، لكنه لا يخلو من لمحة أناقة تشبه تماماً ... بسيط و

أنيق في نفس الوقت !!

احمرت وجنتها بحياء من خاطرها الأخير والذي صدمها

بشدة !!

تتغزلين به يا درة ؟؟؟!!

بزوجك !

تتغزلين به وبهيئته الخاطفة للأنفاس !!!

لاحظ فارس إحمرا وجنتها فركز نظراته عليها، بينما هي

اختلست نظرة له فضبطها متلبسة، لكنها لم تشيح بعينها

مجدداً بل واجهته وهي تشرذ مفكرة !!

فارس لم يكن بمثل هذا السوء الذي كانت تتصوره به ...

الأيام التي قضتها معه تحت سقف غرفة واحدة انبثها كثيراً

عنه ... علمت أنه لم يكن متفتحاً كما كانت متصورة، هو

ملتزم نعم لكنه أيضاً ليس بمتشدد !!



فى تلك الليالى العديدة التى تزورها فيها الكوابيس فى منتصف الليل تستيقظ أكثر من مرة ... يوم وجدته يفتersh الأرض تحت نافذة غرفتهما يقرأ من المصحف الشريف على ضوء القمر البسيط المتسلل من النافذة، حينها كان كابوساً من كوابيسها المتكررة جاثماً على أنفاسها لكنها وبمجرد أن رآته ورأت تلك الهالة التى تحيط به شعرت بشئ غريب بها، شعرت بسكينة غريبة تجتاحها وأنفاسها التى كانت ثائرة إثر صراعها مع ذلك الكابوس قد هدأت !!

حينها !!!

حينها فقط علمت أنها أحبت ذلك الرجل !!
لم تسمع عن أحد من قبل أنه قام بتحديد تلك اللحظة التى وقع فيها فى الحب، لكنها فعلت !!

علمت فى تلك اللحظة التى تجسد فيها الأمان على هيئة إنسان -وقد كان فارس- أنها أحبته !!
أحبت ما يمنحه لها من سكينة، من أمان ..



أحبت قبوله بها رغم ظروفها وهى التى لم تتوانى عن رفضه
مرة بعد أخرى عندما كانت كاملة الأوصاف !!

كانت ... كانت فى حلمٍ جميل استيقظت منه بأقسى طريقة
ممكنة، فكان هو موجوداً .. التقطها منه ولم يجعل قدميها
تخطان على أرض الواقع أبداً ... بل حملها محلقاً بها فى
سماء واسعة وجدت فيها كل ما تحتاج، ودأب على تدريب
نفسه أن يمنحها كل ما كانت ترجوه سابقاً فيه !!!

طرقة خفيفة من إصبعيه أمام وجهها اجفلتها، مخرجة
إياها عن شرودها، فابتسمت ببشاشة ناظرة له بهدوء،
فقال فارس مازحاً :

يلا بينا نروح ولا عاوزانا نفضل هنا كثير.

انهى كلماته وهب واقفاً أمامها، ماداً يده إليها بحركة كانت
متردة للحظة شعرتها هى، لكنها أجبرت ابتسامتها على
الاتساع، وصرفت روح التيه فى تفاصيله وهى تمد كفها



ممسكة بكفه بقبضة قوية، ثم وقفت جواره على استعداد
للرحيل !!

نظرفارس إلى كفيهما المتعانقين للحظة ثم رفع عينين
متأثرتين نحوها فأومات مؤكدة على شئ مهم لم تعرف
ماهيته، لكن إيمائها كانت كفيلة بـ "رى الابتسامة" التي
سرعان ما زُرعت على شفثيه فأينعت !!!

=====

إسبوع آخر مرو هو لا يراها !!

لكن هذه المرة مختلفة، فهذه المرة لم يتوسلها هاتفه بأن
تكف عن إتصالاتها التي انقطعت بعد لقاءهما الكارثي
حينما جائته بيته تطمئن عليه !!

هذه المرة ذهنه ليس مشغولاً بحق ذكرى فقط بل بحق
فريدة أيضاً، حق فريدة عليه، حق جرح مشاعرها بتلك
السادية متنفساً عن غضبه فيها !!



هو مخطئ ويعلم ذلك .. فهو ظل صامتاً، يشحن داخله
بالغضب طوال أسبوع ومن ثم أتت فريدة لتقدم له فرصة
ذهبية لتفريغ شحنات غضبه وكل ما ألم به !!

لم يكن يوماً غيباً وغير مراعيّاً كما كان معها، فريدة تحملت
منه الكثير، لكنه وبكل غياب يزيد الضغط عليها، ناسياً أن
كثرة الضغط تولد انفجاراً !!

ركن سيارته أمام المشفى كما يفعل منذ إسبوع منتظراً
عودتها إلى العمل الذى علم أنها تتغيب عنه مذ يومها
متعلقة بوعكة صحية وأخذت على إثرها إجازة مطولة !

نزع زين نظارته الداكنة عن عينيه يلقيها بإهمال على
"تابلوه" السيارة وهو يطالع هاتفه يطلب رقم فارس الذى
أجابه بعد لحظات، فهدر فيه زين بأعصاب تالفة :

_ انت مش قولت أن معاد رجوعها انهاردة يا بنى آدم .

فجاءه صوت فارس محتداً من الطرف الآخر:



_وانا اعملك ايه اذا كنت جلف مش عارف تتعامل معاها و
هبيت إالى هببته خليتها كده وتغيب عن الشغل كل ده .

_انا بسالك سؤال يبقى ترد على قده يا فارس بدل م اجى
اطلع كل اللى فيا فيك دلوقتى .

_روح اتشطر على حد غيرى، ولا اتشطر على نفسك
الموسوسة يا معقد .. صحيح مش وش نعمة !!!

قذف فارس كلماته عبر الأثير فى وجه زين كمن يقذف أحداً
بدلو ماءٍ متسخ، قبل أن يغلق الخط بغل من ذاك الغبى أو
المتغابى ابن عمه !!

حدق زين فى هاتفه لبضع ثوانٍ قبل أن يرفع وجهه زافراً
باستسلام وهو يقر ويعترف !!

هو السبب، وسيتحمل كل ما سيحل فوق رأسه !!
عبث بهاتفه مرة أخرى، يحاول تتبعها عبر مواقع التواصل
دون أى نتيجة، وعند هذا الفعل رفع وجهه وهو يضحك
ضحكة عالية ساخرة، ساخرة بشدة !



وكأن القدر ينتقم لها منه، ينتقم لها على جلافته معها كما
تفضل فارس ووصفه منذ قليل ...

فهي تلك العاشقة المهووسة التي كانت تتلف لأى شئ عنه،
تلملم أخباره واحداً تلو الآخر وتقبل منه بالفتات والآن
حان دوره هو ليفعل وتنقلب الأدوار كما تنقلب منذ عرف
بأمر حيا !!

زفرو هو يعود بعينه إلى هاتفه مرة أخرى متفحصاً ثم فتح
تطبيق "الواتساب" يستكشف آخر ظهور لها والذي كان
حتى أمس منذ أسبوع ... لكن ولدهشته فهو الآن منذ نصف
ساعة تقريباً !!

أى أنها كانت موجودة قبل نصف ساعة فقط !
فكر كثيراً فى الحديث مع أحمد والسؤال عنها، وفكر أيضاً
فى الذهاب إليها بنفسه، لكنه عاد وقال أن الأمر لا يُحبذ؛
فهو لا يريد لأحمد أن يكتشف أنها جاءت به بقدميها فى بيته، ولا
يريده أن يعرف بشأن ما فعله هو معها وتلك التراهاات التي



تفضل بإلقائها على مسامعها فى نوبة فجائية من الغباء
والتلوث الفكرى !!

زفر محاولاً تهدئة نفسه قبل أن تتلاحق أصابعه لتكتب فوق
لوحة المفاتيح فى هاتفه :

_(فريدة .. ارجوكِ ردى عليا عارف انى غلطان واستاهل
كل إالى بتعمليله فيا بس طمنيىني عليكى ارجوكى، عارف انى
جرحتك وكلامى كان غلط ف غلط بس انتى متعرفيش انا
كان فيا ايه وقتها والله كنت فى حالة غريبة .. فى نفس غير
نفسى .. ارجوكِ ردى عليا وطمينيى انك بخير، متحملنيش
فوق طاقتى كفاية إالى انا فيه وإالى انتى عارفاه كويس !!)
رفع وجهه منفعللاً وكأنه كان يقول الكلام فى وجهها لا يكتبه
فقط، ثم عاد وأخفض رأسه كاتباً :

_(اوعدك لورديتي عليا وقبلتى تقابليني هعملك اى
حاجة انتى عاوزاه، بس متفضلنيش بعيدة عنى !!)



صمتت لدقائق طالت منتظراً ردها، يحملق في الهاتف، يهز ساقه بعصبية مفرطة، منتظراً أن ترد على رسالته أوتراها على الأقل !!

وانتفض كمن لدغته حية حين رأى علامة رؤية الرسالة تتحول إلى اللون الأزرق، واسمها على شاشته مصحوباً بكلمة "متصل الآن" !

هدر قلبه بترقب وهو يرى إشارة أنها تكتب على الطرف الآخر، واستمرت تكتب وتكتب وهو يكاد يحترق غيظاً وانتظاراً ... وحين طال الوقت زفرو هو ينهر نفسه بصوتٍ مسموع :

_ ما تهدى بقى ايه شغل المراهقة المتأخرة إلى انت فيه ده .
لكنه انتفض مرة أخرى حين سمع صوت وصول رسالة، فأمسك الهاتف بلمهة تلاشت تماماً تحت عجالات سيارة الإحباط التى دهستها :

_ (احتفظ بخدماتك لنفسك يا حضرة الظابط !!)



ومن ثم ... اختفت كلمة "متصل الآن" كما اختفت معها
لهفته في لحظة بؤس نجم عن غباءه منقطع النظير!!!

=====

وقف زين على عتبة بابهم بابتسامة سمجة ظللت وجهه ذو
الذقن الغير حليقة والشعر الذى استطال حتى لامس
مقدمة قميصه دون أى ضوابط !!

طالعه أحمد الذى فتح له الباب ببعض الدهشة من مظهره
الغير مهندم شديد الجاذبية أولاً، ومن وجوده أمام بيته
ثانياً !!

رغم أن الأمر يبدو طبيعياً فهذا خطيب أخته قد جاء للزيارة
بموعد مسبق دون أى خوارق وعجائب فى الأمر.. لكن
الخارق أن زين هذا لم يخطو عتبة بابهم هذا إلا مرتين
اثنتين ... مرة حين تقدم لفريدة ومرة حين الخطبة وبعدها
يشك أحمد أنه قد نسى طريق البيت بالأساس !!!
_اتفضل يا زين .



قالها متحكماً في دهشته فدلف زين خلفه بخطٍ مترددة، و
بعد الكثير والكثير من الرسميات والتي شابهها بعض الود
من قبل أحمد لكون صديقه ضيفاً عنده في بيته ... أخيراً
أنفرد بها في غرفة وحدهما رغم أن بابها مفتوحاً على
مصرعيه في مواجهة أحمد الذي يجلس قبالتها خارج
الغرفة وعينه فوقهما لا تبارحهما !!

نظر زين لهيئتها التي لا تدل على الحالة النفسية التي وصلته
عنها ... فهو ظنها منهارة، تبكى، تنعى حظها العثر في حبالها،
نقص وزنها وتحديد الهالات السوداء لعينيها الزمردتين إثر
مجافاة النوم لها تفكيراً فيه وفي حاله الذي يصعب على
الكافر !!

لكن عندما يصطدم تفكيره عن هيئتها في خياله بهيئتها على
الواقع يسفر التصادم عن تحطم ذو صوتٍ عالٍ لكبريائه
الذكوري الذي كان ينتشئ من الفكرة السابقة !!!



فأمامه كانت فريدة كما لم تكن من قبل ... بكامل أناقتها و جمالها، بشرتها الخمرية التي ازدادت تورداً، وعينيها اللتان رغم الحزن المتفوق في ركن صغيرهما تلمعان بكبرياء لا يمكن إخطاءه، وجسدها الذي ازداد بضع كيلوجرامات ظهروا بوضوح على قوامها الذي مال للامتلاء فجأة بعدما كانت ذوقاً رشيقاً أقرب للنحافة ! لكنه امتلاء مهلك .. وهذا انبئه بأنها من هؤلاء الذين يكتسبون الوزن بسرعة، فهي من إسبوع واحد فقط إجازة قد أصبحت "بطة" متباهية ما شاء الله !!

وعند خاطرته الأخيرة رفع حاجباً ساخراً قبل أن يجبر نفسه على الإشاحة بعينه عنها وقد بادرت أعراض ذبحة صدرية !!

_ خيراً حضرة الظابط، ليه بتبص كده .

نبرتها كانت هادئة، هادئة باستفزاز فقال بعصبية :

_ مستغرب الصراحة، كنت مفكر حالك غير كده !



رفعت حاجباً جميلاً وهى تردد :

_مستغرب ليه، كنت فاكرنى هقعدي ابكى على الأطلال مثلاً و
اقول ياريت إالى جري ما كان .

هزكتفه بلامبالاة دون تعقيب فاشتدت لهجتها وهى تقول
بصوتٍ رغم قوته فلم يكن عالياً لألا يصل لأحمد بالخارج :

_يبقى انت متعرفنيش يا زين، مش فريدة إالى هتقعدي تبكى
وراك بعد وصلة التعذيب إالى ادتها لها فى بيتك صحيح

اتملت مش هنكر لانى بشر، بس مش معناه انى هقعدي
اعصرف نفسى لحد م اموت عشان خاطر الباشا كان

مضغوط وملقاش غيرى يطلع غله فيه ... إالى ميشلنيش فى
عينيه يبقى ميستا هلنيش يا زين، وانا اتحملت منك يامة

عشان بحبك، لكن لو كان الحب كده فمش عاوزاه !!

أطرق برأسه للحظات طالت، ثم رفع وجهه لها قائلاً بملامح
مرهقة :

_انا آسف !!



ظلت صامته بلا تعبير أمامه لوقت طويل قبل أن تهمس :

_وانا اسفك مش هينفعنى .

هم بقول شئ بسرعة لكنه صمت أمام استطرادها بملامح

لم يخفى عنهما الألم :

_مش هينفعنى لما اقعد طول الوقت ده مش شايفة نفسى

غير طيف لمراتك الأولى، مجرد سد خانة فى حياتك .. تقدر

تتخيل نفسيتى وانا حاسة نفسى انى فرضت نفسى عليك

بالعافية وانت من الأول مكنتش مستعد لارتباط من اى نوع

دلوقتى .. تقدر تتخيل كلامك عمل فى ايه .

صمتت لاهثة وصمت هو أيضاً متطلعاً لها دون حديث، ثم

قال بعد فترة صمت بخفوت شديد :

_اسف .. والله اسف !! اسف على كل إالى قولته، اسف انى

سببتك كل ده، اسف انى اجبرتك تتحملى كل ده عشان

متبينيش إالى حصل بينا قدام حد .



قبض كفيه فوق ركبتيه بتلك الحركة التي جذبت نظرها
يوماً حين ينفع، وهذا ما جعلها توقن أنه آسف فعلاً
داخله كما قال !!

رفعت عينيها إليه ثم قالت بهدوء لكنه لم يخلو من لين
استجد على نبرتها :

_وانا قبلت اسفك يا زين، زى ما على طول بقبل منك أى
شئ ... والمرة دى مش هتكون إستثناء .

ما كادت ملامحه ترتاح قليلاً إلا وقد علا صوتها مجدداً بنبرة
شرسة مندفة :

_بس وربى وما اعبد ... غلطة كمان زى دى ف حقى، أوأى
خلط بينى وبين حق مراتك يا زين صدقنى حبك مش
هيشفعلك أبداً !!

ثم استطردت منفعة :

_انا من ساعة م عرفتك عمرى م منعتك عن ذكرها ولا
منعتك عن انك تجيب حقها لانى فاهمة كويس انت جواك

ايه، وايه حجم الذنب إالى انت حاسس بيه ... لكن لكل
إنسان طاقة يا زين، وأنا طاقتي معاك بدأت تخلص !
أتمت حديثها ثم استقامت واقفة وهى تقول بجدية مشيرة
له بسبابتها :

_انا معدش عندى كلام اقوله تانى، وخليك عارف انى
تنازلت عن حقى المرادى .. عندك واحدة كده يا زين .
أنهت حديثها ثم استدارت مغادرة أمام أنظار أحمد الذى
تابعها إلى أن دلفت إلى غرفتها ثم اقترب من زين متبادلاً معه
بعض الحديث قبل أن يستأذن الأخير للمغادرة !!
وبعدما غادر زين توجه أحمد مباشرة نحو غرفة فريدة،
فتح الباب ووقف مستنداً بكتفه إلى إطاره وهو يراقبها وقد
اتخذت من طرف فراشها مجلساً، دافنة وجهها بين كفيها
باكية !!

_انتى عملتى الصبح .. وخليك عارفة انى فخور بيكى ي فريدة

أبعدت كفيها عن وجهها المغرق بالدموع ناظرة له لوهلة قبل
أن تبسم بخفوت هامسة باختناق :

_مكنتش هعرف اخبى عنك حاجة، وكنت واثقة انك
هتقف جنبى حتى لو كنت غلطانة .

فك ذراعيه متوجهاً نحوه، حتى جلس جوارها وأحاط كتفيها
بذراعه قائلاً بابتسامة :

_انا مقدر موقفك ..وواثق فيكى يا فريدة، وإلى عملتيه
معاه انهاردة كان احسن حاجة عملتيها .

صمت للحظة متطلعاً فى ملامحها المحببة ثم قال بخفوت :

_انا عمري م هاجى على مصلحتك عشان حد أبداً .. بس انا
هنصحك نصيحة، خليك جنبه، طالما انتى عاوزه كده و

عاوزه يبقى فيه مستقبل لعلاقتكم، إنما لو انتى مش عاوزه
يبقى فيها كلام تانى وانا عمري م هجبرك على حاجة انتى
مش عاوزاها..



لكن زين بيعانى ولو انتى هتكونى دواه وقد المسؤولية دى
وانتى عاوزة تشيلها فأنا هفضل فى ضهرك عشان نطلعه
من إالى هوفيه خليك عارفة يا فريدة أن احساسه
صعب؛ صعب جدا... انك تكون سبب فى ضياع الحياة من
حد وخاصة لو كنت بتحبه ده شعور وحش اوى يا فريدة، و
زين الاحساس ده متمكن منه للدرجة إالى انتى شايفاه عليها
دى ... كل قناعاته بالقضاء والقدر وأن ده عمرها اتهدت فى
لحظة واحدة ومفضلش غير شعور واحد .. أنه لو مكنتش
دى حياته مكنش ذكرى حصلها كده !!

طالعتة فريدة للحظة عاقدة حاجبها بتساؤل وكأنها تسأله
عن معنى حديثه وكيف عرف كل هذا عن دواخل زين ..
لكنه ابتسم وهو يقول :

_متستغريش، احنا قربنا جدا من بعض الفترة إالى فاتت و
خاصة لما جه وطلب إيدك .. فضلاً عن انه كان صاحبي من



زمان أصلاً.. بس ف سبب تانى، أنه هيخطب اختى فكان لازم أتأكد انى هديها لحد يستاهل ... وزين يستاهل يا فريدة، بس إالى يقدر يكمل معاه !!

اومات برأسها مؤكدة تزامناً مع عبرة انحدرت على وجنتها رغم الابتسامة الخافتة وهى تسأل :

_ انا فاهمة كل ده والله، بس انت مش زعلان منى؟

تهند أحمد بمسرحية وهو يبتعد عنها قائلاً بهدوء :

_ هو انا كنت هزعل أنك خدتى الخطوة دى من دماغك، كان

ممکن مثلاً تكلمينى ونروح نطمئن عليه سوا مش تروحي من

دماغك كده ولوحدك .. لكن عشان صارحتينى والموقف

المأساوي إالى حصل فأنا تغاضيت شوية عن إالى عملتيه !

تمسكت بكفها فى ذراعه كطفلة صغيرة وهى تقول فجأة

بضحكة بينما تمد كفها الآخر تمسح دموعها بظاهره، تهتف

وهى تقبل خده :

_ والله م بحبك من فراغ يا اخى .



ضحك أحمد وهو يبعدها عنه بخشونة هاتفاً بصرامة
مازحة :

_ بنت .. أبعدى كده ف ايه، انا قولت تغاضيت عن الموضوع
شوية مش كثير!!

قبلت خده مجدداً وهى تهتف :

_ ولو ... لازم برضودانت أبو حميد !!

امتزجت ضحكتهما وهما يتمازحان لدقائق قبل أن يتركها
أحمد ويخرج من الغرفة .. حينها تنهدت فريدة وهى تستقيم
واقفة، مقتربة من نافذة غرفتها والتي ما إن أبصرت منها
حتى وجدت سيارته كما هى مصطفة تحت بنايتهم البسيطة
!!

حدقت فى السيارة باهتمام لكنها لم تلاحظ أى شئ .. لكنها
سمعت صوت وصول رسالة على هاتفها، فأسرعت
بالتقاطه لترى رسالة صوتيه منه .. عقدت حاجبها ببعض
الريبة قبل أن ترمى نظرة أخيرة على السيارة الرابطة

بالأسفل قبل أن تضغط على زر تشغيل الرسالة الصوتية
!!

لحظات وأتاها صوته مدندناً لثاني مرة :

"يا سمرا ياللى عنىكى كدايين !!"

اجفلت للحظة على سماع صوته فأغلقت الرسالة مرة
أخرى تحديق فيها بحاحيين معقودين وكأنها أمام طلسم
عصى !!

لثاني مرة يحاول مصالحتها ب "أغنية" وكأنه ضمن مكانته
عندها أبداً .. فيظن أن مجرد سماع صوته لديها ينسيها أى
سوء من قبله فى حقها !!

حككت جبينها ببعض التردد قبل أن تضغط على زر التشغيل
مرة أخرى، ممنية نفسها أن موقفها الجاد الحازم الذى
اتخذته منه لن يتأثر من سماع مجرد صوته ..

لكنها أغلقت الرسالة مجدداً بعدما سمعت كلماتها
المأساوية وهى تنظر لها مبهوتة، أيتجراً وينعتها هى ب "رهانٍ

خاسر" .. ؟ تود لو تسأله الآن .. إذا كانت هي رهانٍ خاسر،

فماذا يكون هو بالنسبة لها؟؟

وأجابت نفسها ساخرة :

_ خيبتى الثقيلة !!

هزت رأسها بياس قبل أن تضغط الزر مرة أخرى ليصدق

صوته العذب عبر الأثير بينهما ..

وفى النهاية زمت شفيتها بانفعال وكادت تلقى بهاتفها من

نافذة الغرفة !!

مسحت بكفها على صفحة وجهها، مهدئة نفسها ببعض

الجهد وهى تهمس فى سرها حتى العاشرة !!

يقول لها هى هذا الكلام ...!! هى التى صدى كلماته الجارحة

بغباء مازالت تاركة آثارها فى نفسها، يقول لها هى هذا الكلام

!!!!

_ قال صبرت صبر لو شاله الجبل هيميل اه !!

صبر على من ؟ هل رأى منها شيئاً حتى الآن !!

أمسكت الهاتف بكفيها، ومن فرط الأنفعال لم تكتب بل
هتفت في رسالة صوتية مماثلة :

_تصدق بالله ... انا غلطانة انى عملت بأصلى ومطلعتش
عينك على إالى قولتهولى ده كله .. انت .. انت ... انت .. انت هتشلنى
!!!

تحرك بسيارته مبتعداً عن حيم وهو يكتب على هاتفه :
_بس صالحتك، وغنيتك لتانى مرة مع انها محصلتش مع
حد قبل كده ... يبقى خلصانة !!
وابتسم متخيلاً تعبيرها وملامحها فى هذه اللحظة، ثم ركز
اهتمامه على الطريق، منحياً فريدة من تفكيره قليلاً الآن ..
ليتفرغ للأمر الآخر... مستأثراً بجميع خواطره له !!!

=====

جلس على أريكته الوثيرة فى غرفته بعدما عاد لتوه من عمله
وقرر مباشرة أن يحدثها فى ذلك الموضوع الذى كان غائباً

عن ذهنه .. وراوده اليوم أثناء عمله مانعاً إياه من التفكير
في سواه !!

أخرج معاذ هاتفه من جيبه وقد قرر محادثتها كتابة، فهو
لن يقدر على الخوض في هذا الحديث مجدداً صراحة !!
ولحسن حظه كانت متصلة بالإنترنت فرفع رأسه لأعلى
متخذاً نفساً عميقاً قبل أن ينكب على الهاتف يبدأ في
الكتابة :

_رنيم !

وسرعان ما أتته الإجابة ساخرة :

_اعرف واحد قالى مش هتشوفينى ولا تسمعى صوتى غير لما
معاد الفرح إلى لسه مش عارفينله اول من آخرىجى .

تأفف معاذ وهو يقابل هذا الجانب الساخر شديد البرودة
منها .. تعامل مسبقاً مع جانبيها العنيد .. والمستلم الوديع .. و
العصبى أيضاً، لكن هذا الساخر البارد لم يحبذه أبداً .. بل
ويصعب عليه مهمته الآن !!



لكنه تحكم فى رؤيته وانطباعه عن جوانب شخصيتها
العديدة وهو يكتب لها :

_ماهو انتى مش هتشوفينى ولا هتسمعى صوتى انا هكتبك
بس .

_وجهة نظرفعلاً!

_المهم بقى ... الفرح انا لسه محددتش معاده أمتة بالظبط
غيرلما اظبط شوية أمور تخص الشغل والعيلة وكده ..
لكن ..

وصمت للحظة بعد أن أرسل تلك الرسالة يستجمع
شجاعته ثم استكملها :

_احنا مش هننكر إالى حصل بينا وعاوزين نتعامل مع
الموضوع بتفهم شوية ..

توجست رنيم خيفة من مقدمته المطولة قبل سؤاله الذى
إلى الآن لم يصل، رغم أنها تقريباً قد خمنته .. وبالفعل أتاها
:

_رنيم ... محستيش بأى أعراض طول الفترة إالى فاتت؟؟
أقصد يعنى أى أعراض تخص .. تخص الحمل !! ده .. ده
احتمال وارد أنه يحصل مش كده؟

وعلى الجانب الآخر أطلقت رنيم ضحكة عالية لم تحدد
بالضبط ماهيتها، هل هى ظافرة لأن كان تخمينها صحيحاً ...
أم مرة لإضطرارها الإجابة على سؤالٍ كهذا دون زواجٍ معلن
... أم ساخرة من الوضع بأكمله؟؟ لكن الواضح كان أنها لا
تمت للمرح بصلة !

لكنها أرغمت نفسها على الكتابة :

_مانت لو كنت اهتميت وسألت طول شهرين فاتوا واكثر
..كان زمانك عرفت !!

_رنيم ردى على السؤال، انا طول الفترة إالى فاتت كان رايح
عن بالى حاجة زى دى، لسه واخد بالى انهاردة .. فأرجوك
ردى على قد السؤال .

ساد الصمت لفترة قبل أن تصله إجابتها :



_ لا يا معاذ متخافش .. مفيش حمل حصل !!
ومن ثم أغلقت هاتفها ملقية إياه على الأريكة التي تجلس
عليها مثل جلسته على بعد كيلومتراتٍ منها، وقد يكون أقرب
إليها من نفسها للحد الذي يجعله يسأل عن هذا الشئ
تحديداً في نفس اليوم الذي تساءلت فيه هي : لماذا لم
يستفسر عن الأمر حتى الآن !!!

أما معاذ فقد تنفس الصعداء، ملقياً رأسه للخلف على
ظهر الأريكة غير قادراً على وصف شعوره على وجه الدقة !!
فمشاعر عديدة اجتاحت هذه اللحظة !!
خوف .. خوف من أن تكون فعلاً حامل فيضطروا لإقامة
حفل زفاف لعروس ببطنٍ منتفخة تحمل جنيناً كالدول
الغربية مثلاً ... فيزداد الوضع تأزماً بينهما ..
خيبة أمل ... ناجمة عن واقع عدم حملها بطفله وهو الذي
يتمنى طفل منها هي لا غيرها ...



راحة ... لأنها بالفعل ليست حامل !!
كل هذا مشاعر عديدة اجتاحتها في لحظة واحدة فاربكتها
تماماً وجعلته غير قادر على تحديد شعور واحد يستقرأه !!
لكنه تمتم بالنهاية :
_ الحمد لله على كل حال .

=====

دلفت حلا من باب غرفتها بعدما عادت لتوها من جامعها
فاستقبلها حازم الذى كان سبقها عائداً من الخارج منذ
بضعة دقائق بقلق حين رأى علامات الإرهاق البادى على
وجهها وقسماتها !!

سارع حازم بالتقدم نحوها متمتماً بقلق بينما يمسك
مرفقها بيده سائراً جوارها حتى طرف فراشهما :

_مالك يا حلا .. تعبانة كده ليه ؟

فأجابته بأنفاسٍ لاهثة، متوترة :

_تعب الحمل مع الجهد وكده ... لكن فى حاجة حصلت
انهارده ملغبطانى .

عقد حاجبيه متوجساً، ثم سألها بصوتٍ واهٍ، مدققاً فى
ملامحها المرهقة، المضطربة :

_حصل ايه .

وإجابتها جاءت متوترة، زادت من حدة مشاعر الخوف
المتنامى داخله خاصة فى مثل تلك الظروف التى يمرون بها :

_كانت فى عربية مراقبانى انهارده، ومش انا بس إالى لاحظت

كده، عمى حسن السواق كمان لاحظ وحاول يتوهها مرة

ورا مرة .. لكن إالى فيها كانوا مراقبيننا كويس بس

متدخلوش ولا حاولوا يقطعوا طريقنا حتى هما بس

اكتفوا بالمراقبة من بعيد .

غامت عينا حازم بشرود وهو يستعيد حديثها فى عقله ...

يحسب حسبته ويضع احتمالاته عمن يكون هذا الشخص



.. إن صحَّ حديث حلا وكان فعلاً أحد يراقبها وليس مجرد
صدفة !!

لكنه في النهاية نظرلها بجدية قائلاً بهدوء :

_مش عاوزك تقلقى ولا تحطى فى دماغك ... بس اقعدى
الكام يوم دول من الجامعة مش لازم تروحي ... عشان تعبك
وكم ان عشان اشوف ايه الموضوع بتاع حد يراقبكم ده .
زمت شفتيها بعدم اقتناع للحظة، لكنها أثرت الإنصياح
الآن، خاصة وما حدث أربكها كثيراً ولأول مرة تسلل الخوف
إليها ... فى بادرة غريبة عن طبعها نارى النزعة !!

=====

رفعت وجهها عن الكتاب الذى كانت تغوص فيها منذ مدة لا
بأس بها .. زافرة بتعب !!

قرب امتحاناتها جعلها تتأدب قليلاً وتداوم على دراستها التى
أهملتها مؤخراً بأنشغالها مع أسروما إلى ذلك .. والآن فقط
اكتشفت أنه كان محقاً حين قال أنه سيباعد ويسافر إلى أن

تنتهى امتحاناتها فهى فعلاً لا تولى دراستها اهتمام أمامه،
وكأن كل شئ يزهد مقارنة به !!

زفرت مجدداً .. لكن تلك المرة بأكثر حدة وهى تغلق الكتاب
ببعض العنف وتنهض عن مقعدها تتمشى فى غرفتها دون
هدف واضح سوى التفكير !!

أسريخفى شيئاً، شيئاً جلاً وإلا لما أصر على السفر وترك
كل شئ هنا بمقابل حجج وهمية يلقيها على مسامعهم
الغريب فى الأمر أنه يطلب سفرة واحدة .. سفرة واحدة
فقط !! ولماذا تحديداً .. هى لا تعرف !!

تخشى أن تضع احتمالات سيئة عن الأمر فتسئ الظن به و
تفتعل مشكلة من لاشئ ... وتخشى أيضاً أن يكون هناك
أمراً مخفياً عنها وهى هنا لا تدري خطأ من صواب !!

لا تريد أن تكون مجرد "تحفة للزينة" يضعها فى حياته لحين
الإنهاء من أسرار الدفينة ليعود ويتأمل جمالها، هى لا



تشك بحبه لكنها تشك فيما قد يخفيه عنها .. وأسربالتأكيد
يخفى شيئاً !!!

اكتنفت رأسها الذى يضج بالكثير بين كفيها لا تعلم ما
يتوجب عليها فعله، ولا ما هو التصرف الأمثل فى موقف
كهذا !!

فهى واقعة بين نارين، إما أن تصدق وتثق به، وإما أن
تستلم لوحش الشك داخلها ينهش ما بقى من حبها المراهق
له !!

نعم ... حبها مراهق، وهذا أيضاً تخشاه !!
تخشى أن يأتى عليها يومٌ حين تنضج تنعى فيها مستقبلها
الذى سيضيع مع اختيار مراهق منها !!!

لا تعلم لما صارت تفكر هكذا تفكير لكن يبدو أن ما تمر به
يتكاتف مع مخاوف أسر السابقة كلها فيلقمها مزعزعة
الفكر فى أرض تميد بها من كثرة ما يتخاطر إليها !!



ارتمت جالسة على طرف الفراش خلفها، محدقة في نقطة وهمية على أرض الغرفة، ولاذت بحضن الصمت لوقتٍ طويل لم يقطعه سوى سماع صوته أتيّاً من الطابق السفلي، ينادى عليها، ربما؟؟!!

زوت ما بين حاجبها بإدراك ثم استقامت خارجة من الغرفة دون أن تعباً بستر شعرها المعقود خلف عنقها في ربطة مهملة، ولا بثيابها البيتية شديدة العفوية!!

وقفت أعلى السلم، تتدلى بنصفها العلوى تحاول رؤية مع من يتكلم، فوجدت أبيها يوليها ظهره ويبدو من ملامح أسر الساكنة ببرود أمامه أنه يتلقى تقريراً ربما.. لكنها التزمت الحيادية إلى أن انتهى أباهما وخرج من البيت، حينها رفع أسر عينيها نحوها وهي واقفة أعلى السلم، تسمرت قدميه في الأرض لبعض الوقت وداعبت صورتها هكذا عينيها فحفرها في مخيلته تلقائياً لربما احتاجها في أوقاتٍ عجاف ستمر عليه ...



بادلته النظر بصمت وقد عملت رؤيته على قدح هواجسها
ناحيته مرة أخرى فأضرمت داخلها النيران التي لا تهدأ...
لكن حين طال شرودها وجدته ماثلاً أمامها بعدما صعد
السلم نحوها وفي يده العديد من الأكياس البلاستيكية التي
تعلقت عيناها بهم، فراقب نظراتها بطرفٍ خفى قبل أن
يضحك بثاقل وهو يقول ممازحاً :

_جبتلك شوية حاجات لزوم المذاكرة وكده يعنى، بس
الحاج ابوكى الله يسامحه استلمنى على الباب سد نفسى
عن الدنيا وإلى فيها .

ضحكت ضحكة خافتة دون معنى وهى تراقب ملامحه
باهتمام؛ تحاول أن تستشف منها أى شئ مخفى خلف
قناعها المرح المحب .. لكن لا جدوى، لا جدوى فى ذلك كما لا
جدوى من كل الاحتمالات التى تحاول وضعها منذ أن داست
أقدام الشك أرض قلبها الرطبة فتركت أثرها غائراً !!
_شكراً على الحاجة اتفضل ننزل نتكلم تحت شوية .



بهتت ابتسامة أسرامام كلماتها الهادئة، المنافية لسجية
أروى شديدة العفوية والإنطلاق .. لكنه جاراها فيما تريد و
التف قاطعاً السلم نحو الأسفل مرة أخرى مبتلعاً تعليقاً
ساخراً، مرحاً عن وقوفها أمامه دون حجاب بعدما كانت
تتمنع بطفولية !

.....

استقرت أروى جواره على الأريكة في بهو البيت وقد اخذهما
الحديث في نزهة مطولة رغم أنف شكوكها واعتراضاتها،
نزهة تخلت فيها عن كل ما يؤرقها عليها تمحو داخلها كل ما
عداها ...

لكن اهتزازها تلف أسراق القابع في جيبه أصمته للحظة
استغرقها في كتم صوته ورميه بإهمال مجاوراً له على
الأريكة .. وقد بدا أن من يتحدث معه هذا لا يتوقف عن
الحديث لا ليل ولا نهار، ثم عاد إليها بجل اهتمامه مجدداً
يستأنف حديثه معها، لكن هي لم تكن معه .. ففكرها كان

مشغولاً بمنظرها تفه الملقى جواره على الأريكة .. تناظره
كمن يبصر وحشاً سينقض على حياته فيحيلها مجرد ذكرى
باهتة !!

لكن اللقاء انتهى بأسرع مما توقعت بل أسرع مما تمنيت
لكنها ابتسمت بتكلف مودعة قبل أن تهتف فجأة حين
أولاهها أسرظهره مستعداً للرحيل :

_ممكن تجيب تليفونك اعمل بيه مكالمة ضرورية عشان
تليفونى فصل شحن .

نظرة أسر الذى رمقها بها بعدما استدار لها عائداً اشعرتها
بكم غباء مطلبها وكم هى ساذجة حتى تأتى بحجة تافهة
كتلك كى تأخذ هاتفه، خاصة وأن هذا أسر الذى لن
تستطيع خداعه مطلقاً لكنه ابتسم يجاريها فيما تريد
وقدم لها الهاتف قائلاً بهدوء :

_اتفضلى .



ابتسمت بارتجاف وهي تلتقط منه الهاتف متجهة نحو
غرفتها وهي تقول :

_هطلع بس فوق عشان هملى واحدة صاحبتى حاجة من
دفتر معايا .

قالتها ثم تركت قدميها للرياح تعدو نحو غرفتها فى الأعلى غير
عابئة بعدم ترابط ما تقول ولا بتلك الكذبة البلهاء التى لا
تليق بطفلٍ حتى !!

لكن عينا أسر الذى راقبها تهرول أمامه افصححت عن الكثير
!!

أروى طفقت تشك به !! وهذا يحفر فجوة كبيرة بينهما هو
غير قادر على ردمها حالياً !!

ربما فى وقتٍ لاحق يستطيع فيه قول أى شئ، ويبرر أى فعل
.. لكن الآن لا يستطيع ... لا يستطيع فهو مكبل بقيدٍ وهمى،
معتكفاً فى دوامة سوداء اختيارية يعلم أنها قد تكلفه أروى
ذات مرة ... لكنه غير قادر على فعل شئ سوى الاستسلام

لدفة قيادة الحياة وهى كفيلة بإعادة كل شئ لمجراه
الطبيعى ... ولو بعد حين !!

أما بالأعلى استقرت أروى على طرف فراشها لاهثة بترقب و
أنفاسٍ ذاهبة !!

حان الوقت لتعرف ماذا يدور خلفها وبالتأكيد ستجد
الإجابة على هاتفه هذا لو كان هو لا يمحي كل شئ خلفه أول
بأول !!

فتحت هاتفه بأصابع خرقاء وبحركات عصبية هدأت قليلاً
حين وجدته دون كلمة مرور...تفقدت سجل المكالمات
فوجدت أرقام كثيرة غير مسجلة لم تجد الوقت لتصويرها
أو نقلها أو حفظها فى عقلها حتى ... والمكالمات ليست
مسجلة أيضاً !..

فتركت سجل المكالمات وانتقلت لحساباته الشخصية على
مواقع التواصل !

ولخيبة أملها وجدتها جميعها مغلقة بكلمة مرور !!



صوتٍ مستنكر غير مفهوم عبّر حلقها... ماذا كانت تظن !!؟؟
سيعطيها هاتفه هكذا بكل يسر وهو يعلم أنها ستبحث فيه
عن أى شئ يهدئ النار المندلعة داخلها قليلاً.. بالطبع هو
سيحى نفسه من كل هذا دون إثارة شكوك أحد، لكن الأمر
قد تم معها وقضى !

أخذت نفساً عميقاً متوتراً وهى تجرى عدة محاولات -حسب
ما اهتدى عقلها- لفتح القفل الإلكتروني لكنها جميعها
باءت بالفشل !!

جربت اسمها او اسمه ... جربت تاريخ مولدها والتاريخ
خاصته ... جربت كل شئ ممكن لفتحها لكنها لم تجد
النجاح فى أى منها، وبالطبع لم تجد الوقت فسرعان ما
تعالى صوت أسر من الأسفل منادياً عليها !!

فتوترت أكثر والتمعت حبات العرق الباردة على جبينها
الوضاء، تهز ساقيها بعصبية وتقضم أظافرها بعنف لا



تعرف ماذا تفعل وشكل القفل أمامها تشعر به يواجهها
ويرنو إليها ساخراً من محاولتها لفتحه !!
نداء آخر منه أتاها فهتفت بعصبية إثر اندفاع الأدرينالين
عبر أوردتها :

_حاضريا أسرجاية اهو..

جربت في محاولة أخيرة بأئسة اسم "درة" حين تراءت إلى
عقلها رؤيته معها في جميع أوقاتها وقربهما من بعضهما
كثيراً، لكن أيضاً تلك المحاولة أضحت فاشلة !!!
فكادت تضرب الهاتف في الحائط، لتهشمه في نوبة غضب !!
لكنها وبمحاولة أخرى يائسة هذه المرة، كتبت اسم درة مرة
أخرى لكن بالإنجليزية وللحظة لم تصدق أن القفل فعلاً قد
تلاشى !!!!!

حدقت في الهاتف بضع ثوانٍ ذاهلة، لكن صوته دوى للمرة
الثالثة جعلها تستفيق وهي تحاول أن تجد أى معلومة على
تطبيق "الواتساب" الذى فتحته !!

وجدت رقماً غير مسجلاً جواره علامة وجود رسالة غير مقروءة وتبدو أنها الرسالة التي جاءه إشعارها منذ قليل .. فتحت المحادثة بسرعة وبأصابع متسابقة لكن أمام ما وجدت وفهمت من وسط الحديث الكثير تلاشت السرعة وحل الجمود !!

تلاشى التوتر وحلت الصدمة !!

خبي البريق في عينيها وحلت محله نظرة جليدية دامية !

فأمامها وجدت عبارات بالإنجليزية مثل :

"لماذا تتأخر في السفر كل هذا الوقت ؟"

"أسرع يا أسر، الطفل يحتاج لمن يرعاه وانت لم تشترني

لتجعلني اتكفل به كل هذا الوقت وحدي لأنني فقط أمه، و

اباه أولى به مدام على قيد الحياة ."

"أنا تعبت من تحمل المسؤولية وحدي، أسرع بالعودة الولد

يحتاجك !!"



"يا الهى ..أعذار أعذار أعذار... كلها حجج وهمية يا أسرلا
تمنعك من المجئ ... أنا انتظرك منذ شهور وأنت لا تحرك
ساكناً نحوى .."

"المال الذى كان معى قد نفذ وأريد غيره، فمصاريف علاج
الولد كثيرة وأنا لا أقدر عليها وحدى، وما دمت موجوداً وحيّاً
فأنت أولى برعايته ."

"أسرع بتحويل المال فأنا أحتاجه والطفل أيضاً يحتاج
مصاريف."

"يا أسرالولد يحتاجك عجل بالسفر.."

_اروى !!!

النداء الأخير هذه المرة كان من خلف باب غرفتها، فكان أشد
وطأة، وأعلى وقعاً على أذنيها، وكان كحافز لأعصابها
المتجمدة لأن تتحرك فى جزء من الثانية فأغلقت كل ما
فتحته وأغلقت الهاتف كله !!



حينها فتح هو الباب هاتفاً باسمها الذى تلاشى على شفثيه
بعدها وجدها أمامه تعطيه هاتفه عبر شق الباب الصغير
بابتسامة باهتة !!

لم يستطع أن يستشف أى شئ من ملامحها لكنه بادلها
الابتسامة وهو يودعها بكلمات كانت مشوشة، ثقيلة على
ذهنها كي تستوعبها فى هذه اللحظة، ومن ثم التف مغادراً
.... ويبدو أنه سيغادر للأبد هذه المرة !!

أغلقت باب الغرفة خلفها بملامح جامدة لا تعبر ولو بنذرٍ
يسير عن ذلك البركان الذى يفور داخلها ملقياً بحممه فوق
قلبها، مُحرقاً إياه دون هوادة !

لكن رد فعلها جاء صادمًا بشدة حتى بالنسبة لها !!
فرد فعلها لو كانت تتصرف بطبيعتها.... كان سيكون انهياراً
بكل ما تحمل الكلمة من معنى بعد المصيبة التى اكتشفها
للتو على هاتفه !!



لكن ولصدمتها فهي فقد استدارت عائدة خلف مكتبها، و
فتحت كتبها مرة أخرى ومن ثم دأبت على الدراسة الطويلة
.... الطويلة جداً !!

حتى ظلت ساعاتٍ طويلة وساعاتٍ أخرى حتى حل الليل
عليها وهي ما زالت على جلستها ... تدرس وتدرس وبتركيز
شديد مضاعف عن كل أوقاتها السابقة !!

و حين انتصف الليل تركت القلم من يدها محدقة في
الفراغ أمامها للحظة !!

كانت لحظة واحدة تركتها لعقلها أن يستوعب حجم
المصيبة ويرددها .. "أسرمتزوج أوليس متزوج، الله وحده
يعلم .. لكن الحقيقة الساطعة أن لديه طفل !!!!!!"

وعلى هذا دمعة وحيدة انحدرت على خدها، استشعرت
ملوحتها على شفيتها، رفعت يدها تمسحها عن وجهها
بعنف ومن ثم عادت لكتابتها مرة أخرى !!



غير سامحة لنفسها حتى بحرية الانهيار بكاءً على "حبٍ
مراهق"!!!!

=====

استلقت داليدا على سريرها بدلال واضعة يداً خلف رأسها
ويداً تستريح فوق بطنها المسطحة، متطلعة لسقف الغرفة
ترسم آمالاً وردية، وأمنيات بحجم كل العشق الذى تكنه له
.. غير مدركة حتى الآن وحتى عمرها الذى تخطى التاسعة و
العشرين، ورغم مآسى ماضيها أن الحياة لا تهدى آمالاً و
أحلاماً وردية تسقى بها مخيلتنا الجامحة إلا بعدما تزيقنا
النقيض وتقسم أننا تعلمنا الدرس جيداً!!

اتسعت ابتسامتها بعدما سمعت صوت وصول رسالة على
هاتفها منه ففتحتها بسرعة قياسية لتواجهها كلماته
المعسولة :

(بكرة معادنا بتاع كل أسبوع، إالى كان المفروض نتقابلوه
فيه ف المطعم بعد ما اجيبك من عند الدكتور النفسى

"وجه ضاحك" .. بس للأسف راحت علينا سرقة المقابلات،

بكرة تبقى فى بيتى واقابلك كل يوم "وجه غامز" (!)

ضحكة شقية أفلتت من بين شفتيها فزمتها بحزم وهى

تكتب له بلهفة :

(اقولك على سر؟)

(مش مرتاح للسرانا .. بس قولى)

عضت على شفتيها وهى تكتب، مجاهدة ابتسامة تريد

الظهور للحياة ورؤية النور :

(مكش فيه دكتور نفسى ... انا روحته مرتين بس، ومن

بعدها مبقتش اروحه، فى المرات اللى اتقابلنا فيها بعدها

كنت بوصل قبلك بشوية صغيرين واستناك دقايق لحد مل

تيجى واقولك انى كنت عند الدكتور !)

وعلى الطرف الآخر فقد اتسعت عينا أدهم محدقاً فى

كلماتها أمامه !!



مُتسَاءلاً بدهشة!! هل هذه داليدا؟؟! الخجولة المتعثرة،

مفتقدة الثقة في النفس حد إثارة الشفقة!!

ووجد لسان حاله يهمس بخفوت مشدوهاً:

_تحت السواهي دواهي صحيح!!..

====



الفصل الخامس والعشرون

=====

حفل زفاف أدهم وداليدا ..

والذى أصرت داليدا على إقامته رغم اعتراض عبير فى أول الأمر خوفاً من تناقل الأقاويل بين المدعوين عن زواج أدهم الأول والذى لم يعرف أحد بعد أنها أخفت أمره عن داليدا لرغبة دفينه داخلها فى عدم إفساد سعادة ابنها! .. إلا أن إصرار داليدا على إقامة حفل زفاف جعل الأمر يتعقد قليلاً خاصة مع مساندة أدهم الذى لا يعرف شيئاً لها!!
لذا رضخت عبير فى النهاية ووافقت على إقامة حفل الزفاف مع إشرافها الكامل على كل المدعوين إليه!!

.....

كان الليل قد أسدل ستائره على السماء التى تزينت بما صبح النجوم فى هذه الليلة التى كانت تعد من أهم اليالى فى حياة داليدا كلها!!

كانت جالسة أمام المرأة فى صالون التجميل تتأمل مظهرها
منيرة بل مذهولة وهى لا تصدق حتى الآن أنها دقائق
معدودات وتصبح زوجة أدهم رسمياً !!

وأثناء تطلعها لفستانها الأبيض المرصع بالماسات صغيرة
لامعة، وحجابها الأبيض البهى، اصطدمت عيناها بمظهر
فريدة المتقوقة على نفسها فى مقعد يبعد عنها مسافة لا
بأس بها !!

عقدت داليدا حاجبها وهى ترمق فريدة بنظرة متحيرة،
لتستدير متجهة نحوها تمسك بحافتي الفستان بين يديها
وهو يصدر حفيفاً على الأرض المصقولة تحتها، إلى أن
واجهتها فرفعت فريدة وجهها إليها ببطء وعينين حزينتين
لانتا قليلاً حين قابلت ابتسامة داليدا الجميلة ... أحاطت
داليدا وجهها بكفيها وكان ذلك بمثابة إذن لها لأن تشرع فى
بكاءٍ خافت هامسة :

_مش هعرف اقعد من غيرك فى البيت .



بللت الدموع عينا داليدا المكحلتين بعناية لكنها أجبرت
ابتسامتها على الاتساع وهي تبادلها همسها :

_هتحصليني قريب على هناك، ثم إن انا حتى لو مكنتش
اتجوزت كنتى انتى هتتجوزى وتمشى .

هزت فريدة رأسها نفيأً وهي تحاول لاستعادة مرحها عبر
كلماتها التى تلت :

_انا اسيبك وامشى اه .. لكن انتى متسبينيش وتمشى،
عيبة ف حقى دى .

ضحكت داليدا وهي تضمها إليها قائلة باختناق :

_هتفضلى طول عمرك هبلة، عمرك ما هتعقلى .

أبعدتها عنها وهي تهتف بها بصرامة محببة :

_وبعدين انتى لسه ملبستيش ليه، ينفع شغل العيال ده ..

الوقت عدى وانتى لسه حتى ملبستيش فستانك .

مسحت فريدة بدموعها بظاهر كفها وهي تستقيم واقفة

أمامها قائلة بطريقة مسرحية، بعد أن لاذت بحضن المرح



متجنبة حزنها من فراق داليدا الذى أتى سريعاً لأن هذا
الفأر الذى يسمى أدهم متعجل :

_طب روحى انتى خلصى عشان معاد وصولهم قرب وانا
هخلص واجى وراكم .

عقدت داليدا حاجبها وهى تتمتم :

_بس يا فريدة مش هينفع اسيبك وامشى .. لازم تطلعى
معايا خلصى بس بسرعة على ما يكونوا وصلوا .

اومأت فريدة موافقة، ثم تحركت مبتعدة لتشعر فى تجهيز
نفسها ... وبعد أن ارتدت فستاناً بلون أرجوانى لامع التف
حول قدها الذى مال للامتلاء قليلاً الفترة الماضية، جلست
أمام المرأة فى صالون التجميل لتبدأ الفتاة الواقفة جوارها
فى وضع بعض مساحيق التجميل على وجهها، بينما فريدة
نظرت لصورتها فى المرأة، وانتابتها نوبة شرود مفاجئة !!

لا تعرف كيف ستستقبل زين ولا كيف ستتعامل معه ...
صحيح أنها أخبرت أحمد أنها سامحته اعترفت داخلها بذلك

لكنها لن ترضخ له بسهولة؛ فذكرى حديثه السام ذاك
اليوم مازالت تطوف في ذاكرتها كل حين، فتعود إلى مربع
الصفرمجدداً بعدما كانت قد دربت نفسها على النسيان !!

هى تدرب نفسها على أشياء كثيرة فى الواقع !!

مذ عرفته وهى تحاول التأقلم مع كل العراقيل والمطبات
التي تعترض طريقهما سوياً، لكنها لم تعد قادرة على التكيف
أكثر من ذلك، أن أوانه هو ليتكيف معها قليلاً... أن يحاول
زرع نفسه فى تربتها وتحمل ظروفها، فهى قد تعبت من كثرة
التأقلم معه وهو لا يحرك ساكناً نحوها !!

باختصار!!!

يجب أن يتعب ليحصل عليها فهى لم تكن تلك الهينة أبداً، و
لن تبدأ فى التأقلم على هذه الصفة فقط لأجله !!!!

=====

اصطفت السيارات أمام المبنى من الخارج بينما ترجل أدهم
بجلته البهية من سيارته استعداداً للدخول والإتيان

بعروسه، بينما قد سبقه أحمد إلى الداخل الذى ما إن
وصل إلى مكان داليدا وأبصرتها عيناه حتى غشيتهما غلالة
رقيقة من الدموع وهو يحتويها بين ذراعيه برفق هامساً
بتأثر:

_مبروك يا ديدا !!

ربتت داليدا على كتفه بحنو وهي تجيبه بتقليدية، لكن نبرتها
كانت مختنقة بدموعها التى كبحتها قسراً ... فاليوم لن
تعطى لهواجسها الفرصة بأن تفرض سيطرتها الوهمية
عليها مجدداً، هى مقدمة على حياة جديدة كلياً ولا بد أن
تبدأها بنفسٍ جديدة، متحررة من كل شوائب ماضيها
السوداء !!

حين دلف أدهم خلف أحمد كان الأخير ما زال واقفاً أمام
داليدا يحجبها عن عيون من الخارج، فأطلت برأسها من
خلف كتفه تطالع أدهم الذى وقف منتظراً بعينين



شقيتين، أما أدهم ما إن أبصرها حتى ثبت نظره عليها
منتظراً بترقب تلك اللحظة التي سيراهما بها بكليتها !!
وبالفعل تنحى أحمد عن مجال رؤيته، مفسحاً له المجال
ليراها !!

و حين وقعت عيناه عليها بكليتها، بكل جمالها، بكل بهائها ..
علم أن هذه المرأة إن لم تكن في حياته كان سيخسر كثيراً،
علم أنه يعشق هذه المرأة بجنون .. بل هي بالنسبة له الحياة
كلها !!

اقترب أدهم منها على مهل وهو يقر عينيه برؤيتها إلى أن
وصل إليها فانحنى مقبلاً جبهة برقة وهو يهمس :
_مبارك يا "جلالتها" !!

ابتسمت وهي ترفع له عينيهامتسائلتين عن ماهية هذا
اللقب فضحك وهو يهمس جوار أذنها :
_هشرك ف وقت تانى .



حممة خشة من أحمد الواقف مجاوراً لهما جعلت أدهم
يبتعد عنها بينما أحمد يقول مماًزحاً بصرامة متخفية :
_ لسه مكتبناش الكتاب يا باشمهندس .

ضحك أدهم ببعض الحرج وهو يبتعد بضع خطواتٍ
للخلف مما استدعى ضحكة صغيرة على شفتي داليدا
كبحتها بعث !!

=====

كانت الأجواء مشتعلة داخل قاعة الاحتفال، لكن النيران
خارجها كانت أشد فتكاً !!

تلك النيران التي أندلعت عبر أوردة زين وهو واقفاً في
الحديقة الأمامية للقاعة مرتدياً حلة سوداء رسمية يشعر
بها كنار فوق جلده، رفع يده يرخي رابطة عنقه قليلاً متحدثاً
في هاتفه بصوتٍ مكتوم :



_يعنى ايه يا مصطفى غاب عنكم ... بقاله أسبوع برا المدينة
وانتوا مكتشفتوش ده من يومها .. لا هو ولا مراته .. وربنا
إلى يعلم إذا كان لسه فى البلد ولا لا .

شعرزين بأنفاس مصطفى تزداد حدة عند نعت نرمين
بامراته لكنه لم يكن ليبالى فى تلك اللحظة بأى مخلوق آخر،
وإجابة مصطفى أخته غير شافية بالمرّة :

_يعنى وانا كنت هعمل ايه .. لا انا ولا انت ولا اى حد يقدر
يمسك عليه حاجة ولا يمنعه من السفر لاننا معناش أى
حاجة ضده .

_خلاص يا مصطفى خلاص ... انت فين دلوقتى ؟

هدأت لهجة مصطفى نوعاً وهو يجيبه :

_انا على الطريق جايلكم .

عقد زين حاجبيه متسائلاً :

_والبنت فين ؟

_ماسة مع سمية !



وقد كان يعلم وهو يجيبه أن سمية لم تحضر إلى الحفل حتى الآن بل وصلت عند يارا أولاً في البيت لترىها الصغيرة ... لا يعرف لما لا يريحه التفكير في يارا ... فهي بها شيئاً غريباً، صوتها يوم حدثها كان مختلفاً .. حتى أن تلميحات سمية المستترة عن كيفية هي تعاني وتكبت ألمها أمام الجميع لم تفته !!

وقد زاد التفكير فيها حين علم أنها لم تصل للحفل بعد لأنها كانت مريضة .. ترى أيكون بها شيئاً تخفيه ؟؟؟!!
أفاق من خواطره على صوت زين الذي قال متهدداً بتعب :
_ ماشي يا مصطفى .. مع السلامة .

أغلق زين الهاتف ودار حول نفسه زافراً للمرة التي فقد عدها، ثم توجه نحو مقعد بسيط في ركنٍ نأى بالحديقة !!
ومن ثم راح عقله يدور ويدور في أفلاكٍ عديدة كان مركزها "حق ذكرى" !!



لا يعلم هل هكذا انتهى الأمر ويجب عليه أن يسلم للأمر
الواقع ويتجه إلى حياته مع فريدة أم لا ؟!
هل هكذا ستنطوي صفحة ذكرى من حياته وتنتهى للأبد
!!!؟

وتفكيره الأخير أشعره بشعور غير مريح !!
أشعره بأنه مخطئ في حق واحدة أخرى ... ففى سبيل
الحصول على حق واحدة يقايض حق الأخرى عليه به !!
يريد ولو مرة واحدة أن يشعر بأنه غير مقصر مع أحد في
حياته .. يريد ... يريد الشعور بالرضا !
وقد اكتشف أن هذا الشعور لم ينل منه إلا القليل مؤخراً
!!

ولكى يحصل عليه ماذا يفعل؟؟!
فيعود لنفس النقطة مجدداً .. يأتي بحق ذكرى ويتفرغ
لفريدة !!!



دائرة يدور بها دون هوادة .. دائرة تقوده لنفس النقطة كل مرة وهو كالمغيب يأبى التصديق ...

يأبى التسليم للأمر الواقع وكأن كل هذا تبعات لرفضه المتأخر لموت ذكرى ... نعم فهو لم يعترض بالبداية مطلقاً على الأمر وسلم أن هناك شئ اسمه قضاء وقدر ... لكن تحديداً هذا الشئ المسمى بالقضاء والقدر أن الأوان ليتمرد عليه !!!

رفع يده يغرز أصابعه في خصلات شعره مستغفراً ربه سراً .. ثم حاول تهدئة نفسه ليمر اليوم على خير دون مشاكل لأجل أدهم وحظه التعس !!

لكنه عقد حاجبيه بإدراك مفاجئ ... هو لم يرى فريدة منذ بدأ الحفل .. بالتأكيد هي لن تفكر في عدم الحضور فقط لأجله فهذا عرس أختها ولن تضيعه لأجله مهما كان .. إذاً أين هي بعد كل هذا الوقت ؟؟ ! والإجابة على تساؤلاته جاءت أسرع مما تخيل !!



حيث أصدر هاتفه صوت وصول رسالة سارع بفتحها
ليتسمر مكانه للحظة !!

فعلى شاشة الهاتف كانت فريدة تظهر ضاحكة بحرج وصله
واضحاً عبر ملامحها فى الصورة التى أرسلتها لتوها ... كانت،
كانت خلاصة !!

فضحك بالتبعية وهو يملى ناظريه منها قبل أن تتعالى
ضحكته أكثر بعد الحديث الذى رآه مكتوباً تحت الصورة :
(متفكرش انى سامحتك وصالحتك لا سمح الله .. لا انا بس
اتأخرت على ما جهزت وداليدا مشيت قبليا عشان مكنش
ليا نفس اعمل حاجة .. السؤال هنا .. هل انا حلوة ؟؟
بصراحة مترددة وخايفة اطلع بالفستان ده .. حساه غامق
عليا، فقولت اسألك، على الأقل يبقى ليك لزمة بدل م انت
شبه رجل كرسى كده فى حياتى ..)



رغم تقريعها له، وإهانتها التي كان سيتخذها ضدها في موقف آخر لم تكن فيه أمامه بكل هذا الجمال، لكنه الآن يلعن نفسه وطريقة تفكيره ألف مرة !!

يحبها ... أي والله يحبها بل يعشقها ويقسم بهذا آلاف المرات .. لكن القسم لا يتعدى حدود دواخله فعقله لا يريح قلبه أبداً ولا يعطيه الفرصة ليعلن هذا أمامها وأمام جميع الناس على الرغم من خطبتهما المعلنة !!

المعضلة تزداد وتتعدد .. بينما الهوة بينهما تتسع وتتسع مبتلعة داخلها حبهما حديث الولادة !!

لكن .. حق ذكرى حق ذكرى الضائع والذي شاء القدر أن يحرمه من أخذه بنفسه وبالتبعية قد حرمه من أحقيته بشعوره بالرضا وراحة البال !!

زفر بعنف وكرهه لنفسه يزداد مع كل لحظة تمعن عيناه فيها التطلع للامحها الضاحكة ..

وفي جزء من الثانية كانت مقارنة قصيرة عُقدت في رأسه !

حق ذكرى الذى أصبح بين يدي الحق الآن ... بمقابل حق
فريدة عليه والذي يهمل فيه شراهمال !!

سعيه خلف حق وذكريات حبيبته الأولى بكل إخلاص و
تفانى ووفاء من قبله ... بمقابل لامبالاته وعدم تقديره
لحب فريدة الذي تضعه بين يديه الآن دون شروط !!

حبه القديم لذكرى والذي سيظل ممتناً له مادام حياً
وممتناً أيضاً لتلك الأيام السعيدة القصيرة التي عاشها
معها ... بمقابل حبه حديث الولادة لفريدة - كما أطلق عليه
منذ قليل - والذي هو ممتناً له أيضاً لكنه ليس مجرد
ذكريات سعيدة بل هو واقع ملموس مُتاح له العيش به و
طمن أجله، مغترفاً من السعادة بالقدر الذي لم يتخيله
يوماً !!



ماضيه ... بمقابل حاضره !!

حبه القديم والذي تم وأده بعمرٍ قصير... بمقابل حبه
لفريدة ذو المستقبل المشرق بين يديه !!

ذكريات .. بمقابل واقع حقيقى جميل، بل واقع ذو عالم
وردى ينتظر فقط أن يفتح له ذراعيه حتى يرتوى من حنانه
فيزهر !!

فأى مقارنة مجحفة هذه وأى حالٍ تعس يصير على وضع
نفسه فيه بدعوى القصاص !!

ذكرى رحلت وفضلت أن تبقى كما اسمها كما قال من قبل
.... وحقها قد سعى خلفه دون إهمالٍ أو تكاسل، لكن يشاء
رب العالمين أن يعفيه من مهمة لم يكن ليحقق فيها العدل
كاملاً، ولم يكن ليأخذ بحق ذكرى بشكلٍ يليق بها فأعفاه

والآن الحق بين يدي الحق في مكانٍ ليس فيه مساوى الدنيا،
بل فقط العدل وقد اجتمعت الخصوم عند الله فما
الذى يسوءه بعد إدراكه التام لهذا كله ؟؟؟!!

آن أوانه أن يتخلص من شبح الوهم، والتخلص من ثوب
الضحية الذى يرتديه !!

آن أوانه أن يتعلم الدرس جيداً ويغترف من السعادة ما
يستطيع أن يحيا به أيامه القادمة؛ فالعمر لم يعد فيه قدر
ما ذهب .. بل هو فى عقده الرابع الآن ويكاد يتشبث بتلابيب
السنين كي لا تمضى بسرعة كشهابٍ خاطف !!

وعند خاطره الأخير رفع وجهه للسماء قليلاً هامساً داخله
بدعاءٍ لم يستطع لسانه ترجمة شيئاً منه سوى :
_يارب !!

وقد كانت بقدرٍ كافٍ من المشاعر بحيث حملت كل ما يضحج
داخل نفسه المرهقة !!



ليعيد عينيه أخيراً إلى الصورة بنظرة مختلفة ثم تسارعت
أصابعه على شاشة الهاتف لتكتب إلى حبيبته، تتسابق
فيما بينها .. من سيزف إليها الخبر أولاً، من سيسطر أول
حرف في أول كلمة عشق حقيقة تصدر عنه تجاهها :
(أنا آخر واحد على ظهر الكوكب ممكن تسأليه سؤال زي
ده !!)

وسرعان ما جاءه الرد متعجلاً لأنها بالفعل تأخرت كثيراً :
(ليه يعنى ؟!)

(هو صحيح انا مقلتلكيش قبل كده انى "بحبك" فى كل
حالاتك، بس هو كده ... إن شالله حتى لو كنتى لابسة
"شوال" !!)

لم يرى من جانبه تلك الضحكة التى لونت عينها بمرح فى
بادئ الأمر قبل أن تملكها الدهشة حين حدقت فى الكلمة و
استوعبتها جيداً !!

كانت السيارة التابعة لأدهم والتي ركبها بعدما خرجت بالفعل من صالون التجميل منذ دقائق تطيرها ومع نافذتها المفتوحة كان الهواء يتسلل بارداً ليطف من حرارة وجنتها التي اشتعلت فجأة بخجلٍ وصدمة تزامناً مع وجيبٍ مضطرب اختلت إحدى نبضاته حين أبصرت حروف الكلمة التي طالما تمنيتها !!

لكنها أجبرت أصابعها المرتعشة على الكتابة المتسارعة حتى أن بضعة كلمات خرجت بحروفٍ مشوهة لكنه فهم المغزى :
(خليك مكانك .. أياً كنت خليك في مكانك لحد انا م اجى ..
انا في الطريق واول ما اوصل هتعيد كل إلی قولته !!!)

رفعت وجهها عن الهاتف تتطلع للسيارة حولها بذهول وفمٍ فاغر.. لا ... مكانها ليس هنا الآن، مكانها الآن أمامه مواجهة له تسمعه وترى انفعاله إثر الكلمة ... تتحقق من مدى صداها داخله عبر عينيه، ترى صدقه بأم عينها وتتيقن أنها



ليست في حلمٍ وردى من أحلامها الوردية الكثيرة والطويلة
!!

همست عندما وجدت صوتها بتذمر للسائق بينما عيناها
تعودان لتحققا بالكلمة التي تشوشت أمامها بفعل الغلالة
الرقيقة التي غشيتهما ورغم ذلك كان قلبها يستشعرها
وكأنها كائن حي أمامه :

_بسرة يا عم عبده الله يكرمك ... الوقت بيضيع منى .

فأجابها الرجل كبير السن بهدوء :

_حاضريا بنتى ... أهو طائر بالعربية طير!!

عادت لتحقق من النافذة مجدداً وقلبي يصيح للرجل

جملته : قلبي هو من يطير يا عم والله ... قلبي من يطير!!

وأيّن ذهبت كل توعدااتها له ... وثأرها لكرامتها بأن تجعله

يسير على الأشواك حتى يصل إليها ؟؟؟!!



ضحكت ضحكة مختلطة المشاعر، مختلجة وهى تجيبه
نفسها بخفوت صادق :

_والله بحبه ... والله لو كان صادق ومكنش السبب فى حاجة
تجرحنى تانى هفضل معاه طول عمرى ..والله !

=====

أما داخل قاعة العرس..

اقترب أسر من أدهم القابع على منصة العروسين جوار
داليدا .. وقف أدهم مواجهاً له مبتسماً بإشراق، ابتسامة
لم تفارقه منذ بداية اليوم، بل ازدادت أكثر بعد عقد القران
الذى تم منذ قليل !!

أقرب منه أسر محتضناً إياه مباركاً له بتأثر:

_مبروك يا أدهم ... ربنا يسعدك ويرزقك بالذرية الصالحة
!

رمقه أدهم عاتباً وهو يقول بخفوت :

_برضو مصمم انك تسافر دلوقتى .

ابتسم أسربخفوت دون رد بينما لاح فى عينه تعبير حزين
كان مهماً بالنسبة لأدهم فجعله يعقد حاجبيه بشعورٍ غير
مريح ... يشعر أن أخيه فيه شئ غريب يخفيه عنهم لكنه لا
يعرف كيف يحدد ماهيته !!

لكن أسرالذى تدارك ملامحه بسرعة قال فجأة بحالٍ غير
الحال الذى كان عليه :

_لازم امشى ... الف مبروك، ألف مبروك يا داليدا !

قال كلمته الأخيرة وهو ينظر لداليدا بابتسامة بادلته إياها
وهى تجيبه بالرد التقليدى، فيما رمق أدهم بنظرة أخيرة
قبل أن يترجل عن المنصة ناوياً الرحيل لكن قبل أن يبتعد
ناداه أدهم وأشار له بعينه إشارة مهمة نحو أروى الجالسة
على طاولة العائلة جوار أبيها متشبثة به وكأنها ترى أمامها
شبحاً .. وكأنه ينبهه أنه نسى شخص ما .. بل الشخص الأهم
على الإطلاق فأشار له أسربيده هاتفاً :

_مش هينفع وداعها هى المرادى .. صدقنى مش هينفع !!



ودون تعقيب آخر استدار مغادراً للقاعة بأكملها واستقل
سيارته ذاهباً لا يدري شيئاً عن تلك العينان اللتان راقبا
رحيله بنظرة موجهة وموجوعة !!

نظرة وكأنها نظرة الوداع الأخير... وربما فعلاً كانت كذلك !
قاد سيارته دون هدى على طريق المطار متوجهاً نحو مصيرٍ
مجهول .. كان يعلم أنها رأت شيئاً على هاتفه وكان يعلم
أيضاً أنها استطاعت تفسير الأمر بما يدينه .. هو ليس غيباً
كى لا يلاحظ ذلك عليها بل هو يحفظها كخطوط كفه فكيف
لا يلاحظ هذا التغير الذى طرأ عليها ناحيته فجأة ؟!!!

لكن ما يحيره كان رد فعلها؟! لماذا لم تثور وتطلب الطلاق ؟
لماذا لم تتخذ موقفاً منه؟ لماذا صمتت بهذا الشكل المؤلم ؟!!

كل هذه تساؤلات لم يجد لها إجاباتٍ حتى الآن !!

ظلت الأفكار تعصف برأسه دون هدى وهو يسير فى طريقه
بعينين غائمتين، طريقه معها منذ بدايته محفوف بالوجد
والأوجاع .. بداية بطيشه معها وتجاوزه، فارق السن الكبير

نسبياً والذي يبلغ حوالى إحدى عشر عاماً ولكن يحمد الله أنه لم يعترض أحد عليه، وليس نهاية بما عرفته أو ظنته عنه مؤخراً .. فطريقهما مازال طويلاً وهو الآن شبه موقناً أن رد فعلها سيؤلمه ... ربما ليس بالمعنى الحرفى لكن أروى تعلم جيداً ما الذى يمكن أن يؤلم دواخله !!

أروى ...

تلك التى ودعت طفولتها سريعاً حتى أنها نسيت تقبيلها واحتضانها حزن مودع !

لم تعض عليها بالنواجز ... لم تتمهل لخطاها، ولم تعتز بشريطة شعرها الوردية، بل فكت ضفائرها عنوة ... أجبرت نفسها على النضوج سريعاً فقط كي يراها هو امرأة .. كي يشعر بها كامرأة .. !!

كان هو السبب .. هو من صنع من تلك الطفلة امرأة ناضجة بعمرٍ قصير بل وتلقت أول ضربة على يده هو .. ونتيجة



لذلك الخطأ وجب عليه تحمل التبعات التى ستكون مؤلمة
حد الهلاك؛ نكالاً له على عبثه بها !! تماماً كالذى عبث
بقوانين الطبيعة، فانقلبت عليه !!

=====

مد يده ممسكاً بكفها وهى جالسة جواره فى السيارة ...
عائدين من رحلتهم التى امتدت لأسبوع والتى كانت بمثابة
شهر عسلٍ متكرر لم يحصل عليه الكثيرون !!

اجفلت من شرودها على ملمس كفه فاستدارت إليه
متصنعة ابتسامة تعبت كثيراً لتبقىها على شفرتها طوال
الأسبوع الماضى .. ذاك الأسبوع الذى كان ضرباً من خيال،
أذاقها هشام فيه كل أنواع المتعة، علمها كيف يحيا
الإنسان حياته دون أن يعبأ بمثقال ذرة بما يمليه عليه
العقل والمنطق وتمليه عليه الأخلاق ... ربما هذا ما جذبها
إلى حياته وجعلها تستسلم له فى بداية زواجه المزعوم منها



وقد كانت بدأت تقتنع بتلك الحياة المغالية المرفهة
المحرمة !!

لكن عودة مصطفى لحياتها وعودتها لبدلها أعادها إلى مربع
الصفير من جديد .. بدأت تشك أن الضمير لديها متجسداً
على أرض الواقع بمصطفى وطالما هو أمامها سيظل
ضميرها يعذب فيها ويجلدها بسياطه الحارقة، مجبراً إياها
على الإفاقة القسرية من هذا الحلم المحرم !!
_شكلك تعبانة جدا !

صوته ذو النبرة الخاصة ونظراته العابثة ذكرتها بكل مرة
كان يقترب فيها منها طوال هذا الأسبوع ... وذكرتها معها
بشعورها المقيت وقتها ... كانت تنفر منه بشكلي لم تعتده من
قبل، كانت تموت ألف مرة في الثانية وهو يقترب منها ...
لمساته كانت كسوطٍ نارٍ يحط فوق جسدها، وأنفاسه
كدخانٍ متخلف عن حريقٍ استعر لفترة ولم يترك خلفه
سوى رمادٍ كئيبٍ كان يمثلها حق تمثيل بعد كل مرة !!!



لكنها ورغم ذلك أجبرت تلك الروح على الإنصراف
واستدعت روح جديدة تستجلبها بمهارة دجالٍ متمرس :
_ اكيد لازم اتعب بعد الاسبوع الحافل ده .

واتبعت قولها بغمزة من عينها جعلت ضحكته تتعالى بشكلٍ
مقيت وهويشعر بها قد بدأت تستعيد نرمين حبيبته مرة
أخرى !!

نرمين التي شك بها لوهلة أن تكون قد عادت للعدو في درب
الهوى مع مصطفى مرة أخرى، لكنه عمل جاهداً أن يقطع
طريقها .. يسده من الجانبين عليها محاصراً إياها في دائرة
صغيرة، مذكراً إياها أن التورط معه ليس فيه رجعة !!

ويبدو أنها قد فهمت ذلك جيداً بعد الرحلة الخيالية لتلك
المدينة الساحلية التي أخذها إليها الأسبوع الماضي !!

اعتدلت نرمين في جلستها على مقعد السيارة التي يقودها في
طريق العودة إلى بيتهم وحياتهم "الطبيعية" المزعومة، ثم
قالت بنبرة متحمسة، متقنة التمثيل :



_هشام انا عاوزه اعرف عنك كل حاجة .. عن حياتك و كل شئ، مش عاوزه احس انى على الهامش كده ... مين أبوك وفين .. عاوزه اقابله وعاوزه اعرف اكتر، عاوزه ارد جميلك عليا وابقى جزء من حياتك .

ابتسم هشام ناظراً لها بطرفٍ خفى قبل أن يعود للتركيز على الطريق بعينه السوداوان مرة أخرى ثم قال بهدوء :

_قوليلى عاوزه تعرفى ايه وانا اقولهولك، انا شايف انك بقيتى مستعدة انك تتحملى مسؤولياتك وتتقبلى دورك كزوجة فى حياتى .

تعبير متبلد، جليدى اكتسى عينيها للحظة لكنها أسرع بمحوه وهى تقول مجدداً :

_مين أبوك .. وعاوزاك تدبرلى معاد معاه نتقابل فيه او جيبه يعيش معانا فى بيتنا .



ضحك هشام ضحكة ساخرة عالية لم يقطعها سوى صوت وصول رسالة على هاتف نرمين التي فتحتها بطبيعية قبل أن تتأفف بنزق وهي تدير الهاتف في وجهه هاتفه :

_بص .. شركة الاتصالات موراهاش غير رقمي كل شوية يبعثولي رسائل عليه .

أدار هشام عينه نحو الهاتف لجزء من الثانية لمح فيه الرسالة الآتية من شركة الإتصالات فعلاً فأعاد عينيه على الطريق مرة أخرى مطمئناً أكثر .. بينما نرمين برقت عيناها بنصرٍ وهي تسارع بخفض الهاتف عابثة به للحظة وكأنها تمسح الرسالة ثم أغلقته وأعدت عينيها لهشام مرة أخرى هاتفه بابتسامة :

_هاا كنا فين .

رفع هشام حاجباً متسلماً وهو يقول :

_كنا في أبويا .

استدركت نرمين قائلة :

_ اه .. ابوك .. ليه ميغيش يعيش معانا ف البيت؟

أيضاً ضحك هشام مجدداً وهو يقول مجيباً :

_ مش هينفع يجى .. اكيد انا عاوزه يعيش معايا بس مش

هينفع .

ردت بأسى :

_ ليه طيب ؟!

تجمدت ملامح هشام فى لحظة واحدة وهو يجيها بصوتٍ

لمحت نبرة الغيرة المحترقة فيه بوضوح :

_ لانه عنده بيته واولاده وزوجته ... مش هيخرب بيته و

يسيب عيلته وماله ويحرم نفسه من ولاده عشان يجى

يعيش مع "ابن الرقاصة" ويرضيه !!

شهقت نرمين فجأة بجزع وكأن الحقيقة أفزعته رغم أنها

متوقعة ... فماذا سيكون والد هشام ووالدته مثلاً ؟ شيخ

أزهر وداعية إسلامية !!!!!



شخص مثله بالتأكيد نتاج تربية غير سليمة .. هذا إن كانت
هناك تربية بالأساس !!!!!

ربت على ذراعه ببعض الرفق وهى تقول بحزن :

_ معلى يا حبيبى ... أعذره، اديك بتشوفه من وقت للتانى و
بعدين انت كمان عندك حياتك اهى وعندك مراتك كمان .
التوت شفتاه بما يسمى رياءً إبتسامة ناظراً لملامح التعاطف
التي كست تقاسيمها قبل أن يعود للطريق الذى بدأ
يتقلص والمسافة نحو أطراف المدينة التي يقطنون بها تقصر
.. فقالت نرمين مرة أخرى بالحاح :

_ طيب مين ابوك يا هشام !؟

التوت شفتاه مجدداً ثم صمت لفترة طويلة، ظنته فيها
سيمتنع عن الإجابة وكادت تستلم لفشل المحاولة ... لكنه
أشار لها فجأة نحو جارور صغير ملحق بتابلوه السيارة
بذقنه قائلاً:

_ افتحى الدرج ده كده .



رفعت حاجبها بتعجب لكنها امتثلت لأمره وفتحت الجارور،
فاستطرد هشام :

_طلعى الظرف إلى فيه .

اومات موافقة وهى تستخرج مظروف أبيض فوقه علامة
طبية لمشفى شهيرة فعقدت حاجبها وهى تقلبه بين يديها
متفحصة إياه بدقة ثم طالعتة متسائلة :

_فيه ايه الظرف ده ؟

وبجدية أجاها :

_فيه تحليل dna !

ضرب قلبها داخل صدرها بقوة متوترة .. فابتلعت ريقها ثم
همست بصوتٍ واهٍ :

_بتاع مين ؟!

تنهد هشام تنهيدة طويلة وهو يقول بغموض :

_افتحيه وانتي تعرفى !



اضطربت أصابعها وهى تدور حول المظروف تفتحه ببطء
وترقب، تشعر بشعورٍ غير محمود وأن هناك مصيبة ما فى
الطريق !!

لكنها تحاملت على أعصابها وفتحت المظروف ثم
استخرجت منه ورقتين مثلت كل منهما نتيجة لتحليل
يختلف عن الآخر !!

إحداهما بتاريخٍ قديم ... قديمٍ جداً مرت عليه سنواتٍ
طويلة والأخرى بتاريخ حديث، يبدو أنه منذ أسبوع و
عدة أيامٍ من الآن !!

قلبت الورقتين وتطلعت فيهما بتوتر... لكنها لم تفقه شيئاً
كلياً لعدم خبرتها فى أمر كهذا، فنظرت له بتساؤلٍ ليجيبها
هشام وقد أوقف سيارته فى طريقٍ مهجور على أطراف
المدينة تماماً :

_الى بتاريخ قديم ده بتاع إسماعيل هنداوي .



قالها وهو يشير بيده نحو الورقة القديمة فأومات نرمين
منتظرة ليقول هشام بهدوء :

_وده نتيجته كانت بتثبت بنسبة ١٠٠% أنى ملىش اى صلة
قراة اودم بينى وبين إسماعيل !!

كانت تعلم بهذا الأمر لذا لم يقل ترقبها مثقال ذرة .. بينما
أشار هشام بيده نحو الورقة الحديثة وهو يقول ببطء بينما
ابتسامة متلاعببة تجتاح شفثيه .. ابتسامة كلما خبت عادت
وارتسمت مرة أخرى وكأنها خارجة عن إرادته :

_وده نتيجته كانت بتثبت بنسبة ٩٩.٩% قرابتى ل
"مصطفى" وصلة الدم بينا !!!

صمت للحظة ثم استطرد بعدها بعينين ملتفعتين بنشوة
غريبة :

_يعنى مصطفى يبقى اخويا !!!!!

=====



أما لدى الطريق عند فريدة وأثناء شرودها الطويل ورغبتها
فى أن ينبت للسيارة جناحين من العدم كى تطير إليه ...
توقفت السيارة وقد ازدحم الطريق فجأة وكثرت السيارات
التي كادت تكون غير موجودة على الطريق وكأنها نبتت من
العدم فعقدت حاجبها وهي تتساءل بقلبٍ وجل :

_هوفيه ايه يا عم عبده ... ايه الزحمة دى ؟

ضرب الرجل كفاً على كف وهو يتمتم ويحوقل :

_لا حول ولا قوة الا بالله لطفك بينا يارب ... حادثة يا

بنتى، حادثة باين أن فى ناس كتير فيها ماتت وقفلوا الطريق

!!

ازداد وجيبها اضطراباً وهي تتمتم بكل الأدعية التي حفظتها

يوماً ... وقد بدأ شعور جليدى يسرى فى أوردتها .. شعور

يخبرها أن القادم ليس جيداً أبداً !

=====



أحاطت نرمين رأسها بكفيها وعينيها متسعيتين بصدمة غير
قابلة للمحو!!

من أخ من؟؟ وكيف حدث هذا؟؟!

مصطفى ... زوجها ... هو أخو هشام .. زوجها الآخر!!!

أى عبث هذا؟! أى عبث!!!!

_ أنت بتقول ايه؟؟! انت شارب حاجة يا هشام!!?

هتفت بها فى محاولة أخيرة لجعل الأمر مجرد مزحة سمجة

ثقيلة من قبله، لكن ملامحه لم تنبئها بأنه كان يمزح حالياً ..

بل كان جاداً وبشكلٍ مثير للرجفة والرعب!!

لكنه أجابها بهدوء منقطع النظير:

_ لا والله ... دى الحقيقة! إسماعيل ابويا على الورق كان

تاجر مخدرات، وطلعنى زيه .. تاجر مخدرات برضو الله

يسامحه بقى رغم أنها شغلانة تأكل ذهب .. لكن ابويا الثانى

يبقى حسين البدرى .. يعنى انا اخو مصطفى حسين البدرى



... واسمى الحقيقى مش هشام هنداوي، اسمى إالى اندفن
بالتزوير بعد ولادتي كان "هشام حسين البدرى" !!!

وأثناء نطقه باسمه الحقيقى تباطئت حروفه وخفتت فى
محاولة واهية لدفع الصدمة عنها وجعلها تصدق الأمر الذى
لا مفر منه !!!

لكنها ظلت على حالها محيطة رأسها بكفيها وكأن النار فى
عقلها على أوجها .. بينما قلبها مستمر فى الضرب ودموعها
تنساب على وجهها مؤيدة كل تلك الفوضى التى تم اضرارها
داخلها من مجرد بضع كلمات !!

لا .. الموضوع ليس بالهين، ربما هيناً لها هى، لكنه ليس هيناً
على مصطفى أبداً كيف سيشعر بعد ما يعرف كل هذا،
كيف هو شعوره الآن، تعلم تماماً أنه يسمع كل كلمة قيلت
فى هذا الحوار فى قد فتحت بينهما الخط مسبقاً وكل حرفٍ
يصله دون نقصان والحقيقة الكاملة أصبحت بين يديه الآن
دون تزييف !!

ذاك الهاتف الذى هو عبارة عن قطعة حديد والملقى
بإهمالٍ فى حجرها كان أشد فتكاً من أكثر الناس الهمازين
المشائين بالنميمة، فهو الآن ينقل عذابه عبر الموجات
اللامرئية حرفاً حرفاً !!

أطرقت برأسها قليلاً وما زالت تكتنفها بين كفيها دون
استيعاب، بينما هشام يراقبها عن كثب مدققاً فى كل
انفعالاتها الغريبة !!!

لكن الوضع الصامت الذى يحيط بهم كوضع هاتفها لم
يستمر... بل أضاء الهاتف فجأة بعدما أنهى مصطفى
المكالمة من جهته فى إشارة عن إنهاء المكالمة وإشارة عن إنهاء
التمثيلية أيضاً !!

ففى جزء الثانية الذى أضاء فيه الهاتف جذب نوره بصر
هشام الذى لم يحتج الأمر منه لفهمه سوى ثانية واحدة !!
ثانية واحدة لمح فيها اسم مصطفى وتعاير نرمين المذعورة
والمكالمة التى أنهيت للتو !!



ولم يكن الأمر يحتاج لتأويلٍ أكثر من هذا فأندفعت
الشياطين تتراقص أمام عينيهِ، تغريهِ بعرضٍ سخى لقتل
تلك الماثلة أمامه متسعة العينين وقد علمت أن مخططها
قد كُشف ونهايتها قد أقتربت لا محالة !!

لكنه لم يفعل أكثر من أن أهداها صفعة على وجنتها تركت
أثرها غائراً محمراً، ثم التفت بملامح شياطينية يعيد
تشغيل السيارة ويرفع الهاتف الخاص به ليجري إتصالٍ ما
هتف فيه بصوتٍ عنيف :

_ اتحركوا حالاً ونفذوا إلى قولت عليه ... مين فيهم تحت
عنيكوا دلوقتي ؟

والإجابة أتته من الطرف الآخر بسرعة، فهدر مجدداً بصوتٍ
أرعب نرmin المتكورة على نفسها جواره صامتة بصدمة
وكأنها ابتلعت لسانها دون قصد :

_ طب نفذوا فوراً وهاتوهالي على المكان إلى اتفقنا عليه
قبل كده ... أنا قريب منه وهسبقكم على هناك !!



إشارة بسيطة قلقة من داليدا لأحمد الذى يقف بعيداً عنها قليلاً جعلته ينتبه فعقد حاجبيه بريبة وهو يقترب منها ناهباً المسافة القليلة ... ساحقاً الخطوات تحت قدميه وقد انتقل قلقها لاسلكياً إليه !!

وقفت داليدا وهى تهمس لأحمد بأنفعال :

_فريدة !! فريدة فىن لحد دلوقتى ... أنا قلبى واكلى عليها يا احمد !!

التفت أحمد حول نفسه بحيرة لا يدري ماذا يفعل ... هو بالفعل يحاول التواصل مع فريدة منذ فترة والأخيرة لا تجيبه، ولم يكن يحتاج لقلق داليدا كي يزيد من صعوبة الموقف الآن !!

لكنه حاول تهدئتها قائلاً :



_اهدى يا داليدا .. حبيبتي انا لسه مكلمها دلوقتى وقالت
انها أتأخرت لان الطريق مقفول !! يمكن يكون فيه حاجة
على الطريق وهى السبب فى قفله .

هدأت داليدا نوعاً، لكنها عادت وهمست :

_طب اتصلى بيها .. خلينى أكلمها .

نظراً أحمد حوله ولأدهم الذى يتطلع للموقف صامتاً وهو
يقول بتأنيب :

_داليدا فى ايه .. الناس عماله تبص علينا .. مش هنجيب
لنفسنا الكلام اقعدى بقى انا طمنتك اهو وهى زمانها على
وصول!

ازدردت ريقها بتوتروهى تجول بعينها على الحضور الذى
تحولت عيناه إليها فجأة، وقد أفسد شعورها عليها فرحتها
بزفافها الذى كانت تحلم به منذ زمن !!

لكنها امتثلت لأمره وجلست مجدداً جوار أدهم الذى أخذ
يربت على كفها برفق مهدءاً بكلماتٍ مرحة !!



فيما استل أحمد نفسه مبتعداً، خارجاً من القاعة للخارج
إلى زين الذي مازال ممثلاً لأمرها جالساً مكانه في انتظارها
لكن القلق قد تأكله هو الآخر وقد جاء أحمد ليزيد الوضع
سوءاً بحديثه :

_ انت مكلمتش فريدة يا زين ؟

انتفض زين واقفاً فجأة، يمسد جبهته بعنف وهو يقول بنبرة
متوترة :

_ كنت مكلمها من شوية وقالت أنها في الطريق .. بس قولت
يمكن الطريق زحمة ف نص البلد وقعدت استناها لحد م
تيجي .

انفعل أحمد وهو يهدر فجأة :

_ واحنا مش هينفع نقعد نستناها يا زين ... لازم نعمل حاجة
بس ...

صمت باتراً جملته قبل أن يستطرد محدثاً نفسه :

_بس لازم اصبر.. يمكن فعلا يكون الطريق زحمة ومش عاوز
ابوظ على داليدا اليوم !

لكنها عاد وانفعل هاتفاً أمام زين الذى استشعر سوء حالته
وتخبطه :

_بس تليفونها ماله ومال الطريق ... هى مبتردش على
تليفونها !!

لكن زين ربت على كتفه مهدئاً قائلاً :

_تليفونها كان لسه مفتوح من كام دقيقة بس يا أحمد و
بعدها اتقفل ... أهدي بس اكيد خيران شاء الله .

لكن أحمد لم يقتنع ... بل هز رأسه نفيّاً وهو يهمس بشبه
هذيان :

_لا .. فريدة فيها حاجة .. أنا قلبي حاسس .. فريدة مش
كويسة ابداً !!!



ثم استدار عائداً إلى القاعة مجدداً لكن وعيه كان شبه غائباً مما ضاعف من قلق زين وهو يرى حالته على شفا الإنهيار في لحظة !!

=====

انقضى الحفل سريعاً بعد ساعة ونصف بالضبط من دخول أحمد إلى القاعة مجدداً !! وكل هذا الوقت قد قضوه في محاولة أخيرة لتمرير الليلة بسلام !

رحل الجميع .. حتى هم رحلوا وعادوا جميعاً إلى بيت جدهم في حالة من التوتر بل الهلع على فريدة التي لم يظهر لها أثر إلى الآن !!

داليدا التي انهارت باكية بين ذراعي أدهم الذي ضمها إليه يحاول تهدئتها دون جدوى ...

أحمد الذي يكاد ينهار أرضاً في أي لحظة ...



وزين الواقف في زاوية الهوى جرى اتصالاتٍ عديدة عبر نطاق
علاقاته الواسعة، مانعاً نفسه بأخر ذرة عقلٍ يمتلكها عن
الخروج هائماً على وجهه يبحث عنها بين الطرقات !!!
الوقت يمر.. والوضع يزداد تأزماً.. بينما كلٌ جميعاً في
وديان مختلفة، كل يهيم بحثاً عن حلٍ لتلك الأزمة !!!
لكن رسالة وصلت على هاتف زين من مصطفى، حسمت
الصراع... بل وحسمت الأمر كله !!
رسالة كان مفادها :

(روح دور على خطيبتك عند هشام يا زين ... هشام خطفها
عشان معايا تسجيل صوتي ليه باعترافه بكل الحقيقة وفيه
ما يدينه أنه بيتاجر في المخدرات وعشان يضمن نفسه وأنه
يطلع من الموضوع بخير، استخدم فريدة كورقة ضغط ..
لأنها الوحيدة إلى كانت تحت إيداه في الوقت ده، حيث انه
كان يراقب تحركات يارا وحلا وفريدة طول الفترة إلى فاتت
وكأنه كان شاكك أن احنا بنخطط لحاجة من وراه .. فقرر



يحمى نفسه باستخدام واحدة منهم ... هي حالياً معاه .. بس
انا معرفش هما فين بالضبط .. هشام بعثلى رسالة
بالتفاصيل دى، وطلب منى ابلغك عشان تروحله تتفاوض
معاه لوحدهكو... وسامحنى اذا كنت مش قادر أقف معاك
فى موقف زى ده .. إلى عرفته اقوى من انى استحملة !!)

فجأة شحبت ملامح زين حتى حاكت ملامح الموتى ... بينما
تجمد مكانه كتمثال رخامى، فلم يطق أحمد صبراً ... ليقترّب
منه بسرعة مقتلعاً الهاتف بيسر من بين يديه، ثم قرأ ما
قرأه زين منذ قليل، فسقط الهاتف من بين يديه بعدها
وبعينين مستعرتين بنار هوجاء استدار إلى زين الميهوت
ممسكاً بتلابيبه هادراً بعنف :

_اقسم بالله ... اختى لوجرالها حاجة بسببك يا زين م
هرحمك !!!

فيما كان زين مستسلماً له تماماً !!!



وجه أحمد كان مقابلاً لوجه زين في مواجهة غير متكافئة
الأطراف، القلق كان الدافع الرئيسي فيها، لكن نتيجته كانت
مختلفة، فكان يصيب أحمد بحالة هياج غريبة على طبعه
الحليم وقد فقد كل ذرة تعقل يمتلكها ... بينما كان يصيب
زين بحالة من الذهول يشعر فيها بأن أطرافه كلها خارجة
عن نطاق سيطرته الذاتية، وفكرة واحدة تطوف في عقله !!
هل فات الأوان ؟!!!!!!!

====



الفصل السادس والعشرون

=====

أحدهم قدم له نصيحة ذات مرة وأخبره أن دخان التبغ
قاتل .. وهذا ما صدقه هو قبل هذه اللحظة وكان قد أمتنع
عن التدخين منذ زمن !!

لكن لا أحد يدرك مدى متعة النظر من خلف سحابتها،
فالعالم، وكل شئ في العالم، حتى الأشخاص تبدو بشكلٍ ما
أجمل وهي غير واضحة..
مخفية..

تحت قناع مزيف، يخفى الحقيقة العارية!

تماماً كما حياته الذى لطالما تدمر عليها، الآن فقد أدرك كم
كانت مبهجة .. سعيدة .. جميلة وهادئة !!
الآن فقط بعد أن أدرك الحقيقة..

وربما كانت نصف الحقيقة، فهو إلى الآن لا يعلم كيف
خرجت تلك الحقيقة إلى النور وكيف تعايشت بين البشر!!
تلك الحقيقة التي تمثلت في هشام..
في أخيه !!!!

وعلى ذكر كلمة أخيه انفجر ضاحكاً بشدة ... بل ضحك
هستيري وهو جالساً في سيارته مرجعاً المقعد إلى الخلف
مسترخياً استرخاءً تاماً .. يتطلع لدخان سيجارته الذي
يتراقص أمام عينيه في الهواء كراقصة بالية تؤدي دوراً ثم
تتلاشى..

مما يعطيه سبب ادعى للضحك بعد زجاجة الخمر التي
احتساها دفعة واحدة !!!

نفخ مصطفى دخان سيجارته في الهواء مستمتعاً بالرؤية
الضبابية من خلفه ... لا يعلم حتى كيف أرسل تلك الرسالة
إلى زين، كيف صمد عقله لهذه الدقائق التي كتب فيها
الرسالة ولم يجن !!

ضحك مرة أخرى...

هشام أخوهأخوه هو!! من بين جميع البشر لم يرد القدر
أن يفاجئه في أحدهم إلا هشام!!
هشام الذى جعله القدر هذا "الأحدهم"!!

ضحك مرة أخرى ...

لكن تلك المرة بخاطرة مختلفة .. أباه خائن!!
هذا الشئ الوحيد الذى يستطيع استنتاجه من الحقيقة
المنقوصة التى علمها ...
لا، هناك شئ آخر... والدته هشام "راقصة"!!
والده خان والدته مع راقصة!!

ضحك مرة أخرى ...

ترى ماذا سيكون رد فعل "فريال هانم" حين تعلم تلك
الحقيقة البشعة عن زوجها الحبيب!!

فريال هانم صاحبة الطبقة العليا في العائلة، ارستقراطية
الطباع .. رفيعة المستوى، ترى ماذا سيكون شعورها حين
تعلم عن زوجها ذاك الذى علمه مصطفى الآن .. بل إن ابنه
الأخر كان يدخل بيتها ويأكل به ويصادق ابنها أيضاً والمثير
للسخرية أكثر أنه أخذ امرأته !!

لا .. فريال هانم ستشكر له تلك الفعلة .. أول نقطة مشتركة
تلتقى فيها مع هشام وهى أنه خلصها من نرمين التى لم
تستطع ابداً تقبلها !!
ضحك مرة أخرى ...

لكن هذه المرة كانت ضحكة مصحوبة بدمعة شريفة
انحدرت على وجنته كنارِ كاوية !!

كل الذى حدث، كل شئ مصدره كان أبيه !!
أباه هو صاحب تلك البلوة التى تدعى هشام مما ترتب عليه
بالتبعية كل شئ حدث !!

سعى زين خلف مجرم مجهول، يشك أن أباه يكون شريكه ..

موت ذكرى ..

معاناة زين ..

استيلاء هشام على نرمين ..

وهم موت نرمين ..

حياة ماسة الخالية من الأم ..

حياته هو التي كانت مملوءة بالندم والذنب الذي ظل يقتات
على روحه مدة عامين ..

كل شئ، كل شئ حدث، كان أباه هو السبب به !!

ضحك مرة أخرى ...

وتلك المرة كانت متبوعة بمحاولة واهية منه للنهوض
والخروج من سيارته، وبعد الكثير من التعثر والسقوط
بفعل ثمالة خرج منها، وبصعوبة كبيرة أخرج هاتفه من
جيبه ينوى الإتصال بأحد من العائلة ليأتى ويقله من هذا
المكان المقطوع الذي وقف به بعد أن اشترى زجاجة الخمر

التي احتساها ... لكنه عاد ورمى هاتفه داخل سيارته مرة
أخرى .. مردداً لنفسه بنبرة ثقيلة :

_ وفيها ايه لوروح لوحيدى، هموت !!!

كان قد ركب السيارة واعتدل بترنح أمام المقود ممسكاً به
بيديه الاثنتين ... قبل أن ...

يضحك مرة أخرى ...

=====

دلف بيت جده مترنجاً، متعثراً وبالفعل سقط مرة أمام باب
البيت تحديداً أمامهم جميعاً وهم مجتمعون فى بهو
البيت !!

كان يعلم أن هذا ما حدث، فتلك العائلة المترابطة لم تكن
لتترك أحد فى مأزق دون مواساته وخاصة بعد علمه بما
حدث لفريدة عن طريق مكالمة هشام الأخيرة والتي أخبره فيها
باختصار أن يجعل زين يتواصل معه ... فقط ... دون
التطرق لحديث أخوى رائع بين الإخوة الأعداء !!!

استقام مجدداً أمامهم بصعوبة وهو يضحك بصوتٍ مكتوم
!!

كان ثملاً بشكٍ مزرى وهذا ما جعل أنظار الجميع تتركز
عليه وكأنهم أمام كائن فضائي !!

ما بين صدمة واستنكار وحزن وعدم استيعاب تباينت
مشاعر الجميع على رؤيته فى هذا الحال لكن يارا هى
الوحيدة من جمعهم فى قدرٍ واحد واحتفظت به يغلى فوق
قلبها الذى اتقد بمجرد رؤيته على هذا الحال !!

آلامها تزداد حدة .. مما اضطرها للسقوط جالسة على
المقعد خلفها بضعفٍ شديد بينما عيناها لا تبارحان منظره
المترنح !!

اقتربت منها عير بسرعة تسندها بلوعة وهى تهمس بشئ لم
يسمعه أحد بينما اومأت يارا ببطء وهى تهمس بصوتٍ غير
مسموع :

_انا كويسة .. أنا كويسة!!

لم تخف لوعة عبير على ابنتها بل ظلت تسندها في جلستها
رغم عدم حاجتها وهي ترمق مصطفى بنظراتٍ ضائقة، حادة
... كارهة !!

بينما مصطفى تقدم منه أباه هاتفاً فيه بغضب وصوتٍ
مكتوم، محاولاً إسناد جسده الثقيل بقوة كي يستطيع
صلب جذعه :

_ اتعدل وتعالى معايا دلوقتي من غير كلام .. لينا حساب
الصبح لما تبقى تفوق .

ضحك مصطفى وهو يتحامل على نفسه واقفاً بتصلب
أمامه قائلاً بهمسٍ خفيض، واضعاً سبابته أمام فمه :

_ هششش .. بس ليسمعوك ويعرفوا حقيقتك ال ****!!!

اشتعلت عينا حسين بغضب عارم لم يقو على كبحه
فأنفلت الزمام من يده حين مد كفه عالياً ثم هوى به على
وجه مصطفى في صفة كانت بمثابة إذن إفاقة!



لم يستوعب مصطفى للوهلة الأولى ما الذى حط على وجهه وجعله يلتفت للجهة الأخرى .. إلا بعدما انفلتت الشبهات الجزعة من كل من يقف مقابلاً لهما، مشاهداً لتلك المسرحية !

عند هذه النقطة ورغم ثمالة التى لم تزل شعرباًن وعيه قد حضر دفعة واحدة، فصرخ بصوتٍ شق السكون من حوله وهو يدفع أبيه بكلتا قبضتيه فى صدره حتى ترنح وكاد يسقط للخلف لولا تحرك فارس الذى كان قريباً منهما بسرعة وأسند أبيه بكل قوته هادراً فى مصطفى بعنف :
_ انت اتجنيت يا بنى آدم ... انت جاي تطلع إالى شربته علينا .

أشار مصطفى لأبيه بإصبعه بحدة متجاهلاً لحديث فارس حالياً وهو يهدر بالمقابل :

_ انت آخر واحد يجى يحاسبنى .. آخر واحد على وش الدنيا ليه الحق انه يقول ده صح وده غلط .



رفع حسين كفه نحو جانبه الأيسر وهو يشعربإعياء غريب
سرى ف جسده دفعة واحدة .. وكأنه وهن وشاخ فى لحظة،
بينما فارس الذى يسنده من الخلف لم يسمح له
بالسقوط، خاصة أمام حديث مصطفى الذى تحول إلى
أفعى تبث سمها عبر الكلمات :

_ انت سامعنى ... آخرواحد يتكلم !!

وقف جده بوهن مقترباً منه وهو يحدق فيه بعينين
متغضنتين بتدقيق ثم قال بهدوء غريب عن الموقف
المشتعل :

_خود أبوك يا فارس طلعه فوق .. وانت يا مصطفى تعالى
معايا .

ثم مد يده داعياً مصطفى لتنفيذ ما قال، لكن مصطفى لم
يكن ليستجيب بل هتف مرة أخرى :

_لا يا جدى .. مش همشى غير لما اعرف هو ودى ابنه فين ؟



اتسعت عينا حسين لوهلة بصدمة قبل أن تعود ملامحه لطبيعتها في نفس الوهلة .. لكنه قال بجهد :

_انت شكل إلى انت شاربہ أثر على دماغك .

دقق فيه بعينين حراوين وجسدٍ يترنح بشكلٍ غير ملحوظ ثم قال بجدية :

_ومسألتش نفسك أنا ايه إلى خلانى شربت .. ولا انت كنت

متوقع انى مش هعرف اوصل للحقيقة طول ما انت حاطط

ابنك قدام عيني ومتحكم في الوضع كله .

لم يعبأ مصطفى بتعايير الارتباك التى كست وجه والده

بينما التفت إلى جده هاتفاً :

_أسأله ... اسأله هشام يبقى اسمه الحقيقى ايه !!

عقد جده حاجبيه الأبيضين باستفهام ثم كرر خلفه :

_هشام !! مش ده صاحبك إلى

ثم بتركلماته بإدراك، في حين اوما مصطفى موافقاً :



_ايوه هو.. هو السبب إالى خلى مراتى تموت وهى فكرانى
بخونها .. بس طلع انى انا إالى كنت بتخان ومش منه بس ..
ده منه ومن مراتى ومن أبويا نفسه !!

صمت للحظة ثم قال بقوة تراجع على إثرها خطوة للخلف،
لكنه تحامل ووقف على قدميه :

_اساله يا جدى هشام يبقى ابن مين ؟!
كان يقاوم إنغلاق عينيه بقوة وهو يطالع جده الذى نقل
بصره إلى ابنه متسائلاً بصوتٍ واهن جداً :

_هشام يبقى ابن مين يا حسين ؟

لكن حسين قال بتذمر:

_يا حاج ده سكران ... هتاخود على كلام سكران .

شعر إبراهيم بأن قدمه لم تعد قادرة على حمله فأشار لمعاذ
الذى هرول ناحيته محضراً عكازه الطبي الذى لا يستخدمه
إلا قليلاً وقد آن أوانه، وقف معاذ جانبه داعماً بملامح



مصدومة مما يحدث ولم يحاول التدخل في حديث أبيه وأخيه الأكبر:

_اتكلم يا حسين وسيبك من مصطفى ... تعرف ايه عن هشام وايه الصح في إالى مصطفى قاله ؟
هز حسين رأسه نفيًا بملامح كان واضحاً كذبتها للأعشى :
_معرفش يا حاج .. صدقنى !!

هز إبراهيم رأسه بيأس متطلعاً لابنه بنظرة متهمة، كان يعلم عن شطحات حسين العابثة قديماً .. لكنه ظنه طيش شباب زائل، وربما فعلاً كان كذلك .. لكنه أبى ألا يترك بصمة غير قابلة للمحو حتى الآن !!

سقوط مصطفى المفاجئ اجفلهم جميعاً لكنه استند إلى الحائط كي لا يقع أرضاً على الرغم من أنه كان شبه فاقداً للوعى !!

ترك فارس والده واقفاً وحده بينما اتجه نحو مصطفى يساعده مراد الذى تقدم بسرعة فور سقوطه فى إسناده

حتى تمدد على أحد الارائك ومن ثم راح في سباتٍ عميق تاركاً
الموقف مشتعل على أوجّه بعدما ألقى بكلماتٍ مهمة لم
تسمن ولم تغنى من جوع !!

=====

بعد مدة قصيرة .. كان الليل قد تعدى منتصفه ببضع
ساعات ... وكان الجميع جالسون كما هم في بهو البيت، لم
يحاول أحد منهم أن يرحل عن بيت إبراهيم بالأساس بل
اجتمعوا فيه حتى يحضرزين وأحمد وحازم اللذين خرجوا
ولم يعودوا حتى الآن !!

فريال والدة مصطفى جالسة أرضاً بجوار الأريكة الممد
فوقها ولدها تمسد على ذراعه تارة وشعره تارة أخرى بحنان
غير قادرة على تحمل مظهره بهذا الشكل .. تجاوزها سمية
بملامح حزينة !! وقد بدا عدم فهم الموقف عليهما !!



والأصح أنهما أثارتا عدم تفسير الموقف كما بدا واضحاً من
كلمات مصطفى !

بينما يارا تجلس فوق مقعد مواجه له، لكنه يبعد عنه
مسافة عرض البهو كاملاً، وجوارها عبيرواقفة تمسد على
رأسها وكتفها متسائلة عن حالها كل لحظة وأخرى وقد بدا
التعب الشديد على يارا .. بينما درة جالسة جوارها تنظر لها
بنظرة مستفسرة كل حين تقابلها الأخيرة بابتسامة صامتة !!

حلا وأمها ووالدة حازم جالستين في إحدى الزوايا يحدد
الحزن ملامحهما .. وجوارهن زوجة أحمد التي تحاول تهدئة
ابنها الباكي دون جدوى ... وقد فضلت أروى الصعود إلى
غرفتها لحين أخبار جديدة !



فيما أخذ أدهم داليدا شبه المنهارة إلى غرفته القديمة في بيت جده بالأعلى لتستريح قليلاً وتستطيع تبديل فستانها الذي كان نذير شؤم من وجهة نظرها !!

بينما أخذ إبراهيم أولاده وصعد للأعلى ... إلى غرفته ليجتمع بهم عاجلاً !!

بينما خرج فارس ومراد للخارج يجرى إتصلاً بزين ومن معه بالخارج .. لكن الأخبار أتهم ألا جديد !!
لم يستطيعوا العثور على هشام، ولا التوصل لأي طريق يقودهم إليه، ولا هو حاول الإتصال بهم .. ربما هو متعمد أن يطيل الوقت حتى يوهن قوتهم ويتخذ قلقهم سلاحاً في صفه !

=====

في الأعلى .. بالتحديد في غرفة إبراهيم !!

جلس على مقعده الوثير بينما ابناؤه متحلقين حوله حسين
الذى يجلس مطأطأ الرأس .. ومحمد الذى ينظر لأخيه بنظرة
مدركة بعض الشئ، بل تكاد تكون غير متفاجئة بما يحدث
... فالجميع يعلم عن طيش حسين قديماً لكن تفكيرهم لم
يكن ليهديهم إلى فكرة كهذه !!

ومعاذ الذى يقف مصدوماً لا يفقه أى شئ !!!
_ها يا حسين ايه ردك على كلام ابنك .

قالها إبراهيم متنهداً بخفوت بينما يداه ممسكتان بعكازه
الطبي، مستنداً عليه بعدما شعر بسنوات عمره الطويلة قد
تضاعفت !!

رفع حسين رأسه إلى أبيه قائلاً بهدوء وعينين ذابلتين :
_انا معنديش رد غير لما مصطفى يفوق ويعرفنا هو قال كده
ليه واياه دليله على كلامه .

ظلت ملامح أبيه ساكنة، هادئة وغير مقروءة .. ثم اوماً
موافقاً بهدوء وهو يتمتم :

_طيب .. الصبح يحلها ربنا !!

=====

مطارق تضرب برأسه وتوخز عينيه بينما يجاهد لاستجلاب
وعيه الضائع وسط غياهب أحلامه أو كوابيسه لا يدري !!
كوابيسه التي كانت تمثل جزء من حياته منذ بدايتها في هذه
اللحظات !!

طفل منطوى .. قليل الحركة والكلام ..
مراهق عنيد .. لا يظهر من عناده إلا القليل بينما البقية
يكبحها يعاند بها نفسه ..

شاب متقلب الفكر ... متقرب من فتاة لا يحبها أهله ..
وفي النهاية رجل مُهان ... ذو كرامة ضائعة ... وابن خارج
نطاق المعادلة !!

وعيه يجاهد ليخرج من تلك الدوامة القسرية التي اجتذبه
إلي غياهبها صاحبه .. لكن المطارق تعود وتضرب فيضطر
إلى إغفاله قليلاً !!

وإذ به فجأة .. استفاق !!

فتح عينيه ببطء شديد متطلعاً حوله هنا وهناك، فوجدهم .. وجد عائلته بلا استثناء متحلقين حوله كل منهم في شتات !!

كف حنون مسد على كتفه، وصوت هامس بحنان قال :
_مصطفى .. فوق يا حبيبي !

أدار وجهه ناحية الصوت الهامس ليقابله وجه أمه التي تخلت عن ارسقراطيتها شكلياً عند رؤية ابنها بهذا الحال .. بينما تلك الارسقراطية تلعب دورها كاملاً على رد فعلها الذي جاء هادئاً حتى الآن .. حتى بعد ما لمحته من حديث مصطفى قبل أن يغيب عن الوعي !!

أوماً مصطفى شبه إيماءة وهو يستقيم في جلسته بمساعدة أمه .. جاهد لإبقاء عينيه مفتوحتين وهو يجول بهما على



وجوه الحاضرين المترقبين لإفاقة وقد لاحظ عبرنوافذ البيت والضوء الذى يتخلل كل المكان أن النهار قد حل !! ضغط ما بين عينيه بتعب قبل أن ينهض دون حديث متجهاً نحو الحمام متجنباً النظر لأى أحد، فهو لا يعلم حتى الآن بماذا هذى ليلة أمس ولا كيف دلف البيت أصلاً بعد طريق عودته الملىء بالحوادث التى تجنيها بصعوبة !!

الآن فقط استطاع تكوين فكرة مناسبة عما فعله بالأمس وشربه للخمر، وقد نوى داخله أن يتوب توبة نصوح عن ذنبه الذى ارتكبه ليلة أمس ونوى أيضاً إخراج صدقة بعدما تفيق العائلة من تلك الكارثة !

وقف أمام المرأة بالحمام مواجههاً نفسه لدقيقة، مدققاً فى ملامحه الرجولية الخشنة قبل أن يخفض عينيه نحو الماء المنهمر من الصنبور والذى ملء كفيه به قبل أن يلطم وجهه بقوة !!



مرة تلو أخرى .. عل الماء يخفف من وطأة ما يشعر به !!
الآن فقط استوعب حجم المصيبة بعدما استعاد وعيه
كاملاً ... الآن فقط استوعب أن عائلته على وشك التفكك و
الانهيار!!

====

خرج إليهم بعد فترة وأثناء مروره في الرواق المؤدى إلى الخارج
وجد عمته عبير تسند يارا متجهة معها إلى إحدى الغرف
لتستريح فعقد حاجبيه بقلق قبل أن يقترب منهما بتؤدة
وعينه على يارا التى تبدو عليها أمارات التعب .. ليقول
بخفوت حين انقطعت المسافة :

_مالك يا يارا ؟

رفعت عينها متطلعة للامح من قرب لأول مرة منذ ذلك
اليوم المشئوم فى المطعم .. وأيضاً أول مرة .. تدرك حجم
شوقها إليه !



ضرب قلبها بعنف لا تعلم هل بسبب حضوره الطاغى الذى
احتل حتى ذرات الهواء .. أم بسبب آلامها التى تزداد حدة !!
لكنها لم تجب فى كلتا الحالتين فأمرها قد تبرعت ببث السم فى
بدنه بكلامها :

_أبعد يا مصطفى .. ملكش فيه، كفاية إالى نالنا من وراكم
... والله لولا الوضع ما كنت قاعدة ببنتى هنا لحظة واحدة .
عقد مصطفى حاجبيه متطلعاً لعمته بنظرات مستنكرة لما
تقول، وملامح مبتئسة من كل تلك التعقيدات التى تحيط
به .. لكنه لم يعقب فاستغلت عبير الفرصة وهى تقود يارا
الصامتة مرة أخرى نحو الغرفة المنشودة .. لكنها ما إن
تجاوزته حتى أفاق فاستدار بلهفة ممسكاً بمعصم يارا
الأقرب إليه ثم قال بإصرار:

_مالك يا يارا ؟

انتشلت عبير يد ابنتها منه بقوة وهى تقول من بين أسنانها :

_ ابعد عنها يا مصطفى .. عاوز تعرف فى ايه .. هقولك، يارا
تعبانة ... الدكاترة شخسوا حالتها على انها ورم فى الرحم و
عندها عملية بعد بكرة .. فيارب تكون ارتحت وتستوعب و
تسبنا فى حالنا !!

ومن ثم سحبت ابنتها خلفها مجدداً راحلة نهائياً ... تاركة
مصطفى المبهوت واقفاً مكانه، وجملة واحدة ترددت على
أذانه : إن المصائب لا تأتى فرادى !!!

=====

حل الصباح .. وماذا بعد ؟!

لا جديد !!!

ليل طويل على أنفاسٍ مقطوعة من كثرة البحث والقلق،
وقت يمر ويليه آخر .. فى سباق مع خوف يزيد ويليه آخر !!
وحين حل الصباح، كان من المفترض أن يكون هذا الصباح
الطبيعى على البشر بمثابة إشراقة أمل ويومٍ جديد وتلك
الفلسفة التى يتغنى بها الكثيرون !!



لكن هنا كل المبادئ متهوية، كل الفلسفة فوضى وكل الأماكن خلاء !!

جلس الصديقان متجاوران على مقعدٍ عام في وسط الطريق، من خلفهما البحر الذي تعشقه التائهة المخطوفة .. ومن أمامهما السيارات القليلة التي تمر على الطريق في هذا الوقت المبكر بعد ليلة طويلة من البحث المضني دون فائدة !!

وبالطبع سيكون دون فائدة فهشام حتى الآن يعتمد التخفى، وكأنه بهذه الحركة يجعلهم يوقنون أنه متمكن منهم فإما أن يمنحوه مراده المجهول حتى الآن وإما أن يضغط أكثر على جرحهم المتقرح الملئ بالقريح !!

وبعدين !!

قالها أحمد الجالس جوار زين بنبرة باهتة، فاقدة للحياة بينما عيناه على حازم الذي ابتعد إلى محل قريب يشترى أى



شئ للأكل ليساعد به خيالاً المأته المصطفين جوار بعضهما
على المقعد ... نظره زين بنظرة ضائعة وهو يقول :

_ولا قبلين ... عندك حل تانى ؟!

أبعد أحمد عينيه مرة أخرى بعدما كان قد نظره، ثم
همس بخفوت شديد :

_لا معنديش !!

وصمتا على هذا؛ حداداً على لحظة الحيرة التي يحيوها !!
هكذا هي الحياة .. منذ صغره تجبره على خوض معارك لا
ناقة له فيها ولا جمل .. حرمة من الكثير ورمته في دوامات
عديدة من زوابع مشاعر متباينة وفي كل مرة لم يملك إلا
الصبر والاحتساب !!

وهل ستكون هذه المرة استثناء ؟! بالطبع لا !

إذاً فليفعل الشئ الذي يجيده ... يصبر ويحتسب !!!

لكنه لم يكن له ولا لأخته يد فيما يحدث الآن .. وها هو القدر
على وشك أن يحرمه منها !!

حين أتى حازم ... أهدى كل منهما زجاجة مياة وشيئاً بسيطاً
ليأكله .. وحين انتهوا لم يكن أمامهم سوى العودة وانتظار
الأذن من هشام ليقربوا!!

لكن يبدو أن هشام لم يمهلهم بل جاء إتصاله أسرع ما
يمكن .. قبل حتى أن يبرحا المقعد العام !!
فتح زين الإتصال بلهفة ورفع الهاتف إلى أذنه هاتفاً يناديها
:

_فريدة!!!

تحفز أحمد الواقف جواره .. وأنصت حازم بهدوء فيما جاء
الصوت الثقيل عبر الأثير:

_زين باشا ... صباح الخير يا "ابن عمي" !!

عقد زين حاجبيه وهو يسمع منه هذا الحديث !!



كان قد كون خلفية مناسبة عن الأمر عبر إتصالات فارس
ومراد لكنه لم يكن ليصدق أي من هذا الهراء الذي يتهاثر به
هذا الشخص المختل .. لذا هتف به :

_بقولك ايه .. الحكاية مش حمل ألعيبك ال**** دى ...
اخلص وقول عاوز ايه ووديت فريدة فين؟!!

ضحكة مقبلة أفلتت من شفتيه جلعت أعصاب زين على
شفا الإنهيار لكنه تماسك بأعجوبة ... ليقول بعدها مباشرة
ممتثلاً للأمر :

_عاوز اطلع من البلد بدون أذى ... الحقيقة مصطفى عرفها
ونصها التانى يبقى يعرفها من أبوه ... بس للأسف وصله
معاها اعتراف بصوتى هيقعدنى فى البلد هنا ورا القضبان ..
وده مكنش ف مخططاتى لما نزلت للبلد الصراحة، وانت
عارف أنى معايا ورقة ضغط قوية عليكم .. أو عليك انت
بمعنى اصح .. مليش فيه إذا كان الموضوع بتاعك اولاً، تقدر



انت تصلح الى ابن عمك ناوى يبوظه وتضمن طلوعى من
البلد بسلام وتضمن سلامة حبيبتك الجميلة كمان !!
_يا زيين !!!!!

صوتها الذى تعاقب بعد صوت هشام أفقده التركيز فى
حديث الأخير فهتف بلهفة وبعينين اتقدا بنيران خضراء :
_فريدة ... ردى عليا انتى كويسة ؟!

لكن أيضاً ما يصله منها كان نداء مستغيث :
_الحقنى يا زين !!!

وبعدها انقطع صوتها ليحتل صوته المقيت الموجات بينهما
منهياً الحديث قبل أن ينهى المكالمة نفسها :

_الى عندى قولته ... وازاى هتنفذ كده دى مشكلتك مش
مشكلتى، لما تبقى مستعد تنفذ إالى قولته تبقى ادينى مكالمة
وهعرفك ازاي تستلم حبيبتك منى !

=====



أما بالبیت فكانت نيران المواجهة على أوجها .. فمصطفى بعدما تخلى عن سترة بدلته التي مازال يرتديها منذ أمس متبعاً إياها برابطة عنقه، ثم فك أول زرین من قميصه سامحاً لنفسه بالتنفس ورفع كمي قميصه حتى المعصمين ... وقف في مواجهة العائلة كلها مكتفاً ذراعيه، متقبلاً نظرات الاستحقار الموجهة من البعض بعد فعلته ليلة أمس .. لكنه لم يبال بل أخرج هاتفه وفتح المكالمة الكارثية المسجلة ووضع الهاتف على طاولة صغيرة تنتصف المكان ثم قال بصوتٍ عالٍ تردد صدهاء في الأجواء :

_عاوزكم تسمعوا كويس .. وبعد ما تسمعوا، حسين باشا مطالب بتبرير لكل إلی هتسمعوه !!!

قال كلماته وهو يغرس نظراته بالقوة في عيني أبيه المرتبكتين واللتان زاد إرتباكهما حد الهلع حين انتشر الصوت بين الجميع وانتهى بانتهاء المكالمة التي جحظت لها الأعين و فغرت لها الأفواه !!



نظر إبراهيم نحو ابنه بنظرة صامته، متهمة وقد كف لسانه
عن تكرار الأمر والمطالبة بالتبرير الذي يطالب به منذ ليلة
أمس !!

لكن حسين كان في موقفٍ أقل ما يقال عنه مخزى وقد
انعقد لسانه جراء خزيه فما نطق !!
ولم يحاول أحد أن يحثه على القول بل حلق الصمت في
الرؤوس وزادها توتراً

بعد فترة صامته ... قضائها حسين منكس الرأس، متورم
الكرامة ذو مكانة اهتزت وتزعزت بين إخوته وابناءهم ...
تحدث من تلقاء نفسه وما زالت عيناه على الأرض :
_ كان يوم شغل عادى .. يوم م أخذنى صاحبي إسماعيل
معاه عشان يبيع الشقة بتاعته ويستلم فلوسها من المشتري
!!!

وبالطبع الشقة لم تكن شقة كما ظن !!

بل كان ذلك بمثابة تذكرة دخول لعالم آخر لم يكن حسين يعلم عنه شيئاً، كان وقتها متزوجاً وليس لديه أطفال سوى مصطفى الذى كان يبلغ ثلاثة أعوام وقتها !!

ذاك اليوم كانت صفقة ضمن تلك التجارة الذى كان يعمل بها إسماعيل صديق حسين، وبعد نجاح الصفقة كان قد قرر الإحتفال وحسين الذى لم يفقه شيئاً حتى وقتها كان معه !

يومها التقاها هناك !!

كان اسمها "هدى" وكانت جارة إسماعيل وكانت تعمل راقصة بالإكراه، نعم لم تكن راضية عن طبيعة عملها وربما هذا ما جعل حسين يتعاطف معها وقتها ... وهى حين سأمت الأمر والرقص هنا وهناك قررت طلب المساعدة من إسماعيل الذى كان يعطف عليها بعد وفاة والديها دون



إخوة وبعد رحلتها الطويلة مع الرقص فى الملاهِ الليلية
اكتنفها إسماعيل تحت رعايته ...

لم يكن حسين قد التقاها قبلاً ويومها كان اللقاء ونقطة
الوصل بينهما !

شك فى بادئ الأمر أن هناك علاقة بينها وبين إسماعيل لكن
الأخير أكد له أنه لا شئ من هذا القبيل وأن والدها ذو
افضالٍ عليه لا أكثر!!

ومن هنا ... بدأت دوامة طويلة من أحداث كثيرة متتالية !!
لم تنتهى بإعجاب حسين بهدى وزواجه منها فقط ... بل ولا
بإنجابه منها هشام أيضاً .. فقد توطدت العلاقة أكثر بين
حسين وإسماعيل حتى باتا شريكين فى تلك التجارة !!
نعم حسين مشترك بشكل أو بآخر فى تلك الكارثة بل
الكوارث التى حطت على العائلة !!!



يوم تزوج حسين هدى كان بالطبع زواجاً بعيداً عن العائلة
ولم يعلم به أحد سوى إسماعيل ... لم يكن ينوى الإنجاب
منها أبداً خاصة بعد حمل فريال بفارس !!

لكن حدث الحمل بالخطأ أو بالقصد لم يكن وقتها يملك
متسعاً من الوقت ليفكر ويحلل كيف بدأ الأمر
خاصة مع تمسك هدى بالطفل وهو وقتها كان يحبها بشكلٍ
جعله يرضخ لكل ما تريد !

لكن !!! ويومها وضع تحت لكن مئة خط !
لوتتم إكتشاف أنه متزوج بل ولديه طفل أيضاً فهنا اللعنة
كانت ستحل على حياته من قبل عائلته وعائلة فريال هانم
العريقة ... وبالذات عائلته كانت من النفوذ بوقتها ما كان
يؤهلهم لكشف سره بسهولة !!

وضع جميع شكوكه ومخاوفه بين يدي إسماعيل وقتها
ولم يكن يعلم أن الأخير بالدهاء الكافي الذى جعله يستغل



مخاوفه حيال الأمر وأقنعه أن الطفل سيُكتب باسمه هو
!!!!

باسم إسماعيل هنداوي .. كان حسين بالتخبط الكافي وقتها
ليخال له أن إسماعيل فعل ذلك ليساعده فقط حتى أنه
تزوج بعدها مباشرة بأيامٍ قلائل حتى يبدو الأمر منطقياً حين
يكتب الطفل باسمه حين يولد وزعم أمام الناس جميعها
أن زوجته قد حملت بعد أسبوع واحد من زواجهما !!

وقد تم بالفعل ما خطط له إسماعيل وبعدها ولدت هدى
تمت الإشاعة بين القلة الذين يعرفون بأمر زواج هدى
وحسين أن الطفل قد وُلد ميتاً، بينما ولدت زوجة
إسماعيل طفلاً جميلاً تمت تسميته بـ "هشام" ... هشام
إسماعيل هنداوي، صاحب الأصل من عائلة البدرى !!!

وهكذا تمت تسوية الأمر بين الجميع بتربية هشام بين
البيتين حتى لا يبتعد كثيراً عن أمه وأبيه، وبين بيت



إسماعيل الذى رباه وعلمه وأنشأه على نهجه هو... ذاك
النهج الفاسد بالطبع !!!

... وبمرور الوقت ... ولأن الكذب معدوم القدمين، لا يكـد
يخطو خطوة إلا ويتم وأده فقد علم حسين بطريقة أو
بأخرى أن إسماعيل بالأساس لا يُنـجب وما فعل صنيعه مع
حسين إلا لـكى يجد من يحمل اسمه ويرثه ويرث تجارته
الفاسدة بعد عمرٍ طويل .. وبالضبط هذا ما حدث ..

لكن وقتها كانت القطيعة بينه وبين حسين بهذا الأمر... فقد
شب العراك بينهما ناراً لم تنطفئ إلا بموت إسماعيل الذى
أختار هشام وقتها البقاء معه ورؤية حسين على أوقاتٍ
متباعدة !!

وماتت هدى ولم يبق لهشام شئ سوى حسين
وإسماعيل !

اللذان ظل يتخبط بينهما سنيماً طويلة لم تنتهى إلا بموت
الأخير منذ قريب !

أما عن اقتراب هشام من مصطفى فذاك كان نتيجة شعور
جام بالذنب من حسين ناحيته فقرر أن يضعه في طريق
ابناءه لينال حصته من حنانه ورعايته وبالفعل كان طريقه
مع مصطفى في صداقة طويلة متينة، برزت شرارة
انقطاعها حين وقعت عينا هشام على نرmin التي كانت أمام
عينا مصطفى حينها !!

أحب الاثنان نفس الفتاة ... لكن من سارع بالوصول إليها
بطريقة صحيحة كان مصطفى وبالفعل حصل عليها، أما
هشام فقد كان يخفى حبه في زاوية عميقة جداً منه دون
الإفصاح عنه !!

لكن فاض به الكيل ... ذهب لحسين وقص عليه كل شئ
عن مشاعره وعما حدث، مما كان يزيد من اشتعال عقدة
الذنب لدى حسين فكان وقتها كالذي جاء ليكحلها فأعماها
!



فقد قرر أن يساعد هشام لينال الفتاة التي أحبها ولا بأس
إن كانت زوجة مصطفى، فمصطفى قد نال كل شئ في
حياته من طفولة متزنة و حياة مرفهة بين أب وأمٍ يعشقونه
... بينما كان نصيب هشام من كل هذا معدوماً !!

لذا فقد قرر منح هشام تلك الدمية نرمين التي أرادها
خاصة مع رفض فريال لها منذ البداية، وطلاقها من
مصطفى كان الحل الأمثل!!

فأعطاه كل المعلومات المتاحة لديه عن ماضى مصطفى
وعن زميلته تلك التي كانت تحبه وبدأت الخطة من هنا ولم
تنتهى إلا بتحقيق مراد هشام وحصوله على الفتاة التي
أحب !!!!

ولم يكن هشام ليترك إسماعيل أيضاً .. فحتى لو كان هشام
يريد تركه لما سمح له إسماعيل مطلقاً بتركه وحيداً في هذا
العالم .. فهشام كان كل العائلة التي يملك !!



تلك العائلة التي لم تنفعه بشئ حين رحل عن الدنيا ليقابل
رب العالمين !!!

لكن وقبل مماته بفترة ... كان زين قد بدأ العمل على
الإمساك به وهو الذي كان مجهولاً له لا يعلم عنه شيئاً،
لكن جد زين واجتهاده في عمله مكنه من معرفته وكان قاب
قوسين أو أدنى من كشفه وإبطال تلك التجارة التي يعمل بها
.. لكن إسماعيل لم يكن ليجازف بكشف نفسه حتى لو كان
هذا الشخص ابن أخى حسين .. حسين الذى حاول ثنيه أكثر
من مرة عما كان ينتويه فى الإطاحة بزين من طريقه، لكن
إسماعيل لم يستمع وفضل اللعب من وراء حسين وإكمال
مخططه للنجاة، فقام بكل تلك اللعبة حتى يتخلص من زين
وشوشرته التي ينشرها بين عالمه ... لكن ما حدث أن من
ماتت كانت زوجة زين وليس هو .. وهذا ما وصله وجعله
يسارع بالخروج من البلد لاحقاً بهشام ف بلدٍ غربية وقد
أوقف كل نشاطاته نسبياً فى البلد هنا !!



وبعدها بدأت رحلة زين للبحث عنه، ورغم علم حسين بالأمروالمامة بكل ما يحدث، لم يكن ليفصح عن شئ أبداً مهّداً مكانته ومهدداً بيته بالخراب !!

حتى مات إسماعيل في تلك البلد بعد صراعٍ مع المرض، ومن ثم أتى هشام لرؤية حسين مجدداً وبدأت سلسلة اللقاءات التي انتهت بكشف الحقيقة المستورة منذ سنين، مع اعتراف هشام بتورطه في تجارة ممنوعة ستؤدي إلى سجنه في هذه البلد دون خروج !!

لهذا فعل هذا مع فريدة التي كان يراقبها مسبقاً هي وحلا ويارا .. حتى يستطيع السيطرة على الأمر إن أتت حركة غدر من قبلهم ويستخدمون كورقة ضغط يستطيع بها الخروج من البلد سليماً !!!!

وكل هذا بعلم حسين الذي لم يحاول ثنيه عما يفعل بدعوى أنه لا يريد أذية أحد ... هو فقط يضمن السلامة لنفسه !!!!



صمت ... صمت ... صمت ...

ورغم ذلك كانت ذرات الهواء وكأنما تعانق لهيباً حارقاً
فيصيب الجميع بلسعة غريبة وكأنهم تم القاءهم في الجحيم
للتو!!

الوجوم الذى كسا القسمات كأن أبلغ تعبيرٍ ممكن حتى الآن
.... إلى أن أتى وقت الإفاقة !

وأول من استفاق كانت فريال التى استقامت واقفة فجأة ثم
استدارت متجهة نحو غرفة فارغة فى البيت مغلقة خلفها
الباب بالمزلاج !

وقد منعها كبريائها من إظهار نفسها بأى مظهر مثير للشفقة
أمامهم !!

لم يفهم أحد لما فعلت هذا فجأة دون رد فعلٍ منطقى على
الأمر.. لكن مصطفى ما كان سينتظر ليفهم بل هرول وراء
والدته وهو يطرق الباب عليها قائلاً بنبرة غلفها القلق :

ماما ... افتحي يا ماما، في ايه؟!

وخانته دمعته وسقطت هذه اللحظة بعدما كان يكبحها

بصعوبة وهو يواجه حقيقة حسين البشعة!!

فبدا كطفلٍ أخطأ وينتظر العفو من أمه التي تتمنع عنه،

خاصة مع استطراده الخافت .. المتعاطف رغم أنف علاقته

بأمه المتهاوية بعض الشئ :

_صدقيني والله هجبلك حقك .. مش هضيع قهرتك دي على

الفاضى ... انا اسف لكل إالى حصلك وإالى انتى حاسة بيه

دلوقتي .. آسف يا أمى .. والله آسف، سامحيني !

ثم استدار فجأة بشراسة مفاجئة بعد لحظات طويلة وكأن

صمته كل ذلك كان بمثابة شحن لطاقته المهدورة ثم اقترب

من أبيه بسرعة وبملامح معقدة شيطانية أمسك بتلابيبه،

يوقفه على قدميه ويهدر بوجهه :

هشام فين ؟ أنطق وقول هو مخبي نفسه فين ؟



رفع حسين يديه ممسكا بكفى ابنه قائلاً بنبرة خفيضة،
مترجية :

_متعملش فيه حاجة يا مصطفى .. أخوك ملهوش ذنب فى
حاجة، الذنب كله ذنبى أنا .

انعقد لسان مصطفى غير قادر على الحديث أو متابعة
تحقيقه وتهديده لأبيه !

موقفه صعب، بل صعب للغاية؛ فهذا أبيه الذى كان دوماً
يراه رمزاً صعب الوصول إليه فكيف سيتعامل الآن مع هذا
الدرك الذى وصل إليه !!

كيف يقف بوجهه ويواجهه بالخطأ، بل هو والله غير قادر
على مواجهة عينيه وكل تلك المناوشات بينهما منذ أتى أمس
تضغط على أعصابه وتقتات عليها !

دب الألم داخله واستوحش يقتات على روحه المرهقة ...
فهز رأسه بيأس قبل أن يترك أبيه ويتراجع متقهقراً إلى
الخلف خطوة .. اثنتين ثم أطلق ساقيه للرياح خارجاً من

البيت بأكمله بعدما شعر بجدرانه ستضيق الخناق حوله و
تطبق على أنفاسه!!

لم يجد حتى الآن طريقة يستطيع بها منطقة الأمر.. بل كل
الذى سمعه وعرفه يمر على عقله كأضغاث أحلامٍ مالها في
عرف الحقيقة تأويل !

وأثناء ابتعاده وسيره دون هدى وسط الطرقات لم يدربأنه
يبكى والرؤية مشوشة أمامه لا يدر إلى أى نقطة يسير وإلى أى
هدف ..

ظل يجوب الشوارع ... وأثناء شروده الطويل قفزت إلى
عقله صورتها !!

يارا تتألم ! بل إنها ستخضع لجراحة عما قريب ..

خائف هو.. بل خائف عليها بشدة !!

فكرة أنها لن تستطيع الإنجاب مجدداً تسيطر على تفكيره
فتجعله خائفاً !!



خلفيته شديدة البساطة عن تلك الأمور الخاصة بالنساء
وحسب ما قالتها عمتها أنها تعاني من ورم بالرحم، جعلته
يظن بل ويتيقن أنها ستخضع لعملية أستئصال للرحم
وهذا سيمنعها من الإنجاب ... ويخشى عليها من تبعات أمرٍ
كهذا !!

فهى كـ "يارا" التى يعرفها ... يعرف كم وقع هذا الأمر على
نفسها سيئاً !!!

كيف لم يعلم بأمرٍ كهذا طيلة الفترة الماضية ؟!
وكيف طاوعه قلبه أن يصمت على الأمر ولم يهتم به حين
سمع صوتها المتألم فضلاً عن تلميحات أخته حول الأمر !!
هل ما يحدث معه جزاءً على ما فعله بها ؟!
هل صدمته فى أقرب أهل الأرض إليه نكالاً له على خذلانه
لها ؟!

لكن .. بما أخطأ هو ؟! هو كان يحمى ابنته لا أكثر!



ويارا كانت بوجودها وحيا لها تهدد حياة ابنته ... فبما أخطأ
هو ليحدث معه كل هذا ؟!

على ماذا يعاقبه القدر يا ترى ؟!!!

ظل يجوب الشوارع إلى أن ساقته قدماه نحو بيتها !
لكنها ليست هنا ، هو يعلم أنها في بيت جده .. لكنه لم يكن
ليذهب لها الآن يلتمس منها القوة التي هي أحوج إليها منه !
بأى وجه سيرها وجهه بل ويطلب دعمها أيضاً ؟!

فجاء يلتمس الفتات من بيتها الخالي منها ... ورغم أنه لم
يدخل ولم يفعل أكثر من تطلعه للبيت ولشرفة غرفتها
بالتحديد إلا أنه أحس أنه آن الأوان ليتجاوز صدمته
ويساعد زين للعثور على فريدة ويصل هو إلى هشام الذى لا
يعرف حتى الآن كيف سيتعامل معه وماذا سيفعل به !!

هل يقتله؟ وينهى حياته وحياته هو معه حين يدفنها خلف
القضبان الباقي من عمره أو يسلم رقبتة بإرادته لحبل

المشنقة جراء قتله الذى سيكون متعمداً وعن سبق إصرار
!؟... أم أنه ليس له ذنب كما قال أبيه الذى يستحق كل
العقاب على كل ما فعل، فهذا كله صنع يداه هو.. هو من
أتى إلى الدنيا بهشام ليسلمه إلى شخصٍ غير أهلٍ له و
ساعده في اختطاف امرأته منه، مستبيحاً عرض ابنه لابنه
الآخر!!

هل يسلم ذاك الاعتراف المسجل لهشام على هاتفه للشرطة
وحينها سيُقبض عليه بتهمة الإتيان في الممنوعات ويلقى
جزاؤه؟! ... لكن بهذا سيظل أبيه طليقاً في الخارج ولن
يتوانى عن سلك كل الطرق القانونية منها وغير القانونية
ليخلص هشام من محبسه ويعيده إليه مجدداً، بل ولن
يتوانى عن إرساله للخارج حفاظاً على حياته وحتى لو اضطُر
لتهريبه من البلد!!

ماذا سيفعل!!!؟

وكيف سيقصص لأمه من أبيه وما فعله فيها!



حسين خرج من الأمر كما تخرج الشعرة من العجين !
لم يترك خلف جريمته منذ سنواتٍ خيطاً ولورفيعاً يستطيع
به إثبات أى شئ يدينه، حتى شراكته مع إسماعيل الذى
كان سبباً فى تلك الكوارث التى حطت على العائلة لا يملك
دليل عليها !

وهل ستقدر على أذية أبيك يا مصطفى !!؟

هل ستسلمه بيدك إلى مصير مجهول ؟!

وكانت إجابته : أنه فقط سيسلمه للعدالة !!

لكن أى عدالة تلك وهو ليس بيديه أى دليل على إدانته !؟

ولن يستطيع مهما كان أن يقتص هو منه بنفسه ! لن

يستطيع فعل شئ مشين يزيد به من تفكك عائلته التى

بالفعل هى مفككة ... لن يقوى على فعل شئ يقصم به ظهر

جده مجدداً، خاصة بعدما رأى حالته كيف كانت حين ألقى



الخبر عليهم وكيف كانت تعايره حين انتهى أبيه من سرد
حكايته الغير مشرفة على الإطلاق !!!

الأمور تتشابك وتتعدد وهو لا يدري مخرجاً ... فالظروف
فرضت عليه أن يحقق العدل بين أبيه وأخيه حديث
الاكتشاف فكيف سيقدر على فعل أى شئ، خاصة وهو
بالفعل لا يملك شيئاً ليفعله !!!

=====

هل انتهت حقبة الصمت، أم مازال يخيم على النفوس و
استلمت هي الدفة رغم حالة الهرج التي أصابت البيت ؟!!

أسند معاذ والده الذى لم يقو على صلب عوده الهرم بعد
كل ما سمع وكأن سنين عمره تعاظمت واتجه به نحو غرفته
ليجعله يستلقى على سريره ببطء وملامح يشعربأن
تجديدات الزمن قد زادت فوقها !!

بينما اندفع فارس خارجاً من البيت وهو يشعر بالشياطين
تتراقص أمام عينيه بإغواء لإرتكاب أى جريمة !!

وخلفه درة تهرول تحاول اللحاق بخطواته الواسعة إلى أن
أمسكت بمعصمه تحاول إيقافه، لتتفاجأ بيه يستدير
نحوها بملامح منذرة بالشرلانت بعض الشئ ما إن رآها،
فجز على أسنانه متحكماً في أعصابه المهددة بالإنفلات وهو
يقول :

روحى يا درة، ارجعى البيت وخليكى مع عمتى ويارا .. انا
راجع بيتنا ومش عاوز حد معايا دلوقت، ارجوكِ تلاشىنى
الساعة دى !

ومن ثم اندفع خارجاً دون أن يعبأ لأول مرة بنداء عينيها
الصامت !!



انسدلت دموع سمية على خديها بصمتٍ قاتل دون أن تجرؤ
على النبس ببنت شفه، متخذه من ركن بعيد في اليهو
مكمناً، تبكى فيه حالهم بصمت وحسرة!.... راقبتها عينا
مراد الذى مازال مذهولاً غير مصدقاً إلى الآن وهى تستل
نفسها بخفة شديدة دون أن يلحقها أحد أو بالأصح لم تكن
فى بال أحد ليهتم بها غيره، حتى تخطت باب البيت من جوار
زين وحازم وأحمد اللذين عادوا للتو من الخارج دون فهم
أى شئ عن الانقلاب الذى يحدث داخل البيت !!

التقت عيناها بعيني زين فى بادئ الأمر فشعرت بكم القلق
والقهرة الذان يعربدان بين زوايا عينيه حزناً على حال
خطيبته التى لم يعرف لها طريقاً إلى الآن!.. مقارنة بها التى
علمت للتو عن المصيبة التى حطت فوق رأس عائلتها كغراب
منذر بالسوء، ولم يهتم بها أحد ولو بمثقال ذرة.. فتمكن
منها شعور بالقهر فوق قهرها وصدمتها فكانت فى تلك
اللحظة كسيفٍ مسلول مستعداً لقطع أى رأسٍ تقترب منه !



لذا تحركت مدفوعة بكم المشاعر السلبية التي تخللت
كينونتها في فترة بسيطة لتخرج من البيت ناوية على شئ
متهور... وهذا ما وصل مراد المراقب لها بوضوح وشعر
بإقدامها على شئ غبي كما كل أفعالها السوداء فخرج
خلفها لا يدري لما أو إلى أين، فقط تحرك لا يريد إلا حمايتها
.. حتى لو أضرط إلى حمايتها من نفسها !!!

حاول حسين الصعود خلف والده بلهفة ظنها البعض كاذبة
.. فوقف محمد أخيه الأكبر في وجهه بملامح معنفة، غير
متهامنة وهو يهتف به :

_ اطلع برا !!

أشار بيده نحو الخارج فلاحقت عينا حسين إشارته وقد
شعر في هذه اللحظة بالذات بفداحة فعلته التي قام بها
قديماً .. قديماً جداً، فنظر نحو أخيه بملامح معقدة وهو
يقول بخفوت :



_بتطردنى من بيت أبويا يا محمد !

رفع محمد رأسه باستحقار وهو يقول بنبرة غير مقروءة، لكن
الواضح كان عنفها :

_ابوك ده إالى انت معملتش حسابه وانت بتعمل عملتك
السودة .. وبيت ابوك إالى منتشرفش بواحد زيك يوقف
فيه، يا حسين اوعى تكون فاكران إالى انت عملته هين ..
عملتك سودة يا حسين وربنا وحده إالى يعلم فى لسه ايه
تانى .

سارع حسين بالرد فى لهفة على العفوبعد كل ما حدث :
_محصلش حاجة تانى والله، كل إالى عندى قولته .. وانا
والله معرفش هشام فين دلوقتى، هو مرضاش يقولى مكانه
فين عشان خايف من مصطفى وزين ليأذوه .

هز محمد رأسه بيأس وهو يتمتم :

_انت السبب فى كل إالى حط فوق دماغنا .. انت السبب فى
كل ده ... ذنبنا كلنا وذنب البنت إالى ماتت وكمان إالى لسه

منعرفش عايشة ولا ميتة ولا ابنك عمل فيها ايه .. فى رقبتك
يا حسين !!

استدار محمد عنه وذهب يتمتم ويحوقل بكلماتٍ -رغم رباطة
الجأش التى يتظاهرها- ذاهلة !!

بينما وقف حسين مكانه صاغراً .. مهاناً، لا يرى إلى الآن فيما
فعله شيئاً خاطئاً .. فى ظنه فقط هو حاول حماية ابنه دون
العبأ بأى روحٍ من الممكن أن تتأذى بسببه ... إلى الآن مازال
يدور خلف صنم الوهم، مقدماً القرابين والتى تمثلت فى
أذية جميع من حوله دون أن يدري !!

اندفع خارجاً من البيت تحت أنظار زين ومن معه واللذين
إلى الآن لم يفهموا شيئاً، لكن عيناه راقبت حسين إلى أن
علم من الموجودين عما حدث وقصه حسين عليهم فاندفع
خارجاً من البيت مرة أخرى !!!!

=====



أنتصف النهار ومروقت طويل عاد فيه الصمت ليخيم على البيت ... لكنه صمت كئيب أتى بعد صدمة الاستيعاب! تطلع معاذ لملاح والده النائمة، والتي رغم ذلك كانت معقدة كما هو من بداية هذا الصباح البائس ! لم يحاول الحديث مع أحد ولم يقل أى شئ، فقط طلب أن يستريح في غرفته ورفض معاذ رفضاً قاطعاً مغادرته !! يشعر بغصة تحتل حلقه حين يصل إليه إدراك أن تلك الضربة التي تلقاها والده ستقصم ظهره !!.. وتساؤل يبعث رجفة في نفسه يراوده... ماذا سيفعل بعد أبيه يا ترى ؟! ازدرد ريقه بتوتر وهو يطفئ الضوء على أبيه النائم قبل أن يتستدير خارجاً من الغرفة ... أغلق الباب خلفه وهمّ بالتحرك ليذهب إلى غرفته، لكنه ما كاد يرفع عينيه ويهم بالذهاب حتى رآها ! واقفة في نهاية الرواق، تفرك كفيها ببعض التوتر، تطالعه بنظرات مترقبة وكأنها كانت تنتظره !



هل يخيّل له .. أم أنها فعلاً ماثلة أمامه !!؟
تعرّقت جبهتها وتوترت حين قابلت نظراته المتفحصة بها
لكنه لم يحرك ساكناً نحوها إلا عندما انقلبت هي منه بخطٍ
وئيدة !

تحرك نحوها ببطء وما زال لا يصدق أنها أتنه في هذا الوقت
تحديداً، لا يهم إذا كانت علمت بما حدث أولاً .. جاءت لأجله
هو أولاً .. أهم شئ أنها موجودة !!
شيئاً فشيئاً تسارعت خطواتها نحوه، فتسارعت خطواته
بالمقابل ..

ما باله الرواق يتمدد ويزداد طوله، يزيد المسافات بينهما
!؟...

اقترب .. لمح لهفتها عليه في عينيها ومن ثم .. تعانقا !!
لم يدر من كان المبادر منهما ولم يدر أيضاً أنه كان يحتاجها
بهذا القدر إلا عندما رفعت ذراعيها تحيط بهما عنقه



متعلقة به، لا تعرف إذا كانت تواسيه أوتواسى نفسها على

شئ حزين مجهول المصدر داخلها !!

تأوه ضعيف جداً صدر عنه وهو يدفن وجهه بين ثنايا

حجابها، مستنشقاََ عبيرها وقلبه يختض داخله، وهى

بالمقابل ازدادت تشبثاً به .. تربت على كتفه بحنو وهى

تغمغم بخفوت :

_لعله خير.. لعله خيراً معاذ !!

بعد قليل ...

كانت تجلس على طرف فراشه وهو ممدداً فوقه، رأسه فوق

فخذها متطلعاً لسقف الغرفة بشرود، بينما هى تمسد على

شعره بخفة، ناظرة للامحه الساكنة بشفقة ... تكلم معاذ

بعد فترة هامساً :

_انا مش هاممنى أى شئ فى إالى بيحصل غير أبويا !



تفاجئت بما قال لكنه نقل عينيه الخاليتين من الشعور
عن السقف نحو ملامحها وهو يستطرد :

يمكن تكون دى أنانية منى .. بس انا مش هدى إهتمام انا
فى الحقيقة مملكهوش، مش خايف على حد غير أبويا بعد
إلى سمعه عن ابنه وإلى عمله فى ولاده وولاد خواته
.. أبويا مش هيستحمل!

استمرت يدها فى عملها بينما نظرت له باهتمام وهى تقول
بهدوء :

انا فاهمة انت تقصد ايه .. بس انت مش بإيدك حاجة
تعملها حتى لو كنت مهتم عكس انت ما بتقول .. وازاى اصلا
مش مهتم وانت حالتك بالشكل ده ؟

هزكتيفه بخفة دون رد، بينما هزت رنيم رأسها تنفى شيئاً
وهمياً .. قبل أن تميل على جبينه بقبلة ناعمة وهى تهمس
بخفوت :



_ انت لسه مصدوم فى إالى حصل يا معاذ .. ارتاح وسيب
ربنا يعدلها والأمر تمشى زى م تمشى .

لم يتبدل اللاشعور الذى يحتل ملامحه وهو يسألها :

_ ازاي عرفتي باللى حصل ؟

ابتسمت بخفة وقد بدلت يدها عملها بأن بدأت تربت على

مقدمة رأسه بخفة وهى تقول بشئ من المزاح :

_ تخيل مين يعنى ممكن يقولى حاجة زى دى .

_ حلا !

همس بها بتلقائية فاتسعت ابتسامتها وهى مستمرة بالتربيت

على شعره، قالت بعد عدة لحظات ببعض القلق :

_ لسه معرفوش حاجة عن فريدة ؟

هز رأسه نفيًا ببطء ثم همس :

_ لا .. زين لسه مجاش من برا، وإلى بيكلمه بيعرف منه أن

مفيش جديد .



اومات دون رد وهى تشعر بالقلق على فريدة، تلك الفتاة التى
احبتها بشدة منذ مكوثها فى المشفى أثناء الإصابة...! لكنها
يبدو أن كل من تحبه أو يمس شئ من روحها مكتوب عليها
أن تظل تفتقده !!

وبينما هى شاردة وكفها يربت على شعره، امسك معاذ
بكفها الآخر واضعاً إياه فوق قلبه مباشرة قبل أن يستسلم
لسبات عميق !!

====

دلف مصطفى إلى بيت جده فلم يجد أحد بالهوسوى
القليل منهم، وجد سامية جالسة جوار منى على أحد الأرائك
فى الهم فاقترب منهما وهو يتمتم :

_عمتى عيرفين ؟

وقد خشى أن يقول أين يارا؛ لشئ مجهول فى نفسه !
نظرت له منى بتعاطف بينما ربتت سامية على ذراعه وهى
تقول بحزن :

_روح مع يارا عشان ... انت معرفتش أنها هتعمل عملية بعد بكرة ؟

ابتلع طعاماً مرأً في حلقه وهو يومئ إيجاباً .. هو خائف .. خائف عليها، وكلما يتذكر الأمر يشعر بقلبه يختض داخله .. لا يعرف كيف قامت عمته بزفاف لابنها وابنتها الأخرى ستخضع لجراحة بعدها بأيام، لكنه أسند ذلك لخوف عمته الشديد على حياة أدهم وسعادته ورغبتها في استمرار سجن ماضيه عنه في ركن بعيد جداً من ذاكرته !

ربتت سامية مجدداً على ذراعه وهي تقول :

_مكلمتش زين يا مصطفى ؟ مبيردش على حد وإلى بيتصل حازم هو إلى بيرد عليه .

تجاهل مصطفى كل شعور مؤذ داخله وهو يربت على كفها الممسك به قائلاً بهدوء جاهد كثيراً لتصنعه :

_متقلقيش .. انا هروحله وهنرجع فريدة قريب إن شاء الله .

_يارب يا حبيبي ... يارب .



ما كادت تتم جملتها حتى رأت زين الذى اندفع داخل البيت
بملامح كالمجاذيب.. فهبت واقفة بلهفة .. لكنه تجاهل كل
شئ وكل أحد وهو يندفع نحو مصطفى ممسكاً بتلابيبه
هاتفاً :

_ابوك فين يا مصطفى .. خليه يقول هو مخبى ابنه وفريدة
فين .. من ساعة ما خرج محدش يعرف راح فين ؟
لم يتحرك مصطفى من مكانه قيد أنملة .. بل وقف أمامه
مستسلماً له وللخزى الذى سيظل يلاحقه منذ الآن بسبب
أفعال أبيه !

بينما اقترب حازم من والدته يحدثها بخفوت قائلاً :
_من ساعة ما عرف إالى حصل وإلى عمى قاله وهو حاله
كده .. انتوا متأكدين أن عمى حسين عمل كده فعلاً ؟
اومات أمه وهى تقول بخفوت حزين :



_لله الأمر من قبل ومن بعد .. هو ده إالى حصل يا ابني والله و
عمك اقسم بالله انه ملهوش ايد فى إالى هشام عمله مع
فريدة ميعرفش مكانهم فين ؟

تكلم مصطفى بدون شعور وهو يواجه زين :
_صدقنى محدش يعرف حاجة .. هو نفسه ميعرفش !
مسح زين على صفحة وجهه بعنف وقد بلغ منه الإرهاق
الجسدى وإرهاق المشاعر مداه .. فسقط جالساً على
الأريكة التى كانت تحتلها أمه منذ قليل .. يدفن وجهه بين
كفيه .. لا يعلم ماذا يفعل !
فهو قد جرب كل طريقة ممكنة ستوصله إليها .. لكن هشام
يبدو وكأنه قد ضيق الخناق عليهم بإحكام هذه المرة !

بينما أحمد انسحب نحو الغرفة التى تقبع فيها داليدا منذ
أمس بإعياء ليطمئن عليها ..



وقف مصطفى جوارزين بعقلٍ لا يهدأ .. يحاول التفكير في
طريقة ممكنة للوصول لهم، لم يهتدي لها ابن عمه..
فبالتأكيد الموقف الذى هو فيه يمنعه التفكير السليم !!
فهاتف فجأة قائلاً :

_زين .. هو هشام كلمك ؟

رفع زين وجهه إليه، مترقباً وهو يقول بجهد :

_ايوه .

فهاتف مصطفى بإدراك :

_طب محاولتش تعمل تتبع للرقم وتحدد مكان وجوده ليه ..

اكيد هو كلمك من المكان إلى مختفى فيه .

تحفز زين فى جلسته وكاد يستقيم وينفذ ما قاله مصطفى

بسرعة، لكنه عاد وجلس حين أصدر هاتفه صوت رنين ...

وقد خمن هوية المتصل دون الحاجة لرؤية الاسم .



فتح الخط وشغل مكبر الصوت وحينها أتاه صوت هشام مباشرة :

_اديتك مهلة تأمنلى فيها خروجى من البلد.. وياريت تكون نفذت ده ومنعت ابن عمك من أى تهور بالتسجيل إالى معاه .. هبعثلك عنوان المكان إالى احنا موجودين فيه حالياً ومعايا خطيبتك.. لو نفذت إالى قولت عليه هتيجى تستلمها وتأمنلى أخرج من البلد .. انما لو عملتش كده يا زين و حصل اى تهور من نحيتكم... صدقنى هتندم اوى !

ابتلع زين ريقه بتوتر ولأول مرة يشعر بالخوف من شئ .. لأول مرة يشعر بالعجز أمام أمر كهذا .. رغم تاريخه فى مهنته الذى يحتم عليه الثبات فى تلك المواقف، لكنه الآن ما بيده حيلة !!

قال زين بنبرة حاول أن يبعدها عن منطقة الخوف المنتشرة داخله :



_ عملتك إالى انت عاوزه .. أمنتلك خروجك من البلد و

مصطفى مش هيعمل حاجة بالتسجيل إالى معاه !

فجاءه صوت هشام متحدثاً بسماجة :

_ جميل ... يبقى تجيلى على طريق (....) وطبعاً مش محتاج

اوصيك زى الأفلام وكده أنك تيجى لوحذك يا زين، لأن زى

مانت فاهم المكان متأمن ولو حاولت تقتحم انت إالى

هتخسر ارواح يامة فى جولة زى دى !

لم يكد زين يقول أى شئ إلا وقد أغلق هشام الهاتف فتطلع

له زين لأول وهلة بعدم استيعاب للمهمة التى هو مقدم

عليها ... لكن مصطفى لم يمهلها فقد تمتم متسع العينين :

_ زين !

نظرله زين بتوجس وقد علم أن القادم سيزيد الأمر تعقيداً

.. وقد صدق ظنه حين قال مصطفى بخفوت وقد شعرهو

أيضاً بأن العواقب لن تكون محمودة :

_ انا فعلاً سبق وسلمت التسجيل للبوليس !!!!



الفصل السابع والعشرون

=====

أن تشعر بنفسك محاصراً بين طرفي كماشة تطبق عليك
وتضيق الخناق لهو شعور قاتل !

أن تشعر بنفسك غير قادراً حتى على إخراج النفس من
صدرك لأن الصدمة كانت أعظم من أن تفكر في شئ تافه
كالتنفس..

أن ترزح تحت ضغط الطنين في أذنيك إثر صواعق الكلمات
متمنياً أن يضحك أحدهم فجأة مازحاً، يخبرك أن ما
سمعتة ما هو إلا مزحة، نكتة بغیضة!

هذا بالضبط ما شعره زين حين طافت كلمات مصطفى في
الفراغ بينهما وحلقت..

"انا فعلاً سلمت التسجيل للبوليس!"

ماذا يعني هذا ؟!

هل يعنى أن فرصة فريدة للنجاة من سايكوباتية ابن عمه
الآن مستحيلة؟!!!

هل يعنى هذا؟! أم أن تكرار الضغط على أعصابه قد سبب
إنفجاراً حتمياً?!!!

والغريب أن رد فعل زين جاء هادئاً، مثيرثاً وكأنه أفاق
لنفسه مذكراً إياها أن ثورته وغضبه لن يحلا الأمر الذى
ازداد تعقيداً... لذا زم شفثيه بقوة يتمالك غضبه وترك
قميص مصطفى الذى تشبث به فى لحظة غاضبة وكأنه
سيهجم عليه مثلاً، ثم قال بعنفٍ مكتوم :

_ طيب !! سلمته للبوليس ..

اقتطع حديثه متنفساً بحدة قبل أن يرفع رأسه نحو حازم
قائلاً :

_ حاول بأى طريقة توقف أى تحقيق فى الموضوع ده ...
اتصل بأى حد تعرفه استخدم علاقاتك ومعارفك واى حد
يعرف يفيدك ... المهم توقف التحقيق ده !!

لكن مصطفى تكلم قائلاً، عاقداً حاجبيه بتفكير:
_وليه توقف التحقيق !! انا من رأيي تسرعه وانا عندي
الحل إلى يطلعنا من هناك بدون مجازفة !
رد زين بهدوء، مانعاً انفعالاته بالقوة من التحكم فيه
وحجب التفكير السليم عنه :
_انا فاهم انت بتفكر ف ايه... انت عاوز تقول اننا اول ما
نستلم فريدة منهم نسيبه يمشى والبوليس يقابله على
الطريق ، بس لا يا مصطفى هشام مش بالغباء ده اكيد هو
مأمن نفسه بأى طريقة و عارف نفسه بيعمل ايه .
او ما مصطفى بهدوء وهو يقول بحكمة :
_فاهم .. بس اعمل إلى بقولك عليه .
عقد زين حاجبيه منتظراً تفسيراً، فهم مصطفى بتفسير ما
يجول ف رأسه، فإذ به هاتف زين يصدر صوت وصول
رسالة فتحها زين بسرعة ليجد هشام قد كتب له :



(أنا مش هطلب منك اكتر من انك تأمن خروجى من البلد و تمنع مصطفى عن أى محاولة يحاول يأذنى بيها ... خطيبتك فى أمان يا "ابن عمى" لكن انا مضمنش اخويا يعمل ايه و ناوى على ايه معايا خاصة وأنه معاه التسجيل بتاعى ... انا امننت طيارة خاصة بمعرفتى هتستنانى فى المطار عشان اسافر بيها، كل إالى عليك انك تتحكم فى الوضع عندك و توقف مصطفى اولاً وثانياً تأمنى طريقى للمطار، فى مقابل ده هتستلم حبيبتك بخير من رجالتى بعد انا م اكون بعدت عن المكان نهائى ..)

تطلع زين فى الرسالة عاقداً حاجبيه، تكرر هشام لحديثه وطلباته يحمل عدة معانٍ، ربما هو يحذره من مغبة التهور ومحاولة الغدر به، أو يؤكد له على أن نيته ليس بها إلا حماية نفسه!



والأمر في الحاليتين لا يقلل من حجم الخوف والقهر الذي
يعرّب بين جنباته...

رفع رأسه عن الهاتف يفسر لهم ما أرسله هشام فقال
مصطفى بهدوء :

_كويس هو كده بيسهل عليا إلی عاوزه، وإلی انا عاوزه هو
فعلا زي انت م فكرت يا زين ... بس احنا هنمشي زي ما هو
قالنا، على الخطوات إلی هوراسمهالنا وقبل ما يوصل
للمطار تكون القوات مستنياه على الطريق ويتقبض عليه !
_بس هو قال انه مش هيسلم فريده غير لما يدخل المطار و
يعطى أمر لرجالته أنهم يسلمونا فريده .

صمت مصطفى قليلاً يفكر ثم قال بدوره :

_مش هيبقى صعب علينا أننا وقتها وهو تحت ايدينا نجبره
يدي الإشارة دي اياً كانت لرجالته بأنه يحرر فريده !
تكلم حازم الصامت من أول الحوار قائلاً :



_انا مع رأى مصطفى يا زين ... خاصة وأن الوقت بيعدى
علينا من غير ما نعمل اى شئ من إالى هو طلبه ومش
هينفع تسحب التسجيل من البوليس تانى بعد ما مصطفى
بعته !!

حرك زين عينيه بينهما بقلق، شعور غير محمود يراوده عن
تلك الخطة يشعر بكل الموازين ستقلب فجأة !
لكن لا بأس، فمادام قد نفذت الحلول وانعدمت الفرص
أمامهم ... لا بأس بالمحاولة !!

=====

"لطالما كانت ذاكرة الإنسان سريعة العطب!"

هاهو منذ أن رآها تخرج من البيت مسرعة، فى حالة منهارة
بعدها سمعت بحقيقة أبيها البشعة، وخرج ورائها لا يدري
لماذا أو إلى أين، يدور خلفها بسيارته خوفاً من أن تقوم بأى
حركة متهورة!

ليجدها مراد قد أتت إلى بيتها، بالبداية تنفس الصعداء
وحمده ربه أنها لم تلجأ لأي مكان آخروأتت إلى بيتها ... لكنه
ما كاد يطمئن على حالها بعدما دلف خلفها البيت بخفة
دون أن تشعر به وقد تركاه الحارسان على البوابة ليدلف
لعلمهما المسبق بهويته إلا وعاد يقلق من جديد !!

فقد توجهت سمية نحو ركن نأى جداً من حديقة بيتها ركن
مخفى خلف شجرة كبيرة، اندست متوارية خلفها جالسة
على الأرض العشبية تحتها، تدفن وجهها بين كفيها تبكي
بقهر، بألم مس قلبه وهو واقفاً خلف الشجرة يراقب جانبا
المواجه له وهي تبكي وتبكي دون توقف !!

صحيح .. ذاكرة الإنسان سريعة العطب !

فها هو يقف متألماً لأجلها، يكاد يتهور ويندفع إليها يغمرها
بأحضانها، ليسكت بعضاً من ذاك الألم الذي يصرخ في كل
لفتة منها... ناسياً أو متناسياً سمية القديمة .. الأنانية ..



قليلة الحياء والأدب كما أطلق عليها .. سمية المتعجرفة ذات
الأنف المتعال !!

كل هذا راح في مهب الريح وهو يواجه هذا الجانب الضعيف
المهزوم منها .. هذا الجانب الذى كانت تخفيه هى عن
الجميع بتعالها وغرورها المقيت منذ صغرهم !
صغرهم !!؟

أين سمية الصغيرة الرقيقة من تلك المتعجرفة قليلة الحياء
الآن ؟!

ربما هو مظهرها الآن ما يمثل الصلة الوجودية الوحيدة
بينها وبين شخصيتها فى طفولتها !

طفولتها التى لا يذكر منها الكثير بطبيعة الحال وبسبب تكرار
سفرياتهم وتنقلهم من بلد لبلد ... لكن هذا لم يمنعه أبداً
عن حبها !

نعم، سمية كانت حب طفولته ومراهقته، حتى حين شب
عن الطوق لم يبرح أبداً حبها رغم علمه بشخصيتها التى

تميل للإنحلال كلما كبرت قليلاً في السن، وبشخصية والدتها
التي تميل للإنفتاح قليلاً كادت تفسد نهائياً !
كان يضحك ساخراً كلما رأى حالة يارا ورأى حالته.. وجملة
واحدة فقط تطراً على عقله : أنه وأخته ملعونون بحب
ابناء هذه العائلة !

وقد ازدادت سخريته حين تزوجت درة بفارس أيضاً !
لكن ما صار اليوم .. هذا ما جعله يريد الضحك بشدة !
هل لو عملت أمه بحبه لسمية ورغبته شبه المستحيلة في
أن تصبح زوجته ستسمح له بشئ كهذا خاصة بعدما
عرفت عن خاله حسين اليوم !
هل سترضى أن يؤول مصيره هو الآخر إلى ابناء أخيها الفاسد
كما حدث مع درة وتورطت سلفاً بالزواج من فارس حتى لو
كان فارس صاحب فضل عليهم بتستره على فضيحة أخته
!؟ وكما حدث مع يارا وتُيَمت بمصطفى !



صدمة عبير ستكون كبيرة بالتأكيد فأولادها الثلاثة متيمون
بأولاد حسين دوناً عن بقية أبناء العائلة، فهل هناك شئ
أدعى للسخرية أكثر من هذا ؟!!!!

لكن لحظة!!

من قال أنه سيسمح لأحد بأن يعرف سره الدفين الذى دأب
على دفنه داخله طوال سنوات عمره ؟!
إن كان قدره أن يظل متقلباً على الجمر البقية من عمره
بسبب حبها فسيفعل!

لكنه لن يسمح لأحد بأن يمس كرامته أبداً، وشخصية
سمية وحدها كفيلة بهدم كرامته من جذورها !!!
لا ... لن يجازف !!

حتى لو كانت تحتاجه هي كما حالتها الآن، لن يجازف بقلبه
معها فكفاه أفعالها السوداء التى يلاحظها منذ أن أتى إلى
هنا، إضافة إلى نظراتها غير البريئة إلى زين كلما التقته !!!

وعلى هذا الخاطر اندفع خارجاً بخفة كما دخل بخفة،
يسحق قلبه تحت قدميه تماماً كما سحق الطريق تحت
إطارات سيارته مبتعداً عن أى أرضٍ تحتويها !!
سمية لعنة ظلت تلاحقه حتى عندما كانوا فى الخارج ويبدو
أنه ليس له منها فكاك !!

=====

فى نفس الوقت !

كان فارس مستلقياً فى غرفة مكتب والده، فوق الأريكة
الجلدية الموضوعة فى زاوية الغرفة ..
يتطلع لكل إنش فى المكان مفكراً عن ماهية الشئ الجلل
الذى جعل والده يفعل كل هذا متسبباً لهم فى ذاك الألم فى
وقتهم الحاضر!

ما الشئ الجهنمى فى هذه المرأة التى تزوجها على أمه قديماً
؟!!



وتساؤلاته بالطبع لم يجد عليها إجابات .. كما أنه لا يجد أى
أثر لأبيه فى أى مكان منذ أن خرج من بيت جده ..
يبدو أنه أدرك تماماً أنه مخطئ وعلم أيضاً أن مصطفى لن
يمرر ما حدث على خير!!

لكن أين عساه سيختبأ منهم أكثر من ذلك ؟!
من أولاده ؟!!

دمعة شريفة انحدرت على جانب عينه وهو مستلقياً على
الأريكة متوسداً ذراعه !

لا يعلم لما اختار غرفة مكتب أبيه بالذات ..
ربما لأنها تذكره بأبيه ذو أعظم هيئة فى نظره، أبيه ذو
المبادئ والقيم وليس ذاك الذى باع زوجة ابنه لابنه الآخر،
ولا الذى سلم ابنه إلى رجل فاسد ليفسد ابنه بالتبعية حتى
لو كان خائفاً من إنكشاف أمره أمام عائلته !!

خطأ أبيه لم يكن فى الزواج، بغض النظر عن طبيعة وأصل
الزوجة، لن يحكم على أساس ماضى الشخص فهو كان قد

تزوجها وانتهى الأمر... لكن خطأ أبيه يتمثل فيما حدث بعد ذلك !

بداية بتسليمه لابنه وتزويره لهوية الوالد وخطأه في حق مصطفى وحقهم جميعاً، وليس نهاية بما فعله مع زين وإخفاء الأمر عنه بالرغم من علمه أن حياة ابن أخيه في خطر!!

أباه حتى لو لم يكن هو من قام بتلك العملية الدنيئة محاولاً قتل زين، فصمته على الأمر في حد ذاته جريمة !!
مجرد علمه بأن حياة ابن أخيه على محك الخطر ولم يتزحزح خطوة واحدة ليقف الأمر.. جريمة !!!
..

بعدما مرت مدة لا بأس بها على رقدته في هذا المكان!
لم يدرب بالسيارة التي توقفت خارج البيت وترجلت منها درة تاركة أمها ويارا بها يكملن طريقهن إلى بيتهن بينما هي جاءت هنا ... إلى بيتها !

رغم اعتراض أمها على الأمر وأمرها لها أن تأتي معها إلى بيتهم هم؛ فهي لم تعد تأمن عليها في بيت كهذا ... لكن إصرار درة على الوقوف جوار فارس في هذا المحنة أسكت أمها وأعلمها أن فارس هذا الذي تمنعت عنه ابنتها في البداية ما هو إلا الشخص الذي وقعت ابنتها في غرامه !!!

....

ارتقت درة درجات السلم حتى دلفت إلى البيت ولم تلحظ سمية التي كانت منزوية في الحديقة كما هي منذ أن تركها مراد...

لفت نظرها ضوء غرفة مكتب حميها المضاء بعدما كانت ستتجه نحو غرفتهما بالأعلى !

فاستدارت على عقبيها متوجهة نحوها !
وقفت أمامها تتنفس بعمق، تستعد لأن تستقبل إنفعالاته وكل ما يمر به كما فعل معها قبل ذلك وتقبل منها كل شئ حتى الفتات !!



ثم... طرقت الباب !

مرة، اثنتين، ثلاثة دون رد !!

وهي غير قادرة على النداء لتعلمه بهويتها ..

وكم شعرت بالغیظ من نفسها في هذه اللحظة ..

حديث الطبيب عن كون قابلية رجوع صوتها من عدمه يرن
في أذنيها ... فتضغط على نفسها بقوة تحاول إخراج صوتها
ولو بالقوة !!

تحاول ... وتحاول بكل جهد، لكنها لا تفلح !!

هي تحتاج حافز نفسي لتتم الأمر وهما في حالة فارس أمامها
تحفزها... فارس الذي ينتظر منها الآن تقف في ظهره، سنداً،
سداً منيعاً، داعماً كما كان هولها قبل ذلك !!

هيا يا درة !!

فارس يحتاجك....

لا جدوى !!!!

فتهدت بيأس وهى تخفض وجهها، تمس بوجهها الباب، و
تنظم أنفاسها !!

لا بأس ... ستحاول مرة أخرى .. فى وقتٍ لاحق !!
لكن فارس الآن

عاد شعورها بالغىظ ليحتل إحساسها كاملاً فتحفزت أكثر
... وإذ بها فجأة تنادى :
_فارس !!!!!

اتسعت ابتسامتها وهى ترفع أصابعها نحو عنقها، تتحسس
موضع حنجرتها وكأنها تتأكد أن صوتها قد خرج عن حلقها
بالفعل، بعد حبس اختياري دام لفترة طويلة !!
ثم نادى مرة أخرى بصوتٍ لم ترفعه عن مستوى الهمس
بقليل؛ مهابة أن يضيع مرة أخرى :
_فارس ... افتح يا فارس انا ذرة !!



أفاق فارس لنفسه فى الداخل بعد أن تجاهل الطرق الملمح
على الباب وهو يخل إليه أنه قد سمع صوت درة تنادى
عليه !

لكنه بالتأكد يهلوس، لا ريب أن ما يحدث معه بالتأكد
يدفعه للهلوسة بأمور يتمنى أن تحدث لتخفف عليه وقع
تلك الأحداث عليه !!

لكن الصوت عاود الهمس مرة أخرى مع طريقة خفيفة على
الباب جعلته يتيقن أنه لا يهلوس، فقفز عن الأريكة ناهباً
الخطوات البسيطة حتى الباب ثم فتحه بلهفة ليجدها
أمامه بالفعل، مبتسمة تلك الابتسامة التى وقعها على
روحه أعذب من أى شئ فى الدنيا !

لكنه تحدث بخفوت متشكك :

_ انتى .. انتى ناديتى عليا ؟

اومأت درة وهى تقول بخفوت :

_ ايوا .. صوتى رجع !

شقت الابتسامة شفتى فارس على استحياء، فى حين تقدم
منها بلهفة معانقاً إياها بقوة كل ما يجيش فى صدره من
مشاعر... قبل أن يبعدها عنه متطلعاً فى ملامحها بابتسامة
وهو يغمغم :

_مبارك يا درة ..

بادلته ابتسامته قبل أن يسحبها هو من كفها متجهاً بها فوق
الأريكة التى كان يحتلها منذ قليل، ممسكاً بكفها بين يديه
وكأنها ستهرب وهو يقول لها بلهفة لم تجد صداها فى عينيه
المنطفئتين :

_امته ؟ امته عرفتى تتكلمى... وليه مقولتلىش .

ربتت على كفه بهدوء وهى تقول :

_لسه وانا واقفة على الباب .

انعقد لسانه لا يجد ما يقوله فى الحالة التى هوفىها ..



لا يجد القدرة في نفسه لأن يجاهد طوفان المشاعر شديدة
التناقض الذى يجول داخله، ولا لأن يجلى صوته ليقول أى
شئ !

فاكتفى بعناقٍ دافئ لم يجد فى نفسها غضاضة من أن
تستسلم له فيه، وهذا ما شجعه أكثر، فاقترب أكثر...
وأكثر.. حتى كاد أن يجعلها تنفذ لضلوعه لتسكن ذاك الألم
المنتشرين جنباته !!

لم تمنع، ولم يلحظ توترها ونفورها، فاقترب أكثر حتى
رفعها لتجلس فوق قدميه، دافئاً رأسه بين حضنها، يسحب
إلى رثتيه كل نفسٍ مختلط بعبيرها ... فهو لا يعرف أى فرصة
ذهبية ستتاح له مرة أخرى لكي يسترق عناقاً كهذا !!

وهى لم تمنع رغم ما يعتريها من مشاعر متناقضة مثله،
لكنها تكبح شعورها بقوة مستسلمة له، لدعمه كما يشاء
حتى يزيع عنه ذاك الحزن الذى يسكن عينيه !!



طلاسم .. طلاسم معقدة ليس لها حلول ..
كلما حاول عقلها جاهداً أن يدرك، أن يستوعب، أن
يصدق، يأتي عند نقطة معينة ويقف متعطلاً كسيارة نفذ
وقودها في طريقٍ مزدحم !!!

ما عرفته قلب توازنها رأساً على عقب ولم تكن تتخيل في
أبشع كوابيسها أن تسمع ما سمعت !
لتوها أنهت محادثتها مع أمها عبر الهاتف، والتي قصت عليها
كل شئ حدث بالتفصيل منهية الموضوع بأن أختها زين
اندفع خارجاً مع مصطفى وحازم وأحمد أختي فريدة ..
ذاهبن إلى ذاك ابن عمها حديث الاكتشاف !!!



أنزلت منة الهاتف عن أذنها، ويدها ساقطة على حجرها
ترتجف بصدمة، ما سمعته كثير على عقلها الصغير أن
يحتمله أو يفهمه ...

هى ... هى دوناً عن الجميع من ستتأذى، تماماً كما طوال
عمرها تتأذى فى معارك عديدة لا ناقة لها فيها ولا جمل !!!
وضعها كزوجة مؤمن هو ما لا يسمح لها هى بالذات لتقبل ما
يحدث ويُقال .. ماذا ستقول ؟

عمها هو من كان سبباً غير مباشر فى موت أخته !؟
أى مأذق هذا هى واقعة فيه؟ وأى مصيبة حلت على رأسها
!!!؟

كانت بدأت تعتقد أنها ستحيا حياتها مع مؤمن بطبيعية،
فإذ بها تنقلب رأساً على عقب إثر مكالمة هاتف ؟!!!!

كانت جالسة على طرف سريرها تولى الباب ظهرها ولم
تلحظ مؤمن الذى تسلل بخفة إليها حتى جلس خلفها

مباشرة، محيطاً إياها بذراعيه ضاحكاً بمرح مما جعلها
تجفل وهي تلتفت له شاهقة ..

_ اتخضيتي يا بيضة !

وضعت كفها فوق صدرها متنفسة بعمق، قبل أن تتمتم
بصوتٍ هارب منها :

_ انت .. انت جيت ليه، قصدي ازاي مش لسه ماشي من
شوية رايح الشغل .

تلاعبت الابتسامة بشفتي مؤمن وهو يجيها بمرح نادراً ما
يفارقه منذ أن دخلت إلى حياته :

_ مانا خلصت الشغل وجيت .. الحقيقة اني أجلت حاجات
كثير أوى لبكرة، عشان اكتشفت أن مراتي وحشاني أوى أوى
أوى قد الدنيا دي كلها .

انهى كلماته ضاحكاً وهو يفتح ذراعيه على مصرعيهما، ممثلاً
حجم شوقه إليها، قبل أن يستطرد :



واكتشفت انى مخرجتش مراتى من زمان اوى اوى وأن
مراتى تعبت اليومين إالى فاتوا اوى اوى ففكرت انى اخود
مراتى واروح بيها مشوار مثلاً!

ابتسمت منة بوهن وكأن شفتيها غير قادرتين على الابتسام ..
تأملت هيئته وملامحه وذاك الإشراق الذى يشع من عينيه،
واشفقت عليه !

اشفقت عليه جداً أن تصدمه بما عرفت وتمحى ذاك الوهج
الذى تشع به ملامحه الوسيمة جداً من وجهة نظرها !
اشفقت على نفسها بعد الأسبوع الماضى الذى كان متعباً
جداً إثر وعكة صحية أصابت حمايتها فأضطرت أن تلازمها
ليل نهار، حتى أنها تغيبت عن حفل التخرج الذى أعدوه فى
جامعتها، بعدما انتهت امتحانات آخر سنة دراسية لها
الأسبوع الماضى!

لن تقدر على إفساد روعة اللحظة بينهما، فلتؤجلها لساعة
أخرى أوروبما .. يوم آخر!



لذا اعتدلت بتصنع، تحبس دموعها في مآقيها وهي تجاريه في
مرحه :

_ومراتك مستعدة لاي خروجه والله .

اتسعت ابتسامه مؤمن وهو يميل ليقبل وجنتها بلطف قبل
أن ينهض ويوقفها معه قائلاً :

_طب يلا بينا غيرى هدومك، خلينا ننزل بسرعة عشان نيجي
بسرعة ونكمل بقى اليوم الجميل ده .

ثم اتبع كلماته بغمزة مرحة ضحكت على إثرها وهي تتجه
نحو خزانة الملابس تنتقى لها ثياب ثم تشرع في تبديل ما
ترتيده، تكبح ذاك الحديث الذى تكتمه داخلها بصعوبة!

لم تعتد على هذا ! لم تعتد أن تكتم في نفسها حديثاً تريد أن
تقوله ... لم تعتد أن تخفى حقيقة عن شخص وهي تعلم أن
تلك الحقيقة تهمه !



لكنها ورغم كل شئ ابتلعت شعورها السئ كله ومعه ذاك
الطعم الصدي في حلقها وهي تستدير إليه بعدما انتهت
متأبطة ذراعه ليخرجها سوياً !!

=====

في آخر اليوم !

وبعدما أتوا من النزهة التي أخذها إليها، وبعدما قابلت
أشواقه الحميمة حين دخلا إلى غرفتهما ... وأيضاً بعدما
انتهى اللقاء بينهما .. كانت تتوسد ذراعه وهي مستلقية
بجواره يحيطها بذراعيه وهو يشعر بنفسه في حالة من
الطفو فوق سحبٍ وردية، لكن كلماتها المتكررة أخرجته من
حالته، حين نادى منة بخفوت وهي مازالت تتوسد ذراعه :
_مؤمن .

أخفض رأسه مقبلاً قمة رأسها وهو يهمس :

_نعم !

ازدردت ريقها بتوتروهي تقول بخفوت :
_عاوزه اقولك على حاجة حصلت انهاردة .
لاح الاهتمام على وجهه وهو يعتدل فى جلسته تاركاً إياها
وهو يقول بانتباه :

_سامعك.. فى ايه؟ فى حاجة دايقتك؟
ابتلعت غصة مدببة فى حلقها وهى تهز رأسها نفيماً وتقول :
_لا .. حاجة حصلت فى بيت اهلى .
تضاعف الاهتمام على ملامحه، منتظراً حديثها وما ستخبره
به ..

أما هى .. فكادت فى لحظة جبن أن تعدل عن قرار إخباره
بالأمر، لكنها شجعت نفسها وهى تستقيم مواجهة له،
تتشبث بالغطاء حولها :

_هقولك بس اوعدنى تتقبل الأمر بهدوء .
ضيق مؤمن عينيها ناظراً لها دون أن يعقب، فتهدت منه
قبل أن تقص عليه بهدوء كل ما سمعته من أمها عن الذى



حدث في بيت جدها بعدما عادوا من حفل زفاف أدهم
والذى رفضوا جميعاً خلاله أن يظهروا أى شئ من الذى
حدث خلف ظهرها لها، كخطف فريدة واختفائها طوال
الحفل، كي لا تصر على البقاء معهم وتثير حفيظة زوجها !!
قاطع مؤمن استرسالها فى الحديث وهو يقول عاقداً
حاجبيه بضيق :

_طب هما لقوا خطيبة زين ولا لسه؟ وبعدين مقالوش
حاجة زى دى ليه هو انا كنت همنعك عن عيلتك فى وقت
زى ده مثلاً.. وانتى كمان لما عرفتى من الصبح مقولتيش ليه
؟

تهربت بعينيهما من عينيه وهى تتمتم بصوتٍ قريباً غير
مسموع :

_ماهى المشكلة مش ف كده... المشكلة فى إالى حصل بعدها !
شعر مؤمن بقبضة جليدية تطبق على صدره، لكن أياً من
هذا لم يظهر على ملامحه وهو يقول لها بنظرة سابرة :



_كملى .

فامتثلت وهى تستأنف حديثها وقد أخبرته عن كل ما علمته
من أمها !!

وذاك الانقلاب الذى تلى حديثها على ملامحه انبئها أن كل ما
تخشاه قد بدأ يحدث !!!!

مدت منة أصابعها تلمس مرفقه بخفة وهى تغغم باسمه
بصوتٍ فاتر، فدفع يدها عنه ببطء قبل أن ينظر فى
ملامحها لثوانٍ قليلة !

ثم وجدته فجأة ينتفض من جوارها مرتدياً ملابسه على
عجل قبل أن يخرج من الغرفة نهائياً صافقاً الباب خلفه !
وقد شعرت من ملامحه التى اسودت فجأة بعد إشراق أن
ما علمه قد ترك ندبته غائرة داخله !!!

=====

فى آخر هذا النهار المأسوى خرج زين برفقة حازم ومصطفى وأحمد الذى أصر على الذهاب معهم إلى المكان الذى أمرهم هشام بالتواجد فيه !!

استقلوا سيارة دفع رباعي كبيرة لتتحمل مشقة الطريق المقدمين عليه .. ثم توجهوا نحو المكان المنشود !
كان زين طوال طريقه وكأنه لا يرى أمامه ولا يستوعب أن عبء إحضار فريدة من بين برائن ابن عمه المزعوم يقع على عاتقه هو !!

عبء أخيها والذى هو صديقه والذى يجلس الآن على يساره فى المقعد الخلفى بالسيارة فى قلق وملامح مهمومة!
عبء أختها التى تجلس الآن فى بيت جده باكية منذ ليلة أمس، يكاد القلق ينهشها خوفاً على أختها التى هى بمثابة ابنتها !!

كل هذا على عاتقه هو .. فهو من ألقى بهم فى تلك الدوامة بالأساس .. هم لم يكن لهم فى هذا الأمر المأسوى، لكن مجرد



علاقتهم به من قريب أو من بعيد اقحمتهم في كل المشاكل
التي تحوط بحياته ..

وكم هو شعور مؤذ أن يجد نفسه سبباً في أذية كل من حوله
بهذا الشكل !!

وكأن مجرد وجوده لعنة ليس منها فكاك!
أخرج زين هاتفه من جيبه خلسة، يتطلع لتلك الصورة التي
وصلته منها أمس وقد كان آخر تواصل بينها وبينه !
الأمر كان فقط أمس... فلماذا يشعر به منذ آلاف السنين!
منذ عقود طويلة مرت عليه !

كم هو مؤذ فراقك يا فريدة؟! وكم هو مؤذ الشعور بأنه
يكون سبباً في أذاك !!!

أصابه امتدت لتداعب ملامحها عبر شاشة الهاتف،
عاقداً النية في نفسه أنه بمجرد أن يلقاها سيأخذها في
أحضانها متنفساً الصعداء أخيراً؛ حتى لو كان هذا لا يصح !
فأى صحيح أو خطأ سيستطيع فرض نفسه عليه ساعتها؟!

وأى أصول أو عادات ستمنعه من اقتناص الحياة عبر
عناقها !!

فقط لو... فقط لويلقاها !!!

بعد قليل .. سمع صوت مصطفى الذى يقود السيارة ينهيه
إلى اقتراب المكان الذى يربط فيه هشام وأنه عليه
استكمال طريقه من هذه النقطة لكى لا يثيروا الشكوك
حولهم !

فأغلق زين هاتفه وهو يترجل من السيارة مستعداً لإلقاء
نفسه فى النار فقط لكى ينقذها !!

ثم بدأ بالتحرك على قدميه مشياً لمدة نصف ساعة تقريباً
أنهكته، حتى وصل قريباً من المكان ... فأخرج هاتفه يتطلع
فيه ويطلب رقم هشام الذى رد بعد برهة، فقال له زين
بصوت جامد :

_ انا قدام المبنى، ومعيش حد .. والطريق لحد المطار متأمن
تقدر تطلع بفريدة تسلمها الى وتمشى !

تأتأ هشام على الطرف الآخر بسخرية وهو يجيبه بلهجة
غامضة تنافي ذاك التباسط اللزج الذى كان يفرضه بينهما :
_ ميصحش يا ابن عمى تيجى لحد هنا ومنضاي فكش ...
اتفضل ادخل انا عطيت أمر لرجالى بأنهم يسيبوك تدخل !
جززين على أسنانه بغیظ وهو يتطلع حوله فى الصحراء التى
تحوطه وتمتد على مرمى بصره، قبل يجبر قدميه على
التقدم نحو المبنى الذى يقف شامخاً بغیظ أمامه .. وحيداً
وسط الصحراء يفرض وجوده الغير مرغوب به وسط
الفراغ، تماماً كما صاحبه الذى يحاول فرض وجوده على
عائلة لم تكن تعرف بوجوده على وجه الحياة اصلاً!!

ما إن اقترب من المبنى حتى تنحى الحائطان البشريان اللذان
يرابطان على البوابة، مفسحين له الطريق ليدلف، فدخل

وهو يتطلع حوله بتدقيق، ليقابله هشام في منتصف
الردهة، متخصراً بملامح تشع غضباً!

تحفز زين في وقفته وهو يقول بصوت عالٍ :

_ انا نفذتلك إلى انت عاوزه، سلمني فريدة وشوف طريقك
فين !!

مط هشام شفتيه بسماجة رغم الغضب الذي يشع من
عينيه وهو يقول :

_ متعودتش على الكذب منك يا ابن عمي !!

عقد زين حاجبيه متوجساً، فهدر هشام غاضباً وقد كشف
عن وجهه الحقيقي لتوه :

_ متعودتش عليك كداب وعاوز تسلمني يا ابن عمي بعد ما
اخويا سلم التسجيل إلى معاه للبوليس إلى بيدور عليا
حالياً!!!

وقع قلب زين بين قدميه وهو يتيقن الآن أنه قد وقع بين فكي
الأسد وليس وحده، بل فريدة معه أيضاً!

وللحظة لعن مصطفى بكل اللعنات التي يعرفها داخله !!

لكنه لم يجد وقتاً للتفاوض بل حاول القول بهدوء :

_اسمع ... انا مليش دعوة باللى عمله مصطفى .. انا اقدر

أأمنك طريقك، بس سلمنى فريدة !

ضحك هشام ملء شذقيه وهو يتطلع فيه بنظرات أبعد ما

تكون عن ضحكته قبل أن يقول بنبرة رغماً كل شئ خرجت

متأثرة :

_اتكلم يا زين .. اصل الكلام مش بفلوس ولا حياتك متوقفة

عليه ... معاك حق ، مانيت حياتك مش واقفة على ثقتك فى

شخص زى، انا وثقت فيك .. وثقت ومكنتش ناوى أاذى،

كل إالى كنت عاوزه انى اطلع م البلد بخير.. لكنك غدرت بيا

بعد م وثقت فيك !

هم زين بقول شئ .. أى شئ، لكن هشام لم يعطه فرصة وهو

يستطرد مشيراً له بسبابته :



اصلك مش فى وضعى، اصلك مش عارف يعنى ايه أب
يتخلى عنك لواحد زى الراجل إالى ربانى وكتبنى على اسمه
... فاكراى اخترت انى اكون كده، فاكراى راضى عن إالى
انا فيه ... تبقى غلطان يا زين ... غلطان لانى مكنتش عاوز
غير حمايتك و مكنش فى نيتى أاذى حد زى ما كله أذانى !!...
ايوا انا كله أذانى .. انا مختارتش انى اكون الشخص إالى
كلكم كارهينه .. بس هما إالى اجبرونى انى اكون كده ..
أساسى كان غلط من قبل حتى ما اجى على وش الدنيا
فمتستناش منى انى اكون شخص سوى زى ما انتوا
عاوزين!

شعرزين أنه فى مأزق حقيقى وبالخناق يضيق من حوله ..
هو يعرف جيداً الشعور بالظلم كيف يكون .. ويبدوأن هذا
الشعور متمكن من هشام بشدة رغم أنه ليس مظلوماً
بالشكل الكامل !



فحاول التأثير على عواطفه بأى قول كالذى يتفوه به الآن ...
لكن للمرة الثانية هشام قاطعه بغل :

_لكن طالما الحكاية كده فاستحملوا إالى انتوا عملتوا فى
نفسكم !!!

اتسعت عينا زين وهو يراه يشير إالى رجاله اللذين تكاتفوا
حول زين، حاول مقاومتهم للحظات لكن .. أى مقاومة تلك
أمام حوائط بشرية كهذه، هذا لو استبعدنا الكثرة التى
تغلب الشجاعة !!

اوسعوه ضرباً فى كل مكان فى جسده حتى خارت قواه
وسقط أرضاً متأوهاً بقوة وهو يسمع هشام يهدر بغل من
خلفه :

_فكركم انى مش هعرف أن مصطفى سلم الدليل .. وانتوا
هتقدرا تخدعوني وتسلموني ببساطة ... لا يا زين .. يبقى
انتوا لسه متعرفوش مين هشام !



بعدما انتهى رجاله من زين أشار لهم أن يدخلوه إلى الغرفة المحتجزة فيها فريدة، والتي تجاوز التي تحتجز فيها نرmin !
ثم أخرج هاتفه ينوى الإتصال بأخيه !

...

في هذه الأثناء كانت فريدة تقبع بالداخل، معصوبة العينين لا ترى سوى السواد منذ ليلة أمس... ولا تشعر سوى بلمسات الرجال اللذين يتوافدون على تلك الغرفة من حين إلى آخر... رغم أنها سمعت بأذنيها هشام يخبرهم بألا يمسوها بسوء.. بل لا يمسوها مطلقاً إلا أنها لم تسلم من تعليقاتهم الفجة ولمساتهم القبيحة القذرة ... حتى أنهم فكوا حجابها ورموه أرضاً تحت أقدامهم !

تأذت بشدة، تأذت بذاك الكم الذي أعاد لها كل ذكرياتها السوداء دفعة واحدة، لكنها أصرت أن تتماسك!
تتحلى بكل قوتها رغم ذاك الشعور الجم بالخوف الذي يملك منها منذ أن توقفت السيارة التي كانت تركبها ليلة

أمس إثر الحادث على الطريق قبل أن تجد رجالن أشداء
لكن هيئتهم ليست ملفتة يستقلون السيارة فجأة مهددين
بالسلاح بصمت لها وللسائق فصمتوا بصدمة إثر السلاح
الموجه نحوهم فى تهديد واضح وصريح !!

فلم يملكوا إلا الانصياع لأوامرهم التى كانت تنص بأن
يتحركوا فى طريق معاكس، سالكين الطريق نحو مقر هشام
... وحين انتصفت المسافة أمروا السائق بالمغادرة وتركهم
وتحفظوا على فريدة فقط !

وهاهى منذ ساعتها تقبع هنا على أمل أن يظهر أحد وينقذها
من هذا المكان الذى لا تدرى لما أتت إليه بالأساس، إلا أنها
قد سمعت بعض حديث عن زين ومصطفى .. خيانة،
وجريمة قتل، فخمنت أن الأمر تابع لزوجـة زين الأولى، وذاك
الشعور بالخوف قد استحـال إلى شئ يشبه الغيظ الشديد
والشعور بالظلم !!!



فجأة سمعت صوت زين بالخارج، وحديث يدور بينه وبين
ذاك المختل هشام، ثم صوت زين يتأوه عالياً وأصوات
ضرب تصلها بوضوح ... فصرخت :

ـ زين انت هنا؟! .. انت سامعنى ؟

تهتف بها بذعروهى تحاول مقاومة الظلام الذي يحيطها ..
لكن مالها حيلة .. فتلك العُصبة المربوطة حول عينيها
تمنعها الرؤية .. ويديها المقيدتين تمنعها الحركة .. لا تملك
سوى لسانها والذي عاد يهتف بذعروهى تسمع صوت
الجلبة الآتية من الخارج .. وتُميّز فيها صوت تأوهات ألمه
واضحة :

ـ يا زين رد علياااا .. لو سامعنى رد .. بيعملوا فيك ايه ..
بيضربوك ليه؟؟

صوت الباب الذى فُتح مُصدراً صريراً عالياً أجفلها ..
فانتفضت وهي تعاود الهتاف :

_زين انت هنا ؟ .. انت

ولكن ذاك الشئ الصلب الذي اصطدم بالأرض جوارها
جعلها تنتفض كالمحمومة وهى تبتعد بجسدها عن الشئ
المجهول الذى ألقى جوارها .. مع صوت صرير الباب ثم
صفقه بعنف والذى أخبرها أن الذى دخل قد خرج !!

ظلت تحاول الابتعاد بذعروها تدور برأسها هنا وهناك
وكأنها سوف ترى بذلك .. لكن اليد التى لمست معصمها
جعلتها ترتجف لوهلة قبل أن تسكن تماماً مُنصته لصوته
الهامس بلهاثٍ مُجهّد :

_ماتخافيش .. ده انا .. آآه زين .

_زين .. زين .. عملوا فيك ايه .. عملوا فيك ايه ؟

ظلت تردددها بهستيرية وهى تحاول سحب معصمها المقيد
لكنها لا تستطيع .. فزفرت بعنف تزامناً مع دموعها التى

انطلقت جيادها تحت عُصبة عينيها .. لتهمس بصوتها الذى
بَحّ من كثرة الصراخ :

_ انت ازاي تيجي هنا لوحداك .. انت مجنون ؟

تأوه وهو يجيها بصعوبة :

_ مدام هكون معاكِ، فأنا موافق انى ابقى مجنون .

لم تستطع كبح جماح دموعها خاصة مع صوت تأوهات آلمه
التي تصلها مُخرقة كيائها كله .. مع همسها الهستيري :

_ يا رتنى مكنت مشيت .. يارتنى مكنت روحت .. يارتنى كنت
انا ... !!

_ هشششش .. اسكتى بقى بس .

يهمس بها بصعوبة ووهن .. وهو يقاوم الإغماء الذى يفرض
سيطرته عليه بعد كم الضرب الذى تعرض له .. لكنه يبدو
أنه كان أقوى من أن يقاومه .. فاستسلم له .. ولكن هذا

ليس قبل أن يمر شريط ما حدث معه كله أمام عينيه
المغمضتين .. علمهما يظلا مغمضتين .. للأبد ...!!!

=====

أما بالخارج فهتف هشام بمجرد أن فُتح الخط بينه وبين
مصطفى :

_ ابن عمك تحت ايدى !! لو مستعدين تضحوا بيه يبقى حد
يعترض طريقى يا مصطفى !!!

فى السيارة ..

ضرب مصطفى بكفه على المقود بعنف وهو يلعن غباءه
داخله ألف مرة ... لم تسرع .. لم ؟؟؟
لكنه حاول التكلم بعقلانية هاتفاً :

_ هشام !! هشام ... زين ملهوش دعوة باللى بينا .. سيبه وانا
هعملك كل إالى انت عاوزه !



ضحكة هشام المقيمة انطلقت جيادها عبر الأثير، فأقشعر
بدن مصطفى من سماعه ذاك الصوت الذى يشبه حيوانٍ
يحتضر!!

وهشام فعلاً كان يحتضر... جثة ليس لها ما تخاف عليه
..حتى الوحيدة التى أحبها خانتة -من وجهة نظره- فلماذا
يبقى على شئ .. أى شئ!!!

_راح زمن الثقة يا مصطفى.. راح وولى من زمان اوى!
كان يتكلم بصفة أنه مغدور به فقط، ليس جانبياً ولا متعدياً
على عرض أخيه!

كل هذا جعل مصطفى يهتف به بعنف :
_انت عاوز تمشيها بالقوة يا هشام .. يبقى استحمل إالى
هيحصلك.

_اسمع ... انا مش لسه هسمع منك تهديد .. انا إالى عندي
قولته ، ابن عمك تحت أيدي ولو مستغنى عنه حاول
تعترض طريقى !



ومن ثم أغلق الخط بينهما .. ثم استدار ملقياً بتعليماته إلى
رجاله قبل أن يخرج من المبنى بأكمله، مستقلاً سيارته نحو
طريق المطار!!

.....

بينما وقف مصطفى هناك محتاراً، جواره حازم متحفزاً
وهو يهتف :

_ احنا مش هنسيب زين تحت ايداه يا مصطفى... لازم
نتدخل !!

اوما مصطفى لاهثاً وكأنه فى ماراثون وهو يقول بعينين
متسعتين خوفاً على حياة ابن عمه :

_ ايوا هنتدخل ! بس لازم حد يقابل هشام فى نص طريقه ...
واحنا هنروح على مكان ما محتجزهم فيه .

اوما حازم قبل أن يستقل سيارته يجرى إتصالاته بالرجال
الذين يتبعوه ليحضروا إليه، مدركاً أنه سيقابل هناك



عدداً لا بأس به من الرجال الأشداء والذي لن يستطيعوا أن
يصمدوا ثلاثتهم أمامهم !!

=====

بعد بعض الوقت ..

كانت الأجواء مشتعلة!!

فريدة في الغرفة المحتجزة بها تحاول الفكاك بصعوبة حتى
ترى زين الذي لا تعرف ما أصابه إلى الآن لكن دون جدوى
فوثاقها محكم عليها !!

بينما بدأ زين بالإفاقة ببطء لكن دون أن يجد القدرة لأن
يحرك إصبعاً واحداً حتى بعد الضرب الوحشى الذى تعرض
له !!



وفى الغرفة المجاورة نرmin تصارع الظلام المحيط بها، لا
تدرى سوى أنها قاب قوسين أو أدنى من الموت !
ستموت دون أن تتوب عما فعلت وارتكبت من كل الحرام
الذى كانت مغموسة فيه !

ستموت دون أن تعتذر لمصطفى ... ستموت دون أن ترى
ابنتها وتودعها وتطلب منها السماح على تخليها عنها !!
ستموت بهذه البساطة بعدما كانت تنعم بكل مباح
الحياة فقط منذ ثمانية وأربعين ساعة !!!
بكت ... بكت بشدة .. نادمة، متضرعة!
لكن أى ندم هذا سيفيد بعد فوات الأوان !!!

على الطريق عند هشام ... كان قد قطعه نحو المطار وكان
مطمئناً بأنه لم يجد أى اعتراضات على طريقه من أى أحد
... يده تمسك بمقود السيارة ... بينما يده الأخرى تقبض



على جهاز فى يده، شئ صغير يحتوى على زر واحد وكأنه
يتحكم بشئ ما !!

يعد نفسه أنه إذا ما خرج سليماً من هذا البلد المشئوم لن
يفعل شيئاً ... أما إذا أصرروا على أذيته فليستعدوا لانتقامه
الذى دبره مسبقاً !!

عند حازم ومصطفى...

كان الرجال الذى أمر حازم بمجيئهم حضروا على وجه
السرعة، فانطلقوا بسياراتهم نحو المكان المنشود ... ينهبون
الطريق نهباً !!

فى حين كان هشام أوقف السيارة .. ثم ترجل منها قاصداً
المكان الذى ستنتقل منه طائرته الخاصة بإطمئنان تام لأن
مصطفى خشى على ابن عمه وأمن طريقه بالفعل !



لكنه ما كاد يعبر صالة المطار حتى وجد سرب من الضباط
يتحلقون حوله، وها هو يقع بين شباكهم ويُلقي القبض
عليه !

لم يقاوم حتى ولم يحاول ... فهو قد أعد نفسه مسبقاً لشيئ
كهذا .. ومادام هو قد وقع بين براثنهم لا محالة إذاً
فانتقامه عادلاً !!

وقف أمامهم منتصباً بهدوء مستسلماً لأيديهم التي جرت
نحو مصيره ... لكن وقبل أن يتحركوا كان قد ضغط على
ذاك الزر في يده ... هاتفاً في نفسه : أنهم يستحقوا !!
ثم أسقط ذاك الشئ من يده...

فانحنى الضابط ملتقطاً إياه، مدققاً فيه .. قبل أن يكشف
أن هذا جهاز تحكم في قنبلة وقد تم تفعيلها للتو !!

سادت حركة هرج في المكان ... فاستجوب الضابط هشام
عن مكان القنبلة وعما إذا كانت بمؤقت أم لا ..

فأخبره هشام بهدوء متشفئ :

_متخافش...مش فى المطار، دى فى مبنى فى الصحراء ... و
توقيتها بعد نص ساعة من دلوقتى !!

جحظت عينا الضابط الذى كان على علم مسبق بكل ما
يحدث من حازم، وقد علم أن نهاية كل من يتواجدون هناك
آتية لا محالة !!

فابتعد تاركاً مهمة نقله لرجاله، ثم هاتف حازم يخبره بما
علم ... وبمجرد أن سمع حازم ما يدور حتى هتف فى
مصطفى الذى كان قد قطع نصف الطريق تقريباً بتلك
السرعة الجنونية التى يسير بها أن يسرع أكثر، فحياة زين
وفريدة على المحك !!

تحت رحمة مؤقت من الممكن أن ينتهى فى أى لحظة منهيّاً
معه حياتهم !!

فأسرع مصطفى أكثر، مطلقاً صرخة وحشية وهو يصارع
الطريق حتى يصل فى أسرع وقت، فمازال لديه معركة

محتدمة مع رجال هشام الذين بالتأكيد يحرسون المكان
الآن غير عالمين بما ينتظرهم على يد سيدهم الذى زرع قنبلة
بمساعدة أحدهم ثم تركه يذهب لألا يشى به لدى بقية
الرجال !!!

فيما استسلم هشام لمصيره بين أيدي الضابط الذين
يجرونه .. وقد نوى أن الجزء الثانى من إنتقامه سيبدأ بعد
قليل، حين الاستجواب والتحقيق !!

وصل مصطفى نحو وجهته إلى ذاك المبنى !
وكما توقع كان الرجال متحلقين حول المكان فى كل زاوية ...
ترجل ثلاثتهم من السيارة يهتفون بالرجال ويحذروهم بأن
المكان سينفجر عما قريب ... تحديداً بعد ربع ساعة وعدة
ثوانٍ بالضبط، لكنهم كانوا كمن صموا وعموا عن أى شئ
سوى أوامر كبيرهم!



فلم يجدوا حلاً سوى أن يشتبكوا عليهم يتخلصوا منهم في
أسرع وقت ممكن !

والمؤقت التابع للقنبلة المدفونة يعمل بانتظام !
خمسة عشر دقيقة، قد ضاعت منهم دقيقة في محاولة
إقناع الرجال !!

حدث الاشتباك !!

وحين أنتهى بخسائر كثيرة ... كان منها إصابات طفيفة لدى
حازم ومصطفى وحتى أحمد الذى اشتبك معهم مستخدماً
قوته الجسدية فرم معظم الرجال هاربين بينما بقى شخصان
أو ثلاثة ممددين أرضاً ...

كان المؤقت قد عمل وتناقصت الأعداد حتى أصبحت خمس
دقائق !!

لكنهم لم ينتهوا أبداً للتوقيت! ... فقد أندفعوا نحو
الداخل يبحثون عن زين وفريدة منادين بأصواتٍ عالية !
فجاءهم صوت فريدة تهتف باكية :



_ انا هنا يا احمد ... الحقنى يا احمد !!

كان صوتها خرج ممزجاً بصوتٍ آخرٍ هتف باسم "مصطفى"
مما شئت انتباهه للحظات!!

أربع دقائق !!

اقتحم أحمد الغرفة الذى صدر منها صوت أخته، فوجدها
على تلك الحالة الرثة، فدارها بجسده وحل وثاقها بسرعة
شديدة ثم حملها بين يديه خارجاً متوجهاً لنقطة بعيدة ...
بعيدة جداً عن المبنى !

فيما دخل حازم ومصطفى حاملين جسد زين الثقيل
متجهين به خارج المبنى إلى حيث يقبع أحمد مع فريدة فى
مأمن عن محيط الانفجار لو حدث !!

دقيقتان !!



كان مصطفى بمجرد أن قطع نصف الطريق ترك زين لحازم ليكمل به الطريق، بينما عاد مصطفى أدراجه نحو الصوت الذى مازال يتردد يناديه باكياً ... فصرخ به حازم :
_ارجع يا مصطفى ... ارجع يا مصطفى هتموت نفسك يا مجنون .

فهتف به مصطفى دون أن يستدير أو يقطع طريقه :
_نرمين يا حازم، مش هسيب أم بنتى تموت !!

هتف حازم به مجدداً، صارخاً بكل قوته، لكن كان ندائه يتلاشى وهو يبتعد بجسد زين بينما مصطفى يتقدم أكثر من المبنى حتى دلفه !!

دقيقة واحدة !!

تراجع حازم إلى المكان الذى يقبع فيه أحمد وفريدة تاركاً جسد زين مسجياً أرضاً ... يتابع المبنى من بعيد بعينين ضيقتين ينتظر ظهور مصطفى الذى بالفعل رآه يحمل



نرمين خارجاً من المبنى، مبتعداً بضعة خطوات .. فتنفس
الصعداء بعدما خطى مصطفى بعيداً عن المبنى بقليل ..
..... لكن!!!!!!

ثلاثة ... اثنان ... واحد !!!

وقد كان المكان بأكمله على مرمى البصر عبارة عن شعلة
لهيب مصحوبة بصوت انفجار عظيم زلزل الأرض تحت
أقدامهم ... صوت تلاشت معه صرخة حازم باسم
"مصطفى" كما تلاشت صورة مصطفى من أمام عينيه
تماماً!!!!!!!!!!!!!!

=====



الفصل الثامن والعشرون

=====

وقفت تحديق في الطريق .. وخلف عينيها جراح اليأس
تعصف بالبريق ..

وعبيرها يتوسد النسمات محمولاً كأشلاء الغريق ..
والشمس تترك للضياء ثيابها، ويغوص منها السحر في بئر
سحيق ..

وعلى جدائل شعرها، جلس العذاب وراح في نوم عميق ..
ماتت على فمها ابتسامة عاشقٍ، فغدت بقايا من رحيق !!
-فاروق جويده.

كانت قانعة بأنه ربما لو توقف الأمر على اختلاف مسارات
حياتيهما وكل منهما وجد سبيله بعيداً عن الآخر بأنها ستكون
سعيدة لسعادته!



رغم أنها كانت كاذبة .. بل كاذبة كبيرة في الواقع، تخدع قلبها
بالسعادة من أجله رياءً لكن !!

لكن أن تراه في هذه الهيئة، هذا ما هو مستحيلاً أن تحاول
الكذب على قلبها به !!...

فلكل شئ حد !!

وذاك المبدأ بالذات لو كانت قد قنعت به قبل سنوات ما
كان حالها سيؤول لمآله الآن !!

لكل شئ حد ... وإن زاد عن حده انقلب ضده !!
لكنها ومع بالغ الأسى لم تؤمن بمبدأ كهذا .. ربما لأنه كان
يتعارض تعارضاً بائناً مع أحلامها الوردية له، وربما لأنها لم
تكن تعي في حياتها القصيرة إلا أنها تحبه فقط!

كانت قانعة بالفتات .. بنظرة .. أو سلامٍ عابر!
كانت قانعة بنصف وعد .. نصف حب أو ربما لا حب !

كانت قانعة بأقل ما يمنحه لها عن طيب خاطر، لكنه حتى
الفتات منعه، والمدد الذى كان يمد به قلبها انقطع فجأة،
فترك جيوش قلبها الجائعة تنتظر المدد فى أرضٍ مقفرة،
مستعمرة، لا حول لها ولا قوة !!!!!

أغرها منه أن حياها سيتمكن منه، لكنها ما كانت تعتقد بأنه
شديد الأنانية هكذا، وأن ما ترجوه أن يكون بينهما ما هو إلا
سراب، حلم لن يمسى يوماً حقيقة !!

ما رجت سوى قريبه، وها هي الآن تناله لكن وهو شبه جثة
أمامها، ممدداً على سرير المشفى الأبيض بقتامة، يفصل
بينهما الزجاج .. ما هو إلا طبقة رقيقة لكنها كآلف حاجز،
كأنه فى مجرة وهى تبعد عنه ملايين السنين الضوئية!
وتلك الحقيقة ما رأت ولا سمعت أصدق منها قط !



تحركت أصابعها فوق الزجاج الذى يفصل بينهما منذ
يومين بعينين دامتتين وقلبٍ مكلوم ...

منذ يومين لا تتحرك من أمام غرفته إلا للوقت القليل، حتى
جراحتهما التى كان من المفترض أن تجريها أصرت على طبيبتها
أن تؤجلها لأربعة أيامٍ على الأقل؛ لحين الاطمئنان على حالة
مصطفى الغير مستقرة حتى الآن !!

يوم الانفجار..

لم يكن أحد يعلم بما حدث، هم فقط تلقوا إتصالاً ببيت
جدها من حازم مفاده أن مصطفى وزين كل منهما يجاور
الآخر فى غرفة بالمشفى، لكن حالة مصطفى كانت حرجة ..
بعدها تم نقله من مكان الانفجار!

أما عن غريمتها فلم تهتم حتى لمعرفة ما ألمَّ بها، كفاها ذاك
الوجع الذى نشب داخلها واستوحش بعدها علمت أن



حالته تلك ماهى إلا نتيجة لإصراره على إنقاذها من الانفجار رغم أنه كان يعلم أن فرصة نجاته شبه معدومة !

ذكريات كثيرة بعد الإتصال تتشوش فى ذهنها، تكاد لا تذكر منها شيئاً سوى حازم يحاول التغلب على صدمته وذاك الشلل الذى أصاب أطرافه بعد رؤية النار التى طالت مصطفى وظنه أنه قد هلك، ثم محاولته لسرد ما حدث وقوله لهم حين حضروا جميعاً إلى المشفى ..

كيف أنه شعربأن روحه قد رُدت حين اقترب من جسد مصطفى الذى نقلته قوة الانفجار بعيداً عن مكان الحريق المتخلف عنه رغم أن بعض الحروق قد أصابته .. فانكب عليه يحاول أن يجس نبضه فوجد نبضاً ضعيفاً مازال يتردد تحت يده، وبعدها لم يستطع وصف شعوره وهو يهرول هنا وهناك يبحث عن أى وسيلة يستطيع بها التوصل لسيارة إسعاف لكنه لم يكن ليجازف بالوقت الضئيل الذى



يملكه؛ لذا حمل مصطفى على كتفيه ووضعته بالسيارة وأمر أحمد بالقيادة، ثم ضرب بعينه مرة أخيرة على المكان، ليجد جسد نرمين مطروح أرضاً بعيداً عن الموقع الذى وجد فيه مصطفى وصخرة كبيرة واقعة على نصفها السفلى !

كاد أن يتركها ويذهب منقذاً حياة ابن عمه فى أسرع وقت، لكن ضميره اللعين ألح عليه أن يتأكد من أنها حية أولاً، وبالفعل ترجل من السيارة بسرعة، وعلم أنها لم تمت بعد، إلا فقط هذا الحجر العملاق الذى وقع عن أحجار المبنى جاثم فوقها، فدفعه بكل قوته بعيداً عنها، ثم حملها متوجهاً بها إلى السيارة ووضعها جوار مصطفى فى المقعد الخلفى قبل أن يأمر أحمد بالإسراع لعدم قدرته على القيادة بأعصابه التى تلفت منذ قليل، تاركين خلفهم زين شبه مغشياً عليه، جواره فريدة التى بالكاد تحاول التماسك وعدم الإنهيار جواره !



لم يعلم حازم وقتها أى عقل كان يفكر به وهو يترك زين ملقياً
أرضاً مع خطيبته وسط طريقٍ مهجور كهذا، لكن علمه أن
حالة زين مستقرة بعض الشيء وأنه باستطاعته النجاة
جعله يسرع لإنقاذ حياة مصطفى التي كانت على شفا
الإنهاء !!

وفي طريقه أجرى إتصالاته بأبناء عمومته وجعلهم يسرعون
إلى زين أولاً بينما هو توجه بمصطفى إلى المشفى مباشرة !

وهاهم هنا منذ يومين، ينتقلون بين غرفة مصطفى فى
العناية المركزة فى الأوقات المسموح فيها رؤية المريض، وبين
غرفة زين الذى ترابط فريدة جواره منذ يومين وقد كان
غائباً عن الوعي اليومين الماضيين !!

اقتربت عبيد من يارا الواقفة أمام الحاجز الزجاجى أمام
غرفة مصطفى تقول لها بهدوء :

_تعالى يا يارا يلا ..الوقت انتهى وأمه لسه ماشافتهوش .
كادت يارا ترفض ما تقوله أمها، لكن آخذرة عقل مازالت
تمتلكها أوقفها، فأشاحت بعينها عن هيئته التى تمزق
نياط قلبها إلى عيني أمها المتعاطفتين وهى تتمتم بنبرة باكية :
_حاضر.. كان نفسى افضل معاه وقت اطول .

ربتت عبير على كتف ابنتها، ترفض استخدام الشدة معها فى
هذا الظرف خاصة مع حالة يارا الجسدية والنفسية
المزرية، ثم ساقتها معها إلى الخارج مغممة :
_لا اعتراض على امرك يارب ... اللهم انى لا اسألك رد
الفضاء ولكنى اسألك اللطف فيه .

ابتعدت يارا بصعوبة مستسلمة ليد أمها التى تقودها، بينما
تقابلت على باب العناية الخارجى مع فريال التى بدت
متماسكة جداً، بشكلٍ يثير الإعجاب وقد ظنّها البعض
ستقع منهارة بعد فاجعتها فى زوجها وابنها فى يومٍ واحد،



البعض ينعتها بالقاسية، متحجرة القلب، ومنهم من يقول
أن إيمانها برهها كبير فصمدت أمام تلك العواصف التي
زعزعت مياه حياتها الراكدة، لكن لا أحد استطاع أن يفهم،
أو يشعر بتلك النار التي تشب حرائقها داخلها وتنهش روحها
نهشاً... لكن طبيعتها القوية لم تسمح لها بالإنيار أمامهم،
متسلحة ببعض الإيمان الذي تملكه !

ربما لم تكن أم جيدة، مقربة لمصطفى .. لكنها تبقى أم، قلبها
قلب أم، أمامها فلذة كبدها يصارع الموت منذ يومين ولا
أحد يعلم متى سيفيق من تلك الغيبوبة التي راح فيها بعد
الإنفجار إثر ارتطام رأسه بقوة ...

رمقتهم فريال بنظرة قوية قبل أن تجتازهم نحو غرفة ابنها
بالداخل...وقفت أمامها برهبة ورغبة عارمة في البكاء
أجلتها حين الوحدة .. حين يتركوها في غرفتها وحيدة !



بينما سحبت عبير يارا التي اشرأبت بعنقها تلقى نظرة أخيرة
على غرفة مصطفى قبل أن تخرج نهائياً من المكان !

=====

تجلس على يمين فراشه..
وعلى اليسار أختيه وأمه..
عائلته .. التي هي نصف زين..
فكهذا هوزين، على حسب ما عرفته..
رجل له نصفان..
الأول عائلته و النصف الآخر زوجته الراحلة..
أما هي فلا مجال للمناصفة..
ضيف ثقيل، أثقل عليهم بوجوده غير المرغوب فيه !!

منذ يومين ينتظرون إفاقة من إغماءاته المتكررة، فهو لا
يكذ يفتح عينيه عائداً من شرنقته التي يحبس نفسه فيها
إلا ويعاود إسدال جفنيه على حديقته الجافتين !

عيناه حديقتان جافتان..

بعشبٍ باهت، ذابل .. كمشاعره الباهتة غير المستقرة
نحوها .. هي !

هي التي تحبه بعمق نظرتها له .. وبقدر قامة عينيها !

للمرة الرابعة ربما يفتح عينيه !

فتتهلل أساريهم جميعاً إلا هي، فتبتسم ابتسامة منقوصة،
تظهر كشبحٍ هزيل على زاوية شفيتها، ثم سرعان ما تعود
شفيتها لتتبدسان في لمح البصر !

لهفة سادت ملامح أمه ... وحنان لحظى سرعان ما خبا
شاب نظرات حلاقيل أن تتحصن برزانتها..

وبؤس غير منطقي يحلق فوق ملامح منة منذ يومين..
ربما لتعلقها الشديد بزين، أوريما الأمر يحتمل أكثر من لهفة
أختٍ على أخيها !



أحضان كثيرة، محبة سادت فى الأجواء فجأة، وقلوب
اطمأنت ..

ثم خلت الغرفة حولهما، ليتركوا لهما مساحة من
الخصوصية بعدما تيقنوا أن زين لن يعود لغياب وعيه
مرة أخرى..

نظرة .. ابتسامة .. ثم ملامح جامدة مرة أخرى..
كانت تلك مراحل البداية فى مواجهتهم، والتي أنهتها فريدة
بأسرع مما توقع زين ... أسرع مما توقع تماماً !

فقد وقفت على قدميها فجأة، تطالعه من علو، بنظرة لم
يسعه عقله الضعيف وقتها ليحللها بدقة، لكن لها وقت
آخر... انحنت فريدة إليه مقبلة جبهته قبلة طويلة، عميقة،
شعر بها وكأنها أودعت روحها فيها ...

ابتعدت عنه بضع إنشات، تواجه عينيه بعينيها المرهقتين
... ثم تحدثت بخفوت شديد، ونبرة لم يعرف كيف يصفها

ولا يصف كيف كان وقعها على روحه، وأنفاسها الدافئة
التي كانت تلفح بشرته جعلته في حالة ثمالة، بالرغم من أن
حالته لم تسمح له بإلا أن يكون بالكاد واعياً :

_قبل الحادثة وعدت نفسي وعد، قولت انى هسامحك
على كل شئ ارتكبته ف حقى ... كل ألم اتسببت فيه ليا، كل
دمعة كنت سبب انها تنزل بإهمالك وعدم حبك ليا، لكن
....

وصمتت على "لكن" لا تجد صيغة مفهومة بلغة البشر
لتسرد ما يجول داخلها، لكنها حاولت حتى آخر رمق :
_لكن الى حصل كان ضربة قاضية بالنسبالي يا زين، وإلى
زى فريدة، ... مكنش حمل ضربة جديدة تهد روحه .

طالعها بعينين قلقتين وهمّ بالهمس بأى شئ، فهو لم يكن
يعرف ما يقول، لكنه حاول بأى شئ فلم تسنح له وهى
تردعه بنظرها ثم تستطرد :



_ اتعلمت من وانا صغيرة انى اكافح وأكابروأصرانى اخود
إلى أستحقه ... لكن متعلمتش انى افضل احارب فى حرب
خسرانة، متعلمتش انى ابقى عارفة خسارتى وأصرانى
انقش ع المية أو احارب ف الهوا .

رفعت إصبعاً واحداً نحو وجهه، ترسم به ملامحه بخفة ..
بل تكاد لا تلامسه وهى تهمس :

_ وانت دائماً كنت مية وهوا .. بس بغبائي كنت فاكركه انى
هعرف احافظ على أى من دول فى ايدى ..ميحاولش يتحكم
فيهم غير مجنون !

ابتعدت عنه فجأة كما اقتربت فجأة، فشعر بموجة سقيع
تلفه حين ابتعدت بدفئها عنه، بينما وقفت فريدة أمامه
بملامح غيرت شكلها، ملامح جعلته من جمودها يشك
للحظة أن تلك فريدة... أن تلك حبيبته، أو من يزعم أنها
حبيبته !



أما هي فرفعت كفها أمام عينيها، ولمرة أخيرة تلاعبت ب
"الدبلة" حول وسطاها، ناظرة لها بتدقيق وكأنها بنظراتها
تمنحها حزن مودع! قبل أن ترفع كفها الآخر ببطء شديد
لتنزع الدبلة عن إصبعها بتؤدة، كمن يحاول سلخ جلده عن
جسده! لكنها في الأخير تمكنت...

تمكنت من إخراج روحها التي كانت متمثلة في دبلة التي
خلعتها لتوها عن إصبعها.. قبل أن تنقل عينيها نحو عينيها
المصعوقتين وقد بدأ يفهم إلما ترمى منذ بداية رؤيته لها!
اقتربت فريدة منه مرة أخرى وهي تدس "دبلة" في كفه تاركة
إياها على راحة يده الباردة ثم قالت بهدوء لمرة أخيرة قبل أن
تندفع خارجة من الغرفة:

_وانا عمرى م كنت مجنونة يا زين!!

"انت دوماً كنت ماء وهواء.. لا يحاول التحكم فيهما إلا
مجنون...!"



"انت دوماً كنت ماء وهواء .. وهى زمردة غالية، لا يليق بها

النقش على المياه، ولا محاربة الهواء ..!"

"انت دوماً كنت ماء وهواء .. وهى لم تكن أبداً بمجنونة!"

سطرت النهاية، وخط القلم آخر حرفٍ فى حروف قصتهما

القصيرة جداً .. ثم انكسر سنبه !!

بعدها جف مداده فى محاولة إصلاحه، فى محاولة لجعلها

تنقش على الماء، أو تبارز الهواء !!!

=====

سحابة أخرى من الذكريات ..

لكن هذه المرة كانت سحابة ملونة، لكنها ألوان متناسقة

جداً ... !!!

إلى ما تشير!؟

وجه إنسان ؟...

وجهمها ... وجه يارا !

جالساً فوق العشب فى تلك الحديقة التى يلف ويدور بها
منذ يومين ؟!

ماذا يحدث معه ؟ لا يجد إجابة شافية سوى أنه محبوس !
مقيد بقيدٍ غير مرئى ربما !

آخر ما وعاه أنه كان فى ذاك المكان مع زين وحازم .. و..
ونرمين ثم خرج ولا يعرف ماذا حدث بعدها سوى أنه هنا !
لكن العجيب أنه لا يجد أحداً معه !
وحده تماماً، ومرتاحاً !

تمر كل فترة وأخرى فى السماء من حوله سحابة ما !
وكل مرة تتشكل بوجه معين، هذه المرة كانت يارا .. وتلاها
بعد قليل وجه أمه !!

ثم صوت رجل يتحدث يرن فى أذنيه ولا يعرف ماذا يقول !
هو فقط يشعر بهم، يسمعهم، تلح عليه رغبة فى النداء
عليهم ليطمئنهم أنه بخير هنا، لكنه لا يقدر !!
فالصوت يخرج، لكنه لا يتعدى حدود شفتيه !



فجأة ... سحابة أخرى مرت، لكنها كانت سحابة سوداء،
قائمة !

كانت تهبط إليه، ففزع وهب واقفاً فجأة، لتزداد السحابة
اقتراباً وتطبق على أنفاسه !!

منعته التنفس، واعتصرت رئتيه داخل صدره!
ما هذا ؟!

أهذا دخان؟ حريق؟ إنفجارٍ بما !!
كل ما يعمله أنه لا يستطيع التنفس ...
النجدة !!
فلينجده أحد ..

تذكر... نعم تذكر تلك السحابة القاتمة، هذا الإنفجار الذي
كان يحاول الهرب منه، ومن كان معه ؟!
نرمين، نعم كان يحمل نرمين فوق ذراعيه !
أين هي ؟!؟ هل تعاني مثله الآن من هذا الإنفجار !!؟



السحابة تزداد اقتراباً، ومحاولة التنفس الآن باتت مهمة
مستحيلة !!

صوت صفارة انطلقت من أحد الأجهزة التي تحوطه أنبئت
الطبيب والممرضة اللذان كانا يتفحصان حالته للتوأن
قلب المريض قد توقف !!

أما هو فكان داخل سجنه العقلي يحارب الغيمة لتنقشع
عنه ويجاهد للتنفس...
لا جدوى !

سيموت عما قريب ؟! هل سيموت ؟!!!!

انتفض جسده إثر صدمة كهربائية تلقاها كمحاولة لجعل
قلبه يعاود العمل مرة أخرى ؟!
لم يستجب ..

فتلقى أخرى ..

فلم يستجب ..

ومع الثالثة كانت انتفاضة جسده تشتد وتشتد حتى شعر

بنفسه فوق سابع سماء وقد وقع حتى أعمق أعماق الأرض !

لكن ..

الغيمة بدأت تنفث ..

والتنفس أصبح يسيراً بعض الشيء ..

فجلس على الأرض العشبية في تلك الحديقة يراقب الغيمة

السوداء التي تبتعد حتى السماء وهو يحاول جاهداً تنظيم

تنفسه غير المستقر !

أما بالخارج ...

فقد وقفت فريال تمسك قلبها بيدها تراقب الجهاز الذي

يشير إلى أن قلب ابنها قد عاد ليعمل بعدما كان قد توقف

فجأة .. وخارج الغرفة كانت يارا التى تبكى وتدعو متضرعة
أن تمر تلك الأزمة على خير!

فقلبيها هى من كاد يتوقف حين لمحت بالخارج حالة الهرج
التى سادت المكان لأن قلب المريض قد توقف !!

_كفاية!

زعقة شديدة من قلبها، لم تتعدى حدود شفيتها المزمومتين
!

تأمر عينها بالكف عن سكب الدموع، فقد تألم بما يكفى
اللحظات الماضية قبل أن تسمع الطبيب يطمئن الجميع أن
المريض بخير!!!!

ويا ليته كان بخير... ليته، حتى لو بعيداً عنها ... عن حضنها !!

=====

فى بيت عبير!



وقفت داليدا عن سريرها، متوجهة نحو خزانة الملابس،
تنتقى أى شئ عشوائي لتبدل به ما ترتديه استعداداً
للذهاب لفريضة التي قررت أن تترك المشفى اليوم بعد
إفاقة زين بينما تحتجز الهاتف بين عنقها وكتفها وتجيب
أحمد الذي يحدثها على الطرف الآخر:

_حاضريا احمد.. انا جاية اهو، هستأذن أدهم وهاجى هو
كان فى المستشفى وزمانه على وصول !
حدثها أحمد بشئ على الطرف الآخر، فأجابته وهى تنهى
إرتداء الفستان :

_متقلقش يا احمد.. أدهم مش هيقول حاجة، هوفاهم
الظروف ... تمام فى حفظ الله !

التقطت الهاتف عن أذنها ثم رمته على الفراش قبل أن
تنحنى إلى جارور عريض أسفل الدولاب تبحث عن حجاب،



فى نفس اللحظة الذى فتح فيها أدهم باب غرفة نومهما
ودلف إليها !

تفاجأ أدهم بهيئتها وملابسها التى تدل على أنها ستخرج،
فعقد حاجبيه متسائلاً وهو يقترب منها !

أما هى فارتبكت واستقامت واقفة، تزدرد ريقها بحرج
وتخفض عينيها أرضاً، ترفع يدها نحو شعرها تمسده عليه
وكأنها تتأكد أن حجابها ليس عليها وأنها من الطبيعى أن
تظهر أمامه هكذا !

وقفا متقابلين مرتبكين !

لم يعتد أحد منهما الآخر بعد ..

فبالرغم من أنهما كانا متهيئين للحياة الزوجية بينهما إلا أن
ما حدث قلب موازينهما رأساً على عقب !

هو.. لم يعتد أن يدلف جناحه الخالى فيجد كل هذه
الطاقة والأنوثة على هيئة إنسانة يقال أنها زوجته !



وهى .. لم تعتد بعد أن يدلف عليها أحد دون استأذان، أن يكون لها شريك في كل شئ .. لم تعتد بعد رغم أنها ليست بعيدة عنه لتلك الدرجة وأن الصداقة بينهما في الفترة الماضية سمحت لكل منهما فهم الآخر بشكل أوضح !!
إلا أن اقتحام الخصوصية هذا لم تعتده بعد !

رفعت عينها، تبسمت، ثم تكلمت :

_حمد الله ع السلامة .. مصطفى وزين عاملين ايه ؟!

استرخت ملامح أدهم بعدما تعقدت قليلاً أثناء تحليله للوضع الجديد ثم قال بدوره :

_الحمد لله، ربنا نجى مصطفى انهاردة بعد م قلبه كان هيوقف، بس لسه ف الغيبوبة مش عارفين هيفوق امته ...

وزين فاق وحالته مستقرة الحمد لله !

اتسعت ابتسامتها وهى تغمغم خلفه :

_الحمد لله .

بهتت ابتسامتها قليلاً وهي تسأله بتردد وارتباك :

_و.. ومرات مصطفى قصدي مرات هشام .. يووووهِ إلى

كانت معاهم ف الحادثة حصل فيها ايه، انا روّحت بدرى

يومها ومكنتش لسه هي طلعت م العمليات !

خطى أدهم خطوة واحدة أقرب وهو يقول متأثراً بمنظر

حالة نرمين ليلة أمس :

_الحقيقة أن حالتها صعبة جداً، الحجر إلى وقع على رجلها

كان فيه "سيخ حديد" دخل في رجلها وعملها إصابات

جامدة، والدكاترة اضطروا أنهم يعملولها عملية "بتر"

لرجلها الاتنين !!

شهقت داليدا دون صوت، وسرعان ما امتلئت عيناها

بالدموع تأثراً .. هي لم ترتلك التي تدعى نرمين ولا تعاملت

معها قط ... لكن مجرد ذكر الحدث يؤثر في مشاعرها التي



مازلت غير مستقرة ومتذبذبة منذ واقعة إختفاء فريدة رغم
أنها قد اطمئنت عليها واحتوتها بين ذراعيها !!

أقرب أدهم أكثر وربت على كتفها بحنو وهو يقول بخفوت :
_ قدر الله وما شاء فعل .. قوليلي انتى كنتى رايحة فين ؟
مسحت طرف عينها، ثم نظرت له قائلة :

_ كنت رايحة لفريدة وأحمد، رجعت البيت بعد زين ما فاق و
اكيد محتجاني جنبها .

اوما أدهم بهدوء موافقاً وتمتم :

_ طب يلا، هاجى اوصلك .

أنهى حديثه وهو يتوجه إلى المقعد الذى يجاور النافذة
وارتمى عليه زافراً بتعب ... فأشفقت داليدا على مظهره
واقتربت منه تقول بخفوت :

_ خليك انت ارتاح، شكلك تعبان .. وهخلي أحمد يعدى عليا

ثم وقفت خلفه، تمد كفيها نحو عنقه وكتفيه تدلكهما برفق
جعله يئن تحت يدها للحظة وكأنه يلقي عبئاً ثقيلاً عن
كتفيه !

استمرت فيما تفعل حين استشعرت راحتته، فأغمض أدهم
عينيه مسترخياً وهو يهمس :

_ده ربنا يكون في عون فارس على كده .. انا إالى بروح اقعد
طول النهار وباجي ارتاح وانام في البيت مش حاسس بجسمي
من كتر التعب، إنما هو ليل نهار قاعد في المستشفى عشان
يطمن على مصطفى .. حالته صعبة اوى .

أطرقت داليدا برأسها .. وهمست بخفوت :

_ربنا يكون في عونهم، لو مش عاوزنى اروح لفريدة انهاردة و
ابقى اروحلها في يوم تانى ، مش هروح .

التقط كفها عن عنقه ورفعها نحو شفتيه مقبلاً وهو يقول
بهدوء :

_لا روحى .. انا كده كده كنت هنام اصلا .

ارتجفت يدها فوق شفثيه وارتبكت حتى تمكن منها الخجل،
فرفع أدهم حاجبيه وهو يضحك بخفوت هامساً وهو يعاود
تقبيل راحة يدها مرة بعد مرة عدة قبل متسارعة :

_بتترعشى من ايه يا "جلالتهـا" .. طب سيبى الكلام ده لحد
تانى .

ازداد إطراق داليدا برأسها دون رد، فسحبهـا أدهم من يدهـا
حتى وقفت قبالته، فرفع رأسه ناظراً لها بملامح جادة قائلاً :
_عارف انى مقصر معاكى من يوم ما دخلتى البيت ده، بس
انتى شايفة الظروف .. وإلى عمال يحط فوق دماغنا مرة
ورا الثانية .

رفعت عينيها نحو عينيـه المرهقتين وملامحه الشاحبة قليلاً
ثم ابتسمت بخفة وهى تهمس :

_عارف .. احسن حاجة انك مشغول مع عيلتك ومش
بشوفك غير ساعة ولا اتنين فى اليوم .

عقد أدهم حاجبيه مستاءً وهو يتأوه متصنعاً الألم :



_اووه ..كرامتى راحت فى داهية .

اتسعت ابتسامتها وهى تعاود خفض عينيها عنه :

_الحقيقة انى لسه متعودتش على وجودك معايا فى مكان
واحد .. ف ...

ربت أدهم على يدها وهويقول بجفنين مثقلين؛ رغبةً فى
النوم :

_انا فاهم والله ... وقريب ان شاء الله الظروف تتضبط
شوية واقدراعرفك عليا اكتر رغم انك مفيش حاجة مش
عارفاها يعنى !

غردت ضحكتها فى أذنيه قبل أن تبتعد عنه تكمل ما كانت
تفعل قبل أن تقول ضاحكة :

_والله بحس نفسى انى اول مرة اعرفك .. مش أدهم إالى
قعدت معاه كل ده واتكلمنا ورغينا لحد ما زهقنا من بعض
!

استقام أدهم عن مقعده، و خلع سترته ثم أتبعها بقميصه
قبل أن يرتمى فوق الفراش على بطنه مغمماً بعينين
مغمضتين :

_نحن نختلف عن الآخرين !!!

ضحكت دون تعقيب، ثم أولت انتباهها لما تفعله حتى انتهت
واتجهت لتخرج من الغرفة !

لكن قبل أن تخرج حانت منها نظرة مختلسة نحوه وهو نائماً
بهذا العمق كأنه لم ينم من قبل، وأغراها أن تقترب وتطبع
قبلة واحدة على جبينه .. واحدة فقط !!

فتحركت بخفة وهى تعض على شفتها بترقب، إلى أن أقتربت
فمالت إليه تطبع قبلة خفيفة على جبينه، ثم أخرى على
كتفه العارى .. ثم عادت لجبينه مجدداً ..

عندها شهقت وهى تفاجأ به يضع يده خلف رأسها مقرباً
إياها منه ليقبل شفتها بعمق وعينين مغمضتين ناعستين



قبل أن يتركها لتذهب ويرمى رأسه على الوسادة مجدداً،
فابتعدت فجأة تلاحقها كلماته المازحة الناعسة :
_مدام بتخافى بتقربى ليه .. ده ايه الجبن ده !

خرجت من الغرفة مسرعة بقلب خافق، وكأنها لم تفق من
تأثيره بعد!!!!

=====

شعوره نحو ذرة حتى الآن لا يجد له تفسير..

حاسة خاصة مختبئة في أعماق نقطة داخله، في زاوية بعيدة
جداً .. حتى قلبه نفسه لو بحث عن لن يجدها !!

يوم وراء يوم يشعر بها أعماق مما تبدو عليه، فها هي لا
تفارقه في المشفى إلا ليلاً .. يصر عليها هو أن تعود إلى البيت
مع أمه ويرفض بقائها جواره، هو فقط من يبقى جوار

مصطفى ليلاً رغم أنه لا يراه إلا بمواعيد، لكنه لا يطمئن إلا بوجوده خارج غرفته، ينتظر أن يبشره أحد بإفاقته ..
ربما لم يكن أخ جيد وعلاقته بمصطفى شبه سطحية باردة .. ولم تكن الرابطة بينهما كالذى بين حازم وزين حتى ... لكنه أخيه، ولم يشعر بعظم هذه الكلمة إلا بعد المحنة التى مروا بها !

لم يعرف ماذا تعنى العائلة إلا بعدما ... بعدما تفككت !!
ربما هذا كان جزء من عقاب ربه لأبيه، فتلك العائلة التى يزعم أنه فعل كل هذا ليحافظ عليها ما هى إلا بضعة أفراد لا يمتوا لبعضهم بصلة !

كل منهم فى وادٍ بعيداً عن الآخر ..
أمه فى عالمها، سمية فى عالمها، وهو وأخيه كلٌ منهما كان منشغلاً بحياته غير عابئاً بالآخر !!

هل يذكر اجتماع عائلى واحد لهما ؟!

لا ... لا يذكر، وهنا هو يقصد عائلته الصغيرة، عائلة حسين
.. ولا يقصد إجتماع عائلة كبير في بيت جده !
لكنه في كل الأحوال لم يكن يشعر بأنه وسط عائلة، لم
يشعر أنه عليه واجبات وله مثل ما عليه !!

يسأل نفسه: هل كان يعرف أى شئ عن محنة مصطفى
بأكملها ؟!
لا لم يعرف..

هل يعرف شيئاً عن سمية أو حياتها الخاصة أو أى شئ مهما
كان صغيراً عنها ؟!
وإجابته أيضاً: لا لم يعرف..



هم كانوا وما زالوا مثلاً للتفكك، ولا يجد علاقة واحدة
صالحة في حياته، يستحق أن يطلق عليها لقب علاقة
مستقرة سوى علاقته بدرة!

ربما علاقتهما لم يشعر بها بهذه القوة إلا مؤخراً... لكن
حدسه يخبره أن درة بدأت على الأقل تميل إليه، هو ليس
ساذج كي لا يعرف، ربما هو فقط خائف من تبعات الأمر لو
كان كل ما يشعر به وهماً!!!!

تهمد وهو جالساً على كرسي الاستراحة في ردهة المشفى،
مكتفاً ذراعيه أمام صدره، منتظراً كما حاله منذ يومين!!
لكنه انتبه وألقى خواطره في زاوية بعيدة من عقله ليجليه
وهو يرى درة تجلس جواره، تربت على كتفه برفق ثم تناوله
حقيبة بلاستيكية بها ملابس تخصه وهي تقول بشفقة:
_ اسمع الكلام يا فارس وتعالى ربح شوية في البيت وتبقى
أرجع تانى .



رفع يده إلى كفها الذى يرت عليه ممسكاً به وهو يتمتم
بملاح مرهقة :

_هتصدقينى لو قولتلك انى قاعد هنا لانى حاسس بالذنب !

ضمت درة حاجبها، والغرض كان الاستفسار عن سبب هذا
الشعور، فضم حاجبيه بالمثل وهو يجيها بنبرة مثقلة
بشعوره، بينما يده تقبض على كفها أكثر دون وعى :

_بسأل نفسى انا كنت فىن ومصطفى فى كل المشاكل دى ،
انا كنت فىن وحياته فى خطر.. انا كنت فىن وبنته مخطوفة
وهو مش راضى يعرف حد ، وهو راى للموت برجليه، ولما
مراته إلى المرفوض ميتة طلعت عايشة وبتضحك عليه ...
انا كنت فىن من كل ده !! مش واجبى كان انى اقف مع اخويا
حتى لو هو كان رافض يدخلنى فى مشاكله، لو كنت فعلاً أخ
بجد مكنتش هستنى لما هو يعرفنى ..كنت لاحظت اختفاء
بنته وهو بيقولنا دى عند يارا .. كنت لاحظت حالته إلى

كانت متبدلة ٣٦٠ درجة، كنت عملت حاجات كثيرة اوى يا
درة ... لكن انا سبت اخويا فى كل ده لوحده، وكأنى
معرفةوش !!

أشفقت عليه من شعوره الذى يحمله داخله ويتعذب به
طوال اليومين الماضيين .. فربتت مجدداً على كتفه قبل أن
تستقيم واقفة وهى تتمتم :

_متعملش فى نفسك كده يا فارس .. انتوا كلكم غلطتوا فى
حق بعض .. كلكم كنتوا بعاد عن بعض اوى، والضربة إالى
متهدش بتقوى، ولازم تطلعوا من المحنة دى أقوى من الأول
يا فارس .. لازم تتعلموا ازاى تبقوا فى حياة بعض وتحموا
بعض و متعملوش زى الأول كل واحد يقول يلا نفسى !

اتبعت حديثها بتربيته أخيرة على كتفه قبل أن تبتعد وهى
تقول ناظرة له نظرة أخيرة متعاطفة :
_مع السلامة .. خود بالك من نفسك !



اوماً فارس دون رد وهو يتبعها بعينيه تذهب، لكنها
استدارت له مرة أخرى وهي تتساءل مضيقة عينها :
_فارس .. هو .. هو خالى حسين مظهرش من يومها !
التوت شفتا فارس بقسوة وهو يجيها بنبرة قاتمة :
_محدث يعرفله طريق من يوم ما طلع من بيت جدى و
مش معقول لحد دلوقتى موصلتلهوش الأخبار ان ابنه مرمى
فى المستشفى بين الحياة والموت .

تهدت وهى تطالعه بشفقة تتزايد كلما تدقق فى وضعه
وتدرك تلك المحنة التى يمر بها، وتدرك أن فارس من أكثر
المتضررين نفسياً من هذا الحادث بأكمله، بداية بما حدث
وعرفه عن أبيه، ثم حادثة مصطفى وحقيقة شعوره
بالذنب حيال كل هذا !!

تشفق عليه، وتلك المشاعر التى تنمو على استحياء داخلها،
تزيد من عمق شعورها به وبألمه ... وكأنها تتألم بما يؤلمه !



لكنها على كل حال ، تمتت بالدعاء وفوضت أمرها لله قبل
أن تستدير مغادرة نهائياً هذه المرة تشيعها عيناه ، وحقيقة
إحساسه بشعورها تزداد رسوخاً داخله ، وربما هذا ما يهون
عليه ما يمر به قليلاً !!

خاصة مع صوتها الذى عاد وبدأ يغرد فى أذنيه مع حديثها
مجدداً !...
=====

كانوا يقولون ..

أن الأنثى دمعها قريبة !

بكاء يلى بكاء .. فى فرح وفى حزن ..

فى حبٍ .. وفى كرهٍ ..

فى خصامٍ أو دلال ..

البكاء لا يفرق بين امرأة ناضجة أو طفلة ذات جديلة
وسروال ملون، أعظم أمنياتها دمية وقطعة حلوى !!

لكن ما بالها لا تبكى لترتاح ؟!!!

الأنثى دمعها قريبة !!

لا تلك ليست حقيقة .. بل هي خدعة !!

فهاهى اقتطعت قطعة من روحها منذ قليل ولم تبكى، فقط
عينها متحجرتان على سقف الغرفة بين أحضان داليدا ...
وأياً كان ما فى تلكما الحدقتين الخضراوين فسيكون أى شئ
سوى البكاء !!!

ربما هى كانت بالقوة الكافية التى خولتها لفعل كل ذلك دون
أن تذرف دمعة واحدة !!!!

_حاسة بأيه ؟

كان سؤال شديد الخفوت عبر من بين شفتي داليدا .. لكنها

شعرت به إهانة ربما !!

فهي لا تشعر بشئ، وهذا ما ترجمه لسانها دون إبطاء :

_فرااااغ !!!

وكلمتها تلتها تربيته خفيفة من يد داليدا الحنونة .. ولم

تعقب !

ربما لأنها تقدر لحظة كهذه .. تقدر أهمية الحداد الذي يصر

صاحبها أن يقيمه لها !!

وربما هي تدرك أن صاحب تلك اللحظة لا يحتاج سوى

لتربيته على قلبه، فعل يداوى ذاك الذي تكسرفيه دون

التفوه بكلمة من الممكن أن تكون في غير محلها فما تزيد

الجرح إلا تقرحاً !!



أياً يكن ...

فما بدا بعدها أن المقولة لم تكن مخطئة تماماً !!
فهاهى من أول جرعة حنان تلقىها انفجرت باكية بشدة،
تدس وجهها بين طيات فستان أختها ...
تبكى وتبكي .. ذاك الحب الذى ظننته يوماً ما بغائها أو ربما
بتفائلها الزائد عن الحد أنه سيكتمل !!
بكت حتى جفت مآقيها وأخضل ثوب أختها بدموعها وهى
تتمتم من بين شهقاتها :

_روحى يا داليدا ... حاسة ان روحى بتروح منى !!
اغرورقت عينا داليدا بالدمع لكنها رفضت إلا أن تتماسك
أمام أختها حتى لا تزيد لها ضعفاً وهى تبعتها عنها ناظرة فى
عينها بقوة قائلة :

_ده كان قرارك يا فريدة .. محدش جبرك على حاجة لا فى
الاول ولا فى الاخر..... دخوله حياتك كان بإرادتك وخروجه

منها برضوكان بإرادتك ، عشان كده لازم تقوى ومتبينيش
لحد أنك ضعيفة بالشكل ده !

_لكن .. لكن انا مش قادرة اتحمل يا داليدا .. مش هقدر بعد
ما دخل حياتى واتمكن منى ، مش بعد ما شوفت حنيتيه و
حبه يا داليدا ، مش بعد كل ده !!

تعالى لهماث داليدا وهى تهزها بين يديها قائلة باستنكار:
_حبه !! فين حبه ده يا فريدة .. هواه حبه بس مش ليكى ،
حبه لمراته الاولانية هوإلى عمل فيكى كده .. بسبب حبه
كنتى هتروحي من ايدينا يا فريدة ،، زين مقدمش حب ليكى
انتى ، زين كان واخذك مسكن وإلى ميديكيش حقك يبقى
ميستاهلكيش .. وانتى عارفة ده كويس ومدركة.. لأنك لو
مكنتيش كده فعلاً مكنش زمانك واخدة خطوة زى دى و
فسختى خطوبتك من غير ضغط من حد !!



صمتت داليدا تراقب ملامح أختها الباكية، ليرق قلبها لها
فأخذتها بين أحضانها؛ تضمها إلى قلبها تربت على جراحها
الغائرة وهي تتمتم :

_ انتى تستحقى اكثر من كده يا فريدة .. تستحقى حد يحبك
بجد .. ويوم ما يكون هو مستعد أنه يمنح نفسه ليكى،
بكليته من غير أى فواصل بينكم ولا ماضى ولا حب قديم ...
ساعتها انا بنفسى هشجعك وهقولك ده إالى يستاهلك يا
فريدة ... لكن لحد دلوقتى انا بقولك انك عملتى الصح، و
خليكى قوية لحد الآخر!!

=====

_ حمد الله على السلامة ... ما لسه بدرى !!
والنبرة كانت غاضبة، منفعة .. لكنه يحاول جاهداً أن
يدارى تلك الرغبة العارمة داخله فى التكسير والتحطيم !



استدارت منة له بهدوء، تناظره بحدقتين اكتسى الجليد
سطحهما !

علاقتهما التي ظنتها يوماً لن تهاوى، الآن هي على شفا
الإنهيار.. والسبب لم يكن لها يد فيه لا من قريب ولا من
بعيد !

حاجز جليدي غير مرئي ارتفع بينهما في طرفة عين، جراء
بضع كلمات سردتها ولا تمت لشخصها هي .. لا تمت لمنة
بصلة !

هدوء بارد يسود ما بينهما منذ يومين ..
بعدها انتهى الشجار الذي لم يبدأ بالأساس، وانتهى
الطوفان الذي لم يتعدى نظرة لائمة حدجها بها !



لكن وحش غضبه لم يستكين ... ربما هو يحاول التحكم
بشعوره الغير سوى .. وربما هو يصمت ويصمت حتى يكون
الإنفجار لائقاً بروح أخته الراحلة !!!

شعوره غير سوى !!

نعم غير سوى .. فهى كـ "منة" لا يد لها فيما هو غاضب منه
.. شخصها هى بعيد كل البعد عن القالب الذى يحاول
تحجيمها فيه !

علما يلومها ؟!! أهى من كانت السبب فى كل هذا ؟
بالطبع لا ... إذا مؤمن ربما يخرف !!!!!

_وانت كنت عاوز تمنعنى عن اهلى مثلاً؟!
بنبرة جلدية وإتهام ضمنى لطريقته ذات الأسباب المهمة ..
وهى تخطو خطوة واحدة داخل الغرفة اتبعتهما بأخريات
لتقترب منه مواجهة، متكئة، فرد بملامح متجمدة :

_ اكد .. هما مش اهلك دول هما السبب فى إالى حصل
لاختى !

_ لكنهم اهلى .. وإلى عمل كده هو فرد واحد بس وزى م انت
شايف كده صلته تقرباً اتقطعت من العيلة ، ممكن اعرف
فين بقى وجه الاعتراض ؟

التوت شفتاه بسخرية وهو يقول :

_ لا تصدق اقتنعت .. اصل كل ده هينفى حقيقة أن عمك
هو إالى كان سبب فى الى حصل لاختى .

اطبقت شفتها بقوة وهى تجادله قائلة ببرود :

_ اديك قولتها .. عمى !! يعنى مش انا، مش اخويا، مش ابويا
.. يبقى مش من حقك يا مؤمن ت.....

ولم تكمل جملتها إلا وقد اندفع إليها، ممسكاً بذراعيها،
ينشب بهما مخالبه بقسوة، ويهدر:

_ ايه إالى مش من حقى .. هو ايه ؟! انا ليا كل الحق فى إالى
بيحصل ، دى اختى .. فاهمة يعنى ايه ، عارفة ذكرى كانت
عندى ايه عشان تيجى تقوللى حق ومش حق .. مش من
حقك انتى يا منة .. مش من حقك انتى كل إالى بتعمله !!
طالعه مبهوتة بحديثه ، ثم قالت باستنكار:

_ وانا عملت ايه .. انا كنت عملت ايه يا مؤمن لكل ده؟
عملت ايه عشان تبقى معاملتك معايا باردة بالشكل ده من
يومها ، انا مغلطتش فى حقك ولا فى حق اختك بشئ ، وأدبك
شايف عيلتك حطاهم فى عنيا ، انت واهم يا مؤمن بحاجات
محصلتش .. ، انت عاوز حد تحط عليه اللوم ومش لاقى !!

زم مؤمن شفتيه بغضب وحيرة !!
هو يعلم أن كلامها يحمل من المنطقية بالقدر الذى يقنعه ،
لكن !!

لكن هو لا يدري ما الذى حل حين علم عن الذى حدث ..



لوهلة، وجد طاقة الغضب داخله تتكاثر وتتشعب؛ وفي هذه اللحظة فقط علم أن غضبه سيؤذيها .. ومنه رغم كل شئ لا تستحق منه هذا .. لا تستحقه أبداً !

لذا اندفع خارجاً من الغرفة، لا يدر إلى أين !
المهم أن يفاديها غضبه الذي لا يعرف تمييزاً !

=====

هو لا ينساها بأخريات !

وذلك ليس لأنه لم يقابل من هي أجمل منها شكلاً وخلقاً !

بل لأنه لا يرى غيرها من الأساس !!

ربما كان معطوباً، وربما كان أحمق ..

والإجابة الصالحة هي أنه أحمق معطوب بها ... ومعطوب

بدونها !!

طوال عمره يتذرع لنفسه ويقول: أنه ربما هي حالة مؤقتة ..

لكنه مؤخراً شعربل اقترب من اليقين أن ما يكنه لسمية
أبدأ لن يكون حالة مؤقتة ...

فقلبه الذى ظل يعذبه طوال يومين ماضيين لأنه تركها فى
حالة إنهميار مستحيل أن يقتنع أن هذا حالة مؤقتة ..
وضميره فقط ما يحاول إقناعه أن يقوم بوسطنة الأمور،
عبر أن يأتى لها اليوم ويطمئن !!

وها هو واقفاً أمام باب بيتها، لا يعرف هل يتشجع ويضغط
الجرس، أم يعود أدراجه خائباً، خالياً .. صفرا ليدين !!
زفر مراد بعنف وهو يمد يده بسرعة ضاغطاً على الجرس،
قبل أى محاولة من عقله ليتردد ويتراجع ..
لكن الحجة !! ما هى الحجة التى أتى بها ؟!
ولتوه أدرك أنه لم يفكر فى الأمر ولا فى عواقبه، هو فقط قرر
أن يأتى ليطمئن ويقر عينيه برؤيتها وكفى !!
لكن الباب كان قد انفتح وهى ظهرت خلفه وانتهى الأمر!



فغر مراد شففيه مرتبكاً، وهو واقفاً مواجهاً لها على باب البيت .. وكأنه مراهق أتى لرؤية حبيبته خلسة !
لكن أليست هذه هي الحقيقة ؟!!

_اتفضل يا مراد !

و"مراد" هنا بنبرتها المرهقة، وملامحها المنتفخة وأهدابها المبللة إثر البكاء .. كان لها وقع آخر عليه !!
فجاهد نفسه حتى لا يندفع إليها مغرقاً إياها بين أحضانها،
ثم حاول القول بمنطقية فشل في تصنعها :
_درة هنا ؟!

سؤال كان بالغباء الكافي والذي جعله يريد أن يضرب رأسه في أقرب حائط؛ فالجميع يعلم أن درة تبقى جوار فارس طوال النهار ولا تأتي إلا ليلاً مع حماتها !
لكن يبدو أن سمية كانت مرهقة بالشكل الذي جعلها تغفل عن سؤاله أو تتغاضى عنه وهي تجيبه :

_درة لسه مجاتش من المستشفى .. أتفضل .

شعرت بالغیظ من نفسها..

لماذا تلح عليه فى عرض الدخول وهو من أتى إلى بيتها !؟

أحاجتها لشخصٍ يقف بجوارها يجعلها بذلك الغباء ؟!

ذلك الغباء الذى يجعلها تستجدى عطفاً من أياً كان حتى

لو كان مجرد مجالسة باردة بينها وبين "لوح الثلج" ابن عمها

!!

لكنه دخل بعد عرضها الثانى !!

تتبعته حين دلف إلى الداخل وجلس فى الصالون، فاتخذت

من المقعد المقابل له مجلساً ثم أطرقت برأسها فى حزن !!

حزن جذب أنظاره متعجباً !!

هل سمية تشعر مثلهم؟ هل تتأثر كما يحدث معهم جميعاً

!؟

لقد شك للحظة أنها كالإنسان الآلى .. لا شعور .. لا

أحاسيس ... لا تفكير بالأساس !



_سمية انتى كويسة!؟

وسؤاله بنبرته الهادئة الرفيعة عادةً فجرداً خلها رغبة
عارمة بالبكاء!

فأجهشت بالبكاء وهى ترفع كفيها نحو وجهها، تدارى ضعفها
وخزيها!

فهى منذ أن علمت بما حدث مع مصطفى وهى تلازم البيت
لا تخرج منه .. تهتم بماسة وأحياناً تأتى يارا إليها لتراها، لكنها
لا تملك ذاك القلب القوى الذى يشجعها على الدلوف
للمشفى، ومشاهدة أخيها يصارع الموت!!

تعقدت ملامحه بجزع وهو يحدق بها متعجباً أنهيارها ..

_مالك يا سمية!؟ فيكى ايه؟

_مش عارفة .. مش عارفة .

سؤال غبى .. وإجابة أكثر منه غباءً، لكنه لم يملك أكثر من
هذا، لا يملك حق الاقتراب!



فالأقتراب من "الساحرة الشريرة" محرم عليه، وحق لا يملكه !

"لوح الثلج" ... و"الساحرة الشريرة" !!

ثنائي صاحب علاقة بمستقبل مضيء بالأفق فعلاً !!

قام من مجلسه واقترب منها ليجلس جوارها، ثم تجراً ورفع يده مربتاً على كتفها برفق حنون في بادرة غريبة مريبة من مراد لوح الثلج :

_فوضى امرك إلى الله يا سمية .. ربنا قادر يطلعكم من محنتكم على خير!

تلك البادرة التي زادت من بكاء الساحرة الشريرة، واستعجبتها جداً منه !!



وربما هذه البادرة كانت أول خطوة فى طريق لوح الثلج و
الساحرة الشريرة المحفوف بالوجد والأوجاع !!!

=====

عجيبه هذه الدنيا ...

حين ظن أن الحياة ستظل مستقيمة له، أهدته ضربه وراء
أخرى علمته ألا يأمن مكر القدر !!

غاص فارس فى شروده وهو جالسا بجلسته المعتادة جوار
غرفة أخيه .. لكن ما لم يتوقعه أن يرى والده قادماً من
نهاية الرواق، يلهث وكأنه يهرب !!
استقام فارس بحزع وهو ينظر حوله بريبة، وكأنه يتأكد أنه
لا يتوهم وجود والده ...

لكن ما إن اقترب منه أبيه حتى وجده يلهث قائلاً بلهفة :
_فارس .. ارجوك يا ابنى خلينى اشوف اخوك واطمن عليه
.. ارجوك يمكن تكون آخر مرة .

استشاط فارس غضباً أعماه وهو يرد على والده بحدة :
_ابنك مين ده ، ابنك إالى هيموت بسببك وبسبب عمايلك !
لم يكد حسين يلقي برجاءه الثانى إلا وقد وجد زمرة من
ضباط الشرطة تقتحم المشفى خلفه، فتهدل كتفاه
باستسلام وقد بدا وقتها عجوزاً، عجوزاً جداً، أكثر مما هو
عليه ... ثم قال بخفوت وبنبرة مثقلة بالذنب :

_متخافش يا فارس .. ربنا ييعاقبنى، وإلى كنت بسعى
عشانه وعشانه عملت كل ده .. هشام إالى اعترف عليا و
هيوديني ورا الشمس ... ربنا عاقبنى بأخوك يا فارس، خلى
الضربة تيجى منه هو عشان استوعب كويس أن إالى اتبنى
على باطل فهو باطل !!

كان الضابط خلفه قد وصل، ثم قال بهدوء احتراماً
للمشفى التى يقفون فيها، ومراعاة لمكانة الرجل وصلة
أقاربه ومراكزهم فى الشرطة :



_اتفضل معانا يا حسين بيه من غير شوشرة .. انت شايف

المكان ميحتملش استخدام القوة !

ازداد إطراق حسين قبل أن يرفع رأسه بعينين أثقلهما دمع

الذنب :

_ابنى .. ابنى محجوز فى العناية، عاوز بس ابص عليه لآخر

مرة !

اوما الضابط بتفهم وأمر أحد العساكر بمرافقته إلى

الداخل !

وبالفعل دخل بعد دقائق وبعد إذن الطبيب !

بمجرد أن رأى هيئة مصطفى فى فراش المشفى، وجسده

الذى كان يتهادى بشموخ هنا وهناك، وكان يفتخر به بأن

هذا الشديد هو ابنه هو .. حتى أغرقت دموع الندم و

الحسرة وجهه وهو يرى ابنه الذى رآه قد حصل على كل شئ

... قد نجح أخيراً فى سلبه كل شئ، حتى صحته !!!



رفض فارس له ..

اعتراف هشام بما فعله طوال حياته ..

رقدة مصطفى على سرير المرض ..

ضربات متتالية من أولاده الثلاثة الذين ظل طوال عمره
يقنع نفسه بأنه يفعل كل هذا فقط ليوفق بينهم، وها هو
الآن يخرج بعد المعركة دون غنائم .. صفر اليدين !!!

يده امتدت لتلامس كتف ابنه بارتجاف قبل أن يميل إليه
هامساً بنشيج خافت جوار أذنه :

_سامحني يا مصطفى ... سامحني يا ابني وادعيلي ربنا
يسامحني !

ثم استقام خارجاً مع العسكرى الذى يرافقه، ولم يرى كف
مصطفى الذى ارتجف فوق الفراش، ولا أصابعه التى
نشبت بوهن فى نسيج الغطاء تحت يده !

===

خرج حسين ليجد فارس مواجهاً له دون ذرة تهاون تلوح على
ملامحه .. فاقترب مربتاً على كتفه هامساً :

_ استحلفك بالله تسامحنى .. وتقولهم كلهم يسامحونى .. و

خليك عارف ان ربنا خدلكم حقكم منى !!

أنهى كلماته ثم استدار إلى الضابط الموكل بإحضاره،

مستسلماً له ليقوده إلى مصيره أياً كان ..

بينما فارس يشيعه ينظراته الغائمة بقلب متحسر!!

صحيح ..

ما بُنى على باطل ... فهو باطل !

وليت آدم وكل أبناءه يقنعون بتلك الحقيقة !!!

=====

بعد مرور ثمانية أشهر!!!

أندلع الصراخ بالصوت الطفولي الرفيع بين أروقة المشفى،

يبشر بقدوم ضيفٍ جديدٍ على هذه الدنيا !!

ذلك الضيف الصغير الذى لا يعلم بعد ماذا سيلاقيه من

أهوالٍ على أرضها ..

لكنه ...

لكنه صرخ مقدماً!!!!!!

=====



الفصل التاسع والعشرون

=====

ليتک كنت جارى أو جوارى .. أو قريباً حول داری .
ليتک كنت قربى أو قریبى أو قريباً من مدارى .
ليتک كنت سنى أو بسنى .. أو ربیعاً بانتظارى .
ليتک كنت بعضى أو ببعضى أو ملاذاً من فرارى .
ليتک كنت عینی أو بعینی .. أو شعاعاً لأنظارى .
ليتک كنت منى بالتمنى .. لمماتى واحتضارى .
ليتک كنت دارى فیک قرارى .. كنت اهنأ واهداً وابرأ من
مرارى .

=====

_حبيب عمتو .. جميل وصغنون اوى يا حازم !
فرحتها بعد شهوٍ من السكون الغير مبرر أثلجت قلب حازم
الذى يتطلع لمامحها عبر شاشة الهاتف الذى يرفعه بيده

عالياً ليتيح لها فرصة رؤيته ورؤية الطفل الصغير فوق
ذراعه الآخر بوضوح عبر الكاميرا !

لا يعلم ما بها .. وهى لا تريد أن تفصح، لولا ما حدث معهم
مؤخراً لما شك أن أروى من الممكن أن يحزنها شئ !

يا حبيبتي ده ابن حازم يا ماما .. أكيد هيكون دنجوان
عصره !

يهتف بها بمرح مشاكساً فتأتيه ضحكتها عبر الأثير، ويرى
صورتها وهى تهتف به بسخرية مماثلة :

معاك حق .. ماهو ابوه شبه "توم كروز" وامه وش الخشب
شبه "مارلين مونرو" فأکید البسلالية إالى فى ايدك ده لازم
يطلع شبه "إيان سومر هالدر" !

تعالى ضحكات حازم على الطرف الآخر بينما حلا ترمقهما
شزراً وهى تتنهد بتعب إثر الولادة، ثم قالت بنبرة خافتة
ممازحة لم تصل أروى عبر الهاتف :

_لا وانتى الصادقة .. ده عشان عمته شبه "أنجلينا جولي"!

ضيفت أروى عينها على صورة حلا من خلفها وهتفت :

_بتقول ايه البت دى يا حازم!

ضحك حازم وهو يعيد ما قالتة حلا على مسامعها

فضحكت أروى عالياً قبل أن تسأل بعينين لا تعرفان معنى

المرح الذى يطل برأسه على استحياء من بين كلماتها التى لم

تعرف الفرحة منذ ثمانية أشهر:

_وهتسمو حباية "البسلة" ده ايه بقى !

ردت حلا بصوتٍ مرهق بعض الشئ :

_بطلى تقولى على ابنى بسلة لما نشوفوا "ابن أسر" هيطلع

ايه، "الرجل الاخضر" !!

آلمتها الكلمة دون يعى أحد بما يجول داخلها ..

آلمتها أن يتم ذكر اسم "ابن أسر" الآن وهو الاسم الذى ظل

يؤرق مضجعها منذ علمت بالأمر !!



لكنها ابتلعت طعم الصدا في حلقها وهتفت متجاهلة حديث
حالا الأخير:

_والله لازم تختاروا اسم دلوقتي، مش هقفل الاتصال غير لما
تختاروا .

استدار حازم يعطى الطفل لمنى الجالسة على مقعد جوار
سرير حلا وتشيح بوجهها عنهم منذ أن بدأ حازم الإتصال
المرئي بأروى التى أصرت أن تتلقى تعليمها بالخارج بعد أن
ظهرت نتيجة الثانوية وقد حصلت على مجموع ممتاز يتيح
لها دخول كلية الطب فى البلد لكنها أصرت على استكمال
تعليمها بالخارج، على نفقتهم الشخصية !

رمق حازم والدته بعتاب، والتى تقاطع أروى منذ ثمانية
أشهر، بل تحديداً منذ أن صرحت برغبتها فى السفر
ورفضت الانصياع لتوسلات أمها بالألا تذهب وتبتعد عن
عينها ... لكن والدته ظلت مشيخة بوجهها مما جلب الحزن



لعيني أروى مجدداً، فهتف حازم قبل أن يتلبس الجو
بموجة من الكآبة :

_مش انتى قولتى أنه هيطلع شبه "إيان سومر هالدر" يبقى
هنسميه "إيان" عشان يبقى "إيان حازم هالدر" !

ضحكت أروى ملء شديقها وهى تجاريه فى مرحه ... إلى أن
انتهوا واطمئنت على سلامة حلا وتمتت لهم بالمباركة قبل
أن تغلق الاتصال مستجدية نظرة واحدة من أمها الغاضبة
!

أمها التى ما إن انغلق الإتصال حتى اجهشت فى البكاء
بحرقة على رؤية ابنتها بعيدة عنها كل هذه الأميال !!
ربت سامية التى تجلس جوارها على كتفها برفق مواسية
وهى تقول بهدوء :

_وحدى الله يا منى .. ماهى زى الفل أهى ما شاء الله ..
متقلقيش عليها .

فجاوبت منى من بين نشيجها :



_ قلبي واكلى عليها .. حبيبتي بعيدة عني، ومعرفش أبوها و
اخوها رضوا يسيبوها تسافر لوحدها هناك ازاي !
تدخلت حلا وهي تربت على كفها المستريح جوارها على
السريقائلة بعطف :

_ يا ماما منى ما هي مش لوحدها، اكيد أسربيطمن عليها من
وقت للتانى هناك !

هزت منى رأسها نفيأً دون معنى بينما حازم تقدم وأخذ منها
الطفل تاركاً لها متسعاً لتفرغ فيه حزنها !!

لم يكن مستاءً بما تفعل يوم ولادة طفله، بل هو متفهم لها
لأبعد حد ... فهو أيضاً لم يعتقد أن غياب أروى عن البيت
سيكون موحشاً إلى هذه الدرجة، ولم يعلم كم يحبها إلا
بعدها صار يدخل البيت ولا يجدها، ولا يسمع صوتها
وشقاوتها التي تثير جنونه .. رغم أنها كانت أكثر انطفاءً في
الفترة الماضية عما عهدتها دوماً !!



انشغل بملامح طفله الجميلة الصغيرة، ودون أن يشعر
كانت ابتسامة مشرقة تضيئ شفثيه؛ ولأول مرة يفتن إلى
قلبه الذى لم تهدأ دقاته منذ أن رأى "عقلة الإصبع" هذا
وسمع صوت صراخه حين وُلد !

هل كان يوماً أكثر سعادة منه اليوم ؟!
لولا غياب أروى فقط لكان أكد وبصم بالعشر أن اليوم هو
أسعد يومٍ فى حياته .. حتى أسعد من يوم زفافه !
فما أجمل من اليوم الذى امتلك فيه حلا، إلا اليوم الذى
حمل فيه طفلهما بين يديه !!!!!

كانت عينا حلا تراقبهما دامعة، تدعورها أن يقدرها على
مسؤولية كهذه !!
فتلك الفرحة التى تشع من عيني حازم لا تريد لها أن تخبو
أبداً ..



نعم ... هذه أمنيته وإن لم تواتيها الشجاعة العاطفية التي
تجعلها تفصح عنها ذات يوم !!

=====

سواح وماشى فى البلاد سواح..
والخطوة بينى وبين حبيبى براح..
مشوار بعيد وانا فيه غريب..
والليل يقرب والنهار رواح..
وإن لقاكم حبيبى سلمولى عليه..
طمنونى الاسمرانى عاملة ايه الغربة فيه..

هل يستمع الجميع لكلمات عبد الحليم على ضوء النهار
الذى بدأ يخبو مثلها وهى تراقبه من سماء شرفتها !
أصدر عقلها فرماناً .. وها هو قلبها يعصيه !
تتجاهله وتمنى نفسها بنظرة، بلفتة واحدة من حبيبها الذى
غدر بها !



هل تكذب وتقول أنها استطاعت المواجهة وطلب الطلاق؟!
أم تدعى دور الشجاعة وتبدأ الهتاف بشعار "استرونج
اندبندنت وومن" وتعلن عليه الحرب وتطلب الطلاق؟!

هل ستكذب على نفسها فى هذه أيضاً وتدعى أنها تملك
جواب؟!

لأنها لو كانت تملك جواب فعلاً ما كانت هربت وأتت إلى هنا
لتفادى المواجهة معه ومع أهلها!!

وما كانت لتهرب منه إلا إليه!!!

فهاهى قد أتت للأرض التى تحتويه ...

هى تعلم أنه هنا فى هذه البلد، وتعلم أنه يعلم بوجودها!
وبما أنه لم يسرع لرؤيتها فإذاً هو يعلم أنها تعلم ولا يتجرأ أن
يأتى ويواجهها!!!



تعقيد .. تعقيد يسود علاقتهما منذ أن وعت أن أروى لأسرو
أسر لأروى !

ويا ليت الأمر توقف على بضع اعتراضات من اهليهما أو
تجاوزات بينهما قد تابت عنهما، بل ألم قلبها شديد،
والله شديد يكاد يفتك بها !

أحياناً تتساءل: هل ما حدث معها نتيجة للسماح له بتجاوز
الحدود معها !

هل بضع أحضان وقبله جبين جزاؤهم هذا العذاب الذى
تحياه .. ولا هى قادرة على التحلى بالقوة والخروج عن ثوب
الطفلة الضعيفة المتعلقة به وتطلب الطلاق ..

ولا هى قادرة على الاقتراب أو العفو أو حتى التأكد من صحة
الخبر ورؤية غريمتها وابن حبيبها وزوجها !!

"ابن حبيبها وزوجها" !

يا الله .. أما أن أوان هذا العذاب أن ينتهى !!



قد تعبت .. وقلبي لم يعد به متسعاً لمزيد من الألم و
الخذلان..

أغمضت عينيها وهى واقفة أمام نافذة غرفتها الزجاجية
العريضة، تتأمل ألوان المدينة الصاخبة وقت الغروب هذا
بذهن شارد عن أى جمال تراه ..

وسحابة من الذكريات لفحتها ليزداد انكماش جفنيها على
حدقتيها المتألمتين وتذكرت ...

تذكرت ذاك اليوم التى ظهرت به نتيجة امتحاناتها وتذكرت
وعده لها أنه سيأتى ليروا النتيجة سوياً ثم يحتفل معها
بالنجاح وقد أتم كل أعماله بالخارج !

لكن الامتحانات انتهت .. وظهرت نتيجتها وقد حصلت على
مجموع رائع كان يؤهلها لدراسة الطب فى بلدها، لكنه لم
يأتى !!

ففضلت الهرب منه ومن الجميع .. إليه !



وقد كان ما أرادت رغم اعتراض أمها ولوعة قلبها على ابنتها،
لكن قلب ابنتها كان لم يعد فيه جزء لم يمتلئ بالألم وقتها،
وعلى عكس كل من يتعرض لمحنة فتزداد عزيمته فتوراً فهي
كانت أقوى، واستغلت رغبته للهرب من الواقع في الدراسة
الجادة لفترة طويلة وقد جنت تعبها بعد ذلك !!

الإجراءات كانت شديدة السهولة نظراً لمكانتهم ومكانة
حميها، وزوج عمتها وقوة صلته بالخارج نظراً لأنه عاش زمناً
في هذه البلد، حتى الشقة التي تقطن فيها الآن ملك له!
لا تعلم أى غباء جعلها تجازف وتسعى إليه بقدميها، وكانت
تصبر نفسها على غيابها بأنه في مدينة وهي في مدينة أخرى ..
لكن أى مسافات تلك ستمنعه عنها لو كان يحبها بحق !
فهاهى منذ بضعة أشهر في هذا المكان ولم يحاول حتى
التواصل معها ولو عبر مكالمة هاتف !

وهذا يعود ليؤكد لها ظنها فيه !!!!



اجفلت على صوت رسالة على هاتفها من أحد صديقاتها
العربيات اللاتي يقطن معها فى هذا البلد، تنبهها بقرب
ميعاد تجمعهم الأسبوعى الذى يسعون فيه ليخففوا على
نفسهن غريبتهم عن طريق الاجتماع ببعضهن بعد شقاء
الاسبوع فى الدراسة وخلافه !!

فتنهدت لتوها أن الشرود أخذها فى جولة مطولة هذه المرة
ونست نفسها، فأسرعت فى تبديل ثيابها ..

حتى انتهت واتجهت للخروج بسرعة، لكنها عادت مرة أخرى
لتجلب هاتفها !

وتفحصته بينما تسير حتى باب الشقة بسرعة وهى تهمس
لنفسها بأنها لم تنس شئ ..

حتى أن عجلتها لم تمهلها استيعاب رائحة العطر التى عبقت
الأجواء من حولها ..



وضاعت الهمسة وسط الصرخة حين اصطدمت بصدري
قاسي وظلال على عينين زرقاوين طغى الشوق على تفاصيل
اغوارهما !!

"أسر!"

====

بعد مرور بعض الوقت ..

كانت غرفة حلا في المشفى قد امتلئت على آخرها بأفراد
عائلتها التي وعلى الرغم من كثرتهم فقد فقدت الكثير!

فقدت مصطفى الذي مازال إلى الآن يترنح بين غياهب وعيه
يرفض الخروج من شرنقته والتي يدعونها زيفاً بغيوبة ..
وزين الذي أخطرهم أنه سيتأخر قليلاً إلى أن يأتي ..
ومنة التي لم تحضر بعد ..



وأروى .. وأسـر.. وفريال زوجة عمها .. ويارا التى اختارت
المرور على مصطفى أولاً ..

وفارس الذى يربط جوار أخيه نهـاراً .. وعمها حسين الذى
أختار طريقه بيده ..

وجدها الذى لم يستطع الحضور بسبب حالته الصحية
التى ساءت كثيراً منذ الحادثة، كما أن حسـرته على مصطفى
كبيرة وخيبة أمله فى ابنه أكبر!!

والأهم على الإطلاق أبيها !!

أبيها الذى تتمنى لو كان حاضراً فى يوم كهذا .. بالتأكيد لكان
جداً رائعاً !!!

وقد حضرت عمتها عبيروودة ومراد .. وسمية التى كانت
منزوية عنهم فى آخر الغرفة بعدما كانت تتجنب الاختلاط
بجميع أفراد العائلة الفترة الماضية لشعور جم داخلها
بالخزى ..

وعمها محمد الذى كان يحمل طفلها بين يديه الآن وجواره
حازم يشاكسه بأنه قد كبر وأصبح جداً !!
وأدهم وجواره زوجته داليدا ينظرون للطفل من بعيد و
ربما أدهم يقول شئ لداليدا الآن ببعض الخبث ..

_مش ناوية بقى تحنى علينا وتحبيلنا حته عيل زى ده كده
نلعب بيه .

وعكس ما توقع أنها ستضحك على مزحته التى لم يرجو منها
سوى إضحاكها فقط .. فقد انكمشت ملامح داليدا ببعض
الألم قبل أن تتصنع ابتسامة باهتة وهى ترفع وجهها له
هامسة :

_انا عارفة انك ملهوف على طفل، وعارفة برضوانى السبب
فى انك لحد دلوقتى محروم منه .. لكن غصب عنى والله،
مش مستعدة نفسياً لخطوة زى دى نهائي .



ناظرها بعينين غائمتين بعطافته تجاهها ..
كان يعلم مسبقاً أنه سيواجه عوائق معها في شأن الإنجاب،
أولاً لماضيها، ثانياً لنفسيتها التي تسوء عند ذكر الأطفال ولا
يعلم لماذا مازالت متأثرة بطفلها الذي لم تكن قد رآته
بالأساس وأيضاً قد مر على تلك الحادثة سنون طويلة ..
لكنه أسند الأمر لأنها كانت صغيرة جداً وقتها لأن تستوعب
معنى ما حدث وتتخطاه بروح رياضية !

فتلك الطفلة التي مازالت عالقة داخلها تقنعها بأنها
ستفقد ابن أدهم أيضاً إن حاولت أن تحمل به مثل طفلها
السابق !!

ولم يكن مستاءً حين لمح ذات مرة بين أغراضها النسائية في
خزانة الحمام أقراصاً لمنع الحمل !

رغم ذاك الشعور بطعم الصدا في حلقه .. لكن حبه لها
أجبره على تفهمها وتفهم الوضع الذي هي فيه، فترك شريط
الأقراص مكانه وتجاهل شعوره وكأن شيئاً لم يكن !!



ربت على يدها بحنو وكاد يواسيها بشئ .. لكن تلك الغصة
التي احتلت قلبه وقتها أوقفت الحديث في حلقه !
ذكر موت طفلها قديماً جلب عليه شعور موجد ، شعور سئ
كان يلح عليه من بعد الحادثة التي فقد فيها جزء من ذاكرته
وقد كان بدأ يتناساه ويتلاشى منذ أن عرفها وقد كانت تجيد
ردم الفجوة الزمنية داخله !
وصور عابرة من كوابيسه العديدة مرت على عينيه كشهاب
خاطف قبل أن يجفل وهو يعود لها بوعيه مرة أخرى !!
عقدت داليدا حاجبيه وهي تراقب تعاقب التعابير على
ملامحه قبل أن يجفل ويعود لها مرة أخرى .. فقفز قلبها
داخلها بشعورٍ جام بالذنب !
ألهذه الدرجة هي تهاون في حقه وفي اشتياقه لطفلٍ من
صلبه !!؟



لكنها اكتفت بتربيته خفيفة على كفه قبل أن تعود لتنخرط
مع العائلة مرة أخرى تاركة إياه في شروده والذي فعلت هي
مثله !!

فقد صفت تحاول وسطنة الأمور، ومنطقة شعورها حتى
تصل لنتيجة ترضيها معاً .. لكن يبدو على ملامحها أنها لم
تجد حلاً شافياً بعد !!

اقترب مراد من سمية المنكمشة على نفسها في زاوية نائية،
يحاول إستغلال تلك الصلاحيات التي أتيحت إليه من
الساحرة الشريرة تؤهله للاقترب منها ومن محيطها الخطر!
لم يكن يعهد نفسه شديد الرعونة هكذا .. ولم يعتد أيضاً
أن يسلم قلبه دفعة القيادة وهو يعلم تمام العلم إلى أين
سيأخذه في النهاية ...



سياً خذه إليها .. تماماً كما فعل الآن وأجبر قدميه على
الاقتراب منها في وقفتهما التي لمست جزء من قلبه وهو يراها
هكذا كطفلة شريفة لا تجد من يرشدها :

_واقفة لوحدها فيه ؟!

ونظرتها التي رمقته بها كادت تودي بثقته في نفسه وتضرب
كبريائه الذكوري في مقتل .. فقد رمقته بنظرة لامبالية تخبيئ
السخط في طيات ثوبها القاتم الذي ترتديه حين الحاجة
إليه -كما علم عنها- حين تشعر بالضعف ..

ربما هما ليسا مقربين بعد .. لكنهما لم يعودا كالسابق ، ولم
تعد العلاقة بينهما شبه منقطعة بل يمكنه أن يقول أنه
هناك نوع من الود وإن كان برود سمية قد ازداد مؤخراً
بسبب شعورها بالخزي وابتعادها عن البقية !

لم يستطع إلا أن يبتسم لها بهدوء وقال بمزاح لم يستطع
إجادته فهو في العادة كما يقولون "جلف" :
_براحة شوية، هتولعى فيا ببصتك دى .



وإن كان غرضه إضحاكها على مزحته، فقد جنى غرضه
مذموماً مدحوراً ..

رمقته سمية بنظرة أشد سقيعاً من سابقتها، فازدرد ريقه
بتوتر وهو يطالعها بنظرة من ينتظر أن ينفث من أمامه ناراً
من فمه ويحرقه !!

لكنها وللعجب ضحكت بخفة أخيراً، نصف ضحكة بالأصح
.. ثم قالت بهدوء شديد :

_على فكرة يا مراد انت دمك مش خفيف .. انت دمك ثقيل،
وجداً يعنى، فمتحاولش تبقى "روش" عشان شكلك بيبقى
وحش اوى الصراحة !

امتقعت ملامحه وجال بنظره فوق الجميع وهو يشعر بأنهم
قد سمعوا تقريرها له، ثم رفع كفه، يحك شعره بملامح
ممتعة ويرمقها بنظرة جانبية ساخطة ..

ضحكت سمية على الموقف السخيف الموضوعين به حالياً،
قبل أن تجده ينظر لها شزراً، هاتفاً بصوت هامس وبغضبٍ
مكتوم :

_وعلى فكرة يا سمية انتى "دَبْشَة" وملكيش أبدأ فى الذوق
ولا المجاملات حتى، وانا كنت فاكرك احسن من كده .

هزت كتفها وقالت بمشاكسة تستمع بها حين تثير حفيظته :

_وعلى فكرة فى أسوأ من كده بس انت إالى اتسرعت و
أخذت الفكرة دى !

_تصدقى بالله .

_لا إله إلا الله .

_انتى حلال فيك تفضلى واقفة لوحداك شبه قرد قطع كده

من غيرم حد يعبرك حتى !

بهتت ابتسامتها، وضاع الهزل من عينيها، ثم قالت بصوتٍ

فاتر:

_وايه الجديد .. مانا طول عمرى لوحدى !



أغمض عينيهِ على شعورٍ جام بالذنب تمكن منه في لحظة
بعد رؤية التعبير الذي اكتست به ملامحها !
"سمية حالة خاصة" !

تجبر المرأة على الدقة في اختيار كل ما يقوله لها أو كل ما
يفعله أمامها لكي لا ينكأ ذاك الجرح المتقرح داخلها والذي
ما زال ينزف حتى الآن .. رغم مرور ثمانية أشهر على تلك
الحادثة المؤلمة للجميع !!

كل ما كانت تفعله سمية في الفترة الماضية كان الجلوس في
البيت وزيارة مصطفى كل حين وآخر، والاهتمام بماسة !
غير ذلك لم تكن تفعل وكانت تبدو كمن كرس حياته لهذه
الأشياء وقد أقسم ألا يفعل غيرها أبداً !

_سمية انا اسف !

نطق بها أخيراً بعد فترة من الصمت كانت تتحاور فيها الأعين
بحديثٍ مشفر، وعلى ما يبدو عينيهِ اعتذرتا سلفاً، فبمجرد

أن نطق كلمته حتى تبسمت وهى تقول بخفوت، بينما تلوح
بيدها بالامبالاة :

_متاخودش ف بالك .. انا إالى بقيت حساسة زيادة عن
اللزوم .

رفع حاجبيه وهو يكرر ورائها بسخرية :

_حساسة !! عاوز اقولك انى كنت اشك انك ممكن تحسى
فى يوم من الأيام اصلاً !!

اعتادت "جلافته" فلم يعد لحديثه الذى يشبه قوالب
الحجر ذو معنى داخلها إلا الضحك، فضحكت وهى تضرب
كفاً بكف قائلة :

_اقسم بالله يا مراد انت ما عندكش أدنى فكرة عن التعامل
مع الجنس الناعم ... وإلى هتتجوزها هتكون امها داعية
عليها فى ليلة قدرو بيان السما مفتوحة !!

تبسم فى حرج وهو يشيح بعينها عنها، ويرفع كفه ليحك
شعره مجدداً، وقد احمرت أذناه وهو يهمس :

_والله شكلها كده فعلاً!

===

"آسر!"

وقد كانت همستها المتفاجئة بمثابة استفهام عما إذا كان
ماثلاً أمامها حقيقةً، أم هو من محض خيالها الخصب
فحسب !

إلا أن ملامحه التي كان الشوق يتمشى فوقها متبختراً كانت
أكبر إثباتٍ على هذا ...

فسرعان ما زالت المفاجأة عنها، واكتست تعبيراتها بغطاءٍ
جليدى وهى تقول بصلاية :

_عاوز ايه يا آسر؟! وازاى اصلا تيجى لحد هنا من غيرم
تدينى خبر قبلها! وازاى دخلت.

لكن سؤالها كان غيباً؛ فالشقة ملكهم بالتأكيد يحمل
مفتاح وهى قد نسيت أن تغير قفل الباب .

عقد حاجبيه، لكنه لم يكن متفاجئاً برد فعلها، بل كان مستعداً لهذا .. فقال بهدوء أمام ثورة غضبها التي تلوح على ملامحها :

_عشان خاطرانا عارف كويس انك مش هتوافقى تقابلىنى لو كنت قولتلك .

تكتفت وجابهته ببرود :

_ولما انت عارف انى مش عاوزة اشوفك جاى ليه .

اقترب خطوة، فتقهقرت مثلها للخلف، لكنه لم يزد عليها وهو يهتف بحرارة :

_لنفس السبب إالى جابك لحد هنا، إالى خلاكى تسيبى بلدك وتيجى هنا يا أروى !

ابتسمت بسخرية زادت ملامحها جليداً، ثم قالت هازئة :

_وانت فاكرانى جيت هنا عشان خاطرک، انا جيت عشان المكان ده الوحيد المتاحلى، وبابا وعى خالد أصرروا انى اجى هنا .

حديثها كان يحتمل شيئاً من الكذب، فهما لم يجبراها ولم
يصرا، هما اختارا تلك البلد فقط لقوة علاقات خالد بها
ليس إلا!

لكنها أصرت على تقليل شأنه عندها، كما سبق وفعل معها
..

وما خيب مسعاها رد فعله الذى جاء متهيناً لأى شئ جرح
منها، حيث قال أسرىهدوء وهو يمد كفه ممسكاً بكفها :
_ تعالى يا أروى نقعد وانا هو ضحكك سوء التفاهم ده .
انتشلت كفها من بين يده بحدة وهى تشهر سبابتها فى وجهه
هاتفة بغضب :

_ إياك تتجراً وتلمسنى يا أسر!
ومن هتف بغضب وقد عيل صبره هذه المرة كان أسر:
_ متعليش صوتك يا أروى .. وقولتلك اقعدى نتكلم بهدوء
وانا هفهمك سوء التفاهم إالى فى الموضوع !!



زمت شفتيها بقوة، تمنع سيلاً من الشتائم التي تنوى اتحافه بها .. لكنها انصاعت غصباً واتجهت لتجلس على الأريكة في صالة الشقة، تنظر أمامها بعينين جامدتين لم تعرفا معنى التهاون، قبل أن ترفعهما لترمقه في وقفته بنظرة حملت كل المشاعر التي تجيش داخلها ..

سخط .. ازدراء .. رغبة عارمة في تهشيم وجهه الوسيم هذا .. تفوقها رغبة في صفعه ثم الارتواء بين أحضانه تشبع شوقاً مضنياً لكل لفظة منه !

وكل هذا قرأه بوضوح على صفحة ملامحها الشفافة قبل أن يتجه نحو السفارة الكبيرة القريبة وأحضر كرسيّاً من التابعين لها قبل أن يجلس فوقه أمامها بوضعٍ عكسي، يستند بمرفقيه على ظهره وهو يقول بجديّة :

_اتهدى واسمعيني للآخر!

لم يجد تعقيباً منها سوى ملامحها المتيبسة، فتهد بعُمق قبل أن يقول مباشرة ودون أي مقدمات :



_ انا عارف انك مفكرانى متجوز ومخلف كمان .. فاهم أن دماغك "الحمضانة" دى .

وضرب بسبابته على صدغها بقوة مؤلمة وهو يستطرد :

_مقدرتش توصل لاي استنتاج غيرده .. مع انك بشوية تفكير بس كان زمانك فهمتى يا معدومة الذكاء !

احتدت ملامحها وكادت تهتف بما يسمم بدنه، لكنه أوقفها بإشارة من يده مستطرداً :

_قبل ما تطولى لسانك وتعالى صوتك .. احب اعرفك أن الولد مش ابنى، والست دى مش مراتى ... دى "ايهى" مرات أدهم أو طليقة أدهم، والطفل ده يبقى "يحيى" ابن أدهم إلى كان ضايع !!!!!!!

لو كان أحدهم سكب فوق رأسها دلواً من الماء المثلج حرفياً لما كان حالها كما كان الآن ..



لو كان قال أى شئ غير هذا أو حتى أقربما هى تعتقده لما كان
حالتها كما هى الآن ..

لو كان صفعها، أو أعلن كرهه لها، أو حتى طلقها .. لما كان
حالتها كما هى الآن ..

ففمها اتسع حتى كاد أن يعانق الأرض، وحاجبها كادا أن
يسلما على مقدمة شعرها، وعينيها كانتا كوكبين من
العسل تامى الاستدارة !!

والأمر الذى تلى على مسامعها يحتمل احتمالين لا ثالث لهما
.. إما انه يكذب لينجو بنفسه ..

وإما أنه يخرف وقد أُصيب بـ "وهم كبراجس" !!

_انت بتقول ايه .. انت مفكرنى عبيطة هتضحك عليا
بكلمتين !!

احتدت وهى تهتف بها، فابستم أسربسماجة وقال بيروود :

_هو من ناحية انتى عبيطة فانتى كده فعلاً.. لكن انا
مبضحكش عليكى !!

ظلت ملامحها على تلبدها والغرض كان الاستفسار عن
الخبر الذى يعد رابع المستحيالات بعد العنقاء والغول
والخل الوفى ..

فتهد أسرتمهيداً لما سيقوله .. قبل أن يبدأ فى الحديث :
_ابن أدهم مكنش ميت يا أروى، هما كلمهم فكروا فى كده
بس انا مرتحتش لكده وكان عندى احساس ان الولد
ممتش وان الموضوع اكبر من أن ام ايمى سابت الواد يمشى
لوحده وانتهى .. وفعلاً كان كلامى صح .

انتظرت أروى بصبر أن يكمل وبالفعل بدأ يشرح لها ..

بداية بشكه فى الأمور فى حكاية جثة الطفل التى وجدوها
متفحمة ولم يستطعوا أن يتعرفوا على هويتها نظراً

لتشوهها، وبعدها رفض أدهم لإجراء تحليل الحمض النووي بسبب حالته النفسية وقتها ..

فتكفل هو بالأمر واستطاع بشكلٍ أو بآخر أخذ عينه من أدهم ليجروا بها الفحص والذي ظهرت نتيجته بالسلب، وأكدت أن هذا الطفل ليس يحيى ابن أدهم ..

فما كان من أسرب بعدها إلا الضغط على زوجة أدهم لتقر وتتعترف بأنها من فعلت هذا لعدم رغبتها بوجود طفل في حياتها الآن وعدم استطاعتها ان تتخلص منه أثناء الحمل لأنها اكتشفته مؤخراً وكان سيسبب خطراً على حياتها ..

فاضطرت إلى الإنتظار لأن يتم الحمل، لكن تعلق أدهم بالطفل وسيطرته على زمام الأمور منعها من التصرف في أى شئ لتتخلص منه، أو أن تعرضه للتبنى كما تفعل أغلبية فتيات مثل تلك البلدان !!

وانتظارها كل هذا الوقت كان خوفاً من رد فعل أدهم على ما سيحدث، لكنها توصلت لفكرة جعل الأمر يبدو وكأنه

قضاء وقدر عن طريق ترك الطفل يمشى وحده فى الشارع
ويتلقفه المتبنين الجدد من الشارع دون مقابلة رسمية بينهم
!

وبالطبع الوقت الذى كان لدى أسر الذى كان يفعل كل هذا
سراً ضيقاً جداً لأن ينفذ كل شئ قبل أن يضطروا للرحيل
من بلد لآخر..

وحدث بالفعل أن تركوا البلد قبل أن يتم مهمته .. فاضطر
لعرض مبلغ قيم من المال على ايمى بمقابل أن تحافظ على
الطفل لحين عودته .. بعدما سبق وقام بتهديدها بفضحها
إن لم تتصرف وتعيد الطفل مرة أخرى .

كانت المعارك فى رأس أروى محتدمة على أوجهها، لكنها
تمالكت تلك الفوضى السائدة داخلها، وسألته ببعض
السخرية :

_وحضرتك بقالك ٨ شهور فى البلد هنا بتعمل ايه ؟

برودها وسخريتها بعدما برأ نفسه أمامها تسوءه بشدة، ولم يكن اعتقاده عن رد فعلها بعدما تعلم الحقيقة أنه سيكون هكذا، لكنه عاد وتهد للمرة الغير معدودة ثم قال بهدوء :
يحيى من صغره وهو بيعانى من ثقب فى القلب يا أروى
ويمكن ده سبب من الأسباب الكثير إالى خلى امه عاوزه
تتخلى عنه ... فى اعتقادها ان الولد ملهوش عمرو تمسك
أدهم بيه ما إلا تفكير رجعى من وجهة نظرها ... مع أن حالة
الطفل مكنتش معقدة وهو مكنتش محتاج غير متابعة لحد
ما يتم السنيتين .. وده إالى اخرنى كل ده وبقالى ٨ شهور
قاعد هنا عشان اتطمئن على الولد واتابع حالته واكمل
علاجه باهتمام اكتر وحالته تستقر عشان اقدر اخده و
اسافريه تانى لابوه، لادهم إالى الدكاترة قالوا انه محتاج
محفز عشان ذاكرته ترجع، خاصة انه شبه راضى عن
غيابها لكل إالى فيها من مشاكل .. كان لازم اجازف يا أروى
عشان ارجع الضحكة لاخويا تانى .. كنت مستعد اجازف



بعلاقتنا على أمل انك انتى تفهمينى اكثر من كده، لكنى
مكنتش مستعد انى اجازف بالطفل او بصحة اخويا !!

هنا .. كانت المعارك فى عقلها قد ازدادت دموية!

فهاهى بين شقى رضى !!

لا تعلم هل تشعر به قد ازداد قدراً فى نظرها بسبب كل
الذى يفعله مع أخيه ..؟!!

أم تستاء لأن اهماله فى علاقتهما وصل لذاك الحد الذى
جعلها تتقلب على الجمر مدة ثمانية أشهر وأكثر!

لكنه لم يمهلهما لتقرر أو تخير نفسها بين الأمرين بل استقام
فجأة مقترباً منها، جالساً جوارها على الأريكة التى تحتلها، و
قبل أى اعتراض أو استيعاب منها كان يعانق شفتيها بشفتيه
بشوقٍ جارف، تكاثروفاض داخله ..



لأول وهلة لم تستوعب الأمر وكانت عنياها متستعان في
محاولة مستميتة لتخطى الشلل الذى أصاب أطرافها
ونفض الصدمة عنها لمحاولة فعل أى شئ ..
بينما هو كان متعمقاً، مشتاقاً، لا يستوعب شئ سوى أنها
بين يديه !

قبلته كانت تزداد ضراوة فى حين تركت يداها وجهها وانتقلت
إلى حجابها تفكه وتتخلل شعرها ... "البرتقالى" الذى هاج
حولهما كدوامة ابتلعتهما معاً .. ثم تحركت يداها مجدداً
لتستقرا على جنبها وتقربها منه أكثر..

كانت مذهولة، غير مستوعبة .. و، ومغيبة لا تعرف سر ذلك
الشعور الغبي داخلها والذى يحثها على طلب المزيد منه !!!!
حرر شفيتها أخيراً لاهثاً ليلصق جبينه بجبينها متمتماً :

_وحشتينى يا أروى .. فوق ما تستوعبى او عقلك يصورلك ..
وحشتينى بحق غربتى طول الشهور دى وانا مش عارف حتى
اسمع صوتك فى التليفون .



كانت مغمضة العينين، لاهثة، تشعر بنفسها في دورٍ غريب عنها .. تفعل شئ لا يصح لأروى الصغيرة أن تفعله، لكن رنين هاتفها كان بمثابة انتفاضة لكليهما .. فافترقا بجسديهما لكن القلوب مازالت تتعانق، أجابت أروى هاتفها بخفوت ورغبة عارمة في البكاء واختصرت قولها بأنها متعبة ولن تستطيع الحضور .. ثم استدارت إلى أسر ترمقه بنظرة مهمة التعابير قبل أن تجهش بالبكاء ..

تمالك أسر مشاعره التي ثارت دون هدى أولاً ثم استدار إليها متحكماً في نفسه بصعوبة وهو يقول باستياء :

_ليه يا أروى العياط هو انا كنت ...

وقبل أن يقول أى شئ كانت أروى تصرخ به :

_امشى اطلع برا !

بهتت ملامح أسر لأول وهلة قبل أن ينفجر ضاحكاً وهو يمد إبهامه يمسح العبرة عن وجنتها وهو يقول مازحاً :



يعنى انا لسه مبرأ نفسى قدامك وده يكون رد فعلك ؟
ابتلعت ريقها ناظرة له بعينين باكيتين ثم هتفت به :
_ انت مش عارف معنى انى اعرف كل ده بعد ما كنت متيقنة
انك خونتني جوايا عامل ازاي، ولا ايه هو الشعور إالى انا
حاسة بيه دلوقتي، لكن الشعور أقوى من استيعابي
صدقني.. أنت غبي ! مفيش تبرير انك سايبني طول الشهور
دى من غيرم تعرفني غير انك مش واثق فيا.
ربت على وجنتها بكفه فى حنوقبل أن يسحبها لتستقر على
صدره، فى حضنه، وبين ذراعيه، تفرع كل الشجحات التى
ضجت دواخلها بها !
إلى أن قال بخفوت وهو يربت بخفة على رأسها :
_ والله أبدأ.. انا يمكن اتصرفت بغباء اه.. بس ده لاني خوفت
لا الدنيا تبوظ اكتر مع أدهم لو الخبر وصل قبل ما اظبط
للدنيا، استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.. وانا
شكلى بالغت شوية !



لم تعقب..

وصمتت!! وصمت هو على هذا..

وظلا هكذا إلى أن تعالى رنين جرس الباب فجأة!

فأنتفضت وهى تتمتم بذهول:

_مين ممكن يجيلى دلوقت، معقول البنات يكونوا جم؟!..

كاد أن يتساءل عن ماهيتهن اللواتى سيأتين لكنها لم تمهله

وهى تسرع فى تعديل ثيابها وارتداء حجابها قبل أن تهرول

ناحية الباب لتفتحه! وبالفعل كانوا صديقاتها ينتظرن على

الباب!

دعتهن للدخول بحرج شديد.. وبوجنتين كادت أن تنفجرا

من فرط الاحمرار حين دلفن وقابلن أسرفى صالة المنزل

قالت:

_اقدامكم أسر... أسر الزينى، زوجى!

اطرق أسر برأسه وغض الطرف عنهن قبل أن ينهض متمتماً

ببضع كلماتٍ غير مفهومة، ثم انتحى بأروى جانباً قائلاً لها:

_ انا مضطرا سافروا رجع المدينة تانى عشان يحيى لوحده،

بس هستنى منك مكاملة يا أروى !

هزت رأسها موافقة قبل أن تقول بسرعة :

_ طيب طيب خلص انت بس و امشى دلوقتى .

اوماً بجدية وهو يرمقها بنظرة أخيرة متشككة عما إذا كانت

ستحدثه فعلاً أم لا .. ثم خرج من الشقة نهائياً ..

ومن بعده وقفت أروى تتنفس بعمق، تسترد مشاعرها

المبعثرة، وتتلبس القناع الجاد استعداداً للرد على أسئلة

صديقاتها البديهيّة عن طبيعة العلاقة بينها وبين أسر!!!

====

أما فى المشفى ..

فقد رحل من حضر أولاً ومن ثم تعاقب المجئ بين معاذ

ورنيم اللذان اعلنا زواجهما الفترة الماضية دون أى احتفال

بسبب الظروف التى كانت تمر بها العائلة وقد انتقلت



للعيش مع معاذ بصفتها زوجته رسمياً!!.. قبل أن يرحل
سريعاً منتظرين عودتها للبيت!

ومن ثم ورائهم منة التى تجلس جوارها الآن بملامح تبتسم
عبثاً!!

فمهما حاولت أن تفعل فذاك الحزن الذى يملء عينيها
يفضحها فى كل لفطة منها!

كان معها أمها ومنة فى ذاك الوقت الذى سمعوا فيه طرقات
متوتراً على باب الغرفة قبل أن تدلف آخر من توقعوا
وجودها الآن!!

فريدة!.. التى خطت بقدمها فى الغرفة بتوتروا بتسامة مهتزة
تظلل شفيتها المتيبستين فى الحقيقة، واضعة كفيها فى جيبى
معطفها الأبيض الطبى وهى تتمتم بالسلام بخفوت :
_السلام عليكم!

ردوا السلام عدا منة التى أشاحت بوجهها بعيداً عنها وقد
ساءها أن تراها فى تلك اللحظة .. فهى لم تنس لها تخليها عن

زين بعد وتلك الحالة التي ظل عليها أباها لفترة طويلة،
وتحديداً لأنها تقرباً غير مهيمنة على أعصابها وعلى
استعداد لأن تفجر كل ما يعتدل نفسها المكبوتة في وجه
أحد لا تستسغ وجوده !

وفريدة كانت هذا الشخص !!

ربما لأن منة أقرب منهم جميعاً إلى زين، فكانت شاهدة على
تلك الحالة التي مر بها لبضعة أشهر بعد أن تركته فريدة
بمجرد أن أفاق من الحادثة !!

أفاق من الحادثة وأفاق أيضاً إلى واقعه الذي كان يخبره أنه
فقد كل شئ، كل شئ !!!

تمت فريدة بخفوت بمجرد ان وقفت مقابلة لسير حلا :

_حمد الله على سلامتك يا حلا!.. ربنا يتم نفاذك على خير!



والدهشة التى كانت متلبسة حلا من وجودها هى فى مثل
هذه اللحظة جعلتها ترد بحاجبين مرتفعين وبعينين
متسعتين قليلاً :

_الله يسلمك ي فريدة .

ولم تقدر على التفوه بأكثر منها أوروبما لم تجد الفرصة فقد
اندفعت منه تهتف بها بعدوانية ساخرة، وعينين تقدحان
شراً، وقد اتخذت قرارها أن فريدة ستكون "كيس
الملاكمة" الذى ستفرغ فيه كل مشاعرها التى تسوءها :

_وأن شاء الله وانتي جاية برجليكى لحد هنا مخوفتيش لا
يكون "الشرير إلى عاوز الحرق" إلى كنتى مخطوباله يكون
هنا .. ولا انتى معدش هامك حد !

امتعت ملامح فريدة قبل أن ترفع طرف شفتيها وهى
تحاورها بنفس طريقتها :

_ لا والله حتى لو "الشرير إلى عاوز الحرق" اللى كنت
مخطوباله كان هنا كنت برضوجيت، محدش ليه حاجة
عندى واروح المكان إلى أحب وقت ما احب !!
ضربت منة بكفها على طرف سرير حلا وهى تهتف بها
بغضب، غير منتبه ليد حلا التى تلكزها بخفة لتنبيهها لشيء ما
:

_ طب يا حبيبتي عملتى الواجب وزيادة .. كفيتى ووفيتى
اتفضلى بقى شوفى انتى رايحة فين، عشان اخوات "إلى
عاوز الحرق" مش عاوزينك موجودة هنا، وماهيش
مستشفى ابوكى هى !!

هتفت أمها بها بصرامة مؤنبة :

_ منننة !!!!

لكن هتاف أنها قد ضاع وسط آخر أشد سطوة بصوت
رجولى هدر باسمها بقوة :

_ منة !!!!... احترمى نفسك ايه إلى انتى بتقوليه ده !



اجفلت منة لأول وهلة قبل أن تستشيط غضباً مرة أخرى
وقدا بدا أنها لا تميز مع من تتعامل في هذه اللحظة وقد
وصل غضبها مداه :

_هى مش دى إلى سابتك فى عزازمتك واتخلت عنك جاي
دلوقتى تدافع عنها ليه .

أغمضت فريدة عينيها على حزناً يحفر بهما عميقاً، تزامناً
مع زين الذى شعر بنفسه غير قادر على الحديث هذه
اللحظة بوجيب قلبه الذى تعالى حد الجنون وهو يراها لأول
مرة منذ ذلك اللقاء بينهما فى المشفى !!

رغم أنها توليه ظهرها والطبول التى تقرر داخلها أشد فتكاً
مما يشعر هو لكنها حزمت أمرها واستدارات تواجهه بملامح
لم تظهر أياً مما يجول داخلها الآن :



_انا مش عارفة عملت ايه لأختك عشان تقابلنى بالطريقة
دى ... شكراً ليكم يا حضرة الظابط، انا كنت جاية اطمئن
على حلا و اعمل الواجب مش اكثر.. وتقديركم وصل !!

قالت كلماتها ثم اندفعت خارجة من الغرفة بغضب، لم
يستطع أن يوقف تلك العبرة التى خانتها وعبرت حاجز عينيها
المنيع وبللت خدها !

ولم تعى لذلك الذى كان خلفها بعد أن خرجت ونادى :
_فريدة !!!

كان لوقع اسمها على مسامعها اثراً مختلفاً عن أى "فريدة"
قد تكون سمعتها سابقاً، خاصة بعد كل هذه الفترة من
الفراق !!

فثبتت قدميها فى الأرض ترفض الترحيح، ثم مسحت دموعها
ببعض العنف قبل أن تستدير له تنوى اتحافه بكم من



الحديث اللاذع بعد ما تلقته من أخته منذ قليل، لكنه
باغتها بما أوقف الكلمات في حلقها، وأماتها على شفيتها :
_أنا آسف !!

وربما اسف هذه كانت تحمل أكثر من معناها الظاهري .
ربما آسف على كل الذي مضى !
ربما آسف على حديث منة ..

ربما آسف على شئ فعله هو وقد جرحها به يوماً !
فهو كجميع بني جنسه لا يشعرون بقيمة الشئ إلا حين
يضيع من بين أيديهم !!

_اسفك معدش ليه معنى يا زين، ولا هيفدني بشئ بعد كل
.. ٥٥

مجاراة لطبيعة حديثه ذوالحدين، قالت ما قالت سائرة
على نهجه، فلاح الألم عميقاً بعينه لكنه أثر عدم إهدار
كرامته أكثر من ذلك حين قال :

_برضو لازم اعتذرلك إالى قالتة منة ميحصش أياً كانت الظروف .

ها هو يلصق التهمة بما قالتة منة؛ دفاعاً مستميتاً عن كرامته التي يشعربها أريقت أرضاً أمامها ..

لكنها لم تجب، ليس لأنها ليس لديها ما تقول بل لأن عاصفة تمثلت في منة مرت من جوارهم مندفعة إلى خارج المشفى وعلى ما يبدو قد نالت تقريراً من أمها !!

ازداد الضغط على مشاعر زين ..

فهو لا يعلم ما بها منة منذ فترة ولا يجد تفسيراً منطقياً لحالتها التي كانت تماثل حالته بؤساً إلا واحداً فقط .. ويخشى أن يصدقها فيشعرب بالتبعية بأن ما يحاول بناءه طوال عمره قد هُدم في لحظة !

لم يدرك أثناء شروده أن عينيه كانتا تأسران عينا فريدة التي لم تستطع أن تحل قيدهما أبداً إلا حين قال هو:

_اتمنى تقبلى اعتذارى !



بنظرة أنساها كل ما حدث ... وبجملته أعادها إلى واقعها
بأقصى طريقة، فعادت عيناها لشراستهما قبل أن تندفع هي
الأخرى من أمامه، تاركة إياه في رواق المشفى وحيداً..
وحيداً !!!

ولطالما كان هونقطة ضعفها وحاله حين يصعب عليها،
لكنها قوت نفسها واكملت طريقها حتى استدارت يميناً إلى
رواق آخر، حينها فقط وقفت تحبس دموعها في عينيها لأمدٍ
ليس بعيد، فقد تفجرت عبراتها أنهاراً على وجنتيها وهي
تعترف في قرارة نفسها أن قرار تركه كان أصعب من انتزاع
روحها منها !!!

أما هو فظل مكانه وحيداً، منطفئاً، زين غير زين الذى
يعرفوه جميعاً !!

فمنذ الحادثة وقد شعر بشئ داخله بتغير... للأسوء أم
للأحسن لم يستطع أن يجزم بشئ سوى بأنه فقط مهزوم !!



وقلبه الذى كان قد بدأ ينبض لها عاد وخبأ نبضاته داخله
بخزى بعد كل ما كان منه، وما صدر عنه تجاهها!
أجبر قدميه على التحرك نحو غرفة حلا ليطمئن عليها، و
ينهى تلك الزيارة التى لولا أنها لأجل أخته لما كان قد أتاها
قط !!

فما بداخله من فراغ كان أعظم من أن يملئه ببعض
الأحاديث العابرة !!!

====

كانت داخلها طفلة .. تناطح امرأة ..
طفلة تلح عليها أن تظل جواره بضع دقائق أخرى ..
وامرأة تأمرها بأن كفها تضيعةً من عمرها على وهمٍ لن
تنال منه لا أبيض ولا أسود !!
الطفلة تريد أن تكمل الحكاية وتجعل ماسة حلقة الوصل
بينهما كما فعل الحذاء مع سندريلا والأمير ..



وكما فعلت التفاحة مع سنوايت .. رغم أنها كانت قاضية،
ومؤلمة لكنها من جلبت الأمير في النهاية !!
بينما المرأة تأمرها بوقف الحكاية، وتمزيق ذاك الدفتر
تماماً، وشطب بضعة الأشهر تلك من حياتها أو محوها
بممحاة !!!

لكنها كانت أضعف من أن تنصاع لأي منهما وهو على هذه
الحالة !
فظل الصراع داخلها قائماً يزيد الصدع عمقاً غير قابل
للتداوى !!!

خرجت يارا من غرفة مصطفى بعدما قامت بزيارته شاردة !
وزيارة هنا لم تكن كأي زيارة مريض .. بل كانت بمثابة وصلة
بوح تنعم بها كلما أتت إليه ..



هل يعلم أنه لو كان واعياً لما كانت قد باحت بكل الذى تبوح به كل مرة ..

ربما هو يعلم ولهذا يطيل من فترة احتجاز نفسه داخل أسوار عقله، رافضاً الخروج من الغيبوبة منذ ثمانية أشهر .. والأطباء لا يريحون بإجابة شافية، بل ربما لا يملكوها بالأساس .. هو فقط فى غيبوبته وليس هناك وقت محدد للإفاقة، فهناك من مثله وقد ظلوا سنوات على هذا الحال! أياً يكن !!

هل ذكرت له وسط حديثها المطول أنها بعدما أجلت جراحته منذ ثمانية أشهر لبضع أيام اشتد بها التعب واضطرت لإجراء الجراحة سريعاً !!

هل ذكرت أنها ظلت طوال هذه الأيام تمنى نفسها برؤيته وتشجعها على التعافى سريعاً كي تصل له !؟ ربما لم تذكر ولم تخبره ..



لا بأس .. المرة القادمة ستقص عليه كل شئ من جديد
ليعلم كل شاردة وواردة عنها في غيابه كما هو دوماً غائباً
عنها، قريباً حد تلاقي روحها بروحه !!

وربما هي من لا تعلم أنه قبل أن يسقط في تلك التي تسمى
غيوبة كان قد كون فكرة راسخة عن أنها لن تستطيع
الإنجاب مجدداً، غير عالماً أنها من الممكن أن تتعالج دون
اللجوء لإزالة الرحم، مما يترك لها أملاً في الإنجاب يوماً ما ..
حتى لو كان ضعيفاً فهو ليس معدوماً، لكنه كان معدوماً
لديه على ما يبدو !!!

=====

عاد الى بيته ليلاً ..

متأخراً متعباً، بعدما مر على مصطفى الذي لا تتقدم حالته
أبداً وبعد انتهاء دوام عمله !!!



لم يجد أحد كالعادة في بهو البيت الذى استأجره من ماله الخاص قريباً من بيت عمته عبير..

فذاك البيت الذى كان لوالده قد تولى عنه، وتبرع بأمواله التى اتضح مصدرها الحرام مؤخراً لفعل الخير ولم ينتفع بقرشاً واحداً منها !!

ارتقى السلم نحو الأعلى، يمنى نفسه بحمامٍ ساخن وفراش يرتقى عليه غارقاً فى النوم بعدما سمحت له درة منذ بضعة أشهر أن يشاركها إياه ..
ابتسم فارس ساخرًا ..

ولكى لا يسيء أحد الظن بها هو مجرد يشاركها الفراش فقط دون أى شئ آخر... بعدما عطف على جسده الذى تيبس من الارائك أخيراً !!
و...وكاد أن ينسى !!



لقد رأى شعرها ... لم يعتقد أنها ستكون كريمة هكذا معه
فتجعله يشاركها الفراش ويرى شعرها دفعة واحدة ... تلك
الليلة التي حدث فيها كل هذا كاد أن يُصاب بنوبة قلبية !!!
تنهد وهو يهز رأسه يأساً قبل أن يفتح باب الغرفة ويدلفها !
بالبداية لم يستوعب، لكنه رفع حاجباً واحداً وحاول
جاهداً التركيز لكي يستوعب ..

أن درة واقفة أمامه الآن وعلى ما يبدو هي كانت بانتظاره،
ترتدى ... ترتدى قميص نومٍ ربما، أم تراه يتخيل أشياء لا
وجود لها من ظل عقله المرهق !!
لا بالتأكيد هو ليس قميص نوم ..

فهو شئ ناعم لا لا يصف ولا يشف يغطيها من فوقها حتى
أسفلها ولا يكشف عن شئ سوى ذراعيها ونذراً يسيراً من
جيدها !!

ولم يكن خجلها ليسمح لها بأكثر من هذا !!



لكن بالطبع هذا كان كثيراً على عقله أن يستوعبه أو على قلبه أو على أعصابه أن تتحملة !!!

أما هي حين طال تحديقه بها ضمت كفيها إلى بعضهما
تفركما بتوتر وارتباك أضاعا كل الشجاعة التي كانت
تشحنها للحظة كتلك !!

هل هي فعلاً سلمت لأمرها الواقع وقررت أن تمنحه نفسها
كاملة كما سبق ومنحته قلبها !؟

هل هي فعلت هذا أم أن التراجع خيار متاح حالياً ؟
مستقبلاته الذكورية لم تكن غافلة عن معنى ما يراه أمامه،
فرفع سبابته يشير بها ناحيتها قائلاً بصوتٍ أجش حاول
جاهداً التحكم فيه :

_مفيش تراجع .. أصلاً التراجع مش اوبشن متاح حالياً، فهو
انتى جيتى برجليكى يبقى تبقى مستعدة !!!



لم يعلم أى عقل كان يملئ عليه تلك الكلمات ليقولها الآن،
ولا أى شئ فهمه، فهو لم يفهم سوى أن درة أمامه تحاول
تجاوز خجلها لتمنح نفسها له كاملة دون عوائق !!..

حتى دون أن تنطق بكلمة واحدة ولا أن تواجه عينيه بعينها
المخفضتين أرضاً !!

إلا أنها هزت رأسها إيجاباً على حديثه دون أن ترفع عينها
إليه، وهو لم يكن يحتج لأكثر من هذا ليقترب منها بهدوء
مراعياً تجربتها المريعة حول هذا الأمر ومقدراً مبادرتها فيه !!
فلمس ذراعها بكفيه بخفة مما أثار داخلها شعوراً غريباً
ممتزجاً بين نفورها الإرادى وإقبالها بإرادتها مدفوعة بقلها
نحوه !!

فتشجعت ورفعت عينها نحوه لتلتقى عيناها بعينه، حينها
فقد كل شئ معناه وهو يتطلع في عينها بعمق، ثم همس :
_لومش مستعدة انا هستنى !!!



لكنها كانت تريد لتلك العقدة داخلها أن تنفك مهما كان
الثمن، فشبكت كفها بكفيه وهي تهمس بهدوء :
_فارس !

وضاعت بقية حروف اسمه على ضفاف شفتيه !!!!
فالأميرة سمحت له بعبور القصر أخيراً .. فأى أحمق هو
لا ينهل مما تعرضه بسخاء!!!!

=====



الفصل الثلاثون

=====

لم تعتقد أنه سيكون شديد التفهم هكذا .. ولم تعتقد
نفسها ستقدر على تخطى الأمر على الرغم من صعوبة فعله
!

أشرقت الشمس بنورها الذى غزا الغرفة منذ بداية
الصباح، فداعب عينيها لتستيقظ، ربما فى وقت آخر كانت
ستعاود نومها، لكن الآن لا .

فلا هى عادت درة التى تهرب لنومها كما السابق، ولا وضعها
كما كان !

دست وجهها بين طيات الغطاء، تخبى ملامحها التى تكاد
تنصهر من فرط الإحمرار، وتكتم تهيدة قوية ندّت عنها !
إلى الآن لا تصدق ما حدث .. وأنها بالفعل أصبحت زوجة
فارس بكليتها .. اسماً وفعلاً !!

ضاربة بمسمى الزواج الصورى عرض الحائط !..



اعتصرت جفنيها وعاوردها شعور الارتجاف الداخلى من
جديد ..

أمس ..

وبعد أن همست باسمه فقط دون جملة مفيدة، كاد يغيب
وعيه عنه وهى شعرت بذلك، فارتجفت بشدة وشهقت
بذعر، وفى لحظة كانت الشجاعة التى ظلت وقت طويل
تحاول شحن نفسها بها قد أصبحت هباءً منثوراً ..
فابتعد فارس بعد لحظة، تاركاً شفيتها، متحكماً فى نفسه
بصعوبة وهمس لاهثاً :

_قدامك دقيقة واحدة تختفى من قدامى لاي مكان !
ازداد ارتجافها لا تعلم .. هل هو نفوراً من ذكريات شديدة
السواد تغزو مخيلتها دفعة واحدة ..؟
أم تأثراً بقربه ؟ أم هو مزيج من الاثنين !
وفى كل الأحوال هو سيتركها لى لا يزيد من تشوهات نفسها
التى ما استقامت إلا قليلاً فى الأشهر الماضية ..

اغرورقت عيناها بالدموع وازدادت الأفكار اشتعالاً في عقلها
... وقلبها الآن كان بين شقى رحي !

فتطلعت به بعينها الغائمتين .. وهنا تركها فارس وتقهقر
خطوة إلى الخلف ..

فازداد تعلق عينيها بعينه في رجاء حملته أمواجها الزرقاء، و
عجز لسانها عن البوح به ..

رجاء لأن يتفهم الأمر ويتحملها ..

رجاء ذبيح بهواجس ماضٍ أسود مازالت تسيطر عليها رغم
عزمها على تخطيها ..

رجاء ممتزج بخوف لا حيلة لها فيه ..

لكنه عرف طريقه إلى قلبه بيسر، وانبئه بعسرٍ عن كيفية
أن هذا الأمر معها صعب .. بل أصعب كثيراً مما تخيل !

ففرزفرة مشتعلة وهويعاود اقترابه منها متمهلاً كثيراً،
هادئاً، يخفى ذاك البركان الثائر داخله في زاوية بعيدة جداً
عنها ..



ثم اقترب ..

وطبع قبلة طويلة على جبينها هامساً باسمها بخفوت، وفي المقابل اقتربت منه خطوة .. بل نصف خطوة ولم تزد، فتولى هو الباقي وعاود اقتراب من محيطها الخطر..

ورد فعلها لم يتغير عن سابقه، لكنه كان مستعداً لرفع كف يربت على ظهرها بخفة وكأنه يهدد طفلاً، والكف الآخر رفعه نحو شعرها، يتخلله بخفة وسلاسة، ويدلك فروة رأسها بأنامله في حركة كان لها تأثير السحر عليها، فاستكانت قليلاً بين ذراعيه ..

لكنه استمر فيما يفعل، وهو يسحبها معه متجهاً بها نحو فراشهما يجلس فوقه وهي مازالت بين أحضانها، وفوق قدميه ..

استمر فارس فيما يفعله؛ لهدأها، يحاول بعسر تجنب أى مشاعر تلح عليه في تلك اللحظة لأجلها، لأجل خوفها !



ليقول مازحاً بصوتٍ أجش بعد برهة من استشعار
استكانتها :

_الدقيقة خلصت على فكرة !

لم يرى ابتسامتها المترددة التي خبأتها في صدره، لكنه شعر
بكفيها يزدادن تشبثاً به ..

فتوقف، ثم تركها لتستلقي على الفراش بملامح مترددة ..
والتردد في علاقتهما مرادفاً للقبول !

فمال إليها حتى عانقت أنفاسه الساخنة، أنفاسها
المرتجفة، ثم همس بحنان يبدو أنه لا ينضب عنده أبداً :

_انا وفيت بوعدى معاكى يا درة ؟!

ووعده لها كان ألا يمسه إلا بإرادتها، وحين تجئ هى إليه
راغبة فى تخطى حاجز خوفها المرضى .

فازداد تكدس الدموع بعينها وهى تومئ إيجاباً ..
فهمس فارس مجدداً :

_حبيتى فارس يا درة ؟!



هنا لاح طيف ابتسامة على شفيتها وهي تومئ مجدداً ..
فهمس لكن هذا المرة كان أكثر قرباً وهمسته أكثر حرارة :
_واثقة ان فارس عمره م هياذيكى يا درة ؟!
وأيضاً اومأت .. فما كان منه إلا أن همس قبل أن ينخرط
معه في دوامة مشاعروجد صعوبة كبيرة في تلجيم جموحها
كى لا يغرق فيها ويغرقها معه :
_يبقى فارس يستحق ... وهديته لازم تكون "درة" !

=====

والآن ...

الآن تكاد تذوب، تنصهر، وكل مشاعرها في حالة تخبط لم
تعرفها قبلاً !

استدارت على جنبها، تواجهه، وجهاً لوجه أمام ملامحه
المسترخية في نومته العميقة وكأنه لم ينم منذ زمن !
وأصابعها ارتفعت دون إرادة حقيقة منها نحو ملامحه،
تتلمسها بخفة شديدة وهي لا تكاد تصدق بعد ..



لا تنكر أنها كانت قوية، واستطاعت بإرادة من حديد أن
تتغلب على خوفها ونفورها لتتجاوز محنتها !
لكن ..

لكن هو... هو لا تعرف كيف تصف شعورها به ولا تصف
ماهية ذاك الإحساس الذى شعرته ليلة أمس معه .. وأياً
كان ما شعرت به فهو لم يكن خوفاً أو نفوراً أبداً !

كانت تشعر أنها فى زمنين مختلفين بينهما خط فاصل، ذاك
الخط الذى أمسك هو بيدها داعماً لتخطاه بكل جسارة !

أما هو فلم يستطع السيطرة على نفسه أكثر ويمثل النوم
وهو يشعر بأناملها تمر على ملامحه برقة أجنحة الفراشات،
ففتح عينيه فجأة مما أجفلها .. لكنها زفرت بحنق وهى



تسترخى مجدداً، فابتسم فارس وهو يهمس بنبرة لم تتخلص
من أثر النوم بعد :

_مش بقولك انتي جبانة !

لاحت الابتسامة على وجهها، كشمس تشرق بعد طول ظلام
..وتمتت :

_من حقى اكون جبانة .

غامت عيناه تأثراً بها، ولها .. قبل أن يرفع كفه نحو
ملامحها، يرسمها كفنان يقدر قيمة اللوحة أمامه ثم همس
متسائلاً :

_انتى كويسة ؟!

_شكراً يا فارس .

وتلك كانت إجابتها بعد وهلة من شرود، فابتسم وهو يهمس
وكأنه يخشى أن يرتفع صوته عن حد الهمس فيفسد
اللحظة التي عاش دهرأً يتمناها معها :



_عارفة يا درة .. انا لما قبلت بجوازنا، وكنت فاهم كويس
اوى شكل روحك عامل ازاي، بكل تشوهات روحك و
نفسيتك، وصوتك الضايع وخوفك .. مقبلتهوش عشان انا
بمن عليكى أولأنك بنت عمتى إالى لازم اقف جنبها .

صمتت منتظرة، فأكمل هو شاردأ فى ملامحها :

_انا كنت مجبر.. وكذبت عليكى لما قولت انى مش مجبر..
لكن ده الإجبار الوحيد إالى كنت بنفذه وانا راضى، راضى
عن الاجبار من قلبي انى لازم اقف جنبك، اغصبك تحبيني،
قلبي إالى مكنش هيسمحلى أن اسيب اى حد مهما كان هو
إالى يكون سندك فى محنتك دى .

شعرت بنفسها ستنهار قريباً ..

ليس لأنها تواجه ما تخشاه، بل لأن تأثرها قد بلغ مداه،
وتلك الجرعة الباهظة من المشاعر التى لم تتلاقها يوماً
تثقل عليها .. دخولها لذاك العالم الذى ظنته سيظل



محرمًا عليه وقد فك الحصار عنه ودلفته معه ليلة أمس
خطوة بخطوة، كطفلٍ يحبو على مهل .. يثقل عليها، وهى
التي لم تعد سوى الحياة ببساطة !

أن تواجه هذا الزخم من المشاعر دفعة واحدة كان أقوى
من احتمالها، لذلك دفنت وجهها فى صدره؛ تلوذ بخافقه
عن جواه .. ولم يكن ليمنع هو أبداً !

...

بعد قليل ..

كان فارس قد خرج من الحمام بعدما اغتسل وبدل ثيابه،
لكنه واجه درة التى كانت تلف نفسها بغطاء الفراش
بطريقة غريبة والذى كاد أن يبتلعها من رأسها وحتى أخمص
قدميها.. فى طريقها نحو الحمام الملحق بغرفتهما، فلم تسلم
من مشاكسته وتعليقاته المازحة بكل أدب قبل أن يتركها
تدلف واتجه هو نحو المرأة ليمشط شعره وهو يشعر بنفسه
فى حالة من الطفو..

لكنه هبط من فوق الغيمة التى كانت تحمله فوقها، حين
اصطدمت عيناه بنطاله الملقى أرضاً جوار الفراش ..
فأظلمت عيناه وهو يتجه نحو، أمسكه بين يديه وأخرج من
جيبه ورقة بيضاء مطوية .. تحتوى على شئ يود فعله ولا
يود !!

تصریح لزيارة أبيه فى السجن ..
السجن الذى تم الحكم عليه هو وأخيه المزعوم بالمكوث
فيه عدد من السنوات التى من الممكن أن ينتهى عمرهما ولا
تنتهى عدتهم !!

تنهد بقلبٍ مثقل، ثم ترك بنطاله ووضع الورقة فى جيب
البنطال الذى يرتديه الآن .. وقد أثر ترك القرار ليوم آخر ..
أما اليوم فهو لدرة .. درة فقط !!!

===

ربما لم يكن يعتقد أنه سيحبها بتلك السرعة ..
ولم يعتقد أيضاً أنه سينغمس فيها حد الثمالة هكذا بتلك
السرعة ..

لكن هذا تحديداً ما حدث .. تمكنت منه وجرت بأوردته
مجرى الدم وانتهى الأمر!
نقطة آخر السطر.

قصة قصيرة حاملة !!
وبالتحديد حاملتها تلك كانت أكبر كذبة قد سمعها في
التاريخ .. فحياته مع رنيم منذ عرفها ما هي إلا سلسلة من
المأساويات المتتابة !!!

دلف إلى غرفته صباحاً، بعدما قضى الليل جوار أبيه الذي
سألت حالته الصحية مؤخراً، فيتناوب هو ومحمد المبيت
جواره ..

أغلق الباب خلفه، تزامناً مع التفاتة رنيم التي كانت تحتضن نفسها واقفة أمام نافذة غرفتهما التي تطل على الحديقة ..

فابتسمت مشفقة على إرهاقه في حين اقترب معاذ منها محتضناً إياها من الخلف، ناظراً لها قائلاً بخفوت :
_ انتى مبتناميش يا رنيم !!.. انتى ازاي كده بجد !

وهمستها جاورتها ضحكة خفيفة وهى تتشبث بساعديه حول خصرها :

_ انا كده ... مش بعرف اطول ف النوم .. المهم قولى بابا ابراهيم عامل ايه .

تلونت عينا معاذ بشئ من الحزن، والخوف فى آنٍ، قبل أن يقول بخفوت :

_ تعبان يا رنيم .. تعبان وانا خايف!

ودت لو تسأله: مما يخاف ؟!

لا .. ليس عليه الخوف أبداً، فهذا الألم .. ألم الفقد إن طاله سيظل متمكناً منه وليس له شفاء، هو فقط سيعتاده حتى يصبح جزءاً لا يتجزأ منه، بل ويفتقده حين يتناساه ببعض السعادة !

لكنها لم تشأ أن تزيد من همه وهي تربت على ساعديه دون جواب !!

وانهمكت في تأمل السماء أمامها، لكن ثقل أنفاسه جوار عنقها العارى، وقبلاته التي نثرها بخفة متسارعة عليه انبئها عن ماهية القادم، فاستسلمت ليده التي جذبتها نحو فراشهما ليغرق معها في نوعٍ من الغرق كان يستسيغه في تلك اللحظة ..

غرقاً كان غرضه الأول الهروب من كم الأفكار البشعة التي تراوده حين يرى حالة والده الصحية المتأخرة .. حين يعود لمعاذ الطفل الذى وعى على الدنيا دون أم !!
لمساته كانت متأنية، أوروبما .. شاردة !..



لم تستطع التحديد، لكن أياً كانت ماهيتها، فهي كانت
مستسلمة لها بعدة دوافع ..

أولها ... تفهمها لحالة الخوف من الفقد التي تعتريه .
وثانيها .. ثانيها ذاك الذي يشغلها هي من مدة، تحديداً من
بعد أول مرة يقربها فيها منذ إعلان زواجهما قبل ثمانية
أشهر!!

لكن على الرغم من تأنيه وشروده، فلقاءهما انتهى سريعاً؛
ربما لرغبته في النوم، وحتى لو لشيء آخر لم يكن لديها وقت
لتحلل فقط نهضت من جواره نحو حمام غرفتها تاركة إياه
غارقاً في النوم ..

وقفت أمام مرآة حمامها، تبتسم لأمل جديد لا تمل من
الشعور به بعد كل تقارب بينهما، بينما تمسد على بطنها
بكفها وتهمس بخفوت :

_قريب يا "عمر" .. قريب يا حبيب ماما هيجى أخ ليك يملى
عليا وحدتى بعدك !!

=====

_ادخلى برجلك اليمين، وبراحة ع الواد ... احنا شقيننا على
ما جبناه .

هتف بها حازم مازحاً وهو يمسك بيدها، يخطوا أول خطوة
داخل جناهم فى البيت ك "عائلة" !

حازم .. وحلا .. وابنهما ..

امتعضت حلا وهى تنظرله قائلة بمزاح، بينما ترتاح على
فراشها بابنها فى حضنها :

_وانت كنت شقيت فى ايه ياسى حازم .. هوانت إالى ولدت
لاسبح الله !

ورده جاء مصحوباً بضحكة وهو يجلس مواجهاً لها :

_اومال لو مكنتيش والدة طبيعى بقى وبقيتى زى القرد اهو..
وبعدين انا تعبت جداً على فكرة!

ونبرته ذات المغزى جعلت ملامحها تزداد امتقاعاً، وشفقتها
ارتفاعاً في دلالة واضحة على الازدراء .. ثم قالت بسخرية :
_حازم يا حبيبي فكرتك عن الولادة الطبيعي سطحية جداً،
وهبله جداً ..إلى هوانت مشوفتش انا كنت عاملة ازاي
قبل الولادة ولا انت أعى البصر والبصيرة !

استحالت ضحكة حازم إلى ابتسامة جادة، مقدرة وهو يميل
إليها يطبع قبلة رقيقة على جبينها، وهو يهمس بينما يداعب
طفله برقة :

_والله عارف .. ومقدر كل إلى مريتى بيه، انا بس بحب اهزر
معاكى .. وربنا يقدرنى وابقى اب كويس يفتخر "آدم" بيه !
و"آدم" هنا كانت عائدة على طفلهما الذى قررا تسميته
بهذا الاسم اليوم صباحاً ..

رفعت حلاً حاجباً مغيضاً وهى تقول مازحة :

_نسيت تقول زوج كويس يا حازم بيه؛ ولا انت ناوى تخل
بالقاعدة!



ضحك حازم وهو يميل ليطبع قبلة جديدة على جبينها ..
ربما هو فعلاً قد نسى ... أوروبما يتناسى!

=====

علمتها أمها تعويذة سحرية، يبدو أنها لم تفلح كلياً معه..
فرائحة الروزمارى مع أوراق الريحان على نافذة مطبخها
بمثابة زيارة سريعة إلى الجنة..
كانت شاردة أمام نافذة المطبخ المطلّة على الحديقة،
ترتشف من كوب قهوتها؛ ليساعدها على التخلص من ذاك
الصداع الذى تلى انفجارها ليلة أمس ولم يزل حتى الآن !
شادرة، تفكر فى رجلاً!!
من المفترض أن يكون زوجها، لكنه بدا وكأنه تخلص من ذاك
الدور منذ ثمانية أشهر!!

رجل أرادها فتقرب إليها شبراً وببصيرته المحدودة لم يكن
يعلم أنها قبله تقربت إليه ذراعاً ..

أهداها أيامٍ وشهورٍ من نعيم .. وفجأة انقلب كل شئ !!
كل حياتها راحت رأساً على عقب ..

فقد رحل مؤمن الزوج المحب المتفهم، وحضر بديلاً عنه
مؤمن العمل، المنطوي، قليل الكلام، كثير التجاهل !
"الزوج الآلى" ..!

أهذا هو الحرمان بعد أيام النعيم ؟!
أعمق من مجرد فراق معنوى بينهما !

تفبضت أصابعها، وانضم حاجبها إلى بعضهما في مواساة ..
وذاكرتها تخونها فتذكرها بأخر شجار بينهما منذ ثمانية
أشهر، ذاك الشجار الذى لم يتكرر بعدها ..
تسمع صوت صراخه به ..

ثم بكائه منطوياً فى غرفة مكتبه بعدما تركها مندفعاً ..
مؤمن يبكى ويصرخ .. عاجزاً عن أى شئ وكل شئ ..



وهذا كان يجرح كرامته ويضرب رجولته في مقتل ..

ببساطة .. مؤمن يومها انفجر انفجاراً مكتوماً ..

وهي لم تكن ندأ لهذا الانفجار!!

غضب أعمى كان يدفنه داخله ويقتات على روحه ببطء ..

غضب ظنت نفسها واجهته يوم الشجار إلا أنها لم ترممه

سوى الفتات ..

فما تلى كان اهدأ ولكن أعمق تأثيراً في روحها !!

صوت "تكة" صغيرة من جهاز التسخين الكهربائي جوارها

اخرجتها من غمرة شرودها، فتركت قهوتها، وصبت الماء

الذى أتم غليانه لتعد له كوب "النسكافية" الخاص به قبل

أن تحمله وتذهب به نحو مكتبه !!



طرقت، ثم دلفت، فوجدته منهمكاً في أعماله خلف مكتبه
وقد رفض أن يذهب للعمل اليوم وقرر إنهاء البعض منه في
البيت ..

وضعت الكوب أمامه على سطح المكتب مدقة النظر في
ملامحه المنهمكة فيما يفعله ..

ابتسمت بحنان أمٍ وهى تلاحظ طفلها بشفتيه المزمومتين
وهو يقف عاجزاً أمام مسألة رياضية ..

مؤمن ..

ستظل تلك الأربعة أحرف تحيها وتميتها ..

تشكل أبجديتها كلها، ثم في لحظة تتركها فقيرة الأحرف على
قارعة معجم !!

من بعد شجارهما الأخير، لم يحدث بينهما ولو حتى جدالاً
عسيراً .. فالحياة كانت تسير هادئة باردة، فاقدة للدفع ..

وهذا بالضبط ما يسوءها..

يومها حين عاد إلى غرفتهما قال جملة وحيدة :

_انا واقف مهزوم .. مفيش فى ايدى حاجة اعملها، غيرانى
أذيكى، وانا مش عاوز اذيكى يا منة .. مهما حصل هتفضللى
مراتى، وانا متفهم ل ده .. بس، بس صعب انى اقبل الوضع
بسهولة، واقبل انى مفيش فى ايدى حاجة اعملها ...
الموضوع ده هيتقفل نهائى يا منة، وأياك اياك يتفتح قدام
ابويا او امى .

كان حديثه بمثابة هدنة، وعقد صلح بينهما ..تلتته حياة
خاوية .. شديدة الرتابة والهدوء إلى حدٍ خانق !
فقد تباعد مؤمن عنها تماماً، ليس بجسده وإنما بروحه
وقلبه ..

حتى اقتربه منها كان يؤديه بصفة دورية وكأنه وضع جدولاً
ليمشى عليه..

كان بارداً، متباعداً، وكأنه يؤدي واجباً ثقيلاً عليه..
لكن أياً مما داخله لم يكن يظهره لها، فقط قلبها من كان
يستطيع استشعاره!

ببساطة.. وضع نفسه في كبسولة عزلته عنها وعن العالم
أجمع ... منفرداً بحزنه على أخته وعلى قهره من ناحية
زوجته في ركنٍ بعيد عن الجميع !!!

رفع مؤمن الكوب نحو شفتيه ليرتشف منه ببطء وهو يتابع
بعينه شيئاً ما على شاشة الحاسوب أمامه، بينما يحرك
رقبته المتصلبة يميناً ويساراً بألم .. ولم ينتبه .. أوروبما انتبه
وتجاهل منه التي تحركت حتى وقفت خلفه، واضعة كفيها
فوق كتفيه ورقبته تدلكهما برفق وهي تهمس باسمه ..
تصلب جسد مؤمن من فوره، لكنه عاد وافتعل الاسترخاء
وهو يجيب بنبرة عملية :

_نعم !

ولم تجد ما تبدأ به مادة الحديث بينهما، لكنها كانت بالغباء
الذى جعلها تسأل سؤال كالذى سألته بعدها :
_لسه مقولتش لباباك على الموضوع !؟

عضت على شفيتها نادمة بعدما تصلبت عضلاته تحت
يدها مجدداً .. لكن مؤمن تجاهل الموضوع كلياً وهو يقول
بعملية خانقة :

_النسكافية حلو.. تسلم ايدك .. تقدرى تروحي تشوفي وراكى
ايه .

خنقتها العبرة، وكادت تهتف بما ستوبخها كرامتها بعدها
على التفوه به .. لكنها اومأت رغم أنه لا يراها، واتجهت
لتخرج من الغرفة ..

لكن وقبل أن تخرج نهائياً، لمحت عصفوراً يقف على سور
الشرفة فى الخارج، فغيرت وجهتها نحوه، وهو لم يعبأ بل

تركها تفعل ما تريد وتفتح الشرفة الزجاجية لتخرج إلى
العصفور وعاد هو لما يفعله ..

لكنه لم يستطع تجاهلها هذه المرة... فغلبه فضوله وتابعها
بعينه وهي تخرج إلى الشرفة، وتلتقط العصفور عن سور
الشرفة بسرعة قبل أن يهرب، ثم أمسكته بين كفيها تمسداً
عليه برفق مبتسمة ابتسامة مختنقة بدموعها، قبل أن
ترفع وجهها نحو السماء للحظة قبل أن تحرر العصفور
الذي حلق بعيداً وكأنها تلقى كل همومها معه لتحلق بعيداً
عنها !

ومن ثم اخفت وجهها بين كفيها قبل أن تجهش في البكاء ..
ومنظرها هكذا .. ألم قلبه .. جداً !!

فتحرك نحوها تلقائياً، حتى فتح الشرفة ووقف خلفها، ثم
رفع كفه يمس كتفها برفق وهو يهمس باسمها ..



لكنها كانت منتبهة له وما إن همس باسمها حتى استدارت فجأة نحوه، ترمى نفسها بين ذراعيه وصوت بكائها يتعالى أكثر..

فرفع ذراعيه محيطاً إياها، يضمها إليه بقوة عاطفته، بعيداً عن ذاك البرود الذي كان يتلبسه ثم همس باسمها مجدداً .. ما كان بمثابة إذن لها لأن تهتف من بين نشيجها :
_منة تعبت يا مؤمن .. تعبت منك ومن برودك، تعبت من غضبك إالى مقلش ذرة من يومها يا مؤمن .. تعبت من الجرح إالى فتحته بينكم وسبته ينزف تمن شهو، ينزف و يموتها معاه بالبطئ .

وكلماتها الحارة كانت مصحوبة بضربات متكررة على صدره ترك لها حرية تفريغ مكنون صدرها فيها !
منة تتألم مثلما يتألم هو من يومها، لكنه لا يجد حلاً شافياً لهما معاً !



فذاك الجرح الذى هى تحكى عنه ربما حتى لو تم تفرغه من
الصدید وبدأ فى الشفاء، فلا محالة سترك ندبة !!
_انا اسف .

وبصدقٍ نطقها، مصحوبةً بتهيدة وزيادة فى قوة ضمه لها ..
فاشتدت ضرباتها وهى تهتف :

_اسفك مش هينفعنى يا مؤمن .. مش هينفعنى !!
_صدقينى يا منة الأمر فوق احتمالى .. صعب انى استوعب
كل ده وفوقه استوعب انى مش قادر اعمل حاجة اجيب
بيها حق اختى .. ولا قادر اواجه اهلى بحقيقة زى دى خوفاً
عليكى انتى، لانى هقولهم ايه .. حرقه قلبكم على بنتكم
سببها عم مراتى ... يا منة الأمر صعب .. صعب فوق م
تتصورى صدقيني !!!

ازداد نشيجها المكتوم فى صدره، لكنه كان يريد التحدث..
يريد البوح، يريد الخروج من شرنقته البادرة تلك ويعود
لطبيعته معها، بعد طول غياب .. غياب ليس لأنه لا يريد بل

لأنه لا يستطيع، فمجرد رؤيتها تقدح شياطين غضبه
بأكملها فتتراقص أمامه بعرض مغري لاذيتها ولا يوقفه
سوى عقله وضميره الذي مازال مستيقظاً رغم كل شئ!!
يا منة انا بين نارين بيحرقوني بالبطئ، وانا مش فى ايدى
حاجة اعملها غيرانى احاول التأقلم، لكن الوضع صعب، لا
ده ممكن يكون مستحيل!!

هدأ نشيجها، تزامناً مع هدوء حركة يدها على صدره التى
بدأت تربت فوق قلبه برفق وكأنها تهدده، تطيب جراحه،
تمنحه تهويدة تخلصه من ألمه كله!!

_سامحيني إن كنت قصرت ف حقت، وإلى طالبه منك
شوية تفهم مش اكتر!!

لم تجب .. فقط دموعها لم تكف عن السقوط الصامت!

أنا لحبيبي وحبيبي إلى..

يا عصفورة بيضة لا بقى تسألِي..



لا يعتب حدا ولا يزعل حدا..

انا لحبيبي وحببي إلى..

انطلقت الأنغام الناعمة بصوت فيروز عبر هاتف منة الذى
أصدرها كرنين أو تنبيه، فابتعدت عن مؤمن تخرجه من
جيبها لتنظر به، وقد نسيت تماماً موعد التنبيه الذى
اختارت له تلك النغمة !!

كان منبه، يخبرها بموعد الفيتامينات التى دوماً تنساه..
فيتامينات ؟!..

هل نسيت أن تقول أنها تحمل فى رحمها جنيناً عمره شهر
وقد اكتشفت هذا منذ اسبوعين فقط..

اكتشفت ورفضت أن تخبره نكالا له على بروده تجاهها..
وحتى الآن لن تخبره، ليس بعد .. ليس إلا عندما يعيد لها
مؤمن زوجها مجدداً..



مؤمن الذى تريده لأن يكون والداً لابنها أو ابنتها القادم فى
الطريق .. لا هذا العملى البارد الذى لا تستسيغه !!

عاود مؤمن ضمها إليه مجدداً، وكأنه لا يريد إبعادها كي
يستمتع بتلك اللحظة مكتملة العاطفة قبل أن تعاود
شيطانيه لتستيقظ من جديد .. حتى أنه نسي سؤالها عن
ماهية هذا التنبيه الذى ظلت انغامه تشدو بينهما !!

حبيبي ندهلى قالى الشتا راح ..
رجعت اليمامة، زهر التفاح ..
وانا على بابك الندى والصباح ..
وبعيونك ربيعى نور وحلى ..

أنا لحبيبي وحبيبي إلى ..
يا عصفورة بيضة لا بقى تسأل ..

لا يعتب حدا ولا يزعل حدا ..

انا لحبيبي وحببي إلى ..

وندهلى حبيبي جيت بلا سؤال ..

من نومي سرقني من راحة البال ..

أنا على دربه، دربه ع الجمال ..

يا شمس المحبة حكايتنا اغزلى ..

أنا لحبيبي وحببي إلى ..

يا عصفورة بيضة لا بقى تسأل ..

لا يعتب حدا ولا يزعل حدا ..

انا لحبيبي وحببي إلى ..

=====

سول لها شيطانها ذات مرة أن جمالها وصحتها مهما فعلت
سيظلا يساندانها ويدعمانها ضد أى سقوط ..
وإن لفظها رجل سيتلقفها غيره .. بغض النظر عن أى منهم
هى تحمله فى قلبها مهما تفرق من حولها الرجال وتجمعوا!
هى لا تنساه بأى رجلٍ غيره .. ليس لأنه ليس هناك من لم
يملء عينها .. بل لأن مصطفى أصلاً لا يُقارن!!

كادت تسقط من يدى أمها التى رغم ما فعلته بقلب الأم
لديها لم تهن عليها أن تتركها فى حالتها هذه ..
مبتورة القدمين ..
مشوهة الروح ..
عائدة من الموت .. أوروبما هى عادت من المزيف ليتلقفها
الحقيقى !!



تمسكت أمها بجسد ابنتها جيداً وهي تنقلها إلى كرسيها
المتحرك بعدما أنهت لها كل طقوسها الصباحية !!
ومن ثم وجهتها المرأة الطيبة نحو المرأة القديمة المرقطة
بالصدأ بعدما كانت تقف بهاء أمام أغلى المرايا المذهبة،
تمشط لها شعرها وتثرثر بأحاديثٍ كثيرة عليها تفلح في
إخراجها من تلك الحالة من البلادة التي هي عليها منذ أن
خرجت من الحادثة ... ثرثرة كانت نرmin بعيدة كل البعد
عنها، منشغلة في مقارنة بين حالها الآن وحالها القديم !!

فها هي مقيمة في بيت أمها القديم في الحارة الشعبية
القديمة قدم الأزل مع أمها التي لم تصدق كما كل أهل الحي
أن ابنتها عادت من الموت، لكنها اختلقت تلك الكذبة
الأقرب إلى الحقيقة عن كونها كانت مخطوفة وغير قادرة
على العودة ..



بينما قديماً منذ ثمانية أشهر تحديداً كانت عائدة من رحلة
في أفخم المنتجعات في البلد ..

الآن قعيدة، مبتورة القدمين على كرسى متحرك ..
بينما منذ ثمانية أشهر تحديداً، كانت تختال بهاء وسط
البحر وعلى اليابسة ..

أين هي الآن منها قديماً ؟!!

الآن فقط علمت معنى تلك المقولة "دنيا فانية، لا تدوم
لأحدٍ" !!

بين ساعة وساعة يتغير الحال من النقيض إلى النقيض !!

أنهت أمها ما تفعله فأمرتها أن تعيدها إلى الفراش مجدداً
فلا رغبة لديها في الخروج من غرفتها .. فامتثلت المرأة التي
كانت تكبح عبراتها أمامها كي لا تحزنها ..

لكن ليس لأمدٍ بعيد .. فتلك العبرات انفجرت ينابيعها عبر
عينها المتغضبتين ما إن أقربت من الفراش وحاولت رفع
نرمين عن مقعدها المتحرك لتنقلها إلى الفراش فتقع الأخيرة
منها أرضاً !!

صرخة متألمة من نرمين تبعها صرخة أمها الفزعة وهي
تتمتم بصعوبة من بين نשיجها، تحاول مغالبة دموعها وهي
تحمل ابنتها الفاقدة للسيطرة على نفسها من الأرض
لتضعها على الفراش :

_ اسم الله عليكى يا بنتى ... اسم الله عليكى يا ضنايا، شالله
كانت تتقطع ايدى يا حبة عيني !

وحديث أمها وهي تدعو على نفسها كان يزيد من شدة
شعورها بالذنب الذى تكاتف جنباً إلى جنب مع ألم جسدها



وظهرها الذى ارتطم بحديد المقعد فأصابه بكدماتٍ
سرعان ما استحال لونها للأزرق !!
انثنت نرمين على نفسها تبكى بحرقة ... بل تصرخ دون حيلة
لتخفيف ذاك الشعور الذى يستوحش داخلها ويقتات
عليها ببطء ... لا لتخفيف الآلام التى أمت بجسدها الذى
ضعف جداً !!

مستسلمة ليد أمها التى كانت تدهن ظهرها بأحد المراهم
المسكنة والمعالجة للكدمات ..

صرخة قوية، مقهورة، حارة ندت عنها .. تعالت بسبب
شعورها الحارق داخلها وخارجها ..
وصوت نشيج أمها الذى كان كالسياط التى تجلدها ببطء ..
ببطء شديد !!!



صحيح .. فانية لا تدوم لأحدٍ !!!!

=====

كان النهار قد انتصف .. وبالطبع أغلب أعماله لم يتمها ..
لكنه عاد منه سريعاً، متلهفاً لها!
فمن يملك امرأة كداليدا ويستطيع البعد عنها كل هذه
الساعات كاملة!!!

وبحسن نية، أولنقل بخبث اتجاهه مباشرة نحو جناحهما
الذى وجدته خالياً إلا من رائحتها التى تعبق الأجواء !!
فتنهده وهو يعود إلى الأسفل باحثاً عنها، قبل أن يجد صوت
ضحكاتها مع أمه تتعالى من ناحية المطبخ !
فاقترب يراقبهما خلصة دون أن ترياه، فسمع أمه تقول
ضحكة :

يخرب عقلك يا داليدا، هتضيعى الشوية إالى فاضلين فى
عقل الواد .

يا ماما والله انتى لو كنتى شوفتى "ريأكشنه" وقت م شاف
الماسك على وشى كنتى هتومتى من الضحك .. ده ولا إالى
كأنه شاف عفريت !

مانتى برضويا داليدا حاطة ماسك اسود زى ده وطلعاه
من الحمام اول ما دخل الأوضة كده، ده كويس انه
مقطعش الخلف فيها .

تعالى ضحكات داليدا بصخبٍ لم يعتده فيها .. ربما لأنها
اعتادت والدته كثيراً الفترة الماضية ..
أمعن النظر فيها ..

وتوقفت أنفاسه متعرقلة فى قصبته الهوائية ..

لا يصح أن تكون بمثل هذا الجمال ..

ليس عليها أن تكون جميلة حد الهلاك هكذا وهى جالسة

تقشر "الكوسة" وتفرغ قلبها؛ تعدها لعمل المحشو!!

ليس وهى مرتدية جلباباً بيتياً قديماً، وتربط فوق رأسها

وشاحاً فلكلورى الألوان!!

ليس في هذا الوضع أبداً !!

التقت عيناها بعينه في لحظة، فشبهت وهي ترفع كفيها نحو رأسها تنزع الوشاح عن رأسها وهي تهتف به بغيظ :

_و حضرتك واقف تتصنت من برا ليه، ما تيجى تشاركنا احسن .

انتهت عير التي كانت تولى الباب ظهرها وتقف أمام الموقد قلب شيئاً فوق النار، فضحكت وهي تراه يدخل إلين مقترباً منها هي أولاً ليقبل رأسها، فابتسمت وهي تربت على كتفيه وتدعوله، بينما تحرك أدهم ليقترّب من داليدا التي جلس أمامها وهو يمعن النظر فيها أكثر بملامح جادة .

توجست داليدا في نفسها، فتراجعت رأسها للخلف وهي تقول بريبة :

_ايه في ايه .



وفجأة انفجر أدهم ضاحكاً وتلته أمه، قبل أن يتقرب أدهم منها ويمسح عن رأسها بقايا "الكوسة" التي نثرها فوق شعرها أثناء ارتباكها وهي تزيل عنها الوشاح الهزلي! ابتسمت داليدا وهي ترفع يده لتزيل عن شعرها ما تلتخ به وهي تنظر له شزراً ثم هتفت بغیظ، مازحة :
_بارد !!

ربت على صدره براحتيه مرتين وهو يخفض رأسه متمماً بضحك :
_حبيبي شالله يسترک !!

ضحكت عبيروهي تستدير لهما قائلة :
_سايب مراتك تشتمك يا ادهم .. يا عيني ع الرجالة .

ضحك أدهم وهو يلتقط كف داليدا التي تبتسم بحرج ليضغطه بين كفيه قائلاً بمزاح :

_الرجالة ماتوا في ثلاثة وسبعين يا حاجة .. مراتى تعمل إالى
هى عاوزاه !

سحبت داليدا كفها من بين يديه وهى تضحك قائلة :
_بقولك ايه .. انت تقوم كده تطلع تاخودلك دش بما انك
جيت بدرى من الشغل وبعدين تنزل تاكول المحشى اهو
بالمرة يكون خلص .. لكن بوضعك ده هيفكرونى عمالك
"عَمَل" ولا حاجة !

_اول مرة تقولى حاجة صح، بس انا مليش مزاج عاوز أتفرج
عليكم وانتوا بتعملوا المحشى !!
ثم اتبع جملته بأن كور قبضته واستند إليها بوجنته وهو
ينظرلها متأملاً ..

لكن نداء مراد العالى من الخارج باسم أمه اجفله فهتف به
بصوتٍ جهورى :

_صوتك يا "بغل" !!

بينما مراد لم يمثثل بل تعالى نداءه مرة أخرى من الخارج :

_انى قادم يا عبير... حد خالع راسه !!?
ضحكت عبير، وحين اطمئنت لأن داليدا لفت وشاحها
حول رأسها كيفما اتفق نادى عليه :
_لا يا حبيبي ادخل .
دلف مراد إلى المطبخ مبتسماً ابتسامة تخطت الأذن للأذن
الأخرى وهو يقول بمزاح :
_السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين !!
_جرا ايه يا بغل انت داخل مقابر!
ربت مراد على كتف أدهم وهو يرد عليه بمسرحية :
_كاس ودايريا ولدى كلنا هندوقه !
نفض أدهم يده عن كتفه وهو يقول بقرف :
_اعوذ بالله ، يا ابني انا لسه عريس مدخلتش دنيا !
ضحكت داليدا وأطرقت برأسها، بينما مراد استمر فى
مناكفة أدهم أمام عبير التى لم تكف عن الضحك :



_نهارك مش معدى ... بقالك ٨ شهر متجوز يا بنى ادم و
لسه مدخلتش دنيا !!

ثم مال على أذن أدهم وهو يهمس بصوتٍ خفيض، ونبرة
ذات مغزى :

_ايه المشكلة؟! قولى متخافش انا أخوك برضوسترو غطا
عليك !!

تنحنح أدهم بحرج وضرب مراد بخشونة وهو يهتف من بين
أسنانه :

_بغل !!

ضحك مراد رغم إحمرار أذنيه إثر المزحة التى ألقاها على
مسامع أخيه، فضربه أدهم مجدداً وهو يهمس بغیظ :

_ولما انت بتتكسف وبتحمر، بتهزر هزارك البارد ده ليه ..
دانت دمك ثقيل !!



وحينها تذكر مراد عبارة سمية المشابهة لعبارة أدهم، فحك رأسه وهو يضحك على نفسه .. لكن صوت أدهم جاءه ممتقعا :

_وبعدين انت مروحتش الشغل مع ابوك ليه .. على راسك ريشة ولا حاجة .

تنحنج مراد وهو يقول له بخفوت :

_لا روحك بس اكتشفت حاجة مهمة وجيت بدرى !

وما هذه "الحاجة المهمة" سوى أن سمية ستحضر ماسة ليارا اليوم، وقد عرف بهذا عبر مكالمة خبيثة من يارا أنبأته فيها بشكلٍ غير مباشر أن سمية آتية !!

ضيق أدهم عينيه وهو ينظر له بتدقيق، قبل أن يهمهم بطريقة ذات مغزى وقال :

_حاجة مهمة اه .. عشان كده مبسوط وضحكتك من الودن للودن !!



ابتسم مراد بسماجة وهو يومئ له مؤكداً، فقال أدهم
متهمكاً :

_وهى ايه الحاجة المهمة بقى ؟!

_خليها مفاجأة !!

_يامة جاب الغراب لامة !!

تعالى رنين جرس الباب فجأة، فاتسعت عينا مراد وهو يقول
لأدهم بهمس :

_شكل مجايب الغراب حضرت !!

ثم رفع وجهه لأمه التى توجهت نحو الباب لتفتحه :

_خليكى يا حاجة .. والله ما حد فاتح غيرى !

ثم خرج من المطبخ، واتجه ليفتح الباب تزامناً مع نزول يارا
عن السلم وتوجهت هى أيضاً نحو الباب ..

ليفتحه بسرعة أولاً، فيستقبله وجهها المبتسم وعيناها
اللتان أصبح لونهما أفتح تحت أشعة شمس الغروب،
وابتسامتها التى نافست الشمس من خلفها إشراقاً !



ما تتفضلى تدخلى، ولا هتفضلى مستنية على الباب .

ضحكتها التى غردت بعدها، كانت بمثابة هدية على مزحته الثقيلة، لكنها تحكمت بضحكها وهى تقول :

لا شكراً .. عندى مشوار مع صحابى و ماشية على طول .

**أدار عينيه مفكراً، دون أن يظهر لها أيّاً مما جال داخله، إلا
عندما قال بنبرة ممطوطة مستفهماً :
_صحاااااااااا!!**

اتسعت ابتسامتها وهي تقلد حركته قائلة :

ثم رفعت سبابتها أمام شفيتها بطفولية:

!!_بنات بس

لم تتغير ملامح مراد، بل نظر لها بعدم رضا ثم اقترب منها قبل أن يفكر حتى، ليمسك مقدمة حجابها بطرفي سبابته و إبهامه وشده للأمام بقوة قائلاً بغضب :

**.. حجاب ده .. حطالى الطرحة فى نص شعرك وتقولى
حجاب .**

اندفعت رأسها للأمام بقوة مع حركته فصاحت بنزق:

يا مراااد !!

_بلا مراد بلا زفت، انتی اخوکی مشافکیش وانتی طالعه من
 بیتکم .

كان جاداً في غيظه وغضبه منها، رغم أنه لم يلمح لها مسبقاً
عن عدم رضاه عن طريقة اختيارها لثيابها .. لكنها هتفت
بغضب وهي تدس شعرها داخل الحجاب بإحكام :

_لسه متخانقة معاه زى ما هتخانق معاك دلوقتي !

اكتست ملامحه بالجدية التى تليق به وقال بهدوء :

_سمية بكل صراحة انا مش عاجبنى طريقة لبسك نهائي ولا

طريقة حجابك اللى مش حجاب ده أساساً !

تلبدت ملامحها كما تتلبد السماء بالغيوم ثم رفعت عينيها

إليه بهرود، وقد عاودت حبس نفسها داخل تلك الهالة من

البرود والغطرسة :

_انت ملكش حكم عليا .. وملكش حق تقول عاجبنى ومش

عاجبنى .. انا مش هسمحلك تعدى حدودك معايا .

تجمدت ملامحه فجأة بعدما كان يطير فوق سحابة وردية

من السعادة منذ قليل، ثم تقهقر خطوة للخلف قبل أن

يقول بجمود وهو مستعد لغلق الباب :

_انا آسف .

ولم يزد على ذلك قبل أن يدخل ويقفل الباب فى وجهها تاركاً

إياها واقفة وحدها فى بهو البيت !!



ازداد الجليد تكديساً فوق ملامح سمية .. ثم اندفعت خارجة
من المنزل بأكمله نحو سيارة صديقاتها اللواتي ينتظرنها على
قارعة الطريق !

بينما مراد اندفع صاعداً نحو غرفته، فدفم متوجهاً
لنافذة يراقب رجليها بعينين قاتمتين !!

رأها وهى تقترب من سيارة صديقاتها والتي كان الصخب
يصدر عنها بطريقة مزعجة إثر المسجل ذو الصوت العالى
والذى يصدح منه صوت أغاني غربية شديدة الصخب ..
لكنها توقف فجأة أمام نافذة السيارة المعتمدة والتي عكست
صورتها عليها بحجابها الذى غطى شعرها كله إثر فعلته ..
فوجدتها ترفع يدها فجأة نحو رأسها وتنزع حجابها بعنف
قبل أن تلقيه فى السيارة وتطلق شعرها متمرداً مثلها على
كتفها وظهرها !!

ثم استقلت السيارة وانطلقت بها مع رفيقاتها !
اندفعت الدماء الحارة فى رأس مراد وجعلته لا يرى أمامه
من شدة غيظه .. فاندفع خارجاً من غرفته، هابطاً السلم
بسرعة، ليستقل سيارته وينطلق بها خلف سيارتها
وصديقاتها !!

عازماً على الإتيان بها من شعرها الذى تتباهى به !!
=====

يا سيدتى أنتِ خلاصة كل الشعر..
ووردة كل الحريات..
يكفى أن اتهمجى أحرف اسمك حتى اصبح ملك الشعر..
وفرعون الكلمات..
يكفى أن تعشقنى امرأة مثلك حتى ادخل فى كتب العشق..
وترفع من اجلى الرايات..
-نذار قبانى.



حين وصف نفسه بأنه لم يعلم قيمتها إلا حينما فقدها لم يكن يكذب ..

ولم يكذب أيضاً حين اعترف بحبه .. لكن اعترافه جاء في آخر ثانية في الوقت بدل الضائع .. فأى تسديدة ستحسب له هنا ؟!

هو خرج من هذه الجولة خاسراً فريدة وقلبه وروحه .. هذه الجولة التي كانت تخص "فريدة" وحدها !!

كان يتخذ حياً في حياته أمر مسلم به، لكنه لم يكن قد تعلم الدرس بعد .. أن كل مسلم به ضائع .. وأن ما ظنته يوماً مستحيلاً، صعب المنال هو أقرب إليك من نفسك ! وهو الآن يعتقد أن فريدة بعيدة عنه وصعبة المنال، فهل هي فعلاً أقرب إليه من نفسه ؟!!!

أم أنها هذا الشئ "الشاذ" الذي يتبع كل قاعدة ؟!!

رمى لفافة التبغ التى انتهت حتى كادت تحرق يده إثر غمرة
شروده بها، ثم أشعل غيرها .. يحرقها ببطء ويسحب دخانها
نحورئتيه بنفس البطء الذى تحترق به روحه !
أسند مرفقه على نافذة سيارته والتفت أكثر يراقبها فى
جلستها على سور البحر كما عادت في مكانها المفضل الذى
كان "مكانهما" يوماً ما !!

هى شادرة مثله .. فهل تفكر فيه مثله أيضاً، أم أن هناك ما
جد وجعلها تفكر في غيره عوضاً عنه ؟!
هل بالفعل فريدة أحبت غيره فى تلك الفترة ؟!
بالتأكيد هذا احتمال وارد ... فثمانية أشهر مدة ليست
بهينة، حتى علاقتهما قامت وانتهت فى غضون ثلاثة أشهر
فهل هى لن تستطيع تكوين غيرها فى ثمانية أشهر !!
ابتسم بسخرية وهو يستند برأسه إلى إطار النافذة !!



يبدو أنه من هؤلاء هؤلاء الذين قال الله عنهم " الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا "

نعم هو هكذا .. فهو ظن نفسه يوماً ما رجلاً مسؤولاً .. عن عائلته وعن حق زوجته الضائع، وعن حياته وظن نفسه مسيطراً على كل شئ ... فيأتي الآن ويجد نفسه صفر اليدين، خارجاً من المعركة دون غنائم !!

فعائلته لم تحصل من دعمه إلا على النذر اليسير .. وخير دليل على هذا حالة منة التي تسوءه منذ ثمانية أشهر .. وأمه التي تجلس وحيدة كل يوم وهو لا يتواجد معها إلا عبر نفساً بارداً يتردد في البيت ..

زوجته التي ظن نفسه مسؤولاً عن حقها، حقها قد ضاع ولم يستطع فعل شئ .. بل يشعروكأن الله يعاقبه عندما استرد أمانته في الرجل قبل أن يصل هوله ..



وحياته التى ظن نفسه مسيطراً عليها، لم يحصد فيها مما
زرع شيئاً فها هو يجلس يراقب حياته التى قررت تركه دون
أن تشعر به كى لا تنتهى تلك اللحظات المقتطعة من الزمن
بسرعة !

نعم هو خاسر.. لكل شئ !

وأثناء شروده لم يكن مستعداً لنهوضها عن مكانها فجأة
استعداداً للرحيل .. فاصطدمت عيناها بهيئته، ووقعتا
أسيرتان لعينية المنطفئتين !

كل منهما فى هذه اللحظة كان يعانى ألمه الخاص وهو يظن
شريكة لا يتألم مثله !!

وكأن كل الإدراك والتفهم الذى كان بينهما قبل ذلك قد
ابتلعتة الهوة التى طفقت تتسع وتتسع بينهما حتى كادت أن
تبتلعهما معاً جوار التفهم والإدراك المزعوم !!

اعتدل زين في جلسته ما إن شاهدها تقترب منه .. وقد كان
في تلك اللحظة يخشى أن يكون متوهماً بأنها تقترب منه ..
لكنها بالفعل تقدمت حتى وقفت أمامه، لكن بعيداً بالقدر
الذي سمح له رؤية وجهها وهي تهتف به بجملة وحيدة قبل
أن تذهب نهائياً من أمامه :
_ أنت إلى عملت فينا كده !

=====

كان يربت على رأس يحيى النائم بخفة قبل أن يطمئن
لسباته العميق فتركه وخرج من الغرفة نهائياً يحاول
التواصل معها .. لكنها لم تجب هاتفها رغم إلحاحه في طلبها
..

لكن الوضع لم يطل .. فقد وصلته رسالة منها جعلت قلبه
يهوى بين قدميه ...
(طلقني يا أسر...)!!..



فى تلك الأثناء ..

كان مصطفى يصارع فيها الخيوط العنكبوتية الملتفة حول عقله، تمنعه من الخروج من ذاك المكان الذى ظل محبوساً فيه طيلة ثمانية أشهر..

لكن كل مرة كان تبوء محاولته بالفشل .. حتى تعالى وجيب قلبه فجأة .. وازداد صوت الجهاز الذى يقيس دقات قلبه علواً ..

وكانت ماسة على صرخة واحدة بين يدي يارا الباكية وهى تضع قطعاً من الثلج فوق الكدمة التى زينت جبهتها بعدما سقطت أرضاً فجأة متعرجة فى سجادة الغرفة .. الكدمة كانت مؤلمة للطفلة ... وصراخها كان يتعالى ..



في نفس الوقت الذي كان فيه صراع مصطفى يزداد اشتعالاً

..

قبل أن تصمت ماسة ..

ويفتح مصطفى عينيه فجأة !!!

====



الفصل الحادى والثلاثون

=====

يُحكى أن ..

إحداهن قالت يوماً سأكتفى بوجودك عن العالمين ..

ما بالها الآن لا تظهر؟!!

عينان تجريان على ملامح جميع الموجودون لكن لا وعى
يكفى لأن يتمكن من قول شئ ..

عقل قد أصاب تروسه الصداً إثر العزلة فى عالم لا يعرفه
لمدة ثمانية أشهر لم تكن بالقليلة أبداً !

وقلب لا يعرف لما يشعر بكل هذا الإحباط منذ أن أفاق ولم
يجدها !!

كان منهك، متعب، وكل وظائفه الحيوية شبه متوقفه
.. وسيحتاج لوقت طويل حتى يستطيع التعافى من تلك
الرقدة المهلكة ..

لكن الشئ الوحيد الذى كان يعمل فيه بشكل جيد، قلبه
واستشعاره لتلك المشاعر الدافئة التى تحوطه جعلته يشعر
بالحياة التى دبت فى جسده أخيراً ..

نظر مصطفى لوجه فارس الذى كان يجلس جواره بعينين
واهنتين، مدقتين فى كل خلجات فارس التى تظهر بوضوح
على ملامحه منذ أن تم استدعائه بعد إفاقة مصطفى
مباشرة ..

لم يحضر اليوم ك "طبيب" ولا بصفته أى شئ آخر سوى
أخيه، وهذا ما وصل مصطفى واضحاً وجعله يشعر بتلك
الفجوة العميقة بينه وبين أخيه !

كلاهما كان مغيباً، وكلاهما خرج من الحادثة بروح جديدة
!!



إحدى كفى فارس كانت متشبثة بكف مصطفى، بينما الآخر
فى يد زوجته التى تشد عليه بقوة، تخفى بها ارتجافه وتأثره
بإفاقة مصطفى من بعد الخبر الذى وقع عليه كصاعقة
ورفض أن يحضر إلا وهى معه؛ يتقوى بها !

_ حمد الله ع السلامة يا مصطفى .

قالها فارس بهدوء شديد، أقرب إلى الهمس بعدما وجد
صوته الضائع، فتمتم مصطفى دون صوتٍ تقريباً :
_ الله يسلمك .

ازداد ارتجاف كف فارس فى يد درة التى شدت عليه أكثر
وربتت على كتفه برفق قبل أن توجه حديثها لمصطفى قائلة
بتهذيب كعادتها :

_ حمد الله على سلامتك .

أوماً مصطفى بهدوء، لكنه لم يستعد لأمه التى كانت تقف
جوار الطرف الآخر من الفراش وشرعت فجأة تبكى بإنهيار،
فرفع كفه بوهن شديد وربت على يدها برفق مما جعلها



تزداد بكاءً وتهبط إليه محتضنة إياه، تقبل كل ذرة في
ملامحه بلوعة أم وتتمتم ببعض الهستيريا :

_حمد الله على سلامتك يا نور عيني، الف حمد الله على
السلامة يا حبيبي .. كده يا مصطفى تعمل في امك كده و
ترمي نفسك في النار برجليك ... بتعاقبني عشان عمري ما
كنت كويسة معاك .

تأثر مصطفى بحديثها فربت مجدداً على يدها وهمس
بخفوت سمعته؛ نظراً لقربها منه :
_متقوليش كده يا امي .. ربنا وحده إلى عالم .

لم يقل بكاءً أمه ولو ذرة .. فتهد فارس وهو يترك لها حرية
تفريغ مكنون صدرها وفرحتها برؤية ابنها بعد كل هذه
الأشهر .. بينما انسحب بضع خطواتٍ للخلف نظرت له ذرة
بتساؤل على إثرها، فطمئنها أنه لا شئ ..



ثم أكمل خروجه من الغرفة ..

وهو بالفعل لا شئ ..

هو فقط يحتاج لخلوة لا يملأها سوى اللاشئ حتى يستطيع استيعاب ما جَدَّ، ويستطيع التفكير بشكلٍ سوى في حالة مصطفى وتحديد أبعادها طبعاً !! ويحمد ربه داخله أن الغيبوبة لم تأثر على عقله وذاكراته بشكلٍ كامل فهاهو يتذكر معظم الأحداث الأخيرة !!

دلف إلى غرفة مكتبه في المشفى، وارتوى على أريكته الجلدية البسيطة في زاوية الغرفة، وكاد يسترخى لولا أن غياب سمية عن المشهد ضرب كإندار في عقله ..

فأخرج هاتفه ينوى محادثتها فلا بد أن تكون حاضرة وقت إفاقة مصطفى بعد كل هذا الغياب خاصة وهو يرى تأثيرها بحالته الفترة الماضية .. بالتأكيد ستفرح كثيراً ..

وبالفعل أتم ما أراد، لكن ما من مجيب من طرف سمية ..



حاول مرة واثنين وعشرة وحين يأس تواعد لها حين تأتي
للبيت بعد تلك النزهة التي طلبت الإذن لها من فارس لأول
مرة فى تاريخها الحافل بالتمرد، ورغم عدم رضاه عن
مظهرها لكنه لم يشأ أن يضغط عليها فى الأمر من أول
محادثة بينهما، فاكتمت بتنبيهها لمظهرها فقط ..

وقد كان مجرد تنبيهه ... تنبيهه بسيط ثارت على إثره
واندفعت خارجة من البيت !!

وقد شعر حينها بتلك اللحظة التي تركته فيها سمية وغادرت
أن ما يحاول بناءه منذ أشهر قد أنهدم فى وهلة واحدة ..
سمية بفعلها المتمرد، قد هدمت المعبد فوق رأسه !!

أغمض عينيه، زافراً بتعب لم يمحوه إلا ذكراها بين يديه
صباح اليوم وليلة أمس ..
ذكرى ستظل حية بداخله مادام حياً ..



رغم أنها كانت بالصعوبة الكافية التي تجعلها بالنسبة له
مجرد ذكرى والسلام ... لكن وجود درة وحده في الصورة
يكفى !!

أحياناً يتساءل: كيف لم يرها قبل ذلك كل تلك السنوات
!؟..

كيف لم يستشعر أن قلبه يميل إليها إلا حين اتخذوا القرار
بالاستقرار في البلد هنا ؟!
يظل يسأل .. وملايين ال "لماذا" تلوح في عقله، لكن لا
جواب، سوى أن النصيب غلاب !!

لم يشعر بنفسه حين غاب عن الواقع قليلاً، بعدها راح في
نوم عميق لأول مرة ببعض الإرتياح منذ ثمانية أشهر..



ولم يشعر أيضاً بتلك الكف التي امتدت لتداعب خصلاته
برقة بعدما دلفت صاحبته ووجدته على هذه الهيئة التي
مست قلبها !

====

"انا أحبك حاول أن تساعدنى .. فإن من بدأ المأساة ينهيها"

لم يحضر من العائلة غيره ..
ف فارس قد نوه مسبقاً أن لا داعى لتواجد أحد فكلها بضعة
أيام ويحضر مصطفى إلى البيت ..
لكن هو وحده من لم يستطع عدم الحضور، عالماً أن مكوث
مصطفى فى المشفى من الممكن أن يمتد فوق بضعة أيام ..
أوربما لسبب آخر ..
وأخر احتمال هو ما كان مرجحاً بشدة !!



دلف زين من بوابة المشفى بتؤدة وسار على نفس النهج
البطئ حتى وصل إلى غرفة مصطفى التي تم نقله إليها ..
فدلف واطمئن عليه في مقابلة بسيطة لم تتعدى الدقائق،
ولم يستطع أن يزيد فوقها ..

هو مشوش ..

بالقدر الذي يجعله مستقبلاً حساساً لأي مؤثر خارجي يذكره
بتعدد خيباته، وذاك الصفرة في خانة اليسار والذي جناه
من معادلة كان هو أحد طرفيها، والطرف الآخر شقاء
سنوات عمره كلها ..

ورقدة مصطفى هذه كانت إحدى العوامل الخارجية المؤثرة
!!

خرج كما دخل بفتورٍ ودون "كاريزمته" المعتادة .. فقط
عينين منطفئتين، وشغف للحياة قد تم بتره من جذوره ...

سار بكتفين منحنيين، ودون إرادة فعلية منه قاداته قدماه
نحو "باب سلم الطوارئ" في هذا الطابق أسفل الطابق
الذي يحتوى على غرفة مصطفى .

فابتسم مما منح لبعض الحياة الإذن لأن تتسلل إليه على
استحياء ..

ثم اقترب .. حتى وجد نفسه بفتح الباب دون أن يعبأ بغلقه
خلفه؛ ليرتمى جالساً فوقه في الظلام كما جلستهما القديمة
!

أخرج هاتفه من جيبه وأشعل نوره القوى وتركه جواره على
درجة السلم، ثم استند إلى الجدار شاردأ ..

أهمل كثيراً في كل شئ .. حتى عمله ما عاد اهتمامه به
كالسابق، لولا تغطية حازم خلفه وإنهاءه لما يتركه هو وراءه
لكان وضعه الآن سيئاً جداً ..



حتى "منة" .. الانتصار الوحيد وسط معاركه الكثيرة
الخاسرة، يعلم تمام العلم أنها ليست على ما يرام ..
وحدها حلا التي تجد سعادتها وسط هذه التعاسة التي
يحيوها أبناء آدم .. وهذا ما يهون عليه قليلاً ..
ف"وجه الخشب" هي من حظت بقارب نجاة أنقذها من
الهلاك على متن سفينتهم الغارقة !!

لم يشعر بتلك التي كانت تقف خلفه الآن مستندة إلى إطار
السلم برأسها، ترثى قلبها، وتقدم خالص التعازي الحارة في
فقد قلبها .. في حيم الذي تم وأده حياً علي يده .

كانت قد اتخذت قرارها بالرحيل بعدما أنهت دوام عملها،
لكن مرورها من هذا الطابق بعدما هبطت السلم في شروود
جعلها تلاحظ من بعيد ذاك الباب المفتوح في آخره ..
فتسلل إليها أمل غريب في أن يكون هنا ..



فتقدمت لترى بنفسها لتجده هكذا !

هل لها الآن أن تفرح أم تحزن ؟!

تفرح لأنه مازال متمسكاً بذكرى قديمة بينهما، عزيزة جداً
على قلبها ..

أم تحزن للحال الذى وصل إليه، وذاك الضعف الذى
تسلل إليه بشكلٍ موجه، متمكناً منه هكذا !!

أجفل زين حين لاحظ ظلها الممتد أمامه عبر ضوء هاتفه،
ونفس الأمل الغبى الذى تسلل إليها منذ قليل، تسلل إليه
الآن وجعله يبطئ قليلاً فى الالتفات إليها خوفاً من ألا تكون
هى ..

لكنها بالفعل كانت هى، مما ضاعف من جرعة الحياة التى
أخذت تتمكن منه شيئاً فشيئاً حتى همس :

_فريدة !

ونبرته الهامسة كانت أكثر من كافية لتخرجها عن حلمها،
فاعتدلت في وقفها وقالت بعملية :

_اسفة .. بس جذب انتباهي الباب المفتوح، مكنتش اعرف
انك هنا عن اذنك !

واستدارت مغادرة، لكنه لم يكن ليمنحها الفرصة لذلك،
بل نهض بلمهة ونداءه جاء موازياً لإمساكه بمعصمها
مخافة أن تهرب منه ..

فتسمرت قدماها في الأرض ووقفت توليه ظهرها، ومعصمها
في يده .. فانهززين الفرصة حين هتف بحرارة :
_أرجوكِ خلينا نرجع .. وانا اوعدك انى هبقى غيرالأول .

لم تتبدل ملامحها، بل ظلت على جمودها، فانهر عدم
وجود رد فعل منها واستطرد :



_صدقيني لآخر مرة يا فريدة هطلب منك فرصة أخيرة..
فرصة أخيرة بس .

استمرت على حالة البلادة التي تلبستها، ولكن حين همّ
بالحديث مرة أخرى، تهاوت أول عبّرة كبحتها على وجنتها،
فأولته شطرها وهتفت بصوتٍ مختنق :

_عارف انى اديتك بدل الفرصة عشرة، وكنت بصبر نفسى
واقول ان حالتك عاوزة الشخص القوى .

هم بالحديث منتهزاً إذعانها له هذه المرة .. لكنها كانت قد
استلمت الدفة وانتهت فرصته :

_عارف ان أحمد قالهاى مرة ... قالى أن انت ذنبك متمكن
منك ومش بسهولة هتقدر تتخطاه وانك عاوز حد يكون
بيحبك بجد وبالقوة الكافية إلى تخليه يصد معاك ويكمل
رغم كل إلى بينوله من علاقة مرهقة زى دى !



ازدردت ريقها بصعوبة، مبتلعة معه تلك الغصة في حلقها و
اردفت :

_طب عارف انى فكرت نفسى قوية كفاية انى اقدر
استحملك، وبسبب حبي ليك جيت على نفسى بشكل انا
مقدرتش عليه .. لانى انا .. انا فريدة أضعف من انى احارب
فى حرب زى دى .. بسبب حبك انا فضلتك على نفسى لحد
اخر لحظة كنت فيها فى خطرو كله بسببك يا زين .

ازداد ضغط كفه على معصمها الذى لم يتركه دون وعي منه
تقريباً فى استجابة واضحة لكل كلمة تحكيها، لكنها لم تعير
ألمها اهتمام :

_صدقنى انا مش بلومك، ولا بحط الحق على شخصيتك و
خلفيتك المشوهة لانى زى زيك .. ضعيفة جداً .. لكن انا
غلطت فى حق نفسى لما اصريت انى استمر فى علاقة
بتستزفنى لحد اخر رمق فيا وبرضو كنت بكابر! .. انا مش
بلومك انا بلوم نفسى على ضعفها وقلة حيلتها معاك .. بلوم



نفسى على انى كان فى ايدى انى متعبهاش بالشكل ده لكنى
مخترتش ليها غير التعب !!

_والله انا مستعد اعوضك عن كل ده .. بس ساعدينى اننا
نرجع تانى .. آخر حاجة هطلبها منك انك ترجعيني لنفسى يا
فريدة !.

_مش هقدر!

_هتقدرى .. انا معاكى بكل نفس فىا ... هتقدرى طول مانا
بساندك، لكن كل واحد فينا لوحده مش هيقدر .. ساعدينى
ارجع زين القديم تانى .. ساعدينى ارجع للشخص إالى تعب
بعد ابوه عشان يبقى مكانه مع خواته وعيلته، ساعدينى
ارجع لنفسى القديمة من جديد، ارجع للشخص إالى
هيدافع عنك لحد اخر لحظة عشان ميحطكيش فى لعبة
انتى ملكيش فيها دور .. ساعدينى ارجع لشخصى من تانى !



ازداد انهمار الدموع من عينيها، وشعرت بقرب انهيارها .. بل
استسلامها له .. فلاذت بقوتها المستحدثة .. وسحبت كفها
منه، مقاومة أعراض "الحالة" الوشيكة التي ستنتابها،
فكفها خزيًا أمامه ..

ثم اطلقت ساقها للرياح، تغادر المشفى بأكملها !!
أما هو... فقد تقهقر إلى الخلف في خيبة واضحة .. مسلماً
أن فريدة ما كانت إلا حلم جميل مر على حياته كطيفٍ عابر
قبل أن يفيق هوب "إرادته" وأضاع على نفسه حلاوة الحلم
!!!

عاد أرداجه إلى مجلسه الأول مجدداً .. في بؤس واضح ..
لكن تنبيه تلك الرسالة التي أتته بعد نصف ساعة تقريباً
على هاتفه أعادت إليه الحياة :

(انا موافقة نرجع .. بس بشروطى المرادى يا زين !)



هاهى الفراشة قد قررت الخضوع لكن مع مسافة أمنة بينها
وبين اللهب .. فلاهى تريد لجناحاتها أن تحترق .. ولا هو
عادت له نية لإحراقها .. فكفى كل منهما ما ناله ..
فلتظل فراشته بعيدة عن نقطة اللهب بداخله .. تحلق
فقط وتضفى نكهة ملونة على عالمه !!

====

منذ قديم الأزل والعلاقة بين الرجل والمرأة متعبة ..
فهو لا يراها سوى "ناقصة عقلٍ ودين" .. وهى لم ترد سوى
"المساواة" معه ..

وتحديداً تلك كانت العضلة التى اشتعلت جذوتها بينهما !
وتحديداً هذا ما هو عليه شخصياتهما !!

باختصار مأساة !!

مأساة كل منهما يرى الآخر عليها ..

فهو لا يراها سوى تافهة، عديمة الحياء والأدب ..

وهي لا تراه بالأساس !!

كل منهما يحتفظ بخنجره المسموم خلف ظهره، متى تعانقا
حتماً يموتا !!

حافظ على المسافة الآمنة بينه وبين سيارتها وصديقاتها كي
يرى إلى ما ستنتهي تلك المهزلة التي بدأت بتخليها عن
حجابها أمام البيت .. لكن شيئاً لم يحدث .. فقد توقفن
أمام منطقة شبه معزولة أمام البحر، ولم يخرجن عن
سيارتهم إلا واحدة أو اثنتين !!

أما هي فلا ظهور لها، حتى انتابه شك أنها لم تأتى معهن
بالأساس !

لكن شعوره لم يستمر طويلاً، فقد رآها تخرج من السيارة،
لتجلس فوق مقدمتها بكل رعونة وصبيانية وفي يدها زجاجة
شئ ما !!

وللمرة التي لم يعرف عددها، ضربت الدماء التي لا تهدأ في
رأسه فأعمته عن كل شئ، وعلم أنه سيتهور كعاداته مؤخراً
رغم أن الخروج عن طور الهدوء ليس من شيمه!

فاسترق من الهواء نفساً عميقاً قبل أن يترجل من سيارته،
قاطعاً المسافة نحوها سيراً على الأقدام!

حين اقترب منها لم تلاحظه لأول وهلة، فاقترب أكثر حتى
واجهها، فتصلبت ملامحها حين رآته وتوقفت يدها أمام
فمها الفاغر بفوهة الزجاجة !!

قبل أن تخفض يدها بملل هاتفة أمام ملامحه الجامدة :



_حالتك بقت بائسة اوى على فكرة .. هى وصلت لدرجة انك
تمشى ورايا .

ومن نبرتها شبه المتثاقلة، وعينيها الزائغتين، وتلك البسمة
الغير واعية التى تتلاعب بشفتيها، علم أنها على حافة
الثمالة، أوروبما قد ثملت بالفعل ..

فأفلت من بين شفتيه نفساً مرتجفاً، أودع معه كل حرائقه
الداخلية، فهو على علم تام أنه الآن مهما فعل ومهما قال
سيكون كمن يحارب طواحين الهواء !!

لذا استسلم واقترب بتؤدة وملامح جامدة من نافذة سيارة
صديقاتها اللواتى كن يراقبن المشهد بفضول قبل أن
يتراجعن للخلف بسرعة ما إن أبصرن قدوم مراد الذى قال
بنبرة مخيفة :

_هاتوا حجابها !

تعاطت إحداهن حبة من حبوب الشجاعة، وهتفت به
بأوداج منتفخة :

_وانت تطلع مين انت أن شاء الله، ونسيبوها تمشى معاك
ازاي يعنى !

كاد مراد يرد بردٍ لاذع كعاداته، لكن صوتهما المتثاقل الذي أتى
فجأة أوقفه :

_سيبيه يا شيرى، ده مراد ابن عمتى .. لو عاوز الحجاب
أديهولو يمكن يحتاجه فى وقت زنقة !

ضحكات صديقاتها المائعة تعالت بعد مزحتها السخيفة
فأحمرت عيناه وامتلئتا غضباً لا يعرف تمييز، فانخنقت
ضحكات زميلاتهما فى حُلُقهن وقامت إحداهن بمناولته
حجابها بسرعة حين هدر فمين عالياً، أمراً بإحضار الحجاب

الذى ما إن وقع فى قبضته حتى استدار إليها وجرها من ذراعها خلفه تحت هتافها المتذمر، وتعثرها مرة واثنتين وثلاثه على الطريق إلى أن وصلا إلى سيارته فدفعها إليها بغلظة ورمى حجابها فى وجهها، قبل أن يستقلها هو الآخر وينطلق بها تحت أنظار صديقاتها المتعجبات !!

أوقف السيارة فى مكان بعيد شبه خالى من المارة وخرج منها يلتقط أنفاسه ويحاول تهدئة غضبه الذى إذا تمكن منه فسيؤذيها وهو يعلم هذا .. لذا استغل حالة الشرود التى هى عليها وخرج من السيارة..

ليجدها خلفه بعد لحظة، فاستدار إليها ليراها وهى تقف خلف السيارة التى تفصل بينهما بترنح مكتفة ذراعها وعلى وجهها أمارات الغضب .

_ممكن افهم ايه إلى انت عملته ده ؟!



هتفت بها، فكانت بمثابة الإذن له ليبتدأ جولته ..

فضرب على سطح السيارة بقوة وهدر:

_انا إالى عاوز افهم انتى بتعملى فى نفسك وفينا كده ليه..

ليه انتى بكمية الاستهتار والغباء ده .. ليه معندكيش أى

احساس بالمسؤولية ، تقدرى تقوليلى ايه إالى منعك من

انك تعرفى ان اخوك فاق انهاردة وعيلتك كانت بتدور

عليكى عشان تبقى موجودة .. تقدرى تقوليلى ايه إالى مخلي

شخصيتك تبقى بكل القذارة دى .. انتى ليه كده؟! بجد ليه

!؟

ونهى نفسه عن ذكر أى شئ يمت لمشاعره نحوها بصلة، فهو

يعلم أنه إن صرح لها بأى شئ فلن يكون خاسراً لقلبه

فقط، بل ولكرامته أيضاً؟!!

وثورته قابلتها ثورتها، ندأ بند :



_انت مش من حقك تسأل ولا تعاتبني فى شئ .. مش من
حقك انك تتحكم فىا .. وانا مش مجبرة أبرلك ، مش من
حقك انك تعرف اى اجابة للى بتسأل عنه .. مش من حق
اى حد يتكلم معايا فى شئ .. اى حد مهما كان...!! لان كلكم
ظلمتوني كلكم !!!.. انت وعيلتك كلها يا مراد !!!

استرقت نفساً ثائراً من الهواء الذى اشتعلت ذراته الآن وهى
تحمل أشلاء مشاعر كل منهما نحو الآخر فى هذه اللحظة ..
بينما استطردت سمية بعينين شبه باكيتين ..
مجرد شبه فى لا تبكى ولا يليق بمثلها البكاء :

_كلكم ظلمتوني لما كل واحد قال يلا نفسى .. لما كل واحد
دور على حياته وإلى ليه ونسيتو أن فيه انسانة وسطكم
من حقها انها تشوف من حنانكم وطيبتكم إلى بتوزعوهم
على الكل بدون مقابل .. كلكم بلا إستثناء ، حتى أبويا إلى
اهتم بولاده ونسى أن عنده بنت سمعته إلى لوثها بإيداه

هتفضل وراها طول عمرها لدرجة ان الناس كلها بقا
بترفض تتعامل معايا بعد الفضيحة إالى عملها لنا بدخوله
السجن واعتراف ابنه عليه .. حتى أمى إالى اتلتهت بأبنها و
إالى حصله ونسيتنى، نسيتنى انا وانا كنت احوج من الكل
لحنائها، ولا حتى مجرد جيت على بالها ... تقدر تقولى مين
من بنات عمى او من خواتك فكرت فى يوم انها تصاحبنى او
تعاملنى كاخت زى ما بيعاملوا بعضهم .. تقدر تقولى مين
منكم انت او خواتك او ولاد عمى عاملنى فى يوم بأحترام زى
ما بيعاملوا البقية من البنات .. حتى جدى وعمى معاذ ..
حتى هما كان عندهم أروى ومنة ملايكة مفيش زيهم وانا
إالى بنت البطة السوداء محدش حتى بيفكرسمية دى
عايشة ولا ميتة .. بتحس زى البنى أدمين ولا لا .. من حقها
تتعامل زى بقية بنات العيلة ولا لا !!



ربما لو لم تكن السيارة تفصل بينهما الآن، وكل منهما
متشبث بالجانب الذى يقف فيه وباستماتة، لما كان تردد
للحظة واحدة لأن يغمرها بين ذراعيه ليعلمها أن كل الذى
عدده الآن وكل الذين كانت تنتظر منهم اهتماماً ما هم إلا
سراب، فراغ هو الوحيد القادر على ملئه !

صفحة بيضاء هو الوحيد القادر على إحضار المداد وملء
سطورها بمشاعره التى ستغنيها عن كل ما تريده من
الجميع ..

لعلمها أن ما يكنه لها قد تضاعف فى تلك اللحظة التى
قررت هى فيها الخروج عن كبسولتها الحامية، مُعيرة روحها
أمامه بتلك الطريقة المؤلمة، الموجهة حد الهلاك لكليهما !!
لكن حمداً لله أن السيارة كانت بمثابة عازل بينهما وإلا كان
بالذى فعله سيفقد احترامه لنفسه !!



كاد اسمها يخرج من بين شفثها الفاغرتين المذهولتين، لكن
هى لم تمنحه فرصة بل أكملت بوحها الذى يشكر الآن
ثمالتها لأنها تسببت به :

_حتى انت يا مراد .. حتى انت بعد ما قولت انك كنت أقرب
حد ليا فى طفولتى وانت إلى هتبقى كويس معايا ومش مهم
هما بيعاملونى ازاي .. حتى انت ما شوفتنيش غير عديمة
تربية وقليلة أدب وبس ، حتى انت مبصتش لأبعد من لبسى
الضيق والقصير وحجابى إلى واصل نص شعرى .. لأبعد
من شخصيتى الظاهرة للكل .. مفكرتش انى تعبت من انى
احاول اكون كويسة عشان الكل يبقى كويس معايا لكن
محدث أدانى اهتمام .. لا عيلتى ولا خواتى ولا حد خالص ..
عشان كده انا ريحتكم وأديتكم السبب إلى يخليكو تقولوا
عليها قليلة أدب بصحيح !!

وبوحها التالى كان جارحاً جداً لقلبه وكرامته :

_حتى زين إالى أوهمت نفسى فى لحظة طفولة أنى بحبه بس
عشان اثبت لنفسى انى من حقى ابقى زى بقية البنات،
أحب واتحب ويبقى ليا رأى ومكانة .. أوهمت نفسى يمكن
يكون هو كمان بيحبنى رغم انى مافتكرش انه قالى "إزيك"
مرتين على بعض فى عمرى كله !

ضحكة ساخرة عبرت شفيتها الجافتين، وتحكمت فى نفسها
وفى تنفسها اللاهث بصعوبة وهى تستطرد بنبرة متقطعة :
_صدقنى يا مراد انتوا جيتوا عليا بما فيه الكفاية، وانا
تعبت من انى احاول ابقى شخص كويس عشانكم، لكن انا
كده.. دى سمية ودى شخصيتها إالى مش هغيرها .. وإلى
عاوزينه اعملوه ... أرجوك روحنى عشان انا مش عارفة
نفسى هقدر اكمل لوحدى ولا لا !!

انمت حديثها ثم انخفضت حتى ركبت فى السيارة مجدداً،
وبعينين مغمضتين، وبوعي شبه ضائع، أسندت رأسها على
النافذة وغابت عن الدنيا حولها ربما!

أما هو فحاول جاهداً السيطرة على طوفان المشاعر
المتناقضة الذى اجتاحه فى تلك اللحظة لكنه فشل فشلاً
ذريعاً ..

فاستند برأسه على السيارة، يلهث وكأنه هو من كان فى
سباق مع الكلمات منذ قليل .. الكلمات التى كانت تندفع
بضراوة كل منها تحاول العبور والخروج من صدر صاحبها
الذى اختنق بهم وبكثرتهم !!!

ثم سيطر على اختلاجاته بصعوبة، وركب السيارة استعداداً
للعودة .. لكن رؤية هيئتها هكذا وشعرها الذى تهدل على
وجهها يخفيها عنه .. زاد من حدة اندلاع حرب المشاعر

داخله، فمد يده يزيح شعرها عن وجهها ببطء، ممعناً النظر
في ملامحها، قبل أن يرفع كفها نحو شفثيه مقبلاً مع همسته
التي خرجت من أعماق قلبه :

_أنا آسف .. صدقيني اسف على كل لحظة ضيعتها !!

وغالباً .. كان هذا هو الندم الذى دائماً يأتى بعد فوات
الأوان !!

=====

بعد مرور يومين !

=====

مشكلته أنه يدرك أن العلاقة الحقيقة هى من تستمر رغم
الفشل ..!

ربما لو لم أدرك تلك الحقيقة لكان الآن يتشدد بأن علاقته
بأروى من أنجح العلاقات ..



أحياناً يظن نفسه مصاباً بمتلازمة الإضطراب ثنائي القطب ..

فهو يتأرجح معها على حافتين .. إما قمة السعادة وإما قمة
البؤس !!

وفي الحالتين يسقط من فوق عليائه إلى أسفل أعماق
الأرض !!

توقف أمام باب شقتها، بعد يومين من رسالتها المتهورة
الأخيرة ..

فهو ما إن استطاع تدير شؤونه وتدير شخص ثقة يمكنه
مع يحيى البضع ساعات التي سيستغرقها لملاقاة أروى وحل
المشكلة بينهما والعودة بسرعة، حتى جاء إلى هنا ناوياً أن
يتم ما فكر به !

لكن هيهات .. فأروى تبدو وكأنها ليست هنا ..

لذا حاول التواصل معها أكثر من مرة .. ولم يفلح ..
فاضطر لإرسال رسالة لها يخبرها بحقيقة مكانه الآن، ولم
تكد تمر ساعتين حتى وجدها أمامه..
أمام باب شقتها الذى لم يغادره، ولم يتمكن من عبوره لأنها
قد غيرت قفل الباب !!
وقفا متقابلين .. ندأ لندأ أمام ملامحها غير المتساهلة !!

لكنها تصرفت بعقلانية وتقدمت لتفتح باب الشقة وتدعوه
للدخول بهدوء قائلة :
_اتفضل.. مش هنتناقش قدام الباب !!

طفلته قد كبرت !!
هذه هى الحقيقة الوحيدة التى استطاع أن يعرفها منذ أن
رأها !!



الطفلة التي فكت ضفائرها من أجله، عاودت ربط وشاح
صارم حول رأسها تخفيها عن عيونه !!!

لم يتقدم للدخول أكثر من بهو الشقة الذى وقف فيه
متحصراً أمامها قائلاً بكل هدوء :

_من غير لف ولا دوران .. الرسالة إلى انتى بعثتها تعنيها
تماماً ومستعدة ليها ولا هو شغل عيال، لأن لو كانت دى
فعلاً رغبتك فأنا مستعد انى أنفذهالك ودلوقتى لوحابة !!

ظنت نفسها مسيطرة على الوضع، ففاجئها هوبأن رمت
الكرة فى ملعبها، متنازلاً عن حق البدء فى المباراة هذه المرة !!
فقط أصدر الحكم صفارة البداية، وها هو بداية الشوط فى
يدها !!

تكتفت ووقفت أمامه بصلافة وقالت :

_مستعد انك تقعد ست سنين كمان بدون جواز؟!

عقد حاجبيه والغرض كان السؤال، فوضحت بهدوء :

_انا بعد تفكير طويل، عرفت انت كنت خايف من البداية

ليه ي أسر.. ليه خايف تقرب و خايف انى أبعد .. دلوقتي

بس عرفت انك معاك حق ف خوفك من قراراتى المراهقة

..لانى دلوقتي فعلاً فهمت أن علاقتنا كلها مبنية على قرارات

مراهقة !!

_تقصدى ايه ؟!

سؤال جامد، قابلته برحابة صدر قائلة بعملية :

_انا مش هربط نفسى من دلوقتي يا أسرف علاقة جوازي

عالم تنتهى ولا تفضل مستمرة .. مش هربط نفسى بقرار

اخذته فى سنوات مراهقتى، يمكن لما اكبر عن كده اعرف

نفسى أنى كنت غلطانة .. ساعتها لا انا هكون مرتاحة ولا

انت هتكون مرتاح !!.. عشان كده اسلم حل دلوقتي نغيب
عن بعضنا شوية .. كل واحد فينا يشوف طريقه .. انا طالبة
٥ سنين على الأقل اكون قطعت شوط كويس من دراستي و
اكون نضجت بشكل كافى عشان اختار زوج اكمل معاه بقية
عمرى !.. وسألت نفسى سؤال .. ايه هيخلى واحد زيك
داخل على التلاتين يقعد الفترة دي كلها من غير جواز..
ملقتش سبب مقنع الحقيقة غير الحب إلى ممكن فى لحظة
يختفى من الوجود وطول فترة بعدنا تنهيه تماماً .. فعشان
كده معاك حل من الإثنين .. يا تصبر الخمس سنين دول
اكون انا على الأقل قربت أخلص تعليمى وأشوف اذا كنت
فعلاً لسه بحبك ومستعدة اكمل معاك ولا لا .. يا اما
تطلقنى وكل واحد يشوف حياته !!!

ربما .. لو كانت ألقى بطلبها بشكلٍ آخر أكثر آدمية عن
طريقة الإنسان الآلى تلك لكان أذعن لها ولرغبتها من فوره ..



لكن ..

كيف يثق فيها الآن وفي أنها ستأتى بعد خمس سنوات
وتقول: انا لك ؟!

كيف لا يتوقع أنها فى لحظة ما ستأتى وتحديثه بكل عملية
كما تفعل الآن تقول: أنها اكتشفت أنها كانت مخطئة وما هو
إلا حب مراهقة زال ما إن نضجت !!؟

لوفقط تحلت ببعض العاطفة وأكدت على حبها أنه لن يقل
ولو مئقال ذرة لكان أذعن لها !!

لكن أروى كبرت .. كبرت لكنها قست عليه كثيراً !!!

_ هو ده إلى انتى عاوزاه يا أروى ؟!

سؤاله، بصوته الأجش، عدم التصديق لأن علاقتهم على
وشك الانتهاء هذا ذبح قلبها الذى إلى الآن، وحتى مع حديثها
الذى لا يمت للعاطفة بصلة مازالت تحبه !!

منذ ذلك اليوم الذى أثبت براءته فيه من الذنب الذى
أصقته له براءة الذئب من دم ابن يعقوب .. حتى عادت
لتفكر فى حديثها الذى ألقته على مسامعه الآن ..
هى أوضحت مخاوفها كلها أمامه .. تفكيرها وشعورها وكل
شئ تضحج به روحها .. لكن رد فعله على حديثها جاء مزلزلاً
لها من الأعماق ..

_ايوا يا أسر.. وانا مش طالبة منك انك تقعد على قصاى
.. تقدر تشوف حياتك !!

وهذا كان ردها العملى على سؤاله، ردها الذى كان صداه
داخلها مؤلماً .. لكن خوفها من تبدد هذا الشعور مستقبلاً
هو ما دفعها لأن تكون بمثل تلك العملية المقيتة !!



ابتسم إبتسامة مية ورفع ذراعيه في الهواء بقله حيلة قبل
أن يخفضهما مجدداً، ورد بدوره :

_اشوف حياتي ازاي يا أروى .. لو انتي قدرتي انك تمشي في
طريقك وتنسيني فأنا مش هقدر.. لانه ببساطة انتي
اعتبرتيني حب مراهقة، إنما انا من يومى وانا متأكد أن
مفيش غيرك في حياتي ... انتي خايفة تكوني طفلة في
اختياراتك، إنما انا اخترتك في شبابي وبرضو اختارتك لما
بقيت راجل في الثلاثين زى ما قولتى !!!

صمت حلق فوق رؤوسهما لفترة، أردف بعدها بخفوت
أجش :

_طول عمري وانا بختارك يا أروى .. والمرة دى مش هتكون
إستثناء !!

كادت بعد حديثه هذا أن تتشبث به ولا تتركه يرحل، لكنها
تمسكت بأخر ذرة تأمرها بالتعقل وإتخاذ قرار مناسب لا
تضطر بعده إلى الندم !!
وانتظرت ليذهب ..

لكنه لم يذهب، بل ظل واقفاً أمامها، يتأملها، وكأنه فقير
مُعدم في معرض أمام لوحة غالية، لا يستطيع إلا إشباع
نظره منها لبضع دقائق، تتركه بعدها مشتاقاً لنظرة !!

وانتظرت أن يذهب ..
لكنه لم يذهب بل اقترب .
اقترب منها، محتضناً إياها وظنت بالبداية أنه مجرد عناق
أو حضن مودع !!

لكنه كان دوامة مودعة بمعنى أصح !!
اخفض وجهه إليها ببطء ممعناً النظر في ملامحها المحببة
إليه، حتى عانقت شفتاه شفتيها !!



لم تكن مجرد قبلة .. أو أى شعور حسى بينهما، كانت أقرب
إلى استخلاص بعض الحياة التى ستمكنه من الصمود
طوال الفترة التى تطلبها !

أروى تطلب منه المستحيل، وهو يعلم هذا .. لكنه حتى
المستحيل مستعد لخوض طريقه طالما هذا الطريق سينتهي
بها !!

سيقبل بصفحة فارغة .. طالما ستأتى هى بالنهاية وتملأها
بكلمات عاشقة منها !!

سيقبل بالصوم طيلة سنوات .. طالما سيفطر على رؤيتها
وحين يشرق فجرها على عالمه كثير الظلام !!

سيقبل بالتشرد هائماً على وجهه فى بقاع الأرض .. طالما
ستكون هى الوجهة التى سترضى أن تكون له وطناً فى النهاية
!!

أروى ستظل حلمه الأزلى ..

حبيبته التى سيظل فقيراً ما لم يملء كفيه بكنوز عشقها !!

حرر شفتيها وابتعد بوجهه عنها ولم يدروسط الدوامة التي
لفتها أنه سقط بها أرضاً على ركبتيه ...
قربها له أكثر، يلثم شفتيها مجدداً بقبلة أعمق .. ثم أبعداها
.. ثم استرق واحدة أسرع .. ثم تركها ووقف، قبل أن يجبر
قدميه على تركها والالتفات !!!!

وقف مولياً لها ظهره، يحاول تنظيم أنفاسه قبل أن يودعها
الوداع الأخير:

_انتي حرة يا أروى .. أعملى إالى انتى عاوزه ، بس خليكى
عارفة انك هتفضلى على ذمتى .. لحد م يجى اليوم إالى
هتطلبى فيه نعمل فرح ، أو ابعتلك ورقة طلاق !!!



كانت يده أثناء حديثه متشبثة بالباب الذى فتحه ما إن
أنهى حديثه .. قبل أن يخرج منه مغلقاً إياه خلفه كما قفل
صفحتهما معه "مؤقتاً" منذ قليل !!

وعلى صوت إغلاق الباب كان إذن لها لأن تسمح لمشاعرها
بالظهور ..

مشاعرها التى لو سمحت لها لتقودها الآن لما كنت تركته
يبتعد عنها ولا شبراً واحداً !!

لا أن يبقى بعيداً عنها كل هذه الأميال ..
تفصل بينهما بحورٌ وبلادٌ هى من أقامتها !!!

=====

كان واقفاً فى غرفته ..
تحديداً أمام خزانة ملابسه ينتقى منها ثياباً بعدما أتى من
عمله، يستعد لأن هذا يوم مناوبته للمبيت جوار والده ..

لكن طرف شئ ما جذب انتباهه أسفل ثيابها المخصوصة
بعناية ..

فمد يده تلقائياً يستخرجه، ومعه سحب ورقة أخرى .. قرأ
الأولى فوجدها تحليل حمل بنتيجة سلبية منذ عدة أشهر،
والورقة الأخرى لم تختلف !!

رفع ثيابها عن رف الدولاب وهاله أن يرى كل هذا الكم من
التحاليل مخفياً تحت ملابسها !!

منها ما يثبت أنها ليس لديها أى موانع للحمل ومنها ما يثبت
نتيجة سلبية للحمل ..

اتسعت عيناه وهو يتفحص كمية الأوراق الطبية أمامه
بعينين مذهولتين ..

كل هذا؟! .. كل هذا يخص الإنجاب !!

أهذا هو كل ما ترجوه من زواجها منه .. أن تنجب فقط !!

نعم بالتأكيد هذا هو كل ما تريده رنيم !!

فمنذ متى هي أحبته؟!

ومتى قدمت أى برهان على حبها له ؟!.

متى ضحت ؟!..

متى تنازلت ؟!

متى مرت بعقبة أوجبت عليها تبرير حبها ؟!

بل متى اعترفت بحبها بالأساس ؟!...

نعم .. الطفل هو كل ما ترجوه من علاقتهما وهو الذى كان

مغفلاً لا يدري شيئاً قبل ذلك !!

صحيح هو يعلم أنها لا تأخذ أى موانع، لكن هذا كان أمراً

بديهيّاً فهم ما عاشوا كزوجين طبيعيين إلا من بضعة أشهر

فقط .. وأمر الإنجاب هذا متروكاً للقدر، متى يحدث لن

يُمانع !!

لكن هوسها بالأمر بهذا الشكل لا يثبت إلا شئ واحد !!



وهو أنه معدوم المكانة عندها .. وأنه بمقابل الطفل ما هو
إلا صفقة رابحة، فلما لا تجازف !!!

انسحقت الورقة المسكينة تحت أصابعه، وتجدت لكن
أياً مما كان يشعر به لم يلوح على ملامحه، وخاصة حين
انتهى وأغلق الدولاب ليجدها تفتح الباب خلفه وتدلف..
تصنع اللاشئ وبادل بسمتها بأخرى، وتجاوب بفتور مع
عناقها الذى أهدته إياه حين أقتربت منه، قبل أن تنظر
بنفس الابتسامة الناعمة المخادعة كجلد الأفاعي وتساءلت
:

يومك مع بابا ابراهيم النهاردة ؟!

اوماً دون رد .. وودون أن يكلف شفتيه عناء رسم ابتسامة
حتى، فقالت رنيم مجدداً :

طب يلا روح عشان معاد دواه قرب .. رغم انى كنت
عاوزاك تفضل شوية كمان !!



نبرتها التي تحولت في آخر حديثها لأخرى ذات مغزى مغوى لم
تأثر به ولو بمثقال ذرة .. فمشاعره نحوها وكأنها تم سجنها
خلف باب موصد بإحكام !!

لكن تجاوبه أتى على شكل قبلة لم تحمل ولو قدراً ضئيلاً من
العاطفة لم تتفاعل هي معها مطلقاً .. بل شعرت بشئ غريب
.. وكأن هناك عازلاً غير مرئي بينهما بعدما كان قانون المسافة
بينهما غير مُعترف به !

ولم يعرف معها طوال الفترة الماضية سوى قانون الانصهار
!!

التشكل معها في كيانٍ واحد، وقالب واحد وكأنها روح
واحدة بجسدين !.. أوهكذا هو ظن !!!!

حرر شفيتها كما حررها من بين ذارعيه قبل أن يربت على
ذراعها وأهداها شبح ابتسامة قبل أن يغادرون أن يلفظ
أى شئ !!!



وشيعت هى رحيله بعينين حائرتين .. وأشلاء إبتسامة
محمولة على شفيتها كغريق تم العثور عليه وسط الموج !!

=====

يوم آخر مر..

=====

ويوم آخر فى عمر علاقتهما الذى يشعر بنفسه ما كان حياً
قبلها !!!

أحياناً كثيرة يتساءل: منذ متى لم يعد يفكر فى الفجوة التى
خلفها فقدانه لذاكرته فى عقله ووجدانه !

منذ أن عرفها .. أم منذ أن أنارت حياته حين أتت إلى بيته !

وأياً يكن الزمان والمكان ما عاد يهمه !

فداليدا حين يكون معها .. لا يعترف بأى شئ فى الكون سوى

"قانون الطفو" .. رغم أنه يشك أن نوع الطفو الذى

يقصده يتطابق مع "الطفو" الذى قصده "أرشميدس"

حين وضع قانونه !!

ضحكة عالية ندت عنها شفتاه على إثر تفكيره الفلسفى
الفذ، وهو مستلقياً جوارها فى فراشه، واضعاً ذراعه خلف
رأسه الذى يستند إلى ظهر السرير!!
بعدها انتهى لتوه من زيارة سريعة إلى الجنة .. كانت
بصحبتها!!

رمقته بطرفٍ خفى دون أن تتنازل عن الغطاء الذى ترفعه
حتى ذقنها فى خجلٍ شديد مازال يحكمها إلى الآن!!
ثم قالت بخفوت شديد :

_بتضحك على ايه .. هوفيه حاجة تضحك ؟!

أدار رأسه نحوها ورمقها بنظرة سابرة، انطلقت على إثرها
ضحكة عالية منه مرة أخرى، فابتسمت تلقائياً وقالت :
_طب ضحكى معاك !

انخفض حتى استند برأسه إلى كفه يراقبها من هذه
الوضعية ثم قال مازحاً :

_سيبك انتى انا بتجلى ساعات ببقى بضحك مع نفسى كده
!

_عبيط يعنى !

_لا والله ... بضحك من غير سبب !

_بس الضحك من غير سبب قلة أدب يا باشمهندس !

وأيضاً جوابه كان ضحكة عالية!!

فاتسعت ابتسامتها وهى تراقب ملامحه التى تشرق كلما
تبسم أو ضحك، ومع كل مرة تتيقن أنها تعشق هذا الرجل !!

صمت بعدها ولم يضحك مجدداً، فعبست بإفتعال وهى
تقول مازحة :

_ايه .. سَدِيت نفسك عن الضحك ولا ايه !



انتبه من شروده اللحظى على صوتها، فابتسم مجدداً وهو
يقبل جبينها قبل أن يقول :

_عاوز اقولك ان نفسى مبتفتتحش على الدنيا غير لما ببقى
معاكى !!

زمت شفتيها بطريقة مسرحية وقالت متنهدة :
_ياااه ع الحب .. ليفل الرومانسية على عندك اوى انهاردة
يا باشمهندس !!

_بعضاً مما عندكم يا جميل !!
وبعد جملته التى قالها بطريقة متحرش يقف على قارعة
طريق ليصطاد أى أنثى مارة من جواره، ضحكت عالياً حتى
أدمعت عيناها ... تلك الدمعات القليلة التى محاها هو
بأنامله التى انتقلت لتداعب أسفل ذقنها برقة مخادعة مع
قوله :

_داليدا ... عاوز اتكلم معاكى فى موضوع !



لم تتزعزع ابتسامتها، ولم يظهر عليها حتى الترقب، بل قالت
بهدوء فطن :

_عارفة يا أدهم .. وانا مستعدة لده تماماً، وحتى لو مكنتش
مستعدة فأنا عاوزة اعمل أى شئ عشان أسعدك!

عقد حاجبيه بتوجس وقال بنبرة متشككة :

_يعنى انتى فاهمة انى كنت هتكلم فى موضوع الخلفة !
اومأت برأسها ببعض الشقاوة التى أطلت من عينيها على
استحياء .. فضيق أدهم عينيه وهو يقترب بوجهه منه ببطء
هامساً :

_ومستعدة كمان !!

همهمت بخفوت :

_وقطعت حبوب منع الحمل من فترة كمان !!

توقف فى منتصف المسافة وسألها هامساً :

_ومقولتليش !



_كنت عاوزة اعملها لك

وبقية جملتها إنتهت على ضفاف شفتيه .. فأكملتها داخلها !

"مفاجأة .." !!!!

=====

والمفاجأة الحقيقة ..

كان موعد قدومها بعد أسبوع مر عليهم !!!!

ذاك الأسبوع الذى مر على الجميع كلٌ منهم فى مأساته

الخاصة أوفى جنته الخاصة !!

حالة مصطفى الصحية بدأت تتعافى سريعاً، لكن سؤال

داخله هو ما لم يجد له إجابة شافية بعد ..

أين هى ؟!! لماذا لم تأتى لرؤيته ؟!

رغم أنه لا يلومها لو أرادت قطع صلتها به بالأساس ..

لكن رغبة خفية فى رؤيتها ورؤية حالتها كل هذه الأشهر ؟!



كيف هي؟! وكيف تتعايش مع حقيقة كونها لن تنجب
مطلقاً!؟

أشتقاته مثلما اشتاقها؟!...

هل كان يزور أحلامها كما كانت تفعل معه؟!..
بل هي لم تغادر أحلامه في غيبوبته بالأساس!!

منذ أن أفاق .. ورغم أن الجميع كان يتردد عليه بخلاف
فارس الذي كان شبه ملازماً له .. لم يجد في نفسه القدرة أو
الرغبة لمعرفة ماذا حل بنرمين في غيابه ..

هل عاشت أم ماتت؟! .. هل هي بخير أم لا؟! ..

ولأول مرة يعترف أنه أفاق من غيبوبته بروح أخرى .. وشكلٍ
آخر .. وكأنه ما عاد مصطفى الذي عهده قديماً!!

منذ أن أفاق وهو يعلم أن داخله شيئاً تغير!
مشاعره كلها تغيرت ..



فاهتمامه اللحظى بنرمين التى ظهرت بعد غياب لم يعد له
وجود .. واكتشف أيضاً أنه ما أنقذها من الموت إلا إرضاءً
لضميره الذى مازال حياً رغم كل شئ .. قانعاً بالألانىسى
الفضل بينهما، مهما بلغت مأساوية ما تلاه !

وأيضاً تلك المشاعر التى كان يظنها ليأرا مجرد احتياج .. قد
تم ثقلها داخله بصورة لا يعرف كيف ولماذا تكونت !
وإن كان يحاول إقناع نفسه بأن هذا نتيجة لشفقته عليها،
كان قلبه يصرخ معترضاً !!
بل العكس هو ما يصح ..

شفقته ما أتت إلا نتيجة لمشاعره التى أضرمت داخله
فجأة، وتمكنت منه بسرعة كما تُضرم النار فى الهشيم !!

....

فى هذا اليوم ..



كان مصطفى يستعد لأن يخرج بصحبة فارس من
المستشفى متجهاً نحو بيت جده الذى ينتظره على أحر من
الجمر والجميع مجتمعون فيه ينتظرونه !!

....

كما كان أسرجالسا فى الطائرة التى سينتقل هو ويحيى على
متنها إلى أرض الوطن ..

وقبل أن يغلق هاتفه وفى آخر لحظة كان فيها التنبيه لأن يتم
إغلاق الهواتف الخلوية، فتحه وبعث برسالة سريعة إليها :
(انا راجع مصر.. ومش هاجى هنا تانى !

خليكى عارفة انى هستناكى يا أروى .. ولو فضلت عمري كله
مستنى .. كل إجازة هتنزلها هتلاقينى مستنيكى مع انى عارف
انك ممكن متجيش !

وكأنك بتردهالى .. لأ ده الزمن بيردهالى يا أروى !
زى م فضلتى مستنيانى بقلب طفلة خمس سنين عاوزة بس
منى نظرة ..



هفضل انا بقلب عجز مستنيكى خمس سنين .. مستنى بس
منك نظرة !!.. الزمن خلصك منى حقك ! وانا مش عاوز
منك غير تعيشى وتنسطى، أسعدى نفسك يا أروى لانى
مش هكون موجود علشان اسعداها .. وسيهالك أمانة !!)

ومن ثم أغلق هاتفه .. كما أغلق عينيه على دمة حارة
كادت تفر هاربة من جفنيه !

وأقلعت الطائرة حلقة فى السماء، بشكلٍ معاكس لقلبها
الذى تهاوى، ساقطاً بين قدميها ما إن استلمت رسالته !!!

=====



الفصل الثاني والثلاثون

=====

إلى أحدهم ..

قد كنت لى نورّ ونار..

اقتحم حبك قلبي، كما اقتحم بغداد التتار..

خِلتكَ تدور فى فلكى، وكنت خارج المدار..

ظننتك لى قيساً، وحسبت نفسى لىلى ..

لكنك كنت ذنباً لن تمحوه توبة !!

ربما !!

ربما لو عاد بها الزمن ما كانت لتخبره بشئ ..

أو كانت ستخبره، ولكن بما يضمن سعادته فقط !

لكن "ربما" أحياناً تتخلى عن مهمتها الأساسية فى اللغة وهى

أن تفيد الاحتمال .. لتحل وظيفة جديدة وهى إفادة "الندم"

على شئ لو لم تفعله ل "ربما كان"

_مؤمن !!

ندائها جاء خافتاً، مرهقاً جداً وهو ما عزز شعوره نحوها
بأن هناك ما تخفيه عنه ..

كان جالساً على طاولة الإفطار وحيداً بعدما سبقه الجميع،
فالتفت لمئة قائلاً بهدوء :

_نعم !!

"نعم ...!"

تهذيب بشكلٍ مقيت !

لأول مرة في حياتها ستعترف أنها تمقت التهذيب ..

التهذيب شئ جميل ولا شك، لكن ليس هكذا .. ليس بهذا
الشكل الخانق!

أغمضت عينيها مسترقة نفساً عميقاً من هواء الغرفة ..
هرموناتها قد بدأت العمل بسرعة شديدة وهذا ما لن تحمد
عقباه أبداً ..



اقتربت بهدوء من مجلسه وهدوء جاورته، قائلة بنبرة فاترة
بعض الشئ :

_كنت عاوزة اقولك انى رايحة بيت اهلى انهاردة .

انعقاد طفيف لاح على حاجبيه لم تلحظه حيث كانت
تواجه جانب وجهه بينما هو مستمراً فى تناول إفطاره،
فأردفت منه موضحة الأمر:

_مصطفى .. "ابن عمى" .. طالع انهاردة من المستشفى و
رايحة ابص عليه .

لا تعلم لما شددت على جملتها هكذا؟!
ربما لأنها تنتظر منه شيئاً، أى شئ لتتخذه ضده، بل على
وجه الدقة ضد "تهذيبه المقيت" ..

لكنه أحبط محاولاتها وهو ينهى تناول طعامه، ويقف
جوارها قائلاً بتهذيب، مشرفاً على ملامحها المرفوعة إليه من
علو:

_روحي يا منة .. وسلميلي عليه عشان مش هعرف اجي
معاكي انا هوصلك بس على طريقى وانا رايع الشغل !

ازدردت ريقها بتوتر، ورغبة ملحة فى الاستفراغ تلح عليها
بعدها اشتهت رائحة الطعام المجاور لها، لكنها استجمعت
قوتها حتى لا تُظهر أى عرض من أعراض الحمل أمامه وهى
تقول بلطف :

_مفيش مشكلة .. روح انت شغلك وانا هروح لوحدى !

ابتسم بابتسامة جانبية تكاد لا تلاحظ، قبل أن يكتنف
ذقنها بكفه قائلاً :

_انا عاوزك تفهمى انى حتى لو كانت مشاعرى متضاربة و
مش عارف نفسى عاوز ايه ولا بعمل ايه، فأنا مش همنعك
عن اهلك يا منة .. عارف انك ملكيش ذنب وعارف انى
يمكن طولت اوى على تخطى إالى حصل بس لحد دلوقتى

حقيقى انا مش عارف .. وفى كل الأحوال انا عارف انك
ملكيش ذنب .. بس !!

تلونت ابتسامته بشئ من المرارة مختلطة بالامتنان فى مزيج
عجيب تزامن مع كلماته التالية، فجعلها هى من تتضارب
مشاعرها :

_بس انا مليش غيرك اقدرا بان قدامه بكل حالاتي وأسوأها
... مليش غيرك اقدرا جى عليه وقت ضيقتي ويستحملنى من
غيرما يشكى، فاهم انى يمكن اكون انانى بكده .. لكن انا
كده ، ولو حاولت اتغير مش هعرف !!!

رفعت يدها تحيط كفه على وجهها وهى تقول بحرارة، سابرة
عمق عينيه :

_وانا مش عاوزه غيركده .. مش عاوزه غيرانك تبان قدامى
بكل حالاتك وأسوأها ، لكن انت مبتعملش كده يا مؤمن ..

انت بس باين قدامى بالواجهة الهادية الباردة، وده انا مش
عاوزاه .. انا عاوزه مؤمن حتى لو كان هيجرحنى بس
ميكونش بالشكل ده !!

داعبت أنامله أسفل ذقنها برقعة مخادعة، وقال بصوتٍ
باهت :

_صدقيني كده احسن مية مرة .. على الاقل مش هشيل
ذنبي انى أذيتك، كفاية انى شايلى ذنبي نفسى وإلى عامله
فيها لحد دلوقتي وطول الفترة إلى فاتت !

و"لأول مرة" تلتمس له عذراً ..

و"كعادتها" تفهم دون إشارة أنها يجب عليها احتواء الموقف
كامل تفعل دائماً ..

أن تكون استراحة المحارب كما تكون دائماً ..

لكن !!!

لكن ليس وهى بتلك الحالة ..
ليس فى هذا الوقت تحديداً والذى هو أضعف أوقات حياتها
وأكثرها إحتياجاً لحنانه ورقته معها ..
ليس وهى أحوج منه إلى الدعم الذى يتوجب عليها تقديمه
الآن ..

الأمر صعب، والسيطرة بدأت تخرج من بين يديها !!!

وأقصى ما استطاعت فعله أن ربّت على كفه فى يدها برفق
وهى تتمتم بخفوتٍ فاتر:
_براحتك يا مؤمن .. انا مش هجبرك على شئ .

تلونت نبرتها برغبتها فى البكاء والاستسلام للآلام التى بدأت
تنشب أسفل بطنها :

_لكنك لازم تكون عارف انك طولت اوى .. وانا محتاجالك
اوى .. يمكن اكتر من اى وقت عدى !!!



تلجمت الكلمات على حافة شفتيه، فلم يجد ما يقوله ولا ما يفعله حتى ..

فرفع كفها يقبله بخفة قبل أن يهديها ابتسامة فاترة كمعامتله، منسحباً إلى حيث لا تدرى ..

هل إلى قوقعته الزجاجة مجدداً؟!

أم إلى عمله الذي يزعمه !!!

=====

بعدها وصلت إلى بيت جدها ..

تزامن ترجلها من سيارتها ذات السائق الخاص مع ترجل زين من سيارته أيضاً أمام المنزل ..

لكن زين لم يكن وحده .. بل كان زين و... و شخص آخر!!!

حالما انتصبت أمامهما رفعت حاجباً مرتاباً، متعجباً، راقمة كفيهما المتعانقين بنظرة ساخطة وازت نبرتها الأشد سخطاً :

_ولنفترض أن "الكونتيسة" رضيت علينا أخيراً ووافقت
ترجع، ممكن افهم ايه المنظرده !!!

وكانت إشارتها واضحة لكفيهما المتعانقين، فاضطربت
فريدة التي حاولت سحب كفها من زين بقوة لكنه شد عليه
وهو يقترب من منة قائلاً بنبرة مبتهجة بعض الشئ، وبمرح
كان غريباً عنه كثيراً بعدما انقطعت الصلة بينهما لشهور :
_هتعدلى عليا يا منة ولا ايه .

وجملته أرفقها بضمه لها وتقبيله لرأسها دون أن يترك
فريدة، لكن منة لم تتخلى عن دور الأم الصارمة وهى تمد
يديها لتفصل بين كفيهما هاتفة :
_سيب بس إيدها كده وبعدين نبقى نشوف الموضوع ده .

حالما انتهت وتركها زين تفعل ما تريد مبتسماً ابتسامة
اتشحت بعد طول تعرى بثوب حنانه المعهود .. قالت
بسخرية مفتعلة وهى ترمق فريدة بنظرة ساخطة لم تقابلها
الأخيرة بأقل منها :

_مبروك يا "ستهم" .. ربنا يجعلها اخرالأحزان وشيطانك
ميوزكيش تانى تسيبي الغلبان ده .

ثم اقترب منها تزح عن كتفها غباروهى واستطردت بنبرة
أشد ازدراء :

_ومتبقيش تسيبي نفسك كده يا حلوة، ولا تسيبي ايدك للى
رايح وإلى جاى .. مفتحنهاش "ممسكة" هنا .. انشفى شوية
!!!.. ولا انت رأيك ايه يا "زينهم" ؟

ضحك زين وهو يراقب ملامح فريدة التى كانت تنبئ بذبحه
صدرية وشيكة، ولامح منة التى كانت تضمرفرحاً خفياً
لسعادة أخيها التى ظهرت جلية على مظهره ..

لكن منة انقلبت فجأة لملاح جادة، بل مخيفة وهى تبتعد
عن فريدة خطوة وتحيط جذع زين بذراعها هاتفة فى فريدة
المبهوتة أمامها :

_بقولك ايه يا بت الناس .. هى كلمة واحدة هقولها ومش
هتنها .. اخويا ده !

وربت على ظهر زين بقوة وهى تردف محدقة بعينى فريدة
بنظرة تحذيرية :

_ان حصل بينكم مشكلة تانى صدقيني محدش هيقفلك
غيرى ... هخليه يسبك فى الشارع زى الشحاتين واجوزه
ست ستك!!

رفعت فريدة حاجبها وفى عينيها نظرة شركادت تترجمها
لكلمات حادة تمطر بها منة التى ليس بينهما وفاق .. لكن
ضحكة زين التى تلت حديث منة أسكتتها وهى تتطلع فى
ملاحه التى فعلاً لم تلاحظ تبدلها إلا الآن ..



لم تلاحظ أن الشمس فى عينيه عادت تشرق بعد طول غروب، تحديداً منذ أسبوع .. منذ أن قبلت العودة ولكن بالشروط التى املتها عليه فيما بعد ..

صمتت فريدة وتركت لهما متسع ليتضحكما سوياً، بينما فى نهاية حديثهما أشارت منة له ليخفض رأسه إليها قليلاً، فامتثل لتلثم وجنته بقبلة رقيقة مثلها وهى تتمتم بابتسامة جميلة رغم لمحة الحزن التى لم تفوته :

_ربنا يديم عليك الفرح يا حبيبى .. افرح يا زين .. افرح عشان انت تستحق .

ورمقت فريدة بطرفٍ خفى واستطردت :

_ولو زعلتك تانى .. تعالى بس قولى !

أيضاً جوابه عن حديثها عن فريدة كان ضحكة مشرقة منه، فاتسعت ابتسامتها قبل أن تلثم وجنته مجدداً .. ثم تركته واتجهت نحو فريدة التى كانت متوجسة منها رغم أنها لم تقل

أى شئ منذ أن رأتها .. لكن منة تبدلت ثلاثمائة وستون
درجة وهى ترتفع لتجارى طول فريدة بالنسبة لقامتها
القصيرة وتحتضنها بمحبة لا تعكس مطلقاً تلك النبيرة التى
كانت تحادثها بها منذ قليل .. وتهمس جوار أذنها بخفوت :
_مبروك يا فريدة .. متزعليش منى على كل إالى قولتهولك،
لكن زين فعلاً ميتعوضش ويستحق وقفك معاه .. ومتأكدة
انك اول ما تشوفى حنانه إالى انا عارفة انك لحد دلوقتى
ماشوفتيهوش هتعرفى يعنى ايه زين بجد !!!!

ثم تركتها وابتعدت مبتسمة لملامح فريدة التى كانت هادئة
دون شعور محدد ... لكنها أدارت الحوار بسلاسة وهى
تسألهم متنهدة :

_الا قولولى بقى ... كنتوا ماسكين ف بعض كده ورايحين
على فين .



عاودت ابتسامة زين لتتسع وهو يقترب من فريدة مجدداً
قائلاً:

_ كنا داخلين عشان نعرف الجماعة اننا رجعنا تانى .. قبل
انتى ما تقبضى علينا واحنا داخلين !!

ابتسمت منة وقالت بخبث :

_ طب يلا انت مستنى ايه .. وحدد معاد لكتب الكتاب بقى
عشان نشوف اخرتها مع "ستهم" !!
انتهت جملتها ثم أضافت باختصار:
_ هسبقكم على جوا !

وبالفعل نفذت فى حين نظريين لفريدة الصامته وقال
بابتهاج :

_ "زينهم" و "ستهم" .. اختى دى عليها القاب غريبة !!



ابتسمت فريدة وهى تمعن النظر فى عينيه التى ازدادا لونهما
شحوباً تحت أشعة الشمس عكس ما يكون فى الظلمة
فتزداد دُكنة :

ربنا يخليها لك !!

وخاطرة غريبة راودتها ..

"حب زين" كما "عينيه" !!

يزداد قوة فى الظلمة القابعة فى زاوية عميقة منه .. ويزداد
فتوراً وشحوباً كلما رأى الشمس ..

يكن لها شعوراً بحجم الكون داخله، لكن حين يضطر
للتعبير عنه ومنحه لها وتعريضه لشمس الواقع وإيضاحه
أمام الجميع فلا يقدم لها سوى الفتات !!

فهل تقنع بالفتات وتتيقن أن ما يحمله داخله فى الظلمة
أعمق ؟!!!!

=====

حالما دلفت لداخل بيت جدها .. ورأت تجمع عائلتها كلها
أمامها، شعرت بشئ غريب عن شعورها القاتم المعتاد
الفترة الماضية ..

شعرت بابتهاج سرى فى أوصالها جعلها تتحرك بخفة
كالفراشة هنا وهناك ..

تضحك هذا .. وتشاكس تلك، واطمئنت على جدها فى
غرفته سريعاً ثم عادت إليهم فى الطابق السفلى مرة أخرى ..
كانت فى حالة نشاط عجيبة، ورؤية السعادة التى حلت بعد
طول غياب ضيفاً على عائلتها جعلتها تريد الصراخ فرحاً،
وأنستها مرغمة كل البؤس الذى تعيشه منذ حين ..

وهكذا هى منة .. بكل بساطة !!

أثناء هبوطها الدرج المواجه لباب المنزل بفرح وابتسامة
واسعة تشق وجهها، توقفت فى مكانها متعثرة، حتى أنها

كادت تقع لو لم تتمسك بحاجز السلم جيداً حين اصطدمت
عينها بمرآه !!!

هل هوهنا حقاً؟!.. أم أن رغبتها فى استقامة حياتها،
و"هيروين الحياة الوردية" الذى تحلم بنفسها تتعاطاه منذ
الصباح يهيئان لها أشياء مستحيلة الحدوث !!!

أكملت هبوط الدرج هرولة وهى تهتف باسمه :
_مؤمن !!

وصلت إليه لتجده واقفاً مبتسماً، لكن ابتسامة شاردة
بعض الشئ ..

شاردة لرؤية سعادتها التى لم تكن تظهر عليها فى بيته
مطلقاً، أل هذه الدرجة هى تعيسة معه !!!



مؤمن هنا .. مؤمن هنا من أجلها، لأجل ألا يحزنها أكثر قرر
الخروج عن قوقعته، ومحاولة تخطى الأمر وتقبل عائلتها
!!!!

_انت متعرفش انا مبسوفة بوجودك قد ايه .. ومتعرفش
قيمة وجودك هنا دلوقتى عندى ايه !!!!!!!
قالتها بحرارة وهى تعانقه بقوة قائلة بخفوت :
_كنت عارفة انى مش ههون عليك يا مؤمن !

ربت على ظهرها برقة وهو يبعدها عنه قائلاً بحرج وابتسامة
صغيرة :

_يا بتتى بس عيلتك واقفين .. ثم إن انا ميهونش عليك ..
بس اعذريني مش هقدر أطول .. هسلم على جدك وعلى زين
وهمشى !!



اومات بلطف وهى تربت على ذراعه بحنوقائلة بابتسامة
جميلة :

_مفيش مشكلة .. تعالى هطلعك عند جدى !
ومن ثم أمسكت كفه بحماس وقادته نحو غرفة جدها ..
بينما هو خلفها يراقب تعايرها الفرحة، والسعادة التى
تنضح من كل حركة منها، إلى أن أدخلته إلى جدها، فاطمئن
عليه بعباراتٍ تقليدية مهذبة قبل أن يخرجها سوياً ..
وبحثت عن زين فلم تجده، ولم تعلم إلى أين ذهب !
فقال مؤمن بهدوء :

_خلاص يا منة .. هبقى أجيله وقت تانى .. وحمدالله على
سلامة مصطفى !

التفتت منة له وقالت بابتسامة هادئة :

_ماشى يا مؤمن .. مع السلامة !



ثم ودعته إلى أن ذهب .. فشيعته بنظرة مختلفة عن رؤسها
المتعاد قبل أن تهمس متهددة :
_ربنا يهديك يا مؤمن !

لكنها سرعان ما عادت وتحمست، فذهبت إلى رنيم التي
كانت مع أمها وبقية الفتيات في المطبخ يقمن بإعداد المأدبة
لليوم، وسألتهما بصوت عالٍ وهي واقفة على باب المطبخ :
_بقولك ايه يا رنيم ! هو معاذ فين ؟!..

مسحت رنيم على جبينها بظاهر كفها بملامح مرهقة وهتفت
في منة بمرح لا يمت البتة لإرهاقها الواضح بصلة :
_سيبك من معاذ ومن كل إلى انتى عمالة تناكفى فيهم دول
وتعالى ساعدينا .

_سيبى البنت فى حالها يا رنيم .



نطقها سامية بنبرة ذات مغزى وهى ترمق منة التى حدجتها
بنظرة تحذيرية فضحكت رنيم وهى تقول بهدوء :
_حاضر.. ماهى عشان بنتك بقى، معاذ يا ستى طلع من
الصبح ولسه مجاش لحد دلوقتى .. اصبرى شوية هتلاقيه
على وصول !

اومات منة بهدوء وبابتسامة مشرقة تكلل شفيتها خرجت
من المطبخ، بينما اتجهت رنيم نحو هاتفها الموضوع قريباً
منها، وكادت تتصل بمعاذ لكن صوت وصوله فى الخارج
وتهليل منة جعلها تبتسم وهى تتجه إليهم خارجاً !
اقتربت منه برقة مبتسمة فعانقها معاذ حين بادرت به بينما
ذراعه الآخر ما زالت منة متشبثة به .. وهتفت بشقاوة :
_ما خلاص يا عم .. راعى أن بنت اخوك الصغيرة واقفة !
حاول معاذ جاهداً تخطى حاجز الحزن الذى يوهن عينيه
وقال بنبرة هادئة، وهذا أقصى ما استطاع تصنعه :

يا بنتى ابلعى لسانك شوية .. عيب كده والله !!

ضحكت رنيم ضحكة جذبت أنظاره للحظات ..

وقد كان التعبير فيهما يختلف عن التعبير السودودى الذى

كان يسود مشاعره نحوها طوال الفترة الماضية ..

فقد طغى على نظراته شعوراً ب .. بالحزن !!!

ربما .. بالحزن !

بهتت ابتسامة رنيم وهى ترى ذاك التعبير فى عينيه وحركاته ..

فاستغلت فرصة ابتعاد منة .. وخلو هو البيت إلا منهما

وسأله بخفوت بينما أصابعها تتلمس ذراعه برقة :

_مالك يا معاذ !!

ربت على وجنتها بخفة، قبل أن يقرب رأسها منه ليلثم

جبينها بقبلة ثم قال بنبرة فاترة :

_مفيش حاجة .. متقلقيش .. نبقى نتكلم لما البيت يهدى
شوية !

رفضت تركه، وتشبثت بذراعه أكثر وهي تهتف بإصرار:

_شكلك مش مريحنى يا معاذ .. فى ايه .. قولى !
ودون وعى منها وجدها تقبض على بطنها بكفها بقوة،
فتعلقت عيناه بحركتها !

فأظلمت عيناه قبل أن يربت على ذراعها بهدوء وقال قبل أن
يتركها ويرحل :

_بليل نتكلم !!

=====

هل المواجهة بينهما كانت صعبة عليها لتلك الدرجة ؟!!
هل بوحها له بكل ما يؤرقها هو ما جعلها تختفى كل تلك
الفترة دون أن تترك له أى ثغرة يستطيع الدخول إليها منها !

وهى تعلم أنه ليس بالجرأة الكافية التى تجعله يذهب إليها
ويسأل عنها خصيصاً !!

_درة !!

نادى على أخته بهدوء فاتجهت درة إليه من فورها وخرجت
إليه من المطبخ قائلة :

_نعم يا مراد !

ازدرد مراد ريقه بتوتر ثم سألها مباشرة :

_فين سمية .. مجتش ليه ؟!

رفعت درة حاجباً متوجساً ثم قالت بهدوء، مكثفة ذراعها :

_وعاوز سمية فى ايه أن شاء الله ؟!

وبانزعاج أجابها :

_درة .. انجزى بقى .. بلاش الدور ده عليا .

ضحكت درة بخفوت ثم قالت مستسلمة :

_هدى اعصابك .. سمية مجاتش قالت إنها تعبانة ومش
هتيجي !

زفرة طويلة محبطة ندت عنه، فرفعت درة حاجبها مجدداً
وهي تهتف به :

_مراد !!.. دلوقتي وحالاً هتقولى فيه بينكم ايه !

نظرلها مراد مزدرياً ثم قال بهدوء ممتعض :

_فيه خيبة .. فيه سواد ملهوش اول من آخر.. هيكون فيه
ايه بينى وبين بنت خالك الشريرة يعنى !!

هزت درة كتفها جاهلة، فتنهد مراد وهو يقول مراوغاً :

_ "نسيت معاها حاجة وعاوز أردھا تانى، أواقولھا
خليھا لك" !!

لا لم يكن مراوغاً !!

ولا .. لم يكذب .. هو فقط تغاضى عن تحديد ماهية الشئ !
لكن هونسى معها قلبه، وكان يريد استعادته، وإما يخبرها
أن تحتفظ به لها .. كما هولها على كل حال !

أهداها ابتسامة فاترة، قبل أن يستدبر راحلاً ولكن قبلاً قال
لها بهدوء :

_هاتى تليفونك !

فأخرجته من جيب تنورتها متعجبة وهى تعطيه له قائلة
بدهشة :

_اتفضل .. ربنا يهديك يا مراد!!

ثم تركته وذهبت !!

فانتحى هوبها تفها جانباً، ودون تفكير طلب رقمها الذى لم
يكن معه ليحادثها !

لا يهم بماذا سيحدثها، هو فقط سيطمئن عليها بعد ذلك
الانهيأر!!

وقف جوار النافذة المطلة على الحديقة ووضع الهاتف على
أذنه منتظراً ..
فأتاه أولاً صوت نغمة الإتصال ..

Hold on, I still want you
Come back, I still need you
Let me take your hand, I'll make it right
I swear to love you all my life
Hold on, I still need you

أغمض عينيه زافراً بتعب، وكأنه يلفظ ذاك الشعور الجاثم
فوق صدره من يومها مع زفرته !!

إلى أن أتاه صوتها .. ثانياً !!

_ايوا يا درة !

زفرته تلتها أخرى، وهو ما جعلها تقطب على الطرف الآخر

قبل أن تسأل متوجسة :

_مين معايا !

ولثانية صمتت، ولم يبادرها هو بالحديث؛ فكل حروفه الآن

أضحت تحت خط الفقر!!

لكن صوت علو أنفاسها توتراً على الطرف مع همستها جاء

كاسراً للعازل بينهما :

_مراد !.. مراد معايا !!

_ايوا انا .. انا يا سمية !

وتأكيده كان مصحوباً بتهيدة مثقلة منها، تبدلت بعدها

نبرتها لأخرى مرهقة وكأنها تعرت من ذاك الثوب الذي كان

تتلبسه حين أجابت على الهاتف :



_عاوز ايه يا مراد .. أظنك مبقتش محتاج انك تعرف عنى
حاجة اكتر من إالى عرفتها، ولا محتاج لتأكيد اكتر من كده
أنى قليلة ادب فعلاً زى مانت شايفنى !

أصابع كفه نشبت فى الحاجز الرخامى للشرفة مع قوله
الذى جاء حاراً، ملهوفاً، حتى أكثر مما تمنى :
_لازم اشوفك يا سمية !

ولو كانت أمامه، لكان رأى تلك البسمة الساخرة بمرارة التى
اجتاحت شفيتها، وسبقت قولها :

_ليه .. عاوز تتأكد أكثر انى مشوفتش خمس دقائق تربية !
_يا سمية بطلى تقولى الكلام إالى يسمم البدن ده .. انا من
امته قولتلك انك زى ما بتوصفى نفسك دلوقتى !
هدربها بعنف، فأجابته بنبرة هادئة لا تخفى مرارتها :



_ انت مش محتاج تقول يا مراد .. كفاية إالى حصل والحالة
إالى شوفتنى فيها، فأرجوك .. أرجوك سبنى استعيد نفسى
تانى بعد كل إالى عملته !

_ لازم اشوفك .

_ مش هينفع .

_ ايه إالى قل نفعه؟

_ عشان انت آخر واحد كنت اتمنى يشوفنى بالحالة دى .. و
آخر واحد كنت اتمنى انى اقول كل إالى قولته قدامه .. آخر
واحد كنت عاوزة الانطباع إالى اخدته عنى يتأكد .. صدقنى
لو قولتلك أن كلهم رأيهم عندى ميعنيش أى شئ إلا أنت، إلا
رأيك انت !!!!

وكلماتها المختلطة ببكائها الواضح وصلته مشبعة بمشاعرها
الحارة والتي لا تمت لشخصية الساحرة الشريرة بصلة !
وكاد اندفاع مشاعره يجعله يلقي بقولٍ يليق بما قالت، لكن
صوت إغلاق الخط صم أذنيه !!!!

تطلع فى الهاتف مبهوتاً، لكن سرعان ما عصفت عيناه
واظلمت على ظلامها الطبيعى بمشاعره الذى شعر بها
تتصاعد على نحو غير مسبوق !!

ما معنى ما قالتة سمية الآن وبنبرتها تلك ؟!!
ليس له إلا معنى واحد يخشى أن يصدق منه حرفاً واحداً
لألا يخيب أمله مرة أخرى .. وهذه المرة ستكون بخسارة
قلبه !!!!!

وضع هاتف درة على طاولة قريبة وخرج مسرعاً نحو سيارته
يستقلها ودون حتى تفكير كان يقودها نحو بيتها..

لا يهم لماذا .. ولا لما ذهب، ولا ماذا سيقول ولا أى شئ ..!!
كلها حجج فارغة لن تغنيه بعد ذلك عندما يكتشف أن
أمامه كانت فرصة هو ضيعها على نفسه !!!!!

لا .. لن يسمح للندم بأن يتمكن منه !

حتى أنه تقابل مع السيارة التي كانت تنقل أسر من المطار إلى البيت، ولم يتوقف .. بل منح أسرتحية سريعة عبر نافذة السيارة وانطلق بها خارجاً، مما جعل أسريتعجب قليلاً .. لكن الوقت لم يكن منه متسعاً، فقد اصطدمت عيناه بيحيى الجالس جواره وقرب المواجهة عاد ليدفع الأدرينالين عبر أوردته !!!

وبمجرد أن توقف أمام المنزل .. وترجل منه ممسكاً بيد يحيى الذى وقف جواره صغيراً وبملامح طفولية جميلة ظل يناظر البيت أمامه بينما أسريفعل المثل ولكن بقلبٍ وجل !! ثم ..

ثم دلف إليه !!

=====

كانت عبير قد خرجت من المطبخ بصحبة سمية ومنى وبقيّة الفتيات ومنهم فريدة التي كان زين قد تركها مسبقاً معهم

ومع داليدا قبل أن يغيب مع أدهم وحازم وعلى الأغلب هم
ذهبوا ليحضروا مصطفى !!

بينما يارا التي ما حضرت إلا منذ قليل بعد صراع طويل مع
الكرامة والقلب .. صعدت إلى غرفة جدها بحجة الاطمئنان
عليه، لكن رغبة خفية في تجنب الاصطدام تنتابها بعدما
كانت قد دربت نفسها على التجاهل ...!!!
تجاهل !!

كلمة غريبة جداً عن علاقتها بمصطفى، لكنها اختارت
أصعب الاختيارات، ستتجاهله كما ستتجاهل مشاعرها
تجاهه وإن اضطرت لوأدها نهائياً ..
وأول خطوة في الطريق الذي رسمته كانت عدم الذهاب
لرؤيته بعدما أفاق في المشفى، ولكي تثبت لنفسها عزيمة
وإصرار وهميان جاءت إلى هنا في هذا اليوم..
لكن ..



لكن هاهى تهرب خوفاً من أن تزل قدمها في حفرة مشاعرها
مجدداً !!!

كان الجونسائياً بينهن، ومليئاً بالضحكات ولكن وقوف أسر
أمام باب البيت وجواره الطفل قطع الحديث في حلقهن
ودبت صدمة شلت الجميع إلا داليدا وفريدة اللتان لم يكن
على علم بشئ !!

أول من أفاقت من صدمتها كانت درة التي استقامت مقترية
منهما ببطء قبل أن تجثو على ركبتيها أمام الطفل هامسة
بملامح مشدوهة، وابتسامة صغيرة تتلاعب بشفتيها تروح
وتجيئ دون إرادة فعلية :

يحيى !! انت فاكرنى؟ عارفنى .. انا عمتودرة !!

تقدم أسريمسك بذراعيها ويرفعها عن الأرض برفق قائلاً:



_ واحدة واحدة على الولد يا درة .. اكيد مش هيفتكربنا كلنا
بعد الوقت ده كله !

نقلت نظرها بينه وبين أسرقائلة بنبرة مبهوتة :

_ انت كنت عارف ؟! عارف انه عايش ؟!

اوماً أسر بهدوء وقال :

_ كنت عارف .. واستنيت لحد ما الظروف تتظبط عشان
اسفره واجى بيه .

فغرت درة شفيتها غير مصدقة، قبل أن تلتفت نحو أمها
تريد التأكد من أنها لا تهلوس، لكن ثبات أمها الانفعالي
بشكلٍ مثير للشك جعلها تقطب وهى تقول بعد أن
استوعبت أخيراً :

_ انتى كنتى عارفة ؟!!!!

ابتسمت عبير بخفة قبل أن تفتح ذراعيها للطفل الذي أخذ
يعدو بخطواته المتعثرة نحوها .. قبل أن تأخذه بين
أحضانها، وهي تحدث درة :

_مكنش أسريقدر يبعد الفترة دي كلها من غير ما اعرف هو
رايح يعمل ايه !!

رفعت درة حاجبها متعجبة، وحالهن جميعاً لم يختلف عن
حالها كثيراً .. إلا فريدة التي شهقت بخفوت وهي تدمدم :
_هو أسر متجوز وعنده ابن .. يا عني عليكى يا أروى !!

حديثها أخرج حلا المجاورة لها عن طور مفاجئتها، فقطبت
وهي تقول لها :

_اسر مين !!! ده يحيى .. متعرفيش يحيى !!



حالما نطقت بما نطقت نقلت داليدا عينيها عن المشهد إليها
وقد تأكد الشك الذى ساورها منذ أن رأت الطفل وتمعننت
فى ملامحه التى كانت نسخة من ملامح أدهم رغم اختلاف
لون عيني الطفل الزرقاوين !!

_ابن مين!

ورغم أن الشك تأكد ولا مجال للنكران، لكن غريزة البقاء
داخلها حثتها على السؤال الذى كانت إجابته واضحة ..
غريزة بقاء حمها !!!

والرد جاء قاطعاً، قاصماً، مزلزلاً دواخلها :

_ده ابن أدهم .. انتى متعرفيش ؟!!!!

نعم .. كانت تعرف ..

فهاهى قد علمت منذ ثانية واحدة فقط !

تقدم أسر إلى داخل البيت الكئيب بعدم وجودها ..

والصدمة التي كملت الأفواه جعلته أشد كآبة !!
بينما يحيى مازال في حزن عبير التي لم تتجراً على النظر
بعيني داليدا المحدثين بها !
لكن حركة جوارها جعلتها تلتفت نحو داليدا التي كانت
تقف جوارها مباشرة تتطلع فيها وفي الطفل بلامح غير
مقروءة .. قبل أن تقول بنبرة تماثل ملامحها تعبيراً :
_ الحقيقة انى مش عارفة اعطى رد فعل مناسب على
الموقف ..
وصمتت لبرهة استطردت بعدها :
_ بس انا مش هقولك غير ربنا يسامحك على نفسى إالى
اتسكرت، وذنوب علاقتى بابنك إالى هتنتهى بسببك !!

ومن ثم تحركت تحت أنظار فريدة التي هبت واقفة فجأة،
لكن إشارة من داليدا أوقفها مكانها، قبل أن تتجه هى نحو



غرفة أدهم القديمة والتي قضت بها سابقاً ليلة من أسوأ
ليالها حين اختطفت فريدة .
ويبدو أن تلك الغرفة كُتب عليها أن تتحمل أحلك أوقات
حياتها سواداً !!

رمقت فريدة عبير شزراً ورفعت عينها نحو أسر بتعبير أشد
شراً، واندفعت خارجة من البيت تدمدم بكلماتٍ ساخطة
غير مفهومة ..

لكن وأثناء عدوها خارجة من المنزل اصطدمت بزين الذى
كان قد جاء بصحبة مطصفى والجميع من المشفى !
فراها وهى تندفع معمية بشيطانها، حينها استوقفها هادراً :
_ فى ايه يا فريدة .

ومظهر فريدة المتمرّد أوقف الجميع مشدوهين، حتى أن
مصطفى الذى كان يتكى على عصا طبية رفض الدخول قبل
الاطمئنان على الوضع ..

أمسك زين بذراعها ورمقها بتحذير قائلاً:

_اوقفى هنا وكلمينى زى ما بكلمك !!

لكن فريدة رمقته بنظرة لاذعة وهتفت به بقوة وقهر:

_فى أن انا واختى تعنبا من عيلتكم وإلى شوفناه منكم يا

زين .. حرام عليكم إالى بتعملوه فينا !!

اشتدت يده على ذراعها، لكنها افلتت ذراعها منه بقسوة

هاتفة :

_ابعد عنى بقى انا تعبت !!

ثم انطلقت خارجة من البيت، خلفها زين الذى وقف على

قارعة الطريق بعدما كانت قد استقلت اول سيارة أجرة

قابلتها !!

=====



أما بالداخل فمئذ أن جاءت فريدة بسيرة داليدا عرضاً
وسط الحديث لم ينتظر ليفهم ما يحدث بل اندفع يدخل
البيت بلهفة هاتفاً:
_فين داليدا !!؟

وعندما وقعت عيناه على ذاك الطفل القابع فوق قدمي
عبير، شعر برعدة تسرى بأوصاله، ومنظر الطفل وملامحه
مرا على عقله كطيفٍ خاطف، قبل أن يجفل ويقطب
ويعن النظر فيه !!
ثم تساءل بنبرة غريبة إثر الشعور المبهم الذي اكتسحه في
لحظة:

_مين ده !!!

وإشارته للطفل كانت واضحة .. فانهز رأس الفرصة واقترب
منه بخوف قائلاً:

_أهدى يا ادهم واحنا هنفهمك كل حاجة !

ناظره أدهم بحاجبين معقودين، وملامح معقدة وهو يقول
كمن يحدث مختلاً عقلياً :

_انا هادى على فكرة !.

لكن ضغطه على عقله كى يتذكر أين رأى هذا الطفل،
أصابه بنوع من التشتت .. فعاد يرمق الطفل بنفس النظرة
المعقدة، قبل أن يعود لأسرويه دربه بفقدان أعصاب من
فرط حيرته :

_فهمنى مين ده .. وفين داليدا !!!.

وما كاد أسريتحدث إلا وقد ارتفع كف أدهم نحو صدغه
من فرط الألم اللحظى الذى شعر به ولمحات طويلة من
كوابيسه المتعددة عاودت هجومها ..

لكنه رفع رأسه فجأة لاهثاً كمن يعدو فى ماراتون ... ثم هتف
بعنف كمن يبحث عن ترياق حياته :

_فين داليدا .



فأشار أسر بهدوء نحو الغرفة التي اختفت داخلها داليدا ..
فاتجه أدهم من فوره نحو الغرفة التي قصدها أسر،
وبالفعل ما إن دنى حتى تهادى إلى مسامعه صوت بكائها
العالى !!

ماذا يحدث معه ؟!

وما ذاك الانقلاب للحظى الذى حدث فى هذه الدقائق
المعدودات ؟!
_داليدا ...!!

نداءه كان خافتاً، أقرب إلى نبرة طفل يسترضى أمه الغاضبة
دون أن يعلم سبب وجيه لغضبها، لكن غريزة حبها تدفعه
لفعل أشياء تلقائية .. تماماً كالذى فعله أدهم الآن وهو
يكرر نداءه مصحوباً بكلماته التائهة التي تنتظر منها الهداية
:

_داليدا افتحى، وفهميني فيه ايه .. انا مش عارف حاجة !!

وفي الداخل ..

كان قلبها يتمزق بعد سماع نبرته المشتتة !!

هو ليس له ذنب ... هي تعلم أنه كان فاقداً لعدة سنوات من

ذاكرته إثر الحادثان المتتاليان معه، وما حدث منذ قليل

يثبت أنه تم خداعه مثلها تماماً ..

وأكبر دليل .. حتى أنه أقوى من ما حدث .. هو نبرته التي

يحدثها بها !!

فلم تحتمل أكثر.. بل اندفعت نحو الباب وفتحته لتلقى

نفسها بين فوق صدره فجأة !

ضمها أدهم بقوة لا تتناسب ونبرته الضائعة :

_فيه ايه .. ايه بيحصل ؟! انا مش فاهم حاجة .. ودماعى

هتنفجر!

رفعت رأسها، تناظره بعينيها الباكيتين هامسة بنبرتها

الذبيحة :

_ده ابنك يا ادهم !!

=====

أما بالأسفل ... فقد رأى فارس اشتعال الوضع فأثر إبعاد مصطفى عن محيط التوتر فصحته لا تحمل بعد .. فقال له بهدوء وهو يسنده :

_تعالى يا مصطفى سلم على جدك، هو مستنيك من بدرى !
وأعصابه التى لا تحمل أى ضغط جعلته يرضخ لاقتراح فارس وسار معه حتى غرفة جده ..

وما إن دلف .. وما إن تلاقت أعينهما حتى شعر بنفسه سيموى قريباً !!

فقد كانت يارا جالسة جوار جدها فوق الفراش، غير منتبهين للحرب المقامة بالأسفل ..

وما إن طرق فارس الباب ودلف جواره مصطفى حتى اشتعلت الغرفة فجأة !!!

اجفلت، ثم كادت تنهض وتفر هرباً... لكن الشرط الجزائي
فى العقد بينها وبين نفسها كان يحتم عليها الصمود
...الشرط الذى كانت قيمته كرامتها التى بالفعل هى منتهكة
!!

_مصطفى !

نبرة جده الواهنة أجبرته إجباراً على إبعاد عينيه عنها،
فتقدم ومعه فارس الذى يسنده من جده الذى استقام
بصعوبة وبمساعدة يارا جلس نصف جلسة ليرفع ذراعيه
المرتخيتين إليه يحتضنه باشتياق ممزوج براحة على
سلامته ..

لكن عناق جده كان مدموجاً بأخر محبباً جداً إلى قلبه ..
فاقترابه من جده كان يجعله شبه معانقاً لها، فهى كانت
جوار جده مباشرة تسنده وتدعمه ليجلس دون أن تجد



الفرصة لتعديل الوسائد خلفه من فرط لهفته على حفيده
!

تعانقت أنفاسهما، وتلاقت أعينهما عن قرب ..
قبل أن تنتهى اللحظة المسروقة من الزمن بابتعاده عن
جده، وجلوسه على مقعد مجاور لفراشه .. ذاك الذى
نهضت هى عنه ووقفت مقابلة لجدها قائلة بنبرة استغرقت
منها جهداً لتضبطها كما يجب :

_ انا نازلة يا جدى .. عاوز منى حاجة ؟!

أهداها جدها ابتسامة صغيرة وقال :

_ عاوز سلامتك يا حبيبتي .

فبادلته ابتسامته التى لم تستطع أن تزيد عنها عن شبح
ابتسامة وهى تواجه مصطفى أخيراً .. قائلة بنبرة خرجت
رغماً عنها عكس ما تريد .. عكسه تماماً :

_ حمد الله على سلامتك يا مصطفى !

لم تكن مجرد مجاملة لكونه فاق من غيبوبته ..



بل كانت تهنئة لقلبها الذى عاد ينبض أخيراً بعد رؤيته ..
وكل هذا وصله واضحاً عبر جملتها .. لكنه هُيئ إليه أن شئ
من الحزن يمس عينيها وهذا هو ما كان فعلاً لكن ليس
لذلك السبب الذى هو يعتقده، وهو أنها فاقدة القدرة على
الإنجاب !

_الله يسلمك .. يا يارا !

ولا يعلم لما أصر على نطق اسمها بعدما كاد يغلق جملته على
رد المجاملة مختصرة ..

"ربما" لأنه اشتاقها .. وبشدة !!

لم تطل النظر؛ لأنها تعلم .. تعلم أنها إن أطالت لن تحمد
عاقبة ما سيصدر عنها، لذلك ملمت ثوب مشاعرها
المشعث واستدارت تخرج من الغرفة .. لكن فارس انتحى بها
عند الباب ليفهمها ما يحدث بالأسفل وينبهها ألا يصل خبر
من هذا إلى جدها على الأقل الآن ..

فأسرعت يارا بالهبوط وهو الذى كان يريد أن تظل أكثر ..



كى يشبع عينيه منها أكثر!!

إجلسي خمس دقائق

لا يريد الشعر كي يسقط كالدرويش

في الغيبوبة الكبرى

سوى خمس دقائق..

لا يريد الشعر كي يثقب لحم الورق العاري

سوى خمس دقائق

فاعشقينني لدقائق..

واختفي عن ناظري بعد دقائق

لست أحتاج إلى أكثر من علبة كبريت

لإشعال ملايين الحرائق..

إن أقوى قصص الحب التي أعرفها

لم تدم أكثر من خمس دقائق...

نزار قباني

=====



الفصل الثالث والثلاثون

=====

إلى أحدهم ..

لم أتمنى يوماً أن يرتفع الجدار العازل بيننا إلى هذا الحد،
ولم أتمنى أن أكون حجراً في بنيانه، لكن منذ متى أفادنا
الندم في شئ .. فمن يوم عرفتك، قد ضبط الندم مواعيده
على "بعد فوات الأوان" ..

=====

شرفات المنازل !!

شرفات المنازل دوماً ما كانت بمثابة جسروصال بين أى
حبيبين !

كل قصة تبدأ عند شرفة منزل .. وإن لم تبدأ بها، فهي لا ريب
جزء منها !!



لكن المختلف هاهنا أنه أبداً ما أعتقد أنه سيكون أحد هؤلاء الذين يقفون تحت الشرفة استجداً لنظرة !!

ضحكة ساخرة عبرت شفيتها، لكنها لم تكن ساخرة بالقدر الذي كانت به غير مصدقة بعد أنه هنا وقد وصل إليها أخيراً بعدما شعر بالطريق يتضاعف أميلاً فأميلاً !!

استند مراد بجانب بجهته إلى عجلة القيادة في السيارة، بينما نظره معلق بالشرفة التي تواجهه عن بعد !
تنفسه الثائر في طريقه للثبات بعدما وصل لتوه عبر الطريق الذي لم يكن ينتهي، وكأنه كان يمشيه على قدميه ..

وها هو قد وصل .. لكن ماذا بعد ؟!
يسأل نفسه عن خطواته القادمة لكنه لا يجد أى إجابة شافية !

فمن ناحية اندفاع مشاعره يحثه على العدو نحوها ..
ومن ناحية أخرى خوفه من تبدد الأمل يأمره بالتريث وألا
يخطو إلا خطوة واحدة أقرب نحوها !

زفر نفساً حارقاً ثم استقام في جلسته والتقط هاتفه ينوى
الإتصال بها .. لكنه عاد وتذكر غباءه الذي جعله ينسى أن
ينقل رقمها من هاتف درة إلى هاتفه !
فضرب عل جيته بمقدمة الهاتف وهو يهتف بانفعال :
_الله يخربيت غباءك يا اخي !!

كان واقفاً بسيارته داخل حديقة البيت بكل غباء، تحديداً
بالقرب من شرفتها، ولكنه لم تواتيه جرأة تجعله يخرج عن
سيارته، بل ظل عالقاً ما بين أن يدخل أولاً يدخل !
وإن دخل إلى البيت ورأها أمامه فكل الجرأة التي استجمعها
حتى يأتي بقدميه إلى هنا ستتبخر ما إن يراها أمامه !!



هل الحب يجعلنا أغبياء؟!.. أم أنه فقط يلغى المنطق
فيتركنا على حافة الغباء!

وفي النهاية النتيجة واحدة .. هو غبي حول كل ما يتعلق بها !!

انبعث فجأة صوت موسيقى عالية ... ومصدرها كان غرفتها
!

ارتفع حاجباه بتعجب، أتلک التي كانت تحدثه منذ قليل
بنبرة من هو على شفا الإنهيار والذنب يقتله ؟!!!

ضرب كفاً فوق كف وتمتم بكلمات غير مفهومة، قبل أن
يتنهد بقنوط وهو يشعر بنفسه قد تعدى مرحلة الحمق،
وصعد لمستوى الوحش في لعبة "العتة" !!

بل وكلما يضرب اللحن الغربي العالی فی أذنيه بشعر برغبة
عارمة في الصعود إليها وإشباعها ضرباً حتى تتوب بحق !



علاقة مختلة كهذه لا يعرف ماذا يجبره على الصمود فيها !
بل والأدهى أن اللحن رومانسى ناعم، وينساب عبر الأذن
بسهولة وسلاسة !

هل هى تحب ؟! بغض النظر عنه لأنه لن يضع نفسه فى أى
احتمال من الممكن أن يؤتى نتائج سلبية !!
هل هى تعشق أحدهم ؟!

لا يعرف .. ولم يحاول أبداً طرح مثل هذا السؤال ..
ربما لأن سمية فى نظره ليس لديها أى مؤهل يجعلها أهلاً
لحمل مثل تلك المشاعر !!

المسافة التى تفصله عنها الآن ما هى إلا مجرد أمتار .. لكن فى
"هندسيات الحب" أن ما بينهما هى بضعة أميال فاصلة !!

آخر حل أهداه إليه غباءه، هو أن اخرج هاتفه وهاتفَ درة
كى يستطيع أخذ رقبتهما منه !!



لكنه ما كاد يسأل درة ما يريد إلا وقابلته بما صدمه ..
والذى هو ببساطة ما حدث منذ مجئ أسر!!
لذا أغلق الهاتف واستدار خارجاً بسيارته من المنزل مرة
أخرى !

دون أن ينسى إلقاء نظرة أخيرة على الشرفة التى لم يستطع
من خلالها الحصول على نظرة !!!

=====

ما بالها الحياة لا تستقيم له ومهما حاول ..
مهما تشبث .. ومهما حارب .. هو خاسر!!

ضغط على بنزين سيارته بكل تهور يزيد سرعتها، بينما يده
تعبث بالهاتف يحاول الإتصال بها بعدما اختفت عن
ناظريه فى سيارة الأجرة التى استقلتها وسار هو خلفها
بسيارته !

محاولة أخرى منه وازت هتافه المغتاض :

_يا فريدة ردى بقى !!

وحين يأس ألقى هاتفه على المقعد المجاور، عاقداً العزم من
على الذهاب لها ببيتها!

لكن رنين هاتفه باسمها جعله يلتقط الهاتف متلهفاً :
_انتى فىن يا فريدة !؟

والإجابة وصلته صقيعية، جمدت أوصاله :

_لوماشى ورايا فأسبقنى على بيت جدك .. انا جاية انا و
أحمد على هناك !

ومن ثم أغلقت الهاتف !!

نظرله مبهوتاً للحظة، قبل أن يعود أدراجه مجدداً نحو بيت
جده .. كما أمرت !!!

كما أن أن كل تحركاته هذه الأيام تكون كما أمرت !!

تنهد بقنوط، وخفف سرعته كثيراً، بعدما كان ينهب الطريق منذ قليل ..

يتذكر شروطها التي أملتها عليه يوم التقت به بعد تلك المواجهة بينهما في المشفى !!

((جلست محاوره له في مكانهما المفضل أمام البحر..
كل منهما شاردأ فيه، لكنه كان متوتراً أيضاً، كطالب ينتظر
الامتحان الثانوية العامة !!

والذى جاءه بعدها مباشرة ودون مقدمات :
_انت عارف انى قبلت ارجع بس .. بس لازم تكون فاهم انى
عمرى ما هكون زى الأول، عمرى ما هكون فريدة إالى كانت
بتدى من غير ما تاخود .. إالى كنت عارفها قبل كده !

صمت ولم يعقب .. صمت يعطى لها فرصة إملأء شروطها
كاملة، فرصة أن تأخذ دون أن تضطر أن تعطيه شئ ..

فرصة أن يتوقف رتم انانيته المعهودة معها ويبدأ صفحة بيضاء خالية، أول ما سيُسَطر بها هو حروف اسمها فقط .. إلى أن أردفت فريدة بجديّة جعلتها لا تمت لفريدة التي يعرفها بصلة :

_ انا مش مستعدة استحمل اى شئ من ناحيتك تانى يا زين .. اى شئ مهما كان عن مراتك الأولانية، فكرة انتقامك او حقها إلى عاوز تجيبه أياً كانت المسميات فتنساه تماماً ... لازم تكون على علم أن انا وهواجسك المرضية مش هنجتمع ابداً ابداً ! موافق ؟!

ابتلع طعاماً مرّاً فى حلقه، وتجاوزّه رغبةً فى الحظوب "السكر" الذى سيبدد المرارة حين تنيرهى أيامه وقال بصوتٍ أجش :

_ موافق !

_ مفيش مجال للمناصفة !!.. زين إلى ليه نصين مش عاوزاه .. يا اما هتكون بكيانك كله معايا ومع عيلتك إلى

تستحق كل خير يا اما تنساني .. لأنني مش هقبل انصاف
حلول .. موافق ؟!

_موافق !

_انا اديت كثير... دورك تديني زي ما اخدت، موافق ؟!

_موافق !

_خلفيتك ونفسيك إلی مش كويسة انا مقدارها كويس ..
لاني زي زيك .. كل واحد فيه ندبة عاملاله عائق ف حياته
رغم اختلاف الأسباب، هتكون مستعد تقف جنبى و
تساندنى وقت ضعفى ؟! هتكون قادر تتحملنى بكل على و
حالاتي إلی مبتخلصش والى انت كنت جزء من أغلبها ؟!

_انا مستعد اتحمل منك اى شئ يا فريدة .. انتى يامة
اتحملتى عشانى .. ده وقتي عشان اردلك الجميل !

_ده مش جميل .. ده حق و واجب علينا احنا الاتنين مدام
رضينا ببعض شركاء طول العمر.



رمقها فى نهاية حديثهما بنظرة لم تعرف كيف تفسرها إلى
الآن لكنها لم تنكر أنها شعرت بها أول خطوة فى طريق تحرير
زين القديم من الذى يتلبسه حالياً !!

"زين القديم" .. ذاك الذى لم تكن هى جزء منه قط، وهذا
هو من ستستعيده هى لتعاود تشكيله كما يجب !
لكن أولاً ستطرد "شبح زين" الذى يسكنه الآن .. لتبدأ مع
الأول على مياه بيضاء كما يقولون !!

_هتقدر تحبني على كل الحب إلى قدمتهولك يا زين ؟!
وإجابتها كانت عبارة عن سؤال عفوى صدر عنه .. لكنه لم
يتوافق وحالتهما أبداً :
_انتى لسه بتسألنى ؟!!!



ارتفع حاجباها، وضحكة صغيرة ندت عنها، هتفت بعدها
بصوتٍ خرج من أعماق أعماقها :

_ايوا يا زين لسه بسأل .. بسأل لاني عمري ما سألت قبل
كده .. بسأل لاني لحد دلوقتي انا مشوفتش حاجة تثبت
انك بتحبني .. لكن هعتبر كلمتك وعد .. عشان كده بسأل و
هفضل اسأل طول عمري .. واليوم إلى هشوفك فيه خلّيت
بشرط واحد من دول صدقني هسيبك ولو كان عمرنا ٧٠
سنة !!!

مد كفه وبسطه فوق راحتها بخفة، ثم قال بحرارة نابعة من
داخله، مصدرها رغبته في الاستسلام لها ولحبها الذي لا
تعرف كيف تخفيه حتى وهي تملأ شروطها، وتتوعده بتركه
إن أخل بها :

_قولتهالك وهقولها يا فريدة ... انا عندي قناعة أن مفيش
شئ بنقدر نحصل عليه بسهولة، وانتي حبك كان متقدم على

طبق من فضة .. وجيه الوقت إلى لازم اتعب فيه عشان
اوصله، عشان كده انا راضى .. والله راضى بأى شئ تطلبه
رغم انك اصلا مش بتطلبى غير أبسط حقوقك .. صدقيني
انتى بتكبرى فى نظرى اوى ... ومستعد انى اتحمل اى شئ فى
سبيل انى اوصلك الا بعدك عنى يا فريدة !!!))

"إلا بعدك عنى يا فريدة!"

"هتحمل أى شئ فى سبيل انى اوصلك" ..

"راضى بأى شئ تطلبه" ..

"جيه الوقت إلى لازم اتعب فيه عشان اوصلك" ..

شروط دقيقة حددت معالم علاقته بها .. وقوانين مسنونة
بعناية لن يقدر أبداً على خرقها .. بل إن وقت تنفيذها قد
حان !!!

فريدة الآن وضعته فى أول اختبار.. ودوره أن يكون قدر
المسؤولية !!!

لذا ضغط على بنزين السيارة التى تعبت معه .. يزيد سرعتها
مجدداً؛ فلن يسمح لأحد بانتزاعها منه ولو حتى حاربها
نفسها !!!

=====

بعد قليل ..

كان زين قد وصل إلى بيت جده .. ولم يكد يخرج من سيارته
حتى وجد أحمد ومعه فريدة يترجلون من سيارة الأجرة التى
أقلتهما إلى هنا ..

فسارع باستقبالهما وخاصة أحمد الذى كانت ملامحه لا
تنبئ بخير أبداً !



وقف قبالتهما وقبل أن يتفوه بأى شئ كان أحمد قد سبقه
وبجدية شديدة أقرب إلى التجهم قال :

_انا مش جاي اتكلم فى أى شئ دلوقتى ... انا هاخود اختى و
همشى من غير كلام ومن غير شوشرة !!!

تعرقلت الكلمات على شفتيه ولم يقوى على قول شئ ..
فتجاوزه أحمد إلى الداخل بينما فريدة قبض على معصمها
يوقفها قبل أن تدلف خلف أخيها ..
نظرت له فريدة بنظرة حادة وقالت بصوتٍ خفيض ينضح
شرراً :

_سيب ايدى !

_اوقفى نتكلم بهدوء .

قالها مبادراً بما طلبه منها لتوه، لكنها كانت معمية ولا ترى
سوى نظرة داليدا التى رمقت بها حماتها قبل أن تختفى عن
ناظرها ... فقالت مهاجمة وبضراوة :



_انتوا عاوزين ايه؟!.. انتوا بتاخدوا بنات الناس تهيئوا فيهم
وتغلطوا في حقهم ليه؟!.. هويعنى عشان احنا أقل منكم
بتعملوا فينا كده .. عشان عندنا اصل وبنستحمل يبقى
تعملوا فينا كده؟!.. ليه، ليه كل التعقيد ده انا مش فاهمة
!!

وانتهت كلماتها بما يشبه صرخة محتضرة منها، لكن زين
قابلها بكل هدوء مُسلماً لأن ما تقوله صحيح .. بل هو
الأصح فوق كل شئ !!

لكنه قال بثبات إنفعالى أمام موجة الغضب التى تعترىها؛
ثأراً لأختها :

_مهما كان إالى حصل مع داليدا فأنا بأكدلك أن محدش
ليه ذنب فى كده .. أدهم نفسه مش فاكر اى حاجة عن
الموضوع ولا عارف اى شئ .. مش هنفى غلط عمتى انها
خبت عن داليدا واوهمتنا كلنا أن كل شئ بخير.. لكن
أعذريها هى كانت خايفة على ابنها !!!



نبرته كانت غريبة على أذنيه .. هو نفسه لم يقتنع بما قال
لكنه أنتظر منها أن تقتنع ..

لكنها رمقته بنظرة مؤيدة لتفكيره وقالت بنبرة تضرمر غضباً :
_ انا مش هجادلك عشان انا عارفة انك نفسك مش مقتنع
باللى بتقوله !!.. وكلام عن علاقتنا دلوقتى مش هتكلم،
أرجوك سبنى أراجع نفسى وأهدى شوية .. كفاية انى لازم
اقف مع داليدا دلوقتى مش فاضية انى اهتم بنفسى وباللى
عاوزاه وابقى انانية وانسى إالى حواليا محتاجين ايه !
وكلماتها الأخيرة كانت وكأنما بصقتها فى وجهه بعنف ..
وكانها تسبه بها، ناسبة له كل عيوبه الذى يحاول الردم
فوقها!!

فرمقها زين بنظرة حادة، لكن رغماً عنه سكنت ودعها
تخطاه نحو الداخل مرجئاً الحديث لوقتٍ آخر.. لكنه قال
قبل أن تبتعد عنه كثيراً :



_بس خليكى عارفة انى مش هسيبك يا فريدة ... خودى
وقتك كله .. واعملى إالى عاوزاه، بس بعد عنى مش
هسمحك يا فريدة !!.. واعتبرينى أنا زى مانتى عاوزة !

لبرهة ظننا لن تعقب، لكنها فاجأته قبل أن تستدير رحلة
نهائياً :

_انت فعلاً أنا .. بس قلبي غبي مش شايف غيرك !!

كبريائه الذكورى الآن كان في حيرة من أمره!
هل ينتشى لكونها لا تعرف كيف تحل نفسها منه ؟!
أم يبتئس لكونها نعتته الآن بصفة هو نفسه يكرهها !!!

لكن في كلا الحالتين تنهد بقنوط!!
عازماً على خوض طريقه الطويل معها ..

=====

رغم تفضيله للضوء وعشقه للشمس حين تغمره دوماً ..

لكنه في هذه اللحظة كان يفضل الدُجّة !!

وحين لم يحصل عليها قام بإطفاء ضوء الغرفة وإغلاق

الستائر.. فلم يصل إليهما سوى شعاع رمادي باهت ..

بالكاد كان يمكن كلاً منهما رؤية ملامح الآخر دون وضوح!!

كلّ منهما كان يعانق الآخر وكأنهما يعلمان أن الفراق قريب ..

كلّ منهما كان يواسي الآخر رغم حقه هو بالمواساة !

أحلامهما التي ظلت وقتاً طويلاً تترعرع بينهما وتحلق في الأفق

وعلى رأسها كان الطفل الذي قررا أن يحصلوا عليه .. لا

يحدث الآن سوى أنها تعانق الثرى بعدما كانت في أقصى

العلياء !!

وما قضى على الصمت الموحش بينهما كانت همسته :

_داليدا !!



همسة ضائعة .. مشتة، لا مبالغة إن تم وصفها بنبرة
طفل، وتشبيهها بصرخة طفله الذى يقبع خارجاً الآن حين
تخلت عنه أمه ...

_داليدا انا حاسس انى كنت فى برج على وفجأة وقعت على
جدور رقبتى ... انا مش فاهم حاجة ومش قادر استوعب ان
إلى برا ده يبقى ابنى انا ، دماغى هتنفجر من كتر الضغط ..
معدتش قادر!!!

وجوابها كان تربيتات ذات رتم رتيب على جذعه الذى تضمه
إليها .. تربيتات رغم خفوتها إلا أنها كانت تأخذ منها مجهوداً
مضنياً لانجازها، وتضاعف المجهود حين حاولت الهمس :
_ولا انا قادرة استوعب انى جوزى كان متجوز قبلى لا و
عنده ابن كمان وكل ده انا معرفش حاجة !!

سردها لما حدث كانت بمنتهى الهدوء .. وبمنتهى جلد الذات!



لكن شعورها لم يتخذ مجراه كاملاً الآن فطرقات هادئة
سرعان ما ارتفعت على باب الغرفة التي تجمعهما ..
طرقات انتفض على إثرها أدهم واستقام واقفاً، ثم وجه
حديثه لداليدا قائلاً بما يشبه التحذير:
_ اوعى يا داليدا .. اوعى تسببيني وتمشى معاهم .. انتى عارفة
انى مليش ذنب !!

وطريقته لم تجلب لها سوى ابتسامة صغيرة على شفثيها
وازت تلك الدمعة التي سقطت فوق وجهها وهى مازالت
مستلقية على جانبها، تنظر له فى وقفته هذه كمراهق عنيد
!!

أشارت له داليدا برأسها كى يقترب وبالفعل تقترب، لكن
اقترابه كان للحد الذى مكنها من معانقة شفثيه فى قبلة
مودعة !!



طوقت وجهه بكفيها، ثم ابتعدت هامسة بخفوت، غارسة
نظراتها في عمق عينيه :

_انا عارفة انك ملكش ذنب .. عارفة انك محتاجني جنبك،
لكن ... لكن انا محتاجة استعيد نفسى الأول عشان اقدر
اقف جنبك، انا فاهمة انه ابنك، ومدام هو ابنك انا مش
هسيبه بغض النظر عن حكايته او هي مين امه، لكن انا مش
هتخلي عنك ولا عنه .. بس محتاجة انى اتبرئ ل ده ..
محتاجة أتقبله !!

كان جالساً على ركبتيه جوار الفراش المستلقية هي فوقه،
ورغم إرتفاع الطرق على الباب وصوت فريدة الذى أخذ
ينادى عليها ... دفعته غريزة البقاء داخله لأن يحاول حتى
آخر رمق :

_فاهم .. فاهم انك محتاجة كده بس وانتى جنبى .. خليكى
جنبى يا داليدا أرجوك !!



_مش هسيبك .. والله ما هسيبك !

رمقها بنظرة أخيرة، أتبعها بقوله المستسلم والطرق على

الباب يزداد حدة بمرور الدقائق :

_براحتك يا داليدا !!

وجملته أتبعها بقبلة أخيرة كان هو المبادر بها قبل أن

يستقيم واقفاً ويوقفها معه، يعدل حجابها حول وجهها

بيديه، ثم اكتنفه بين كفيه برقة، مُكرراً بصوتٍ خفيض

ينضح ألماً أوجع قلبها :

_براحتك يا داليدا !!

ثم تركها، واتجه إلى الباب، فتحه لتقابله فريدة الثائرة ومن

بعيد في نهاية الرواق أحمد واقفاً منتظراً !!

فخرج إليه دون أن يحفل لفريدة التي كادت تحرقه بنظراتها

!!

وقف مقابلاً لأحمد الذي قال بهدوء ورزانة تليق به :



_انا مش هتكلم ولا هقول حاجة دلوقتى .. انا بس هاخود
داليدا وامشى ... "حالياً" ... لحد الأمور م تهدى وتستقبل
ابنك إالى ملهوش ذنب فى حاجة ، لكن لينا كلام تانى بعد
كده !

وقف أدهم أمامه متصلباً ولم يقوى على مجادلته أو حتى
الإعراض !!

وأحمد لم يكن ينتظر منه تعقيباً، بل بمجرد أن أتت داليدا
بصحبة فريدة من الداخل سحبها إليه، وأحاطها بذراعه
بحمائية تحت أنظار أدهم الذى تعلقت عيناه بعينيها اللتان
ابتسمتا له مرة أخيرة قبل أن يأخذها أحمد ويرحل...!
ربما نهائياً !

ووقف هو مكانه محتاراً، عاجزاً .. خالى الوفاض !



وجد نفسه دون إرادة فعلية يتجه إلى الأسفل، تحديداً حيث
كانوا مجتمعين جميعاً، وابنه المزعوم لازال بين أحضان أمه
!!

وقف أمامهم وحيداً بعد رحيلها، كل الأنظار معلقة به
منتظرة رد فعله على وجود ابنه !!
لكن أى ابن ذاك الذى لا يعرفه ..
لا .. يعرفه !!

وهو الذى كان يتساءل عن ماهية ذاك الشعور الذى
يجتاحه حين تأتى داليدا بذكر جنينها الذى خسرتة فى زيجتها
الأولى ... الآن فقط فهم .. لكنه لم يتقبل الأمر !!
والفرق بينهما عظيم !!

ورغم عدم إلمامه بتفاصيل الحكاية كاملة، لم يحاول حتى
سؤال أحد عن أى شئ .. بل لملم شتات روحه أو المتبقى منها
ورمق الباب الذى خرجت منه داليدا لتوها، ثم عاد للطفل
الذى كان أسرقده حمله وأتى به إليه ..

رمقه أدهم بنظرة مهمة، ولم يحاول حتى لمسه !
وبمقارنة بسيطة عقدها عقله، كانت مجحفة جداً في حق
طفله ..

استنتج أن هذا "الطفل الذى لا يعرف عنه شئ ويدعونه
بابنه" .. هو سبب ابتعاد "داليدا زوجته" التى لم يعرف
غيرها زوجة ولا صديقة ولا حبيبة !

وتلك الخاطرة تحديداً كانت أكثر من كافية لتركه معلقاً بين
يدى أسرثم أولاه دبره ورحل عنه بكل بساطة!!!

=====

بعد انتهاء اليوم المأساوى والذى كانت بدايته تختلف
وتتناقض بشدة مع نهايته المأساوية .. عاد كلٌ إلى بيته !!

فارس اصطحب زوجته وأمه وأخيه وعاد إلى بيتهم الجديد !

بينما عادت عير مع أولادها الذين لم يحاولوا حتى محادثتها
عن الأمر باعتبار خطأها أمر مفروغ منه ولكن وحده أسر من
كان يحاول جذبها من حالة الكآبة التي تلبستها !

واصطحب زين أخته ووالدته وعاد بهما إلى بيته !!
وتحديداً بعد ساعة ونصف من وجود منة مع أمها .. لم تقو
منة على كبت كل ما تعاني منه منذ مدة، خاصة مع معاناتها
مع الحمل، فراحت تحكي لها كل ما كان يحدث معها وكل ما
كابده !

ولم تدرب ذلك الذى كان ماراً بالصدفة من أمام غرفة
الجلوس المجتمعان بها واستوقفه حديثها، فلم يبرح حتى
سمع كل حديثها وعرف بأمرها كله!



اقتحم زين الغرفة فجأة فابتلعت منة حديثها من فورها
وصمتت، بينما وقف زين أمامها بملامح لا تنبئ بخير وهتف
بها :

_ولما انتى بيحصل معاكى كل ده طول الوقت ده مبتتكلميش
ليه !!...افهم بس عشان اعرف اتعامل !

تداركت منة ملامحها المتفاجئة وجادلته بعقلانية :
_طيب بما انك سمعت كل حاجة .. فأكيد فهمت انى مش
عاوزه اتكلم عشان معملش مشاكل .. كفاية إالى احنا فيه !
_وهو إالى احنا فيه ايه وإالى انتى فيه ايه !! ما كله بيصب
ف بركة واحدة !

_يا زين متعملش مشكلة من غير سبب و خلاص .. مؤمن جه
انهارده وكان عاوز يقابلك وطلع سلم على جدى بس انت
إلى مكنتش موجود .. مؤمن مغلطش واللى عمله معايا انا
راضية بيه، من فضلك متكبرش الموضوع !



حديثها بدأ يحمل نوع من الضيق .. لكن زين لم يستوعب،
بل أخذته حمائته لها بالغضب فقال بهدوء ظاهري،
متوعداً في باطنه :

_ ماشى ماشى .. مش هوهيجى يا خدك، ابقى المحك طالعة
معاها من هنا يا منة .. لما يبقى يعرف قيمتك الأول أبقى رديله
!

وقفت منة أمامه محتدة ورغم غضبها لم تستطع رفع
صوتها عليه حتى بل قالت بهدوء :

_ استهدى بالله يا زين ... الموضوع عدى عليه فترة، وقوفك فى
وشه بعد إالى عمله انهاردة مش هيكون ليه اى معنى!

_ واللى كان بيعمله معاكى هو إالى كان كويس !!
زعقة غاضبة ندت عنه، فأغضت منة عينها بصبرٍ بدأ
ينفذ، قبل أن تهتف به :



_ انت مش هتمنعنى انى ارجع بيت جوزى يا زين .. انا حامل

لو مكنتش عارف ومحتاجة ابو ابنى جنبى!

صيحة استنكار غادرت حلقه، قبل أن يعقب ساخراً :

_ و اراهنك أن ابو ابنك ده ميعرفش عنه حاجة !!

وإطراق منة برأسها كان أكبر مؤيد على حديثه .. فتهد وقال

بهدهوء راقماً أمه الصامته من أول الحوار:

_ متخليهاش تمشى يا ماما .. ومؤمن لما يجى انا ليا كلام تانى

معاها !

لم تعقب أمه فهى الأخرى لم يعجبها ما حدث مع منة، ورغم

أنها ليست راضية عن زين بالشكل الكامل هذه الأيام لكنها

مع ما يريده تجاه منة، فأومات دون حديث ..

فى حين رمق زين منة مرة أخيرة وقال :

_ انا مش محتاج اقولك متصغرنيش قدامه .. انا هجبلك

حقك مش هبعدك عنه نهائى .. رغم انى عاذره لأن الموضوع



كان صادم ليه وانا عارف ده ، لكن انتى مكنش ليكى ذنب ..
وانا مش هتهاون فى حق اختى يا منة !
ومن ثم .. تركها خلفه وذهب ليرى معضلته الخاصة !!
أما هى ... فلم تفسر ما حدث إلا بأن "زين قد عاد" !!
وعودة زين دائماً مقترنة بوجود فريدة !!

====

ربما هو "سرّ حربى" !!
نعم هو سرّ حربى لا يصح الإفصاح عنه، ذاك الذى يهمس
به مصطفى لابنته منذ أتى وضمها بين أحضانه !!

رمقه فارس من بعيد فى جلسته المكشوفة من باب غرفة
الجلوس مع ابنته بعينين ضيقتين .. "ماسة" التى كان
يشتاقها بقدر اشتياقه لهم جميعاً !!
راقبه وهو يهمس لها بكلماتٍ سرية لا يعلمها أحد ..



لكن درة التي تعلق بذرعه فجأة اجفلته وأخرجته من دور
الجاسوس الذى كان يعتنقه فى سبيل معرفة ذاك السر
الذى يفشيه مصطفى لابنته !

_يا بنتى انتى بتيجى فى أوقات غلط ليه ؟!
همس لها مغتاضاً، لكن ملامحها المبتئسة التى قابلته جعلته
يعبس وهويشاكسها بقوله :
_لا بقولك ايه .. انتى هتبدى فى دور الزوجة النكدية ده
بدرى بدرى ولا ايه ؟!

انحنت عيناها ببؤس مضاعف، بينما هتفت به بفتور :
_انا زعلانة عشان أدهم ويحيى اوى !

وجملتها اتبعها بقبلة رقيقة على جبينها مع قوله :



_والله كلنا زعلانين عشانه، بس مفيش فى ايدينا حاجة .. هى
المسألة مسألة وقت وكل حاجة هتتحل !!

ابتسمت فى تبدل سريع للإنفعالات أوجسه وجعله يهمس :
_سلام قولاً من ربِّ رحيم !! انتى مسكونة يا بنتى !
_لا انا بحبك !!

بشقاوة همستها وبشكلٍ مشابه للسر الذي يفشيه مصطفى
لابنته .. ولأول مرة لم يستوعب .. لكن عندما تمعن فى معنى
الكلمة عبس، ولكن عبوسه كان جدياً وهو يهمس بالمثل :
_مش مضطرانى اقولك مش بحب الهزار فى الحتة دى
بالذات !

هزت كتفها وردت بدورها :

_وانت كنت مين قالك انى بهزرو فى الحتة دى بالذات !!!
وتعقيبها لم يكن حديثاً، بل كان "نظرة ذات تأثير قُبلة" !!



لون أحمر قانٍ غزا وجنتها، فزفر فارس زفرة حارة، قبل أن
يشيح بوجهه عنها قائلاً:

_ انا مش عارف انتى بتحيى كلام عجيب فى أوقات وأماكن
عجيبة .. يا بنتى اصبرى لما نطلع فوق .. اصبرى يا ماما !!!

وبنهاية حديثه كان يربت على وجنتها بتحذير خشن،
فضحكت درة ضحكة خفيضة افتعلتها خصيصاً كي تدارى
ارتجافها الذى ما زال خوفها مصدره حتى الآن لكنها تجتثه
من جذوره بقوة !!

شعر فارس بها، فضمها إليه بهدوء، مربتاً على رأسها برقة
هامساً:

_ متخافيش !!

_ انا مش خايفة .

وإجابتها كانت واضحة حين رفعت وجهها، ترمقه بعينها
الواسعتين كبحر بلا شطآن .. لكن هذه المرة لم يحاوب

نهائياً .. لا حديث ولا نظرة .. بل سحبتها خلفه نحو جناحهما
بالأعلى مرجئاً الإجابة بالأفعال إلى أن يختفوا عن الأنظار..
وبالفعل أتم ما أراد .. حتى أنه نسي "السرا الحربي" الذي كان
مصرأً على التجسس عليه منذ قليل !!!
بل إنه حتى نسي من يكون مصطفى وابنته التي تندس بين
أحضانها منذ أتى !!!

.....

بعد قليل ..

فرت درة من بين يديه كغزالٍ هارب بمجرد أن تعمقت
قبلاته، وتجرأت لمساته قليلاً !!
عبس فارس الذي كان جالساً على طرف فراشه، ونظر لها
نظرة مبتئسة هاتفاً بغیظ :
_ في ايه يا ست انتي !! ..



وضحكها جاءته شقية، فمحت أى أثر لتذمره، لكنه ظل
عابساً وهو يراها واقفة أمام المرأة تزيل عنها خمارها الذى
تشعث يفعل يديه ورغم ذلك لم يستطع فكه، فضحك
فارس وهو يتكى على السرير من خلفه هاتفاً :
_ايوا صح يا درة انتى بتثبتى خمارك بأيه .. ده ولا كأنك
ماسكاه ب"جبس" على راسك !!

وجوابه كان ضحكة أخرى منها انخنقت فى حلقها ما إن
تلاقت عيناها بعينيه، ولمحت مظهره خلفها فى المرأة وهو
متكئاً على الفراش هكذا عارى الجذع !!

سحبت خمارها ببطء عنها ووضعتة على طاولة الزينة،
وقالت بمرح حاولت به تبديد موجة الإشتعال التى غزت
الغرفة فجأة :



_ده عشان التدخلات العدوانية زى إالى حصل من شوية
كده !!

وضحكته التى انطلقت بعد جملتها لم يكن جو الغرفة
ينقصها، مطلقاً !!!

ولا حتى نهوضه بخفة، متحركاً بقدمين حافيتين فوق أرض
الغرفة .. حتى وصل إليها، فوقف خلفها أمام المرأة،
وصورتها التى انعكست أمامها جعلتها ترى أن ما يجمعهما
شئ جوهري جداً .. بل إنها حتى رغم رفضها المتكرر له سابقاً
لم ترى نفسها سوى معه ولا تتخيل أنها من الممكن كانت
ستناسب سواه !!.. ولا سواه سيناسبها !!

قبلاته التى نثرها بخفة على جانب عنقها المكشوف له بتبتل
عاشق جعلتها تغمض عينها للحظة !!

وتلك اللحظة كانت أكثر من كافية لتستسلم له مجدداً ..
وبكليتها !!

...

بعد وقت طويل .. كانت درة مستكينة جواره في سباتٍ عميق
.. فألقى عليها نظرة أخيرة، قبل أن يقبل جبينها مبتسماً!
تلك البسمة التي تلاشت فجأة وهو يلتفت إلى هاتفه يضبط
التنبيه على وقتٍ مبكر قليلاً!!
فقد اتخذ قراره .. وسيذهب!!

ربما لقاء كهذا لن يعود عليه بنفع، بل وسيستنزف من
روحه استنزافاً .. لكن لابد له أن يخوضه!!

====

رغبتها في أن تكون أم هو يتفهمها؛ لأن هذه فطرة!
أما دوره الذي تريده أن يؤديه فهو ليس له معنٍ سوى أنه
"فرس استيلاد"!!

كان حديثهما المسائي كله متمحوراً حول الأطفال ..

وللمرة الأولى يدرك معنى ما كان يحدث كل يوم .. ويدرك
معه أنه ما كان سوى مغفل!!!

"الاطفال حلوين اوى" ..

"شوفت آدم ابن حلا كان بيعمل ايه"

"وماسة وإلى عملته ف مصطفى اول ما شافته .."

"ولا حتى يحيى .. صعبان عليا اوى ، واضح ان أسركان
دايما معرفه بوالده لكن أدهم حتى مبصلهوش وسابه و
مشى!"

"منة حامل .. بس لحد دلوقتى مش راضية تقول لحد!"

أم .. هى أم بالفطرة وما خلقت إلا لتكون أم .. ربما هو
متفهم لنقطة كهذه !



لكن تلك الأم لابد أن تدرك أنها يتوجب عليها المرور بمرحلة
الزوجة أولاً، لكن رنيم تختصر الأميال الطويلة إلى بضع
أمتارٍ من اللهفة !

ثثرة طويلة كانت تخصها !
و.. ضحكة ..

تلك التي كانت تخصه !
تبسمت تلقائياً، وضمت حاجبها تنظر له باستفسار.. فرد
بمرح لا يناسب والحزن الدفين في عينيه :
_بتتكلني يامة يا رنيم!

بسمتها اتسعت، ووازت اتساع عينها مع قولها :
_من اول م بدأت اندمج مع العيلة وانا بقيت "رغاية" .. كأني
بعوض كل السكوت إلى كنت فيه !!.. بس والله صعبوا عليا
اوى انهاردة .. أدهم والطفل ملهمش ذنب في كل ده!



صمت ولم يعقب، لكن نظراته كانت تلاحق ملامحها بجدية
غريبة .. فهتت ابتسامتها واستكانت تنظر له في توجس .. إلى
أن نطق معاذ بعد فترة طويلة :

_عاوزه تخلفى يا رنيم مش كده ؟!

هزت كتفها، وبابتسامة منقوصة تتلاعب بشفتيها في تردد
قالت بفتور :

_ومين مش هيبقى عاوز يخلف !

جدية ملامحه لم تتبدل، بل تحولت لعبوس، لم ينفك حتى
وهو يجذبها إليه لتستلقى وهو يشرف عليها من علو .. ثم
ابتسم ابتسامة لم تجد صداها لا في عينيه ولا في قلبها، لكنه
لم يقول أى شئ بل شرع في تنفيذ ما تريد، مع أنه يشك إذا
كان سيؤتى ثماره !!



تفاجأت رنيم بإقباله عليها، لكن العلاقة بينهما لا تعرف
سوى الإنصهار، فسرعان ما ذابت بين ذارعيه وتشكلا كياناً
واحداً ...

بعد وقتٍ طويل .. ورحلة كانت بمثابة نزهة قصيرة عن
واقعه المرير... رفع معاذ وجهه عنها، مشرفاً عليها من علو...
ومن بين تنفسه الثائر همس برِدٍ متأخر على جملتها الأخيرة :
_ يبقى لازم تختارى يا رنيم !!

لأول وهلة عقدت حاجبها بعدم فهم، ورفعت أناملها نحو
وجهه تتعقب ملامحه بخفة مع همستها الضائعة باسمه ..
لكنه استطرد موضحاً :

_ لازم تختارى بينى وبين الطفل إلى انتى عاوزاه وملهوفة
عليه عشان يجى .. لازم تختارى لأن انا وهو عمرنا ما
هنجتمع أبداً !!!



توجسها بلغ مداه، وتنفسها الذى ما كاد يسكن حتى عاود
الإرتفاع بوتيرة متوترة هذه المرة، ونظرتها الخائفة التى
رمقته بها سبقت قولها الخافت، المتعثر:
_تقصد ايه يا معاذ..

فغرت شفتيها ونفس مرتجف أفلت من بينهما، قبل أن تمس
بصوتٍ ضائع، بالكاد سمعه :
_تقصد أنك

ابتسامة بطعم العلقم لونت شفتيه، همس بعدها وهو
يومئ برأسه مؤكداً حديثها الذى كان يدميه حين نطق به :
_ايوا ... انا مبخلفش !!!

وبقت الإجابة معلقة بينهما، بعدما تجمدت إثر موجة
الصقيع التى احتلتهما رغم الحرارة التى كانت تصهرهما معاً
منذ قليل ... تلك الموجة التى جمدت حتى ذرات الهواء !!!!

الفصل الرابع والثلاثون

=====

إلى أحدهم ..

حين اعتدت الصمت لم انتظرك أن تعيد لي صوتي، عداد
الوقت كان يمشي ودوى الصمت في اذنيّ على أوجه .. وحين
اهديتني صوتي اهديتني معه موجة .. موجة غطت على
الاخضر واليابس !!

=====

إنه الصمت ..

ذاك الصديق غير المقرب مطلقاً، لكن من منا لم يتصنع
وشيخة قوية بينه وبين الصمت وقت الشدائد ؟ فلاذ به
حين اشتدت به الكرب، وعبرت الكلمات حدوداً خلف
شفتيه لن يستطيع الإنسان الوصول لها من خلفها !!
ورنيم لم تكن استثناء !!

ذاك الطنين الذى احتل الغرفة بعد قنبلته التى فجرها ليلة
أمس تورع عن مغادرتها حتى حين أشرقت الشمس وامتلئت
الغرفة بالضّي !

كان الصمت الذى من قبلها لا يقابله إلا ابتسامة ساخرة
من قبله مُحيت بمجرد أن أولته رنيم ظهرها دون النبس
بينت شفه، ودون تعقيب على ما قال نامت أو تصنعت
النوم حتى حل الصباح ومن الواضح أن الكرى لم يكن
ضيفاً مُرحب به مطلقاً هذه الليلة !!

استل معاذ نفسه من جوارها بخفة متوجهاً بقدمين
حافيتين على أرضية الغرفة نحو الحمام الملحق بها .. وإن
ظن أنها لم تشعر به فكان مخطئاً، فقد شعرت ورَفَّت عينيها
الذابلتين إثر السهر!

وكان ذلك أول رد فعل آدمى صدر منها بعد حديثه ..



ربما معاذ يكذب !!.

ربما قال لها هذا ليتبين مكانته عندها؛ خاصة وأنها ليست غافلة واستشعرت ملاحظته لهوسها بالطفل مؤخراً .. لكن الأمر عندها كان وكأنه مسلم به، معاذ سيتفهم كما يفعل دائماً، لكن يبدو هذه المرة أن كرامته قد أعلنت الثورة والعصيان، والمظاهرات السلمية التي ظنتها في عينيه قد استحالت عدواناً كاملاً!!

وكيف يكذب في شأن كهذا؟! .. ألا يعلم أن الأمر عندها شديد الخطورة؟!

لكن لحظة !

كيف لها أن فرضت احتمال كذبه وصدقته، ربما لأنه الأقرب والأنسب إلى ما تريد!

وربما أيضاً هو لا يكذب، فبمقابل أن لا دليل على الاحتمال الذي فرضته، فكل الدلائل مع ما يقول !!



كيف لم تحمل بين احشائها طفلاً بعد الزواج الذى دام كل هذه الفترة إلا إذا كان بالفعل معاذ لا يُنجب !

كيف أنها فحصت نفسها لدى أكثر من طبيبة نسائية وجميعهن اجمعن على أنها ليس بها عيب وسألوها أكثر من مرة أن تجعل الزوج يتأكد من قدرته على الإنجاب !! وكل هذا يثبت أن معاذ لا ينجب !

كيف تكذبه هو .. وهو الذى كان الحزن يملء عينيه ليلة أمس .. حتى اقترابه منها كان غريباً؛ وكأنه يثبت لها بالدليل أن ما تريده مستحيل حتى لو اتخذنا كل السبل المتاحة لذلك !!

الأمر معقد !

والآن سواء إن كان يكذب أم لا هى عليها الاختيار ..

بين أن تكون أم ..

وبين أن تكون زوجة، زوجة معاذ فقط !!



وهنا حضرتها كل ذكرياتهما سوياً، والتي كلها كان معاذ فيها
المانح والمعطى بغض النظر عن الموقف الأخير بعد زواجهما
الفعلى فى شقتها وتركه لها مدة شهرين دونما حديث ..
معاذ دوماً كان معها .. دعماً وسنداً فهل ستتمنع هى عن
فعل المثل وقت احتياجه لها !؟

هل ستتخلى عن أمومتها من أجله ؟!
ومر الوقت دون إجابة، وبقي السؤال معلقاً !!

بعد قليل .. خرج معاذ من الحمام مرتدياً كامل ثيابه،
ومستعداً للذهاب لعمله، لكن ملامحها كان بها شئ متغير!
بعض الجمود قد طغى فوق تقاسيمه، وبعض الجليد قد
اكتسى عينيه !!

كان يقف أمام المرأة يمشط شعره بطريقة آلية، حين
اصطدمت عيناه بهيئتها المتكومة خلفه تحت الغطاء،

فازداد الجليد تكديساً فوق عينيه، وحين انتهى أخرج قلماً وورقة من جاور قريب وأخذ يدون شيئاً فوقها، إلى أن تركها ووضعها فوق طاولة الزينة وزجاجة عطر فوقها، وترك الغرفة بأكملها !!

حينها .. اعتدلت رنيم في جلستها وواجهت هيئتها الفوضوية المشعثة في المرأة وكم شعرت وقتها بأنها أمام أحد لا يشبهها !!

للحظة .. سول لها شيطانها طلب الطلاق وتركه وسيكون معها كل الحق في ذلك إن كان على علم بالأمر قبل الزواج ولم يخبرها !!

لكن شخصية معاذ شديدة الصراحة والوضوح كورقة بيضاء حالت بينها وبين تفكيرها السودوى وأعلمتها أن معاذ لو كان يعرف لكان أخبرها !!.. فعدلت عن تفكيرها وعادت لحيرتها مرة أخرى!

حيرتها بين أن تتخلى عن من وقف جوارها في عز أوقاتها
ضعفاً واحتياجاً، وبين أن تتخلى عن أمومتها من أجل نفس
الشخص !!

وكأن هناك وجه مقارنة بالأساس !!؟

وأخيراً .. وقعت عيناها على الورقة المطوية وتعبير الهلع
الذى بان على مُحياها لم يتناسب مطلقاً وهيئة مجرد ورقة
مطوية .. كانت في عينيها وحشاً سينهشها !!

=====

أكثر ما يكرهه في التكنولوجيا الحديثة هي عدم إلمامه بما
يحدث خلف الشاشة التي يتخفى خلفها الطرف الآخر ..
ومنة ليلة أمس جسدت كل ما يكره !!

فهو كان في طريقه إلى بيت أهلها التي أعلمته ليلة أمس أنها
ستبت فيه لكنها لم تذكر أى شئ عما حدث مع زين ..

وحدس خفى داخله هو ما جعله يوقن أن هناك ما يدور
خلف ظهره !!

وصل إلى بيتها وترجل من سيارته مسرعاً دون الحاجة
لسرعة فمنة لن تطير مثلاً .. لكن لهفته عليها وخوفه عليها
فى آنٍ واحد من أن يمنعه زين عنها وأن يكون قد علم بما
يحدث بينهما منذ شهور ..

وبالتأكد الوضع من منظور منة سيكون مأسوياً بشكل
سودوى !!

إصبعه ارتفع نحو الجرس بشكلٍ مزعج ولم ينخفض حتى
فتح زين الباب وواجهه بملامح غير متساهلة !!

_عاوز منة !!

قالها متحفظاً .. فارتفع حاجب زين كرد فعل دون حديث ..

قبل أن يهمس في نفسه بغيط :

"والله منة دى هتشلنى قريب .. حالاً حالاً ما راحت قالتله ..

اتعزى شوية يا بنت آدم !!"

لكن عوضاً عن حديثه النفسى عن منة قال بهدوء :

_اتفضل يا مؤمن !

انتصب مؤمن أمامه بجدية وقد شعر أنه بدأ أن يظهر نفسه

أحمقاً أكثر من اللازم .. فالتزم الحيادية وتقبل دعوته بشكلٍ

مهذب .. ودلف حتى جلسوا سوياً فى غرفة الجلوس ، فبادره

مؤمن بالحديث :

_انا جاى اخود منة !

_اعذرني بس منة هتقعد عندنا كام يوم .

شمخ وهو يرد عليه وارتفع ذقنه فى إشارة واضحة على

اعتراضه .. حينها انحنى كتفى مؤمن بعزيمة فاترة وقد علم



أن ما يحدث بينه وبين زوجته قد انتقل إلى أخيها من وجهة نظرها هي فقط !!

وطبعاً إن ظل يتحدث من الآن إلى سنة ضوئية قادمة عن حقيقة شعوره وأن الأمر كان صادماً له وخارج عن إرادته فزين لن يستمع إلا لوجهة نظره وفقط !!

لذلك اختصر الطريق على نفسه ووفر إهدار جهده على مجادلات عقيمة لن تجدى مع عقلية زين وقال بهدوء :
_يعنى عاوز ايه ؟!

_مش عاوز حاجة والله .. وواضح جداً انك فهمت، فأنا اختى فى بيت أبوها معززة مكرمة لحد انت ما تاخود وقتك و تستوعب الأمر إلى مش عاوز تستوعبه ده وتضبط اعصابك وبعدين تعالى خودها !

_يا زين انا مش عاوز ادخل فى جدالات ملهاش لازمة .. اذا كانت منة قالتلك حاجة فاستنى لما تسمع منى الأول .



_منة مش محتاجة تقول يا مؤمن .. انا عارف أن اختي مش
مضبوطة من فترة بس انا إالى كنت مشغول عنها واعترف
انى كنت غلطان .. لكن انا مش هكمل فى غلطى واسمها للى
هى فيه .

_انت عارف انى مجتش على منة فى حاجة .. وإلى حصل ده
كله بسبب اللى عرفته وإلى انت كمان عارفه كويس عن
الى حصل مع ذكرى .. مراتك يا زين !!

وكلمته الأخيرة كانت ثائرة، كزعقة عالية .. جعلت ملامح زين
تتشنج للحظة، وشعور غادر بالذنب عاود فرض سيطرته
على كامل إحساسه، لكن بقوة جابهه ووضع نصب عينيه
صورة فريدة .. لكن حتى مجاهدته لشعوره لم تؤتى نتائجها
..

ليس الآن ..

ليس وهو ينظر لملامح مؤمن، ويطالع عينيه اللتان تشبهان
عينها بشكلٍ أو بآخر..

وشعوره دفعه لحديث خرج غير مترابط لكنه كان غاضباً :
_مراتى ماتت ومحدث فينا ليه ذنب فى ده .. ومنه انت فاهم
كويس انها ملهاش فى الحكاية كلها .. كون أنك تدخلها فى
حكاية هى ملهاش فيها يبقى ده غلط منك يا مؤمن .. انت
معملتش بوعدك ليا انك متحطش إالى حصل مع ذكرى فى
مقارنة بحياتك مع منه .. لكن ده تحديدأ إالى عملته و
وقفت حياتك مع منه على إالى حصل قبل كده .. وانا مش
هأمن على اختى مع واحد خاين للوعد .

استقام مؤمن واقفاً أمامه بملامح اتسمت بكل الغضب
الذى لا يعرف تمييز .. وكل الذى كان يقال كانت منه تستمع
له وهى متخفية خلف باب المطبخ .. وسمعت ما قاله مؤمن
بعدها وهو ينظر لزين نظرة سوداء جعلت عينيه تظلمان
على ظلمتهما :

_واحنا كمان أمناك على بنتنا وكانت النتيجة انك اخدتها و
رجعتلنا جثة !



وكرد على ظلمة عينيه أظلمت عينا زين وأصبح لونهما قاتماً
كلما تلون بمشاعره العاصفة ..

وكل خطوة خطاها نحو فريدة أعاده مؤمن عشرة بمقابلها!
رفعت منة كفها نحو وجنتها وفغرت شفيتها بصدمة رغم أنها
لم ترى تعبير زين في هذه اللحظة !!

_اختك عندك زى مانت عاوز .. بس لو انت شايف ان إالى
أنت عملته فى اختى يتقارن باللى بيحصل بينى وبين اختك
يبقى انت فعلاً غلطان !!

ثم تركه ليخرج من الغرفة دون أن ينسى أن يلقي على زين
نظرة أخيرة جعلت الأخير يشعر بأن السحر قد انقلب على
الساحر !!

أى جدال بينه وبين مؤمن بالتأكيد سيصاب بالعقم .. ولن
يثمر عن أى نتاج جيد ..



كل منهما لديه ما يجرح الآخر من الأعماق ..
كل منهما يحمل خنجره خلف ظهره مستعداً لطعن الآخر به
دون لحظة تردد !!

وقف زين هو الآخر وخرج خلفه .. وحديثه استوقف مؤمن
في منتصف بهو البيت :
_تعرف أن مراتك حامل ؟!

ومن تصلب ظهره وتشنج قبضتيه علم أنه قد أصاب الهدف
..

نظرة واحدة من مؤمن نحو باب المطبخ مكنته من ملاحظة
عينها اللتان كانتا تتابعان الموقف من خلف باب المطبخ
كعيني قطة ... لكن عينين خائفتين، ممتلئتان بشعورٍ من
الذنب تجاهه، وغيظ من زين لتدخله في أمر الحمل وكشفه
على هذا النحو وكأنهما في مباراة أيهما سيجرح الآخر أعمق !



نظرة مؤمن شلتها مكانها، وجعلتها غير قادرة حتى على
تحريك قدميها والخروج إليه وكلمته التي ألقاها إلى زين
بينما عينه في مقابل عنينا أكملت الموقف المؤلم :

_لا معرفش .. مانا زوج فاشل بقى !!

ومن ثم .. تركه ورحل !!

حينها تهاوت منة على الأرضية خلفها واستندت برأسها إلى
الحائط المجاور للباب ... لم ترد للوضع أن يتأزم أكثر من
ذلك .. وكانت على استعداد تام لأن تتهاون في حقها لأجل أن
يتساوى الوضع مع مؤمن خاصة بعد مبادرته الأخيرة .. لكن
كل الذى حدث الآن أعادها إلى نقطة أبعد من الصفر بقليل
!!!

أما بالخارج ..

شعر زين بأنه أن ترك نفسه لحديث مؤمن سيعود لنفس
النقطة التي عادت إليها منة الآن ..

فسحب نفسه بصعوبة وتوجه نحو غرفته ناشداً حديثها
الآن كي لا يقع في هوة يعرف نفسه إن استسلم لها لن ينحو..
بل سيلوذ بالغرق ويستطيعه !!

وصل إلى غرفته ودلف يبحث عن هاتفه كمن يبحث عن
ترياق لسم قاتل .. وبالفعل وجدته، فلم يتوانى عن الإتصال
بها ..

وما هي إلا لحظة كان بها واقفاً أمام نافذة غرفته حين
فتحت هي الإتصال !!
ونشيج بكائها الصامت كان هو المقابل له !

_"الحالة" تانى !!

بابتسامة ميتة قالها .. فقابلته بكائها أيضاً .. فصمت منتظراً
أن تنتهى مما هي به .. ولم يسألها عن سبب زيارة "الحالة"
لها هذه المرة فبالطبع لن تجيب !!

بعد قليل..

كانت فريدة انتهت من بكائها وانفكت عقدة لسانها
المستعصية، وبدأت في الحديث بصوتٍ مبحوح :

_عاوز ايه ؟!!

_يخربيت مقابلاتك الجميلة دى !

كان يريد المرح ولو بقدر ضئيل ينسيه ويلهيه عن الألعاب
النارية التى تعصف فى رأسه .. لكن ما خرج منه كان باهتاً،
كئيباً ..

فزفرت فريدة على الطرف الآخر وكتفت مرفقيها فوق سطح
مكتبها وقالت بنبرة كئيبه تشبه نبرته :

_هات الى عندك اصل انا ناقصة كآبة من كل ناحية !

_مفيش .. حببت اسمع صوتك بس .

_مش لايق عليك الرومانسية .. انا عارفة ان فيه حاجة
هات من الاخر قولت .



_والله ما في .. منة بس عندنا ومتخانقين .

حديث مموه ... لكنه لم يفوتها !!

منة زوجة مؤمن .. مؤمن أخو ذكري .. ذكري زوجة زين .. ألا

يعلم أنه مكشوف بشكلٍ يثير الشفقة !!

_ان شاء الله يكون خير .

_خير .. خير .

وكلمته من المفترض أنها كانت تأكيد على الخير الذي يحدث

.. لكنها عكست الوضع المأساوي بدقة مرآة لامعة!!

_عاوز اشوفك !

طلبه كان بسيطاً .. لكن الظروف التي تمر هي بها لم تكن

بسيطة بالمرّة ..

فعملها الذي أصبح شاقاً عليها نفسياً من جهة ..

ووضع داليدا الذي لا يسرها من جهة ..

ووضعها هي مع زين من جهة ..

كل الظروف تطبق عليها وهي لم تعد تحتل !

_وانا كمان عاوزه اشوفك .

وتلك كانت إجابة وتبادل رغبات بينهما، لكن هناك شئ زائد
بالنسبة لها .. وهو شعور بأنها لو ربما وضعت أسلحتها جانباً
واتخذت استراحة محارب لبضع لحظات لن يضرها في شئ
!!

لربما تحولت تلك الاستراحة لإستقالة كاملة من الحرب !
ولربما رفعت العلم الأبيض أخيراً واستسلمت !!

_هعدى عليكِ انهاردة بعد معاد شغلك .

_هستأذن من أحمد الأول !

هنا عقد حاجبيه !!

ارتياباً ربما .. وربما هو يعجز عن استيعاب "فريدة
الجديدة" التي قررت استعادة "زين القديم" !



_ ماشى .. تبقى اتصلى عليا قبل ما تطلعى .

_ حاضر .. مع السلامة !

_ سلام !

وأيन السلام بينهما يا ترى ؟!

هو نفسه يحاول أن يرى أى بادرة سلام من الطرف الآخر فى

الحرب .. ويحاول جاهداً أن يبعث المتحدثين الرسميين

المتمثلين كلهم فى قلبه طلباً لهدنة أو استسلام كامل ..

ويخشى أن يرفض الطرف الآخر ..

لكن مالا يعلمه أن الطرف الآخر قد بدأ فى الدخول إليه من

ثغراته لاستعادة وطنه القديم !!!

=====

حين أفاقت صباحاً .. كانت مبتسمة بتلقائية دون الحاجة

لسببٍ أو محفز!

مجرد ذكرى لقائهما الذى كانت نسبة خوفها فيه تكاد تكون
معدومة وحقيقة أنها تتجاوز مخاوفها جعلها تريد الابتسام
بل الضحك عالياً !

لم تجده بالغرفة، فعلمت أنه قد ذهب دون أن يوقظها
فأخذت حريتها كاملة ..

تجولت داخل الغرفة مرة بعد مرة دون هدف معين .. إلى أن
وقف أمام المرأة وقابلت المرأة التى تظهر أمامها ملتفة بغطاء
السريـر حول جسدها !!

ضحكة عالية غادرت حلقها .. اتبعها بأخرى ثم ابتسامة
خبيثة بعض الشئ عضت على شفـتها تكبحها قبل أن تتجه
نحو الخزانة وتستخرج منها شيئاً !

نعم هى لن تصفه بأكثر من شئ حريـر صغير بـصدرٍ من
الدانتيل يُطلق عليه بالخطأ رداء نوم !!

أحمرت وجنتيها من مجرد رؤيته، فجعدته فى كفها ورمته
داخل الخزانة مرة أخرى فعاد إلى قاعها مدحوراً !!



أسرعت بالولوج إلى الحمام وقررت نسيان أمر "الشئ"
مؤقتاً !!

بينما على الطرف الآخر كان فارس في صدد معركة دامية مع
نفسه التي تؤنبه على وضع نفسه في مثل هذا الوضع !!

كان جالساً في مكتب أحد الضباط الذي توسط له حازم
عنده كي يستطيع مقابلة والده في مكانٍ ما وحدهما ليحدثه
بما يريد دون أن يتناثر الحديث هنا وهناك !
كان متوتراً بشكلٍ لم يكن عليه من قبل .. وخائفاً، ليس لأنه
سيقابل والده بل لأن ما سيعلمه من والده إما سيكون
قادراً على تحطيمه، وإما حجراً آخر في بناء علاقته مع درة!
ودخول درة في الأمر هو وحده ما يخيفه !!



مرت الدقائق بطيئة كدقات قلبٍ على شفا الموت، والترقب
الذى كان يملئه حول هذا اللقاء كان على أوجه ..

إلى أن شعر بالزمن يتوقف حين رأى أحد العساكر
يصطحب والده إلى المكتب ثم يتركه يدلف قبل أن يخرج
ويغلق الباب خلفه !

وقف فارس حالما رآه بهيئته الجديدة الرثة، وكأن وقوفه كان
بمثابة حداد على روح أبيه التى رحلت وتلبست بهذا الرجل
الذى لا يعرفه!!

نعم كان لا يعرفه .. لا قلباً ولا قالباً !

فهيئته الخارجية كانت لا تمت لهيئة أبيه الفخمة المترفة
بصلة، فقد الكثير من الوزن، ونحل وجهه بينما هناك ندبة
إثر جرحاً غائراً أعلى جينه بالتأكيد هى إحدى نتائج احتكاكه
بالمساجين وما إلى ذلك !

جلس أبيه أمامه بينما هو ما زال واقفاً مشدوهاً بعد..

_ ما تقعد يا فارس .. ايه إالى فكرك بينا ؟!!



وتلك الجملة خرجت من فم أبيه لا تمت لصوته كما كل شئ .. لكنه امتثل وجلس أمامه بملامح شمعية متجمدة، تأمله والده للحظات طويلة كان يفعل فيها المثل .. وودّ لو يجد أى شعور بالذنب كالذى كان يملء نظراته يوم ودعه فى المشفى ولحسرتة لم يجد ..!

ود لو رأى شئ .. أى شئ يظل على أبيه ومثله الأعلى لكنه كان جماداً، مصمتاً إلا عن تعبير غريب أقرب إلى السخرية !!
_ اكيد جاي عاوز حاجة ... مفيش حاجة هتخليك تزورنى بعد كل إالى حصل غير انك عاوز حاجة غير كده مكنتش هتيجى .. وبما أن انا معنديش حاجة اديها لك حالياً فأنت اكيد عاوز إجابة على السؤال إالى مجيرك وباين فى عنيك!!
نبرة والده كانت غريبة ... لكن على الرغم من ذلك كان قريباً جداً من ما يدور فى رأسه، وكأنه بالفعل يقرأ السؤال الذى يؤرقه منذ مدة على حدقتيه .. لكن فارس سأله بخفوت شديد بعدما بذل جهداً مضنياً لذلك :

_عامل ايه ؟!

رفع حسين كفيه يشير بهما إلى نفسه في إجابة واضحة
لسؤاله قبل أن يتسم ابتسامة قميئة وهو يقول :

_زي مانت شايف كده بس اكيد مش ده السؤال إالى
محيرك و جايبك لحد هنا يعنى !!

ازدرد فارس ريقه بتوتر لم يظهر على ملامحه، لكن الموقف
كان له تأثيره عليه، وبالطبع تأثير غير محمود فضلاً عما يدور
في رأسه ويزيد الوضع تأزماً !!

_مين عمل كده ف درة ؟!

سؤاله خرج خافتاً كسؤاله السابق ..

لا يعلم لما أصر على المجئ إلى هنا وطرح مثل هذا السؤال ..
ربما لرغبته -التي لم تهدأ رغم أنه يخفيها- في معرفة من فعل
هذا بدرة ولم يكتشفوه من يومها .. وكلما اقترب منها تقترب



سعادته بوصالهما بخوفٍ يماثل خوفها الذى يحاربه معها
أن يكون هو سبب غير مباشر فى ما ألمَ بها !..

ربما لأنه يوقن أن لكل شئ ضريبة، والضريبة التى دفعها فى
علاقته مع درة لم يظنها كافية وحده أخبره أن هناك شئ
يخفى عنه ..

ومجيئه إلى هنا تحديداً بحثاً عن جواب لودل على شئ فما
دل إلا على أنه فقد القدرة على التكهن بأى شئ يخص والده
!

هذا كان سؤاله والإجابة كانت من السهل الممتنع :
_انا !!

حينها هوى .. حينها تحطم .. حينها وقع ذاك البناء الذى
يشير إلى علاقته بدرة فوق رأسه وتحطم !!!

=====

كان الليل قد حل ..



وامتلئت السماء بالنجوم الذى يريد أن يقسم أنه يعشقها
بقدر الذى احترق منهم منذ بدء الخليقة !

راقداً على العشب فى حديقة البيت، واضعاً كفيه خلف
رأسه فوق تلك الوسادة التى أحضرها خصيصاً من غرفته
لينام فوقها هنا !!.. متخذاً من الأرض فراشاً ومن السماء
غطاءً له !

حاول الخروج عن الدوران فى فكلها قليلاً وإحراق نجمها
ليضمه إلى عدد الأنجم التى تشير إلى حبه لها على يرتاح
قليلاً لكنه يعود إليها مرة أخرى !

كيف لا .. وهى محور كل ما يدور الآن؟!
رغبة خفية داخله حثته على الإتصال بها رغم أنه يشك أنها
ستجيبه ..



لكنه بالفعل اخرج هاتفه من جيب بنطاله البيتي وهاتفها .

وثوانٍ معدودة ثم ردت :

_ايوا يا أدهم .

_وحشتيني يا داليدا !

لم يعلم أن إجابة ما قاله كانت ابتسامة فاترة منها وهي

تراقب ذات النجوم التي يراقبها هو ..

_وانت كمان .

_مش ناوية ترجعي ؟

سؤال ليس في محله، لكنه جلب ضحكة صغيرة لشفثها

فجعلته الأنسب تماماً !!

_انا لسه سيباك امبارح يا أدهم .

صوتها كان فاتراً، يعكس انطفاء عينيها التي ظلت طوال

أشهر تضوى .. فقال أدهم رغماً عن أنف عدم رغبته أن

يقص عليها شئ مما يحدث معه :



_ انا متخبط اوى يا داليدا .. دماغى هتنفجر من كثر التفكير و
محاولة انى افكر اللى بيتكلموا عليه وازاى حصل أن ده
ابنى .. مش عارف ابص فى وش الولد حتى .. مش قادر
استوعب وجوده .. حتى انى اخدت مهدئ من اول النهار
بسبب انى مش قادر على الصداق وعاوز انام .
كان طفل .. طفل يحكي لأمه مشكلة قابلته ويستعصى عليه
تخطيها !!

فهمست داليدا بنفس الابتسامة الشاحبة على شفثيها :
_ خود ابنك فى حضنك يا أدهم .. حس بيه، حط قدام عينك
أن ده ابنك انت .. بص فى ملامحه إالى نسخة منك واعرف
ان غياب ده إالى كان على طول مخليك تحس بحاجة
ضايعة منك .. حن على ابنك يا ادهم وبطل ضغط على
نفسك عشان متجيش نتائج عكسيه وحالتك تتراجع تانى !
حين انتهت داليدا من حديثها .. زفر أدهم زفرة طويلة، حرك
على إثرها عينيه نحو شئ يقترب منه فى الظلام ..



عقد حاجبيه حين تبين أن يحيى يقترب منه على استحياء
وبخطوات طفولية متعثرة .. لأول وهلة ابتسم وشعوره كان
كشعوره قديماً واستيعابه للأمر كان كلياً حيث اعترف في
نفسه أن هذا ابنه .. كان رد فعله على رؤيته تلقائي كما
اعتاد .. لكن حين تمعن في الوضع وعاودته ذكرى دخوله
المفاجئ عاد وتجهم وعقد حاجبيه !!!

_ ادهم .. ادهم انت لسه معايا ؟!

صوتها كان منقذاً له من الهوة التي كان سيغرق بها ..
فاستغفر ربه وأخذ نفساً عميقاً قبل أن ينظر للطفل الذي
وقف جواره مباشرة يتطلع فيه بعينه الزرقاوين !!
فعقد أدهم حاجبيه قبل أن يمد له يده في دعوة للجلوس
جواره بينما يحدث داليدا :

_ الواد ده بيجي على السيرة .. اول انتي ما قولتي لقيته جايلي

_ بالله عليك متكسرش بخاطره يا أدهم !



مط أدهم شفتيه بتعبير ممتعض قبل أن يجذب يد يحيى
إليه حتى اجلسه جواره وضمه إليه .. ثم قال لداليدا :
_ ده ابني انا مش ابنك انتى .. انتى بتدافعى عنه كده ليه .
_ عشان ده طفل ملهوش ذنب فى حاجة .. الأطفال أحباب
الله يا باشمهندس !

صوتها رغم أنه كان فاتراً لكن كان به لمحة من محبة .. كاد
يرد عليها بردٍ يليق بدورها الجيد فى الموقف .. لكنه لمح أسر
واقفاً على باب البيت من بعيد، فضيق عينيه ناظراً إليه
ورغم الظلام رأى أسر مبتسماً لم رأى تعامله مع يحيى .. فتهد
أدهم وهو يعود لداليدا بينما يمشط بكفه شعريحي الذى
ارتاح فوق صدره وكأنه ما كان مفارقاً له منذ ما يقارب العام
:

_ انا بحبك اوى يا داليدا .. ووجودك معايا ولو حتى بصوتك
فى اللحظة دى بالذات عندى بالدنيا كلها، هفضل طول
عمري أحمد ربنا أنه هدانى بست زيك غنتنى عن كل



الستات فى الدنيا .. زوجة و صديقة و اخت و والله ما هكذب
لو قولت انى بحسك امى !!!

حديثه كان نابعاً من قلبه، فصورها وشعوره بيحيى بين
أحضانه كان لهما تأثير السحر عليه ..

وحديثه هذا أنبت لقلبيها جناحين وأتاه به طيراً ..

اعتراف كهذا منه كان بمثابة دفعة لها نحو الأمام ونحو
تخطى الأمر ..

دعوة لاستقامة الأمور وربما قلبها قد فعل واستجاب !!

=====



الفصل الخامس والثلاثون

=====

إلى أحدهم ..

هذه الرسالة لن تكون رثاءً ولن تكون نعيًا!

هذه المرة رسالتى ابث بها أملاً ..

أملاً حتى لوهرب منا بعد دنى .. فإن هناك شئ سيبقى بيننا

!!

=====

مشوش !

وهذا وصف غير كافٍ بالمرة لحالته، بل إنه لا يمثل نذراً

يسيراً من شعوره ..

ربما تائه ..

ربما شعور طفل ضل طريق بيته ..

وربما أوصاف كثيرة تليق بفداحة مكنون نفسه هذه

اللحظات التى تلت لفظ أبيه لكلمة "أنا" .. "أنا السبب" !!

كان يدور بسيارته دون هدى حتى عندما حلت الدجنة
واتشحت السماء برداء أسود كالسواد الذى كان يملئه تلك
اللحظة .. لم يحاول العودة للبيت ..

بأى وجه سوف يعود ولمن ؟!

لدرة ؟!

كيف سيواجهها بعد الآن ..

ربما العقل الذى حثه على الذهاب لأبيه لمعرفة الحقيقة
المخفية هو نفس العقل الذى يأمره أن يردم على ذاك
الحديث الذى عرفه ولا كأنه صدر عن صاحبه .. حطام ..
حطام وضع ورُدْم فوقه وانتهى !!

وكان هذا الحل ليجدى مع شخص آخر ليس بعقلية فارس
!!

كلمات متقطعة بعد نطق أبيه لكلمة أنا تطوف برأسه
ولكنه لم يلتقط منها إلا القليل بعدما شخص بصره بعيداً

وغاب عنه وعيه للحظات وهو يتخيلها واقفة خلف أبيه
تنظر له بنظرات لأئمة .. غاضبة .. مستعدة لقتله إن حاول
الاقتراب أو التبرير!

كلمات خاطفة مثل أنه ما فعل ذلك إلا لأجله هو..
أنه لم يتعمد أبداً أذيتها ولا كان يريد للوضع لأن يتطور لحد
الإغتصاب .. بل كان كل مراده أن يكسر أنفها لكي تُعرض
عن تكرار رفضها لابنه دون أن يمسه بسوء لأن ابنه يحبها
فضلاً عن أنها ابنة أخته .. لكن الذين استأجرهم هم من
أتموا الأمر على هذا النحو وعارضوا أوامره بعدم إيذائها،
ففعّلوا ما فعلوا وفروا هاربين بعدها ..
ووقتها لم يسعه تفكيره في أن أمراً مثل هذا سيحدث، لم
يتخاطر إليه أنه مثلاً رجلاً مثل هؤلاء لا يؤتمنون.
أنه مثلاً درة بطبيعتها شابة، جميلة، عرضة لأي شئ مثل
هذا وهو يقدمها لهم على طبق من فضة!



لكنه لا.. لم يفكر في شئ كهذا، هو فقط حاول أن يكسر
أنفها المتعالى، فكسر روحها، وقلبيها، وبدل حالها قلباً وقالباً!
لكنه أيضاً لم يتركهم بل ظل خلفهم يسعى حتى توصل
لمكانهم واستطاع القبض عليهم وتلقينهم عقاب مناسب
بالتأكيد تألفه عقولكم؛ نسبةً لما يمكن أن يفكر به شخص
بمثل عقيلة حسين !

لم يستطيع فارس بعدها الصمود أكثر.. بل هام على وجهه
خارجاً من المكان بأكمله ومن وقتها يجوب الشوارع دون
وجهة أو هدف !!
فقط يعدو في سباقٍ مع الزمن كما تعدو دقائق قلبه وتهدر
دون هدى !!



توقف أخيراً في بداية الشارع الذى ينتهى ببيتهم ولم يجد
دافعاً يحثه على استكمال طريقه ودخول البيت .. وحده
قلبه يحثه على الذهاب ورؤيتها فلربما تكون آخر مرة !!

نعم .. ربما آخر مرة!

وعلى خاطره الأخير، رفع رأسه بعدما اخفضها مستنداً إلى
عجلة القيادة، ينظر إلى الطريق أمامه بعينين ذابلتين، قبل
أن يقوم بتدوير السيارة مجدداً وماهى إلا بضعة ثوانٍ حتى
كان واقفاً في عقربيته !!

تطلع حوله متخصراً ليهو البيت الخالى من أى شخص ..
وقادته قدماه دون إرادة فعلية نحو جناحه بالأعلى ..

وبمجرد أن أحدث شقاً من باب الغرفة رآها من خلاله وهى
تغط فى نوم عميق حتى ابتسم ابتسامة باهتة، لم تجد
صداها لا فى عينيه ولا فى قلبه ... فتقهقر خطوة إلى الخلف



.. ثم مثلها، ثم أكثر حتى قطع المسافة إلى غرفة خالية في
الطابق السفلى !!

ومن بعدها أغلق الباب خلفه وارتقى فوق فراش بارد، خالٍ
منها ومن عبقها .. أبقى عينيه مفتوحتين، وشاخصتين إلى
سقف الغرفة، باذلاً قصارى جهده في منع عقله من التفكير
في أى شئ وكل شئ !

عزل مشاعره الآن هو أنسب حل لتلك اللحظة العصيبة
التي يمر بها ..

لكن إرهاقه كان أقوى فأسبل جفنيه مرغماً، يدارى عينيه
على نظرة أخيرة فارغة !!!

.....

بعد وقتٍ ليس بقليل ..

لم يشعر إلا بأحد يحرك قدميه فوق الفراش وينزع عنه
حذائه ثم يدثره بغطاء ناعم معبق برائحتهما فتسللت بعض



السكينة إليه قبل أن تكتمل حين شعر بهذا الأحدهم يندس
جواره فوق الفراش مريحاً رأسه فوق صدره !
حاول عقله جاهداً أن يفيق ويتعرف إلى هوية الشخص
المعروفة على كل حال ..

لكنه كان يجذبه بقوة نحو القاع خائفاً من إفاقة حتمية
ستعيد إليه سواد ما سمعه مرة أخرى !!!
فاستسلم لدفع ذاك العناق، لكن استسلامه كان منوطاً
بعبء هاربة !!

لم يقدر على كبحها، وأنى يكبحها وكل مؤثر خارجي يحيا به
الآن يجبره إجباراً على الاستسلام لفورة مشاعره المتضاربة ..
لا سيما لو كان اللاوعي عنده الآن حاضراً فقد كان
الاستسلام أشد عذوبة وأكثر راحة من كبت نفسه أكثر من
ذلك ...



لهذا العبرة تلتها أخرى .. ثم أخرى حتى تحولت لسيل غير
منتهى من دموع كان يسكبها وكأنه يلفظ معها كل شعورٍ سيئ
..

وصدرها كان حاضراً ليضمه، ولسانها ليتمتم بالدعاء،
وكفيها ليمسحان على جبينه بحنو كان في أمس الحاجة إليه
!!

لأنه ربما لن يره مرة أخرى ...
ربما تكون آخر مرة !!!!
=====

_وبعدين !!

زفرة ملولة منها تلت تساؤلها الأشد مللاً، وإجابتها كانت نظرة
جانبيه منه جاهد ليكبح بها ضحكته ..
لهذا أصر على لقاءها ..

ربما العلاقة بينهما متذبذبة لن ينكر، لكنه أيضاً لن ينكر
أنها أشدهم صلابة في حياته !!



_ولا قبلين مش عجاكى القعدة على البحر.. ولا مش
عجاكى عشان معايا انا .. على حد علمى انك كل يوم هنا !!
ونظرتة قابلتها مثلها منها .. وأضافت عليها قولها رغم أن
داخلها كان منتشياً حدّ الثمالة :

_انا زهقت مانت قاعد ولا كأنك بلعت لسانك .. على حد
علمى برضوانك كنت متخانى مع منة وجايلى عشان كده .
وهذه المرة أشاح بوجهه عنها .. هى تعلم مكنون الأمر لكنها
تنتظر لترى إذا ما كان سيقحمها فى ما يخص زوجته أم لا ؟!
وما أتاها كان مطابقاً للمعايير الدستورية التى سنتها حول
علاقتهما :

_متخانة مع جوزها وانا قعدتها عندنا لكنها مصرة تروح
معاها ..

ومجأة لما يقصه عليها رفعت حاجبها ونظرت له نظرة
متحيرة قائلة :



_مدام عاوزه تمشى براحتها هى أدري باللى بينها وبين جوزها
.. انت حشرى اوى على فكرة !!

وضحكة ..

كانت هى رده .. أعقبها بتفسيره :

_تعقيدات !!

تهيدة ندت عنها ثم قالت بنبرة ممتعة :

_ complications .. واخدة بالى!

_ ثقافتك انجليزى اوى !

_ حبيبى ايوه براحتى انا احط كلام انجليزى فى النص زى مانا

عاوزه ... اتنطط عليك زى ما احب .. عشان انا اخويا تعب

فى تعليمى ومصروف عليا ومتكلفة، معلىش !!

وحديثها المازح الأخير جلب ضحكة عالية إليه، ابتسمت على

إثرها لا ارادياً .. وبمجرد أن وعت لنفسها عادت لسيرتها

الأولى وجمدت شفيتها مرة أخرى ..



تهمد زين ناظراً لها نظرة حلمت كثيراً أن تراها منه .. لكن لا
تعرف لما الآن لا تجد لها صدى داخلها، أمر عادي .. ولا
تعرف لما عكر مزاجها هذا الشعور !!
ربما هو نضجها الذي أصابها تجاه هذه العلاقة التي كانت
تصعد بها إلى سماوات عالية وردية !!
ربما هو كذلك فعلاً ..

نظريتها عن علاقتها به كانت وردية أكثر من اللازم .. حاملة
حد الغباء، ربما لهذا كان ما واجهته معه شاقاً على نفسها
لكنه في نفس الوقت علمها ..

علمها ألا ترفع سقف توقعاتها تجاه أى شخص .. تتقبل
المنطقية وتحاول وسطنة الأمور، فلا تعطى بما يستنزف
نفسها ولا تطلب أن تأخذ ما لا يطيقه الطرف الآخر .. أو مالا
تقوى عليه نفسه !!

وهذا قانون آخر ضافته مؤخراً إلى دستور علاقتها ..



لكن هذا البند استأثرت به لنفسها فقط .. لأنه يخصها هي فقط ، فهو يوفيه بجدارة من قبل أن تضعه حتى !!
_فريدة !!

اسمها كان بنبرة خاصة لكنها كانت غافلة .. ولم تنتبه إلا على طلبه الذى تلى :
_يلا نتجوز !

والبلادة التى أصابتها بعدها أوجسته ، لكنه قطب جبينه وقال موضحاً :

_اقصد يعنى نعجل بالفرح .. اروح لأحمد ونتفق نعمل الفرح قريب!

_وبالنسبة لعروسة الماريونت إالى هتتجوزها ايه دورها فى الحوار!

_يا بنتى اومال انا بعمل ايه دلوقتى .. بتناقش مع مين انا !



زمت شفتيها لكن ليس غيضاً، بل لتكبح ابتسامة اوشكت
على الظهور بطفولية شديدة .. وبالرغم من ذلك قالت
بتجهم :

_ انا محتاجة وقت .. لما اكون مستعدة هقولك !

_ يا بنتي هو انتي هتتجوزي ابولهب !

_ اسوأ من ابولهب بشوية .

رفع حاجباً واحداً معترضاً، رغم الابتسامة فلوحت فريدة
بيدها وهي تبعد عينيها عنه قائلة بمزاح :

_ انكربقى .. انا عاوزاك تنكر!!

_ مش هنكريا ام لهب !

تهمدت وهي تقول بهدوء بينما تهبط عن سور البحر الذي
كانت جالسة فوقه :

_ طب يلا عشان متأخرش .. مش عارفة انت استفدت ايه من
كده بس معلش!



وقف جوارها بعدما هبط عن السور هو الآخر وقال بهدوء
مبتسم :

_استفدت انى شوفتك ..

لم تجيبه .. بل رمقته بنظرة شبه مبتسمة .. لا تعلم سر
الشعور الغريب الذى يعتريها اليوم ..

شعور مختلط ما بين الفتور والسعادة ..

عجيب أن يجتمع الشئ والضحك معاً داخلها .. لكنها كانت
كذلك .. وربما هذا ما يدفعها لطلب هدنة .. للاستسلام
لعلها عندما تترك الأمر للقدر يستقيم !

=====

الترقب يتركز وجوده عند الشخص الذى يتقدم إلى اختبار
وينتظر النتيجة ..

أما هو .. فهو من وضع الاختبار وانتظار النتيجة يقتله !!
بفتورٍ قام بصف سيارته فى المرآب الملحق بالبيت .. وبنفس
الفتور ترجل منها ..

لم يكن في مزاجٍ جيد يسمح له بالمرور على أبيه الآن لذا أجل
الأمر لوقتٍ لاحق، ريثما يحصل على نتيجة الاختبار الذى
وضعه ..

فإما يذهب إليه ليسانده، وإما يذهب إليه طالباً دعمه هو
!!

بمجرد أن فتح الجناح الخاص بهما علم أنها ليست موجودة
حين قابله الهواء الخالى من عبقها ..

وبمجرد أن أدرك تلك الحقيقة حتى تهاوى قلبه بين قدميه !
رنيم ذهبت !!

فضلت أن تكون أم على أن تكون زوجته ورحلت !
تخلت عنه فى محنته ورحلت !

تقدم إلى داخل الغرفة ببسمة شامته من نفسه !
ماذا ظن ؟! أنه إن وضعها فى اختيار بينه وبين الطفل
ستختاره ؟!

لا .. رنيم ليست بتلك المرونة أبداً، وهو يعذرهما .. رغم جرحه
منها يعذرهما؛ فهي لم تفقد القليل ولن ترضى به وحده دون
طفل حتى ولو كان قد شغفها حباً !!

ارتعى فوق فراشه متهداً بضيق ..
كان يعلم أن هذا نهاية المطاف .. وربما هو أمل غبى ما جعله
يتمسك بحالة رنيم المستعصية ..
استقام فجأة واقفاً ونزع رابطة عنقه ببعض العنف قبل أن
يتجرد من سترة بدلتة الرسمية وألقاهم بإهمال، ثم وقف
يتطلع لنفسه أمام المرأة بملامح مبهوتة ..
أضحى وحيداً مرة أخرى !!

لم يفتئ يتخلص من وحدته إلا وتجددت ثانية وكأن رنيم ما
كانت إلا إجازة لبضعة أشهر زائلة !!
استند بكفيه إلى طاولة الزينة واخفض وجهها يلوح البؤس
فوق تقاسيمه .. لكنه ما كاد يطاوع نفسه ويلقيها في غياهب

الجب دون رأفة .. كان منقذه تمثل فى ورقة مطوية كالتى
تركها صباحاً مكتوباً فيها :

"القرار قرارك .. عاوزة تفضلى أوتمشى انا مش همانع، ده
حقك!!!"

وقد كانت مرفقة بعقد طلاق رسمى لا ينتظر إلا الإمضاء
الخاص بها !!

بلهفة لا يعرف كيف دبت به فجأة فتح الورقة .. وكاد قلبه
يتوقف من الصدمة حين بصرو رأى ما كتبت ..
"بلها واشرب ميتها ..!!"

عقد حاجبيه بعدم فهم .. وعدم استقرار أنفاسه كان يزيد
الموقف تعقيداً ..

لكن نظرة واحدة منه نحو مكان الورقة فوق الطاولة
فسرت كل شئ، فقد كانت وثيقة الطلاق عبارة عن أشلاء
وثيقة مبعثرة فوق الطاولة بعدما انتقمت أنامل رنيم منها
أشد إنتقام .. وقصدها كان أن يحول قصصات وثيقة

الطلاق لمحلولٍ يشرب ماءه؛ عله يصلح ما تلف من خلايا عقله !!!!

انفرجت شفتاه حين وصله المغزى كاملاً واتسعت عيناه ..
وشياً فشيئاً كانت ضحكة عالية تصدر عنه وما زال عدم تصديق انقلاب الموقف هكذا يسيطر عليه !!
ترك ما بيده فجأة وبسرعة لحق بالخارج يبحث عنها في أرجاء البيت كالمجذوب في محاولة أخيرة لإنكار ما يحدث وإثبات العكس ..

وحين يئس لم يجدها إلا في غرفة والده !!
كان واقفاً على الباب الغرفة بهيئة غريبة حيث اقتحمها دون إذنٍ ووجدها جوار والده، تدعّمه حتى يجلس بأريحية ثم تقدم له دوائه ..

لم يكن يعرف ماذا يقول أو بما سيبرر ذاك الجنون المرتسم فوق ملامحه .. لكنه تنحنح بوقارٍ مزيف، ثم تقدم نحو والده، يقبل رأسه ويهمس بشئ يخص سلامة والده لم

يتبينه أي منهما، حتى هو نفسه لم يتبينه .. ثم قال في عجلة
من أمره :

_تعالى يا رنيم عاوزك !

رمقته بنظرة ذات مغزى ثم قالت بنبرة لم يلمح تغيرها إلا هو
:

_استنى شوية لما اخلص مع بابا ابراهيم .

أسرع إبراهيم بالتقاط دوائه منها ثم قال بهدوء :

_روحي يا بنتى شوفيه عاوز ايه .

تأهب معاذ وأمسك بيدها ليخرج بها، لكنها التزمت الأدب

أمام والده واومأت بهدوء وخرجت وحدها من الغرفة دون

أن تنسى رمقه بنظرة نارية إثر إخراجها لهذا الشكل !!

لكنه لم يكن معها ولا مع والده بل كان ذهنه معلقاً بمغزى

ما قالت وما رآه !!

أسرع بالعودة خلفها دون أن يرد على ضحكة والده الخبيثة
التي شيعه بها .. ولحق بها وهي تدلف من باب الجناح
وتغلقه خلفها، فحال دون ذلك ودلف أولاً ثم أغلق الباب !
وقفت أمامه بتحفز على أهبة الاستعداد لإمطاره بوابل من
الكلمات اللاذعة، لكن كل ذلك انتهى حتى قبل أن يبدأ!
فقد عانقت شفتاه شفتيها عناقاً حاراً، شغوفاً، ولم تكن
هي لتقابله بأقل منه !!

ابتعد عنها أخيراً لاهثاً، ثم قال كلماتٍ متقطعة، بالكاد
فهمتها وكان مغزاها .. هل معنى ما فهمه صحيح ؟!
رمقته بنظرة حانية قبل أن تريح رأسها على صدره هامسة :
_وانت كنت متوقع انى هسيبك وامشى .. كنت فاكرانى
هخذلك وهفضل الطفل عليك !

رفعت رأسها إليه مرة أخرى فهالها التعبير المرتسم على
ملامحه لكن رغم ذلك هتفت بغیظ :



_مشكلتك إالى عمرك ما هتجلبها انك مش فاهمنى .. ولا
هتحاول تفهمنى انا عارفة، عشان كده انا حطيت ايدى
منك فى مائة باردة !

وجوابها لم يكن سوى قبلة أخرى أهدى من سابقتها لكنها
كانت تحمل فى عمقها شكراً عجز لسانه عن ترجمته
لحروف !!

عندما ابتعد عنها مجدداً، انتهزت فرصة اقترابه منها
وهمست :

_مش هكذب واقول انى كنت عاوزة طفل يعوضني ويملى
عليا وحدتى .. بس انا مكنتش عاوزة اى طفل .

لكزت بسبابتها موضوع قلبه مباشرة وهمست بأكثر حرارة :

_انا كنت عاوز ابنك انت يا معاذ .. مش ابن حد تانى، لو
مش منك انت انا مش عاوزة ولاد .

_بحبك يا رنيم !!

ورداً عليه كان عناقاً حاراً منها !!!!



...

بعد قليل ..

كان يجلس على مقعد ويثير بجوار نافذة الغرفة وهى بين
أحضانه مستكينة، لكن السكينة لم تستمر فقد رفعت
رنيماً رأسها إليه فجأة هاتفة باسمه .. فقطب منتظراً ما
ستقول :

_ هوانت عارف من امته الموضوع ده ؟!

جالت حدقتيه فى الغرفة قبل أن تستقر فوق ملامحها وهو
يقول مازحاً بما لا يمت للوضع بصلة :

_ هوانتى مش مستوعبة ليه ؟! .. اكيد اليومين دول عرفت،
الحمد لله مكنش ليا بطولات فى الموضوع ده قبل الجواز
فتلاقينى فى الحوارات دى مش قد كده !

أيمزح ؟!

ألديه القدرة على المزاح فى مثل هذا الموقف ؟!

وبعد معرفة مثل هذا الخبر!!!

ورغمًا عنها ضحكت، لكن ضحكتها وكل ما فعلته منذ قليل
لم يخفى قط نظرة الحزن تلك في عينيها، وهو يقدرها وربما
كانت لها حل عنده !!

_حمداً لله .. ملتزم من يومك يا زيزو !!

_زيزو مين ؟!!

كررها خلفها بملامح متبلدة، فرفعت رنيم حاجبها قائلة :

_زيزو ... دلع معاذ !!

قلب شفتيه ممتعضاً، وضافت عيناه على ناظرة ساخطة
موجهة إليها، فضحكت مرة أخرى تزامناً مع قوله :

_لا يا حبيبتي ... موضوع الدلع ده تركنيه على جنب، مش

هتيجي على آخر الزمن تبوظي شوية الهيبة إلی عندنا .

ضحكة أخرى ندت عنها، ابتسمت لها شفتاه، ومن ثم

استكانت بين أحضانه تراقب ملامحه وهو يبادلها فعلها ..



إلى أن ارتفعت فجأة، تحيط وجهه بكفيها .. تقبله؛ عل
الانصهار به ينسبها ما هي مقدمة عليه وستُحرم منه
بإرادتها، وقابلها هو بحرارة!!!!

=====

حين خلى البيت إلا منها وخاصة مع عدم وجود زين .. كانت
تلك الفرصة الأمثل لها لكي تستطيع الإتصال به، محاولة
إصلاح ما تهدم خلال النهار!!

وحاولت .. مرة واثنين، وثلاثة وكادت تيأس!!

لكن في الرابعة بعدما تجاهلها قبلها أجاب!!

_مؤمن!!

اسمه خرج بلهفة لكن ما من مجيب، فهمست مجدداً
بصوتٍ أبح من كثرة البكاء الذى لعبت به هرموناتها دورها
بفاعلية :

_بالله عليك رد عليا .. انت عارف انى اتعذبت بما فيه

الكفاية وانا مليش اى ذنب فى إالى بيحصل ده، انت نفسك

قولت انى مليش فى الحكاية كلها فليه تاخودنى بذنب غيرى
!!

وبعد فترة ليست بالقليلة من الصمت جاءها رده كئيباً،
خافتاً، حزيناً :

_وهى دى المشكلة يا منة .. المشكلة انك ملكيش فى كل ده و
مع ذلك انتى إالى بتتاخدى بذنب الكل، المشكلة انى بلوم
نفسى كل لحظة انى وصلت الموضوع للوضع ده !!
_مؤمن !!

وهمستها تلك المرة كانت متشحة ببكائها، وبسمته الحزينة
حملت أشلائها كلماته عبر الموجات بينهما :

_صدقينى انا مش بلومك .. وعدم ردى عليكى ف ده لانى
مش لاقى إالى اقوله .. ده لانى معرفتش احافظ عليكى يا
منة !!

صمت لبرهة ثم استأنف بجدية :

_زين معاه حق يا منة .. انا موفتش بوعدى ليه وخذتك

بذنب حاجة ملكيش فيها ، انا اسف يا منة !!!

_ارجوك متقولش كده .. انا مقدرة إالى كنت فيه !

نبرتها كانت باكية، لكن ما إن انتقلت للموضوع التالي حتى

تلهفت وهى تهتف :

_وبخصوص الحمل انا والله كنت ناوية اقولك انا مكنتش

هخبي عنك كثير... بس من احساسى من تجاهلك ليا كنت

مخبية عنك و...

وقوله المتفهم قاطعها :

_انا فاهم .. والله عاذرك، لو كان فى وقت تانى كنت غلطت و

زدت الأمور تعقيد .. بس لما قعدت مع نفسى وفكرت انتى

ازاى استحملينى يا منة صدقيني هى حاجة واحدة بس

عرفتها .

كانت دموعها ترسم انهاراً لم تجف على وجنتيها، ولم تكتفى

من البكاء طوال اليوم، وهمسته ضاعفت شعورها :



_عرفت انى مش هقدر استغنى عنك يا منة لأى سبب مهما

كان، إلا إذا انتى .. انتى إالى اتخليتى عنى !!

_تعالى خودنى .. زين مش هنا وانا هروح معاك .

_مينفعش!!... لازم يكون اخوكى موجود .

_بس يا مؤمن ..

_خلاص يا منة .. خليكى يومين ارتاحي فيهم .. وعشان خاطر

زين، وبعديها هاجى اخذك !

اراحت رأسها على إطار النافذة التى تنظر منها للخارج، ثم

تهتت هامسة :

_ماشى يا مؤمن !!

_وحياتك عندى يا منة ما اقدر استغنى عنك .. اسف على

كل إالى فات، بس اعذرينى !!

ابتسامة باهتة شقت طريقها عبر شفيتها المتيبستين، ثم

همست مازحة :

_وكأنى مش ملتمسالك العذر من قبل حتى ما تعتذر!



بالفعل ..

وكأنها لم تعذره مسبقاً !!

ربما هي ساذجة كي تسامحه من أول إعتذار منه إليها ..

لكن وحدها تعلم ما بداخل مؤمن !!

حرب .. حرب شعواء مقامة داخله وهوتائه بينها، لا يحتاج

سوى لتربيته بسيطة على كتفه ليفيق من وهم استحوذ على

عقله لشهور !!!

=====

بعد ثلاثة أيام ...

=====

البؤساء ..!

ربما لو أحدهم أمعن النظر بمظهرهم من بعيد لأطلق عليهم

هذا اللقب دون تردد !!

"عائلة البؤساء .."

ولا ريب فى أن كل من تحويه تلك العائلة بائس .. وخير دليل
كان الثلاثة المصطفين جوار بعضهم على أريكة فى بهو
البيت، أمام فيلم كئيب لا يعرفون له بداية من نهاية !!

_منورين يا شباب والله !!

كانت تلك ليارا التى ربت على قدمي أخويها وهى جالسة
بمنتصفهم على أريكة البائسين .. أسرع على يسارها، ومراد
على يمينها !!

فأزاح أسريدها عنه بامتعاظ زائف قائلاً :

_بس يا شوية "سناجل" بائسين !!

ضحكة مراد الساخرة صدحت عالياً، ثم قال باستهزاء دون
أن ينظر له :

_اسم الله عليك يالى متجوز مع وقف التنفيذ !!

نقلت يارا نظرها بينهما قبل أن تستقر عند أسرقائلة :

_لاحظ أن كلامك جارج !!

أراح أسرأسه فوق كفه المستند به على جانب الأريكة
هامساً بكآبة :

_بجرح نفسى قبليكم والله .. اقلها انتوا عارفين اخركم، انا
إلى مش عارفى اول من آخر!

_بتقول ايه يا أسر؟

نظر لها شزراً ثم هتف بغیظ :

_بقول نخلينا فى نفسنا .. عشان انا زى زيكم لحد خمس
سنين قدام إن شاء الله !!

وأيضاً ضحكة مراد العالية كانت التعقيب قبل أن يقول
ساخراً :

_الله اكبر .. عملتها فيك أروى .. والله تستاهل !!

رمقه أسر بنظرة من هو على وشك البكاء ثم قال بخفوت
شديد :

_حسبى الله ونعم الوكيل فى أمثالك يا أخى .. فينك يا حبيبتي
يا درة !!



ضيقته يارا عينيها ناظرة له وهي تهتف بحيرة :
_بقولك ايه يا أسريا اخويا .. معلومة مُهمشة كده، انت
توأمى انا مش توأم درة !!!
رمقها أسربطرفٍ خفى ثم قال بابتسامة عريضة :
_وده دليل على "خيبتك"، درة اللى هى مش توأمى بتفهمنى
اكثر منك انتى .. فاتلمى فى خيبتك واسكتى !
_صلوا على النبى يا شباب .. مش هندخل فى "صراع أجنة"
هنا !

كان ذاك مراد يمزح بثقلٍ كعاداته، فقابله نظرات يارا وأسر
الواجمة فى سخط .. فابتلع ما كان ينوى قوله واستبدله
بحديث آخر:

_اومال فين أدهم يجرى يكمل الدسته الجميلة دى !!
عاد أسر إلى وضعيته البائسة مجدداً وهو يجيبه بملل :
_مع يحيى فى الجنينة .. بقاله كام يوم بيفضل معاه طول
النهار حتى انه بيبات معاه فى اوضته ومعدش بيسهولى زى

الأول !!...ريقنا نشف واحنا بنقوله خود الولد فى حضنك، و
اول ما الست داليدا قالتله خلاص بقوا سمنة على عسل !!
تهدت يارا وهى تتمتم :

_ربنا يهديه .. بس يارب يتعدل شوية مع ماما عشان
مقاطعها من يومها وهى زعلانة اوى عشانه !

صمت أسرولم يعقب .. فإن تم فتح هذا الموضوع سيتبين
أنه مخطئ مثله مثل أمه تماماً، لذلك يفضل الصمت
والإنسحاب إذا ما فُتح !!

وفكرة لوزعية حضرته ..

يتصل بأروى !!

ربما لن تجيبه وبنسبة خمسون بالمئة وهو يعلم ذلك .. لكنه
مع ذلك أخرج هاتفه من جيبه وحاول، لكن الخمسون فى
المئة السلبيين فى الاحتمال هم من رجحوا، لذا دس هاتفه فى
جيبه مرة أخرى بعدما تلقى جرعة كافية من خيبة الأمل
والكآبة!!



فيما كان هاتف آخر في نفس الجلسة يحمل بشارة !!!
فتح مراد هاتفه يتصفحه بلا هدف، لكن رسالة على تطبيق
(الواتساب) استوقفته من رقم غير مسجل، ففتحها ليجد
اسمه في رسالة وحيدة داخل هذه المحادثة .. فمط شفتيه
بجهل وكاد يتجاهل الرسالة نهائياً لولا أن رأى اسمه يتكرر
في رسائل كثيرة متتابعة !!
فعقد حاجبيه وكاد يحظر الرقم نهائياً، لكن الرسالة الأخيرة
كان بالنسبة له صادمة ..
(سمية عاوزه تشوفك !)
فأسرع بالسؤال فور قراءته للاسم ..
(سمية مين ؟!)
(هنضحك على بعض يا ابن عمتي ؟! تعرف كام سمية ؟! وانا
إلى كنت فكراك كويس وملتزم طلعت استغفر الله يعنى
.. "وجه مبتسم ابتسامة سمجة")



(قولى لسمية انى مش عاوز اشوف شكلها ..)

ورسالتة الأخيرة كانت محاولة فاشلة لإتقان مقولة "الثقل
صنعة" .. لكن ما حدث أنه امتهن الغباء وقذف الحديث
دون حساب !!!

ضرب بكفه على جبهته حين ارتسمت علامة "تمت رؤية
الرسالة" جوار حديثه .. ومن ثم عاد الرقم لعلامة "غير
متصل بالإنترنت" دون رد على رسالتة الأخيرة !!

بالتأكيد ستترك الواتساب وتطبيقات التواصل الإجتماعى
كلها بعد حديثه شديد الغباء !!

تنفس بغضب وكاد يحطم وجهه بالهاتف الذى فى يده ..
لكنه تحكم قليلاً فى نطحات الغباء التى تساوره، واستقام
مبتعداً عنهم، بل صعد إلى سطح البيت وقرر محادثتها ..
لكن الرقم كان مغلق !!!

امتعضت ملامحه وكأن باباً قد صُفّق فى وجهه للتو ..



لكنه لم ييأس بل حاول الإتصال بها مجدداً، ثم مرة أخرى إلى أن وجد الخط مفتوح .. فحاول بإصرار أكبر حتى أجابت الهاتف .. وياليتها لم تجب .. فقد قابلته قبله متمثلة في صوتٍ شديد الحدة كنصلٍ يخدش سطحاً أملس :

_ انت جلف .. وهتفضل طول عمرك كده معندكش برقع جنية ذوق في التعامل مع البشر!!!!
_ اسف اسف والله ما قصدت .

كان يحاول عدم الضحك .. لكن رغباً عنه تعالت ضحكته مما أجج غضبها أكثر، فهتفت به :
_ والله خسارة إلى كنت هقولهولك .. وما تستاهل انى اطلب منك إلى هطلبه !

_ والله اسف خلاص .. قولى كنتى عاوزة تقولى ايه !
_ مش قايلة !

_ حتى لو قولتلك انى كنت هاجى اشوفك من كام يوم بس معرفتش عشان الى حصل !

وامتنع عن ذكر أنه بالفعل وصل عند شرفة غرفتها !!

_ انت قفلتنى يا مراد والله !

_ خلاص بقى ما تقولى هو فيه ايه !!

وجملته نافذة الصبر قابلتها صوت صفارة إغلاق الخط

بوجهه !!

نظر للهاتف بتعبير مبتئس، يأس من غيابها اللامحدود !!

لكن الهاتف أضاء مرة أخرى بوصول رسالة كان من يكتبها

لا يكتبها مثل كل البشر، بل كان يطرق شاشة هاتفه منتقماً

من المرسل إليه ..

(كنت هقول انى "حببتك" يا اغبى خلق الله !!)

=====

أما أسفل السطح الذى كان يقف مراد فوقه يتعامل مع

صدمته، أعانه الله !

كان أدهم فى عز اندماجه مع يحيى الذى بدأ يعتاده الثلاثة

أيام الماضية !!

كان يحيى يجرى وأدهم خلفه يجارى خطواته المتعثرة بينما
أصوات ضحكتهما تتعالى فى الحديقة الخالية حولهما !!
إلى أن احتضنه أدهم فجأة، ليسقط به أرضاً هاتفاً من بين
ضحكاته :

_يا ابن الناس بقى قطعت نفسى !!
وكلمة "بابا" بحروفها المتعثرة كخطواته حين خرجت من بين
شفتيه كان لها تأثير السحر على أدهم ..
فقد شعر بشعور غريب جداً وكأن قلبها يرفرف كجناح
يمامة داخله .. فضحك عالياً وهو يضمه إليه بقوة قائلاً:
_حبيب بابا انت !!

من يراه الآن .. لا يراه وقت تعامله معه يوم أتى !!
ولولا تنبيه داليدا عليه فى كل مكاملة أن يتعامل مع الطفل
بطبيعية كي يساعد كل منهما الآخر لكان ظل فى حيرته !!
رغم أنه لا يذكره، ولا لم يتقبل الأمر بعد ... إلا أن الدافع
الوحيد فى تعامله مع يحيى هو غريزته !!

غريزة الأبوة داخله تفرض عليه تصديق أن هذا الطفل
يخصه، وعليه فهو مسير لا مُخير في التعامل معه بكل ما
توجبه الأبوة عليه !!

شئ ما يقف بعيداً في الظلام جذب انتباهه للحظة .. وهي
لحظة رفع فيها وجهه ليرى تلك التي كانت واقفة على بوابة
البيت تنظر لمنظرهما سوياً بعينين دامعتين لم يرى
دموعهما !!

لأول وهلة لم يصدق وجودها .. لكنه استوعب أنها موجودة
فعلاً حين رآها تتحرك نحوه بخطٍ وئيدة !!

هب أدهم واقفاً وخطى نحوها هو الآخر ببطء .. لكن
خطواتهما تسارعت حتى تعانقا بلهفة في منتصف المسافة ..
حتى أنه لم يرى أحمد الذي كان واقفاً عند البوابة بعيداً،
مُفسحاً لهما مجالاً من الخصوصية !!

_ انتى جيتى ازای؟!

سؤال من لهفته حين تمعن في ملامحها كان في غير محله،
لكنها ضحكت بخفة رغم تكدر الدمع تأثراً في عينيها وقالت
:

_جيت بالعربية!!

ضحك أدهم أيضاً لكن ضحكته كانت مختنقة، فعانقها
مجدداً .. وكادت تفسر له أنها ما استطاعت أن تبتعد أكثر
من هذا عنه وهي تعلم أنه يعاني وحده هنا، لكن ما
قاطعهما كانت يد صغيرة جذبت طرف فستانها من الأسفل
!!

فانتهت داليدا إلى يحيى الذى كان ينظر لهما بعينين
صغيرتين محدقتين !!

فابتسمت له وهي تنخفض إليه، تمسك بكتفيه الصغيرتين،
تتمعن في ملامحه وارتجافة الابتسامة على شفثيها كانت خير
دليل على تأثرها بالموقف وأن ما تكابده لأجل أنها تحب
زوجها فقط أكبر من احتمالها، لكنها عندما تحكم عقلها

وقلبها، فهنا المنطق أملى عليها أن تكون بحواره .. فلا ذنب له
ولا للطفل فيما يحدث !!

ترك أدهم لها حرية التعامل مع يحيى الآن كي تعتاد عليه
وذهب لأحمد الذى صافحه بابتسامة باهتة .. فقال له
أدهم بحفاوة :

_اتفضل يا احمد !

_يزيد فضلك .. انا مش جاي اقعد .. انا جبت داليدا عشان
هى أصرت ترجعلك تانى، ولولا انى عارف إالى بينكم ايه يا
أدهم انا مكنتش جبتها !!

كلمات أحمد كانت عاتبة، لكن بتهذيب، فتخرج أدهم ولم
يدر بما يجيب .. لكن أحمد اختصر المسافات وهو يقول :

_متقولش حاجة .. الموضوع مفهوش حاجة تتقال .. ولولا
أن داليدا بتحبك ومتربية انها تقف مع جوزها فى محنته كان
زمانها سيباك، عشان كده أرجوك حط اختى فى عينيك ..
هى ملهاش ذنب غير .. انها بتحبك !!!

نقل أدهم بصره بينه وبين داليدا التى تقف حاملة يحيى فى
حضانها من بعيد وتنظرلها مراقبة .. ثم عاد لأحمد مرة
أخرى، يشد على كفه الذى يصافحه وهو يقول بحرارة :
_ فى عنيا والله .. داليدا بنت اصول، مشفتش منها غير كل خير
.. وانا مقدر موقفك يا احمد .. ومجيك لحد هنا على راسى
والله .. اتفضل نشرب حاجة سوا !

ابتسم أحمد ابتسامة باهتة ثم هز رأسه نفيأ وهو يقول :
_ مرة تانية أن شاء الله .. مع السلامة !!
ودعه أدهم حتى اختفى عن ناظريه، قبل أن يعود لداليدا
مرة أخرى .. لكن تلك المرة لم يهرول نحوها ..
بل وقف مكانه مرة أخرى .. يمعن فيها النظر ويتأكد للمرة
التى فقد عدها أنه لوجاب الدنيا مشرقها ومغربها .. لن
يجد تلك المرأة التى تنافس داليدا على حبه !!!

=====

حين انتصف الليل !!



كان عائداً متأخراً جداً من عمله على غير العادة، واستغل
هدوء البيت وصعد نحو جناحه مع حلا مباشرة ..
لكن ما إن خطاه وقبل أن يصل إلى غرفة نومهما، كان
الصوت في استقباله ..

_سارينة إسعاف .. مخلف سارينة إسعاف قسماً بالله !!
فتح باب الغرفة فجأة مما اجفل حلا التي كانت تجوب
الغرفة ذهاباً وإياباً على أمل أن يصمت طفلها، لكن لا فائدة
!!

_يا مزعج يا ابن المزعج ماتبطل زن !!
هتف بها حال دخوله، فانتهزت حلا الفرصة واقتربت منه
ترمى الصغير بين ذارعيه هاتفة :
_امسك شوية .. انا دماغى صدعت، انت مش أب على
الورق بس !!



رمقها حازم بنظرة ساخطة وهى ترتعى فوق الفراش بتعب
قبل أن يحول نظره نحو آدم بين يديه بابتسامة سمجة وهو
يقول :

_هاا فيه ايه بقى ان شاء الله .. اكل وواكل ، نضافة ونضيف
ومامتك المحترمة اكيد عطياك الدواء ، فيه ايه حضرتك تانى
!!!

اقتربت من الفراش المرتمية فوقه حلا ووضع الصغير
جوارها قبل أن يشرف عليه وهو يقول محذراً :
_بقولك ايه ... انجزوا سكت بقى انا مش فايقلك ، انا طول
النهار فى مأمورية و دماغى وجعانى !!

شعرت حلا بشعور من الذنب يلح عليها فاستقامت
بصعوبة وحملت الطفل منه مجدداً وهى تقول بإشفاق :
_خلاص يا حبيبي روح خود دش وانا هسكته على ما تطلع !
نظر لها حازم بابتسامة مرحة وهو يقول مازحاً :



_مش قادر اقولك انا بشكرك ازاي دلوقتي .. بس انا اه كنت
في شغل لكن انتي مكنتيش في "مهلبية" يعني طول النهار.
ضحكت حلا حين اقترب حازم منها وأخذ آدم مرة أخرى قائلاً
:

_فهاتي الشاب ده ووقومي شوفيلي حاجة اكلها، وعلى ما
تيجي اكون نيمته !!

هزت رأسها نفيأً لشيء وهمى قبل أن تتركه وتهبط للمطبخ
بالأسفل تعد له شيئاً للاكل .. وتعاليت ضحكاتها بعد فترة
حين سمعته يقرع لحناً رتيباً على ظهر السرير ربما بيديه،
ويغنى عالياً بصوتٍ نشاز وبكلماتٍ غير مفهومة فقط كي
يُسكت الصغير الذي لا يصمت !!

وللعجب حين صعدت إليهما بعد فترة من إنقطاع الصوت
وجدتهما نائمين، حازم يحتضن الصغير ويغط في نوم عميق
جواره !!



ابتسامة متشحة بحنانها ارتسمت على شفيتها، فوضعت الصينية المرصوص فوقها أطباق الطعام على طاولة قريبة قبل أن تجذب غطاءً خفيفاً وضعتة فوقهما .. لكن يد حازم تشبثت بمعصمها وجذبتها إليه، ليقبلها قبلة سريعة ناعسة قبل أن يقول مازحاً رغم انغلاق عينيه وأنه تقريباً شبه نائم :

_تسلم ايدك .. الأكل يجنن !!

وضحكة عالية كبحتها بكفها كي لا يستيقظ الصغير مجدداً !!

بينما هو بالفعل كان قد نام !!!

=====

خطاه المتكئة على عصاه أجبرت سمية أن تفيق من صدمتها مما فعلته وأرسلته له لتسند مصطفى الذى أتى خصيصاً إلى غرفتها !!

_مبتليش ليه كنت جيت لك .. ايه إالى خلاك تيجى يا
مصطفى لحد هنا!!

_مش مشكلة بس عاوزك فى خدمة !!
ومن نظرتة الجادة دون أن تخلو من لمحة صبيانية عابثة
جعلتها توجس خيفة .. لكنها مادام الأمر قد تعلق بالعبث
الصبايى المراهق فى داخل الأمر دون جدال!!
لذا جلست جواره على طرف فراشها، وبملامح جادة منتبهة
قالت :

_أؤمرنى !!!!

=====

الفصل السادس والثلاثون

=====

عزيزى الحب !!

لك منى تحية وسلام ..

وأما بعد !

فلا تهلكنا ولا تعلقنا ولا تستقطع من قلوبنا قطعاً لنهديها لمن
أحبنا أو أحببناه ..

أما الهلاك فقد فاض القلب به والحبيب عنا فى غفلة ..

أما تعلقنا فعلى حافة الهاوية لا تتركنا ...

معلقين بين الأقتراب أو عدمه ..

فخيارين كلاهما عذب وكلاهما علقم على حدٍ سواء !!

=====

_مصطفى !!!

وهمستها كانت ضائعة للحد الذى جعله يظن أن خطته
المراهقة التى وضعها مع سمية قد نجحت !!
لن يكذب، هو شعر بنفسه فى هذه اللحظة أنه عاد ابن
السادسة عشرة مجدداً الواقف على باب المدرسة يتصيد
الفتيات الجميلات المارات هنا وهناك !

لكن المختلف أنه الآن ما عاد ابن السادسة عشرة بل هو
قارب السادسة والثلاثين، والتى أمامه ليست إحدى
الفتيات الجميلات المارات، بل حب حياته الذى ما درى إلا
الآن أنه أضاعه من يده وعلاوة عليه سنوات عمره الضائعة
!!

_ازيك يا يارا؟!

وتحيتة ذات الابتسامة الرجولية المهلكة لم تقابلها إلا
بتقطيبة وشفيتين مزمومتين، فأوجس مصطفى داخله أن
تكون خطهما مكشوفة لهذا الحد .. وبالفعل كانت كذلك،

فالغباء فقط هو ما سيملى عليهم تلك الخطوات الساذجة
والتي كانت على الترتيب .. إدعاء مرض ماسة و.. عدم وجود
مصطفى بالبيت والذي شددت عليه يارا كثيراً .. ووجود
سمية وحدها في البيت نظراً لأنشغال أمها مع فارس الذي
يحتجز نفسه منذ ثلاث أيام !!

وبالطبع لن تقتنع يارا بمثل تلك التراهاات، لمحت الأخيرة
سمية واقفة في نهاية بهو البيت خلف مصطفى وفوق ذراعها
تقبع ماسة باكية، فحدجتها بنظرة صارمة، قبل أن توجه
حديثها لمصطفى قائلة بجمود، محدقة في عمق عينيه دون
أن تجفل كعادتها :

_شايقة ان البنت كويسة مفهاش حاجة .. على العموم
الف سلامة عليها .. انا ماشية !

وما كادت تستدير راحلة حتى كانت يد مصطفى تمنعها
واسمها خرج من بين شفثيه بلهفة :

_ارجوكى استنى !!.. انا عارف انى لو طلبت اشوفك مكنتيش

هتيجى، فملقتش طريقة غيردى !

حدجته بنظرة باردة، ولسمية مثلها، ثم سحبت يدها منه

ببعض الشدة قبل أن تتكتف وتهتف بنبرة جامدة :

_وانت عاوز ايه ؟!

والنظرة فى عينها لم تماثل مطلقاً طريقة حديثها الجامدة !

فمجرد رؤيته فى تلك الوقفة المتذبذبة غير المستقرة كانت

تنحرق قلبها نحرأً ..فقد كان مستنداً على عصاه الطبية التى

ما عادت تفارقه فى الآونة الأخيرة، ينقلها كل فترة من يدٍ إلى

يد ويقف بشكلٍ غير مستقر على ساق واحدة !

أعجوبة ..

هى فقط ما جعلتها تصمت وتتمنع عن إلقاء أى تعليق من

الممكن أن يؤخذ على محمل عاطفى، فقط أشارت بيدها

نحو الداخل وقالت بهدوء شديد به لمحة صقيعية :

_اتفضل نتكلم جوا واشوف عاوز ايه ؟!



وبالفعل سبقها إلى الداخل .. وإن كان قد توقع وجود سمية
حين يدلف، فما كان منها سوى فراغ !!

فإما هي فرت هاربة من يارا .. وإما قررت أن تترك له بعض
الخصوصية مع التي يحبها ولا تبادله الشعور بشكلٍ صريح !
جلس على أقرب مقعد قابله وصيحة متألمة ندت عنه حين
جلس على المقعد وأراح قدمه التي لم تشفى بعد منذ
الحادث الذي ربما سيترك عرجاً خفيفاً بها مستقبلاً ..

بينما وقفت يارا أمامه متكئة، تجبر ذراعيها على الإستقرار
إلى جنبها ولا تهب لمساعدته !

حتى حين انحنى يحاول جلب العصا التي وقعت منه أرضاً
حاولت جاهدة .. لكن حين تعالت صيحة ألمه بشكلٍ مبالغ
به وبالطبع فيه شئ من التمثيل كانت غافلة عنه حتى
انحنت لتجلب له عصاه من الأرض قبل أن ترفع وجهها له
لتعطيه إياها ..



لكن مصطفى لم يكن انتباهه مع عصاه التي من المفترض
أن يأخذها ..

ولا مع سمية التي تتجسس عليهما من شق باب المطبخ ..
بل كان مع الكويكبتين اللتان ارتفعتا الآن تنظران له بنظرة
تخالف كل تعاملها الآلى معه !

وإن كانت أقصر مسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم،
فإن ما بينهما كان أقصر منه .. والنظرة منها إليه كانت في
الصميم !

_تقبلي تكوني أم ل "ماسة" ؟!

وعرض زواجه عليها هذه المرة كان مختلفاً .. بل هو تعمد أن
يمنحها فيه ما تفتقده هي -من وجهة نظره- .. بالطبع على
البائع أن يجمل بضاعته لكن هو كان تاجر فاشل فهو يقدم

بضاعته لزاهدٍ فيها كان من قبل تواقاً إليها ! وما أسوء من
أن تزهد شيئاً بعد طول تمنى!

_شفقة يا مصطفى !!

وردها كان مصحوباً بابتسامة حزينة، وكان مجرداً من
تصحيح المعلومة الخطأ التي وصلته !

كانت خلفية بسيطة عن معلومات مصطفى حول حالتها
الصحية وصلتها عن طريق سمية في بضع أحاديث جانبية
أكدتها طريقة عرضه للزواج عليها الآن ..

هو لا يعرض عليها أن تكون زوجته .. بل أم لابنته والأمر ليس
به إساءة أو تقليل منها لمجرد أنه يريد أم لابنته بل هو منوط
بتلبية غريزة الأمومة لديها عبر منحها ماسة !



كانت جالسة على عقيها أمامه بينما وجهها مرفوع إليه،
فمد إصبعاً واحداً يلاحق به ملامحها بخفة، قبل أن يهمس،
ناظراً في عمق عينيها :

_عمر إالى كان جوايا تجاهك ما كان شفقة يا يارا .

كفه اكتنف وجنتها بينما عينيها اتمتا إحتلال عينيها كاملاً..
ومن ثم بدأ توطيد علاقة المستعمر بأهل الأرض عبر هسمه
النابع من الأعماق :

_الى انا اكتشفته انى عمرى كله ضاع وانا بدور عليكى لكن
انتى كنتى جنبى ومش شايفك!

صمت للحظة حين لاحظ الندى الذى بلل عينيها من
فورها، ثم كلل محاولاته بالمثل الذى قال "اطرق على
الحديد وهو ساخن" :

_دائماً كنتى جنبى وعلى طول كنت بشتكى انى مش لاقى حد
فاهمنى .. لكن احنا فعلاً مبنعرفش قيمة الشئ غير لما يضيع
من بين أيدينا .

_بس كل حاجة بتعدى .. وكل واحد هيشوف طريقه، اذا كنت انت شوفتنى أخيراً او لا فكل شئ هيعدى عادى لأنك زى ما قلت ضاعت من ايدينا .

وهمستها كانت خافطة شديدة التأثير بقربه وملامسته التى تكاد تكون منعدمة لها .. لكنه ظل يحاول بإصرار:
_سوا .. كل حاجة هتعدى بس واحنا سوا !!..

_كل واحد فينا فيه عيبه يا مصطفى .

_والعيب إالى عند كل واحد فينا التانى قادر يخفيه .. انتى مش قادرة تجيبى طفل بس عندك ماسة، وانا مش محتاج غيرك عشان اشوف نفسى فى عينك واعرف انى احسن واحد فى الدنيا، حتى احسن من شخصى القديم !

تجمدت الابتسامة على شفתיها بتعبير مس قلبه، وراحت تهز رأسها تنفى شيئاً وهمياً وهى تهمس :

_متحاولش تجمل إالى بيحصل لأنك مش هتعرف .. فى الاول كان احتياج مش اكثر .. وفى التانى شفقة عشان مبخلفش ..



تفتكر علاقة زى دى قايمة على قرارات لحظية ومشاعر
هوائية هتنفع؟!

وفي حضرة تفسيرها السودوى للأمر لم يجد ما يجادلها به ..
فصمت، لكن صمته لم يطل فقد قال بعد برهة بجدية
شديدة :

_ ممكن معاكى حق .. لكن كل واحد ادرى باللى جواه .

وإن كان الشرود أمامه شيمتها فهمى لم تنبذها فى تلك
اللحظة وشردت فيما قال .. وربما هذا ما دفعه للشعور
ببعض الأمل ولو كان قليلاً، لكن شرودها ما كان سوى
بداية لنهاية حملت دموعها التى ذرفت أخيراً !
فبدل إصبعه عمله من ملاحقة ملامحها لملاحقة دموعها ..

ملاحقة !!



هو سيظل يلاحق كل ما يخصها حتى تتيقن أخيراً أنه ما
ينوى أى شئ تجاهها لأجل شفقة أو احتياج ..
أوربما كانا شفقة واحتياج .. لكن شففته على نفسه
واحتياجه لحبها !!

_ الحاجة الوحيدة اللى بكرهها فى وجودك هى ضعفى
قدامك .. عمري ما كنت ضعيفة غير قصادك انت واليوم
إلى هتخلص فيه من ضعفى ده هيكون اليوم إلى اكون
فيه ليك يا مصطفى !

همستها المختلطة بدموعها انتهت تزامناً مع إمساكها لكفه
الملامس لوجهها وإبعاده عنها، ثم وقفت على قدميها قبل أن
تميل إليه بقبلة خفيفة على جبينه ظلت بعدها تخفى
عينها عنه وهى تعطيه المفتاح الذى سيستخدمه للتحرر
من سجن الشفقة عليها :

ريح نفسك وبلاش تفكر في موضوع الخلفة كثير لاني بخلف
.. قادرة انى اكون أم .. يمكن احتمال ضعيف لكن موجود!!
ومن ثم ابتعدت بضعة خطوات إلى الخلف تاركة إياه ينظر
في إثرها حين رحلت !!!

يارا ستظل دوماً بالنسبة له تمثل السهل الممتنع فى أزهى
صوره !!

تحاول تجريده من كل الدوافع التى تضمن وجوده جوارها
عدا حبه ..

لا شفقة .. لا احتياج .. لا دافع سوى حبها .. حبها فقط !
وإن كان هذا ما تنشده فهو سيعتبر نتيجة اختياره مكلفة
بالنجاح .. فهو قد أحبها دون حتى أن يدري !!!!

=====

إنها روعة الصباح عندما يحل طارداً الدجنة ..
لكن ..

صباحها هي رغم شعورها باقترابه من الكمال إلا أنه كان
كصبيحة يومٍ شتوى .. ملبد بالغيوم !!

بمجرد أن فتحت عينيها كانت ابتسامة على شفثيها توازي
انفراج جفنيها ..

ونظرة مطولة مسترقة نحو النائم جوارها وبينهما ابنه كانت
بمثابة "صباح الخير يا كل الخير" منه دون أن يقولها فعلياً
!!

وهذه بداية صباح لم تحلم بأجمل منها مؤخراً ..
أما نهايته فلا يعلم مصيرها سوى الله، فالمواجهة مع حماتها
على الأبواب فإما كان اعترافها بخطئها فتستقيم الحياة
بينهم .. وإما كان نكرانها بمثابة عازل حتى بينها وبين ابنها !!!



طقوسها الصباحية كانت أكثر نشاطاً مما اعتادت نفسها في
الأونة الأخيرة .. وما زال أدهم والطفل نائمين بعمق وكأنه ما
اظمئن إلا بوجودها ..

القا إليهما ابتسامة سريعة ورغم كونها ابتسامة لم تستطع
أن تخفى بها نظرة الحزن في عينيها !!
ومن ثم قررت الهبوط لأسفل .. إلى حماتها !!

بمجرد أن خطت قدماها أرض المطبخ الذى كانت عبير
واقفة به .. التفتت الأخيرة لها، لأول وهلة تفاجأت لكنها
تداركت انفعالاتها ورسمت ابتسامة طيبة على شفثيها
قابلتها بها :

_ صباح الخير يا داليدا !

ورغم أن الأخيرة لم تكن تضر خيراً بمعناه الحرفى الآن، إلا
أنها ردت التحية بمثلها قبل أن تقترب ببطء لتجلس على
الطاولة التى تتوسط منتصف المطبخ وبادلت حماتها



النظرات، ودون مقدمات كانت تفتح ذاك الدفتر المترب
الذى ظنه الجميع ملقى فى غرفة مهجورة ولن يتم النباش
عنه مجدداً :

_ليه مقولتليش إالى حصل من البداية !

_خوفت على ابني !

إجابتها كانت حاضرة وكأنها علمت من مجرد دخول داليدا
أن المواجهة أن أوانها !!

_خوفتى على ابنك من ايه؟ ده مش مبرر .. يعنى انتى لو كنتى
قولتلى الحقيقة من البداية كنت هروح اعرفه واعرضه
لانهم يار جديد بعد ما يعرف إالى حصل لابنه !

صمت ران عليهما بعد حديث داليدا شديد الشجب،
وجاءت إجابة عير شديدة الهدوء :



_ لا .. خوفت انك متكمليش معاه من الاساس .. وفي النهاية،

النتيجة واحدة ! أدهم منهار!

_ انا عمرى ما كنت هسيبه عشان كده .. على حد علمى لحد

الان أدهم مغلطش فى حاجة فى الحكاية كلها بالعكس ده

مغдор بيه، إلا إذا كنتى انتى لحد دلوقتى مخبية حاجة

ومش عاوزانى اعرفها .

_ والله كل إالى حصل معروف .. أدهم اكتر واحد اتظلم وربنا

رد حقه لما هدى أسرمن البداية لطريق ابنه ورجعه

لحضنه، بس لحد انتى ما دخلتى حياته مكنش فيه امل أن

يحي يرجع لادهم بدون خسائر بسبب حالة يحيى الصحية

وانهيارات أدهم الى انتهت بأنه فقد الجزء ده من حياته .

صمتت لبرهة، تلتقط أنفاسها التى تتابعته بانفعال ثم

استأنفت :



_سامحيني بس مكنتش هجازف بواحد ف المية انى اديكى
سبب تسيبي ابني عشانه وهو ملهوش ذنب .. وفى الأول
والاخرانا مكنتش اعرف عقليتك ايه !!

ابتسمت داليدا بتهكم، ولم تجد كلماتٍ تصيغها بجملة
مفيدة لتضعها كرد على حديث حماتها ذات الحالة الميؤس
منها!

هى على استعداد تام لأن تقاتل فى سبيل ابنائها حتى وإن
اضطرت لخداع بنات الناس كي لا تترك ابنها ..

ألا تعلم أنها حتى لو أعلمتها من البداية ما كانت ستتركه .

ألا تعلم أن ابنها يجرى بدمها من الشريان إلى الشريان ..

ألا تعلم أنها الآن مضطرة للتعایش مع حقيقة أن هناك ابن

له ستكون هى له أمأ .. حتى أنها غير مخيرة؛ ببساطة لأنها

تحبه .. وحبّه أوجب عليها الوقوف بجواره طالما هذا لن

يمس كرامتها بشئ !

هى لا تستطيع تحديد أركان المشكلة وبالتالي لن تستطيع
إيجاد لها حلاً.. إلا أن المحور كان حمايتها والآن الأمر يزداد
تعقيد !!

_سامحيني بس مسيرك فى يوم تكونى أم .. وتعرفى انى
مكنتش هقدر اجازف بسعادة ابنى .. ووقفك جنبه الفترة
دى صدقيني كبرتك ف نظرى، وانا آسفة بس أدهم ملهوش
ذنب فى حاجة !!

اختتمت عبير بها الحديث .. وقد كان هذا اعترافها بخطأها
ولم يتبقى إلا استقامة الحياة بينهما ..
والشطر الثانى كان يخص داليدا فهل سترضخ؟!

_انا مفيش فى ايدى شئ انى اسامحك اولاً .. ربنا بيسامح
وانا بحب أدهم ومش هسيبه حتى لو كنتى قولتلى من الأول
مكنتش هسيبه، على الاقل انا لو مكنتش بحبه مكنتش

هرفض واحد زيه .. بس انتى فضلتى الطريق الصعب علينا
كلنا !!

والى الآن لم تصرح داليدا ولوبجزء من رغبتها فى استقامة
الأمر.. بل سألتها أن تقص عليها شئ بالرغم من كونه صعباً
إلا أنها لا بد أن تعرف :

_ احكىلى بالتفصيل ازاي ده حصل مع أدهم !!

وما كان من حماتها إلا أن سردت عليها الحكاية .. وأثناء
سردها وباستفاضة عما حدث، لم تعلما بذاك الواقف فى
الخارج تنهال عليه الذكريات من كل حدبٍ وصوب ..
سهام طائشة تضرب هنا وهناك فى رأسه، وحديث أمه
يعيده لحقبة من حياته كان يفضل أن تظل مردومة على أن
تعود دفعة واحدة بمثل تلك الحدة !!



حين صمتت أمه وأعلنت انتهاء الحكاية، كان هو قد عاد مجدداً إلى جوار ابنه في الغرفة، رأسه كان يضج، بل كانت المطارق لا تنفك تدك عقله دكاً، حتى أنه من شدة الألم في رأسه أدمعت عيناه وتشوشت الرؤية أمامه المتمثلة في صورة ابنه .. ويده تلقائياً كانت تتجه نحو شريط الأقراص المهدئة الذي تناول منه بإفراط وعشوائية ودون حساب .. فانقلب الأمر عليه وسقط مغشياً عليه أو على روحه جوار ابنه الراقد على الفراش !!

أما بالأسفل ..

فقد أتمت داليدا الحديث مع حماتها، وأنهته بقولها :
_سامحيني انتى كمان .. انا حتى لو كنت تفهمتك بس
محتاجة وقت اتخطى الى حصل واحاول اتعايش مع وجود
فرد تالت بينى وبين جوزى وإلى بالمناسبة مش ابنى .. مش



هقدرا قدم فوق طاقتي واوهمك أن حياتنا هترجع زى الأول
بس الأيام كفيلة بكل ده !!!

لم تحاول عير ثنيها عما تريد أو مجادلتها فى شئ .. بل قابلتها
بابتسامة صغيرة وتركتها تمضى فى طريقها داعية الله داخلها
أن يتم الأمر مع أدهم على خير، فقطيعته لها تعذيبها وتنحر
قلبها !!

صعدت داليدا إلى الغرفة مجدداً .. فوجدته كما هو جوار
يحيى نائمين فظنته كما هو منذ تركته، لذا قررت تركه الآن
والعودة إليه مرة أخرى .. ونزلت مجدداً تحاول إلهاء نفسها
بأى شئ!!

=====

رب قلب اشتاقته قد كان عنك باحثاً ..
ورب حبٍ يأتيك سهواً دون حول منك أوقوة !!

لم يستطيع الصمود !!

هو بطبعه شخصية حارة، لا يتحمل الصمود والثقل، ولا سيما لو تعلق الأمر بكلمة "أحبك" بل سيكون أشد حرارة على شتى النواحي، حتى وإن كانت مرفقة بـ "أغبي خلق الله" !

وكعاداته حين يكون متحمساً لشيء، وخاصة ذاك الشئ المتعلق بها، يصل عند شرفتها ويصاب بالفتور !! لكنه هذه المرة كان على قدميه دون السيارة ... "ناطحات غباءه" تعاود مساورته، فلا يعلم أى طريق يسلك، وما دل على كثرة الغباء هو أن رقمها مسطور على شاشة هاتفه لكنه اختار الاختيار الأصعب ..

_سميييييييييييية !!!



ندائه الذى كان جهورياً بشكلٍ مزعجٍ صدر عنه، ووصل إليها، فأسرعت سمية تنهض عن فراشها الذى كانت مستلقية فوقه ومعها ماسة تاركة لمصطفى ويارا فى الخارج حرية الحديث، ولم تعلم بأن يارا غادرت منذ قليل .. أغلقت هاتفها ونزعت السماعات التى كانت تسد أذنيها بصوت الأغانى ورغم ذلك صوته اخترقها، وهرولت نحو الشرفة دون أن تنتبه أن تضع "النصف حجاب" الخاص بها!

رفعت حاجبها متعجبة وهى تراه هكذا داخل حديقة بيتهم، يطالعها من الأسفل.. ضرب قلبها بشدة وذكرى الكلمات المتهورة المندفعة التى ألقتها بالهاتف تعاود جلدتها على تهورها، لكن مراد لم يسمح لها بأخذ مساحتها بل عاود الهاتف ييأس لكن بصوت منخفض :

يا بنتى مش كده .. مش كده !!



انتهيت لأنها لا تضع "نصف الحجاب"، فعادت لتلتقط ما وقعت يدها عليه ووضعت فوق رأسها بلا اهتمام ..

وخرجت إليه مجدداً بلسانٍ معقود !

أن تراه وجهاً لوجه بعد أن اعترفت رسمياً كان لها قادحاً
لخجلها صعب الظهور .. لكنها خجلت وهذا في حد ذاته
سبق يُحسب لمراد !!

وجدت هاتفها فجأة يتعالى رنينه، فأجفلت دون سبب إلا
توترها لتجده هو .. ففتحت الخط وخرجت إليه مجدداً
تنظر للملحمة البعيدة القريبة :

_قولى إلى انتى كتبتيه امبارح تانى !!

نبرته كانت غريبة، بعيدة كل البعد عن مراد ثقيل الدم،
متصنع الثقل، مُمتن الغباء !

من أمامها الآن وتسمع نبرته هو "مراد العاشق" !!



وهذا اللفظ وحده جلب لشفتيها ضحكة عالية .. عالية جداً .. قطب على إثرها، وقال بهدوء لم يخلو من اللمحة الجديدة في نبرته أياً كانت ماهيتها إلا أنها جميلة .. جميلة حد الهلاك :

_انا مش شايف حاجة تضحك الحقيقة .. انا مش شايف غيرانى من امبارح مغمضتش عيني وكله بسبب إالى قولتيه !

_عاوز تفهمنى ان إالى قولته أثرفيك مثلاً .. غريبة دى !

_على فكرة انا مش بهزر ..

_ولا انا بهزر .

_يبقى قولها تانى !

_بحبك يا مراد !

ران الصمت بينهما مجدداً، وقد فعلت جملتها الأفاعيل به !
رغم أن هذه ثانى مرة يسمعها إلا أن كل مرة يكون إحساسه بها أقوى من سابقتها!

_ليه ؟!

سؤاله كان هادئ جداً، حتى أكثر من المعتاد، فقطبت

وهمست :

_ليه ايه ؟

_حبتيني ليه؟

ضحكة صغيرة زينت شفتيها، كانت مأكرة بعض الشئ إلا أن

روح سمية كانت تتلبسها وظهرت جلية في كلماتها الخافتة

المبتسمة :

_حكاية يطول شرحها يا ابن عمتي !!

_عاوز اعرفها .

_مرة ثانية !

_هو انا بقولك تعالى اتعشى عندنا، عاوز اعرف الحكاية .

ضحكتها شديدة الرقة هذه المرة تعالت مجدداً، فلاح

ابتسامة صغيرة على شفتيه .. إلى أن قالت سمية بعد وهلة

صمت :

_تاخود ملخص؟

_طب نبذة طيب!

وضحكتها التي تكررت كثيراً صاحبت قولها :

_ "بعض العشق دين يا ابن عمتي" .. ومسيريوم هحكيلك

الحكاية كاملة !

ومن ثم أغلقت الهاتف !!

منحته إحدى ابتسامتها الماكرة قبل أن تتراجع وتسحب

الستار أمام النافذة كما سحبت الستار على هذا المشهد غير

المكتمل !!

وقف في حيرة من أمره بمقابلة شرفتها يتطلع للستار المعتم

أمامه ولا يدري سرتلك الطاقة التي انبلجت داخله فجأة!!

أحلمه صعب المنال سيتحقق أخيراً ؟!!!

=====

كان يا مكان..

في سالف العصر والزمان ..

كانت الأميرة محتجزة داخل قصر الوحش والبطل الشهم
سيخرجها !!

لكن الآن هي ليست أميرة، وهو ليس بطل شهم بل زوج
تعس !!

زوجته ليست حبيسة قصر الوحش بل داخل بيت أخيها
ومن يدخل حجرتها، من يحاول فك ضفائرها، من يدنو من
سور حديقتهما يا ولدى، مفقود مفقود .. ومنك لله يا نزار !!!

زفرزفرة حارة وازت نظرتة الساخطة على واجهة المنزل المائل
أمامه ..

لما يصروا على إبعاد زوجته عنه وزوجته نفسها لا تريد !!؟
ولفظة زوجته فقط تدعو للضحك .

فهي في النهاية زوجته، ليست "باربرا" شديدة الحسن التي
حبسها أباهها في برج عالٍ بعيداً عن العيون؛ خوفاً عليها من
الخطيئة !!

هى فقط زوجته وليست حتى فاتنة الجمال، لكنه يحبها !!

سم الله داخله وتقدم .. وبعد برهة من تعالى رنين الجرس

وجد "والد باربرا" يفتح له ... يقصد زين يفتح له !!

وخلفه "باربرا" واقفة أعلى السلم بكامل ثيابها، وعلى

استعدادٍ للرحيل وفقاً لاتفاق سابق بينهما !!!

تنحج بخشونة بعد أن التفت زين إلى النقطة التى ينظر

إليها خلفه ووجد منة واقفة على السلم، فزم شفثيه وعاد

لمؤمن مرة أخرى قائلاً من بين أسنانه :

_نعم !

_نعم الله عليك.. انا جاى اخود مراتى !

_ملكش حد عندنا!

_معلىش هى واقفة وراك آهى، متشيكة وعلى سنجة عشرة

ومستعدة للعودة !



قالها مبتسماً بسماجة، فزداد ضغط زين على شفثيه وكاد
يرد بما يليق، لكن يد صغيرة ناعمة تلمست طريقها إلى
كتفه، وصوتها إلى أذنيه، فاستدار إليها بملامح مبتئسة
قابلتها بابتسامتها الجميلة قائلة :

_ارجوك!

رفع ذراعيه عالياً، وفغر شفثيه ينوى قول شئ وقف على
حافتي شفثيه، ثم أسقط يديه إلى جنبه مجدداً وقال بقلّة
حيلة :

_هقول ايه .. ما جمع الا اما وفق .. كلها عقول صغيرة !
أزاحت عن كتفيه غباراً وهمياً وهمست بنبرة مشرقة -إن
صح التعبير- :

_اسم الله عليك يا عاقل يا راسى !

بملامح لم تلين بعد اقترب منها مقبلاً جيئتها قبل أن يقول
بهدوء، موجهاً حديثه للواقف خلفه يتابع الحوار بملامح
ملولة :

_ انا مش هسيبها تمشى غير عشان هى عاوزه تروح معاك ..

بس يارب نعقل ونفرق بين الصح والغلط !

ارتفع حاجب مؤمن بشكلٍ غير مبشر بخير فنظرت منه له

بعينين مترجيتين ألا يفتعل مشكلة الآن .. علامة أن "خذه

على قدر عقله" !!

والأمر المكشوف لم يخفى عن عيني زين الناظرتين لها فتهد

بملل وهو يعلم أن الجدل مع اثنان كهذان لن يجدى!

لذا افسح المجال أمامه وأمامها وقال بهدوء مشيراً نحو

الخارج :

_ اتفضلى !!!

عناق حار أهدته لأمها ومثله لأخيها قبل أن تخرج إلى زوجها

وتقف جواره .. وكلمة وجهها زين قابلها هو بابتسامة وإيماءة

:

_ بطل تزعلها، حاول توفى بوعدك .. عشان المرة الجاية

هيبقى فيها كلام تانى !



حالما دخلا من بوابة البيت تركته عندها وهرولت نحو
الداخل .. إلى حماتها !!

فرفع مؤمن حاجبيه متعجباً !
لم يرقط في حياته حماة وكنة متفاهمتين حد الانسجام
كمنة وأمه !!

حتى هو علاقته بأمه ليست بتلك المتانة رغم سعيه لذلك ..
لكن ما لا يفهمه أن الأم بحاجة دوماً إلى ابنة !!!
تلك لا تكون فقط ابنة، بل أخت وصديقة وأحياناً كثيراً
تُقلب الأدوار وتتخذ الابنة دور الأم .

وهذا ما كانت تمثله ذكرى لوالدته وقد كان عوضها منة !!
فأنى تملك ألا تنسجم معها ؟ !!!

_صحيح .. مشبعش من الحنية ولا داقش الحلويات !!



خرجت منه بتهكم زاد أضعافاً حين لحق بمنة إلى الداخل و
وجدها في أحضان والدته التي تهللت أساريرها بمجرد
رؤيتها!

_هونا عليكى يا منة كل ده ؟!

تسمرت قدماه بالأرض، واتسعت عيناه بدهشة وهو يسمع
صوت والدته لأول مرة منذ وفاة ذكرى !!!!

_من امته وانتي بتتكلمى !

سؤاله المشدوه جلب أنظار أمه إليه فرمقته بنظرة عاتبة
وقالت :

_من زمان بس كنت بربيك الأول عشان تبقى تعامل بنات
الناس كويس بعد كده !

وفي لحظة كانت المسافة بينه وبين أمه قد انطوت تحت
قدميه، وأشبع رأسها وراحتها تقبلاً وهو يتمتم :

_الحمد لله .. الحمد لله يا امى !!!



هبطت دموع منة مدراراً تأثراً، في حين ضحكت والدة مؤمن
وضربتة بخفة على مؤخرة رأسه قائلة :

_بقي تعمل في مراتك كده يا مؤمن طول الفترة دي .. طب
بلاش منة إالى شيلاك وشيلانا في عينيها !

نظرة بطرفٍ خفى منه إليها، جعلتها تضحك وهي تقول :

_مكنش ينفع مقولهاش، هشتكيك لمين غيرها !!

_صبرك عليا !

قالها متوعداً، ثم عاد إلى أمه قائلاً بلهفة :

_من امته ؟!

_من كام يوم .. واول واحدة عرفت كانت منة .. كلمتها ف

التليفون وهي حكلى على كل الى حصل من يومها !

مال على كفها مرة أخرى بقبلة أعمق، قائلاً بخفوت :

_مش مهم .. المهم انك بخير.. وانا هكره لما تكون منة اول

حد يعرف، ده دليل على انى اخترت صح، فادعيلى بقى !



ضحكت والدته مجدداً، إلى أن خفت ضحكتها، وتعلقت
الأنظار بها في ترقب، إلى أن قالت إيمان بنبرة هادئة:

ـ لازم يكون عندك ايمان بربنا يا مؤمن .. لازم تؤمن بالقضاء
والقدر، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ
تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا .. صدق الله العظيم ..
نصيها كان هيصيبها ولو كانت هنا في حضنك .. ده عمرها،
فليه تعمل كده في نفسك وفي بنت الناس إلى مشوفتش
منها غير كل خير، كنت مستنية منك رد احسن من كده يا
مؤمن .. بس الإنسان لحد ما يموت هيفضل يتعلم وياريت
انت تكون اتعلمت الدرس صح !!

وكان رده على حديثها قبلة أخرى على راحة يدها، أتبعها
بأخرى على رأسها، قبل أن يمسك بكف منة الجالسة جوار
أمه وقال بخفوت :

_ اتعلمت يا امى .. ربنا يقدرنى وابقى الشخص إالى تفتخرى
بیه !!

=====

_ عاش والله .. مؤشؤاتك الحيوية بتتحسن .. لا ضغط
عالى ولا سكر مش مضبوط، ولا توتر ولا اى شئ من إالى
كنت فيه من البداية .. واعتقد كمان أن الصداع قل كتير
عن الأول فياريت تبعد نفسك عن الضغط عشان
متطولش عن كده !

انهى فارس حديث وهو يسحب جهاز قياس ضغط الدم عن
ذراع مصطفى وضبه فى اللعبة الخاصة به قبل أن يزيحها
جانباً، ناظراً لمصطفى أمامه بابتسامة أقل ما توصف به
باهتة .. ثم استكمل دوره كطبيب :



_هتبدأ تتابع العلاج الطبيعى عشان رجلك من الاسبوع

الجاي ياريت تلتزم بقى!!

كان مصطفى جالساً على طرف فراشه فى مواجهة فارس

ذابل الملامح، فأمسك بكفه بقوة قائلاً بجدية:

_مالك يا فارس؟!

_مليش مانا كويس اهو!

_مش هنكذب على بعض .. كان ممكن اصدقك فى وقت

تانى!!

_موضوع معقد .

_وفيه ايه فى حياتنا مش معقد؟!

سؤال شديد السخريه صدر عن مصطفى، فابتسم فارس

وهو يهب واقفاً قائلاً:

_كله على الله!!

تشبت مصطفى بكفه قائلاً بإصرار:

_ونعم بالله مقولناش حاجة .. بس فيه حاجة حصلت
مديقاك .

صمتت لبرهة ثم سألت متوجساً :

_في حاجة جديدة ناحية ابوك ؟!

التمعت عينا فارس بسخرية مقبلة، لم تجذب انتباه
مصطفى، إلى أن ربت الأول على يده وتركه خارجاً دون أن
ينسى أن يقول :

_قولتلك سبها على الله !

قادته خطواته نحو جناحه الذي لم يخطوه منذ يومها، وما
خطاه إلا لأنه يعلم أنه خالٍ منها !!

إلى الآن لا يقدر على مواجهتها، حتى بعدما استيقظ في ذاك
اليوم ووجد رأسه مرتاحاً على صدرها، وذراعيها يحتويانه
إليها .. لم يقدر على النبس بأي شئ ولم يحاول .. بل تباعد

وحتى لياليه كان يقضيها فى نفس الغرفة غير مستمعاً
لإلحاحها الشديد لأن يصعد إلى جناحه !!

تقدم إلى الداخل متوغلاً، مستنشقاً عيبرها المتناثر خلسة،
تحمل أشلاءه ذرات الهواء !!

فتح باب الشرفة ودلف بخطٍ وئيدة نحو الداخل .. رفع
وجهه نحو السماء الملبدة بالغيوم، وحاول جاهداً أن يلمح
الشمس لكنها كانت مختبئة خلف السحب تؤكد له أنه لن
يراها الآن .. فكما أن الشتاء قد اقترب أوانه، فشتاء حياته
كان كذلك !!

ربت يده برتمٍ رتيب فوق سور الشرفة وعقله يساوره بفكرة
إخبارها اليوم فهو لن يستطيع السكوت أكثر.. والقدر قد
استجاب طلبه بأسرع ما يمكن !!!!!



ذراعان نحيفان التفا حول خصره من الخلف، ووجنة
ناعمة ارتاحت على ظهره، وصوت غرد بأذنيه يحمل لمحة
من عتاب :

_حمد الله ع السلامة انك رجعت لاوضتك !

واتبعت قولها بضحكة خافتة وازت إغماض عينيه وتهيدة
منه لم يقدر على كبحها .. حينها التفت درة لتقف أمامه
عنوة وقالت بحنو:

_مالك يا فارس !!

_توعديني لو قولتلك تفضلي ومتمشيش !!

توجست، وارتجفت ابتسامتها .. لكنها اومأت بخفة وهي
تقول :

_وهو انت كنت اتخليت عنى قبل كده عشان انا أتخلى عنك
دلوقتي !.. وبعدين ربنا ما يجيب حاجة وحشة بتقدم الكلام
الوحش ده ليه ؟



ربت على وجنتها بخفة وأهداها ابتسامة فاترة وصمت ..

وحين طال انتظارها، تململت وهي تقول :

_يا فارس اتكلم هو انا هسحب منك الكلام!

_فاكرة اننا ملاقيناش إلى كان السبب فى الحادثة بتاعتك !

توجست وسارت رعدة فى جسدها أشعرتها بالبرودة ..

فضمها فارس إليه وأحاطها بذراعيه بحمائية فى حين

همست درة بصوتٍ فقد كل طاقته التى كان يشع بها منذ

قليل :

_عرفتوا مين إلى عمل كده صح ؟!

تربيتات خفيفة متتابعة على رأسها سبقت قوله الخافت :

_ايوا يا درة عرفت !

رفعت عينين متسعيتين بتعبير خائف إليه وكأن قلبها

استشعر أن ما ستسمعه سيؤذيها :

_ابويا يا درة .. ابويا كان السبب !!!!



بمجرد أن سمعت الكلمة ظننته أحال الحوار بينهما إلى إتجاهٍ
آخر إلا أن التفاصيل التي رواها فارس بعدها أكدت كذب
ظنها، وعرّت الحقيقة الكاملة أمامها !!

والد فارس ... فارس زوجها هو من تسبب لها فيما حدث
وانتهى الأمر، نقطة آخر السطر.

فجأة أجهشت في بكاء شديد، ودفنت رأسها في صدره، تبكى
بحرقة وصوتٍ مرتفع كان وقعته على مسامعه كوقع
الصواعق !

_ انا مستحقش أن يحصل معايا كده ... والله ما استحق !
دمعة حارة بللت عينيه، أبى أن تراها منه الآن، فقبل قمة
رأسها بحرارة وهو يهمس :

_ عارف .. والله عارف انك ما تستحقى، وانا اسف .. اسف
على كل إلى انتى حساه دلوقتى .. وعارف انى مستحقكيش !



لم تعقب ولم تستطع أن تعقب، فقط سكنت بين ذراعيه
وفرغت كل انفعالاتها بكاءً ..

حتى مروقت طويل، كانت فيه قد هدأت .. فاستلت نفسها
من بين ذراعيه متوجهة نحو الداخل!

تابعتها عيناه وهي تتقدم لترقد على الفراش، توليه ظهرها،
وتنكمش على نفسها كما الجنين !!

رق قلبه لها، وقرر أن يتعامل مع حقيقة أنها إلى الآن لم
تدرك الموضوع تماماً .. وإلا ما كان الذي سيبقيها إلى الآن في
بيته وفي فراشه !!

اقترب من الفراش واندس جوارها فوقه، ضمها إليه،
ظهرها مقابلاً لصدره، يستقطع تلك اللحظات الثمينة من
الزمن بقربها .. قبل قرار الرحيل !!!

=====



الملل الذى يساوره حين يكون منتظراً للطعام لا يضاهيه
ملل .

خاصة وهو جالساً هكذا، على الطاولة القابعة فى المطبخ
قبالته أمه تطهو طعامه المفضل والرائحة تغزو أنفه دون
هوادة ..

_يا مهنون يارب !!

وكلمته نافذة الصبر قابلتها ضحكة أمه الذى قالت :

_اصبر بس حممر "البانية" واكون خلصت !!

_اديني صابرياً صابر!!

أيضاً قابلته ضحكة أمه لكنه انتهت لما تفعل وقالت :

_اشغل نفسك بأى حاجة يا زين على ما اخلص !!

_فكرة برضو!

همس بها لنفسه بابتسامة خبيثة، ورفع هاتفه يتطلع

لمحادثتهما الأخيرة على الواتساب !



وجدها متصلة، فقرر استفزازها بما يخرجها عن طور
سيطرتها الآونة الأخيرة حين كتب ..

(يلا نتجوز !)

والرد جاءه سريعاً، منافياً لوتيرة تعصبها ..

(عاوز فعلاً تتجوزنى "قرد يخفى عينيه خجلاً")

(اومال هتجوز أحمد مثلاً)

(تعالى اطلبنى من خالى)

(خالك مين إالى ظهر فجأة ده؟)

(ايه ده هو انا مقولتلكش ..؟ "وجه مصدوم")

(لا والله ما حصل)

(اصل انا ف الفيوم عند خالى عبدالرحيم .. نسيت أن انت

مشوفتهوش قبل كده ونسيت اقولك، سورى بقى! "وجه

مبتسم ابتسامة سمجة")

رفع وجهه عن هاتفه إلى أمه بملامح ممتعة، ثم قال بنبرة

على وشك البكاء :

_الحقيني يا امى !

_حصل ايه ؟

_خالها طلعلى فى البخت !!!!

=====

_عبيير!!

نداء ولديها جاء هادراً، مزلزلاً أرجاء البيت، فبسملت
وحوقلت وهى تهرول خارجة من المطبخ، تسمح كفها فى
منشفة صغيرة وهى تقول :

_فى ايه .. حصل ايه؟!

وجدت أسرامها وجواره مراد، مصطفى كطفلين
مشاغبين على وشك الاعتراف بجريمة طفولية نكراء !!
عقدت حاجبها متوجسة، ثم هتفت بنبرة الأم الصارمة
خاصتها :

_خير اللهم اجعله خير!!

_انا عاوز اسافر لاروى !!

_وانا عاوز اتجوز !!

صدمتها كانت ثلاثية الأبعاد، فقد انطلق الطالبان فجأة في
نفسٍ واحد .. وما كادت تعقب حتى تعالى صوت داليدا من
أعلى السلم بخوف :

_ألحقني يا مراد !!!.. أدهم بقومه مش بيرد عليا!!!!

أليس للفرحة مكان هاهنا !!!

لا تفتئ تستقر إلا وتتخذ قرار الرحيل !!!

===



الفصل السابع والثلاثون

=====

قفا نبكى ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ ..

بسقط اللوى بين الدخول فحوملٍ !!

بالطبع امرؤ القيس حين خط أول كلماتٍ فى معلقته فى
العصر الجاهلي لم يتوقع أن تظل الأجيال تتناقلها حتى
وقتنا هذا بل وتُدرس للطلاب !!

وما لم يكن موقناً منه هو أيضاً أنه أبداً ما كان سيجبر
ذاكرته على خوض المعارك بين ثنايا عقله ليستعيد ذاك
البيت من الشعر الذى درسه فى صغره ليستعين به فى
وصف حاله بدقة الآن !!!

لكنه سيضطر فقط لتعديل جزئية صغيرة به .. الأطلال
الذى يبكى عليها ليست بسقط اللوى بين الدخول فحوملٍ ..

بل بالحى الذى كانت تسكن به حبيبته بين البيت المجاور
فالبيت الآخر على اليمين !!!!

تطلع زين بعينين غائمتين ببلادة نحو بوابة البناية المفتوحة
على مصراعيها أمامه وقد سبق وسأل أحد جيرانهم الذى
أعلمه أن أحمد وزوجته وأخته قد سافروا لبضع أيام !!
يود لو يذهب إليها الآن ويهديها صفقة تليق بعدم تقديرها
إياه وإخباره أنها ستسافر لكنه لن يفعل حتى لو أتيحت له
الفرصة !!

فلا أى شئ سيسمح له بذلك ..
ويود الآن لو يهشم وجه "الحارث بن حلزة" لأنه كان يبكى على
الأطلال حين قال :

أذنتنا ببينها أسماء ..

رب ثاءٍ يمل منه الثواء !!

سيهشم وجهه فقط ليقنعه بكل هدوء أن حاله أفضل من
حاله الآن .. فأسماء قد أذنته ببينها أم فريدة فلم تفعل !!!!
تلك فقط كانت لمحة عابرة حين حل على ذاكرته بيت من
الشعر كغنيمة بعد معركته مع الذاكرة !!

أطفال أبرياء ارتفع طرقهم على مقدمة سيارته فتأفف،
فالأبرياء هؤلاء كانوا آخر من يريد أن يتحمل ضجيجهم الآن
!!!

لذا أعاد تدويرها، وانطلق بها ينهب الطريق تحت عجلاتها
نهباً، وقرار غبى بالسفر إليها قد لاح في أفقه .. والأكثر غرابة
أن استجاب إليه بكامل إرادته !!

=====

الحب في أعماقنا طفل تشرد بالضياء..
نحيا الوداع .. ولم نكن
يوماً نفكر في الوداع !!

-فاروق جويده .

هى عشقت هذا الرجل بكل روحها..
لكن الرجل يبدو أنه يريد أن يرحل..
وروحها ترحل..
أما عشقه فباقٍ!!

ما زالت دموعها لم تجف .. وارتجافها لا يخف، والحرب فى
عقلها حامية الوطيس !

ماذا دفع أدهم لمحاولة الانتحار؟!
السؤال الأكثر قسوة الذى يتردد فى ذهنها ما إن رأت شريط
الأقراص الخالى على سطح الطاولة المجاورة للفراش، بينما
هو ملقى فوقه دون حولٍ منه أوقوة !!



مستحيل أن تشك ولو بذرة في حبه لها لكن .. لكن الأمر فيه
شئ يخفى عنها، فأدهم لن ييأس وهي معه، ولكن ما الذى
دفعه لهذا؟!

ما هي كينونة ذاك الشئ الذى أوردته فكرة الانتحار؟!

لكن لحظة! أليس من الممكن ألا يكون انتحار؟!

بسمة ساخرة لاحت على شفيتها وهي جالسة جوار سريريه
بالمشفى التى نقلوه إليها ..

الحكاية واضحة، فما الذى يدفعه ليتناول كمية الأقراص
هذه إلا إذا كان يحاول الانتحار..

والأطباء أيضاً أكدوا هذا بعدما قاموا باللازم معه، وبعدما
تم تشخيص حالته بتسمم نتج عن تناول هذه الكمية من
المهدئات !!

ولولا الإنعاش القلبي الذى جاء فى وقته لكان أدهم الآن فى
خبرٍ كان ..

وأخر خاطرة فى حد ذاتها كفيلة بسلبها روحها ..
مدت كفها تتشبث بكفه المرتاح فوق الفراش، وإبهامها راح
يدور على ظاهر كفه بنعومة وازت نعومة همسها :
_لوانت فاكرانى هسمحك تهرب بعد كل ده تبقى غلطان يا
أدهم، مش هسمحك تياس .. مش بعد كل إالى حصل ولا
بعد إالى عملته عشانك، انت مجبر تفضل معايا سواء
رضيت أولا .. زى ما قبلتك انت وابنك، انت لازم تقبل أن
وجودك فى حياتى معدش اختيار، ده دين يا أدهم وانت لازم
توفيه سواء برضاك أو غصب عنك !!

بعد قليل..

يد عبير التي ربت فوق كتفها أيقظتها من شرودها، فنظرت
لها بعينين محتقنتين من البكاء، في حين همست عبير
بخفوت :

_تعالى روحى معايا .. ومراد هيبات معاه .. الدنيا ليلت بلاش
انتى تفضلى !

هزت رأسها نفيأ وهمست بنبرة واهية :
_لو عاوزه يفضل يخليه، لكن انا مش هروح !
_يا حبيبتي هتتعبى .

أيضاً هزت رأسها نفيأ، لكن هذه المرة دون رد، فقط أعادت
عينها إليه مُراقبة، وتركت حماتها لتتنهد قبل أن تستسلم
لما تريد وتخرج !

الهروب لم يعد إختيار حالياً ..
ووجب عليها المكوث لتلتزم بدورها من الإتفاقية، وعليه أن
يفعل المثل !!!

=====



قاد سيارته عائداً وحده إلى البيت بعدما ترك أسرووالدته
وداليدا جوارأدهم !!

أى أحد سيسخر من إصرارهم كلهم على المكوث، لكن ما
فعله أدهم بهم اليوم كان ضربة قاصمة لهم جميعاً !
مجرد تفكيره فى محاولة انتحارأدهم يثيرقشعريرة فى بدنه ..
جميعهم شعروا بالذنب لمآل حاله بشكل أوبأخرغم أن
أحداً لم يقصر معه بشئ !!

وخاصة أدهم .. منذ بداية ما حدث معه ولم يتخلى أى منهم
عنه ولا يوجد سبب واضح وقوى يدفعه لمثل ذاك الفعل ..
فهو قد بدأ يعتاد يحيى، وداليدا أتت إليه بإرادتها وفضلته
على الجميع !!!

فيعود لنفس النقطة بعدما يمر بالدائرة المغلقة كاملة !!
ما الذى دفعه لهذا ؟!



زفربحدة وانتبه من شروده إلى الطريق أمامه، لكن نظرة
واحدة نحو هاتفه الملقى أمامه حثته على شئ لم يستطع أن
يقاومه !!

وهو سماع صوتها ..

_ايوا يا مراد !

لم يكد حتى يضغط زر الإتصال إلا وأجابته فوراً .. فابتسم
وهو يقول ممازحاً بصوتٍ باهت :

_انتى حاطة صوبعك على الزراريه سميه !!

_والله ابدأ بس التليفون كان فى ايدى .

قالتها بضحكة خافته، فابتسم حين تساءلت بتوجس :

_طب انت بتتصل ليه !؟

_كنت عاوز اسمع صوتك!

ورداً على إجابته الهادئة التى لا تمت لشخصه الثقيل بصلة

قالت مبهوته :

_ انا مش مصدقه نفسى !

_ليه ؟

_مكنتش اتوقع ان اليوم إالى هسمعك فيه تقول كده
هيجى ، دايمًا كنت شيفاك شخص دمه ثقيل ، الحقيقة مش
دمه ثقيل .. انا هقول الصراحة وأمرى لله ، كنت شيفاك
شخص متخلف !!

امتعت ملامحه وقال قبل أن يستطيع منع نفسه :

_والله يارتنى ما كنت اتصلت .

ضحكة عالية ندت عنها ، فتأفف مراد وهو يهتف بها :

_والله ما بهزر .. انتى إالى متخلفة ، مفيش واحدة لسه قايلة
لواحد بحبك وتيجى تقوله انت متخلف ، دى تبقى هى
المتخلفة يا سمية !!!!

_مش شرط عشان بحبه يبقى مقولش رائى الحقيقى فيه ،
ومتحاولش تنكر لان انت نفسك شايف نفسك متخلف !



_بس بس .. الله يخربيت اللحظة إالى فكرت اتصل بيكى فيها
!

_معلش .

_طب تعرفى بقى انك نحس !

_عمرى ما كنت نحس بس احب اسمع وجهة نظرك .

تنهد وهو يجيبها بما حدث صباحاً :

_انهادة لسه بقول لامى انى عاوز اتجوز ملحقتش اكمل

الكلمة الا ولقيت داليدا بتنادى علينا عشان أدهم تعبان .

_الف سلامة عليه ايه الى حصله .

شرح لها مراد الوضع باختصار، لكنه بالها كان مشغولاً

بشئ آخر.. وما إن انتهى مراد من حديثه حتى قالت بخفوت

:

_الف سلامة عليه .

صمتت لبرهة ثم قالت بعدها :

_مراد .. انا، انا لاحظت انك بتقول حاجة عن الجواز.

ابتسم بتوجس وهمس :

_ايوه فيه ايه ؟

_يعنى هو انا المعنية ؟!

_ده شئ اكيد .. مين اللى لسه قايلالى الصبح انها بتحبني

بغض النظر عن الحكاية إالى انا لسه معرفهاش !

ازدردت ريقها بتوتر، وشحبت بشرتها فجأة وهمست بنبرة

مهتزة :

_مراد انا .. لا، مش مستعدة دلوقتى .

_يا بنتى هو انا رايح اتجوزك بكرة .

_لا بكرة ولا بعده ولا حتى بعد سنة .

عقد حاجبيه بشعورٍ غادر من القلق تسرب إليه، واشتدت

أصابع يده على مقود السيارة قبل أن يقول بخفوت

متشكك :

_فى ايه يا سمية ؟

وبنفس النبرة المهتزة اجابته :

_مفيش حاجة بس .. بس انا مش مستعدة وبعدين احنا
لسه حتى متكلمناش سوا فى اى شئ .. انت إالى مستعجل و
واخد الموضوع جد من اولها !
قال مراد بنبرة صلبة جادة :

_اومال هاخود الموضوع ازاي انا مش فاهم .. انا يوم ما
هيبقى فيه شئ يربطنى بيكى مش هيكون غيرقدام العيلة
والناس كلها .. انا مش بتاع الدِرا .. انا بدخل البيت من بابه
يا سمية ومش فاهم انتى اعتراضك على ايه!

شهقة بكاء غادرة افلتت منها ووصلته واضحة قبل أن
يسمع صوت الخط يغلق دون إجابة منها !!
وشئ واحد استقر بعقله بعدها ..
سمية تخفى شيئاً !!!

=====

ربما هى ما عادت تثق به !!



هذا الشئ المسمى "خاطرة سامة" يراوده طوال طريقه !!!
الليل انتصف .. وطوال طريقه حتى مدخل المدينة الموجودة
بهي بها الآن، عقله يكاد ينفجر!!
بالتأكيد ما عادت تثق به ..

فهو لم يقدم لها أى شئ منذ البداية على أى حال ..
ولكنه أيضاً لا يجد سبباً مقنعاً لشعوره هذا !! فهي لم
يصدر منها شئ يدل على هذا .. بالأساس هي لم تفعل إلا
السفردون إعلامه ولا يعرف لما يجلب له هذا الأمر هذا
الشعور الغير منطقي !!!
فريدة تثق به بالتأكيد .. تحديداً تثق أنه لن يؤذيها مرة
أخرى، لن يتسبب فى أى جرح لها!!

زفرو هو يتسمك بمقود سيارته لا يدري إلى أين يذهب ولا
أين هي الآن !!



وبالتأكيد لو حاول التواصل معها للوصول إلى مكانها لن
يذهب في منتصف الليل لبیت خالها طالباً ملجأ !!
وللحظة لعن تهوره الذي حثه على المجئ دون أى ترتيبات!
فتح هاتفه وتوجه تلقائياً إلى الإنترنت يتفحصه بحثاً عن
فندق قريب يقضي به ليلته !!
وبالفعل وجد، فلم يتأخر بالذهاب إليه !!!

=====

الألم يرحل..

الدموع ترحل..

كل شئ يتم تجاوزه، إلا الحب !!

وهذا الأمل هو الوحيد الذى يملكه .. وهذا التصريح هو

الشئ الوحيد الذى سيقوله بملء فمه دون أى تشكيك لأنه

أدري بقلبه وما به ..

بعدد كل النجوم .. أحبك !!



_درة .

همسته كانت ليوخطها، ولم يعلم أن إفاقتها سبقت
خاصته، ورغبها في عدم الابتعاد عن الحيز الذي يضمن
دفع جسده إليها سبقت رغبته هو في عدم الابتعاد !!
رغم أن كل منطق يحثها على الابتعاد، إلا أن قلبها يوماً لم
يعتد منطقة الأمور .

_درة انتى صاحية ؟!

وسؤاله الخافت ردت عليه بسؤال آخر:

_الساعة كام ؟!

_تقريباً نص الليل .

همهمت دون رد، وذلك أباح له إذناً ليمس بتردد :

_درة احنا ...

لكنها لم تسمح بل قاطعته حين انقلبت على جنبها لتواجهه،
وجابهت عينيه برقعة مستجدية قبل أن تهمس بصوتٍ واهٍ :
_خودنى في حضنك يا فارس!

رقت عيناه وقلبه لها، لكنه لم يسرع بضمها كما طلبت،
فهمست بأكثر حرارة :

_مستكتر عليا حتى الحزن، وبقالك ٣ أيام بعيد عني !
هنا ضمها إليه بهدوء، تحول شيئاً فشيئاً إلى شئ أكثر حرارة
من الظلم أن يطلق عليه "عناق" !
بل كان ينصهر بها، يمتزج بروحه قبل جسده عله وجد داء
علته فيها ..

_عمري ما استكتر عليكى شئ ولو حتى روحي يا درة، بس
الوضع صعب .. صدقيني !!!

_الوضع صعب علينا كلنا، بس اوعدنى نعديه سوا .
تأوه وهو يدفن وجهه فى التجويف بين كتفها وعنقها، ثم
همس بحرارة :

_مش انتى إالى المفروض تقولى كده .. ده دورى انا يا درة
مش انتى !!

_وانا ايه وانت ايه يا فارس ؟!



همستها كانت بالنسبة له صادمة، فرفع وجهه ينظر إليها
بنظرة منطفئة هامساً :

_معنى كده ايه يا درة .. انتى مستعدة تفضلى ؟

رفعت كفها تحيط وجهه بحرارة، وسعت لاستنزاف نفسها
كى تتماسك وتتمسك بموقفها معه :

_قولتهالك من قبل ما اعرف اى شئ يا فارس .. انت عمرك
ما اتخليت عنى، وانا مش هقدر أتخلى عنك .

وبنفس النبذة الباهتة رد :

_متحاوليش تستنزفى روحك عشانى يا درة.. انا
مستحقكيش!

غرست نظراتها فى عينيه غرساً وهمست :

_انت مين .. لازم تفهم الأول انت تبقى مين عشان تقرر اذا
كنت تستحقنى ولا لا .. لازم تفهم انى ميعينيش غيرانك

فارس وبس، واى شئ تانى مهمش !!



الأمر معقد..

بل الأمر مقلوب !!

هو من عليه استعطفها لتبقى، لا أن تكون هي من تواسيه،

تدعمه، أن تثبت له أحقيته بها !

هو من عليه دعمها لا العكس ..

لكنها وكما العادة تستخلص قوتها الكامنة في كونها درة

وتحاول تخطي الأمر كما فعلت قبل ذاك ..

موقنة أنه هو.. فارس .. بعيد عن كل هذا، موقنة أن

شخص فارس يستحقها بعيداً عن أى إضافات أخرى !!

تحاول وبكل جهد أن تكون وطناً !!

وهكذا هو الحب، أن تكون أنثاك وطناً .

_مكنش المفروض تسعى ورا كل ده.. مكنش المفروض تفتح

دفاترانت عارف انها هتجيب الألم لينا كلنا !



وحديثها الأخير كان محاولة أخيرة لثنيه عن إرادته في وضع نفسه في قالب المذنب دون ذنبٍ فعلى له، لكنه قابل همستها مجادلاً:

_كنت عاوز اعرف كل حاجة .. مكنتش هرتاح لو كملت وانا متغفل وعامل نفسى مش واخد بالى .. كان لازم اعرف كل حاجة واجيب اخرها!

همسته الذبيحة لاقت صداها في قلبها، لكن همستها الخافتة المختلطة بدموعها الوشيكة جاءتة ربما عاتبة إلا إذا كان يتوهم:

_عمرك ما هترتاح وانت مصمم تعرف كل حاجة، اللى بيبقى مخفى عننا ده بيكون من رحمة ربنا بينا .. عشان ساعات إالى بنعرفه بيجيب اخرنا احنا!!

وبالضبط هو ما حدث..



ما عرفه جاء بأخر رمق به، ولولا قوة درة التي تظهرها في
التعامل مع الأمر لكانت علاقتهما انهارت، حرفياً !!!

لم يجد رداً سوى أن لاذ بها عنها، وعن كل ما يحيط بهما، بل
ولاذ بها عن نفسه !!!!

درة ستظل دعامة الوحيدة حتى وإن أنكر هذا، حتى وإن لم
تكن منذ وقت طويل، حتى لو لم يلقي منها في البداية سوى
الرفض !

ستظل "ركنه الشديد" بعيداً عن كل ما يؤرقه حتى وإن
كانت هي من تحتاج إلى من تسكن إليه !!
مرأة بهذه المقدرة الفذة على العطاء، أنى له أن يتركها تذهب
ولا يلوم نفسه بعدها أبد الدهر؟!

=====

في اليوم التالي ..

حين حل الصباح .. استيقظ في غرفة الفندق التي قضى بها
ليلته حين ضرب شعاع الشمس عينيه !

فاستقام في سريره متأوهاً قبل أن ينظر في هاتفه ليجد أن
الساعة قاربت الثانية عصراً !!

فهب واقفاً، لينهى طقوسه الصباحية أولاً .. ثم عاد لهاتفه
مجدداً .. وجد كمية اتصالات غير محصورة من والدته،
فاتصل بها أولاً ليطمئنها وتجاهل استنكارها لما فعله دون
إشعار سابق ..

ثم أغلق معها وأخذ نفساً عميقاً، مستعداً لمحادثة همه
الكبير !!!

_ايوا يا زين !!

صوتها كان ضائعاً وسط ضجيج يملء الحيز حولها، ووصله
عبر الموجات، فامتعت ملامحه وهو يهتف:

_يا بنتي ايه الوش إلى عندك ده !



وصوت ضحكها امتزج مع حديثها الذى وضح؛ حيث
ابتعدت عن مصدر الضجيج :

_ خلاص اهو بعدت عن الوش .. خير اللهم اجعله خير!
_ انتى فين؟!

_ لا إله إلا الله .. مانا قولتلك إمبارح !

_ لا اقصد فين فين .. مكانك بالظبط، انا من امبارح فى
الفيوم !

صوت تأوه محبب صدر عنها، قبل أن تهمس باسمه .. فعقد
حاجبيه وهو يقول :

_ ايه .. ايه الغريب ف كده !

_ انت جيت لحد هنا عشانى !

_ هو مش انتى إالى قولتى تعالى اطلبنى من خالى، مع أن انا
مش فاهم الحقيقة ايه وجهة نظرك بس يلا .. خليك مع
العبيط .



صوت ضحكتها العالية غرد في أذنيه، فابتسم في حين قالت
هي بانطلاق :

_ خلاص بُص .. هبعثك "لوكيشن" بالمكان وهخلي أحمد
كمان يتواصل معاك عشان تقدر توصل، وانا مستنياك هنا
.. وبالمناسبة مقصدتش انك تيجى تطلبني حرفياً، أنا بس
كنت بهزر .

_ طب ابعتي يلا عشان هاجي !

_ وبالمناسبة برضو.. احنا سافرنا عشان فرح بنت خالي
اليومين دول، وكمان فرصة عيلة ماما يتعرفوا عليك !
صمت للحظة ثم تساءل بهدوء :

_ فريدة معلىش في السؤال بس، لكن خالك عبدالرحيم ده
كان فينه من زمان، أقصد من أيام إالى كان بيحصل معاكم
من وانتوا صغيرين !!



تعبير حزين لاح على ملامحها الصافية وهى واقفة فوق
سطح المنزل تطالع السماء فوقها، قبل أن تبسم ابتسامة
باهتة قائلة :

_ تخيل مثلاً مين ساعد أحمد عشان يقدر يشتغل ويجيب
فلوس ويدبرلنا بيت عشان ياخودنا نعيش فيه بعيد عن
مرات ابونا ؟.. اكيد أحمد وقتها مكنش هيقدر يعمل كل ده
لو حده !!.

همهمة صدرت عنه كناية عن الإدراك، فأتسعت ابتسامتها
وهى تدير دفة الموضوع بعيداً عن أى ذكريات محزنة قائلة
بحماس :

_ بقولك ايه انا هبعثلك اللوكيشن على طول وانت
متأخرش .. سلام !!



ومن ثم أغلقت الخط دون انتظاررده .. فابتسم زين وهو
يسقط الهاتف في يده، ينظر له بنظرة خاصة وكأنه يراها
أمامه الآن، ثم همس برِد متأخر:

_سلام !!

=====

"ياما عيون شاغلوني .. لكن ولا شغلوني .
إلا عيونك انت .. دول بس إالى خدوني .
وبحبك أماروني !"

لا هذه لم تكن لحظة رومانسية بين اثنين، ولا حتى شخص
وذااته .

ولا لم تكن في هذه اللحظة مبتسمة ابتسامة حاملة وتخييل
عينيه على "صوت الست" !!



بل الست لو سمعت الصوت الذى تُغنى به كلماتها الآن
لكانت فضلت الانتحار على أن يغنيها أحد بمثل تلك
البشاعة !

_كفاية يا وداد .. كفاية الله لا يسيئك !

وكعادة أى فتاة مصرية لا تنفك تسخر من أى قريبة لها
واقعة فى الحب، رغم أنها فعلياً على وشك الزواج، بل وعقد
قرانها اليوم !!

أشارت تلك المدعوة وداد والتي هى بالمناسبة عروس الليلة،
إلى بقية بنات عائلتها أن يرفعن صوت الغناء أكثر نكالاً
لفريدة التى تركتهم جرياً لتحادث خطيبها "أخضر العينين" !!



تعالى ضحكات الفتيات حتى وضعت فريدة إصبعها فى
أذنيها رافضة السمع، فى حين رمقتهن فريدة بنظرة مغتظة،
قبل أن تُنزل يديها فور أن سكتن .

_حرام عليكم .. شوهتوا الأغنية .

_معلش يا فريدة يا اختى احنا برضومش مخطوبين لناس
قمرزى ناس .

رمقت فريدة تلك الفتاة الناطقة بتلك الجملة بنظرة باردة
دون أن تجيبها بل هتفت وهى تنظر لجهة أخرى :
_قل أعوذ برب الناس !!

تعالى ضحكات الفتيات مرة أخرى، فى حين قالت إحدى
قريباتها :

_والنبي خليك معايا شوية .

ضحكت وداد وهى ترمق أختها "فاطمة" بنظرة حزينة قليلاً،
ففاطمة مُطلقة من سنواتٍ طويلة رغم أنها ليست طاعنة

فى السن، بل بالكاد أتمت الثانية والثلاثين، لكن ظروف طلاقها كانت قاسية عليها، فهى وزوجها كانت بينهما قصة حب طويلة، انتهت بالطلاق لعدم الوفاق بين العائلتين، ورحل الزوج ورحل الرجل وبقي الحب .

وكعادة وداد دائماً حين تحب أن تجنب أختها الألم تحيل الحديث إلى ضفة مرحة .. فتهتفت تغنى مشتركة مع الفتيات ..

_إلى بيشكى حاله لحاله..

وإلى بيبكى على مواله..

أهل الحب صحيح مساكين .. صحيح مساكين !!

ضحكت وداد وهى تميل إلى أختها الجالسة جوارها واحتضنتها بحرارة قائلة :

_ربنا هيعدلك بإذن الله !!

_بلا حب بلا نيلة؛ خدنا ايه من وراه احنا !
وكالعادة أيضاً في كل جلسة أنثوية تكون هناك واحدة شاذة
عن القاعدة وغالباً ما تنتمي لسلالة "أنثى الغراب" تقريباً ..
تظل تلعن الحب ومن يحب ومن يجئ بسيرته، وهذا النوع
تحديداً يتمثل في العازبات صاحبات المستوى المرتفع من
روح "جعفر" المسيطرة على عقولهن !!
وما أبغض من هذا النوع على قلب فريدة، لذا هتفت
بصوتٍ واضح وصل للجميع؛ تعمدت أن يكون ذوبحة
جميلة لا يخلو من الدلال، بل الكثير من الدلال :
_يا لى ظلمتوا الحب وقولتوا وعيدتوا عليه ..
قولتوا عليه مش عارف ايه ..
العيب فيكم يا ف حبايبكم ..أما الحب يا روحى عليه !

_الله عليكى يا بنت عمى!!!!



ولم تكن هذه سوى العروس المرحّة وداد، أطلقت جملتها مع
صيحة عالية جعلت الجميع يضحكن عدا الفتاة التي
تجهمت ورمقت فريدة بنظرة مهمة ساخطة !!

صوت أبواق عالية للسيارات بالخارج، جعلت الفتيات
يهرعن إلى الشرفات ظناً منهن أن العريس قادم، وكان فعلاً
عريس .. ولكن من نوع آخر!!

زين !!!

اسمه خرج ملهوفاً من بين شفّتها، فضحكت وداد وهي
تقول بمرح :

ـ أخيراً عرفنا اسمه إلى مش عاوزة تقولي هولنا من الصبح ..

أما هو صحيح زين يا بت !!

ـ غضى بصرك يا حبيبتي !



هتفت بها فريدة وهى تربت على كتفها، قبل أن تزيحهن جميعاً من أمامها، لتتقدم نحو الشرفة، التى وقفت بها تطالع هيئته التى تفرض هيبتها على أى مكان يكون فيه، ورأت تعامله مع أهل الدارالذين استقبلونه بالترحاب الشديد، وقبل أن يتقدمه خالها عبدالرحيم مع أحمد إلى داخل البيت، كان قد رفع عينيه نحوها، وهى واقفة مستندة إلى سور الشرفة بخيلاء، ترمقه بابتسامة رأى طيفها عن بعد !!

فابتسم مثلها تلقائياً، قبل أن يرفع نظارته الداكنة يحجب عينيه عنها !!!

أوربما يحاول حجب مرآها عن عينيه !!

=====

بعد قليل ..

كان عقد قران وداد على عريسها قد تم فى مضيفة البيت الكبيرة، وتعالى الزغاريد وتوالى التهئة من هنا وهناك



على وداد التي كانت في طريقها نحو المضيفة برفقة فريدة
واختها فاطمة لتمضي على العقد !!
وحالما انتهت ورفعت القلم عن الورقة أمامها، حتى ارتفع
صوت فريدة فجأة .. بما يسمى زغرودة !!!
ارتفع حاجبا زين بتلقائية وهو يرمقها بعينين متسعيتين وهي
تطلق ذاك الصوت المغرد والذي استطاع أن يميزه من
وسط بضع أصوات أخرى اختلط بهم !!!
وتعالى ضحكته حين راقبها وهي تنتهي لاهثة مما كانت
تفعل !!!

أما فاطمة فقد رمقت طليقها الذي تفاجأت بوجوده في
هذه الجلسة وهو جالسا جوار أبيها بابتسامة رائعة،
فاصطدمت عيناها بعينه لتسرع هي بلملمة شتات نفسها،
وتنصرف مع أختها وفريدة التي وقفت فجأة بعد سؤال
مباغت وصل إليها :



_خطيبك عاوز يكتب الكتاب انه ارادة يا عروسة .. ايه رايك
!!!

ولم تعلم أن السؤال كان موجهاً إليها إلا مؤخراً ..
فقط بعدما التفتت، وعانقت عيناه عينيها، وأسرت لها
قوله بعيداً عن مسامع الآخرين ..
"بعدد كل النجوم .. أحبك !!"

=====

هذا اليوم حين استيقظت رنيم صباحاً لم تجده جوارها،
فمطت شفتيها بيأس من أن يغير عاداته في التسلل من
جوارها صباحاً ويتجه نحو عمله دون أن تشعر به ..
وتستعجب هي أنها لا تشعر به .. فهي تبدو كأهل الكهف في
نومتهم !!

تقلب ذات اليمين وذات الشمال دون أن تدري بما حولها
شيئاً ..



نهضت عن فراشها، واتجهت نحو الحمام تنهى طقوسها
اليومية قبل أن تتجه إلى الأسفل !!
لكن وقبل أن تفعل ما نوت عليه، رأت قصاصة ورق ملونة،
قد ألصقها معاذ بسطح المرأة صباحاً قبل أن يغادر..
(صباح الخير..)

مش شغل زى كل مرة .. المرادى سفر لغاية أسبوع .. بس
سبتلك حاجة تبقى جربها .. لعل وعسى ..
ورسم جوار جملته وجهاً مبتسماً؛ وسهم يشير إلى الأسفل !
بتلقائية اخفضت عينها لما يشير إليه ..
وهالها أن وجدت .. "إختبار حمل" !!!

=====



الفصل الثامن والثلاثون

=====

اشهد على عصيان ..

ولن اغفرلك

فقد تأمرت علي مع اعماقي ..

ومنعت التجول في شوارع عمري ..

واعلنت الاحكام العرفية في شبكتي العصبية ..

وها أنا اسيرتك !

اركض في دروتك الدموية مكبله بالسلاسل

كجدتي الملكة زنوبيا في شوارع روما ...

... ولن اغفرلك

وساعاقبك عقابا لن تنساه :

سأحبك ! ...

-غادة السمان

....



ليس عليه أن يكون هكذا !!

ليس عليه أن يأخذ منها كل شئ، ومن ثم يقدم لها كل شئ ..

ليس عليه أن يكون الشئ أوضده !

لكنه هكذا وسيظل، لا يحاول أبداً وسطنة الأمور .

_خطيبك عاوز يكتب الكتاب !

للحظة لم تفهم معنى ما قال لكن حين واجهت عيناه

فهمت، بريق عينيه انبثها اليقين، ففغرت فمها باضطراب

تحاول إيجاد مخرج من هذا المأزق، وبتلقائية توجهت

عينها إلى أحمد تطلب منه المشورة، لكن أحمد لم يكن

ليعترض، فهو هنا بين أهله وعزوته، وزين هو الوحيد هنا،

ولا تعرف أى جنون دفعه ليطلب مثل هذا الطلب الذى

توقن أنه لن يُرفض من قبلهم طالما هو مُصر !!!

لكن .. أين أهله ؟! من سيكون بجواره ؟!

وجوابها يأتيها من عينيه حبيبتيها .. وجُودك يكفى !!!



ازدردت ريقها بتوتر، ثم نظرت لخالها نظرة مستسلمة قائلة
بهدهوء خجول لا يتناسب مطلقاً وما فعلته منذ قليل من
زغاريد وما إلى آخره ..

_الى تشوفه يا خالى .

_على بركة الله !

وكانت تلك إشارة واضحة لأنها ستكون حرم "زين البدر"
عما قريب !

وقد ظلموا الحدث حين وصفوه بقريب، بل كان قاب
قوسين أو أدنى، ففى بضع لحظات تم عقد القران، وربما
هى من شعرت بالوقت يمضى بخفة الريح وسرعتها،
فسرعان ما وُضعت محل وداد ووقفت تمضى على العقد
..الخاص بها هذه المرة !

وللمرة التالية على التوالى تعالت الزغاريد، وتوالت
المباركات والتهنئة عليها وعلى زين الذى شعر فى هذه اللحظة

بتوليفة عجيبة من المشاعر، رهبته من وقوفه في هذا الموقف وحده رغم أنها لم تكن المرة الأولى بالنسبة له، خوفه من عاقبة الأمر من عائلته فأمه ولا أحد سيرضيه أنه قام بتلك الخطوة دون علمهم، لكن رغبته في أن تكون هي بين أهلها وعزوتها سبقت توجسه من رد فعل عائلته، رغبته في أن يقدم لها شيئاً لأول مرة، ستحظى به كاملاً بين عائلتها التي تحبها بعيداً عن الوحدة التي تعانيها في مدينتهم خاصة مع ظروف ماضيها .. سبقت كل شعورٍ عداها !!
وضعيها هي على رأس قائمة أولوياته حتى قبل نفسه قهقراً شعور آخر داخله !!
ورؤية عينيها اللتان الآن كانتا عبارة عن زمردتين تشعان سعادة، قضتا على كل هواجسه !!



صوت الزغاريد يتعالى بينما هي واقفة قبالتها في آخر
الغرفة، تفرك كفيها بتوتر، حجب جسد أحمد الذي ضمها
مراها عن عينيه، فقطب لحين قابل هيئتها مرة أخرى ..
يحب أن يراها !

هذا ما اكتشفه مؤخراً .

يحب أن يراقب كل تفصيلة منها، ربما هي ليست شديدة
الجاذبية، لكنها في عينيه تجمع كل جاذبية وفتنة النساء !
....

حين حدثت أعجوبة، اختلى بها بعيداً عن الحشد الذي
يملء الدار.

لا يعلم كيف استطاع أن يستل نفسه من بين مجلس
الرجال دون أن يلاحظه أحد، هو أحمد فقط من رمقه
بنظرة سابرة بل كاد يمنعه من الخروج حين لاحظته، لكن
فكرة أنها أصبحت زوجته رسمياً قهرت كل ما عداها !
فعاد إلى مكانه مرة أخرى متململاً !



أما هو فقد أسرع إليها، ليجدها قد ساقته نحو سطح البيت
!!

_ انتى مطلعانا فين !!

تساءل بغباء شديد، حين وقف قبالتها على سطح البيت،
فضحكت لاهثة من صعود الدرجات وهتفت :

_ تقدر تقولى فى مكان تانى فى البيت ينفع نقعد فيه من غير
تطفل !

_ وانا مالى هو بيت أهلى انا !

قالها ضاحكاً فتبسمت، قبل أن تهمس ببعض المرح :

_ مبارك عليك أنا !

هنا ضحكته تعالت أكثر، قبل أن يمد كفه، يعانق كفها،
ويقول بنبرة مازحة بينما يداعب أرنبه أنفها بسبابته الحرة :

_ نرجسية صغيرة !!!

_ وانت مش عجبك النرجسية يا سى زين!



_ لا انا مليش فى الانترناشونال انا بشجع المنتج المحلى، الست المصرية الأصلية .

_ ومالولينا فى الاتنين، حسب الوردية .. الصبح منتج محلى وبليل انترناشونال !!

قالتها متخصرة باستعراض، فضحك زين بخفة قبل أن تخبو ضحكته، وتستحيل لبسمة صافية وهو يناظر عينيها الفرحتين، واللتان كانتا الآن تلمعان بلونٍ أفتح عن المعتاد تأثراً بلون الغروب الذهبى !

_ تعرف انى ماوفقتش إلا لانى شايفة ان من جواك اتغيرت . همستها بصدق بعد وهلة صمت، فابتسم زين ابتسامة مختصرة، حزينة بعض الشئ وقال بصوت خفيض :

_ بلاش نفتح فى سيرة قديمة، خلىنا فى قدام، فى المستقبل ! فأومأت له مشجعة، فما أحب إليها من نبذ الماضى بكل ما حمل، والترحيب بتلك الصفحة البيضاء التى ستُسطر بهذا الشئ الجميل بينهما، الغير قابل للتسمية !!



_مبارك .. يا حرمى !!

ومباركته التى جاءت فى وقتها رغم تأخرها، رافقت قبلته التى
طبعها على جبينها حسب العادة !!

تلك العادة التى ترقى لمستوى إرث، يتوارثه جميع أبناء
الشعب المصرى يوم الزواج، قبلة الجبين لعقد القران !
ضحكة خفيفة ندت عنها إثر تفكيرها العقيم فى لحظة من
المفترض أن تكون خاصة بينهما، لكنها قلبتها من حيث لا
تدرى إلى مسألة عادات وتراث !

أوربما كانت تلك وسيلتها لتتغلب على خجلها من الموقف .
ابتعد زين عنها بضع إنشآت متوجساً، ويبدو أنه قد فهم
نصف تفكيرها، لكنه أساء تفسير النصف الآخر.

فقد ابتسم بخبت قليلاً لا يليق به، قبل أن يبدل موضع
قبلته إلى شفتيها !!!

وكأن موجة عالية ضربتها على حين غرة فى عرض البحر.



استقبلت قبلته في البداية بتوتر أنثى لأول مرة تجرب مثل
ذاك الشعور، ولم تحتج لأكثر من طبيعتها كأنثى لأن تندمج
معه بكليتها، بكيانها كله !!!

ورغم قبلتهما التي كانت بمثابة شئ عذب في أول الأمر قبل
أن تنقلب لشئ أكثر حرارة، شئ مُتقد .. كانا مبتسمين !!
الشمس خلفهما تغشاهما بنورها الذهبي وقت الغروب،
بينما المشاعر بينهما تشرق وتغرب على حدٍ سواء .

تتصاعد وتيرتها وتخبو، ثم تعود لتشتعل من جديد، لم تكن
بأفضل منه، ولا هو بأفضل منها حالاً .

ولولا سطح بيت خالها المخفى عن الأنظار لكانت سمعة
الطبيبة الآن في خبرٍ كان !!

ذراعيه التفأ حولها، يعانقها بحرارة، بينما يتقدم بها خطوة
تلو أخرى دون أن يبتعد عنها ولو سنتيمتراً واحداً، ولكن
الجدار مانع تقدمه، وعزز أنصهاره بها أكثر فأكثر !!!



كان ضرباً من جنون انتهى ما إن سمعا صوت إحدى
قريباتها تنادى عليها حين صار غياهما ملحوظاً !!

فضحكت باضطراب وهي تبعده عنها هامسة :

_ زين .. زين بينادوا عليا .

لكنه كان في عالم آخر احتاج جهداً ليستطيع الخروج منه.
فابتعد عنها هامساً :

_ طيب طيب اسكتي، هما جايبنا من شارع الهرم، اومال لو
مكناش لسه كاتين الكتاب !

كلاهما كان مضطرباً ورغم ذلك كانت تضحك بهستيرية
كمن لم يضحك منذ دهر، وكأنها لتوها خاضت مغامرة
ونجت منها بأعجوبة !!

تركته يدفن وجهه في عنقها، يهدئ مشاعره التي اشتعلت
دفعة واحدة وصوت النداء لم يسكت ولو لحظة !
ربت على ظهره بخفة وهي تقول :

زين .. سبنى انزل وبعدين انزل ورايا .
اوماً موافقاً عدة مرات، ثم تركها على مضض وابتعد عنها
بضع خطواتٍ استغلتها لتهرب ضاحكة من بين يديه !!
تاركة إياه يحاول ملمة شتات مشاعره المبعثرة، المتعثرة !!

=====

إفاقة أدهم لم تكن مجرد شخص كان في غفوة مؤقتة
وسيفيق، بل كانت حرفياً روحها رُدت إليها !
خاصة حين اتبعها بإعترافه أنه أبداً ما حاول الانتحار، بل
كان هذا من اضطرابه وقت عودة الذكريات كسيلٍ من
الغمام !!!

بعد فترة من إفاقته كانت داليدا جالسة جوار فراشه كما
هى منذ جاءت، فقط دموعها قد كفت عن الهطول ..
واضطرت لقول شئ كانت قد قالت سابقاً وقت نومته :



_الهروب معدش إختياريا أدهم، وانك تتخلي عنى او
تستسلم انا عمرى ما هسمحلك بيه .. مش بعد كل إالى
عملته ولا إالى انا قبلته فى سبيل انى بس .. بحبك !!
نبرتها كانت خافته، منهكة، متعبة بعد طول عدو فى طريق
خوفها عليه وحيرتها مما فعل، فمد أدهم كفه يمسك بكفها
بقوة واهنة هامساً :

_والله وانا بحبك .. عمرى ما فكرت فى الاستسلام او انى
أتخلي عنك، قولتلهالك يا داليدا وهقولها، وجودك فى
حياتى مش مجرد زوجة أوسد خانة، انتى حرفياً روحى يا
داليدا !!

وما أصدق من كلماتٍ تصدر عن شخص كان لتوه على شفا
الموت !!

وحتى لو لم يكن، مجرد أن تصدر عنه هو، فهمى فرماناً غير
قابل للعصيان !



دون تردد ألقت بنفسها فوقه، باكية للمرة التي فقدت
عدها !

تأوه من ثقلها فوقه ضاحكاً ضحكة قصيرة، لكنها لم تبتعد
بل ازدادت تشبثاً به تشبثها بالحياة نفسها .

_لسه قدامنا مشوار طويل، لازم تقوى عشان تكمل .. لسه
عندنا طفل عاوز إالى يربيه، وحياة عاوزين نعيشوها !
_مش لما اهله يتربوا الأول !!

أحقاً كان يمزح !؟

رفعت وجهها بعد جملته الخافته، والتي كان يحاول جاهداً
بها دفع الكآبة عنها، فضحكت داليدا بخفة قبل أن تعاود
احتضانه مرة أخرى، فتأوه مجدداً !!

=====

مكالمتها ليلة أمس قلبت موازينه رأساً على عقب .. وأقسم
داخله ألف مرة إن كان ما تقوله نابع من شعور غبي داخلها

مهما كانت ماهيته، فسينسى أنه يتعامل مع أنثى وسيهشم وجهها الجميل هذا !

وأول وجهة اتخاذها قبل حتى أن يذهب إلى أدهم في المشفى كانت بيتها، رغم أن يارا كانت معه في السيارة، لكنه تركها بحجة الاطمئنان على درة، وانشغاله بأمر رسمية جعله يغفل عن حقيقة أن يارا رفضت القدوم لرؤية أختها، لاشئ سوى لأنها ستقابله، وستبدأ سلسلة ضعفها بالتتابع مجدداً وهو مالا تريده !!

فظلت ماکثة بالسيارة التي تقف في موقع استراتيجي، حيث تطل على كل شرفات البيت!!

=====

بالأعلى كان فارس ماثلاً أمام مصطفى الذي أصر عليه أن يحكى له كل ما يحدث معه ويغيره هكذا منذ فترة !
ولم يكن فارس ليتجراً ويحكى له شئ إلا وهو يعلم أن درة تدعّمه في وجودها، وعدمه !!

بمجرد أن انتهى فارس من سرد ما حدث لمصطفى الذاهل
أمامه لم يستطع الأخير التعقيب، بل تجمدت قسماته،
وحلت القسوة ضيفاً على ملامحه فأظلمت .
وأقصى ما استطاع فعله أن ربت على قدم فارس بمؤازرة
قائلاً :

ربنا بيحبك أن هداك واحدة زى درة، حافظ عليها يا فارس
قليل لما تلاقى حد فى الزمن ده عنده أخلاق !
وإشارته فى نهاية حديثه كانت شديدة الوضوح، وشديدة
الحسرة على زمنٍ قلّ فيه الخلق، وساد ما سواه !
تركه مصطفى جالساً فى غرفة المعيشة فى بهو البيت، اتجه
هو نحو غرفته السفلية التى اتخذها مؤقتاً لحين زوال
الغمة عن صحته !

ولم يكن يحتاج لأكثر من أن يراها على بعد نافذتين !
السيارة ونافذة غرفته ..



وكأن القدر يهديه مسكن لجرحه المتقرح الذى انفتح من
جديد بعد حديث فارس !

ردارات الأنثى لم تكن معطلة عندها، بل كانت تعمل بجد
حيث التقطت إشارة المراقبة !!

هناك من يراقبها وتلقائياً ارتفعت عينها إلى المصدر.
وكأن آلة زمن تدخلت لتوقف الوقت للحظة، فقط لحظة
تسلحت بعدها بكل إرادتها غير المجدية أمامه، ورفعت
زجاج النافذة المعتم، تحجب مرآها عن عينيه !!

فتنهدها هو بخيبة أمل !
كم كانت شديدة القسوة وقتها .
لم يود سوى نظرة يدعم بها قوة تحملها، إلا أنها بخلت،
ولكنه يعذرها فلطالما هو بخل .. أما حان دورها؟!

=====

شعوره أنها بقربه، وكفها يحتضن راحته، بينما ابتسامتها
الحزينة تطيب عليه اللحظات التي مضت .. كان أجمل شئ
بالنسبة له هذه الأيام .

يكفى أنها على موقفها ولم تحاول التراجع، وهو جوارها لم
تتخلى ولم يتخلى ولو حال دونهما ألف حاجز وألف طارئ
على حياتيهما !!!

_كويس انك عملت كده، فى حد يشيل معاك .. إدراكك
للفكرة دى فى حد ذاتها هيرحك .

كلماتها كانت هادئة، للحد الذى يبعث سكينة فى نفسه،
ولكن قبل أن يجيب كان صوت الجرس يتعالى، فأهدته
ابتسامة سريعة قبل أن تفتح وبعد قليل رآها تتقدم جوار
مراد، فاستقبله بترحاب، قبل أن يترك مساحة خصوصية
له ولاخته وانصرف .

_بالله عليكى عاوز اتكلم مع سمية!



حالما جاءها طلبه اللحوح قطبت جبينها برفضٍ وقالت
بصرامة :

_مراد انت عارف انى مش بحب الشغل ده، قولتلك قبل
كده فى حاجة بينك وبينها يبقى تحترم نفسك وتحترم بنات
الناس وتدخل البيت من بابه، بلاش الحوارات دى خواتها
دول مش "جرادل" فى البيت .. ومش ذنبهم انهم مش مدينيك
خيانة !!!

_يا بنتى فيه ايه لكل ده ... هو انا بقولك شوفيلنا شقة
مفروشة !!!

بعد حديثه الذى انطلق دون كوابح احمرت وجنتاها خجلاً
وكذلك أذناه، فرفع كفه يحك مؤخرة رأسه بارتباك قائلاً
بعصبية :

_يا بنتى متخلينيش اقول كلام ميصحش، روحى ناديهالى
اكلمها واوقفى انتى قصادنا يا ستى، الموضوع مهم والله!!



زمت شفتيها برفض، فلم يجد مراد بداً من إطلاعها على ما يحدث، فاتشحت عيناها بلمحة قلق عابرة، فصمتت لحظة قالت بعدها :

_هناديها لك بس الكلام يكون في حضوري، ولو كان ينفع فارس يكون موجود كنت قعدته بس للأسف محدش عارف الموضوع فيه ايه لسه .

صمتت لبرهة كانت تفكر فيها بشئ غريب، ترجمته بعد لحظة :

_استحلفك بالله، أياً كانت المصيبة إلی هي عملاها أوقف جنبها، سمية احنا عارفها واكيد مهببة حاجة سودة .. اوعى تنسى إلی فارس عمله عشاني يا مراد !!

كلامها زاد توجسه، فاضطرب لكنه حاول مداراة شعوره بأن دفعها بخفة أمامه قائلاً :

_يا شيخة روحى اندهى البت، اعملى حاجة كويسة بدل تفكيرك السودودى ده !



وبالفعل أذعنت ..

وحين عادت، عادت بها .

كانت مضطربة مثله وأكثر، وهذا ما عزز شعوره أن هناك

شئ سئ !!

ابتعدت درة تاركة لهم مساحة خصوصية رغم عدم رضاها

عن الوضع إلا أن ما قاله مراد قلب موازينها، وخشت على

فارس إذا كان الأمر فيه ما يسيئ !

أمن الممكن أن تكون سمية في ورطة وجاء ميعاد سداد

الدين ؟!!

_حالا عاوز افهم ايه إلى قولتيه امبارح وليه؟!

دون أى تهاون قالها، فانكمشت على نفسها وهى تعترف فى

قرارة نفسها أنها بالغت قليلاً فى رد فعلها، بل كثيراً فى الواقع

.. وجعلت الأمر منوطاً بأكثر من مجرد هاجس داخلها .

_والله انت فهمت الموضوع غلط!

_طب فهميني الصبح عشان انا على أعصابي من امبارح !!
ملاحه لم تكن تنبئ بخير، فازدادت انكماشاً على ذاتها وهي
تقول بتوجس :

_انا مش هتجوز، مش هتجوز عشان كل شوية تعايروني
بأبويا وإلى عمله !!!

كلامها كان وكأنه دلومن الماء البارد انسكب فجأة فوق
رأسه، فأطفأ غضبه، وتوتره، وتوجسه، وكل شعور حتى
حبها .

_حقيقى انا مشفق على خلايا مخك !!

_لو سمحت بلاش إهانة .

_ده انا ههينك، و... وهعمل حاجات يامة، انا مش عارف انا
مقومتش خنقتك واستريحت ليه !

حديثه شديد العصبية كان يخرج من بين صفى أسنانه
المصطكين، فامتعت ملاحها وهي تقول فجأة مهاجمة :



_شوفت .. اهوده إالى عاملة حسابيه! .. هتقعد تعايرنى فى
الرايحة والجاية .

_يا غبية، مفكرتيش فى لحظة غياب شهيك ازاي هعمل كده
واصل اختى عندكم !!.. يعنى اذا مرعناش ربنا فيكى وكنا
ناس بدون أخلاق، أكيد هنخاف نعاملك وحش تعاملوا
اختى وحش .. منك لله ..منك لله !!

حديثه كان حاداً بحجم قلقه الذى كابده طوال ليلته
المؤرقة بسبب حديثها المتهور، لكن تدخل درة أوقف الحوار
عند هذا الحد :

_حيث إن الموضوع كده بقى، فسبلى انا الطلعة دى
واتفضل انت ... الزيارة انتهت !!

زفر مراد وهو يقف مواجهاً أخته، ثم خرج وهو يتمتم بغیظ :
_يعنى هتطردينى من الجنة، عقليها الله يكرمك انا مش
ناقص قلبان .



وامتنع عن ذكرأى شئ يخص أدهم، لا لشيئ إلا لشعورٍ
مجرد داخله وكأنه بحدسه استنتج أن ما بها يكفيها !

خرج مراد إلى يارا وبملاح مكفهرة قاد السيارة في سرعة
نحو وجهته !!

هو أحب مدمنة غباء !

قلبه أختارواحدة تتعاطى الغباء حقناً وأقراصاً بدلاً من
المواد المخدرة .. وكبريائه الذكورى منعه من ذكر أن الله لا
يجمع إلا الموفق، وهو يشاركها فى تعاطى الغباء .. يقصد
المخدرات !!!

=====

كان يسابق الزمن حتى ينتهى من سفرته ويجئ إليها!! فخبير
كالذى زفته إليه يستحق تأجيل عمله وحياته كلها لأجله ..

طوى الأرض بنهم تحت عجلات سيارته، وبسرعة غير معقولة اوقفها أمام بيتهم دون أن يعبأ بصفها، وهول نحو جناحهما بالأعلى بأعين عمياء عما سواه ! وبمجرد أن خطت قدماه أول خطوة داخله، حتى تسمر مكانه على مرآها أمامه .

فقد كانت واقفة في منتصف الغرفة بأبهى صورة من الممكن أن يراها بها.. زينة خلافة كان مصدرها إشراق ملامحها، رغم أن رنيم ليست بتلك الدرجة من الجمال إلا أنها في هذه اللحظة كانت في عينيه حورية من زمن الأساطير !

و"إختبار الحمل" الذى يقبع فوق كفها المفروود جوارها كتمثال فرعونى قديم بمظهر يدعو للضحك جذب أنظاره، لكنه الآن كان بعيداً عن أى مؤثرات مضحكة .

اقترب، خطوة تلو خطوة حتى تسمر أمامها ناظراً بملامح غير مدركة، وسمع حديثها بعقلٍ نصف واع :



_جربته بس منفعش للأسف، فاضطريت انى اجيب واحد
تانى!

كان تعبيره غير مقروء، وللحظة توجست من وقع الخبر
عليه، لكنه حين اقترب منها، وضمها ببطء تحول شيئاً
فشيئاً إلى عناق حار ابتسمت، وكادت تهمس بشئ كان ينبع
من قلبها، لكن !!!!

لكن صوت صراخ مدوي من الطابق السفلى أوقفت
الكلمات فى حلقها، وفى ثانية واحدة، بل أقل منها كانت
البرودة التى نتجت عن ابتعاده عنها تجتاحها، وكلمة واحدة
نطقها بصوتٍ واهٍ قبل أن يقطع مسافة السلم نحو أسفل :
_بابا !!!

=====



الفصل التاسع والثلاثون

=====

اقتربت النهاية !

لطالما كانت النهاية قريبة منا دون أن ندري .. لكن كل منا
تغافل، كل منا خدعته نفسه وسولت له أنه ربما يستطيع
تعويض كل ما فاتته قبل النهاية، لكن ويلته من أدرك قربها
ولم يسرع !!!

كان إتصال .

إتصال هاتفي واحد انقلب حاله بعدها، لا تعلم تفاصيل
كافية عن الوضع، لكن من حديث أحمد استطاعت أن
تستشف أن الإتصال كان متضمناً على بكاء حلا شبه المنهار
وهي تهتف بأن جدها وافته المنية !!

أخذ الأمر منه عدة دقائق ليحاول الفهم والاستيعاب، لكنه
بمجرد أن أفاق بعد وهلة تبرد وتجمد، وأدرك أنها النهاية،

اجتر نفسه بصعوبة خارجاً من البيت مسرعاً نحو سيارته
المصفوفة خارجاً، وركبها مسرعاً.. لكن استوقفه ركوب
فريدة جواره بعد أن كانت تهرول خلفه، خارجة معه من
البيت ..

_ انتى رايحة فين ؟!

نبرته كانت متحشجة، مشحونة ببكائه الذى يكتبته عنوة،
لكنها ردت بإصرار:

_ جاية معاك .

_ انزلى يا فريدة الله يكرمك لازم الحق اروح بسرعة عشان
الحق الدفنة.

_ انا استأذنت من خالى قبل ما اطلع ومش هسيبك لوحداك
تسافر بالشكل ده !

كاد يجادل !

وكان يريد أن يجادل حقيقةً، فحالته التى هى تحكى عنها الآن
هى ما تخيفه، ما أدراه أن طريق سفره سينتهي على خير وهو

بهذه الحالة، ربما لو كان وحده، فلن يكون الضرر جسيماً،
لكن وهى معه الضرر كبير، "بل مُكرر" !!

زَمْ شفّتيه بقوة، قبل أن يستدير إلى المقود وينطلق بسيارته
ناهباً الطريق نهباً ..

إنها النهاية حتى وإن أنكر !!!

=====

لم يصدق !!

بل عقله رفض الاستيعاب أو التصديق .

سيغدو وحيداً مجدداً .. مجدداً بعدما نشأ وتربى دون أم !!

الآن يخسر أبيه، الآن أدرك أن النهاية دوماً قاب قوسين أو
أدنى وهو غافل .

الآن أدرك كيف أن الحياة بإمكانها أن تعطينا كل شئ ومن
ثم فى الثانية التالية تسلبنا كل شئ !



أول خطوة له على باب غرفة والده كانت ببطء شديد يتنافى
وسرعته التي ترك بها رنيم وهرول بها إليه، الغرفة تعج
بالموجودين، حازم وحلا ومنى وأخيه محمد لكنه غفل عن كل
هؤلاء وحتى عن رنيم التي كانت خلفه الآن تناظره بقلق، لم
يكن يرى سوى جسد والده المسجى على الفراش وأخيه محمد
جاثياً جواره أرضاً يحاول استبيان أى شئ من هيئته !!
بكاء منى وحلا شبه المنهار كان يفقده أعصابه بحق، ولم يكن
سيتمالك تلك الزعقة التي ستصدر عنه، لكن صوت محمد
الذي هتف به فجأة أوقفه :
_ بسرعة يا معاذ ننقله على المستشفى، لسه فيه نبض بس
ضعيف، شكلها غيبوبة سكر!

وهذا بالضبط، كان المعنى الحرفى لأن خلاصه فى بضعة
أحرف تشكلت مع بعضها بما يسمى جملة مفيدة، لكنها
حوت داخلها الترياق !!



سرعة انتشار الخبر كانت هائلة !
وسرعان ما عجت الأربعة منازل بالفوضى، صراخ وبكاء
وعويل، ثم ثورة حزن تخمد بعد نبأ أن إبراهيم مازال على
قيد الحياة !!

الموقف كان عجيماً، وتقلباته كانت مؤذية نفسياً للجميع،
وخاصة على معاذ الذى كان واقفاً الآن خارج العناية التى
يقبع بها والده..

مذاق الفقد الذى طال قلبه اليوم كان مرّاً، علقماً إلى حدٍ
جعله يتمنى لو كان هناك حلاً للخلود؛ حتى لا يتوجب عليه
معايشة ذاك الوحش الذى نهش داخله بمجرد أن استوعب
ماهية الذى سيفقده !

الإحساس لا يمكن وصفه ببضع كلمات تبخسه قدره داخل
القلوب، يكفى أن يوصف بأنه مؤذٍ .. مؤذٍ لحدٍ مهلك !!



كانت بالفعل غيبوبة سكر كما توقع محمد، وهذا ما أكدته
الأطبة بعدما فحصوا حالته، معاناته الدائمة مع مرض
السكر وكبر سنه منعاه من تحديد أعراض الغيبوبة
صحيحة وهذا ما أدى إلى إغماء عميقة كانت شبه ميتة أو
كان قد قرب إلى الموت لو لم يتم إسعافه في الوقت
الصحيح، تلك الإغماء التي فسرتها منى بمعنى الموت حين
دلفت إليه لتجده لا يحرك ساكناً ولا يستجيب لأى
محاولاتها لإفاقته!!

الوضع برمته كان عجباً.. لكن معاذ رفض تواجد أى أحد
فى المشفى فى هذا الوقت غيره ومحمد وفارس بحكم عمله،
معللاً أن الأمر بسيط وسيتم نقله للبيت فى أسرع وقت أو
ربما كانت هذه إحدى خدع عقله الذى يحاول بها جاهداً أن
يقتنع بما يمليه عليهم وأن الأمر ليس به مدعاة للخوف!!



كل كان متحرقاً على الجمر رغبة في الاطمئنان عليه، لكن لا
أحد استطاع معارضة معاذ، خاصة بعدما رأوا حالته التي
خرج بها من البيت .

وبالفعل تم الأمر كما أراد !

====

_جـدك بخير، انا اسفة انى رعبتك كده !

كانت تلك حلا تخبره آخر ما حدث، بينما كان هويقود
بسرعة جنونية على الطريق، جواره فريدة تمسك قلبها
بيدها، وبمجرد ما إن نطقت حلا بما نطقت، انحرف فجأة
عن الطريق ليركن السيارة على جانبه قبل أن يهدر بها
بأعصاب تالفة :

_يعنى ايه .. يعنى انتوا بتتكلّموا وخلّاص، مش عاملين
حساب انى ماشى على طريق سفر، ولقدّر الله لو حصل
حاجة كان....

قاطعته حلا بلهفة قائلة :

_بعد الشريا زين متقولش كده، هوبس كان فى غيوبة سكر، وماما منى لما اتخضت بس فكرته اتوفى .

زفرزين براحة وهو يحاول ملمة شتات أعصابه التى تبعثرت طوال طريقه، ثم انحنى مستنداً بجهته إلى عجلة القيادة قائلاً لحلا على الطرف الآخر:

_خلاص .. خلاص روحى انتى دلوقتى، وطمينى عليه اول بأول على انا ما اجى، انا فى السكة .

_حاضر يا زين، معلىش قلقتك .

_قلقتينى ايه يا حلا .. انا مش شايف قدامى، هو انتى بتقوليلى انا اتعورت، انتى بتقولى جدك مات !!

_خلاص يا حبيبى حقك عليا بقى .

_طيب، مع السلامة .

ومن ثم أغلق الخط متهداً براحة، قبل أن يشعر براحتها الناعمة فوق ظهره تربت فوقه برقة، وصوتها يأتیه هادئاً عكس ما يعتريه من توتر:



_الحمد لله ربنا سترها، أهدى!

_الحمد لله .

أهداها ابتسامة قصيرة مع قوله، فأهدته مثلها، قبل أن
يستدير إلى المقود مجدداً استعداداً لإستكمال طريقه،
فاستوقفته قائلة :

_اصبر لما تهدي .

ونيتها بقولها هذا لم تكن تحتل أى نوع من الخوف على
نفسها مثلاً، لكن حالته التى يمر بها تكاتفت جنباً إلى جنب
مع شعوره القديم بأنها ما عادت تثق بأمانها معه أفسدا
نيتها الظاهرة من طلبها شديد الطبيعية، وحولها فى عينيه
إلى شعور آخر شديد التعقيد !!

أوماً لها بصمت وبملاح غير مقروءة أعاد عينيه إلى الطريق
أمامه ..

وبعد قليل من الوقت، عاد لتشغيل السيارة مجدداً،
واستكمل طريقه .

لكن تغيره الذى طرأ نتيجة تفكيره لم يخفى عن عينيها،
فعادت هى أيضاً لتراقب الطريق الذى يمرو سؤال حائر
داخلها يراودها .

"هل تسرعت بالقبول بعقد القران ؟!"

=====

_جدى عامل ايه يا درة؟!

تساءل مصطفى بلهفة بعدما أغلقت درة مع فارس وأخبرها
عن حالة جده، فجلست درة قبالته فى بهو البيت وقالت
بهدوء :

_الحمد لله كويس، ربنا يسامحهم على الخضة إلى اخذناها
.

_الحمد لله انها جت على قد كده .

اومات درة بصمت، لكن لم تكذ تمر الدقيقة إلا وقد تعالى
رنين هاتفها مجدداً، وبمجرد أن نطقت اسم المتصل حتى
انتهت كل حواسه، وتأهبت .



_ايوا يا يارا .

هى أجابت وربما كان هو مهتماً أكثر منها شخصياً، كانت درة الآن فى موقف لا تُحسد عليه، ويارا على الجانب الآخر تمطرها بالأسئلة :

_الحمد لله كويس لسه قافلة مع فارس .. ايوا .. كويس .. كويسة .. الحمد لله .

حديثها كان غريباً، ومختصراً بشكل مبالغ فيه، ونظراتها التى ترنو نحوه كل ثانية وأخرى أثبتت صدق ما يفكر به . حين أغلقت الهاتف حاولت تصنع الطبيعية التى تفشل بها، ولا تجيد أبداً التمثيل، لكن مصطفى ابتسم لها ابتسامة مأكرة بعض الشئ، خالفت قوله شديد الوضوح إلى حد الوقاحة :

_هى مشغلاكى مراسل هنا ولا ايه؟

عقدت درة حاجبها بصرامة وهتفت به بجدية شديدة أقرب إلى التجهم :

_قصداك ايه يا أبية .

رفع حاجباً واحداً وقال بسخرية :

_اهى كلمة أبية دى مش بتطلع غير لما تكونى ناوية على خناقة .

ازداد انعقاد حاجبها وهى تحاول مداراة الأمر قدر استطاعتها :

_ع فكرة انا على طول بقولك أبية، الفرق بينا تقريباً ١٣ سنة يعنى مش شوية !

_درة .. مبروم على مبروم ميلفش، ردى على السؤال هى كده فعلاً، متدخليناش فى متاهة عمرية هنا .

زمت شفيتها بعدم مقدرة تامة على الكذب، يارا تضعها فى موضع حرج حين تستغلها لمعرفة أحواله وأحوال ماسة، تجعلها حرفياً تمتهن دور الجاسوس، وهى التى أصلاً لا تجيد الكذب .



_ايوا .. وانا مليش دخل بكل ده، انا اصلا مش عارفة ليه كل

ده بس من الاخر انا مليش دعوة بالحوار.

لم يعقب، بل شرد بنظره بعيداً، بعيداً عنها جداً ..

وهذا أغاظها لسببٍ لا تعلمه، وربما نزعتها الرفضة لكل ما

يحدث هي ما جعلتها تهتف بعدائية :

_وبعدين هوانت في ايه ولا في ايه، الله !

انتبه إليها، فنظر لها نظرة ملولة، وزم شففيه بامتعاض

وهتف بها :

_عدوة الفرحة .

_ايه الفرحة في كده انا مش فاهمة .

بتعبير ممتعض مثل تعبير قالتها، فتجهم مصطفى وهو

يهتف :

_قومي يا درة ساعدى امي في المطبخ وسيبك انتي من الحوار

ده.. اطمنا على جدى الحمد لله وربنا يطلعه بالسلامة .. يلا

اتكلى على الله .



هبت واقفة فجأة، ورمقته بنظرة أخيرة محذرة ربما،
وبالفعل امتثلت لأمره وتوجهت نحو المطبخ وهى تدمدم
بغيط :

_مش عارفة انا ايه شغل المراهقين ده، ما يحترموا سنهم
ويريحوا نفسهم ويريحونا بقى .. اتقوا الله !
_سامعك على فكرة !!!

توقفت والتفتت له بابتسامة سمجة، وقالت :
_مش بقول حاجة وخايفة من حد!

هزمصطفى رأسه بقلعة حيلة، وابتسم ابتسامة صغيرة، قبل
أن يزفر بارتياح وهو يرتخى فى جلسته .
حديثه مع درة ساعد فى تخفيف وقع الحدث الأخير عليهما،
خاصة وأنه لا يحتمل أى ضغط من أى نوع، إلا هو ضغط
واحد فقط هو ما يستقبله مُرحباً .. وقد أتضح أنه يمثل
نفس ذات الضغط على الضغط الآخر !!!

ما تلك المتاهة ؟!

لا يعرف لما كل هذه المكابرة منها، أوروبما يعرف ويحاول
الإنكار كخطوة ضمن قائمة خطواته التي يتبعها لنبذ
الماضى !

وكان أولها عدم فتح أى من الدفاتر القديمة؛ حتى ولو على
سبيل التبرير لأفعالها الحالية !!
يريدها جواره !

اليوم قبل غداً، وإرادته غير منوطة بأى من الأسباب
القديمة .

لا احتياج، لا شفقة، لا أى شئ آخر عدا أنه يحبها، رغم تأخر
اكتشافه الجهنمي، إلا أنه اكتشفه، أفلا يشفع هذا له
عندها !!!

وربما قد شفع منذ وقتٍ وهو لا يدري !

=====

فى اليوم التالى ..

كان يوم خروج أدهم من المشفى .

تواجدت أمه مسبقاً بالبيت لاستقباله، بينما هو قد حضر
برفقة داليدا وأسر.

أول خطوة خطاها داخل البيت شغلت عقله عن كل شئ ..
فقد راحت عيناه تبحث هنا وهناك، تمشط المكان بسرعة
قياسية؛ بحثاً عن شخص بعينه لا يجده ..
إستقبال أمه له شغله قليلاً، لكنه ما إن استوى جالساً
وجواره داليدا حتى تمسك بيدها بقوة بحركة لا إرادية
وتسائل بلهفة زائدة :

ـ يحيى فين ؟!

ابتسمت عبير بحنان حين وجه لها هى بالذات السؤال، وقد
شعرت حينها أن أدهم عاد لسيرته الأولى مجدداً، وخاصة
معها هى بعيداً عن نغمته المؤخرة عليها، فاستقامت بلهفة
قائلة بسعادة جمّة أنستها فاجعتها بما حل بأبيها يوم أمس :
ـ حالاً هجيهولك، مع باباك فى الاوضة .



_هو بابا جه امته ؟

تساءل أدهم بهدوء فأجابته عبير بنفس تعبيرها الفرح :

_جه انه ارادة الصبح واتفاجا بوجوده وفرح جداً .. مرضناش

نجبله سيرة باللى حصل من يومها وهو مسافر .

ضحك أدهم ضحكة قصيرة وهو يقول بنبرة ذات مغزى :

_قولى كده بقى .. جيتى قبليا عشان تستقبلى بابا مش

تستقبلىنى .

ضحكت عبيرو لم تعقب بل أسرع نحو غرفة زوجها

تحضر الطفل له ، وقد خلا الهوا إلا منهما حين أسرع أسر

بالصعود إلى غرفته ، لا لشيء سوى أن هناك إتصال مرئي

منها لم يصدق عيناه حين رآه .

_عملت الصبح !

قالتها مبتسمة بعدما ربتت على بعد لينتبه لها وبالفعل

فعل ، قبل أن يبتسم وهو يقرأ أمر مسلم به :



_امى .. حتى لوزعلت فمش من حقى اقاطعها، خاصة انى فاهمها كويس !

بدلت موضع يدها إلى ظهره وربتت فوقه داعمة بابتسامتها
المشرقة رغم إرهاقها :
_ربنا يخليكو لبعض .
_ويخليكى ليا .

ودعائه لها لم يكن يحمل قدراً من مشاعره نحوها كما حمل
عبثه وهو ينظر لها بعينين ماكرتين تحت حاجبين متراقصين
.. فضحكت وهى تقول بخفوت :

_ليك يوم !!

_يوم تانى ايه بعد كل اللى انا شوفته ده .. انا تعبت خلاص
!!

وضحكتهما التى امتزجت معاً فى تلك اللحظة كانت أفضل
استقبال استقبال به يحيى الذى أتى مهرولاً نحوه بسرعة،
ولسانه يتمم بحروفٍ متقطعة مغزاها كلمة "بابا" !!

لم يدرِ ما حدث داخله فور رؤيته له .. فقط استقام فجأة
متلهفاً، وانحنى إليه يحمله بقوة، يضمه إليه، يستنشق
عبيره، ويتحسس ملامحه التي اشتاقها ..
نعم هو اليوم يستقبل يحيى بقلب الأب الذي عرفه دوماً،
أما اللقاء الآخر فلا يُحسب، اليوم فقط هو وجد ابنه !!

قبلاته الكثيرة التي نثرها فوق ملامحه كلها كانت ملهوفة
بشدة، وصوت ضحكات طفله إثر دغدغته له كانت تزيد من
الشعور الوحشة داخله، وتؤجج جمرات اشتياقه على نحو
غير مسبوق.. بل لم يعهد نفسه يوماً مشتاقاً لأحدهم بقدر
اشتياقه ليحيى الآن !!!



وموجة الاشتياق التي لفته رست أخيراً، وداليدا بجواره
وابنه على قدميه، يحتضن كلاهما بينما لسانه يتمتم داعياً
:

_الحمد لله .. الحمد لله !

=====

أن تبتعد كل هذا الوقت، وأن يراها بعد كل هذا الوقت كان
شئ كضرب من الجنون ..

فوالله كاد يقبل الحاسوب أمامه لولا أن بضع ذرات تعقل
متبقية لديه منعتة !!

_يا أروى معلىش اكيد كله انشغل باللى فى هوفيه ونسوا
انهم يقولولك .

يقولها مسترضياً، يحاول استمالتها، وإخراجها من حالة
البؤس التي تبدو عليها .. فأتاه ردها مهاجماً، بل كادت تخرق
شاشة الحاسوب لتخرج إليه :

يعنى ايه .. كلبة بلدى انا ساينها برا البيت، فى الحزن
مدعية وفى الفرح منسية، تفتكروا تنشروا الخبر أن جدى
مات وتنسوا تقولوا أنه كنتوا غلطانين !!
يا ستى وانا مالى انا ؟

يعنى ايه مالك .. متصلتش انت وقولتلى ليه .. ينفع الحالة
إلى انا فيها من امبارح دى !!!

ورداً على سؤالها، طافت عيناه على ملامحها التى تشير إليها
هاتفة بنزق أن يلاحظ سوءها، لكن عقله أبداً لم يلحظ ذرة
سوء واحدة، بل كان منشغلاً بالتدقيق وملء فجوة
الاشتياق التى تتوسع لا إرادياً داخله ..

أى سوء تتحدث عنه تلك المعتوهة؟
ألا تعلم أن بعدها ما زادها فى عينيه سوى جمالاً!
وما زاده هوسوى إشتياقاً !!

يا ستى قدر الله وما شاء فعل.. عندى انا دى .

كاد يغرق .. والله كاد يغرق في دوامة سوداء ستنتهى بقرارٍ
منه بالسفر إليها، وهو قرار غير محمود العواقب .

لكن تفادياً لأي دوامة ممكنة وخاصة دوامة مشاعره التي
اشتعلت فور رؤيتها قال ما قال بفضاظة زائدة عن اللازم،
تلك التي ما أسفرت إلا عن سواد الشاشة أمامه إعلاناً منها
لانتهاى المحادثة العقيمة !!

زفربحدة وهو يغلق الحاسوب أمامه بنفس الحدة، قبل أن
يكتف ذراعيه بضيق هاتفاً لنفسه :
_يا اخى انت غبي طب ما تروح لها ..

لكنه عاد وهمس بقنوط :

_وانا أيش ضمنى انها تقابلنى بطريقة كويسة، دى نكدية
حتى الأسود حالاً ما لبسته بعد ما عرفت الخبر الغلط أصلاً
..

لكن شعور ثالث شديد التناقض غزا حواراه مع نفسه .



هو لا يريد الضغط عليها بأى طريقة ممكنة، لا يريد أن يؤثر عليها الآن لتقبل زواجه منها وبالأخير تضع اللوم عليه هو..
يجب عليه أن يتركها تأخذ الوقت الذى تشاء، حتى لا يكون لها حجة مستقبلاً.

_هانت اهى ... خمس سنين الا كام شهر!
كان يحاول أن يقنع نفسه، لكن ما حدث أنه كاد يبكى وهو
يعيد حساب المدة المفروضة قسرياً عليه !!

=====

هناك مثلاً شعبياً قديماً قال :
"حديث الليل كالزبد .. يشرق عليه النهار مُنصهراً!"

وهذا تحديداً ما فعله هو!!
حين أقنع نفسه ليلاً أنه لابد أن يعطيها المدة التى تنشدها
لتصبح جاهزة له، افتناعه هذا تبخر ما إن أشرق النهار..



يومه كان حافلاً بمحاولات الإقناع الجدية لوالدته ووالده
ولخاله ولكل من له علاقة بالأمر بأن يسمحوا له بزيارتها !!
زيارة وجيزة لبضع أيام فقط !!

وها هو على متن الطائرة ليلاً استعداداً للذهاب لها !!
كان يضج بالحماس للقاءها .. ومشتاقاً .. كما لم يكن من
قبل !!

====

دق جرس الباب .. مرة واثنين ولا رد !
فتأفف ونقل حقائبه من يد ليد أكثر من مرة منتظراً ردها ..
ليكون واضحاً فقط، قرار السفر هذا لم يتخذه منذ يومين
فقط ..

بل منذ فترة طويلة، ويعد له العدة منذ زمن، لكن كانت
نفسه تساوره بالتردد كل حين وآخر!
لكنه حقاً اشتاق أن يراها!!!

وحين فاض به الكيل قرر أخيراً أن يسافر.. وها هو هنا ولكن
لا رد !!!!

يا بنتى أفتحي بقى .

ووضع إصبعه على الجرس ولم يرفع إلا عندما فتحت هى
الباب بعنفٍ .. وكادت تهتف بشئ غير لائق .. لولا أن
اصطدمت برؤيته ففغرت شفتيها غير مصدقة فى حين
اندفع هو إليها، يحتضنها، بل يحاول الانصهار بها بكل كيانه
!!

صدمتها برؤيته لم تستمر أكثر من ثوانٍ راحت بعدها تبادله
شوقه بأخر أكثر حرارة .. خاصة حين أبعدا عنه ليكتنف
وجهما بين كفيه هامساً :

وحشتينى يا أروى .

وأرادت أن تبادله، أن تثبت له هى الأخرى أنها اشتاقته ..
لكن شفتيه قضيتا على كل الفوضى التى كانت تدور بينهما
!!

تقبيلها لم تكن مجرد رغبة لحظية ما إن رآها، بل تلك
القبلة كانت بمثابة إعلان أنه هنا في وطنه رغم غربته !
كفيه دفعها إلى الداخل، بينما قدمه دفعت الباب لتغلقه
حتى أنه نسي حقائبه خارجه !!

ظل يتقدم بها دون أن يبتعد، غارقاً في دوامتها دون رافة بها
وهي تكاد تذوى من فرط اشتياقه، ببساطة كان معمياً عن
أى شئ عداها وإحساسه بها بين ذراعيه !

رغبته في قربها ربما مبررة، لكن أن تستوعبها هي كان شئ
فوق احتمالها وإدراكها .

فهي لم تقابل هذا الجانب شديد اللفتة منه من قبل، رغم
أنها ليست أول مرة يقترب منها فيها، لكنه يوماً لم يكن هكذا

..

وعدم إدراكها هذا هو ما بعث داخلها نوبة من الذعر عززتها
أفعاله ولهفته عليها، خاصة حين تقدم أكثر بها، متوغلاً
داخل الشقة حتى وضعها على أحد الأرائك وخيم فوقها،



وراحت يدها تعبت في أضرار ثوبها البيتي يحاول فكها
باستماتة !!

كل هذا هي لم تدرك ولو ذرة مما يحدث .. فقط صوت
تحذيري مصدره عقلها يصدق لي خبرها أن هذا خطأ،
فتلقائياً تترجمه إلى ذعرٍ تمكن منها حتى شهقت طالبة
النفس واتسعت عيناها كمن هي على شفا الموت ..
وعينا المشوش كان يتخلله بصعوبة هتافاً باسمها بذعر
وداخله شعور جام من الغضب على نفسه لانجرافه خلف
مشاعره بهذا الشكل دون مراعاة لها !!!

بعد قليل حين أفاقت ورُدت إليها روحها من جديد ..
وبمجرد أن وعت ونظرت له، كان هو غير قادر على مبادلتها
النظر، بل بمجرد أن أطمئن لافاقتها وأنها قادرة على صلب
عودها ومساعدة نفسها، اندفع خارجاً من الشقة بأكملها،
ولا تعلم إن كان من البلد كلها أم لا !!!



شئ سيبقى بيننا

روائع الروايات الرومانسية

١٨٥٤

دنيا محمد

الفصل الأربعون والأخير

=====

وقد نسي وقد نُنسى

فلا يبقى لنا شيء لنذكره مع "النسيان"

فيكفي أننا يوماً ..

تمرّدنا على الأحزان ..

ويكفي أننا يوماً تلاقينا ..

بلا استئذان .

-فاروق جويده.

صوت جرس الباب الذى صدح دلالة على أنه قد أتى بعد

غياب قدر من الساعات لا بأس به كان قبلة الحياة لقلبيها

الذى كاد يتوقف بعد الموقف الأخير والتي لا تعلم كيف مر

حتى الآن .

بداية بشوقه وعواطفه الجامحة التي لم تستوعبها، مروراً
بما حدث بعدها وخروجه من البيت بتلك السرعة، ثم
إعيائها هي الذي حط فوقها من مكان لا يعلمه إلا الله .

بعدما فتحت الباب ودلف ليوواجهها أمامه، كان قبالتها،
لكن عيناه مشردتان، مغتربتان في كل الاتجاهات عدا،
وطنهما .. عيناها هي !

_على فكرة محصلش حاجة لكل ده .. انا بس .

لكنه لم يترك لها الفرصة لتكمل ما تريد به تبسيط وقع
الأمر عليه بعد ما حدث، وبخبرتها البسيطة به استنبطت أن
هناك حرباً مقامة خلف الكواليس في عقل أسر، ربما هي لا
تعلم ماهيتها الكاملة، لكن صورة بسيطة عنها اتضحت لها،
وهي أن أسريحمل مسؤوليتها كأكثر من طفلة، طفلة لن
يستطيع أن يلقي على عاتقها نتائج حربه الخاصة مع نفسه
 واحتياجاته !



هى تعلم أن ما يفكر به الآن هو أنها لا قبل لها به من أى
إتجاه !!!!

_انا اسف .

أخيراً رد فعل منطقى صدر عنه، لكنها ابتسمت بعصبية
وهى تقول بعقلٍ مشوش :

_يا أسر مفيش حاجة تتأسف عليها، الحكاية بس الوضع
كله بس انى اتفاجأت بوجودك .

هزكتفيه علامة إلى لا شئ، قبل أن يقترب منها بهدوء، ثم
أخذ كفها فى كفه، وهى تركت له نفسها ليقودها نحو الأريكة
التي شهدت لحظة مشحونة بينهما، قبل أن يجلسها ويجلس
جوارها، اكتنف راحتيها بين كفيه، ثم ركز نظراته فوقهما
وهو يمرر إبهامه بشرود فوق ظاهر كفها، قبل أن يرفع
وجهه، ليواجه عينيها المدققتين به، وقال بهدوء بعدما اجلى
حنجرته من الغصة التى تحتلها؛ إدراكاً لما هو مقدم عليه :

_انا مش هتكلم فى الموقف إالى فات، لانى مش عارفة الحقيقة الغلط كان عند مين، ولا مفيش حد غلطان ولا هو الموقف مستاهل اصلا ولا .. بس .. بس للحظة فكرت انك محتاجة كل الوقت إالى طلبتيه!

ضمت حاجبيها، وفغرت فاه دليل علي أنها لا تفقه شئ مما يحاول إيصاله لها، وقد عاودت كواليس عقله سد ثغراته أمامها، لكنه تولى دور الإيضاح حين قال بهدوء وعينين دون تعبير محدد :

_انا مكنتش ناوى التزم بالمدة إالى انتى طلبتيها، ومتجيبيش سيرة عن الطلاق عشان طلاق مش مطلق، بس إالى حصل ده أكدي انك محتاجة الوقت إالى طلبتيه كله يا أروى، انتى لسه طفلة !!!

حديثه كان غير مترابط، يعلم ذلك ولا يجد وسيلة يستطيع بها إفهامها ما يريد، لا يعلم أين تبخرت كل تلك الكلمات

التي ظل يرتبها ويرويها على نفسه طوال طريقه إلى هنا
بعدما خرج يمشى دون هدى !!

وصيحتها المستنكرة زادت الأمر تأزماً :

_ انا طفلة !! انا طفلة يا أسر !!!

_ يا بنتي افهمي !

وتعقبيه كان مترجياً وأكثر من كونه قد ضاق ذرعاً بما
يحدث، ثم استطرد بنبرة حاول جعلها أهدي بينما عينيه
تغزوان عينيه دون هوادة :

_ انا فهمت وجهة نظرك، معدتش مستعجل؛ خودي وقتك و
إلى انتي عاوزاه انا مش هعارض، بس هكون جنبك ومش
هسيبك، هتلاقيني كل شوية ناطلك هنا لحد المدة إلى
طلبتيهما ما تخلص .. انا فاهم انك محتاجة تنضجى اكتر،
فاهم انك لحد دلوقتي مش قادرة تستوعبي اى شئ حوالين
علاقتنا، ده غير انك لازم تركزي فى دراستك بدون مسؤولية



تشغلك، فماشى انا موافق بس بشرط انى اكون جزء من كل ده أشاركك بوحودى من حين لحين حتى لو مش عاوزه !!

ابتسامة مغلفة بحنانها غزت شفرتها، فصمت على إثرها منهياً حديثه غير المترابط مهما حاول توضيحه لها .. فمشاعره المبعثرة مازالت تؤثر على عقله فى حضرتها .

فابتسم لها تلقائياً رغم أن مزاجه الحالى كان بعيد كل البعد عن الابتسام، واقتربها المباغت منه واحتضانها له كان الحد الذى وقفت عنده الابتسامة قبل أن يغمض عينيه مشدداً من عناقها أكثر.

_انت مدتنيش فرصة اقولك انك وحشتنى !

صمتت لبرهة تستنبط إثر الكلمة عليه، فجاءها على هيئة تهيدة مثقلة، وكرد فعل لحظى منها ربتت على ظهره بكفها بخفة وهى تقول :



_انت مش عارف انت بتقول ايه، بس انا فهماك يا أسرو
الموضوع مش مستاهل كل إلی حصل ولا رد فعلك ده ...
بس كويس انك فهمت، السؤال هنا بقى .. انت مستعد
تستنى !؟

_شايفة ان عندي حل تانى !!
بعزيمة مثبتة يقولها، فتسع ابتسامتها المشاغبة رغم
إرهاقها وهى مستمرة فى حركة يدها على ظهره ثم قالت
بهدهوء شديد يتنافى ونظرتها تماماً :
_لا مش شايفة !

ابتعدت عنه، تنظر له عن بعد وهى تتثائب قائلة :
_بس شايفة انى عاوزة انام لانى مرهقة فى المذاكرة من كام
يوم وجه اليوم ده كمل الحفلة !!!
تمددت جواره على الأريكة ثم وضعت رأسها فوق قدميه،
وأغمضت عينيها مستسلمة للنوم، ولكن قبل أن تغيب
تماماً قالت فجأة بنعاس :



_الا هوانت كنت ناوى متلتزمش بالشرط بتاعى، أأمملك
ازاى بعد كده ؟!

ابتسامة حنونة لونت شفتيه، فطبعها فوق جبينها قبل أن
يجيبها بجوابٍ على الأرجح لم تسمعه :

_كتيريا أروى .. كتير على قلب شاب ف حبك يا "صبية" !
=====

اليوم الذى تلاه كان حافلاً ..

عمله فيه على أن يعوض ذكرى الليلة الماضية شغلها عما
سواه .

ويوم فى "مدينة ملاه" كانت هى الترضية التى اختارتها
بنفسها !!

أمسك بكفها بين يده ووقف أمام بوابة مدينة الملاه
الكبيرة، ينظر لأروى تارة بنظرة ممتعة، ثم إلى المكان
أمامه بألوانه الكثيرة وصراخ الأطفال والكبار، والأهم من
هذا الشقراوات العابرات هنا وهناك!!

_وزعلانة انى بقول عليكى طفلة !

ي ناظرها بنظرة ممتعة قبل أن يقول ما قال ، فأهدته ضربه

موجعة أعلى كتفه وهى تهتف به :

_متبقاش غتت بقى .. يلا ندخل !

_طب بلاش الملاهى شكلى هيبقى وحش ، تعالى نروح اى حطة

تانية !

_وانت خايف على شكلك ليه؟! الشُقريامة ف المكان!

تكتفت وهى تقولها ، وزمت شفيتها بحدة وهى تناظره بعينين

ملتفعتين بشراسة !!

فضحك بصوتٍ عالٍ مما جذب إليه بعض الأنظار ، فرفعت

عينها بملل قبل أن تقول بفضاظة :

_يلا يا حبيبى ... يلا ندخل ، عشان كده كل شوية عاوز اسافر

عاوز اسافر... ماهو بشكلك ده وعينيك دى اكيد عايش

عيشة فل هنا وسط الناس النضيفة دى !!



لم يستطع السيطرة على ضحكاته التي تعالت مرة أخرى،
فابتسمت رغماً عنها وهي تهز رأسها بياس، قبل أن يقترب
منها أسرليضم كتفها إليه وهو يتجه إلى البوابة :
_ يلا بينا، ولو أن شكلك لوحده يضحك اصلاً .

وكانت إشارته واضحة لأنها تشبه ثمرة يقطين كبيرة الحجم،
فقد ارتدت معطف شتوي منتفخ بشكل زائد عن اللازم
بسبب برودة الجوفى تلك البلاد، مع البضع كيلوجرامات
الذين اكتسبتهم من اللامكان فقد أصبحت شئ يشبه ما
قاله لها بعد برهة :

_ يا كرمبة!!

صاحت باستنكار وهي تزح ذراعه عنها ببعض الحدة قبل أن
تقف أمامه متخصرة وهتفت :

_ نعم يا اخويا .. لا استنى ده "جوزيف مورجان" ماشى
معايا وانا معرفش !! هى مين دى إالى كرمبة !!
_ يا بت فضحتينا، فضحتينا !!



كمم فمها بيده، فلم تصمت أيضاً، فكان صوتها يخرج
كهمهمات مهمة يشوشها صوت ضحكاته التي لا يستطيع
التحكم بها وقد أصبحا عرض مجانى لكل المارين :
_يا بنتى بس بلاش العرق المصرى ده يطلع هنا ابوس ايدك
اتفضحنا !!

_يبقى امشى فى عدلك معايا !!
هتفت بها بمجرد أن أزاح يده عن فمها، فضحك وهو يرفع
يديه مستسلماً :
_خلاص .. اسف !!

زمت شفتيها وأشاحت بوجهها عنه فلم يرى تلك الضحكة
الصامتة على شفتيها وقد سبقته ببضع خطواتٍ إلى
الداخل، فزفر بعمق وهو يقول فى عزم :
_استعنا ع الشقا بالله!!



وخلال أقل من نصف ساعة كان صوت صراخها يتعالى
عندما صعدت إلى إحدى الألعاب شديدة الارتفاع والإثارة !!
وهو يقف بالأسفل يراقبها ممتناً لتلك اللحظة التي محت
من ذاكرته مظهرها وهى شاحبة الوجه، مذعورة ليلة
أمس!!!

==

وبعدما انتهى وقت مدينة الملاهى كان دوره هو ليختار مكاناً !
فوقف أمامها على قارعة الطريق واضعاً كفيه فى جيبي
سترته الثقيلة، وفوق رأسه قبعة صوفية، وقال اقتراحاً
يتنافى وتلك البرودة التى يشعر بها تماماً، حيث قد بدأ يعتاد
جو مصر الدافئ :

_عاوز اروح حته فيها تلج !

_انت عبيط؟!

سؤال بديهي ألغته عليه فور سماعها مطلبه؛ استناداً
لحالة البرد التى تعتريه، لكنه أصر قائلاً:

_مليش دعوة عاوز اروح حتة فيها تلج، يلا بينا!!
وصوت ضحكها التى انطلقت بعدها ظل مصاحباً
لطريقهما حتى وصلا إلى المكان المنشود، وطوال رحلتهما
الثلجية رغم تأثره الواضح بالجو ونبوادر الوعكة التى تلوح
عليه كان فى قمة سعادته لأجلها !!

تزلجهما فوق القمم الثلجية كانت أول مرة لها تستمتع فيها
بتلك التجربة وقد فاقت كل توقعاتها روعة معه، وكرة الثلج
التى كورتها وقذفتها فى وجهه ما زادته سوى إعياءً، فوقف
أمامها متذمراً، وألقى بالكرة التى فى يده وهتف بها بحنق
طفولى :

_والله ما لالع، دانتى غشيمة !!!
ضحكتها انطلقت جيادها دون كوابح، حتى أنها انحنى على
ركبتها فى عدم مقدرة تامة على السيطرة عليها من مظهره
الذى يدعو للشفقة والضحك فى آن .



حك أنفه الأحمر ببعض الحرج قبل أن يبتسم وهو يتجه
إليها يرفعها عن الثلج وقال بصوتٍ غير واضح :
_ قومي خلينا نقعد شوية قبل ما نروح، انا هموت لو فضلت
هنا اكتر من كده!

اومأت دون أن تسيطر على ضحكاتها وسارت معه حتى جلسا
سويّاً على مقعد في الحديقة، لكنه جذبها ليجلسها فوق
قدميه، فضحكت مرة أخرى بعدما كانت قد كفت عن
الضحك وقالت بمشاكسة :

_ يعني احنا لو كان ف مصر كنت قدرت تعمل حركة زى دى
!!

داربعينيه مفكراً للحظة قبل أن يستقر فوق ملامحها
القريبة جداً منه حد التهلكة، ثم همس بعث لم تكن تتوقع
أنه يملكه :

_ الى يعرف أبويا يروح يقوله !!



أراحت رأسها على كتفه وبدأت وصلة ضحك أخرى انتهت بعد فترة، حين لمح أنها تنظر في الخفاء نحو اثنين بعيدان عنهما نسبياً ويجلسان متجاورين، بينما يقبلان بعضهما بحميمية، فهمس جواراذهما:

_غضى بصرك يا ماما، بتبحلقى على ايه .. احنا جايبينك هنا تتعلمى مش تفسدى !

ضحكت وهى تزح عينيها عن المشهد المخجل بوجنيتين حمراوين رغم الجو الصقيعي حولهما، وكررت جملته العبثية:

_الى يعرف ابويا يروح يقوله !

وتباعاً لجملتها، ارتفعت قليلاً إليه فى بادرة حرة منها هذه المرة وطبعت شفيتها فوق شفتيه فى لحظة عابرة واحدة قبل أن تتراجع مرة أخرى، متهربة بعينيها فى جميع الاتجاهات عدا عينيها، أما هو فالأول وهلة تفاجأ لكنه ما كاد يتمعن فى الوضع حتى ابتعدت، فنظر لها بحاجبين

مرفوعين وعينين مندهشتين مما فعلت قبل أن يقول بنبرة
متهدجة :

_لا انتى فسدتى فعلاً!! وبعدين يا ماما إذا بُليتُم فاستتروا،
ومتسألش ايه علاقة الجملة بالوضع لأنك فعلاً بلوة!!!
مازالت تهرب بعينها منه، وضحكت بعدم تصديق لتلك
الخطوة التى أقدمت عليها دون حساب، لكن أسردفعها
حتى وقفت على قدميها ودفعها أمامه مرة أخرى وهو يقول :
_قدامى يا بلوة .. لينا بيت يلما !!

سبقتهما ضحكتها حتى البيت الذى جمعهما كما طلب !
حيث كان يجلس على نفس الأريكة التى تشهد اجتماعتهما
منذ لحظة وصوله !

بينما هى فوق ركبتيه، يستكمل تلك القبلة المنقوصة التى
منحته إياها فى الحديقة!!!

كانت ذائبة .. وكان غائباً مُغيباً فيها .. لكن رغبة ملحة لأن
يعطس ألحت عليه فأجبرته على تركها فجأة ليدير وجهه

للناحية الأخرى ليعطس بقوة قبل أن يعود لها، يستنشق
بقوة دون أن يجد القدرة على التنفس، وقال بصوتٍ مكتوم
:

_حسبى الله فيا عشان انا إالى قولت عاوز اروح فى التلج !
ما كاد يكمل جملته حتى كانت هى تفعل مثله، وعطسة قوية
غادرتها قبل أن تعود له بنظرة ناقمة قائلة :

_وانا ذنبى ايه اتعدى منك؟! منك لله !!
وضحكتهما خائفة القوى هذه المرة امتزجت، قبل أن يلقي
رأسه فوق صدرها قائلاً :

_قومى اعمليلنا حاجة دافية نشربها، كان يوم أسود يوم ما
قولت انا جاى !!!

=====



_ انا في السكة لبیت جدی، كانت ليلة ما يعلم بها الا ربنا مع امی .

الهاتف على أذنه وعجلة القيادة بين يديه يديرها، ويسير في طريقه إلى بيت جده؛ استعداداً لثاني مواجهة بعد فعلته المتسربة، وبعدما سبقها واحدة مع أمه كانت كما وصفها لها تماماً .

_ قولتلك بلاش اهلك مش موجودين انت برضو أصريت .
لكن رد فريدة عليه لم يكن منزعجاً أو لائماً، بل كان مصحوباً بضحكة جعلته يتميز غيظاً قائلاً:
_ انتى بتضحكى على ايه .. بقى غلطى دلوقتى .
_ لا يا حبيبى انت مبتعملش حاجة غلط .

زفردون رد، لكن توتره كان وكأنه ينتقل إليها لاسلكياً عبر الأمواج، فهدأت ضحكتها وقالت بعقلانية :
_ براحة يا زين .. الوضع مش مستاهل، راضيهم بكلمتين و خلاص متوترش نفسك .



_حاضر.

_حضرلك الخير.

وكانت لها في دعوتها نبرة خاصة، حانية .. لا يعلم لما شعر بها
تنفذ إليه كسهم لا يضل طريقه، ربما لأنها نابعة من قلبها
وليست مجرد رد تقليدى، وما هو من القلب .. ينفذ إلى
القلب !

_عاوزين نحدد معاد الفرح .

هنا استولى خوفها عليها قليلاً وكاد يستبد بها، لولا أن
حاولت طرد هاجس التسرع الذى يراودها وقالت بهدوء :
_ربنا يسهل .. أقعد مع أحمد واتفقوا .

_طيب، هبقى أجيلكم يوم

_تمام، روح انت بقى ربنا معاك .

حين أغلقت المكالمة معه، كانت فى حالة غريبة !

تشعر أن حياتها في طور الإنقلاب والتغير.. فقد أصبحت فجأة امرأة متزوجة بعدما كانت حرة، ملك نفسها .
أغلقت الهاتف في يدها واستندت بكفيها إلى جدار الشرفة،
تنظر مبتسمة إلى الأسفل وتراقب الصبية الذين يلعبون كرة قدم في شارع حيم، وقد اعتادوا على هذا الأمر.
ابتسمت حين مرر أحدهم جون وهتف بسعادة وانتصار إلى أصدقائه الذين تكاتفوا معه، لكن ابتسامتها ما فتئت أن شردت إلى ما حدث بعد وصولهم إلى المدينة ..

((حينها سألها سؤال لا محل له في الإعراب في تلك اللحظة الذي كان فيها شارداً في الطريق بعدما أوقف السيارة أمام الحى الذى تسكن به .

_انتي واثقة فيا يا فريدة ؟

زوت ما حاجبيها، وضحكت ضحكة قصيرة مستنكرة،
وقالت :



_بصراحة سؤال غير لائق بالمرّة لواحدة لسه كاتب كتابك عليها الصبح !

رمقها بطرفٍ خفى، فلم تستطع أن تحدد ماهية شعوره المتغير منذ مدة، لكن زين استدار إليها بنظرة منطفئة تناقض سعادته التي تلت عقد القران، احتوى كفيها بين يديه وقال بخفوت، بينما يغرس نظراته في عينيها غرساً :
_واثقة انى بحبك .. واثقة انى عمرى ما هكون سبب أذيتك تانى أبداً .

_ليه بتقول كده يا زين ؟

سؤال واهٍ خرج من بين شففتيها بعد رؤية حالته التي أثارت شفقتها، فقال زين مؤكداً بحرارة :

_لانى مش عاوز اكون سبب أذية حد، تعببت انى مصدر تعاسة لكل إالى اعرفهم، عارف انك نالك بسببى كتير ومش عاوز ابقى سبب تعب ليكى تانى، بس محتاج ثقتك فى ده عشان انا كمان أثق فى نفسى، محتاجك تثقى فى حبي يا



فريدة .. محتاجك لانى من غيرك مش عارف نفسى ..
اقسملك !!!

نظراته كانت شديدة الحرارة تخبرها أن ما يقوله نابع من
قلبه، وقد وصل من الأعماق إلى الأعماق .

لذا اقتربت منه بإرادتها الحرة، حتى احتوت جذعه بين
ذراعيها واستندت برأسها على كتفه، بينما هو دفن وجهه في
التجويف بين عنقها وكتفها، متمهداً بحرارة لفتح بشرتها، في
حين قالت هى بخفوت :

_منكرش انى للحظة حسيت اننا اتسرعنا، بس ... بس يا
زين كل شئ نصيب .. وللازم تبقى مدرك انى لومش من
نصيبك مكنش زمانى دلوقتى فى حضنك، انا مأمناك،
مأمناك على حياتى كلها وعلى قلبى، واثقة فيك، دورك بس
انك تحافظ على ثقتك بنفسك عشان تقدر تكمل وما
تخذ.....

"ماتخذلنيش!"

كانت تريد قولها، أو إتمامها، لكنه لم يمهلها ..

لم يعطها الفرصة رغبة في عدم سماعها منها، أو رؤية

صداها في عينيها !!

يقسم أنه لن يسمح لها بنطقها أو الشعور بها مجدداً، إلا

خذلانها أو خذلان أى أحد !! هذا ما لا طاقة له به !!

شفتيه اطبقتا على شفتيها، مجرد أنه طبع شفتيه فوق

خاصتها، بمنعها من إتمام ما تريد، لكن في داخله كان يشكر

نوافذ سيارته الشبه معتمة !

ولأجل الاحتمالية التي تحملها كلمة "شبه" ابتعد عنها

مسرعاً .. فضحكت فريدة ضحكة مكتومة وهي تدير وجهها

إلى النافذة قائلة برهبة من أن يكون أحد قد رأهما :

_الله يخربيتك هيمسكونا بفعل فاضح في الطريق العام !!)

ضحكتها إثر استذكارها للموقف زامنت تمرير أحد الصبية

لهدف !



فتعالى هتافهم، وتعالى ضحكها، فى نفس الوقت الذى وجدت به أحمد جوارها، يحيط كتفها بذارعه قائلاً فى محبة :

_لمين ندين بالفضل ده؟! مين إالى خلاكى تضحكى مع نفسك شبه الهبله كده!

مالت برأسها إليه بمكروهى تقول بحاجبين متراقصين :
_هو فيه غيره!

_يا بنتى احترمى انى اخوكى الكبير!
ضحك وهو يقولها، فهتفت فريدة ببراءة منقطعة النظير:

_هو مش انت إالى بتسأل يا جدع!!

_ربنا يعوض على الجدع عوض الصابرين .

انطلقت ضحكها بعد جملته قليلة الحيلة، فضمها إليه أكثر مقبلاً جبهتها قائلاً :

_البيت هيفضى من بعدكم .

فغمزته بانعدام تام للحياء قائلة :

_ايوا يا عم الجو هيخلالكم !!

ضحكته الرجولية تلك المرة كانت السائدة، لكن قوله
بعدها جاء شديد الاتزان :

_انتى عارفة ان ندى عمرها ما اشتكت من وجودكم،
بالعكس هي دائما شيفاكم خواتها .

ربتت على صدره بخفة مع قولها الحانى :

_عارفة يا حبيبي والله .. بنت اصول طول عمرها ربنا يكرمها
ويخليها ابنها .

_ويخليكي ليا .

أهدته ابتسامتها، وكادا ينخرطا في جو عاطفى ممل، سيبدأ
به موسم تساقط الدموع، والشهقات المميتة، فقال أحمد

مستدركا الكآبة الملوحة في الأفق بضحكة :

_ألا قوليلي مكلمتيش داليدا انهاردة !

_لا تعالى نكلمها "فيديو كول" !

_يلا بينا !!



وما إن تم فتح المكاملة المرئية حتى بلغت ضحكاتها عنان السماء على مظهر داليدا وهى جالسة فى منتصف الفراش، تمسك بيحيى كمن يمسك بلص ملابس وتطعمه بالقوة رغم تمنعه ..

_ربنا ع الظالم والمفتري .

هتفت بها فى وجههم وهى تدس الملعقة فى فم يحيى الذى تدمر بقوة .. لكن فريدة هتفت بمرح :

_انتى بتزغطيه زى البط كده ليه !

ضحكت داليدا رغم انشغالها مع يحيى ورفعت عينيها نحو شاشة الحاسوب أمامها بنظرة يائسة من تشبيهات فريدة شديدة الفصاحة .. ومن ثم أولت انتباهها ليحيى المتذمر لتكمل إطعامه، لكن وقبل أن تنفذ ما أرادت وجدت أدهم يخرج من الحمام الملحق بالغرفة يلف نصفه السفلى بمنشفة كبيرة بينما جذعه عارٍ، فاستدركت الوضع بسرعة وادارت الحاسوب للناحية الأخرى والتفت هى الأخرى عوضاً

عن ظهور أدهم بالصورة .. فعقدت فريدة حاجبها من
حركة داليدا المفاجئة وقالت باستفهام :
_فيه ايه يا داليدا ؟!

_ها... لا ولا حاجة ده يحيى كان هيقع الاكل بس !
استدركت الوضع بسرعة ورفعت عينيها نحو أدهم الذى
يضحك فى صمت ويبدل ثيابه أمام الخزانة .. رمقته بنظرة
مغتاظة قبل أن تسرع بغلق الاتصال مع فريدة، وتركت
يحيى الذى كان الكرى يتلاعب بمعاقل جفنيه ليغفو فوق
الفراش قري العين، متسخ الثياب إثر تملله الكثير أثناء
تناول الطعام، وهبت نحو أدهم كزوبعة وهى تهتف:
_يا بنى آدم طب كح وانت طالع، كان هيبقى شكلنا ايه يعنى
لو كان الإتصال اتفتح بالمنظر ده!

تعالى صوت ضحكته وهو يغلق آخر زر فى قميصه وربت
على وجهها بكفيه كأنه يهدد طفلاً صغيراً وقال :



_حقك عليا يا جميل .. المرة الجاية هبقى اجيب معايا
"زماره" وانا طالع من الحمام عشان تاخدى بالك .
تركها تتميز غيظاً واتجه نحو المرأة ليمشط شعره وهو يهتف
بها :

_وبعدين انجزى .. زمان كله سبقنا على هناك، وجدى جه
من المستشفى واحنا لسه هنا بنتحاور !
زمت شفتيها واتجهت مجبرة نحو يحيى الذى حاولت إفاقة
ولم تستطع .. فحاولت تبديل ثيابه وهو مستغرق فى النوم
تماماً ..

بينما هو انتهى مما يفعل واستند إلى حافة طاولة الزينة،
وكتف ذراعيه أمام صدره، يراقبها مبتسماً دون أن يمل
للحظة !!

حتى انتهت فى ارتباك من نظراته ومراقبته من تبديل ملابس
يحيى قبل أن تأتى للمرحلة الأصعب !!!
تبديل ثيابها هى !!

وقفت متكئة للحظة، قبل أن تشرع في فك خمار إسدال الصلاة الذي ارتدته على عجالة لتجيب الإتصال .. ثم قامت بسحبه من فوق رأسها !!
حينها فقد ابتسامته وتأنيده، حتى وقفته استقام بها منتبهاً بكامل حواسه حين رآها بالقميص المختبئ خلف إسدال الصلاة !!!

_من برا هالا هالا، ومن جوا يعلم الله !!
نطقها بصوتٍ واهٍ رافعاً حاجبيه بانشداه، في حين دحجته هي بنظرة متبلدة لم تخفى خجلها الذي مازال إلى الآن قائماً، واستدارت فلم يرى ابتسامتها وهي تأخذ ثيابها متجهة نحو الحمام !!

_داليدا ... خودى هنا .. انتى يا ست !
لكن لا صدى لنداءاته سوى صوت إغلاق الباب، وكلمة أخيرة مليئة بالمسكنة منه هتف بها بصوتٍ عالٍ ليُسمعها :



_ ما البلد دى احسن من غيرها طيب !!
ولكن لا رد سوى صوت تدفق المياه من الداخل .. فتقهقر
متحسراً على فرصة ضاعت منه !!
جلس جوار يحيى النائم على الفراش .. وابتسم حين لاحظته
يبتسم فى نومه وتذكر قول داليدا عندما سألتها عن هذا
الأمر:

_ الملايكة بتضحكه !!

ضحك بخفة وهو يمد أنامله يتلمس بشرته المخملية بظاهر
أصابعه، وشعور لذيذ تسلل إليه .. دائماً ما يتسلل إليه
كلما أمعن النظر به، وانفصل عن العالم وعما سواه !!
تحديداً هذا الشعور يراوده منذ عادت له ذاكرته وبرجوع
يحيى إليه !!

ذراعين ناعمتين التفا حول عنقه، وصوت فى نعومة الحرير
همس فى أذنه :



_تعرف انه شيهك اوى .. ضحكته نسخة من ضحكتك إالى
بتخطف قلبي !!

وبالتبعية أهداها ضحكته كرد فعلٍ تلقائي قبل أن يسحبها
إليه، ليعانق شفتيها بشفتيه.. يطبع ضحكته التى تسرق
نبضاتها فوق شفتيها !!!!

إلا أن القبله تعمقت، وامتزجت بعناق حار قبل أن يسحبها
لتجلس فوق قدميه، لكن صوت رنين هاتفه قاطع تلك
اللحظة الموسمية منذ مجيئ يحيى ... فابتعد داليدا
ضاحكة، تلهث قليلاً وهي تقول بوجنتين مشتعلتين :
_يلا قوم انزل على انا ما اجهز وانزلكم على طول .. زمانهم
مستعجلين عشان يمشوا !

اوماً دون رد، لكنه لم يمتثل بل مكث يراقبها تستكمل ثيابها
وتضع آخر لمساتها فوق حجابها قبل أن تتعلق فى ذراعه
وفوق ذراعه الأخر يقبع يحيى مستعدين للخروج !!!



أهذه هي النهايات السعيدة بعد طول شقاءٍ يا تُرى ؟!

=====

اليوم في بيت جدهم كان حافلاً..

البيت كان يضج بكل من فيه، عدا فارس ودرة اللذان لم يحضرا لسببٍ لا يعلمه إلا الله وهما !!

حين انتصف النهار..

كان معاذ ومحمد قد احضرا إبراهيم من المشفى ولم يمكث وقتاً طويلاً حتى أسرع معاذ بإدخاله في غرفته ليرتاح دون أن يعبأ بكل الواقفين أمامه ..

أغلق باب غرفة أبيه خلفه لضمان راحته ووقف أمامه متكثفاً .. يقول بنبرة محذرة رغم إرهاقه الذي نال منه وبان في عينه :

_محدث يدخله دلوقتي .. هو مش حمل لاكم وكلامكم

اليامة .. انتوا اصلا عيلة وش سيبوه يرتاح من الطريق !!!

لم يجاوبه أحد، بل أخذوه على قدر عقله كما يقولون
وتركوه بابتسامة سمجة يعبر اليه ونحو السلم المؤدى إلى
الأعلى متجهاً إلى غرفته، قبل أن تلكز سامية رنيم في الخفاء
هامسة :

_ قومي روحى ورا جوزك .. انتى قاعدة تعملى ايه !!
_ ايه .. هظمن على بابا ابراهيم .

_ قومي يا بنتى الله يكرمك بابا ابراهيم بايت معاكم هنا ..
قومي ورا جوزك !!
_ حاضر .

قامت متململة .. ومتذمرة لتصعد خلف زوجها كما أمرتها
من هى بمرتبة حماتها !!

بينما على باب غرفة جدهم، فقد تقدم مصطفى متكئاً على
عصاه، بعرج بسيط يقل وطأة كلما داوم على التمارين
والعلاج المناسب .. وفتح باب الغرفة قبل أن يدلف إلى جده

وأغلق الباب في وجههم بعدما قال جملة مختصرة مصحوبة
بابتسامة سمجة :

_لامؤاخذة .. عاوز جدى فى كلمة سر!!!

وقف الجميع مذهولين من طريقة تعامل ابناء تلك العائلة
ذوى انعدام الذوق العام تماماً !!!
أما بالداخل ..

فقد تقدم مصطفى من جده المستلقى فى الفراش، ومال
يقبل حبينه بمحبة وبضع عبارات تقليدية .. فابتسم جده
بفطنة اكتسبها من سنوات عمره وهوى قول بنبرة مجعدة
بعدما جلس مصطفى على حافة فراشه :

_مفوزتش بيها مش كده !

نظر له مصطفى بابتسامة باهتة وهز رأسه نفيماً ببطء، لكن
جده ربت فوق كفه بوهن وهوى يتمتم بصوتٍ خفيض :
_مدام معاك قلبها .. اطمئن !!



تلك المرة ابتسامته استحالت ضحكة يتيمة قصيرة، قال
بعدها بيأس :

_تصدق حتى قلبها معدتش واثق انه معايا !!

_ربك هيدبرها، سبحانه .. فرقكم سنين وقادري جمعكم تانى
على خير!

_يارب يا جدى .. يارب .

قالها بحرارة شديدة قبل أن يردف بعدها :

_كانت قدام عينيا عمر بحاله .. بس .. بس انا كنت اعمى
ومش شايف!!

_هى هنا ؟!

سأله جده بخفوت فأوما مصطفى دون أن ينطق، وهو
يتذكر أنها حتى لم تنظر نحوه نظرة عابرة، وكأنها تتعمد أن
تطيل النظر بعيداً عنه !

أهداه جده بابتسامة أخيرة، قبل أن يقول له فجأة :

_سيب الموضوع ده عليا !

رفع مصطفى حاجبيه مستفسراً، لكن اللحظات لم تكد تمر حتى أرسل جده في طلب يارا إليه، وكما المرة السابقة أُغلق الباب في وجه كل من بالخارج؛ حفاظاً على السر الحربي الذي يُدرس بالداخل .. ومخططات حرب أكتوبر الثانية !!

_تعالى يا يارا .

ارتبكت، وكادت تستدير خارجة من الغرفة مجدداً، لكن كبريائها أجبرها على المواجهة لا الهرب، لذا تقدمت من جدها مفتعلة بابتسامة، متجاهلة لوجوده الكلى من حولها، ناسية أو متناسية وجوده الذى يحتل حتى ذرات الهواء من حولها .. واقتربت من جدها تطبع قبلة على جبينه، محل قبلته تماماً وقالت بمشاغبة :

_ليا الشرف انى اجى لحد هنا وقبيلة الهنود الحمر الى برا دول عاوزين يشوفوك !!

_انتوا الغوالى !



آه لو يعلم جمعها معه في جملة واحدة حتى لو من باب إظهار حبه لأحفاده ماذا فعل بها .. آه لو يعلم !!

هل كان شرطها فعلاً أنها ما إن تتخلص من ضعفها تجاهه حينها ستكون له؟!

لأنها لا تعتقد أنها ستكون مع هذا القدر من الحب الذي يساورها تجاهه !

_ اقعدى يا يارا .

قالها جدها بعدما لاحظ تخشعها في وقفها، فافتعلت ابتسامة قبل أن تجلس في مواجهته على مقعد جوار الفراش .. وتجاهلت عمداً شعور الدغدغة الذي ساورها وهي تدرك تماماً ماهية نظراته التي تتأكلها !!

_ خيراً جدى !!

_ خيراً حبيبة جدك إن شاء الله .

لكن ما فعله جدها بعدها لم يمثل خيراً بالنسبة لقلبيها أبداً !



فقد طلب منها مساعدته ليستقيم في جلسته، ثم استغل
قربها منه بعدما اعتدل وأمسك بكفها في يد، وبكف
مصطفى في اليد الأخرى قبل أن يضمهما سوياً بين كفيه
المرتجفتين بوهن !

تفاجأت لأول وهلة وكادت تسحب تسحب يدها بعيداً وكأن
حية لدغتها، لكن جدها شد على كفيهما معاً بوهن وقال
بصوت مجهود، يثير تعاطف الحجر:

_عاوز اظمن عليكم، عاوز اشوفكم فرحانين سوا قبل ربنا
ما يسترد أمانته !

أجاد جدها اللعب على الوتر الحساس في هذه اللحظة ..
هذا ما فكر به مصطفى رغم دهشته مما يفعل جده، لكنه
علم أن العجوز لم يفقد مكره بعد .. أوريما كانت تلك
رغبته الصادقة فقد بان في نبرته دون الحاجة لتزييف !!!
_بعد الشر عنك يا جدى ما تقولش كده .



قالتها بنبرة متحشجة، واشية يقترب بكائها تأثراً بالموقف
بأكمله، لكن جدها جادلها قائلاً:

يا بنتى الموت علينا حق.. بس نفسى، نفسى اشوفكم سوا..
كفياكم كده يا يارا.. كفاية يا بنتى !

نبضها المرتعب كان يتقاذز كأرنب مذعور فوق إبهامه..
فرفع عينيه إليها وأشفق عليها من ارتباكها، فسحب هويده
وتلقائياً فعلت المثل كأنها تم تحريرها من أسرٍ ما.. ثم
جلست على المقعد خلفها، ودموعها التى أجادت حبسها
طوال الدقيقة الماضية، لم تقدر على المناضلة أكثر من هذا
فانطلقت ثائرة على وجنتيها تزامناً مع قولها وهى تسير
باناملها نحوه :

_قوله هوى جدى .. قوله هو كفاية .. كفاية متقلّيش انا،
عشان انا صبرت كتير.. لو كنت اتجوزت من أيامها كان
زمانى معايا ولاد زى بنته واكثر.. بس انا استحملت لأجل لا
شئ .. لا شئ !!!!



بداية المواجهة كانت بوادر إنهارها، لكنها تماسكت غصباً ..
وهتفت به :

_ هو اتجوز وعاش حياته، وخلف .. وانا فضلت مستنية !
_ انتى بتعاقبينى على ايه .. ولا بتعاتبينى على ايه، شايقة
حالتى دى .. اهو إالى انا فيه ده نتيجة الجواز إالى انتى
بتعاتبينى عليه .. مش من حقك يا يارا !! أبداً !
هتف بها هو الآخر وأحترم الوضع بينهما، حين قالت هى
بقوة :

_ وتحديداً جوازك ده انت متعرفش كان بيعمل فيا ايه ..
متعرفش ازاي كنت بستحق نفسي وانا عارفة ان قلبي مع
واحد متجوز .. متخيلش قد ايه انا كنت بعانى !! لان انت
عمرك ما عرفت عنى حاجة يا مصطفى .

نقل جده نظره بينهما وقد شعر بخروج المسألة من بين
يديه، فقال لمصطفى بهدوء :

_سبها يا مصطفى .

_مين إالى قال أن وحدك بتعافرفى نص الطريق .. مين قال

انى مش بعافر مع حبي اليائس ليك من سنين .. ايوا انا كارها

ضعفى تجاهك .. وزى ما سبت جه دورى انى اسيب !

_مين هيسمحك !!

_مش محتاجة اخود إذن من حد .

_حتى لو قولتلك ان كل شروطك انا وفيتها، حتى لو قولتلك

انى لا عاوزك احتياج ولا شفقة ولا اى شئ من الدوامه إالى

بنلفها فيها بقالنا سنة .. حتى لو قولتلك انى بس عاوزك

لأنك يارا فقط لا غير!!

تهدج صوتها وهى تهمس بعدم تصديق تام لما يقول :

_انت عمرك ما عوزتنى يا مصطفى !

_اقسملك انك بعد العمر عمر .. معرفتهوش غير لما قلبي دق

تانى بوجودك يا يارا !!



اخفضت وجهها، تخفيه بين كفيها قبل أن تجهش بالبكاء .
لكن جدها الصامت منذ بداية حوارهما ربت على ركبتيها
بوهن وهو يقول :

_كفاية يا بنتى .. استهدى بالله يا يارا .. انا مش قادر اتكلم،
سبحان من قدرنى عليكم اللحظة دى!!

رفعت وجهها المغرق بالدموع إلى جدها، قبل أن تمسح
دموعها وهى تقول بصوت أجش :

_انا اسفة .. اسفة انى أرهقتك كده، انا هقوم امشى !
تمسك بكفها جيداً قائلاً بإصرار:

_لما اسمع موافقتك الأول .. ارحمى المسكين ده .. وارحمى
نفسك يا بنتى .. وقبلكم انتوا الاتنين ارحمونى انا احسن
والله ابعت لمعاذ يجى يطلعكم من هنا !

ضحكت رغماً عن أنفها وهى تمسح دموعها بقوة، قبل أن
تقول بنبرة باهتة :

يعنى انت مصدقه يا جدى .. مصدق انه خلاص رemy
الماضى ورا ضهره، مصدق انه مستعد يدنى حب غير
مشروط !!

"حب غير مشروط"

أكبر كذبة فى تاريخ البشرية، تلك التى تسمى حب غير
مشروط، لكنه طفق يجاريها بما يضمن بقائها ويتناسب
بنسبة خمسون بالمئة وشعوره .. فقال بنبرة جامدة بعض
الشئ وهو يجابها بنظراته :

_ انتى عارفة كويس انى عاوزك لذاتك .. لا لمصلحة ولا غيره!
رمقته بنظرة عابرة، ثم عادت لابتسامة جدها البشوشة،
فابتسمت له ابتسامة مختصرة سرعان ما خبت، ثم
اطرقت برأسها أرضاً لمدة لا بأس بها من الزمن .. قبل أن
ترفع عينيها نحوه أخيراً قائلة بفتور :

_ مش هطلب منك غير حاجة واحدة بس .. تتقى ربنا فيا !



وكادت تستكملها بـ "وفي قلبي الذى لم يعشق غيرك" لكن
بضع ذرات من حياء مازالت تمتلكها منعتهما، فى حين جاءها
رده حاراً جاهزاً :

_ أقسملك .. وحياة بنتى هشيلك فى قلبي قبل عنيا !!

صيحة استحسان خفيضة صدرت من جده فجذبت إليه
الأنظار، والذى سعل بعدها وهو يقول ضاحكاً بصعوبة :

_ الله عليك يا ابنى والله .. بتفهم زى جدك صحيح !

_ حبيبى يا جدى .. انتى يا بنتى خلاص كده اروح افاتح عمى
خالد ونخلص الموضوع ده !

رفعت ذقنها بإباء واستقامت واقفة أمامهم قبل أن تقول
بهدوء شديد :

_ متستعجلش اوى كده .. لما تعدى مرحلة امى الأول تبقى
ادخل فى مرحلة ابويا !!



وفى طريق خروجها كانت ضحكة جدها الخشنة تشيعها
ونظرات مصطفى الذى لتوه علم صعوبة المعركة المُقدم
عليها !!

ولم يلحظ أحد تلك الابتسامة المختلطة بدموعها التى
ارتسمت على شفثيها بعدما خرجت من الغرفة رغم أنف
حزنها وكبريائها ..

آه لو يعلم ماذا يدور بهذا الخلد
ما كان جزانى بكل البعد.
آه لو يعلم ما فى قلبي
لسارمعى كل الدرب
آه لو يعلم..

آه لو يعلم ما فى الوجدان..
لجازانى حب وحنان..
آه لو يعلم سر وجودى

لعب التلّ، تخطى البحر وكل طريقٍ مسدود..

آه لو فقط .. يعلم..

=====

"الشيخة سمية!"

لفظة غريبة .. بل شديدة الغرابة على أذنيه وهو يسمع الكل

يتداولها فيما بينهم ولا يعلم لما لا تظهر تلك "الشيخة" أمامه

وتريحه من عبء التكهّنات التي تثقله !!

وحين اهتدى سأل حلا عن مكانها، فأجابته متهكمة :

_بتصلى العصر يا بابا جزاها الله وجزاك كل خير!!

_جرايه يا ست انتى ما تتكلهى زى البشر.

هتف بها بنزق عندما لم تريحه بإجابة، فهتف صوت آخر

من خلفه :

_انت بتزعقلها ليه انا مش فاهم .. احنا مال اهلنا احنا .

_ديك البرابرجه !

التفت إلى حازم بابتسامة سمجة وهو يقول :

_سيهالك وماشى !

التفت حازم إلى حلا بعدما شيع مراد الراحل بنظراته
الساخطة وقال بشفتين مقلوبتين :

_ده ماله ده !

_اعذره يا اخويا.. قطع الحب وسنينه!

_هو بيخلي الناس متخلفين كده!

_ما بلاش انت .. لو نسيتموا إلى جري هاتوا الدفاتر تتقرأ !

زم شفتيه ونظر لها بتعبير متبلد قبل أن يقول بجمود :

_انتى خنيقة .. والله خنيقة وباردة !

أحاطت ذراعه بكفيها وقالت بدلال ضاحكة :

_حبيبي تسلم !!

نظر لها شزراً وقال بين صفى أسنانه المصطكين :

_انتى تسكتى خالص !

_يا حبيبي مش لازم اعيدلك الامجاد وافكرك انك سفيت

التراب عشان توصلى !!!!



ابتسم فجأة بشيطنة، ودار بعينه هنا وهناك فلاحظ
انشغال الجميع قليلاً.. وهجم عليها فجأة لكنها فرت هاربة
وهي تهتف :

ـخربيتك .. خربيتك !!!

شيء بها بضحكته الطويلة وهي تعدو كالمجنونة نحو المطبخ
تحتى به من تهوره ..

لكن ضحكته بهتت، واستحالت لبسمة صافية وتعبير
عينيه وقتها كان أبلغ من أى كلمات يشيعها بها تعبيراً عن
حبه لها .. فقط لورأته !!!!!

=====

رحلة البحث أضنته، وكأن البيت نبتت له شياطين ابتلعها،
احتفالاً بقلب "الشيخة" الجديد .

زفروها ويخرج من البيت ينظر هنا وهناك بحثاً عنها، فقط
لو كنت درة قد أتت لكنت أنهت له تلك المهمة، لكنها فضلت
أن تترك بجانب زوجها هناك !!

تبا لهم جميعاً !!

وفي لحظة كانت عيناه تصطدم بها.

يتذكر أنه رأى هذا الكائن من أحد الشرفات أثناء رحلة

بحته، لكنه كان يبحث عن سمية لا هذا الكائن الجالس

فوق العشب في الحديقة !!

سمية تعنى "النصف حجاب" .. سمية تعنى بنطال يحدد

معالمها بدقة ومرفوع فوق كعبيها والذي يزين أحدهما

خلخال رقيق دوماً كان ترتديه ويثير حنقه .

سمية تعنى كل شئ غير منضبط !!!

لكن هذا الكائن الذى زعموا عنه أنه كان يصلى العصر منذ

قليل لم يخطر بباله أن تكون هى !!

_سمية !!

لا لم يكن يناديها، بل كان يتساءل عما إذا كانت هى أم لا

عندما اقترب منها، فرفعت وجهها تنظر له بعينين ضيقتين

إثرا تطام أشعة الشمس بعينها، قبل أن تقول بهدوء
شديد :

_نعم !

_نعم الله عليكي يا حبيبتي، ايه إلی عملاه في نفسك ده !
قطبت حاجبها لأول وهلة قبل أن تخفض عينها تنظر إلی
نفسها ..

رداء محتشم لا يخلو من لمحة أناقة، وقد علم من فوره أن
هذا ذوق درة لا هي !

حجابها الذي كان يكشف عن نصف شعرها تقريبا صار الآن
حجاباً كاملاً الآن والحمد لله !

لا خلخال .. لا بنطال .. لا طلاء أظافر فاقع اللون .. لا
مستحضرات تجميل !

فقط هي بكينونتها الطبيعية، وبشرتها الصافية التي أبرزت
ملامحها الرقيقة !!

_ايه .. مش عجاك !

_مش عجباني ايه بس .

كان يقولها مشدوهاً وهو ينحني ليجلس جوارها أرضاً،
متربعاً في مواجهتها قبل أن يقول بنفس الدهشة :

_مين إالى خلاكي تتغيرى ٣٦٠ درجة كده !

ضحكت ضحكة رقيقة وهى تقول بمزاح :

_يا سيدى يهدى من يشاء انت زعلان ليه ؟

_زعلان ايه بس يا شيخة اسكتى اسكتى!

عينيه كانتا تجريان على كل شبر منها بلهفة، حتى استقرتا
على وجهها، فشعرت به فى تلك اللحظة وكأنه ..

"قبلها بعينه" !!

وتلك كانت أول قبلة بينهما !

_سمية انا ...

شعرت به سيبوح بها، وبالفعل كاد يبوح بها، لذا استوقفته
وهى تهب واقفة وتقول :



_ ادعى لدرة .. هى السبب فى كل ده، لدرجة انى احياناً
حسيت ان ربنا جعلها هى من نصيب فارس عشان تبقى
اختي إالى ملقتهاش !!

تمسك بكفها ومنعها من تخطيه حينما كانت راحلة، ورفع
عينيه نحوها قائلاً بصوتٍ واهٍ :

_ يعنى اقدر ادخل البيت من بابيه، ولا لسه خايفة لاحد
يعايرك!

أهدته ابتسامة باهتة وهى تقول بخفوت :

_ محدش بيشيل ذنب حد .. ربنا مبيرضاش بالظلم .. انت
اكيد عارف ده كويس!

ومن ثم سحبت يدها واتجهت بخطواتٍ رزينة هادئة نحو
مدخل البيت .

فضرب مراد الجالس أرضاً كفاً فوق كف وهو يهتف :

_ هى دى .. هى دى اللى كانت بتمشى تقول يا أرض اتهدى ما
عليكى قدى !! يهدى من يشاء بصحيح !!



منذ قليل بالأعلى ..

دلفت رنيم خلفه إلى الغرفة لتجده جالساً على طرف
الفراش، رأسه مدفونة بين كفيه بتعب، محنى الظهر وكان
قد تحرر من قميصه !!

كانت هيئته متعبة، مثقلة بكم الضغط الذى كان يرزح
تحتة طوال فترة مكوثه جوار والده بالمشفى .

فغارت عيناها بنظرة حنونة، وتلونت شفתיها بشبح ابتسامة
.. قبل أن تدور حول الفراش لتصعد خلفه زاحفة على
ركبتيها، تسالت يديها بخفة إلى كتفيه وعنقه وطفقت
تدلكهما برفق قبل أن تهمس بخفوت :

_حمد الله على السلامة !

رفع وجهه عن كفيه، ونظر للأمام بلا تعبير قبل أن يقول
بنبرة باهتة :

_الله يسلمك ..



صمت لبرهة .. رفع فيها يديه نحو كفيها الملامسين له
واحتضنهما قائلاً :

_عاملة ايه ؟

عقدت حاجبها متفاجئة من سؤاله في البداية، لكنها ردت
بتقليدية :

_الحمد لله !

_مش زعلانة !!

عقدت ازدادت عقدة حاجبها لكن في اللحظة التي تلتها
ابتسمت بإدراك قبل أن تستند بذقنها إلى كتفه هامسة
بهسيس خبيث جوار أذنه :

_اه .. قصدك عشان كدبت عليا وقولت انك مبتخلفش
وحطتني في اختبار وكده .

تهمد بإرهاق وهمس باسمها بيأس .. لكنها ربتت على كتفيه
وقالت بهدوء :

_متشلس هم .. سيب الكلام لوقت تانى !



التفت لها بعدما أزاح يديه عنها وتطلع لها سابراً وهو يقول
بإصرار:

_ لا .. لازم نصفى الكلام دلوقتي !

صيحة متهكمة صدرت عنها قبل أن تشير إلى نفسها قائلة :

_ ده منظر واحدة زعلانة .. ارحم نفسك يا معاذ .. مش كده !
لكن ملامحه الجامدة بإرهاق لم تلتن، بل اكتنف كفيها بين
يديه قائلاً:

_ بس لازم اراضيكى !

ابتسمت بحنان وهى تشدد على كفيه قائلة بخفوت :

_ يا معاذ والله ما زعلانة .. وحتى لو زعلانة مش هعتب عليك
فى الظرف ده وانا عارفة انت عامل ازاي، الوضع مش
مستاهل كل ده .

صمتت للحظة بهتت فيها ابتسامتها وهى تقول بشئ من
الشروء :



_منكرش انى اول لحظة أدركت فيها ده بعد ما شوفت
نتيجة الاختبار ايجابية .. كنت عاوزة ازعق واتقهرت اوى
انك حطتنى فى موقف زى إالى كنت فيه فى محل اختيار
بينك وبين طفل .. لكن لما هديت وافتكرت كلامك معايا
دايماً فهمت انك كنت عاوزنى اختارك من بين كل شئ ولو
لمرة واحدة، فهمت انك عاوز .. عاوز حبي زى ما سبق وانا
طالبتك بيه وانت مبخلتش !!

طوال حديثها كانت تنظر لنقطة وهمية خلف كتفه، لكنها
استدركت نفسها وهى تعود لتغزو عينيه بنظراتها قائلة
بقوة وثقة :

_انا بحبك يا معاذ .. لازم تكون واثق من ده .. وحتى لو
مكنش هيبقى فيه ولاد خالص انا عمري ما كنت سبتك بعد
كل وقفك جنبى طول الوقت ده!



حين انتهت كلماتها كانت تريد قول المزيد، كان تريد أن تعبر
أكثر عما يعتريها لكن شفتاه انهدتا كل الفوضى السائدة
بينهما !

وكانت هي أكثر من متجاوبة، بل كانت متلهفة، تبادله شوقه
بشوقٍ آخر.. أشد وطأة !

تراجعت إلى الخلف وهو معها حتى استلقت فوق الفراش
وخيم هو فوقها، إلى أن ابتعد عنها بعد لحظات، ينظر
لعينيها الغائمتين بعاصفة شتوية وشيكة، ولم يقو على
قول شئ بعد استنزاف المشاعر الذي تعرض له على مدى
الأيام الماضية، فقط مال على جبينها بقبلة عميقة أودعها
شكره وامتنانه، وحبه في آن !!

=====



رمى الكوب الذى كان يشرب به عمداً فى حوض المطبخ
ليصدر صوتاً عالياً وكأنه تهشم بينما تأوه هو باصطناع
ممسكاً بيده ..

وكما توقع .. تركت ما بيدها فوق النار المشتعلة بعدما
فزعت وهرولت إليه قائلة :
_ فى ايه يا فارس .. اتعورت !
_ اه اتعورت .

قالها بمشاكسة وهو يحتجزها بينه وبين حافة الرخام من
خلفها ، فتملمت درة وزمت شفيتها بغضب .. لكنه تمسك
بها جيداً وهو يستكمل بمسكنة :
_ الدنيا جت عليا وعورتنى .

زفرت بملل وقلبت عينيها وهى تقول بنبرة ملولة :
_ اه وبعدين .. يلا كمل الاسطوانة!
اتسعت ابتسامته المشاغبة وهو يغمز بوقاحة قائلاً :

_بيقولك مرة واحد بيشتكى من الدنيا لمراته فبتزعقله .. بدل
ما تدلعه !

فغرت فهما وهى تقول موبخة :

_يا بنى ادم انت مفيش من الاحمر خالص .. بيقولك مرة
واحد جده لسه طالع ما المستشفى وبدل ما يروح يطمئن
عليه هو مراته قعد ف البيت عشان عاوز يدلع !!!

كان دوره هنا ليزفر بملل ويحدجها بنظرة ملولة قائلاً :

_ما تدلعيه يا "سعدية" انتى خنيقة كده ليه !

ابتسمت بسماجة ومالت برأسها قائلة بازدرء :

_سعدية مبتعرفش تدلع حد !

_اقولك انا!

عاد لشغبه وهو يقولها غامزاً مجدداً، فانتظرت بملل، إلى
أن مال إليها هامساً بمكروكأنه يفشى سراً :

_فيه حاجة يتيمة كده مرمية فى أرضية الدولاب فوق ..

اسمع انها كويسة جدا ف الدلع، وسمعتها لا غبار عليها !!



_ ده كل الغبار والأتربة إلى ف العالم كله متكومة فوقها!
بنفس التعبير السمج قالتها، قبل أن تنظر له شزراً قائلة :
_وبعدين انت مش شايفنى بعملنا اكل عشان ما نموتش من
الجوع هنا !

_ هناكل ي حبيبتي.. والله هناكل !
كان مصرأً، وطفلاً بشكل لا يطاق، فحاولت التملص منه
بالقوة، لكنه لم يرحم خجلها هذه المرة بل هتف قائلاً فجأة
:

_ استعنا على الشقا بالله !!
اتسعت عيناها بخوف وهى تراه انحنى فجأة حتى حملها بين
ذراعيه !

_ يا فارس لا يا فارس !!
_ انتى تسكتى خالص .



وكان فى منتصف طريقه إلى الخارج فمدت يدها بسرعة
لتطفئ النار المشتعلة تحت الطعام قبل أن تقول بصوتٍ
متذمر:

_عليه العوض ومنه العوض !!

حالما انزلها فى غرفتهما وأغلق الباب منتظراً، وقفت أمامه
متكئة وهتفت بشر:

_نعم !

_نعم الله عليك يا حبيبتي طلعى إلى فى الدولاب والبسيه !

أنين باكى صدر عنها وهى تهتف بياس :

_مرة تانية يا فارس عشان خاطرى !!

_والله م تحصل.. هو انهارده اومال انا استغلّيت الفرصة و
البيت فاضى ليه !

كادت تبكى خجلاً أمامه، فأشفق عليها بحق هذه المرة ..

فتوجه بنفسه إلى خزانة الملابس وأخرج منها ما يريد .. ذاك

القميص الذى جعدته هى ذات مرة وألقته فى أرضية
الخزانة !!

وأغلقها قبل أن يتجه نحو الضوء ليطفئه، فامتلئت الغرفة
بالظلام .. تماماً !

بعد مدة طويلة..

كان صوت ضحكها العالية يغرد بعد مشاكساته التى لا
تنتهى وهما جالسان على طاولة الطعام وحدهما!
_والله يا فارس انت بتستهبل، مش كنا روحنا عند جدى
انهاردة.

ابتسم بمساجة وهو ينظر لها قائلاً:

_معلش نعوضها مرة ثانية.

هزت رأسها تنفى شيئاً وهمياً، ولم يكن ابتسامتها التى بقت
عالقة على شفيتها وهى تكمل طعامها..



إلى أن انتهوا، وأثناء جمعها لأطباق الطعام بعدما انتهوا،
وقع إحداهما منها أرضاً متهمشماً، ففزعت وصرخة مرعوبة
مبالغ فيها ندت عنها.. حضر على إثرها فارس مسرعاً،
ليجدها في حالتها تلك..

فاقترب منها بسرعة، محتضناً إياها، متمتماً بلهفة :
_هشششششش.. متخافيش !!

تعلقت بذراعيه اللذان حاوطها بهما في حين همس فارس
بخفوت وكأنه يخشى عليها إن علا صوته درجة واحدة :
_انا هساعدك.. متخافيش.

اومات دون حديث.. واستسلمت ليده التي قادتها نحو
الأريكة لتستريح عليها إلى أن أنهى هو الفوضى التي أحدثتها،
وعاد إليها، ليجلس بجوارها قائلاً:

_متخافيش.. انا عارف انك لسه بتتخضى من اقل شئ بش
لازم تاخدى بالك اكتر من كده.



رفعت عينها إليه، وهى تومئ بوداعة، متيحة له فرصة رؤية
اطمئنانها الذى تحصل عليه بجواره فى عينها، وفرصة
رؤيتها..

رؤية كيف أن الله أهداه امرأة بمثل روعتها .. امرأة حتى وإن
طالتها أيادٍ نجسه قبله، لم يتدنس قلبها ولو بشائبة !!
رفع وجهها الذى اطرقت به بأنامله بخفة وهمس قائلاً بخفوت
أمام عينها عميقتى التعبير:

.. هفضل اشكر ربنا فى كل صلاة انه استجاب ليا وخلاكى من
نصيبى .. هفضل أذكرك بينى وبينه .. سبحانه عالم انتى
جوايا ايه وقادر ما يورينى فيكى سوء ابداً !!

أدمعت عينها تأثراً بعد كلماته، لكن أكثر من اسمه
مرتجف من بين شففتها لم تقدر أن تنطق، وهو لم يرد أكثر
من هذا .. ليقترّب منها بعدها بتمهل خشية أذيتها ولو حتى
بمجرد شعور، وعانق شففتها بشفتيه، بينما يدها تربتان
على ظهرها برفق وكأنه يعامل طفلاً صغيراً !!

رفعت يداها ببطء حتى التفتا حول عنقه باستحياء، وهذا
ربما كان بمثابة إعلان له .. أنها له بكامل كيائها !!

=====



الخاتمة

=====

كانت بسيطة .. رقيقة دون تكلف، مناقضة بشكلٍ فجٍ لآخر
صورة رسمها لها في عقله !!

ثيابها .. شكلها .. وحتى روحها يشعربها مختلفة، ولولا توتره
الذى يسببه وضعه الآن لكان كتب في غزلها آلاف القصائد .

هو هنا .. ومصطفى هناك !

كل منهما لديه أمانة فى بيت الآخر ذهب مطالباً بها،
والمهمتان أصعب مما تخيل أى منهما!

مر أسبوع منذ آخر مرة رأها بها فى بيت جده، ويتجدد لقاءه
معها الآن وهو جالساً أمامها فى بهو بيتهم ينتظر نزول فارس
وجوارها والدتها "فريال هانم" ترمقه بنظرة غير مرتاحة،
متوجسة مما يحدث .. وعلى الأغلب أن رادار الأم عندها قد
باشر عمله من فوره!

_منور يا مراد !

قالتها بطريقة ملائمة لطبيعة التوجس الذى تشعر به، فرد
مراد بابتسامة شديدة الافتعال :

_ده نورك .

وتحاشياً لطاقة التوتر التى تنبعث من تلك المرأة التى لم
يكن يوماً بينه وبينها أى وفاق .. نقل نظره حيث تقبع هى
شديدة الرقة والهشاشة !!

وسبحان من بدل سمية من حال إلى حال .

من تلك الفتاة التى تخلت عن حجابها مشهرة تمردها فى
وجههم جميعاً .. إلى تلك التى تجلس أمامه محتشمة الملبس
تختلس النظر إليه على استحياء !

هاهو فارس قد وصل .. وبدخوله ازدادت شحنات الجو
توتراً، وبعد حديثٍ طويلٍ مُرحبٍ من قبل فارس .. اجلى مراد
حنجرته استعداداً لطلبه الذى ألقاه بعدها بتهذيب شديد

أقرب إلى الخوف، ليس من شخص فارس ولكن مما
سيسمع بعدها :

_ انا جاي اطلب منك ايد سمية !

ربما كان هجومياً بعض الشئ ؟!

ربما ... فهو لم يستطيع تحليل طريقة حديثه بعد نظرة
فارس المشدوهة حين رفع حاجبيه وناظره، بينما نظرة أمها
ازدادت قتامة وسرعان ما أجابته بنبرة جامدة :

_ مش الاصول بردوانك تجيب امك وابوك معاك يا مراد ..
ولا انت مش مقدر!

أجاز التمسك بثباته الانفعالي وهو يجيها بتهذيب :

_ العفو منك .. انا بس مرضتس احطهم في موقف محرج في
حال لورفضتم لاسمح الله .. كلامي مع فارس دلوقتي
كموافقة مبدئية لحد ما يجوا معايا واتقدم رسمي !



ارتفع حاجبها قليلاً ولم تعقب .. فى حين قال فارس بهدوء
وابتسامة رزينة :

_ اكيد يا مراد يشرفنا ده.. احنا مش لسه هنعرفك من
امبارح .. بس لازم يكون أخوها الكبير موجود والرأى فى
الاول والاخر ليها .

بادله مراد ابتسامته بأخرى باهتة قليلاً قبل أن يهب واقفاً،
وقال بعد أن رمق التى تكاد تغوص فى مقعدها توتراً وخجلاً
بنظرة عابرة :

_ كلك ذوق يا فارس .. هستنى منك اتصال !
صافحه الأخير بمحبة قبل أن يستدير مراد منصرفاً تشيعه
نظراتها القلقة التى انتقلت بينه وبين ملامح والدتها غير
المبشرة!

====



بينما على صعيد آخر، ووسط حرب النظرات المضرمة بين
عبير ومصطفى كان أدهم ينقل نظره بينهما غير مدرك
لرفض أمه التام للأمر الذى ألقاه مصطفى الآن ..

وسؤال كالذى وجهه لمراد منذ قليل يُوجه له لكن بنبرة عمته
غير المتساهلة مطلقاً، وليس مجرد رفض عابر:

_وامك مجتش معاك ليه يا مصطفى هو احنا مش قد
المقام !!!!

لكن ابتسامة مصطفى الهادئة قابلتها وقوله جاءها يماثلها
هدوء :

_العفو.. بس انا ولى امر نفس ولا شيفانى صغيريا عمتى ..
مليش كلمة .. وعلى كل امى كانت هتيجى معايا بس ابنك

قاعد نفس قعدتى دى فى بيتنا، واضطرت تفضل عشانه !!
بُهِتت عبير للحظة وصُدمت مما فعله مراد من خلفها ودون
أن يعلمها، وما زادها كبتاً كلمات مصطفى الهادئة،
الواثقة، وظل ابنتها الذى يطل فوق السلم وهى تعتقد

بسذاجة أنها مخفية عن العيون، لكن تداركاً للموقف
قالت بهدوء :

_حاشا لله.. راجل وسيد الرجالة ربنا يحرسك .. بس اعذرني
!

وخاتمة جملتها اوجستهم جميعاً، حتى الظل الذي يطل
اضطرب، وعقد أدهم الصامت منذ البداية حاجبيه، وكاد
يتساءل هذه المرة عن ماهية اعتذارها، لكن عبير أردفت
أمام عيني مصطفى غير المتفاجئتين بما يحدث؛ حيث كان
قد توقعه مسبقاً :

_معنديش بنات للجواز!

=====

_يا امى ليه كده .. ليه !!!

صرخ بها مراد وهو واقفاً أمام أمه في البيت بعدما عاد من
بيت مصطفى وجاءته الأخبار بما حدث :

_ليه قولتيله كده .. كان على الأقل اصبرى لما بابا يجى من
السفر اكيد كان هيبقى ليه كلام تانى !

_وانا مش هخلى الموضوع يوصل لابوك يا مراد .. انا مش
هرمى بنتى لواحد زى مصطفى، مينفعليهاش من اى اتجاه .

هتفت بها هي الأخرى بقوة وهي جالسة على الأريكة فى غرفة
الجلوس المغلقة عليهما فقط لإجراء هذا الحوار العقيم،

فزفر مراد بقوة قبل أن يسقط على ركبتيه أرضاً جوار
قدميها، وضع كفيه فوق ركبتيها وهتف بأنين متوسل :

_يا امى بالله عليكى هيرضوا ازاي يدونى بنتهم وانتي لسه
رافضة أخوها !

هزت عبير كتفها بلا اكتر اث وقالت بشماتة :

_تستاهل .. مش انت إالى روحك لفريال من ورايا ومن غير
ما تقولى علشان تطلب بنتها !

زم شفتيه بأعصاب على وشك الانفلات، قبل أن يهتف
بيأس:



_عشان كده .. عشان إالى انتى بتعمليله دلوقتى، كنتى
هترفضى زى ما رفضتى مصطفى !

_عشان مش دول إالى انا ارضاهم ليكم، أبداً مش ولاد
حسين.. ولولا أن درة بالفعل اتورطت مع فارس انا مكنتش
بقيت على الجوازة دى.

عقد حاجبيه وهو ينظر لأمه بتعبير غير مفسر..
سائه أن تنظر لأولاد أخيها بتلك النظرة، سائه بشدة أنه
يراها تتعامل مع الأمر على هذا المنوال..

ما ذنبهم أولاد حسين يا ترى كى يُعاقبوا بذنب أبيهم؟
ألا يحق لأولاد حسين بعض الفرح؟

دبت نظرة ابنها فى صدرها كسهمٍ طائشٍ أشعرها بمدى
فداحة قولها، وعقم نظرتها للأمر.. فاسبلت جفניה على
حدقتين مرتبكتين.. لكن عنادها لم يجعلها تخفض هامتها
أمام ابنها.. واخذتها العزة بالاسم..



محقة سمية!

إذا كانت هي من تقول هذا، فماذا تركت للغريب كي يتفوه به؟

محقة في خوفها، لكن ليس بيده حيلة!

هب واقفاً على قدميه وقال بصوتٍ باهت، وكتفين متدهلين
بيأس تمكن منه في لحظة :

_ اعملى إالى انتى عاوزاه، بس خليكى عارفة انك هتكسرى
بخاطرنا كلنا، مش مصطفى بس .. يارا بتحبه، ورفضك ليه
مش هيكسر خاطرها هي بس ده هيكسرنى انا بالتبعية لانى
بحب سمية .. وعاوزها فى نفس الوقت إالى مش هيرضوا
يدوهاى فيه وانتى رافضة ابنهم !!

=====

_ عملت ايه ؟!

سأله فارس بخفوت وهو جالساً جواره على الأريكة بعدما عاد لتوه مستغلاً فرصة انشغال إمامهم عنهم لتجلب لمصطفى الماء ... فهز مصطفى كتفيه بابتسامة باهتة وقال :

_ ايه غير المتوقع !! عمتك رفضتني صراحةً !!

ابتسم فارس ابتسامة صافية وربت على كتفه قائلاً بمزاح لتهوين الموقف :

_ لا لا اوعى تكون استسلمت بسرعة كده.. والله ازعل !

ضحك مصطفى بخفة وهو يجاريه بمزحته :

_ منك نتعلم والله .. الله يرحم درة وإلى كانت عاملاه فيك !

مزحته أعادت بعض الذكريات من "المنطقة الغير مرغوب بها" إلى عقل فارس، قبل أن يجد "المنطقة الغير مرغوب بها" نفسها تسعى إليه وتقف أمامه !!



يا مرحب !! زى القطط بتيجي على السيرة !
قالها فارس بمشاكسة وهو يراها تجلس قبالتهم، بينما
النظرة في عينيه تبلغها أكثر من مجرد مزحة، وهذا ما دأبت
تدرب نفسها على التعايش معه !!
التعايش مع الجانب العابت من فارس والذي لا يظهر إلا لها
هى !!

لم تحببه واكتفت بإشاحة وجهها عنه كي لا يخلجها أمام
مصطفى لكن حمرة وجنتيها وابتسامتها الوردية -إن صح
وصف الابتسامة بهذا الوصف- كشفتها !!
فضحك فارس وهو يقول موجهاً حديثه لها، بل يحاصرها
في زاوية ضيقة عبر نظرتة فقط :

_امك بترفض اخويا ينفع كده!!
حدجته هو بنظرة رادعة، قبل أن تتجه إلى مصطفى
بابتسامة محرجة بعض الشئ وهى تقول بلطف :



_متزعلش يا ابيه .. انت عارف ماما، حمائية شوية علينا،
سبها تروق وتفكروا أن شاء الله هتوافق !

رفع مصطفى عينيه إليها وقال بابتسامة مرحة :

_انا مش عارف العيلة دى كلها مطلعتش بعقليتك دى ليه
يا درة .. ربنا يكملك بعقلك يا بنتى والله!!!
_لم الدور !!

رمقه فارس بجانب عينه وهو يقول جملته المحذرة،
فضحك مصطفى وهو يقف على قدميه المتراخيتين وقال :
_انا سيبها لك خالص !

كاد يخطو أول خطوة فى طريق رحيله إلى غرفته ليعيد
التفكير فى الأمر وترتيب أوراق لعبه المبعثرة، لكن شعوره
بفارس الذى وقف من فوره جواره ولمسه لمعصمه
استعداداً لاسناده حتى غرفته استوقفه فى محله، فاستدار

مصطفى إليه برأسه، يتطلع له بعينين متسائلتين،
وبابتسامة غريبة .. ليقول فارس ببديهية وحاجبين مرتفعين
:

_ايه .. هسندك لحد أوضتك!!

ابتسامته الغربية تلونت الآن بلون من الحنان و.. وشئ آخر!
شئ يشعره أنه أخيراً وجد ظهراً يستند إليه، داعماً لا يختل
أبداً!!!

ربت مصطفى على كفه بتأثرو هو يقول بنبرة خفيضة :

_خليك انا بقيت كويس بعرف امشى لوحدي حتى من غير
عكاز!

_ولو... مانا عارف انك بقيت كويس بس برضو لازمك سند
.. ولا ايه ؟!

حديث فارس كان مبطناً، ويحمل أكثر من معناه الظاهر،
وهذا ما وصل مصطفى واضحاً، فتركه يقوده نحو غرفته
ويثرثر بأحاديث كثيرة، لم يستطيع مصطفى فهم شيئاً منها،

فباله كان مشغولاً بتحليل الشعور الذى طغى على كافة
انفعالاته .. ذاك الشعور الذى يعنى أنه أخيراً وجد أخاً ..
تلك الأخوة التى لم تولد إلا من رحم الظلمة الناتجة عن كل
الذى مربهم !!

_بس يا سيدى جزاك الله خيراً !!

_جزاناً واياك يا أبا ماسة !

ضحك مصطفى على طريقة فارس المسرحية، فقال
مبتسماً وهو يستدير يفتح باب غرفته :

_مزاجك رايق انهاردة، مش عادتك !

_حبيبى انا من يوم درة ما دخلت حياتى وانا مزاجى رايق، ثم

انك مش هتبصلى كمان فى شوية المزاج بتوعى فأنا هدعيلك

ربنا يهدى عمته وتوافق بقى عشان تفك علينا الليلة دى !!

_يا اخويا ادعى ومن بوقك لباب السما !!



انهى فتح الباب ووقف مواجهاً له، فانهز فارس الفرصة
وسأله بفضول مفتعل :

_بتحبها يا مصطفى ؟!

_هى مين !

_يا ابنى متفرزنيش !

ضحك مصطفى قبل أن يشرد بعينه بعيداً لثوانٍ، ثم عاد
إلى فارس قائلاً بخفوت :

_عارف لما تبقى طول عمرك ما أمنتش بالمقولة إالى بتقول
"منها وإليها اعود" .. وتيجى فى لحظة صفا تحس أنها بتنطبق

على شخص قدامك،.. اهو الشخص ده كان يارا !

ابتسم فارس فى حين أردف مصطفى بصوتٍ اتسم بلهفة
فجائية :

_لفيت على قد ما لفيت، اتجوزت وخلفت .. وشوفت ستات
اشكال والوان بس برضولفيت وغيبت ورجعتها هى فى



الاخر.. رجعت لقيتها مستنياني طول الوقت ده .. فازاى
أملك انى محبهاش!

ضحك فارس بخفة قبل أن يربت على كتف مصطفى مازحاً
:

_ده الباشا واقع ما دريان !

_بعض مما عندكم .

امتزجت ضحكته بضحكة فارس الذى اقترب منه فجأة
محتضناً إياه بمحبة خالصة، هامساً بنبرة متأثرة :

_مبسوط انك رجعت تضحك تانى .. مبسوط اننا رجعنا
عيلة تانى !!

ربت مصطفى على كتفه ببطء وهو يزدرد ريقه، يبتلع معه
تلك الغصة التى احتلت حلقه، قبل أن يفتعل ضحكة قائلاً
:

_على حد علمي انا إالى اترفضت انهاردة والمفروض ابقى
عاطفى وكده .. مالك يا فارس فى ايه ؟!

ابتعد عنه فارس قائلاً بابتسامة متسعة من الأذن إلى الأذن :
يا اخى فرحان يا اخى .. دانت خنيق.

يا سيدى ربنا يفرحك على طول .. انتوا عيلة غريبة !
تعالى ضحكاتهما غير المدركة لظل أمهما الواقفة بباب
المطبخ تستمع لضحكاتهما الصاخبة، وحديث مشاعرهما،
وما يجول بصدر الآخر! ومع كل ضحكة كانت تصدر عن أى
منهما كانت ضحكتهما هى تتعالى وقلبيها يبتهل أن يحفظ على
ابنيها سعادتهما، وعودتهم أجمعين .. عودتهم عائلة برغم ما
ألم بهم !!!

=====

زيارة غير متوقعة !

بل لم تكن على البال أوفى الخاطر أو مجرد تفكير حتى !

فريال على عتبة بابها !!!

_اتفضلى .



ونبرتها لم تحمل أى نوع من أنواع الترحيب، لكن فريال
قابلتها بابتسامة باهتة قائمة بتبسط غريب عن نبرتها
الارستقراطية دوماً :

ـيزيد فضلك يا عبير!

تقدمتها عبير المتعجبة نحو غرفة الضيوف، قبل أن تجلسا
متقابلتين، كل منهما تجابه الأخرى !!

كل منهما لها عند الأخرى أمانة، أمانة ستجلب السعادة .
فإما تنازلتا وتقابلتا فى منتصف المسافة وإلا لن يحمل
وزرهما سوى ابنائهما !!

ـليا عندك طلب !

استهلت فريال حديثها بقولها، فاضطرت عبير للقول مجارة
لتهذيبها المبالغ فيه من وجهة نظرها :
ـاتفضلى حبيبتي، احنا اهل !



_حلفتك بكل عزيزو غالى .. متكسريش بخاطر ولادى !
رفعت عبير حاجبها متعجبة، بعد إنطلاق جملة فريال التى
اربكتها، فقالت مستدركة ملامحها :
_ما عاش ولا كان إالى يكسر بخاطرهم يا فريال دول فى مقام
ولادى .. بس انا مش فاهمة دخلى ايه !
غابت البسمة عن وجه فريال، واغرورقت عيناها بدمع ندى
عرف حده عند جفניה ولم يتخطى، قبل أن تقول بصلافة :
_انتى فاهمانى يا عبير.. اقصد إالى مصطفى طلبه إمبارح
وانتى رفضتيه .
_ااه هو باعتك تتوسطى !
زمت فريال شفيتها ممتنعة عن قول أى شئ يزيد الموقف
تعقيداً، وذكرت نفسها بضحكات ولديها ليلة أمس فتنهدت
وهى تقول بهدوء شديد :
_مصطفى ميعرفش اى حاجة عن زيارتى ليك انهاردة،
الكلام ده منى انا .. من أم لأم زيها !



بللت شفتيها وصمتت لبرهة تستجمع فيها ما نوت قوله لها ..
قبل أن تستطرد بخفوت :

_انا مش هتباهى وهقول مش هتلاقى زى ابنى، ولا هحاول
اضغط عليكى واقول هنرفض مراد زى ما رفضتى مصطفى
.. بس هطلب منك انك متكسريش بخاطره مش اكتر..
مصطفى شاف كثير وانا عارفة انى كنت جزء من معاناته
ويمكن ده إالى جابنى لحد هنا عشان اقولك كفاية على ابنى
كده ووافقى على ارتباطه بيارا، اقلها ياخود البنت إالى
اتمناها !!

اضطربت عبير، وشعرت بشئ من الشفقة على مظهر فريال
أمامها، رغم كل شئ هى امرأة ولا تفهم المرأة سوى امرأة
مثلها، وبمنظرة بسيطة لما حدث فى الماضى القريب وما فعله
أخاها وتحملته تلك المرأة جعلها تدرك كم كانت قاسية مع
مصطفى يوم أمس؛ لا لشئ إلا فقط حمائيتها لابنائها
شديدة التطرف !!



صمتت عبيرو ولم تعقب، ولم تكن فريال تنتظر تعقيباً بل
أكملت ما في جبتها :

_انا عاوزة افرح ابني .. والحاجة الوحيدة إالى هتفرحه هي
بنتك، وزى ابني ما رايد بنتك، يارا هي كمان رايداه، فعشان
خاطر ابني وعشان خاطر بنتك وافقى ومتكسريش فرحتهم !!
اسبلت عبير جفنيها، وعضت على باطن خدها بتفكير طال ..
تراجع كل ما مريهم على مدى الشهور الماضية ..

ما فعله أخيها وما كابده مصطفى، وقفة ابنتها أمام غرفته
فى المشفى طوال فترة غيبوبته، انتظارها كل تلك السنوات
وعزوفها عن الزواج !!

وبالمقابل رغبة ابنها مراد فى التقرب من سمية ابنتها .
كل تلك العلل والأسباب وقفت قبالة رفضها غير مدعوم
الأسباب، فرفعت عينيها إالى فريال قائلة باستسلام :



لله الأمر من قبل ومن بعد .. مجيتك على راسى وخاطر
ولادى عندى بالدنيا وما فيها .. انا من ناحيتى موافقة وإلى
فيه الخير يقدمه ربنا !!

=====

بعد مرور ثلاثة أشهر..

تروى الحكايات أن العمر لحظة!
ومعها هى اللحظة يريدّها حتى لو لم يملك غيرها طوال عمره
!

تزامنت خطواتهما وما يقومان به استعداداً ليوم زفافهما..
وقف أمام مرآته يعدل خصلات شعره المبللة، ووقفت هى
بالمثل تهز رأسها بعشوائية فيتناثر شعرها حولها وتتناثر منه
قطرات المياه ..



انتشل بدلة عرسه من فوق الفراش فارتداها، وفعلت المثل
حين رفعت فستانها ناصع البياض وساعدتها أختها بارتدائه
..

وضع رابطة عنقه وضبطها بشكلٍ سوى، فى حين رفعت
التاج الالماسى بأناملها فوق رأسها وحجابها الذى أحاط
بوجهها كهالة من نور !!

ووقف كل منهما فى النهاية يتطلع لهيئته مبتسماً، يرسل
سلامه للأخر عبر نبضاته، لحين لقاء قريب !!

_والله وشوفناك عريس يا ابو الزين، كنا مفكرينك هتعنس
جنبنا !!

ازاح زين عينيه عن هيئته بالمرأة والتفت ناظراً لحازم الذى
يقف خلفه ويربت على كتفيه ببعض الخشونة، فضحك
زين وهو يقول مازحاً :

_ انا عاقل يا ابنى.. بتقل واعيشلى يومين قبل ما تيجى فريدة
تحبسنى فى البيت .. مش زيك سلمت رقبتى لواحدة زى حلا
بدرى بدرى !!

تعالى ضحكات كل الموجودين فى الغرفة معه، ابناء
عمومته كلهم تجمعوا معه فى يومه هذا .. يوم عرسه على
فريدة والذى حدده قبل ثلاثة أشهر من هذه اللحظة !
وجاء اليوم الموعد أخيراً ..

كاد حازم يجادل زين بردٍ من ردوده التى لا تنتهى كعاداته،
لكن نظرة مختلسة نحو مراد المنزوى جوار النافذة ووجهه
المدفون فى شاشة هاتفه وابتسامة المتسعة من الأذن للأذن
جعلته ينتبه ويشير بعينه إلى فارس ومصطفى الجالسان
متجاوران على إحدى الأرائك ..

فابتسم مصطفى برزانة ورمق مراد بنظرة جانبية قبل أن
يحث فارس بعينه للقيام ..

فنهض فارس متهدأ قبل أن ينادى بخشونة :

_مراد!

انتبه مراد واجفل، فرفع عينيه عن شاشة هاتفه ونظر له
قائلاً بوداعة :

_نعم !!

_نعم الله عليك .. خود يا حبيبي هنا تعالى!

رفع مراد حاجباً مرتاباً، قبل أن يتقدم منه بهدوء .. وما إن
اقترب حتى رفع فارس ذراعه وأحاط به عنقه قائلاً :

_الا انت بتكلم مين يا مراد كده وضحككتك من الودن للودن

وبصراحة شديدة.. بل فجة أجابه :

_بكلم سمية !!!

رفع مصطفى حاجبيه وضرب كفاً على الآخر قبل أن يقول
بصوت عالٍ :

_هو انتوا يا ابني قاعد مع جوز "قراطيس" .. هو احنا مش
خواتها يا ابني !

التفت له مراد بملامح ممتعة وقال مستنكراً :

_ايوا يعنى عاوز ايه...هو حرام لما واحد يتكلم مع خطيبته
ولا ايه ؟!

_يادى أم الخطوبة اللى الأعمى والمفتح بيتكلم عنها، يا حبيبى
خف تعوم .. كلها كام شهر وتتجوزوا !!

_وهوانت لما بتكلم يارا انا بقولك لا دى اختى، جرا ايه يا عم
ما تتكلم كلام يُعقل، ولا شكلك كبرت وخرفت ولا ايه!!!

ابتلع مصطفى ما كان ينوى قوله، وارتفعاً حاجباه نحو
مقدمة شعره فى تعجب، قبل أن يكمل المشهد ضحكاتهم
التي انطلقت بعد حديث مراد .. قبل أن يقول حازم من
وسط ضحكاته :

_صحيح والله يا مصطفى هوانت لما بتكلم خطيبتك هو
بيقولك لا .. شكلك فعلا كبرت وخرفت !!

هز مصطفى رأسه وضرب كفاً فوق الاخر بقله حيلة قبل أن
يقول مازحاً :



_ خلاص يا جماعة الفرح هيبقى الشهر الجاي، عشان لا
يبقى فيها خطيبتى ولا خطيبته!

دخول معاذ المفاجئ أوقف الضحكات فى حُلوقهم، فوقف
على باب الغرفة قائلاً بتعجب :

_ جرى ايه .. شوفتوا عفريت ولا ايه .. ما تكملوا ضحك !

أول من أجاب كان أسر الذى قال ضاحكاً :

_ لامؤاخذة يا معاذ .. قصدى يا "خالى معاذ" ليك هيبتك
ومقامك وكده يعنى!!

ابتسم معاذ وهز رأسه بئأس قبل أن يقول :

_ طب يلا يا اخويا منك ليه، هاتوا العريس وانزلوا عاوزين
نلحق نروح نجيب العروسة عشان زحمة الطريق !

_ العريس جاهزاهو.

رمقه معاذ بابتسامة حانية، قبل أن يتقمص بعض من
دورهم المازح الذى يشعر أنه لا يليق به فعلاً وليس قولاً
ساخراً منهم :

_ اسكت .. اسكت بكرا تاخود على دماغك، أسأل مجرب !

رمقهم زين جميعهم بنظرة مستاءة قبل أن يقف عند أسر
قائلاً بنبرة مبتئسة :

_ معندكش إضافات انت كمان بجملة البؤس إلى عمال
يتصب فوق دماغ واحد المفروض انه عريس وكده !
رفع أسر ذراعيه ضاحكاً :

_ لا الحمد لله انا لسه مدخلتش المرحلة دى .. علينا وعليك
بخير بعد خمس ولا اربع سنين أبقي اديك الابديت بتاع
الجواز وقتها !!

تعاليت ضحكاتهم جميعاً قبل أن يأمرهم معاذ بالخروج
بسرعة، وتقدمهم وجميعهم من خلفه في طابور واحد مثل
طابور صباحى فى مدرسة !!

ولكن الفارق هاهنا أن تلك المدرسة تلك تسمى "مدرسة الحياة" وكل منهم قاتل محاولاً الخروج بأقل الخسائر، على هيئاتهم تلك !!!!

=====

"أنا الفوضى .. وأنتِ الأمل الوحيد لترتيبي!"

الدخول لقاعة العرس كان الموقف الأكثر صعوبة لها على الإطلاق ..

كلما تلاقت كل الأعين المحدقة بهيئتها وهي متأبطة ذراع زين وتدخل إلى المكان حتى انكمشت بجانبه وازدادت تشبثاً بذراعه وهي تهمس له برهبة حاولت صبغها بمزاحها قدر استطاعتها :

زين ... روحنى الله يكرمك، انا مش عاوزة افراح !

ضحكة رائقة ندت عنه، وهو ينظر لها بنظرة متمعنة بكل تفاصيلها المبهرة هذا اليوم، ربما جمالها لا يكمن فى ما

تفعله أغلب العرائس هذه الأيام، بل فى الضد الذى هى
فعلته !

لم تضع كتل مساحيق التجميل التى تغطى وجوههن، ولم
تتكلف لا فى زينة ولا فى رداء !
كانت البساطة عنوانها، ومهنتها أن تسلب عقله وتعلق
عينيه بهيئتها ليس إلا !!

اكتنف راحتها بين كفه وشدد من عناق أصابعه لها وهو
يرمقها بنظرة مطمئنة قائلاً بصوتٍ شوشه الصخب الذى
يسود المكان :
_متخافيش !

ورغم كون الكلمة مشوشة، غير واضحة إلا أن نظرة عينيه
تختلف حين ينطق بها !
كان يطمئنها قولاً وفعلاً، مشدداً بعدما كاد يفقدها فى زلة
من زلاته !!

بعدها أبحرت سفنه شرقاً وغرباً، وكان بجنونه يعتقد أنه
سُيسيرها على اليابس، وفي النهاية كانت هي له المرسى !!

استكملت السير جواره حتى وصلا للمكان المخصص لهما،
وطوال ساعتها اللائي قضينها هنا كفه لم يفك تشابك
كفها إلا مضطراً ليصافح أحداً جاء بمباركته، ثم يعود لها،
ولولا أنه كان مضطراً حيث كان يحضر الزفاف قيادات
وأشخاص ذوات مكانة بطبيعة عمله وإلا ما كان تركها أبداً
!!

كان زين مائلاً إلى فريدة يسرلها شيئاً، في حين كانت أروى
التي أتت خصيصاً للزفاف تطالعهما بعينين فضوليتين غير
مستوعبة لما يقولا، وغير قادرة على التخمين إلا إذا قادها
عقلها لمنطقة محظورة تخص مداراته بجهة اليسار،



وفضولها التي لم تستطع كبحه جعلها تميل إلى أسر
متسائلة :

_اسر بقولك ايه ... متعرفش زين بيتودود مع عروسته
بيقولوا ايه !

زم شفتيه وناظرها بعينين ضيقتين قائلاً :

_في فرحنا هبقى اقولك زى هو ما بيقول متقلقيش !

_طب نورنى من دلوقتي عشان ابقى جاهزة أيامها .

_يا بنتى استهدى بالله واسكتى انا ايش عرفنى بس هو بيقول
ايه .

جادلته بإصرار :

_مانت شاب زيه واكيد فاهم هما بيقولوا ايه فى المواقف
إلى زى دى .

زفرببؤس، قبل أن يضحك وهو يقول بسخرية :

_على فكرة انتوا البنات ليكم افكار غريبة، بتبقوا عاوزين

تعرفوا العريس والعروسة بيقولوا ايه ومفكرين انهم

بيقولوا كلام رومانسى بقى وكده .. وهما اصلا تلاقىهم
بيتريقوا على المعازيم وعلى إالى رايح وإالى جاى!
تعالى ضحكتهما وهى تجاريه فى حديثه بسخرية مماثلة :
_الله "تنمر" انا اول مرة اشوف حد بيتنمرع حد .. يعنى
احنا يوم الفرح بتاعنا هنتنمرع على المعازيم كده !
_بالظبط .. زى ماهم بيتنمروا عليكِ دلوقتى .

ضحكت بشدة حتى انكبت فوق الطاولة تخفى وجهها بين
ذراعيها، تحاول جاهدة كبح ضحكاتها حتى لا تثير فضيحة،
وتلعن تلك الرغبة المستميتة فى معرفة ما يقولون ..
وجوارها هو مبتسماً ابتسامة جمدها على شفثيه كى لا
ينفجر فى ضحكٍ إلى مالا نهاية...

أما على بقية الطاولة الكبيرة التى تضم العائلة كاملة كان
كل منشغلٌ بأحدٍ جواره ..

ففى زاوية منها كانت تقبع يارا جوار مصطفى من جهة، ومن
الجهة الاخرى تجلس جوارها أمها كحارس شخصى لا يقبل
التهاون، فرمقت مصطفى بطرفٍ خفى وأشارت نحو أمها
بعينيها فى إشارة على لاشئ سوى أنها تؤكد له أن امها
ما زالت لا تطيق مصطفى رغم أن من داخلها قد وافقت على
تلك الزيجة، بل ومرحبة بها أيضاً وهذا ما عملت عليه يارا
طوال الأشهر الماضية وحاولت إثباته لها عبر إظهار سعادتها
بل والمبالغة أحياناً، رغم أن من داخلها لا يكمن ذاك اليقين
الذى تظهره ..

خائفة، قليلاً ربما، لكنها تقمع خوفها هذا بقوة حياء لها،
وتقدم رأسه قرباناً لمقصلة العشق المعتق داخلها منذ
دهور!!



حين تشير له إشارتها لا يملك إلا أن يبتسم بوعدٍ غير منطوق بعينه، قبل أن يهز كتفه بحركة غير ملحوظة وكأنه يخبرها أن لا يهم .. فقريباً سيحصل عليها في بيته .. وحدها!!

ودعماً لما يحاول إيصاله لها، يسقط يدها بجواره أسفل الطاولة، قبل أن يتناول كفها بخفة محتضناً إياه، وإبهامه يجرى على ظاهر كفها بنعومة كتهويدة عذبة دون أن يظهر شئ.. أى شئ على ملامحه المبتسمة بدبلوماسية، ونظراته التي يوزعها هنا وهناك كأنسانٍ آلى !

فيجذب نظرها إليه أكثر، ناظرة له بعينين متسعيتين تحذيراً لما يفعل، لكنه لا يأبه ويستمر فيما يفعل بالخفاء .

وتظل هي ترمقه وتحذر، وكأنه يفعل شيئاً ليس على هواها مثلاً..



يتمنعن وهن الراغبات !!

همس بها بخفوت لها وحدها دون أن تتبدل ملامحه،
فسمعتها وأخفت ضحكة كادت أن تند عنها قبل أن تسحب
كفها بالقوة منه، وترفعه نحو حجابها؛ تصلح خطأ غير
موجود، ثم تهمس بالمثل ضاحكة :

ربنا يسامحك والله !!

أما على ناحية أخرى فقد جلس مراد على مضض بمقابلة
سمية، تفصل بينهما الطاولة العريضة، فترمقه ضاحكة
بشماته، ويقابلها بابتسامة صفراء يوجهها نحو فارس الذي
تعمد إغاضته بإجبار سمية على الجلوس بجواره هو ودرة
بينما مراد جالساً وحده بالمقابل ..

حين فاض كيله، أخرج هاتفه من جيب بنطاله وراسلها وهو
يرمق فارس ودرة الهائمين ببعضهما بسخط :



_قولى لجوز "الكناريا" الى جنبك دول مش ناقصة "مُحن"
هى !!

رمقته بعينين مشاغبتين قبل أن تكتب ردها :

_ماتسبب الناس تسترزق، ولا انت عشان مش طایل
هتفسن منهم !

_اه هو كده!

وجملته بدلاً من أن يرفقها بوجهٍ سمج، رفع لها وجهه هو
بتعبيرٍ أشد سماجة، جلب لشفتيها ابتسامة قبل أن ترد
عليه بردٍ أربكه :

_مش عاوز تعرف "الحكاية" !!

وتسابت أصابعه للكتابة بلهفة :

_هو تقريباً كده الحكاية أنهكت الراوى اوى فبطل يقولها،
لحد ما الحبر نشف الورق، لكن لو عندك استعداد تقولها
انا معنديش مانع، كلى آذانٍ مصغية !!



ابتسامة جانبية غزت شفيتها، فرفعت عينها نحوه بنظرة
مبهمة قبل أن تكتب له :

_هى من ناحية أنهكت الراوى اوى فهو من كثرالكتمان
صدره ضاق فعلاً.. بس ليها وقتها هتطلع فيه !!!

وإعمالاً لعقله ضد تيارالغباء، قرر الصبر، فتهد وهو
يجيبها:

_هصبر... بس يارب يكون التوقيت قريب .

هنا ضحكت بخفة وهى تكتب :

_والله على حسب .

وحين كاد يسألها على حسب ماذا .. اصطدمت عيناه
عرضياً بمظهردرة وفارس وهما يتهاامسان بابتساماتٍ
واسعة، فابتلع تساؤله، ودعا ربه أن يخلص له حقه من
تلك العائلة الظالم أهلها !!!



على باب القاعة ...

تقدمت منة ببطء جوار زوجها، بهيئتها الرقيقة وبروز بطنها
معلنة عن جنينها قد بدأ يظهر على استحياء .. كانت متأبطة
ذراعه وأول ما سعت إليه كانت منصة العروسين ..
نحو أخيها الذي استقام فور رؤيتها، قبل أن يفتح ذراعيه
المتلهفتين لها بلهفة، احتضنته، وربتت على ظهره يكفيها
هامسة بنبرة متشحة ببكائها :

_ أخيراً شوفتك عريس .. أخيراً يا قلب اختك !
ابتعد عنها، مقبلاً جيئتها، قبل أن يمسح بأنامله دمعة
عالقة بطرف عينها، فضحكت وهي تقول بخفوت :
_ دى دموع الفرح بس !!

لم يدر بما يحاورها، ولا حتى يدرى إلى أين هربت الكلمات في
فورة المشاعر التي اجتاحتها فور رؤية منة .. تلك الفتاة التي
تقع في نفسه موقعاً بليغاً دوناً عن سائر عائلته كلها ..



وجملتها التالية زادت من تضخم مشاعره في هذا اليوم الغير معقول، جملة كانت قد قالتها به مسبقاً يوم وافقت فريدة على العودة إليه، وهاهى تعيدها حين أصبحت فريدة ملكه :

_افرح يا زين .. افرح يا قلب اختك، انت شوفت يامة !
لم يملك إلا أن احتضنها مجدداً، وتلك المرة سالت دمعها،
فاكتنف مؤمن كتفها بكفيه حين ابتعد عنها زين وقال بنبرة
باهتة بعض الشئ :

_كفاية يا منة .. متعيطيش ده يوم فرح !
حاولت مسح دموعها بحذر دون أن تفسد زينتها وهى تقول
ضاحكة بتهكم :

_المفروض انه فرح بس الدموع لازم ولا بد منها!
ضحك زين بخفة وهو يراقبها تستعد لتنسحب مع زوجها
الذى صافحه وهو يوجه حديثه له بابتسامة لم تتخذ
مجراها كاملاً على شفثيه :
_مبروك يا زين !!



شدد زين على مصافحته وهو يقول بحرارة :

_شكراً يا مؤمن ..

وإشارته كانت واضحة لحضوره، مجرد حضوره في يوم

هكذا يقدره له، خاصة مؤمن!!!!

مؤمن الذى لمح في عينيه عدم رغبته في الحضور لهذه

المناسبة بالذات .. لكن الواجب ألح عليه، وعدم رغبته في

بث الفرقة بين منة وأخيها أو تركها تأتي لهننا وحدها وأجبروه

على الحضور !!!

او مأل له مؤمن بخفة قبل أن يوجه حديثه لفريدة قائلاً

برسمية:

_مبروك !

وأجابته بالرد التقليدى، لكن بعينين متعاطفتين معه،

لشخصه هو، لذاك الحزن الذى يعشش في عينيه، ولولا

تمسكها بإرادتها لكانت استسلمت لها جس من هواجسها

نحوزين يلح عليها، لكن رغبتها المقابلة له في جعل هذه

الليلة ليلة لا تُنسى أعادت كل شعور سئ داخلها مذموماً
مدحوراً !!

حين هبطا عن منصتهما، وعاد زين إلى مكانه جوارها،
ألتقط كفها كما يفعل منذ البداية وأطبق عليه بكفه، لكن
تلك المرة قالت له بخفوت وعينين متأثرتين :

_منة بتحبك اوى .

_وانا بحبك انتى !

ضحكت بخفة وهى تشير بعينها نحو منة قائلة :

_لو سمعتك هتعلقك !

لم يستجب لدعابتها بل بهتت ابتسامته قليلاً وتساءل
بخفوت :

_ادايقتى من وجود مؤمن ؟!

رفعت حاجبها بتعجب وهى تقول فى شجب :

_ليه السؤال ده .. ده فى الأول والأخر جوز اختك، ومجيته
لازم تقدرها .

لم يعقب بعد حديثها، فقط رفع كفها نحو شفثيه وطبعهما
فوقه دون حديث ...

رمقته بعينين مبتسمتين وهى تهز رأسها تنفى شيئاً وهمياً ..

أما على باب القاعة، فقد دخل معاذ يدفع أمامه المقعد
المتحرك الذى يقبع فوقه والده واهن الصحة والجسد ..
وبمجرد أن تركه عند طاولة العائلة ووقف خلفه ليلبى أى
طلب له، حتى استقامت رنيم من جوار سامية ووقفت
قبالته، تعدل من رابطة عنقه، وتمحى غباراً وهمياً عن
كتفيه قائلة بعينين مشاغبتين :

_مش كثير الحلاوة دى يا سى معاذ ولا لسه ناوى تحلو تانى !
ابتسم ابتسامة صغيرة وهو ينظر لها بعينين متثاقلتين على
ملامحها وكليتها ببطءٍ مثير:
_بعض مما عندكم يا أم
عقد حاجبيه فجأة وتساءل :



_ألا صح اقولك أم ايه .. هنسمى إالى جاى فى السكة ايه !
ابتلعت ريقها بتوتر، ولعقت شفيتها قبل أن ترفع عينها إليه
قائلة بخفوت :

_عمر..! هنسميه عمر!!

توقفت حدقتيه فوق خاصتها لثوانٍ سابرة، قبل أن تتجدد
ابتسامته وهو يقول بنبرة خفيضة :

_مش يمكن تكون بنت !

ارتفعت زاوية شفيتها بشبه ابتسامة وهى تعيد ترتيب رابطة
عنقه بتوتر قائلة :

_خلاص نتفق .. لو بنت هنسميها على اسم والدتك الله
يرحمها، ولو ولد نسميه عمر.

خففت نبرتها حتى تلاشت فى النهاية، قبل أن تقرر الخوض
فى تلك المنطقة الخطرة، وتقيس نسبة استجابته لها :

_على اسم ابني!



كان يعلم ..

كان يعلم أن هذا سيحدث، وقد درب نفسه على تقبله بل
والتنازل لها في أمر بسيط كهذا ..

هكذا تمضى الحياة بينهما وبين أى اثنين، لا التمسك
بالرفاهية كاملة، بل إنما يتنازل كل منهما عن شئ حتى
يتقابلا فى المنتصف، منطقة وسطية مرضية لكلا الطرفين
!!

لذلك ابتسم، وفعل مثلها، لكنه رفع أنامله نحو حجابها
يدس بضع شعرات متمردة عنه، ثم قال بخفوت :
_نمسيه عمر.. إلى أم عمر تشوفه يبقى صح !!

التمعت عيناها بريق لا يمكن إنكاره، وشئ آخر أكثر
فضولية، خشت أن تصرح به أن أمامه الآن فينقلب تنازله
التي تشعره منه فى محاولة استنزاف منها، لذا اكتفت



بابتسامة جميلة لم تخف حديث عينيها الطويل والذي
ارجئته لوقتٍ آخر!!

جلست منة جوار أمها التي احتضنتها بحرارة وأخذت تسألها
عن مآل حالها، وعن كونها سعيدة أم لا .. فكانت إجابة منة
شديدة الحرارة :

_والله يا ماما كلهم شايلنى من على الارض شيل، صحيح
الدنيا مش دايماً هادية بس مشاكل الحياة العادية .. ساعة
واتنين والدنيا بتصفى، حتى لو مؤمن زعلنى ماما إيمان
ما بتسكتلهوش .

ضحكت ضحكة قصيرة وهى تردف :

_بقى كل شوية يقولنا انتوا عملتوا حزب نسائي علينا فى
البيت .. حقيقى يا ماما مرتاحة بينهم، بس كانوا صعبانين
عليا اوى انهاردة، يمكن إالى آخرنى كده انى مكنتش راضية
اسيب ماما إيمان وامشى .

كان أمها تستمع لها باهتمام، ولاح التأثر على ملامحها في
نهاية حديث منة، فقالت في تأثر:

_لله الأمر من قبل ومن بعد يا منة، متعظمش ع إالى
خالقها، اخوكى كان مسيره هيتجوز فى يوم من الأيام .. ربنا
يصبرهم ويبرد قلوبهم .

راقبت علينا منة مؤمن الذى أولى الجميع ظهره وخرج إلى
حديقة القاعة ريثما ينتهى الحفل .. وشففتها تهمسان
بشروء :

_يارب !!

يدها كانت تلقائياً تربت على بطنها المنتفخة قليلاً، وكأنها
تستمد الدعم من جنينها، مما جذب عيني أمها وانتباهها
للحظة، فعقدت حاجبها وهى تقول مستنكرة :

_الا انتى مبتاكليش يا بنتى ولا ايه .. دى بطن واحدة فى الشهر
السادس !!

انتهت منة لها وضحكت بمرح وقالت :

_مباكولش ايه يا ماما بس .. انا ببقى فاضلى شوية وهاكول
دراع مؤمن بليل؛ يكش بس انا إالى "سمبتيك" وعود
فرنساوي حبتين فالحمل مش مآثر عليا !!!

ضحكت أمها قبل أن ترفع كفها نحو رأسها، تمسح عليه
بخفة وهي تتمتم بأدعية وآيات قرآنية قبل أن تختتم بقولها
:

_ربنا يحفظك يا بنت بطنى !

طال الحديث بين منة وأمها، نظراً لبعدها عنها، وتباعد
الفترات التى تراها فيها، ولم تلاحظا عينا حلا المراقبتين لهما،
وبعض الحزن. وبعض ظلالٍ من الغيرة تسود نظرتها، لاحظ
حازم وجومها، فتخلى عن مكانه حيث كان واقفاً يتحدث مع
أحد معارفه، وهرع إليها .. وقف جوارها متأملاً مظهرها

الواجم للحظة قبل أن يحول نظره نحو الجهة التي تنظر
بها، فعقد حاجبيه بعدم فهم لأول وهلة، قبل أن تصله
الصورة واضحة ..

حلا تغار.. من علاقة أمها وأختها القوية والظاهرة للأعوى ..
فحاول تصنع جو من الدعابة كعاداته، فلم تستجب له،
وأعرضت ونأت بنفسها عنه قائلة بجفاء :
_ بالله عليك سبنى في حالى يا حازم!

ومن ثم تركته وذهبت .. فوقف وحده رافعاً حاجبيه بتعجب
قبل أن يضرب كفاً فوق آخر قائلاً:
_ خيراً تعمل شراً تلقى .. الواحد مش عارف يعمل ايه والله !!

=====



حين انتهى الحفل ..

وعاد كل لمنزله، كان حازم أول من دلف البيت قبل حلا و
والدته وأبيه، وصعد مباشرة إلى غرفته بعدما أتخذ موقفاً
وهمياً من حلا جراء معاملتها الجافة معه أثناء الحفل ..

ولاحظت منى ذاك التباعد بينهما والحزن الذى يحدد محيا
حلا .. فاستوقفتها فى منتصف بهو البيت قبل أن تصعد
بابنها النائم على يديها :

_استنى يا حلا .

التفتت لها حلا دون تعبير، ثم قالت بنبرة مرهقة :

_نعم يا ماما .. عاوزه حاجة ؟

اقتربت منها منى بملامح بشوشة قبل أن تستل جسد الطفل
منها مباشرة قائلة :

_عاوزه سلامتك يا حبيبتي .. هاتى آدم معايا انهاردة، عمك
محمد هيبات مع جدك وانا لوحدى !
جادلتها حلا بهدوء :



_بلاش يا ماما هيتعبك .. هو اصلا بقاله كام يوم مش
مضبوط .

شدت منى من احتضان الطفل وقالت بابتسامة ذات
مغزى :

_عادى .. تعبته راحه، روحى بس انتى ارتاحى وشوفى حازم لو
عاوز حاجة !!

تبلدت عينا حلا وهى تستمع لحديث حماتها المبطن
وتلميحاتها، فلوت شفيتها بصورة غير ملحوظة قبل أن
تقول دون تعبير:

_طيب تصبحى على خير!

ومن ثم صعدت السلم نحو جناحهما، تدب الأرض بخطواتٍ
ساخطة، حانقة حتى على ذرات الهواء والحصى فى الأرض !



فتحت باب الغرفة فوجدته جالساً على الأريكة المواجهة
للباب بملامح رخامية جامدة، لوت شفتيها بذات السخط
واتجهت نحو خزانة الملابس وهي تتمتم بصوتٍ مسموع :
_ ماله ده كمان.. هي الليلة ناقصة !

رمقها بنظرة رادعة، فلم تعره اهتمام، وفتحت الخزانة
تعبث بها بعشوائية قبل أن تزفر بعدم تركيز وهي تغلف
الباب بحدة وتلفت له قائلة بنزق :

_ مالك إن شاء الله .. لاويلي بوزك ليه .

جاهد لكبح ضحكته من طريقة حديثها، وكى لا يظهر شئ
على ملامحه من طريقتها المعكوسة وكأن هي الزوج وليس
هو.. وقال بجفاء :

_ مفيش !!

تبرمت، وتذمرت وجابت الغرفة ذهاباً وإياباً دون فعلٍ واضح
وتمتمات ساخطة كثيرة، ولعنات لو أصابته لكان من
الهالكين .. لذا استدعى تلك الروح المرححة .. "شديدة



التفاهة" التي يملكها، واعتدل في جلسته لينحني إلى الطاولة الخشبية الصغيرة أمامه وأخذ يقرع الطبل فوقها بكفيه وهو يغني بصوتٍ بشع، نشاز ونبيرة عالية كي يستفزها :

_متلفش وتدور صدقني محناش راجعين .. انا غدرك بيا ده فوقني خلينا ساكتين .. دلوقتي ملاك وبتعشقني وعاملني حزين .. مارجعش في يوم للى فارقني لويبكي سنين .. لسه هنعيده .. مين إالى شال ايده .. مين إالى سابني زمان .. ايه إالى هبقى عليه .. انت ليه فاكربي هنسي وأدى امان!

التفت له متعجبة، مستنكرة، بعينين متسعيتين رفضاً سرعان ما استحال إلى ضحكات عالية، هستيرية جعلته يبتسم لها قبل أن يستقيم في جلسته، فاتحاً ذارعيه لها قائلاً بتبكر مفتعل :

_لا داعي للتصفيق !!!

سرعان ما استجابت له وهرعت إليه، لتندس بين ذراعيه
المفتوحين لها على مصراعيهما، وأحاطت عنقه بذراعيها
قائلة بضحكاتها التي لا تتوقف :

_يخربيت شكلك يا حازم .. انت من امته بقيت اهل زيادة
عن اللزوم كده .

امتعت ملامحه وهو يجيها ممتعضاً :

_بقي ده جزاتي انى جازفت بموهبتى عشان اضحكك بدل
مانتى عاملة شبه ابولهب كده !!

أوقفت ضحكاتها إجبارياً وحاولت القول بشكل متزن :
_احم .. خلاص اسفة ..

ضحكت مجدداً وهى تقول كلمات متقطعة :

_صوتك .. وحش !!!!

ابتسم فى شرود وهو يراقب ملامحها الجميلة فى ضحكها،
شديدة الجمال فى عبيسها، قبل أن يهمس بأول شئ خطر
على باله :



_بحب ضحكك اوى !

وهنا تكفلت هى بدور التنمر على نفسها :

_عشان بتطلع من السنة للسنه !!

جاراها فى ضحكها ثم قال بخفوت :

_تخيلى كده لو حبيننا نحطك بطلة فى رواية هنسمى الرواية

ايه!!!

_ "ضحكات موسمية"!

قالتها ثم انفجرت ضاحكة مجدداً وكأنها ما كانت تكره

الأرض ومن عليها منذ لحظات..

تبدلات انفاعالاتها السريع هذا يوجسه، ويثير ريبته، لكن لا

ريبة ولا توجس طالما الأمر منوط به هو..

الإجابة فى شخصه هو!! حازم..

هدأت ضحكها ثم قالت بعد لحظة وهى تقترب بوجهها منه

قليلاً:

_طيب .. رداً على انك بتحب ضحكى، .. انا بحبك انت .



بادلها النظر عن قرب بعينين ملتفعتين، شقيتين، عابثتين،
ترسلان رسائل غير مرغوب بها .. أوروبما مرغوبة !
من يدري ؟

_الا صحيح الولد فين؟

تعبير من الخيبة ارتسم على ملامحها فابتعدت بوجهها بضع
الإنشات اللائي أقتربتهم، ثم قالت بشئ من الامتعاض :
_سته اخدته ..

ثم ابتسمت بمشاكسة وهي تقول بنبرة ذات مغزى تحوى
كثيراً من الدلال :

_وقالتلى شوفى ابوه لو عاوز حاجة !!

_يا حبيبتي يا امى !!

_شوفت حاسة بيك ازاي !

ضحك حازم بخفة وهويشدد من ضمه لها قليلاً، وأراح
رأسها على صدره هامساً وهويمسد بيده على مقدمة
شعرها بحركة مخادعة جلبت لها راحة لحظية :

_قوليلي الأول بقى .. كنتى زعلانة من ايه فى الفرح ؟!
أغمضت عينيها واستكانت، قبل أن تجد لسان حالها يهمس
وكأنها مُسيرة لا مُخيرة :

_دائما بحس انى على الهامش عند الكل .. دائما انا رقم ٢ ...
كل واحد عنده حد رقم واحد فى حياته وانا ما إلا فرض
اتفرض عليهم يقبلوه، لما شوفت منة مع ماما انهاردة وازاى
ماما كانت قاعدة معاها وبيتكلموا وبتستفسر عن حالها
وبالتفصيل حسيت انى مهمشة .. وسألت نفسى امته امى
قعدت معايا قعدة زى دى، امته عاملتنى زى منة؟ .. صحيح
انا مكنتش ملاك ومش بنكر أن طبعى وحش جداً .. بس دى
امى !! مهما كنت هبقى مستنية حنانها عليا .. بس .. بس
دائما بحس انى مش لاقياه !!!

وفى آخر حديثها كان صوتها قد خفت بشدة حتى صمتت فى
النهاية، وصمتها كان مرادفاً لثبات أنفاسها وثقلها فوق

صدره منبئاً بنومها الذى حل سريعاً، فابتسم حازم وهو
يطبع شفثيه فوق جبينها، وأبقاهما هناك طويلاً قبل أن
يهمس فوقه :

_مش عارف ازعل عشانك أو ازعل منك انك مش شايفة كل
الحب ده !!

صمت للحظة استطرد بعدها همسه :

_بس لازم تعرفى انك عندى مش بس رقم واحد .. انتى انا يا
حلا .. انا انتى وكل واحد لوحده معطوب من غيرالتانى، انتى
مش رقم واحد .. يا حلايا انتى مش ضمن المقارنة أصلاً !!!!
انهى حديثه وطبع شفثيه مجدداً فوق جبينها، قبل أن يلوح
تعبير بائس فوق ملامحه ثم قال بسخرية :

_يلا هى ليلة ضايعة ضايعة !!

=====



هل يجوز ؟

هل يجوز أن يبقيا جواره، بل بقلبه، دون أن يفلتها إلى آخر
الدهر، دون أن يقع في ذاك الخطأ الذي وقع فيه كثيراً قبل
ذلك بتحميلها مشقة خذلانه لها، فهل يجوز لو تلاشى فيها،
هل يجوز لو تلاشى الزمان والمكان فلا يبقى سواهما فقط
!!!

راقبتها عيناه وهي تدلف إلى جناحها الخاص بعدما ودعت
داليدا بعناقٍ حارٍ، ثم دلفت ليغلق هو الباب عليهما فقط ..

ومن ثم حين خطت لمنتصف الجناح استدارت ..

وحينها تلجمت الكلمات وعجزت عن عبور حاجز شفثيه
أمامها .. بكل تفاصيلها ..

عينها .. حاجبها .. الابتسامة على شفثيها والنظرة الموازية
لها والتي تعد بالكثير بشكلٍ مهلك ..



لم ينطق ولا هي كذلك .. فقط في النهاية أشارت خلفها في
حركة مبهمة وبأنامل مرتجفة، ثم قالت بخفوت :
_عاوذة اغيرالفيستان عشان نصلى، فين الاوضة؟!
ازدرد لعابه وراقبت حركة حلقه المتوترة فكبحت ضحكة
عالية تريد أن تظهر للعلن في وقت خاطئ ..
أهو مرتبك؟!!

ماذا ترك لها إذا!!

لكنه لاحظ تغير تعبيراتها وجهادها لكي لا تضحك، فتبلدت
تقاسيمه زيفاً، وأشار لها لتقدمه قائلاً بمزاح :
_اضحكي اضحكي ..

استدارات تتقدمه وقد فعلت كما أمر وتركت لضحكها
العنان، فمشى خلفها وعلى شفثيه ابتسامة حمد الله أنها
لم تراها، وإلا لكانت هربت!!!

ذاك الارتباك الذي تخاله، يخشى إن صحح مفهومها عنه،
وأطلعها على نذريسير من تلك المشاعر التي ماجت داخله



فور أن رآها بكل بهائها أمامه وفي غرفته، يفصل بينه وبينها
خطواتٍ معدودة .. أن تفر هاربة !!

تلك الضحكة التي صدرت عنه امتزجت بضحكتها قبل أن
تدلف إلى الغرفة وهو خلفها، وفعل المثل مع باب الغرفة
كامل فعل مع باب الجناح !!!

استدارات له عاقدة حاجبها، ممسكة جانبي فستانها
بكفيها ثم رفعت إصبعه مشيرة نحو الباب قائلة بنزق :
_ اطلع برا !

تراجعت رأسه للخلف وكأنها قذفته بشئ ما ثم قال متوجساً
:

_ هو من أولها فيها اطلع برا !!

ضحكت مجدداً وأخفت ثغرها بأناملها في خجل، قبل أن
تتنحج قائلة :

_ يا سيدى معلى .. استحملنا انهاردة !



ابتسم ولم يعقب، فقط ابتعد عن باب الغرفة، وتقدم منها
بخطٍ وئيدة قائلاً مهدوء بينما يخلع عنه سترة بذلته :
_ لا معلى انتى .. استحملينا انتى انهاردة .

اسبلت جفنيها على ارتباكٍ تمشى على حدقتيها، وازدادت
أناملها تشبثاً بجاني فستانها، حتى اقترب منها ولم تشعر به
إلا حين طبع شفتيه فوق جبينها ..

ازداد إنكماش جفنيها، ولم تقوَ على رفع عينيها له، فقط
استسلمت لخطواته التى أجبرتها على السير أمامه حتى
وصل بها أمام المرأة المنتصبة فى جانب الغرفة، فوقف
خلفها فى نفس اللحظة التى فتحت فيها عينيها لتنظر
لهيئتهما المنعكستين أمامها فى المرأة .. ثم انجذبت عيناها
لحركاته الذى تعمد أن يجعلها خفيفة، بل يكاد لا يلامسها
رأفة بخجلها، حيث شرع فى فك حجابها بخفة، يزيح التاج
الموضوع فوق رأسها، وطرحه الفستان ثقيلة التطريز، ثم



حجابها الذى التف حول رأسها، قبل أن يسدل شعرها
الأسود فوق كتفها وظهرها !

قبل جانب رأسها، مستنشقا عبيرها قبل أن يبقى أنفه
مدفوناً هناك بينما يهمس بخفوت :

_عارفة أنا فضلت قد ايه خايف لواضيعك من ايدى ..
عارفة الفترة إلى عدت عليا فى بعادك كنت فيها عامل ازاي
وانا حاسس انى ضيعت حاجة كبيرة اوى منى، عشان بس
كنت قليل الإيمان بربنا !

ظلت صامته تناظره بعينين متفقهتين فيما يحكى، قبل أن
يرد زين بنفس نبرته الخافته، الظافرة، الممتنة :

_بس لما فوزت بيكى عرفت أن ربنا دايما بيحبنا، رغم أن
احنا ساعات بنعترض على قدره وبنعارض وساعات كثيرة
مبنقدرش النعمة إلى معانا بس هو برحمته بينا مبيرضاش
يسلبنا كل شئ .. عارف ازاي يبينلنا حكمته ورحمته لما
بيحطنا ف اختبارات كثيرة والشاطر بس إلى ينجح ! عارف



ان زين من غير فريده مش هيكون، عشان كده رحمة بيا
كانت فيكي!

لم تعقب على قوله، وتركت له متسعاً ليخرج كل ما في
جعبته، لكنه كعادته كتوماً ولم يصرح بشئ آخر سوى
سؤاله الذي جاء على حين غرة منها:

_لسه بتحبينى يا فريده بعد كل إلی حصل؟!

_لسه بتسأل يا زين!!!!

وإجابتها كانت أكثر حرارة من سؤاله، حتى أكثر مما أرادت
هى.. ففى النهاية هى تُسأل عن حبه، ذاك الركن الوحيد
الذى ظل قائماً فى علاقتهما رغم الاختلافات، رغم الفراق..
رغم القسوة والأنانية، رغم الغضب، رغم الهجر ورغم كل
شئ مر عليهما فى رحلتهما القصيرة.



أيسألها عما إذا كانت تحبه، أليس عليها أن تسأل هي هذا السؤال .. أن تتيقن أن مقامرتهما بكامل كيانهما لن تضيع سدى ..

لكن إجابتهما وصلتها دون حتى أن تنطق بالسؤال، حيث اشتدت ذراعيه حول خصرها داعماً، بينما شفتاه تتمشى بتبل عاشق فوق جانب عنقها المكشوف له، فمالت برأسها قليلاً بتأثر، مغمضة عينيها، على أرض أخرى غير التي يقفان فوقها الآن .. وفي لحظة عابرة كان سحب فستانها ينزلق لأسفل في خفة بفعل يده .. توترت وارتبكت، فاستدارت إليه بعينين مضطربتين، لكنه لم يمنح ارتباكها الفرصة ليتخذ مجراه، بل عانق شفتيها عناقاً حاراً، شغوفاً، ذابت فيه بكل كيانهما، ولم يكن هو أقل منها تأثراً بقربها !

رفعت ذراعيها تحيط بهما عنقه، بينما أنامله تسير بخفة فوق بشرة ظهرها العارية كسياطٍ حارقة، بينما شعرها الثائر حولهما يشاركهما جنون اللحظة !!



عانقها، فعانقته، قبلها فبادلته، حين سكن إليها سكنت
إليه ولم تبخل .. وهكذا كانت له، أرض سخية، معطاءة، ما
ضاقت به ولا بخلت عليه بما رحبت !!!!

أما ذاك السؤال فقد ظل قائماً رغم تلاشيه ذائباً بينهما..
هل مازالت تحبه ؟!

أتحبنى بعد الذي كانا؟
إني أحبك رغم ما كانا
ماضيك لا أنوي إثارته
حسبي بأنك ها هنا الآن..
تتبسمين.. وتمسكين يدي
فيعود شكي فيك إيماناً..
عن أمس لا تتكلمي أبداً..
وتألقي شعراً.. وأجفانا

أخطأوك الصغرى.. أمر بها
وأحول الأشواك ريحانا..
لولا المحبة في جوانحه
ما أصبح الإنسان إنسانا..

عامٌ مضى وبقيت غاليةً
لا هنت أنت ولا الهوى هانا..
إني أحبك كيف يمكنني؟
أن أشعل التاريخ نيرانا
وبه معابدنا، جرائدنا،
أقداح قهوتنا، زوايانا
طفلين كنا.. في تصرفنا
وغرورنا، وضلال دعوانا
كلماتنا الرعناء.. مضحكةٌ
ما كان أغباها.. وأغبانا



فلکم ذهبت وأنت غاضبةٌ
ولکم قسوت عليك أحياناً..
ولربما انقطعت رسائلنا
ولربما انقطعت هدايانا..
مهما غلونا في عداوتنا
فالحب أكبر من خطايانا..

عيناك نيسانان.. كيف أنا
أغتال في عينيك نيسانا؟
قدر علينا أن نكون معاً
يا حلوتي. رغم الذي كانا..
إن الحديقة لا خيار لها
إن أطلعت ورقاً وأغصاناً..
هذا الهوى ضوءٌ بداخلنا
ورفيقنا.. ورفيق نجوانا



طفلٌ نداريه ونعبده
مهما بكى معنا.. وأبكانا..
أحزاننا منه.. ونسأله
لوزادنا دمعاً.. وأحزاناً..
هاتي يدك.. فأنت زنبقتي
وحبيبتي. رغم الذي كانا..
-نزار قباني.

=====

صباح اليوم التالي..
كان ميعاد سفرهما..
وقفا متجاورين كل منهما يعد حقيبة صغيرة بمستلزماته،
يشاكسها فتضحك تلك الضحكة الكارثية التي تخصها،
حتى خشى أن يصل صوتها لأمه الماكثة معهما في نفس
البيت فكف عنها إلى أن يخرجوا من البيت بل من البلد
بأكملها ..

لكن يده التى كانت تدس متعلقاته فى حقيبته توقفت فجأة
وهو ينصت لسؤالها :

_الا قولى يا زين .. احنا رايعين فين؟

أجابها بهدوء :

_رايعين "...."!

عقدت حاجبها لوهلة مفكرة، ثم قالت إقتراحها الذى لم
يخطرله على بال :

_لا .. انا عاوزه اروح "الفيوم"، عند خالى عبدالرحيم !

فغرفاه، وتوقف أمامها لثوانٍ قبل أن ينطق بياس :

_الفيوم !!! يا بختى المايل !!!

=====



وإن كانت تلك غايتها فقد غلبت، حتى دون نقاش انتهى الأمر
ورست رحلتهما إلى الفيوم ..

أثناء الطريق، وبينما هويقود السيارة التي تحملهما إلى بيت
خالها الذي سبق وأعد لهما مكان لاقامتتهما بناءً على طلب
فريدة ..

وجدها تخرج من حقيبتها لفافة ورقية تحتوى على عدة
شطائر وشرعت بالأكل دون حتى أن تسأله مشاركتها ولو
كذباً ..

فقطب وهويهتف بها :

_هاتى حته !

نظرت له بضجر، ثم هتفت به بالمثل :

_هو انت مش فطرت قبل ما تطلع، خلى عندك ضمير.

رمقها بجانب عينيه، متمتماً بشئ لم تتبينه، لكنها لم تعره

اهتماماً وأكملت طعامها، فهتف بها مجدداً مازحاً :



_يا بنتى بطلى أكل... مفطرتيش معايا ليه واحنا لسه فى البيت!!

تركت الشطيرة التى قضمت نصفها فوق الورقة، قبل أن تنظر له قائلة بنزق :

_عشان انا عاوزه اكل فى الطريق، انا بحب كده اكل فى طريق السفر.. لان دى المتعة الوحيدة فى الطريق !!

تلقائياً انخفضت عيناه نحو شفيتها بنظرة عابثة لاحظتها هى فاشتعلت وجنتاها حرجاً قبل أن يرفع عينيه إليها قائلاً بعبث :

_فى طرق كتيرة ممكن نشغل بيها الطريق وتكون اكثر تسلية ومتعة من الاكل !!!

رمقته بعينين متبلدتين، قبل أن تعرض عنه وتولى جل اهتمامها للطريق الذى يجرى على جانب السيارة .. لكنها لم

تستطع أن تصمت، فانطلقت ضحكة عالية منها جعلته
يبتسم باستمتاع وأنامله تربت برتم رتيب فوق عجلة
القيادة، لكن سؤال عفوى منه بدد صفاء اللحظة قليلاً:
_ اشمعنا بيت خالك يعنى يا فريدة، مش كنا روحنا المكان
إلى قولتلك عليه !!

بهتت ملامحها إلا من شبح ابتسامة بقى كرفاتٍ فوق
شفتيها، وكان هوفى غفلة عن هذا ولم يلحظ إلا أناملها التى
تركت الشطيرة التى كانت تأكل بها ببطء، وصدرها التى
ارتفع بتهيدة مثقلة، و"فريدة" متسائلة ندت عنه جعلتها
تلتفت له بشبح ابتسامتها قائلة :

_ عشان من ريحة امى!

شاركها ابتسامتها بينما استطردت فريدة بخفوت:



_هناك اتربت، وهناك عاشت شبابها .. عشان كده عاوزه
اروح فيه، احس بسعادتي فيه وكأنها مشاركانى فرحتى فى
ايام زى دى !!!

صوتها خفت فى النهاية حتى تلاشى، وتلاً الأندى بعينها
الزمردية، فشجعها زين بابتسامته لكنها التفتت إلى النافذة
مجدداً توارى نظراتها، وترسل أشلاء رسائلها الهامسة
محمولة على ذرات الهواء ..
فلم تشعر إلا بيده التى تسللت خلسة إلى يدها واحتوتها
بعزم قبل أن يرفعها نحو شفثيه مقبلاً بعمق ..
أراحت رأسها على ظهر مقعدها وأدارت عينها نحوه، تراقبه
بابتسامة صغيرة إلى أن غفت رغباً عنها ..

=====

الوضع محتدماً !!!

الرجال اجتمعوا في اليوم التالي لزفاف زين مباشرة لتحديد
ميعاد زفاف مصطفى ويارا بناءً على طلب عاجل من
مصطفى الذي لم يعد يطيق صبراً ..

الوضع كان هادئاً وكل التفاصيل متفق عليها والأمور على
أتم وجه، إلى أن تدخل مراد فجأة مُطالباً بتحديد زواجه من
سمية في نفس اليوم، وهذا ما تم رفضه من قبل عبير، لا
لشئ سوى اعتراض لأجل الاعتراض !!
فانتحى بأمه جانباً في محاولة يائسة لاقناعها، فاستجابت؛
حيث أن رفضها من البداية لم يكن ذا معنى ..

كان بيت الجد في حالة استنفار أثارت دهشة سامية ما إن
وطأت أرضه، لكنها انتحت برنيم جانباً والتي أطلعتهما على
كافة تفاصيل ما يحدث، قبل أن تستعلم منها عن مكان حلا
..

ومن ثم ذهبت إلى في غرفتها حين عملت أنها موجودة بها ..
ما إن طرقت الباب وسمعت حلا صوتها تعرف عن نفسها
حتى قالت بصوتٍ عالٍ :

_افتحي وادخلي يا ماما .. واقفة عندك ليه ؟!
لكن صوتها كان به لمحة من دهشة لم تفت سامية، ولم
تغفل عن تأثيرها على قلبها كأم .. ألهذا الحد كانت مُقصرة
مع صغيرتها ؟!

دلفت بوجهٍ بشوش فوجدت معالم الدهشة على وجه حلا -
التي كانت جالسة على الأريكة ترضع صغيرها- والتي سرعان
ما زالت ليحل محلها فرحة عارمة بوجود أمها في تلك
اللحظة !

_اتفضلي يا ماما .. حصل حاجة؟ زين كويس؟
تساءلت بلهفة فور أن جلست أمها جوارها فضحكت
سامية وهي تقول مازحة :



يا بنتى هو لازم يكون حصل حاجة عشان اجيلك وحدى
الله كده .. انا بس لقيت البيت فضى عليا بعد ما زين مشى
فقولت اجى اقضى اليوم معاكى او افضل هنا معاكى لحد ما
يرجع من السفر!!

ولغرضي ما .. شددت على كلمة "معك" ربما لتشعرها أنها ما
أتت إلا لها وحدها!

تمشت الفرحة متبخرة على تقاسيم حلا التى قالت بلهفة :
_و مالويا ماما مينفعش تقعدى لوحدك فى البيت كده على
الأقل لحد ما زين يرجع .

ابتسمت سامية وربتت على وجنتها بمحبة قبل أن تنتشل
الطفل من بين يديها بعد أن أتمت حلا إرضاعه وقالت:
_حبيبى انت تعالى ف حضنى .

أعطتها حلا الطفل مبتسمة، قبل أن تنتبه على سؤال
سامية :



_الا قوليلي عاملة ايه مع حازم، كويسين مع بعض ولا طلع مش ولا بد بعد الجواز.

تعاليت ضحككات حلا حتى دمعت عيناها قبل أن تقول متحكمة في ضحكاتها بصعوبة :

_اه لو يسمعك دلوقتي !!

أخذت سامية تربت على الطفل برفق وهى تقول مازحة :
_ولا يسمع هو هيكبر عليا ولا ايه.. احكى انتى بس طمنيلى عليكى ولوزعلك بس قوليلي !

ولم تكن تحتاج لأكثر من سؤال بسيط كهذا لتنطلق فى حكايا غير منتهية عن حياتها مع حازم، وعن حبه لها، وحبها له الذى ما تيقنت أنه بهذا العمق إلا مؤخراً... وعن تفهمه لها والمتاعب التى تواجهها منذ ولدت طفلها، وكيف يساعدها ويشاركها فى كل صغيرة قبل الكبيرة حتى وإن كان معظم وقته مهدوراً فى عمله ولا طاقة له، لكن بأقل مشاركة منه يهون تعب يومها بأكمله !!

كيف يجيد هدهدة تعبها ويربت عليها برفقه المعتاد فتتناسى
كل إرهاقها في لحظة.

كيف أنها تريد بذل كل جهدها لتسعده، وكيف أن حياتها
بأكملها أصبحت مرهونة به مؤخراً ..

حكّت وحكّت كثيراً، واسهبت في الحديث وشرح ما يجول
داخلها وكأنها كانت تنتظر فقط تلك الإشارة البسطة..

وأثناء حكها المنطلق وغير المنقطع، وحين كانت سامية
تجيبها على شئ ما في حوارهما الطويل، لمحتة حلاً واقفاً على
باب الغرفة، وهو يظن أنها لا تراه، ربما يتأكد من وجود أمها
معهما بعدما عمل جاهداً منذ ليلة أمس أن يجلب سامية
لهمنا اليوم كي لا تشعر حلاً بوحدها ولا بشعورها الذي
شعرته ليلة أمس !!!

الأمر كله من تحت تديره ..

الأمر كله بسببه، عندما سمع حديثها أمس؛ سعى لإرضائها
بأى طريقة ..



_متزعليش منى .. عارفة انى مقصرة معاكى يا حلا بس والله
لانى مطمئة عليكى هنا وانتى فى وسطنا ووسط اهلك .. بالى
مشغول شوية بمنة عشان انتى عارفة الظروف وخايفة
يكون أهل بيتها ييعاملوها وحش .

انشغلت حلا بقول أمها وحين رفعت عينها للباب مجدداً لم
تلمحه، لذا ابتسمت وعادت لوالدتها مجدداً قائلة :

_متخافيش يا ماما .. احنا على طول بنكلمها، وباين عليها
انها مبسوفة ومرتاحة، أهدى انتى يا ست الكل ولا يهمك اى
حاجة!

بادلتها سامية ابتسامتها وربتت على رأسها بخفة قبل أن
تقبلها قائلة:

_ربنا يحفظك يا حلا!!

ولكن عينا حلا تعلقتا دون إرادة فعليه منها بباب الغرفة،
تنتظر أن تلمحه يطمئن على الوضع مجدداً ..

لمن تدين بسعادتها هذا اليوم إلا له ؟!



استقبالهما في بيت خالها كان حافلاً ..

حين دلفا من بداية الشارع الذى يقبع فى نهايته بيت خالها
شامخاً استقبلهم على قارعتة فرقة تفرع طبولاً ومزامير،
يطلقون عليها "فرقة بلدى" .. زفتها حتى وصلا إلى بيت
خالها فاجتمع الكل احتفالاً بهما وتم إطلاق الأعيرة النارية
ترحيباً قبل أن يختموا استقبالهم الحافل بأن وقف خالها
متباهياً بابنة أخته "الدكتورة" ومهنئاً بزواجها !!

دلفا إلى البيت وسط الجمع ضاحكين، لكن فريدة كانت
أكثر تأثراً بكل ما فعله خالها من أجلها .. رغم أنه حضر
زفافها ليلة أمس إلا أن استقباله لها هذا اليوم كان حافلاً
جداً، وتباهيه وتفاخره بها كان يشعرها بشعور غريب ..
شعور عارم من الفرحة التى أثملتها ..

حين استوا أخيراً فى الجناح الذى خصصه خالها لهما،
أغلق زين الباب ودلف خلفها يقول ضاحكاً :



_ حقيقة انا وقعت في حب خالك عبدالرحيم ده !!
ارتمت فوق الفراش فاردة ذراعيها وكأنها ستطير قبل أن
تقول ضاحكة :

_ انا بقى واقعة في حبه من زمان !!
ارتمى جوارها فوق الفراش، لكنه استند برأسه إلى كفه،
يراقبها من علو قائلاً بشفتين مزمومتين :
_ ايه ده !! يعنى انا مش اول حب في حياتك !!

زوت ما بين حاجبها ونظرت له قائلة بدهشة مصطنعة :
_ ايه ده مين قالك كده .. انت متعرفش انى كان عندي "حب
المرحلة الابتدائية" و"حب الإعدادية" و"حب الثانوية" ..
بس لما دخلت الكلية كنت كبرت بقى وعقلت وكده يعنى !!!
تظاهر بالصدمة ورفع حاجبيه وهو يهتف بها:

_ لا والله !

_ اه والله!



وداعها كانت مستفزة وكأنها تحدثه عن طقس اليوم مثلاً،
فهمهم وهو يقول بصوتٍ خفيض :

_جميل .. جميل!! خودى بقى !!

هجم عليها فجأة بحركة مباغته، فصرخت بصوتٍ عالٍ قبل
أن تتعالى ضحكاتهما حتى عنان السماء حين انكب فوقها
يدغدغها بقوة ويهتف بها بصرامة :

_وطى صوتك هتفضحيناء، فى واحدة تقول لجوزها فى تانى
يوم كنت بحب فى ابتدائي وفى اعدادي .. يا هبله يا هبله!!!!
وبينما هى تتلوى تحت يديه أخذت تهتف به من بين قهقهتها
:

_خلاص .. خلاص يا زين والله آسفة !!

_هتقولى كده تانى؟!

توقف يداه بينما هو يسألها ضاحكاً، فأخرجت لسانها
وهتفت :

_هه !!



فأخذ يعيد الكرة مرة أخرى بينما ضحكاتها عالية لا تتوقف
إلى أن تعباً من كثرة الضحك، فارتى زين جوارها هاتفاً
ببقايا ضحكات :

ـ ياربى .. قلبي وجعنى! زمانهم بيقولوا علينا ايه دلوقتى .
لف رأسه ناحيتها بينما هي ترنو إليه بنظراتها المبتسمة، قبل
أن تهمس بخفوت :

ـ متقلقش .. هما عارفين ان بنتهم مجنونة !
نبرتها المتثاقلة، مع الوعد الغير منطوق بعينيها، تضامناً مع
موجات الإغواء التى كانت تصدر عنها لا إرادياً .. كل هذا كان
يثير جنون رغبته بها، بعروسه !!

ومن هو أمام سلطانها كي يمانع ..
فاقترب، إنشأً تلو آخر حتى ما عاد يفصل بينهما سوى صوت
انفاسهما الذى تردد، إلى أن قبلها، قبل أن تتحول القبلة
إلى شئ أكثر جنوناً، أكثر حرارة، أكثر شغفاً !!

=====

_الفرح اتحدد !

قالها متحفزاً أثناء مكالمتهما اليومية المعتادة، فقابلته
ضحكتها المشاغبة مهما حاولت أن تلتزم .. ثم قالت بعث :

_طب وبعدين !

_سمية بلاش استهبال، قولى الحكاية .

فجاءته نبرتها مبهوتة :

_انت لسه حاطط دماغك فى شغل العيال ده يا مراد .

_اه شغل عيال وهزعلك وانكد عليكى عيشتك لو مقولتيش

.

ضحكت مجدداً، قبل أن تمت المهلة التى تماطله بها منذ فترة

:

_خلاص يبقى يوم الفرح !

لو كانت فى السابق ساحرة شريرة فهى الآن عبارة عن عدة

أرواح لساحرات شريرات سكنّ جسداً واحداً ..

_ماشى يا سمية، الصبر حلو ..

_ربنا يصبرك يا حبيبي .

_ربنا يا خودنى .

_بعد الشر!!

أتعتمد أن تغيظه؟

تنهد مستسلماً لمماطلتها فى تلك الحكاية التى تقريباً هو
يعملها، لكنه يريد سماعها منها هى، بصوتها هى، من بين
شفتيها هى ..

رفع عينيه نحو السماء التى تزينت بالنجوم، قبل أن يتنهد
مجدداً لكن تلك المرة كانت مصحوبة بابتسامة رائعة على
شفتيه أتبعها بقوله الخافت :

_الصبر حلوا!

_وانت حلوا!

وتلك المرة ضحكته كانت المنهية للحوار!!

=====



امدد يدك بالسلام .. عليها تأتيك بذاتها؛ إن أخرجت قلبك
من نيران العشق حياً !!!

في صباح اليوم التالي ..

قامت من نومها متسللة من جواره، وخالته لم يشعر بها، إلا
أنه كان متيقظاً لها ولكل حركاتها، وبمجرد أن أنهت طقسها
الصباحي وخرجت من الغرفة متسللة كلص ملابس، هب
واقفاً بسرعة ليغتسل ويبدل ملابسه ويلحق بها ..
الوقت كان مبكراً جداً، فاستغرب ما فعلته هي وما هو
مقدم على فعله بالتبعية خلفها، لكنه أخذ قراره وخرج من
الغرفة مغلقاً الباب خلفه بهدوء ..

هبط الدرج ومشى في بهو البيت الواسع باحثاً عنها بعينه
هنا وهناك، لكنه لم يجدها في أي مكان .. وأثناء تجوله
وبحثه الميؤس منه تسالت إلى أنفه رائحة شهية، مداعبة !!



كانت رائحة الخبز الذى يتم خبزه فى منطقة صغيرة خلف البيت تطل على أرضٍ زراعية، مسقوفة ومحاطة بالبوص وعروش الأشجار..

تقدم حتى وصل على مسافة بعيدة نسبياً عنهم، لكنه تخرج من أن يواصل التقدم لمنطقة النساء مجتمعاتٍ بها، فغير مسار وجهته إلى منطقة أخرى تقابل السقيفة التى تجلس بها النساء، وجد مبنى يشبه إسطبل أحصنه وكان بالفعل إسطبل، دار حوله وتوقف يتحدث مع السائس والذى علم منه أن فريدة استقلت حصاناً وانطلقت به !!!!

فى الحقيقة أنه ظل واقفاً مهوياً لسببٍ لا يعلمه، قبل أن يسمع طرقات حذبات قدمى الحصان على الأرض العشبية من خلفه، فالتفت مضيقاً عينيه فى مواجهة الشمس ليراها قادمة على مدى بصره تهادى فوق الحصان كفارسة من زمن الأساطير..



حتى حجابها لفته حول رأسها وعقدته على الطريقة
الإسبانية ..

حالما أقتربت منه وهدأت من سرعة الحصان تلاقت عيناها
بعينيه فضحكت ضحكة مشاغبة وهي تهبط عن الحصان
موجهة حديثها له :

_ اسفة بس مقدرتش أقاوم الحقيقة!!!

قوس شفتيه للأسفل وهز رأسه إيجاباً في إشارة مهمة قبل
أن يسألها بهدوء :

_ من امته بتركيبي خيل !!

رفعت فكها تداعب عنق الحصان بمحبة قبل أن تنظر له
مجيبة :

_ كل ما احي هنا !

مديده طالباً فرساً، قبل أن يقول يعرض عليها عرضاً كان
مغرياً بالنسبة لها :

_ تحبي أشاركك !

وإجابته كانت ضحكتها الموافقة بالطبع ...
وخلال عدة دقائق كان ينطلق جوارها على فرسه،
يتسابقان وسط الحقول وصوت ضحكاتهما يشق الغمام
في السماء ..

_فريد ددة !

هتف بها زين بصوت عالٍ ضاحك .. وهو يجرى جوارها على
فرسه يكاد يسبقها إلى الأمام .. وسط الحقول الخضراء
والشمس التي أخفضت من حدة حرارتها اليوم وكأنها علمت
بشكلٍ أو بآخر أنه نوى أن يركب الخيل ويجعلها تركب معه
أيضاً !!

منذ أن أتى إلى هذه البلدة وهو لا يشعر سوى بالصفاء ..
وشعور مستحدث بالرضا قد طغى على سطح مشاعره التي

ظلت مضغوطة بشكلٍ يؤلم طيلة الفترة الماضية !!

ضحكت فريدة بالمثل وهي تهتف عالياً :



_مش هتلقني ومش هقف .. متحاولش تجاريني في ركوب
الخيول لأنك مش هتقدر!

صوتاً متهمكاً صدر مع ضحكته أنبئها أنها برغم محاولتها أن
تظهر أمامه كفارسة فهو على الأغلب لا يراها سوى ضفدع
مستنقعات !!

وهذا الغيظ الذي طاف على سطح مشاعرهما حفز عزيمة
أكثر فشلت لجام الفرس أكثر كي تسبقه !!

وظلا يجريان سوياً كلاً منهما يسبق الآخر مرة لبضعة
خطوات .. إلى أن حاذها زين ذات مرة .. فضحك عالياً وهو
يراهما تحاول الإسراع أكثر، ولكن قبل أن تستطيع البعد عن
محاذاته لها .. مد ذراعه إليها فجأة وفرسه يكاد يلتصق
بفرسها ثم أحكم لفه حول جذعها دون أن يفقد سيطرته
على حصانه .. إلى أن استطاع سحبها من خصرها بقوة
مجلساً إياها فوق حصانه مواجهة له ...!

كل هذا حدث في جزء من الثانية .. وما فعله جعل فريدة تصرخ عالياً وهي تشعر بأن الأرض تميد بها .. حتى حطت على حصانه لاهثة بعنف، وقالت بصوت متقطع وأنفاس ذاهبة :

_ليه كده يا زين كنت هتموتنى !

ضحك زين عالياً وهو يقتنص قبلة سريعة من شفيتها ثم قال :

_بعد الشروانا أقدر!

ضربته على كتفه ببعض العنف وهي تصرخ عالياً :

_وقف الحصان !

ضحك زين بصوتٍ أعلى وهو يهز رأسه نفيًا باستفزاز.. مما يجعلها تصرخ أعلى وتثور أكثر عليه رغم أنه بالفعل قد بدأ يهدئ من سرعته دون أن تشعر هي من فرط هلعها .. لكنه كان يشعر بنشوة استمتاع لا تضاهي ..

حسناً هو يعترف بأن يستمتع بجعلها تخرج عن السيطرة ..!

_قولتلك وقف الحصان يا زين !

صرخت به وهى تتشبث بكتفيه بشدة وتحاول توضيح مجال

الرؤية له قبل أن يهمس لها بخفوت وقد بدأت غمامة المرح

تنقش شيئاً فشيئاً :

_اوقف الحصان ؟!

اومات بسرعة عدة مرات.. مغمضة عينيها تنتظر منه أن

يُوقف الفرس .. لكنه لم يفعل بل قال مجدداً :

_طب بصيلي !

لكنها هزت رأسها نفيّاً وهى تميل على كتفه متشبثة بجذعه

بأحكام خوفاً من أن تقع .. حين لم تمتثل لأمره قام بشد

اللجام، مما جعل الفرس يزداد سرعة مجدداً فصرخت مرة

أخرى قائلة :

_ارجوك وقفه لو عيطت مش هعرف أسكت .



فهتف بإصرار أكثر وقد أخفى المرح نهائياً وحل محله الجمود :

_بصيلي .

فرفعت رأسها ببطء تنظر له بعينين دامعتين، لكن ملامحه كانت جادة وهو يركز نظره على الطريق من خلف كتفها، فشعرت تلقائياً بسرعة الحصان قد هدأت .. لكن زين لم ينظر لها بل ظل مثبتاً نظراته على الطريق قائلاً :

_ليه اترعبتى كده .. هو مش انتى كنتى لسه راكبة الحصان و بتجرى بيه جنبى .

ازدردت ريقها بتوتروهى تجيب بمراوغة :

_انت فاجئتنى بس .

أدار عينيه لها فجأة قائلاً بشئ من الحدة :

_لكن كان لازم تكونى واثقة انى مش هوقعك .

كانت تتفهم إنفعاله على أمر تافه كهذا.. لا يستحق كل هذه

الجلبة وربما كانت هى محقة فى ذعرها.. خاصة بعد ما مر

بهم الفترة الماضية .. فلم تنزعج بل تفهمت كما تفعل دوماً،
وحين اطمئنت لأن الفرس يمشى بخطٍ وثيدة أرخت عودها
المشتد قبل أن ترتفع قليلاً مقبلة جبينه قبله طويلة حانية
وهو على حاله يركز نظراته على الطريق الأخضر أمامه ... ثم
قالت بخفوت شديد :

_ انت عارف كويس انى واثقة فيك، عارف انى واثقة أن
عمرك ما هتوقعنى!

كان حديثها يحمل أعرق من معناه الظاهري وقد فهمه
بوضوح ..

فريدة رغم رد فعلها الذى جاء مؤلماً له بشدة مؤخراً بعد
الذى حدث، مازالت تحاول ترميم الشرخ الكبير الذى
أحدثه الأمر فى نفسه ... تحاول إعادة بناء مبنى الثقة
داخله، حرق فوق حجرو بكل تفانى، حريصة أن يكون
الأساس سليماً وهذا ما لا يستطيع أن يضمّنه لها فهو قد



وُشم بندبة غير قابلة للزوال بالتأكيد سيأتي عليها يوم
وتزعزع ما تحاول هي بناءه !!

أعاد عينيه نحوها صامتاً وهي لم تكن تحتاج لأن يتحدث
فيكفى هذا القدر حتى لا يتفوه أحد بما يجرح كليهما، بعدما
بدأت تعتاد سعادتها معه طوال اليومين الماضيين.. فعادت
تلف ذراعيها حول جذعه مستنده بذقنها إلى كتفه تنظر
للخلف، مبتسمة لتلك النسمة الرقيقة التي هبت مداعبة
حرارة اليوم .. مستمتعة بقربه الذي ظنته يوماً مستحيلاً!
وهو لم يحاول حثها على نطق المزيد أو أن يقول هو أى شئ،
خائفاً على سحر اللحظة التي نادراً ما يحظون بها خاصة
وأن الأرض خالية حولهم في هذا التوقيت !

فريدة ستظل لغزاً يحيره مهما حاول تعزية نفسه وإيهامها
أنه قد فهمها وحفظها كخطوط كفه .. لكنها تهره بمدى
قدرتها على فهمه لتلك الدرجة التي أهلتها إلى تلقيه العقاب
المناسب الذي جعله يستوعب الدرس جيداً !!



يا الله ...

حتى فى عقابها كانت عالمة بدواخله، محددة العقاب الذى
سيؤدبه دون أن يترك فى روحه ندبة زيادة على ما يملك !!
مترفة إلى ذاك الحد الذى أشعره بأهميتها لديه وجعلته
يعود لها كطفلٍ صغير باحثاً عن حضن أمه !!
صحيح ستظل لغزاً عصى عليه فهمه !!!!

_ متى ستعرف كم أهواك يا رجلاً ... أبيع من أجله الدنيا وما
فيها !!

اتسعت عيناه لوهلة حين وقع همسها على مسامعها برقة،
لكنه قاوم قلبه الذى قفز فى صدره، مُلزماً على نفسه
الصمت لسمع صوتها الشجي وهى تردد برتمٍ جميل كالقاء
للقصيدة دون أن تغنيها :

_ يا من تحديت فى حبي له مدناً بحالها وسأمضي فى
تحديها

لو تطلب البحر فى عينيك أسكبه .. أو تطلب الشمس فى
كفيك أرميها

أنا أحبك فوق الغيم أكتيها ... وللعصافير والأشجار احكيها
أنا أحبك فوق الماء أنقشها .. وللعناقيد والاقداح أسقيها
أنا أحبك يا سيفاً اسال دمي .. يا قصة لا أدري ما اسميها
أنا أحبك حاول أن تساعدنى .. فإن من بدأ المأساة ينهيها
وأن من فتح الأبواب يغلقها .. وأن من أشعل النيران يطفئها
يا من يدخن فى صميتٍ ويتركنى .

هل خيل إليه أن صوتها فى آخر جملة قد حاد عن الرتم
الجميل فى القصيدة التى تلقىها .. متحولاً إلى نبرة مغتازة فى
إشارة واضحة له على اعتراضها على تدخينه الذى عاد له
مؤخراً والذى لاحظته فى اليومين الماضيين حين كان مسبباً
للتباعد بينهما للحظات !!؟



لكن استطادها محى أفكاره الشاذة عن الموقف وأعاده
ينصت باهتمام :

في البحر ارفع مرساتي والقيها ..

ألا تراني في بحر الحب غارقة ... والموج يمضغ آمالي ويرميها
أنزل قليلاً عن الاهداب .. يا رجلاً مازال يقتل احلامي ويحيها
كفاك تلعب دور العاشقين معي ... وتنتقى كلماتٍ لست
تعنيها

كم اخترعت مكاتيباً سترسلها .. وأسعدتني ورودٌ سوف
تهديها ... وكم ذهبت لوعدٍ لا وجود له .. وكم حلمت بأثوابٍ
سأشريها .

مقطعها الأخير ذكره بها .. ذكره حين كانت تلعب دور
العاشقة المتخفية تلملم أخباره من هنا وهناك، تتلهف على
كلمة منه ووعدٍ غير موجود على أرض الواقع ...!!



_وكم تمنيت لو للرقص تطلبني... و حيرتني ذراعى أين القىها

..

أرجع إليّ فإن الأرض واقفة .. كأنما الأرض فرت من ثوانها

..

أرجع إليّ فبعدك لا عقدٍ أعلقه .. ولا لمست عطورى فى

اوانها ..

لمن جمالى .. لمن شال الحرير.. لمن صفائري منذ أعوام أربها

..

أرجع كما أنت صحواً كنت أم مطراً .. فما حياتى أنا إن لم

تكن فيها !!

حين انتهى من إلقائها الهامس، كانت غارقة فى شرودها

وعمق إحساسها به هذه اللحظة فلم تلحظ أنهم بالفعل

وصلوا لأسطبل الخيول ... ولم تنتبه إلا وزين يترجل عن

ظهر الفرس فجأة مسلماً لجامه للسائس الذى وقف فى

استقبالهم وأمره بسرعة شديدة أن يذهب ويحضر الفرس

الذى تركاه على الطريق، ثم جذبها من كفها خلفه إلى أن
أكمل دورة كاملة حول الاسطبل ووصل خلفه مباشرة،
تحت شجرة مخفية عن العيون ...

حينها ... حينها فقط أوقفها ظهرها للشجرة محيطاً وجهها
بكفيه ناظراً في عينيه بعينها اللتان تماثلانها لونا لكن
بصورة أفتح وكأنما تعبر عن حبه الذى مهما تعاظم وأصبح
أكثر عمقاً لن يبلغ مدى عمقها هى، لن يبلغ مبلغها مهما
حاول .. تماماً كلون عينها شديد القتامة مقابلة بلون عينه
الفتاح !!

لكنه لم يلتفت لفلسفته هذه المرة .. بل همس بإصرار
وأنفاسٍ لفحت بشرتها بسخونتها :

_والله .. والله بحبك، انا عمري ما حلفت بربى لا كذب ولا
صدق قبل كده أبداً غير لما اكون مضطرب.. لكنى بقسملك يا
فريدة انك جوايا أعظم من أى شئ تانى، صدقيني انتى



عندى عزيمة أوى .. يمكن حبي عمره ما سيكون قد حبك
ليا .. وده شئ انا معترف بيه .

تهدج صوته واغرورقت عيناه وهو يمس بصوت يكاد لا
يسمع .. لكن أذنها الحساسة لكل لفظة منه التقطته بلهفة :
_ لكن .. لكن انتي دايمًا احسن مني في كل شئ، حتى حبك يا
فريدة كنتي احسن مني فيه، عشان كده حبيتك .. حبيتك
لاني بحب حبك يا فريدة .. بحب أنك دايمًا ..

كان قد أسند جبينه إلى جبينها ناظرًا في عينيها من هذا
القرب متمتمًا بصوتٍ خافت لم يدر مدى تأثيره عليها تلك
اللحظة، وأنفاسٍ لاهثة :

_ بحب أنك دايمًا أقرب ليا .. من نفسي يا فريدة !!

أنهى حديثه مقاومًا غصة مؤلمة بحلقه وهو يخفض وجهها
إليه أكثر، معانقًا شفيتها بشفتيه برقة وبعمق إحساسه بها
هذه اللحظة !



قبلته تعمقت أكثر، وأنفاسه طفت في التسارع بينما
ذراعاه امتدا ليحيطا بها، يقرباها إليه أكثر وكأنه يريد لها إن
تلتحم به دون أن تنفصل أبداً !!

وهي كاد كل عقلها أن يذهب منها بعيداً، فهمست بصوتٍ
هارب منها ما إن حرر شفيتها وأخفض وجهه يقبل ما ظهر
من جيدها :

زين ... زين احنا في الأرض، احنا برا البيت .. حد يشوفنا .
رفع لها عينين غائمتين بالعاطفة وبأنفاسٍ لاهثة ردد
ضاحكاً بخفة :

_طب البيت قريب مش كده .. تعالى معايا !!
شاركته ضحكته بخجل وهي تستلم ليده التي جرتها خلفه
بسرعة، مستسلمة أيضاً لتلك الضحكة التي انطلقت منها
تشق عنان السماء !!!

====

في صباح اليوم التالي ... أو بالأصح ظهر اليوم التالي ..



استيقظا فى وقت متأخر، ولم يكونا ليستيقظا إلا أن
أصوات عالية لأعيرة نارية أجبرتهما على الإفاقة مرغمين.
تطلعت فريدة بفرع إلى زين الذى هب من جوارها وقالت
بقلق :

_ انت رايح فين؟

كان يزررقميصه بينما يهتف بها بسرعة :

_ انتى مش سمعتى إلى انضرب ده .. الله اعلم فيه ايه !

لكن صوت زغاريد عالية انطلق فجأة بعد الأعيرة النارية
جعلت ملامح زين تتبلد قبل أن يزفربعض الراحة قائلاً
بملل :

_ هما عندكم متعودين على كده، ولا ده بيت خالك بس ولا
ايه النظام .. انا مش فاهم انتوا متعودين تخضوا الناس
كده طيب ؟!

ضحكت عالياً قبل أن تنهض هى الأخرى وقالت بينما ترتدى
مأزرها الأبيض :

_ لا مش متعودين بس اكيد فى مناسبة لكده، وخاصة لو
فرح بس مش عارفة مين إالى اتجوز تانى ده !

ارتعى زين فوق فراشه مجدداً متمطياً بكسل قائلاً:
_ وهما لازم يضربوا نار!!

اتجهت نحو الحمام الصغير المحلق بالغرفة، وسمع صوت
هطول المياه قبل أن يسمعها تهتف من الداخل حيث تركت
الباب مفتوحاً لسببٍ لا يعلمه :

_ اهل امى صعايدة .. وتلاقى عرق الصعايدة بينقح عند خالى
اوى فى المناسبات إالى زى دى !

لكن صوته جاءها متعجباً، مغيراً الموضوع بشكل مفاجئ :

_ فريدة !! طب انتى سايبة الباب مفتوح ليه !

شهقت بفزع قبل أن يسمعها تلعن نفسها ألف مرة لأنها
نست أن تغلقه حين اندمجت معه فى الحديث، قبل أن
يجدها تحاول غلق الباب، لكنه كان أسرع منها وقفز فجأة

ليحيل دون ذلك، حيث صده بكتفه ونظر لها من شقه قائلاً
بعث :

_ ما كان من الأول !!!

بعد فترة !!

نزلا سوياً إلى أهل البيت فى الطابق السفلى، فوجدا البيت
يعج بالضيوف، والمهنيين .. فافترقا رغماً عنهما، هى إلى
مجلس النساء وهو إلى الخاص بالرجال ..
وهناك علمت الخبر.

فاطمة ردت إلى زوجها !
واليوم احتفالاً بعودتها إلى بيته.

=====

بعد إسبوع ..

عادا إلى البيت بعد وقت مستقطع من الزمن، خارج حدود
المعقولية، لم يكن مجرد أسبوع قضياه كشهري عسل بل كان
ميلاد جديد لكليهما وكفترة نقاهة لحيهما بعد طول سقم ..

كان يوم عيد لوالدته التي فرحت بعودتهما جداً، قبل أن
يسمع بأخرا الأخبار عن تحديد زفاف مصطفى ومراد بعد
شهرين من الآن ..

وللعجب مر الشهرين كأن لم يكونا !!!!

....

وجاء يوم الزفاف بأسرع مما توقع أى منهم ...

=====



يوم زفاف مصطفى ومراد ..

لم يختلف كثيراً في أجواءه عن زفاف زين، مع الالتفات لأنه كان أقل رسمية، وأكثر دفئاً بتجمع العائلة معاً .. واستجابة لتلف مراد غير المنطقي لإنهاء الحفل سريعاً، أنهوه كما أراد بعد ساعتين من ابتداءه !!!

استعد الجميع للرحيل، وبينما معاذ يدفع مقعد أبيه خارجاً من المكان.. لم يلمح نظرة العجوز الحزينة أحد، تلك النظرة التي كان يوزعها على كل الوجوه بحسرة بحثاً عن واحداً بعينه، ذاك الأحد الذي أختار أن يبتعد عنهم بإرادته، ذاك الأحد الذي كان سيقف جوار ابنه في يوم زفافه، ويشد عضد والده في مرضه، لكن للأسف ابتعد .. ابتعد أميلاً .. يحاول جاهداً أن يقنع نفسه أن العمر لم يعد فيه كما انقضى، ولا بكاء على اللبن المسكوب ..



لكنه يظل ابنه، ابنه حتى وإن كان نبتة فاسدة لم تجلب إلا خراباً!

لم يلحظه أحد سوى مصطفى الذى سحب يد عروسه واقترب منه بخطواته التى مازالت تعرج قليلاً لكنها تحسنت كثيراً عن ذى قبل حتى أصبحت شبه غير ملاحظة ..
انحنى إليه مقبلاً جبهته بمحبة، قبل أن يهمس له بصوتٍ لم يسمعه غيره :

_فوض امرك لله يا جدى .. الحمد لله انه وصلنا لحد هنا بعد ما كنا هنروح كل واحد فى شتيت!
قابله جده بابتسامة بها شئ من الحزن قبل أن يربت على كتفه بقبضته الواهنة قائلاً:

_ونعم بالله يا مصطفى .. ونعم بالله يا ابنى .. ربنا يفرحكم كمان وكمان.

منحه مصطفى ابتسامة مطمئنة رغم شعوره الذى كان يماثل شعور جده بشكلٍ أوبأخر تلك اللحظة، قبل أن



يبتعد مع يارا التي تشبثت بيده بقوة داعمة دون لفظ أى حديث ..

إلى أن خرج الجميع من قاعة الإحتفال وبدأوا فى استقلال سياراتهم جماعة تلو الأخرى .. حتى عبيرو دعت ابنتها ثم ركبت فى السيارة التى يقودها أدهم بأبيه وزوجته إلى بيتهم،
والتي تقدمت سيارة مراد التى يركب بها مع عروسه الغارقة فى فستان زفافها شديد الاتساع بعدما ودعت أمها وأشقائها ..

كانت سمية تقربياً تحتل ثلاثة أرباع المقعد الخلفي للسيارة بفستانها بينما مراد مدفوناً خلف ذيل فستانها المنتفش ولا يظهر منه سوى وجهه فقط .. حينها امتلأت السيارة بضحكات أروى وآسر اللذان يحتلان المقعدين الأماميين على مظهرهما المضحك ..

ضرب مراد بضيق على "جيبونة" الفستان المنتفشة وهتف بها بغیظ :

_والله يا سمية ما عارف اقولك ايه .. هى البلد عدمت
الفساتين الكويسة كلها فجيبالى خيمة لبساها، يا بنتى بقى
حرام عليكى !!!

أبعدت سمية شعرة هاربة من حجابها الناعم عن وجهها
وهتفت به:

_واعملك ايه يعنى.. هى دى "الموضة" كنت شفلك عربية
تانية اركب فيها !

رفع عينيه داعياً، متضرعاً، يسأل الله الصبر والسلوان،
وإعانتة على حياته الشاقة القادمة مع تلك المخلوقة !!

هذه السيارة كان يملأها صوت ضحكٍ صاخب، بينما أخرى
تجاورها أكثر هدوءً وشاعرية، والتي كان يقودها فارس
وجواره درة منفصلين وحدهما فى عالم غير الذى يقبع به
مصطفى وزوجته بالخلف ..

بينما "صوت الست" يكمل ذاك الجو الذي يعيشوه داخل
السيارة المنفصلة عن العالم بالخارج ..

أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ.. في نبل وجلال وحياء
واثق الخطوة يمشي ملكاً .. ظالم الحسن شهري الكبرياء
عبق السحر كأنفاس الربى .. ساهم الطرف كأحلام المساء
اين مني مجلس أنت به .. فتنةٌ تمت سناء وسنى
وأنا حبٌ وقلبٌ هائمٌ .. وخيالٌ حائرٌ منك دنا
ومن الشوق رسولٌ بيننا .. ونديمٌ قدم الكأس لنا

كانت نظرات يارا ترنو إليه خلصة، ثم تعود وتتشاغل بالنظر
لأى شئ عداه، لا تعلم لما كل ذاك الارتباك الذي يعتريها،
أليس هذا مصطفى؟!

مصطفى .. وحروف الاسم وحدها كفيلة بأن تحكى حكاية
طويلة.. طويلة جداً حفظتها في قلبها منذ دهرٍ!!

ومع استمرار ألحان الأغنية كان قلبها يقرع طبولاً صاخبة،
فلم تستطع مقاومة تيار جاذبيته الذي يجذبها نحوه،
فالتفت إليه رغماً عن إرادتها، والتزمت الابتسامة وهي
تواجه عينيها المراقبتين لها منذ دخلوهما السيارة سوياً ..
عمق نظرتة إليها الآن كان بحراً استنزفها سباحة ثم غرقاً
فيه .. ولم تنجُ، ولن تنجو .. بل بالأصل هي لا تريد النجاة ..
أما ما كان يجول داخله هذه اللحظة كان مشابهاً لما يدور
بها، بحر هي أبعيته أمواجه تقاذفاً وكان هو الغريق الذي
يتمنى اللانجاة !!

كالأرض حين خلق منها، وإليها عاد !
كانت ساهمة، شاردة لكن ابتسامتها كانت دليل على يقظة
إحساسها، حتى أن لسانها لم يبخل عليه وأخذت تردد
الكلمات ببطء على مرأى عينيه :

_ واثق الخطوة يمشي ملكاً .. ظالم الحسن شهى الكبرياء
عبق السحر كأنفاس الربى .. ساهم الطرف كأحلام المساء !



_يلا انجزى قولى !

التفتت له مبهوتة، ترفع جانبي فستانها المنتفش بكفيها
وتتشبث به، قبل أن تواجه ملامحه المنزعجة غير الصابرة
بمجرد أن دلفا من باب جناحهما .. فرفعت حاجبيها وهى
تجيبه غير مصدقة نفاذ صبره:

_اقول ايه .. يا ابني هو انا بتكلم مع ابن اختي .

ضيق عينيه ناظراً لها بشر، قبل أن يتلاشى كل شئ عن
ملامحه فى تبدل سريع للانفعالات، ثم أشار لها وقال بنوع
من الجفاء:

_طيب .. زى مانتى عاوزه ... اتفضلى !

استدارت كما أمروا أكملت طريقها نحو غرفة النوم، وهو
كان خلفها، لكنه دلف بعصبية متجها بخطوتين نحو خزانة
الملابس، استل منها إحدى مناماته بعشوائية ثم خرج
بخطوات تدب الأرض غضباً، صافقاً الباب خلفه بعنف !

هدوء غير طبيعي ساد بعد صوت غلق الباب، فوقفت
سمية مكانها بملامح مبهوتة، لا تصدق طريقة تعامله
الصبيانية معها في يوم عرسها لمجرد فقط أنها لم تحكى
حكايتها التي وعدته بها، لكنها تنهدت واستغفرت ربها قبل أن
تتوجه نحو المرأة، راقبت في بهجة للحظات هيئتها الخلابة في
فستان العرس والحجاب الذى يزين وجهها، ثم شرعت في
فكه ببطء، لتسدل شعرها المصفف بعناية على ظهرها، ما
إن انتهت بدأت حرباً شعواء مع طيات فستان زفافها
الضخم في محاولة لخلعه، لكنها لم تستطع فك أشرطته
المربوطة خلف ظهرها حتى ..

لتستقيم أخيراً زافرة بعنفٍ، لاهثة بتعب ... قبل أن تتوجه
إلى باب الغرفة ببعض الهمجية لتفتحه وتخرج من غرفتها
هاتفة باسمه :

_مراد .. مراد .



انقطع النداء الثالث في حلقها فور أن خرجت ورأته قد بدل
ثياب العرس إلى منامة بسيطة وجلس واجماً على أريكة أمام
التلفاز المغلق بالطبع !!

انكمشت على نفسها ككتكوتٍ مبتل، وبكل أدب همست :
_معلش تعالى ساعدني عشان مش عارفة افكه لوحدي .
رفع عينيه إليها دون تعبير محدد، قبل أن يشير لها بسبابته
بكل صلف أن تقترب.

كانت مندهشة .. حقيقة مندهشة فالذى يجلس أمامها الآن
ليس مراد الذى عهدته دوماً، ثقيل الدم، غريب التصرفات
وأكثرها غباءً .. بل كان شخصاً آخر تماماً!
لكنها على كل حال اقتربت ببطء حتى وقفت في مواجهته،
فأمرها أن تجثو على ركبتيها أمامه ..

اصطكت اسنانها بغیظ لكنها امتثلت رغم صعوبة الأمر على
فستانها، ليقوم هو أخيراً ويتفضل بفك أشرطة الفستان
المتشابكة .

وما إن انتهى وشعرت بتلك البرودة تمس صفحة ظهرها،
حتى انتفضت واقفة تنوى الابتعاد عنه، لكنه لم يمهلها وهو
يمسك بيدها ويسقطها جالسة على ركبتيه .

لم تنفعل رغم أن صدرها كان يرتفع وينخفض انفعالاً..
لكنها قالت بنبرة مختنقة، وعينين نديتين :

_ينفع معاملتك معايا بالطريقة دي في يوم زى ده .
لكن تعقيبہ جاء لا يمت لقولها بصله، وبكل جدية :
_احكى .

ثارت أنفاسها غضباً وهتفت فيه هادرة :
_احكى ايه .. الحكاية انت عارفها، تتخيل أيه إالى كان
هيخلينى اتبدل من ناحيتك بالطريقة دي فى ايام قليلة غير
انى بحبك من سنين يا مراد !

كانت تلهث بانفعال بينما هو هادئاً جداً وكأنها لم تضيف
جديداً لمعلوماته، وبالفعل كان كذلك، لكنها كانت غافلة
عن رد فعله، واستطردت همساً شجياً :



_صحيح كنت بكذب على نفسى كثير، وصحيح كنت شايقة
نفسى احسن من الكل وفوق الكل ومفيش حد مهمما بلغت
مكانته يستاهلنى .. بس ده كان قبل ما اخود صدمة ورا
صدمة فوقونى، اه انا كنت مغيبة.. ومغفلة، ومعتزفتش
لنفسى بكده غير بعد وقت طويل!.. طويل اوى!

وفى غمرة شرودها واندماجها بكامل إحساسها فى استعادة
ذاك الشعور داخلها والذى شعرته فور أن اعترفت لنفسها
بحبه، كانت يده تتسلل خلسة نحو بشرة ظهرها الظاهرة
من فتحة الفستان، ولم يطل حتى شعرت بوقع أصابعه
الحارقة على بشرتها، فانتفضت كالمحمومة، لكنها لم
يمنحها الفرصة لتفلت، بل قرر أن يتذوق اعترافها كما
سمعه للتو..

وربما كان شيئاً أكثر من مجرد تذوقه، ربما كان انصهاراً فى
تلك الحقيقة الواضحة وضوح الشمس!

=====



أما على جانبٍ آخر فكان الموضوع أكثر هدوءً، وأكثر خجلاً من قبل يارا التي ما إن انتهت صلاتها خلفه، حتى كورت قبضتها في حجرها بتوتر، وأطرقت في انتظار مرتبك .. فالتفت لها، ينظر لها من فوق كتفه ببسمة صغيرة، لا يصدق كيف هي خجلة بهذا القدر، التفت لها أخيراً مرتكزاً على ركبتيه في مواجهتها، فرفع كفه ليضعه فوق رأسها المطرق، قبل أن يردد الدعاء المعروف بصوتٍ أجش :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ.)

ما إن انتهى حتى رفعت عينيها إليه بابتسامة مهتزة بعض الشيء، فربت على جانب رأسها بيده التي مازالت معلقة في الهواء برفق، ثم قال بخفوت في نفس الوقت الذي قالت هي فيه :

يارا .



_ انا جعانة !

ضحك ضحكة صافية أظهرت وسامته دون كدر، قبل أن يتحامل على قدمه التى تتماثل للشفاء لينهض فرفعت وجهها إليه لتجاريه بينما هو مد كفه إليها قائلاً بابتسامة جميلة :

_ تعالى نأكل .

ابتسمت ورفعت كفها إليها فالتقطه وأطبق عليه باصبعه برفق قبل أن تنهض هى الأخرى لتذهب معه إلى صينية الطعام الكبيرة الموضوعة فوق طاولة فى منتصف صالة جناحهما، أجلسها على الأريكة خلف الطاولة ثم جلس جوارها وبدأ بتعريه الأطباق المرصوفة بعناية أمامهما ..
وشرعاً بالأكل، شيئاً فشيئاً من الصمت الذى تحول إلى ثرثرة طويلة تخللتها ضحكاتهما التى مازالت تظهر على استحياء كطفلٍ يحبو .

لا هو يصدق أنها موجودة، ولا هى كذلك .



حين انتهى من تناول طعامه، أو على وجه الدقة تصنعه تناول طعامه التفتت لها يراقبها تأكل بنهم وكأنها لم تأكل منذ زمن، وبذلك الابتسامة الصافية التي تحدد مُحياه لم يكن سهلاً عليها أن تصب اهتمامها على طعامها، بينما هو يراقبها بهذا الشكل .

فتركت ما بيدها قبل أن تبادله نظراته قائلة ببعض الراحية التي قد بدأت تعتادها معه :

_هتفضل تبصلي كده كثير!

رفع حاجباً وقال متحدياً :

_عندك مانع !

ضحكت تلك الضحكة التي تخلص لبه، قبل أن تهز رأسها نافية :

_لا معنديش !

أشار بسبابته ناحية حجابها الذي مازال قائماً فوق رأسها ثم قال ببعض العبث الذي يتسلل رويداً رويداً إلى الحوار:



_طب ممكن تشيلي طرحة الاسدال بقى عشان تبقى
الصورة كاملة متكاملة !!

ضحكت مرة أخرى قبل أن ترفع يدها نحو طرحة الاسدال
كما أمر ممثلة لما قال وازاحتها عن شعرها المصفف ببطء
.. بينما هو يراقبها مستمعاً بتحررها من قيودها شيئاً
فشيئاً أمامه ..

لا!

الأمر ليس مجرد شعور حسى، أو رغبةً بها بتحررها من
حجابها أمامه، بل كان أشبه بتحررها قيودها الوهمية
القسرية التى كانت تصر على إقامتها بينهما قبل ذلك.

بمجرد أن أزاحت طرحة الاسدال وعادت إلى الأكل مجدداً
لكن تلك المرة كانت تعبث بالطبق أمامها بتوتر فقط،
مترقبة، مرتبكة من نظراته المتمعنة بها وهى تكاد تغص
خجلاً ..

وجدته فجأة يمد يده تجاهها، فتوجست ورفعت عينيها له
مجفلة، لكنها وجدته ينظر لشيء ما على كتفها ..
وقد كان فعلاً يراقب طرف شامة بنية على كتفها، فزفرت
ببعض الراحة قبل أن تمد يدها قبل أن يصل هو إليها
ورفعت طرف كتف الاسدال الذي انزاح عن كتفها قليلاً،
فقطب مصطفى منزعجاً وكأنه أخرته عن إتمام دكتوراة في
شيء ما جلل، قبل أن يقول بخفوت :
_ في ايه !

أطرقت برأسها للحظة، تبتلع ما يعرقل حديثها قبل أن
تقول بصوت بالكاد يُسمع :

_ في ايه ايه .. كتف الاسدال وقع فبشده .
ضيق عينيها مدققاً بها قبل أن يقول ضاحكاً :
_ طب حاسبي بقى عشان في واحد غريب قاعد .



لم تستجب لدعابته بل رفعت له عينين ذائبتين حياءً دون رد، فحاول مصطفى تغيير الموضوع شفقةً عليها فقال آخر شئ يتوجب عليه قوله تلك اللحظة :

_بس ايه إالى فى كتفك دى ؟!

ازدردت لعابها بتوتر قبل أن تجيبه بخفوت :

_دى شامة فى كتفى .. زى "وحمة" كده !

ضحك بخفة قبل أن يقول مازحاً :

_وهى عمتى كانت بتتوحم على ايه بقى!

ضحكت، وأطرقت برأسها بعيداً عنه للمرة التى فقد عدها

منذ أن دلفا إلى هنا، وهى تتهرب منه بهذا الشكل..

وحسماً للوضع الذى طال، نهض فجأة وسحبها من يدها

خلفه قائلاً بإصرار:

_طب يلا بقى انا هعرف هى كانت بتتوحم على ايه بنفسى.



وخلال دقائق قصيرة كانت قد تخلت عن إسدالها إجبارياً و
ارتعى أرضاً تحت قدميها، لتظهر أمامه بقميصها الأبيض
الحريري الذي تم إعداده مسبقاً خصيصاً لهذا اليوم ..
جالسة على طرف الفراش، بينما هو خلفها، يزح خصلاتها
الطويلة عن كتفها إلى الجانب الآخر لتتسنى له رؤية الشامة
التي كانت تريد أن تخفيها عنه !

انامله امتدت لتلامس مكان الشامة البنية على كتفها،
أنامله التي ما إن لامست بشرتها حتى انكمشت مجفلة تحت
أصابعه، فربت على كتفها برقة قبل أن يستبدل موضع
أصابعه بشفتيه ..

مالت برأسها الجهة المعاكسة وكأنها تسهل له مهمته، قبل
أن تجده بعد عدة دقائق كادت تذوب بها يقبل شحمة أذنها
ويهمس جوارها بخفوت شديد، مستنشقاَ عبيرها وكأنه
أكسير حياة :

_عرفت هي كانت بتتوحم على ايه!



ظلت مغمضة عينيها في حالة تامة من غياب الوعي قبل أن
تهمهم بخفوت شديد، ليجيها هو بنفس ثقل نبرته وأنفاسه
التي لفحت بشرتها :

_على "حواوشي" !!

وضحكتهما الخافته الذائبة التي امتزجت بعدها كانت آخر
شئ سبق انفاسهما التي ما عادا سمعا بعدها شيئاً ..
يمتزج معها بروحه، وقد فعلت هي المثل !!!

=====

أسبوع كان ضرباً من جنون ..
ذاك الذي قضته معه تحت سقفٍ واحد !
لم تتوقع أن حياتها مع مصطفى ستكون بمثل ذاك الجنون
رغم أنهما لم يخرجاً من جناحهما من يومها، وهي رفضت
السفر لأي مكان !



ما كانوا يحيوه ثلاثهم كان عبارة عن صخب في صخب، حتى
بوجود ماسة التي أصرا على إحضارها معهما منذ صبيحة
زواجهما !!

وما كان يجرى الآن كان إحدى نزواتهم العجيبة ..
حيث كان مصطفى جالساً بهيئة لا تمت لهيبته بصلة، خلف
يارا ... يمشط شعرها بشكل عشوائي جداً بعدما سبق
وفعل مع ماسة المثل، مُصفاً شعيراتهما المعدودات قبل أن
يربطهما برباط مطاطى على جانبي رأسها ..
وهاهو ينفذ المثل مع يارا، لكن نظراً لطول شعر الأخيرة فقد
تدلى ذيل الحصان على جانبي رأسها كطفلة تستعد للذهاب
لأول يوم مدرسة !

_خلصت !



نطقها حين انتهى من ربط جانب شعرها الأيسر والأخير قبل
أن يلتفت حولهما وهما جالستان سوياً أرضاً متجاورتين !
نظرلهما بعينين ضيقتين مدقتين، مقيماً صنع يده قبل
أن يضحك قائلاً بفخر مضحك :

يا خسارة مراكز التجميل من غيرى !!

كانت الصغيرة رافعة وجهها له بشفتين صغيرتين مزمومتين،
وعينين واسعتين بانتباه مترقب، وحين وجدته يضحك بهذا
الشكل وشاركته يارا ضحكته حتى ضحكته هي الآخر مظهرة
سنيها الاماميين.

مما جعله يقطع ضحكته ويستغل تلك الفرصة حيث كانت
يارا تنظرلها ضاحكة مفتونة بضحكة الصغيرة، ليخرج
هاتفه وبسرعة التقط لهما صورة وكلاً منهما تنظر للآخرى
ضاحكة ضحكة سلبت عقله وقلبه!



التفتت له بعدما سمع صوت التقاط الصورة فوجدته يارا
يتطلع للصورة شارداً بابتسامة جميلة على شفثيه ..
فاستقامت بلهفة قائلة :

_وريني عاوزه اشوفها .

وقفت جواره وارتفعت على أطراف أصابعها تنظر للهااتف
وتتمعن فى الصورة التى تظهر فيها هى وماسة نسختين
متطابقتين، بثياهما بيضاء اللون المتشابهة، وقصة
شعرهما أيضاً، فضحت منيرة قبل أن تقول بخفوت شديد
مثله وكأن ما فى خاطره انتقل إليها :

_شبهى اوى .. إلى يشوفها يقول انها بنتى فعلاً!

التفت لها، ينظر بعينها من هذا القرب، قائلاً بنبرة وصلت
إليها نافذة لقلبيها :

_وهى بنتك يا يارا، ماسة عمرها ما عرفت أم غيرك !!



ابتسامتها نالها شئ من الشرود وهى تنظر له، مدققة،
متمعنة، تحاول إيجاد أى سبب تمنطق به ذاك الحب الذى
ينتابها كلما نظرت له ولا بنته ولا تجد ..

أى فرصة دون مصطفى كانت ستكون تفضل بالنسبة لها ..
فهى شابة، جميلة، ذات حسب ونسب، ما أكثرهم من كانوا
يتمنونها ويتهافتون عليها، لكنها لم تكن تريد سواه، حتى
حين هجر حتى حين تزوج وابتعدت هى، حتى حين أصبح هو
ومعه ابنته .. لم تعرف حتى الآن أهى تدابير قد رأم ماذا ؟!
ماهية الشئ الذى يربطها به مجهولة، وطالما هو معها فلا
تريد أن تعرف !!

أما هو فكان داخله يحمد الله ويبتهل !
من رزقه بامرأة كتلك بالتأكيد يحبه، ربه يحبه لذلك رزقه
بها ... هو متيقن، منذ زمن وهو متيقن أن الله عالم بما كابده
وسيجازيه بما تمنى، وما أجمل منها من عوض !!



اكتنف وجهها بكفيه دون أن يترك هاتفه، قبل أن يمنحها
عناقاً حاراً بشفتيه سرعان ما تجاوبت معه .. لكن صوت
ماء أو سائلٍ ما يُسكب قطع تلك اللحظة عليهما، فالتفتا
كليهما مجفلين نحو ماسة التي كانت واقفة جوار الطاولة
ذات الأرجل القصيرة، وقد أخذت زجاجة ماء كانت
موضوعة فوقها وسكبتهما أرضاً وفوق ملابسها فتبللت و
وقفت تنظر لهما بشفتين متقوستين للأسفل، وبملامح
معتذرة وكأنها تدرك ما فعلته أو تعتذر عن اللحظة التي
أفسدتها ..

فانطلقت ضحكة يارا عالياً، تبعها ضحكة مصطفى الذي
هجم على ماسة فجأة وجثى جوارها أرضاً ليطرحها على
قدميه ويدغدغها بقوة جعلت ضحكاتها هي الأخرى تتعالى

!!!!

=====



بعد إسبوعين آخرين من زواجه !!
وبعد أن بدأت حياتهما تستقر نوعاً ما ..
كان هناك زيارتين ألحتا عليه أن يتمهما بما أن حياته
وحمداً لله أخيراً استقرت ..

زيارتان كان يعلم أن وقعهما على نفسه لن يكون محموداً،
لكن شئ ما مجهول داخله حثه على إتمامهما .. وشئ آخر
طلب منه أن يسأل فارس مرافقته !!!
ربما ليؤازره، ويشد عضده بأخيه !!

وفي أثناء طريقهما نحو الوجهة المنشودة، نظر له فارس
الذى يقود السيارة وهو واجماً يشاهد الطريق الذى يجرى
جواره .. فقال بعد أن أزاح عينيه عنه، وصب جل اهتمامه
للطريق :

_ احنا لسه على البر خرينا نرجع يا مصطفى !



نظر له مصطفى بملامح لا تقبل التراجع وقال مؤكداً :
_ انت عارفتي .. لما بصمم على حاجة يبقى لازم اعملها !
هز فارس كتفيه وقال بموافقة خافتة :
_ اللى تشوفه !!

ولكن لا ..

الحقيقة أنه لا يريد ما يراه أخوه، ما يريد مصطفى سيعود
عليه هو بالضرر وهو يعلم ذلك، لكنه تحتم عليه الوقوف
بجوار أخيه، لأن مهما كان ما يشعر به فمصطفى بالتأكيد
يشعر مثله وربما أكثر !!

وحين وصلا ..

كان ما يفصل بينهما وما هما مقدمان عليه مجرد بضع
دقائق انقضت أسرع مما توقع كليهما، وفي النهاية امتثل
أمامه شخصان كانا تقريباً أقرب إليه من نفسه ذات يوم !!

صعب صحيح؟!

صعب أن يغدو شخص ما أمامك غريباً مع كل أسرار روحك .. وهذا مع بالغ الأسى حقيقة يحاول التعايش معها !

جلس أمامه أبيه وهشام، كل منهما بهيئة مزرية عن الآخر، بينما فارس واقفاً خلفه يقبض على كتفه بقوة، لا يعلم هل دعماً .. أم يستمد هو الدعم منه، فارس الذى كان يتحاشى لقاء عينيه بأبيه، فهو إلى الآن لم ينسَ، ولن ينسى مطلقاً .. إنما هى حقيقة توجب عليه تقبلها، وألم تحتم عليه اعتياده، رغم أن اعتياد الألم لا ينفى الشعور به، إنما هو فقط يخرسنا!!

يا مرحب .. هل هالك والله !

كان ذلك هشام يحدثه بنبرته الساخرة كما العادة، هشام الذى لم يعد هشام أصلاً، فقد زاده السجن قسوة فوق قسوته، وسخريته اصطبغت بمرارة مقيتة منبعها كان

إدراكه أن ما تبقى له من عمر سيفنى بين جدران هذا المكان
ولن يفلت منه ابداً !!

بينما كان أبيه ينظر له بعينين منطفئتين، كانت الحسرة
على ما أضاعه من بين يديه فيهما جلية، حسرة على ما
أضاعه دون ثمن !!

فابنه الذى ضحى من أجله بكل شئ، حرفياً كل شئ حتى
سنوات عمره المتبقية هاهولا ينظر تجاهه ولو نظرة شفقة
واحدة حتى !!!!

أن يدرك فى نهاية المطاف أن كل ذنب ارتكبه وكل معصية،
وكل كذبة اضطر إليها فى سبيل ما كان يصبو إليه، تمثلت فى
وحشٍ ضارى فى نهاية طريقه، وحشٍ مازال إلى الآن ينهش فى
نفسه نهشاً حتى ما عاد فيه إلا أقل القليل !!!

كان مصطفى ينقل نظراته بينهما دون تعبير، فقط ملامح
متلبدة كسماء شتوية بالغيوم !!

لكن هشام لم يصمت بل استمر في سخريته المريرة :

يا ترى بقى جاى شامت ولا شفقة !!

أيضاً لم يتلقى رداً من مصطفى الذى قبض يديه إلى جواره

دون أن ينبس ببنت شفه، فاستطرد :

_الا صح طمنا على سلامتك .. سمعت انك فضلت شهوور في

غيبوبة .. بسبب إلى انا عملته فيك !!!

ونبرته هو من كانت شامته، متشفية، وكأنه بهذا يرضى

بعضاً من نزعتة الانتقامية التى تلح عليه !!

تراجع فى مقعده وكتف ذراعيه بملامح متأسفة زيفاً وقال

بفتور:

_لا حول ولا قوة إلا بالله .. انا عمرى ما شوفت اخ بيعمل في

اخوه كده .. مش يمكن ابوهم هو السبب!!!!

فجأة رفع عينين حادثين إلى عيني حسين المطابقتين لعينييه

تماماً، ثم قال بمرارة تخلت عن شراكتها مع السخرية تلك

المرّة :



_ايوا ابوه هو السبب .. لما حاول يظبط الدنيا فخربت منه،
وطلعنا كلنا من اللعبة خسرانين، بس عشان هو اب جبان
.. جبان خاف يعترف بابنه إالى من دمه ولحمه وسلمه
لواحد تانى يربيه .. وأدى النتيجة فيستاehl إالى يجراه!

المواجهة بدت وكأنها بين هشام وأبيه لا بينهما وبين مصطفى
.. ولأن هذه أول مرة يجتمع فيها الابن بأبيه بعد طول تجاهل
بينهما رغم تواجدهما فى نفس المكان كان الأمر أشد سوداوية
مما هو متوقع !!

لم يرد حسين ولو بكلمة واحدة، فقط دار بعينه على أوجه
ابناءه الثلاثة والحسرة التى بدت فيهما كانت أبلغ من
أى تعبير آخر...

هشام بعينه اللتان تفيضان غلاً وقهراً ..



فارس الذى يتعمد ألا تلتقى عيناه بعينه، حريصاً على ألا يحاول تكدير صفو نفسه بقاء بسيط بعيني أبيه ..
وأخيراً مصطفى الذى كان يحمل أطناناً من العتاب والخيبة والخزى .. عتاب لن يجدى هاهنا نفعاً فما قد فات قد مات،
ولكن الندبة هى ما بقت !!

فجأة استقام هشام واقفاً، وقال بملامحه القاسية
المفتقدة لأى نوع من أنواع الإنسانية :
_ انت جاى ليه .. جاى تتأكد وتشوف احنا مذلولين ولا لا،
فأحب ابشرك .. اه يا مصطفى، اه ربنا بيجازينا على كل
شئ، اه بنشوف أيام امر من الموت نفسه، فارتاح واطمن،
حقك رجع !!!!

حديث هشام كان غريباً، هذا ليس حديث من هو منزعجاً
من وجود عدوه الآن ... حديثه كان يشع خزيّاً وغلاً ولكنمن

ذاته، من الظروف التي تكاثفت وصنعت منه ذاك الشخص
الذى كاد ينهى حياة أخيه بضغطة زر، حديثه كان كمن
عرف داخله أن أخطاؤه تستحق العقاب ولكن نفسه الأمانة
بالسوء تأبى تركه يهنأ بالتوبة!!!!

استقام مصطفى فجأة واقفاً ثم تحدث لأول مرة منذ بداية
اللقاء .. بصوتٍ جامد .. فاقد للحياة :
_سعيد أن على الأقل عرفت أن ربنا مبيسيبش، سعيد أن
من جواك اعترفت بغلطك حتى لو مصرحتش ب ده، توب
لعل ربنا يقبل منك ويسامح، سبحانه هو قادرانه يسامح،
ويهديكم !

=====

الزيارة التالية ..

وربما نفسه لم تعد تحتمل بعد ما رآه من أبيه وأخيه، لكنه
تحتم عليه إنسانياً أن يجريها ..

فالتى هو على عتبة بابها الآن أم ابنته !
ووجب التنويه على أنها أم ابنته ولا صفاتٍ أخرى، فيارا لا
تستحق منه خيانةً كتلك !

منذ قليل.. داخل المنزل البسيط جداً ..
اقتربت منها أمها وهى منثنية على نفسها كجنين، تمثل النوم
وهى أبعد ما تكون عنه، فشمس الظهيرة قد نصفت السماء
بينما هى على وضع يده أمها منذ ليلة أمس!
_نرمين، قومى يا حبيبتي يلا هتفضلى طول النهار نايمة.
التفتت لها الأخيرة برأسها، تناظرها بعينين منطفئتين قبل
أن تقول دون تعبير:

_لا مش هفضل نايمة .. ساعدينى اقوم .
أقبلت والدتها إليها بقلبٍ قد انفطر لحال صغيرتها، لكنها لم
تملك إلا أن تحاول صنع يومٍ جيدٍ لأجلها ..



فهببت لمساعدتها وكالعادة حتى تلهيها عن الوضع كانت تثرثر
فى مواضيع كثيرة، للعجب اشتركت فيها نرمين معها هذه
المرّة، فابتهجت والدتها وأكملت مساعدتها بأكثر حماسة ..
إلى أن انتهت من تحميمها ووضعتها على المقعد المتحرك
الخاص بها بعيداً كل البعد عن مرآة تكشف أمامها هيئتها
كاملة، ووقفت خلفها تمشط لها شعرها بحنو بالغ قبل أن
تسألها بلطف :

_عاوزة تاكلى ايه انهاردة اعملهولك .

سهمت نرمين قليلاً مفكرة ثم قالت ببسمة حنين إلى الماضى
:

_عاوزة اكول "محشى" من ايدك زى إالى كنتى بتعمليله زمان
!

_بس كده .. من عنيا، هطلع دلوقتى على طول اجيب
الحاجة اللازمة من برا واعملهولك !



اومات نرمين دون رد كعادتها منذ أتت وهى شحيحة الكلام
بدرجة غير معقولة !

حتى انتهت والدتها من تجهيزها، فدفعت مقعدها أمامها إلى
صالة البيت الصغيرة، قبل أن توجهها نحو تلفاز صغير
قديم موضوع على طاولة قصيرة جوار المقاعد المتهاكة،
فسألتها وهى تربت على كتفها :

_اشغلهولك؟

اومات نرمين دون حديث .. قبل أن تهديها والدتها ابتسامة
طيبة مثلها واتجهت إلى التلفاز لتغشيله..
ووضعت جهاز التحكم الصغير فى يدها وقالت بحنو:
_خودى وانا هروح ومش هطول عليكى .

اومات لها بابتسامة مشفقة على كم العناء الذى تتكبده
تلك المرأة لأجلها، ولأول مرة تعترف أن أمها لم تستحق أى
مما فعلته هى معها طوال عامين وهى توهمها أنها ميتة،
تاركة إياها لتلك الوحدة تنهشها نهشاً !



ربت أمها على كتفها مرة أخيرة قبل أن تتركها وتذهب إلى وجهتها، بينما هي نظرت للتلفاز أمامها وكادت تغير القناة لولا أن وجدت مسرحية قديمة بالأبيض والأسود كانت تحب أن تحضرها وهي صغيرة، وقد اندثر ذاك الشغف مع كل الأشياء التي اندثرت على مر حياتها الحافلة ..

فرفعت الصوت بدرجة قليلة قبل أن تبتسم بخفوت لمقطع مضحك مر، إلى أن تحولت بسمتها شيئاً فشيئاً لضحكات صغيرة متقطعة!

بعد قليل .. سمعت صوت الباب الخارجى يفتح وصوت خطوات أمها تقترب، لكن هناك أحد آخر معها، فالتفتت بغتة وهي تهتف :

_ماما انتى جيتى؟

لكنها ابتلعت حديثها بل ولسانها أيضاً حين أبصرت ذاك الذى وقف خلف أمها المرتبكة وهي تلتفت له وتقول بهدوء شديد :



_اتفضل يا ابني .

تجمدت تقاسيمها وتبلدت خاصة بعد رؤية تلك الشفقة
التي اكتسحت عينيه، فأبعدت عينها عنهما واعتدلت في
جلستها قبل أن تغلق التلفاز بيدٍ مرتجفة كورتها في حجرها .
تقدم مصطفى مع أمها بعدما منحها ابتسامة مهذبة، حتى
جلس في مواجهتها على أحد المقاعد البسيطة، في حين قالت
أمها بتوتروهي تنقل كيس المشتريات البلاستيكي من يد
لأخرى :

_هروح اعملك حاجة تشربها !

اوما مصطفى دون قول فامتثلت أمها وذهبت ولكنها قبل أن
تدلف إلى المطبخ رمت مصطفى بنظرة حملت مزيجاً عجيباً
..

حسرة .. لوم .. وشئ أخربدا وكأنها ترثي به ابنتها بعدما ضاع
رجل كهذا منها وبقت هي على هذا الحال، إلا أنها عادت
واكتسح اللوم عينها فلولاه هو وأخوه لما حدث هذا بابنتها !!

بينما هناك، فى تلك المنطقة بينهما التى تجمدت من شدة الصقيع الذى يغلفهما، نظرت له نرمين دون تعبير وهو يرفع أصابعه يمسح بها على إطار التلفاز النظيف الموضوع بجوار مقعده، ثم يجول بعينه فى المكان مستطلعاً، مستعيداً ذاك اليوم الذى جاء فيه إلى هنا كي يطلبها من أهل بيتها .. وعلى تلك الذكرى اكتسحته مرارة ليس لها دواء ..

ظلت حدقاته تدوران فى المكان إلى أن حطتا فوقها، بهيئتها البسيطة المناقضة بشكلٍ فجٍ لأخر مرة رآها فيها بكامل سلطانها وبهاءها وإغوائها ..

جسدها الذى تزداد تحولاً ووجهها الذى أصبح لا يمت لنرمين القديمة بصلة، وكأن ملامحها تغيرت جذرياً !!
وكان أول من نطق هى لا هو .. حيث قالت بهدوء شديد بلا تعبير محدد :

_حمد الله ع سلامتك .. سمعت انك كنت فى غيبوبة !



ومبادرتها بالحديث لم تكن سوى بغرض شغله عن تأملها،
فالله وحده يعلم إحساسها هذه اللحظة وهي جالسة أمامه
بهذه الهيئة !!

فأوما مصطفى وهو يحدثها بنبرته التي وقعت منها موقعاً
بليغاً :

_الله يسلمك .. انا فعلا فوقت من فترة .

ومن بعدها ساد الصمت خانقاً، وقد راح كل ما كان في ذهنه
أدراج الرياح ..

لكن وأثناء تشاغلها بتفحصه اصطدمت عيناها بالدبلة
الفضية حول إصبعه، شعرت حينها أن كيانها قد انقلب
رأساً على عقب، لكنها حاولت جاهدة ابتلاع تلك الغصة
المسننة بحلقها، واحتجاز الندى الذى بلل عينيها خلف
حدودهما، قبل أن ترفع عينيها له قائلة بجمود :

_مبروك !



قالتها وهى تشير للدبلة فى إصبعه، فانخفض نظر مصطفى إليها قبل أن يشبك يديه ببعضهما يدايهما بحركة لا إرادية صدرت عنه .. لا يعلم هل خوفاً على مشاعرها، أو خوفاً على علاقته بيارا من تهديد مجهول .

لكن فى كلتا الحالتين.. حال التى أمامه لم يكن يسراً بديلاً، لا عدو ولا حبيب، فما ظنك برجلٍ قد وقع أسيراً لهواها لسنين!!

حتى وإن اندثر الهوى وما بقى منه هو فقط ذكرى، إلا أن بعضاً من الإنسانية مازالت قائمة بينهما..

استقام مصطفى فجأة واقفاً معلناً عن نهاية الزيارة .. لكن وقبل أن يذهب قال بهدوء :

_مبسوط انك بخير يا نرمين، ربنا يتم شفاكى على خير.. ولو احتاجتى اى حاجة انا موجود، وبالنسبة لحالتك الصحية فاطمنى .. انا متكفل بعلاجك !

لم يصدر عنها أى شئ عدا الجمود، فأغلق زر سترته وقال
بهدوء :

_مع السلامة !

واستدار ينوى الرحيل .. لكن ندائها باسمه استوقفه فنظر
لها منتظراً ما ستقول، إلى أن قالت مترجية :

_انا مش عاوزة حاجة .. انا عاوزة بس اشوف ماسة؛ عاوزة
اشوف بنتى .. ارجوك !

اوما مصطفى بتأثر ثم قال مستجيباً لطلبها :

_حاضر .. هتشوفها بصورة دورية، عمري ما هقطع بنت
عن امها، اعذريني انى مجبتهاش معايا انهاردة بس فيه ظرف
منعنى .

اومات دون حديث، بينما نظرتها كانت تحمل كل الحديث
الممكن أن يُقال، لكنها صمتت .. فصمت هو الآخر لكنه أشار
لوالدها التى كانت واقفة على باب المطبخ قائلاً:
_ممكن تتفضلى معايا .

وافقت والدتها ومشيت خلفه ترنو إلى ابنتها الواجمة بنظراتٍ مشفقة، قبل أن يتوارا عن ناظرهما أمام باب البيت .. وقف مصطفى في مواجهة والدتها المطرقة قبل أن يستخرج من جيب سترته مظلوفاً أبيض يحوى مالا قدمه لها ثم قال بتهذيب :

_ اقبلى دول منى .. وليكى كل شهرزيم، وعاوزك تطمنى من ناحية حالتها الصحية حالياً فى عمليات تركيب أطراف صناعية هتساعدنا أكثر.

ظهر الرفض على ملامح المرأة فور قدم لها المال، لكنه أصر قائلاً :

_ ارجوك مترديهمش .. نرمين مهما كانت هتفضل ام بنتى، و واجب عليا انى اساعدها .. ولا تنسوا الفضل بينكم !!
عقدت المرأة حاجبها ومدت يدها بتردد لتستلم منه النقود قبل أن تسبل جفניה على عينيها شبيقتى ابنتها قائلة :

_بس يا ابني العمليات دي بتبقى غالية واحنا مش حمل
تكاليفها .

_متشليش هم .. انا متكفل بيها .

ثم أخرج من جيبه ورقة مكتوب فوقها رقمه الشخصى،
فقدمه لها :

_ولو احتاجتم اى حاجة اتصلى بيا على الرقم ده .. ده رقمى
الشخصى وهرد عليكى فوراً، وهبقى اتواصل معاكى من
عليه عشان اديكى تفاصيل العملية ومعادها !
نظرت له المرأة بنظرة انحسر منها اللوم قليلاً وهى تتسلم منه
الورقة ببطء وأنامل مرتجفة .. وحل محله بعض الامتنان،
ثم قالت :

_شكرا يا ابنى .. ربنا يزيدك ويوسعها عليك، معرفتش
اشوفك قبل كده واشكرك على إالى عملته معاها لما
انقذتها.



ربت مصطفى على كتفها برفق ثم ودعها بكلمات مختصرة وتركها وخرج إلى سيارته التي يقبع فيها فارس في شارع آخر غير الذي يقبع فيه بيت نرمين، وقد رفض أن يأتي فارس معه هذه المرة .. وقرر خوض الأمر وحده.

فيما أغلقت المرأة الباب ودلفت إلى نرمين التي وجدتها غارقة في دموعها الصامتة .. فهرعت إليها تضمها بقوة، تمسح على رأسها بخفة وتحاول تهدئتها رغم أنها هي الأخرى تبكي :

_كفاية يا بنتي، كفاية .. اللهم لا اعتراض !!

=====



حين عاد إلى بيته، لم يكن له طاقة لأن يفعل أى شئ ... لم يكن يريد فى تلك اللحظات سوى أن يسكن إليها؛ ليعيد ترتيب أساسياته التى تبعثرت، أساسياته المتمثلة فيها !!

توجه مباشرة إلى جناحهما سوياً، ولحسن حظه وجدها هناك، جالسة على فراشهما فوق قدميها ماسة التى تهددها حتى غفت هائلة، وقف لعدة دقائق يتأمل منظرهما المريح لنفسه، قبل أن ترفع يارا المنتبه له منذ أتى عينيها نحوه قائلة بابتسامة:

_واقف كده ليه ؟!

لم يجيبها فوراً، بل مد يده إليها فى دعوة صامتة قبل أن ينطقها قائلاً بصوت أجوف:

_تعالى !

استجابت له متوجسة فوضعت ماسة برفق على الفراش ثم توجهت إليه، أطبق بأصابعه على يدها ثم سحبها خلفه

حتى خارج الغرفة، جلس جوارها على نفس الأريكة التي
تشاركها عليها الطعام يوم زفافهما، وقبل أن تسأله عما
أصابه بتلك الحالة من الجمود، حتى كان يلتفت إليها
بكليته مقبلاً إياها دون عاطفة حقيقية !

فقط لم يكن يريد الحديث، ولا فعل أى شئ سوى السكن
إليها وهذا ما فهمته بفطرتها، فبادلته بشغف حتى حولت
جموده بذكائها إلى عاطفة حقيقة صهرتهما معاً لوقتٍ لم
تحصه !!

بعد فترة ..

كان واقفاً أمام مرآته يمشط شعره بشرود بعدما اغتسل
وبدل ثيابه، وقد قرر في قرارة نفسه أنه سيخبرها عن يومه
وعن زيارته، ففضلاً عن أنه يريد أن يتحدث فهو يريد
إخبارها هي بالذات..



لا يعلم بما يشعر أنه إن أخفى أمر كهذا عنها من الممكن أن
يسبب فجوة بينهما بعد ذلك..

لذا ما إن رآها تخرج من الحمام الملحق الغرفة خلفه حتى
أشار لها لتتبعه خارجاً دون صوت حتى لا توقظ ماسة،
فامتثلت، ومشيت خلفه دون أن تعباً أنها مرتدية المنزر
الزغبى الخاص بالحمام، جلست جواره على الأريكة التى
شهدت كل لحظاتهم سوياً تقريباً بفرحها ومرحها، ضحكها
وشغفها!

بنظرة متفحصة له علمت أن هناك ما يخفى عنها، لذا ربتت
على كتفه برفق وهى تقول بحنو:
_فيه ايه يا مصطفى؟ مالك.

نظر لها نظرة مشحونة بما يجول داخله لكنه لم يرد فوراً؛
فما زال يشعر ببعض التردد حيال إخبارها، لكنه تشجع حين



وجدتها متفهمة لحالته، وأخذ يحكى لها عما فعله كله هذا اليوم..

بالبداية بدت متفهمة لما فعله مع أبيه وهشام ورغبته في زيارتهما التي لم تعد عليه بنفع لكنها كانت مواجهة لابد منها، لكن ما إن سمعت الجزء الخاص بنرمين حتى انقلب تفهمها بفعل غيرتها، إلى صمت مبهم، غير مفسر!

فتوجس وهو يمسك بيدها، و"يارا" مرتجفة غادرت شفثيه بينما هي ابتسمت بجمود ورمته بنظرة تماثلها جموداً.. ثم قالت بهدوء:

_انا مقدرة طبعاً رغبتك في انك تساعد ام بنتك عشان متشلش هم مواجهة ماسة لما تكبر بأنك كنت شخص مش كويس مع امها.. بس اعذرني دي وجهة نظر إالى شايف من بعيد، وعمرها ما هتكون زى إالى ف نص النار!



هبت واقفة فجأة واتجهت نحو الغرفة بخطوات مسرعة،
قبل أن تغلق الباب بعنف خلفها، فنظر مصطفى في إثرها
زافراً .. وأحاط رأسه بكفيه في تعب ..

لا يعلم ماذا يفعل كي يرضى كل الأطراف وضميره قبلهم.
كان يعلم أن غيرة يارا ستتحكم بها حتى وإن تفهمت موقفه،
لكن تحتّم عليه أن يصارحها ..

هو لا يريد بدء حياته بأسرار وغموض وكل تلك الأشياء التي
استهلكته حرفياً طوال الفترة الماضية ..

هو يريد أن تكون سكنه بما تحمله الكلمة من معنٍ، لا
يخفى عنها شيئاً ولا يحاول تصنع المثالية أمامها، يريد أن
يتعرى ويتجرد من ثوب مثاليته الذي يحاول إقناع الجميع
به، يريد أن يسكن إليها في أفضل حالاته وأسوأها !!

لذا .. استقام واقفاً واتجه إليها ..



فتح الباب ودلف فوجدها أمام خزانة الملابس تدس بلوزة
اختارتها عشوائياً فى رأسها ببعض العنف والمسمى العام
لهذا الفعل أنها ترتديها ..

هز رأسه بتعب وتقدم حتى وصل إليها، فغرشفته ونوى
تبرير ما يحدث، وإيفهامها بالعقل أن لا سبب منطقى
لرفضها للأمر طالما ليس فيه ضرر، لكنها التفتت له بغتة،
وأحاطت عنقه بذراعيها، وعانقته .. بل كانت تريد أن تنفذ
إليه لتجد البرهان الذى تريده داخله على أنه قضى هذا
الأمر من باب الإنسانية فقط وليس لأى مشاعر أخرى باقية
منذ زمن داخله ..

تلك الأركان المخفية داخلنا، والتى تحمل شيئاً أعمق مما
نظهره .. تلك بالضبط ما تخشاهم، تخشى أن تستيقظ
يوماً على سراباً يدعى حب مصطفى لها..

هذا الهاجس الذى ما فتئ يراودها، وما كان ينقصها أن
يؤكدده هو بمصارحتها بما فعل !



ربما لم يتوجب عليه فعل ذلك، فبعض الأشياء تبقى خيراً
إن ظلت مخفية، طى الكتمان، لكنه تعب، تعب من
اضطراره للتمثيل على كل شخص في حياته وإيهامه أنه بخير
.. أما حق له؟! أما حق له أن يختار شخصاً يكن له ملاذاً
دون أى ضوابط !!!

تلقاها بصدورٍ رحب، وشدد من عناقها كبرهاناً قبل أن يمسح
على رأسها قائلاً بخفوت :

والله ما فى اى حاجة من إالى فى دماغك، والسبب انتى
فهماه كويس ... مش عاوز بنتى لما تكبر فى يوم وتسألني انت
كنت فىن وأمى بتعانى، مش عاوز لما أقف بين أيدين ربنا فى
يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون واتسأل ليه مساعدتش ام
بنتى مع انى قادر.. الأسباب كتيراوى يارا واولهم انسانيتى
تمنعني انى مقدمش مساعدة انا قادر عليها، السبب إالى
انتى متخيلاه عمره ما دفعنى انى اعمل حركة زى دى !



_عارفة يا حبيبي والله عارفة ... بس غصب عني، صدقني
غصب عني!!

نبرتها كانت منبئة بدموعها، فربت على ظهرها مرة أخرى
قبل أن يكمل هسمه :

_خليكي متأكدة ان مفيش غيرك والله ولا هيبقى فيه !
طبع شفتيه صدغها بقوة، قبل أن يهمس ببعض المرح الذي
حاول جاهداً استجلاب روحه :

_طب انتى مش مصدقة كلام الأصفهاني لما قال "دع حب
من كلفت بحبه ما الحب إلا للحبيب الأخير" !

ضحكة صغيرة ممتزجة بدموعها ندت عنها قبل أن تبتعد
للخلف خطوة وهي تمسح دموعها قائلة بابتسامة مختنقة :

_ما هو برضو أبو تمام بيقولك "نقل فؤادك حيث شئت من
الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول..!" !

ابتسم وهو يمد أنامله ليحيط وجهها بكفيه قبل أن يمسح
دموعها بإبهاميه قائلاً :

_ لا احنا نمشى ورا كلام المتنبي بقى "وعش وحيداً فما فى
العشق منفعة، وصن فؤادك عن حزنٍ وعن ألمٍ!"
ضحكت ضحكة مختنقة قبل أن تحيط كفه بيدها وتنقله
إلى فمها مقبلة راحته، هامسة :

_ نستحمل .. ما حنا بقالنا سنين مستحملين !
شاركها ضحكتها، قبل أن ينظر لها نظرة حملت اعتذاراً
خفياً عن إقحامها فى كل تلك الخضام التى لم تجلب لها
سوى الدمع بعد أسبوعين فقط من زواجها، ثم جذبها
نحوه بخفة هامساً دون صوتٍ تقريباً :
_ تعالى !

اقتربت دون تردد، ودست نفسها بين أحضانها، مسلمة
لذاك العناق الذى كان بمثابة مسكن لكليهما ..
هكذا يريدونها، سكناً ومأمناً ومأوى!



(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

=====

بعد عدة أشهر...

أشهر لأول مرة تمر عليهم بسلام !

حدث فيهما الكثير نعم، لكن الكثير الجيد حمداً لله .

فقد وضعت كل من منة ورنيم مولديهما، حيث وضعت منة
فتاة أصرمؤمن على تسميتها باسم الراحلة "ذكرى" وهذا
ما سبب بعض القلق لمنة من أن يسبب تعلق زين بالطفلة
بعض الحساسية بينه وبين زوجته، لكن الأمر مرة تلو أخرى
بدا طبيعياً، وبدأت فريدة متفهمة للموقف؛ خاصة وهي
تعلم مكانة منة عند زين ومن الطبيعى أن يتعلق بطفلتها،

زين أيضاً كان يحاول مراعاة هذا الأمر أمامها كي لا يسبب لها جرحاً هو لا يريده!

بينما وضعت رنيم صبيّاً، وفعلت كما نوت هي ومعاذ وتمت تسميته بـ "عمر" تيمناً بابنها رحمه الله.
وقد كان هذا الطفل حرفياً كل ما احتاجته رنيم لتعود لها بسمتها من جديد..

داليدا تحمل جنينها الأول، بعدما عانت قليلاً من موانع الحمل التي كانت تتناولها بصفة دورية، وعلاقتها بيحيى توطدت كثيراً، صحيح أنه ليس ابنها، لكنه لم يعرف سواها امّاً.. وهذا ما زاد قدرها في عيني أدهم الذي أيقن داخله حق اليقين أن تلك المرأة لوجاب العالم بحثاً لما وجد لها مثيلاً..



فى نفس الوقت الذى كانت فيه علاقة يارا بماسة تماثل
علاقة داليدا بيجى وإن كانت أكثر متانة !!

ووفى مصطفى بوعدده إلى نرمين وأجرى لها عملية الأطراف
الصناعية مما حسن من حالتها كثيراً، وأصبح يرسل لها
ماسة لتراها بصفة دورية، ويحاول جاهداً أن يخفف وقع
الأمر على يارا كي لا تنفلت زمام الأمور من بين يديه، بجوار
أنه يحاول احتواء حزنها المتنامى رغماً عنها، وهى ترى نفسها
تكبر بالسن دون طفلٍ، ومع خوفها من احتمالية عدم
قدرتها نهائياً بسبب ظروفها الصحية، لكن هناك أملاً
يحاول هو إقناعها به كما هو مقتنع تماماً أن ربه لن يخذله
هذه المرة أيضاً..

أما زوجا متعاطى الغباء مراد وسمية، قد أثرا تأجيل
الإنجاب قليلاً إلى أن تنتهى سمية من دراستها التى تأخرت
كثيراً بسبب أنها انقطعت عنها العام الماضى فاضطرت

لإعادتها مرة أخرى .. ومن الظلم أن يقحما طفلاً في هذه
الخضام، ولا هو ولا هي مستعدان له !!!

وبقى زين وفريدة، وحلا وحازم، وفارس ودرة .. هؤلاء جميعاً
من نجوا نسبياً من أحداث الفترة الماضية، وانقضت عليهم
بأسر ما يكون ..

أما أروى وأسر ..

فما زال الأخير يجوب البلاد ذهاباً وإياباً، كي لا يتركها وحدها
لفترة طويلة، وعلى أمل إقناعها أن يتما الزفاف دون أن
تنقضى المدة، لكنها بدت مصممة على أن تأخذ وقتها كاملاً،
كي تنضج، كي تتعقل، كي تكون قادرة على مهمة صعبة
كالزواج تحتاج من هو واعياً أكثر منها.. وهو قدر رغبتها في
هذا، ومنحها كل الوقت الذي تريد رغم أنه لا يعود عليه
سوى بالتعب سافراً وعودة عبر البحار والقارات ..



بينما علاقة فارس ومصطفى قد ازدادت وطأة حتى أصبحت رباطاً لا ينفصم، كلا منهما يحاول التواجد في حياة الآخر بأقصى ما يمكنه من جهدٍ، ويحاول أيضاً ألا ينسيا سمية ويتواصلان معها يومياً، فما زال ذاك الهاجس يسيطر عليهم جميعاً، أن تطاردهم أفعال أبيهم هذا جل ما يخشوه..

في يوم كانت الشمس فيه ساطعة، دفع محمد مقعد المتحرك لأبيه الذي وهنت صحته جداً مؤخراً، وتقدم به حتى خرج من الغرفة ولم ينسَ رمق معاذ الواجم خلفه بنظرة مؤنبة، مغزاها أن كفاك حزناً فهو به ما يكفيهِ !!!

وقف معاذ متيبساً في محله قبل أن يسقط جالساً على طرف فراش والده من خلفه، يمسح على الوسادة التي كانت رأسه مرتاحة فوقها بكفه، قبل أن يجد دمعة ساخنة تنحدر على خده، مسحها ببعض العنف لكن تبعها غيرها



وغيرها حتى أصبحت سيلاً غير متوقف، فأخفى وجهه خلف كفيه وانحنى مخفياً كل ما يعتمله عن عين أى شخص قد يراه..

لكنها رآته، ومن خلال مرورها بتجربة كتلك ليس مرة بل اثنتين وثلاثة وصلها إحساسه كاملاً، فانقبض قلبها حزناً عليه .. فاقتربت رنيم منه بخفة قبل أن تجلس جواره، مربتة على كتفه بحنوقائلة بخفوت :

_لسه بتقدم الوحش يا "ابوعمر" .. وحد الله وقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

رفع عينيه المبللتين بالدموع نحوها، ثم اكتنف كفها بين يديه وشد عليه قائلاً بنبرة مشحونة بمشاعره :

_مش قادريا رنيم.. مش متخيل انى هيجى عليا يوم مش هشوفه!

_سنة الحياة يا "ابوعمر" .. لا اعتراض على امر الله.

ربما تجاربها الكثيرة مع الموت جعلتها أكثر إيماناً وثباتاً منه،
ظل متشبثاً بها يطلب دعمها بأي شكل، فربتت على كتفه
مرة أخرى قائلة بنفس القلب الذي تحب أن تناديه به منذ
ولادة طفلهما:

_ قوم يا ابو عمريلا .. ابوك الحاج قاعد في الجنينة مع
جميع الأولاد والأحفاد وعاوزينك معنا يلا بقى !!
ابتسم معذا بخفة قبل أن يومئ قائلاً بمزاحٍ طفيف :
_ الاولاد والأحفاد ها ..
_ اينعم .

اومات مؤكدة بابتسامة مضحكة، فبادلها ضحكتها وهو
يقف ليذهب معها، لكنها كانت أسرع منه وهي تقف فجأة
لتتعلق برقبتة لينهض وهو يحملها فوق ظهره ..
تفاجأ معاذ لأول وهلة وكاد يقع ويسقطها معه لولا أن توازن
وتشبثت هي به جيداً قائلة بضحكة عالية :
_ حاسب لتوقع !!!

_يا مجنونة انتى بتعملى ايه!

_الله .. يا عم انا خفيفة والله حتى بص .

ودعماً لقولها لفت قدميها حول جذعه وتشبثت به جيداً

قائلة بضحك :

_امشى بقى !!

_يا بنتى امشى فين ضهرى هيتقطع !!

_امشى يا معاذ!!

ضحك وهو يمسك بذراعيها الملتفين حول عنقه وسار بها

عدة خطواتٍ صعبة إلى أن خرج من باب الغرفة، فتعالت

ضحكتها أكثر، قبل أن يسقطها عنه بالقوة قائلاً:

_يخربيتك انزلى هتفضحين البيت مليان ناس !!

استوت أرضاً ضاحكة قبل أن تتشبث بذراعه هاتفة :

_بس ضحكت .. دى اهم حاجة .

_يعنى مش مشكلة لوجالى الغضروف فى شيلة زى دى!

_لا لا .. اهم حاجة انك ضحكت



يا بنتى انا لا سنى ولا لياقتى يسمحولى ب ده .. اتهدى الله
يهديكى.

واستمر الحوار بينهما على هذا المنوال إلى أن قاطعهما
صوت فريال وعبير الأتى من غرفة الجلوس، فاتجه معاذ
بهدوء نحو الغرفة المندشودة فوجد فريال فى مواجهة عبير فى
نقاشٍ حامى وكل منهما تحذرا الأخرى من مغبة إزعاج ابنتها !!
يا عبير وهى كانت بنتك اشتكت، انتى بتجربى شكل .

معلش انا بنهك بس، كفاية عليها إالى هى فيه وخودى
بالك منها .. زى مانا شايلة بنتك ف عنيا كده.

كان حديث عبير تهديداً ضمنياً، فأفحمتها فريال بالرد الذى
عاد والماء بحوزته إلى حلقها:

و مالويا حبيبتي ... انتى عمتها برضو ولازم تشيلها فى عنيكى.
بمعنى أنه لا تمنى هاهنا، فموقفك ماهو إلا واجباً، ابتسمت
عبير ابتسامة صفراء وهى تربت على ركبة زوجة أخيها بود
مصطنع قائلة :



_اومال يا حبيبتي، ويارا ودرة برضو بناتك !
كتم معاذ ضحكته بصعوبة قبل أن يتنحج بخشونة قائلاً
بحدية مزيفة :

_يلا يا عبير كلنا مستتينكم برا .
اومأت عبيردون رد قبل أن ترمق فريال بنظرة أخيرة محذرة
ثم قطعت المسافة نحو الخارج دون أن تنتظر معاذ الذي
جاء بندائها، فضحكت فريال ثم قالت متطلعة في إثر عبير:
_ينفع إلی اختك عملاه فيا ده !

نظرت معاذ نظرة عابرة خلفه ثم عاد إلى فريال قائلاً بمزاح :
_دى عبير..هو حد يزعل من عبير!
_سمعاك يا معاذ !!!

اطبق معاذ شففيه وخرس تماماً، بينما فريال ورنيم لم
تستطيعا كتم ضحكاتهما العالية !!

=====

بالخارج ..



حين حضر الجميع، التفوا جميعاً في نصف دائرة حول
جدهما الجالس على مقعده في منتصف الحديقة، بعدما
قرر محمد إخراجه ليتمتع ببعض الهواء العليل بدلاً من رقدته
في غرفته، مستغلاً التجمع الشهري للعائلة في البيت الكبير
ليجتمعوا كلهم حوله فلربما كانت المرة الأخيرة !!!
من يدري ؟!!!...

جميعهم كانوا موجودين حوله يستمعون إلى حكاياه بصوته
الواهن عن طفولته وشبابه حيث كان الزمان غير الزمان
والناس غير الناس ..

ياااه أيام الدنيا ما كانت لسه بخير!!

كان هذا قوله، ووصفه للزمن الذي نشأ وتربى به، في نفس
الوقت الذي نشب فيه حديث جانبي بين أروى وأسر الذي
قال هامساً:

_ ما تيجي نستغل انك في اجازة ونعمل الفرح !



رمقته بنظرة متبلدة واشاحت بعينها بملل ثم قالت هامة
مثله :

_اتلم يا أسر!

زفريائساً، وهمس في سره قبل أن ينتبه مجدداً لجده :

_حسبي الله ونعم الوكيل !

كتمت ضحكة وشيكة تريد أن تظهر للنور، لكن احتراماً
للموقف صمتت تماماً ..

بينما على جانب آخر كانت حديث مشابه يدرو .. حيث قالت
فريدة إلى زين الجالس جوارها بينما عيناها تصب جل
تركيزها نحو جده :

_انا بحب جدك ده اوى يا زين !

_وانا بحبك انتى!!

شتت انتباهها، فالتفت بعينها المبتسمتين إلى تلك الجملة
التي يرد بها عليها كلما أعربت عن إعجابها بأى شئ أوحى له
.. ثم هزت رأسها تنفى شيئاً وهمياً، قبل أن تعود لجده مرة

أخرى، دون أن تنسى أن تشبك كفها بكفه .. حركتهما الأثيرة
التي لم ينسها أى منهما قط !!

مالت يارا برأسها إلى كتف مصطفى، تستند إليه بحزنٍ على
حالة جدها، فطبع شفثيه فوق رأسها هامساً بخفوت :
_لله الأمر من قبل ومن بعد!

ربتت على يده دون رد، وعاد كلاهما ليستمعا لحديث
جدهما الذى قال مبتسماً ابتسامة واهنة :

_زمان .. على ايامى انا مش ايامكم انتوا إلى ما يعلم بيها إلا
ربنا دى كان الخيريامة، كانت الناس كلها تحب الخير
لبعضها، الناس كلها بتوقف مع بعضها بدون تفريق، وقتها
كانت الدنيا بخير، عشان كده عاوزكم تبقوا فى ضهر بعض..
اوعوا واحد فيكم يسيب اخوه، ابويا كان دايمما يقول إلى
ملهوش خيرفى أهله ملهوش خيرفى حد ولا فى نفسه،
فمتستسلمش لشيطانك وتأذى الكل عشان نفسك، خودوا



بالكو من بعض واقفوا في ظهر بعض او عوا حاجة تفرقكم،
زمان كنت انا واخواتي كده.. بس ده كان زمان.

_ ايام ما كانت الدنيا لسه بخير!!!!

=====

وحتماً هناك بقعة نور ..

بداخل كل منا بقعة نور ستنير لكل طريقه، فقط ابحث
عنها وجاهد ولا تيأس من روح الله، فلا ييأس من روح الله إلا
القوم الكافرون !!!

=====

تمت بحمد الله !!!!

27/10/2020

=====